



الأخبار

# الفتح القسّي ف الفتح القدسي

للعلماء الكاتب الأصفهاني  
٥١٩ - ٥٩٧ هـ

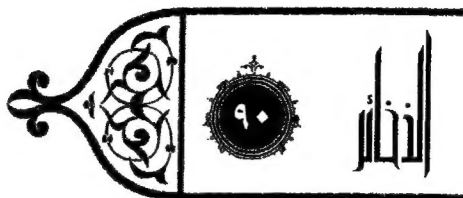
تحقيق وشرح وتقديم  
محمد محمود صبح



قدم له  
أ.د. حامد زيان غانم

الهيئة العامة لقصور الثقافة





# الفتح القسّي ف الفتح القدسي

للعلماد الكاتب الأصفهاني  
٥١٩ - ٥٩٧ هـ

تحقيق وشرح وتقديم  
محمد محمود صبح

قدم له  
أ.د. حامد زيان غانم




رقم الإيداع : ٤٣٠٥ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : 9 - 384 - 305 - 977 I.S.B.N.

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

٨٣٣٨٢٤٤ - ٨٣٣٨٢٤٢ - ٨٣٣٨٢٤٠ : 

e-mail: pic@6oct.ie-cg.com



# الذخائر

رئيس مجلس الإدارة  
أنس الفقى

أمين عام النشر  
محمد السيد عيد

الإشراف العام  
فكرى النقاش

رئيس التحرير  
أ.د عبد الحكيم راضى

مدير التحرير  
د. محمود فؤاد

مسكرتير التحرير  
جمال العسكرى

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى

١٦ ش أمين سامى قصر العيني - القاهرة

رقم بريدى ١٢٥٦١

مستشارو التحرير

- أ.د. إبراهيم عبد الرحمن
- أ.د. السباعى محمد السباعى
- أ.د. حسين محمد ربيع
- أ.د. حسين نصر
- أ.د. عبد الله التطاوى
- أ.د. عبده على الراجحي
- أ.د. محمد حمدى إبراهيم
- أ.د. محمد عونى عبد الرؤوف

الإشراف الفني : غريب ندا

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تعريف

عزیزی القاریء . . الكتاب الذى تقدمه ( الذخائر ) فى هذه الحلقة هو كتاب ( الفتح القسّ فى الفتح القدسى ) لمؤلفه عماد الدين الأصفهانى الكاتب ( ٥١٩ - ٥٩٧ هـ ) ، يقدم الكتاب جانباً من الصور البطولية لكفاح المسلمين والعرب ضدّ الغزو الاستيطاني الصليبي ، وهو الكفاح الذى قاد أعظم فصوله السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ولعلّ هذا ما حدّثنا نشره صاحب طبعة ليدن التى صدرت سنة ١٨٨٨ م إلى أن يطلق عليه عنوان ( فتح صلاح الدين لسورية وفلسطين ) - Conquete de la Syrie et de la palestine par Salah ed - . dim

عنوان الكتاب كما فى هذه الطبعة هو « الفتح القسّ فى الفتح القدسى » ، ولقد وردّ العنوان على هذا النحو فى ( إرشاد الأريب . . ) لياقوت المتوفى سنة ٦٢٢ هـ ، وكذلك فى ( سير أعلام النبلاء ) للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وبهذا اللفظ نفسه ورد العنوان العربى فى طبعة ليدن التى سبقت الإشارة إليها .

بيّنا جاء فى ( مفتاح السعادة . . . ) ل : طاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ كلمة ( الفتح القسّ ) بدلاً من ( الفتح القسّ ) أما فى ( كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ) لحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ فقد ورد اسم كتاب ( قلع القسّ فى الفتح القدسى ) ضمن عدد من الكتب فى تواريخ القدس ، دون ذكر لاسم المؤلف .

وأغلب الظنّ أنه نوع من التخریف ، تماماً كما فى كلمة ( الفتح ) ، وإن كان للكلمة الأخيرة وجهها ، فإذا كان المقصود ( بالفتح القسّ ) ما فُتح به على المؤلف من بلاغة ومقدرة فى وصف فتح القدس ومعارك صلاح الدين ، وهى بلاغة ومقدرة تستمدّان صفاتهما من انتسابهما إلى بلاغة قسّ بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهليّ المقوّ ، الذى يقال : إن الرسول محمداً ﷺ قد استمع فى طفولته إلى خطبة له مشهورة ذات معان سامية . . فإن الأمر نفسه أو المعنى قائم باستخدام كلمة ( الفتح ) بالياء ، إذ هى : النقحة أو العبير ، أو لنقل - مرة أخرى - الأثر القسّ ، أو البلاغة المستمدة من بلاغة ذلك الخطيب .

والحقيقة أنّ البحث عن وجه لكلمة ( الفتح ) لا يعدو أن يكون بحثاً عن علر أو تبرير لوقوع التصحيف فيها من حيث إنّ لها وجهاً من المعنى ، أمّا العنوان الحقيقي للكتاب فبهي

كلمة (الفتح) صراحةً باعتراف المؤلف ثم يراوته قصة حول العنوان ، وأنه كان من اقتراح القاضي الفاضل - أحد بلغاء عصره من كتاب صلاح الدين - لأن الله سبحانه قد فتح على العماد « بفصاحة قسٌ وبلاغته ... ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته »

[ ص ٥٧ ، ٥٨ من الكتاب ]

بذلك يتأكد صدق رواية كل من ياقوت والذهبي للعنوان ، وتسقط رواية صاحب (مفتاح السعادة) وكذلك رواية صاحب (كشف الظنون) - إن كان الأخير قد قصد بعنوان (قدح القس) إلى كتاب العماد - فالثابت المؤكد أن عنوان الكتاب هو : (الفتح القسّي في الفتح القسّي)

ويبدو أن لكلمة (الفتح) نوعاً من المجازية الدينية ، فقد وردت في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات مقترنة غالباً بمعنى النصر ومناسيته ، منها (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) <sup>(١)</sup> ، ومنها (إذا جاء نصر الله والفتح) <sup>(٢)</sup> ، ومنها ( ... نصر من الله وفتح قريب ) <sup>(٣)</sup> ، ومنها ( ... فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ) <sup>(٤)</sup> .

من هنا - فيما يبدو - كان غرام الشعراء والأدباء عامة بتلك اللفظة ، خاصة عند ذكر الوقائع والانتصارات ؛ إذ نسمع أحد شعراء الرشيد - في معرض العمل على تخفيف غضب الخليفة وثورته ، وقد بلغه أن (نقفور) امبراطور الروم قد نقض عهده معه وتحذاه - قال الشاعر :

نَقَضَ الذي أَعْطَيْتَهُ نِقْفُورُ فَعَلِيهِ دَائِرَةٌ الْبَوَارِ تَدُورُ  
أُبَشِّرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ فَتَحَ أَتَاكَ بِهِ إِلَهُ خَطِيرُ

أما أبو تمام فقد أطلق كلمة (الفتح) على انتصار الخليفة العباسي المعتصم بالله على الروم في وقعة غَمُورِيَّة ، ووصف ذلك الانتصار بأنه (فتح الفتوح) الذي تعجز بلاغة الشعراء والخطباء عن الإحاطة بوصفه فقال :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب  
أما العماد الأصفهاني فقد أضاف إلى (الفتح) - بمعنى الانتصار في الحرب - فتحاً آخر وصفه بـ (القسّي)

(١) سورة الفتح آية (١) .

(٢) سورة النصر آية (١) .

(٣) سورة الصف آية (١٣) .

(٤) سورة الفتح آية (١٨) .

وقد سبق القول إن كلمة (القُسَي) هى نسبة إلى قُس بن ساعدة الإيادى ، الخطيب الجاهلى المشهور الذى عاش قريبا من عصر البعثة النبوية ، أما تسمية العماد إنشاءً ، أو إبداعه ، فى وصف انتصارات صلاح الدين فتحاً .. فهو ما تفرقه أعراف الأدباء فى استعمال اللغة فى مثل هذه المواقف ، فالشاعر ، أو الأديب عموماً ( يفتح القول ) أى يبتدئه ، وحين يعسر الكلام على الأديب فلا يجد ما يقوله ، يقولون : قد استغلق عليه القول ، فإذا واثته القريحة بعد هذه الحال ، قالوا : لقد فُتح له القول .

بذلك يكون لدينا فى العنوان الذى حملته كتاب العماد .. (فتحان) : (فتح) باللسان والقلم ، و(فتح) بالسلاح والقوة ، أحدهما أداته حدة القريحة وصفاء الذهن وقوة الطبع والموهبة ، والآخر أداته العزيمة والإصرار ثم جودة السلاح وشجاعة الأبطال . وقد سُمى العمادُ كلا العاملين - أى الإبداع الأدبى والانتصار فى الحرب - فتحاً . ومن قبل جَنَحَ المتنبي إلى أسلوب ( المشاكلة ) وذهب إلى عكس مذهب العماد فسُمى العاملين معاً (كتابةً) ، وذلك حيث يقول فى فلسفة القوة :

حتى رجعتُ وأقلامى قَوَائِلُ لى المعجد لل سيف ، ليس المعجد للقلم

اكتب به أبداً قبل الكتاب بنا فإنما نحن للأسياف كالخدم

هكذا اطلق المتنبي على فعل السيف وأثره فى توجيه الأحداث اسم (الكتابة) ، فهناك الكتابة بالسيف والكتابة بالقلم ، والأولى أكثر فاعلية وأثراً ، أما الأخرى فتنقلها وتسجل ما سبق للسيف أن دونه على صفحة التاريخ ، وهذا - على الأرجح - هو ما قصد إليه العماد فى كتابه ، أعنى قصده إلى إيراد ما جاش به خاطره وجادت به قريحته ، أو ما (فتح) له به من إبداعات فى وصف انتصارات صلاح الدين .

ومع ذلك .. ففى العنوان الذى وَرَدَ تحته الكتاب بصورتيه : (الفتح) و (الفتح) - بفرض صحتها - روحُ العماد فى غرامه بالصنعة البديعية ، خاصةً الجنس والمزاوجة والطباق والسجع . واللون الأخير - أعنى السجع - واضح فى العنوان بصورتيه ، وكذلك الجنس ، حيث يجيء تائماً باستخدام كلمة (الفتح) وناقصاً باستخدام كلمة (الفتح) ، وكذلك هو بين (القُسَي) و(القدسى) ، وكذلك المزاوجة الواضحة فى توازن كلمات الجزءين فى العنوان .

وهذا ينقلنا إلى الحديث عن المؤلف الذى أتقن الكثير من المعارف وإن غلب عليه الأدب والتاريخ ، ففى المجال الأخير يذكر له كتاب (البرق الشامى) فى سبع مجلدات ، وكتاب (نصرة الفترة) فى أخبار بنى سلجوق ، و (الفتح القسئ فى الفتح القدسى) فى مجلدين ؛ أما فى مجال الأدب فقد ترك ديوان شعر فى أربع مجلدات ، وديوان رسائل فى عدة مجلدات ، ويمكن تصنيف كتابه الكبير (خريدة القصر وجريدة العصر) ضمن كتب

تاريخ الأدب ، ويغلب على إنشائه من الشعر والنثر - كما قلنا - الصنعة البديعية التي أصبحت طابع العصر ، خاصة تلك الألوان التي سبق أن أشرنا إليها ، يضاف إليها لون آخر هو استخدام العبارات التي تصلح لأن تُقرأ معكوسة فلا يتغير معناها ويظل نطقها كما هو ، هذا فضلاً عن إجادته الاقتباس من القرآن الكريم والشعر السابق عليه .

أما محقق الكتاب الأستاذ محمد محمود صبيح فلم تسعفى المصادر ، ولا معلوماتي الخاصة بالكثير عنه ، سوى أنه سبق له تحقيق كتاب ( النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ) المعروف بـ ( سيرة صلاح الدين ) لابن شدّاد ، وهو الكتاب الذى سبق إصداره فى هذه السلسلة بتحقيق المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال .

وأما مقدّم هذه الطبعة فهو الأستاذ الدكتور حامد زّيان غانم ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة القاهرة ، وقد تخرج فى نفس الكلية ، وحصل على الماجستير والدكتوراه منها ، وتدرّج فى سلك أعضاء هيئة التدريس ، وتُعين رئيساً لقسم التاريخ ومديراً لمركز البحوث والدراسات التاريخية بكلية الآداب - جامعة القاهرة .

وللدكتور زّيان عديد من المؤلفات فى مجال التاريخ ، من بينها :

- الصراع السياسى والعسكرى بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية .

- العلماء بين الحرب والسياسة فى العصر الأيوبى .

- الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر فى عصر سلاطين المماليك .

- الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة .

عزيزى القارئ... إن كتاب ( الفتح القسى فى الفتح القدسى ) هو الكتاب الثانى الذى تصدره الذخائر فى تاريخ صلاح الدين وتسجيل انتصاراته ، وهو يجمع - بصورة ما - بين الأدب والتاريخ ، الأدب المتمثل فى إنشاء العماد ورسائله وحكاياته الخاصة ، والتاريخ المتمثل فى تسجيل فروسية صلاح الدين الذى لم يكن رجل حرب من أجل الحرب ، فهو إنما حارب من أجل السلام .. السلام القائم على الحق والعدل .. لذلك ظل دائماً - حتى خلال الحرب - رافعاً شعار الحوار والتضاهى ، لكن الغرب جاءه رافعاً لواء العداة والتصادم .

عزيزى القارئ... إلى أين سيتهى المطاف بالعالم .. إلى الحوار أم إلى الصدام ؟ لا أحد يعرف على وجه اليقين ، ولكن الذى أثبتته الأيام .. أنه حتى الحوار ، بل وحتى الدعوة إلى السلام .. يحتاج كلاهما إلى قوة تحميه وتؤكده ، بل وتفرضه ، شأنه فى ذلك تماماً شأن مسلح الصدام .

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

مؤلف هذه (الذخيرة) هو أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجا حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله ، المعروف بـ(آلة)<sup>(١)</sup> الملقب عماد الدين الكاتب الأصبهاني ، ولد بأصبهان فى ثانى جمادى الآخرة عام ٥١٩ هـ / عام ١١٢٥ م ، ونشأ بها حيث تلقى تعليمه الأول على المذهب الشافعى ، ثم التحق بالمدرسة النظامية ببغداد حيث تفقه على يد كبار علمائها فى تلك الفترة ، ثم رجع إلى بغداد ليعمل بصناعة الكتابة فبرع فيها وذاع صيته وصار ملازماً للوزير عون الدين يحيى بن هبيرة<sup>(٢)</sup> ، وزير الخليفة المقتضى لأمر الله العباسى ، فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط ، واستمر العماد يلى هذه الوظائف حتى وفاة الوزير ابن هبيرة عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م فاضطربت أحواله وأقام ... مدة فى عيش منكدر وجفن مسهد على حد قول معاصره ابن خلكان<sup>(٣)</sup> .

ونتيجة ما حدث للعماد من حساده بعد وفاة ابن هبيرة ، غادر بغداد متجهاً إلى دمشق عام ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م حيث تقابل مع القاضى كمال الدين أبى الفضل محمد بن الشهرزورى الذى كان متولياً أمور دمشق من قبل السلطان نور الدين محمود (حاكم الموصل وحلب ودمشق) ، وارتبط العماد بالشهرزورى ارتباطاً كبيراً حيث كان يحضر

---

(١) آله : بفتح الهزعة وضم اللام وسكون الهاء ، اسم فارسى معناه باللغة العربية العقاب ، وهو الطائر المعروف . [ راجع ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٢ ] .

(٢) قال عنه ابن خلكان : « حصل من كل فن طرفاً وقرأ الكتاب العزيز ، وقرأ النحو ، واطلع على أيام العرب وأحوال الناس ، ولأزم الكتابة ، وحفظ ألفاظ البلغاء ، وتعلم صناعة الإنشاء » وتولى الوزارة للخليفة المقتضى لأمر الله عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م وبعد ولايته للوزارة لقب بمون الدين ، ثم استمر فى الوزارة بعد وفاة المقتضى حيث استوزره الخليفة المستنجد بالله العباسى ، واستمر يلى الوزارة حتى وفاته عام ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ . [ راجع وفيات الأعيان ، ج ٦ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ] .

(٣) وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٤٨ .

مجالس علمه . ويعد أن عرف الشهرزورى مكانة العماد العلمية ولاء التدريس بالمدرسة النورية <sup>(١)</sup> بدمشق عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، وهي التي عرفت بعد ذلك باسم المدرسة العمادية نسبة إلى العماد الأصبهاني نفسه . <sup>(٢)</sup> وفي دمشق توطدت علاقة العماد الأصبهاني بالأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي ، وكان قد سبق تعرفه عليه عندما كان نجم الدين والياً على تكريت <sup>(٣)</sup> ، ويذكر ياقوت الحموي <sup>(٤)</sup> أن نجم الدين أيوب هو الذى سعى إلى العماد ، وذهب للترحيب به بعد وصوله إلى دمشق .

ولم يلبث القاضى الشهرزورى أن رشح العماد الأصبهاني ليعمل فى ديوان إنشاء السلطان نور الدين محمود ، وذلك بعد أن تأكد مما بلغه العماد من النبوغ فى العلم ، غير أن العماد تردد فى قبول هذا العمل ؛ لأنه لم يسبق له الاشتغال فى الكتابة بديوان الإنشاء من قبل « خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه . . . مع توفر مواد هذه الصناعة عنده » <sup>(٥)</sup> ، لكن العماد لم يلبث أن قبل هذه الوظيفة وأثبت جدارته فى العمل بها ، وتفوق على القاضى الشهرزورى نفسه ، حيث كان يكتب بالفارسية بالإضافة إلى العربية « وعلت منزلته عند نور الدين محمود وصار صاحب سره » ، ولذلك ولاء نور الدين محمود الإشراف على ديوان الإنشاء عام ٥٦٨هـ / ١١٧٣م <sup>(٦)</sup> .

والمعروف أن ديوان الإنشاء ، وهو الذى يماثل وزارة الخارجية فى وقتنا الحاضر - يجعل القائم على العمل به قريباً من السلطان وشئون الحكم ؛ لأن هذا الديوان منه وإليه تخرج وترد مختلف الرسائل والمكاتبات إلى مختلف الملوك والسلاطين ، ومن خلاله يتم صياغة وكتابة المعاهدات والهدن التى تعقد ، وهذا يجعل القائم على أمر هذا الديوان قريباً من السلطان بل كاتم أسرارهِ <sup>(٧)</sup> . تقلبت الأحوال بالعماد الكاتب بعد وفاة السلطان نور

(١) نسبة إلى السلطان نور الدين محمود .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، ج ١٩ ص ١٣ .

(٣) المعروف أن نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان الكردى كان والياً على تكريت ثم غادرها على أثر خلاف مع حاكمها عام ٥٣٢هـ / ١١٣٨م .

(٤) معجم الأدياء : ج ١٩ ص ١٣ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدياء : ج ١٩ ص ١٤ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٧) عن ديوان الإنشاء ، راجع الموسوعة المصرية : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، مادة كاتب وكتاب ص ١١١٦ .



الدين محمود (٥٦٩هـ / ١١٧٤م) ، كما تقلبت أحوال البلاد بموته ، حيث ورثه في الحكم ابنه الملك الصالح إسماعيل الذي كان في الحادية عشرة من العمر ، فالتف حوله جماعة من الأفراد كان همهم المصلحة الشخصية وتصفية من يقف ضد هذه المصلحة ، فخاف العماد على نفسه من غائلتهم ؛ فرحل عن دمشق متجهاً صوب بغداد ، وأصابه وهو في الطريق مرض جعله يستريح بالموصل ، وأثناء وجوده بالموصل سمع عن خروج صلاح الدين الأيوبي من مصر متجهاً صوب دمشق ؛ ليقف بجوار ابن سيده الملك الصالح إسماعيل ويعيد الأمور إلى نصابها بعد اضطرابها عقب وفاة نور الدين محمود . وكان العماد قد تماثل للشفاء من مرضه فعزم على التوجه إلى الشام ، وبالفعل خرج من الموصل عام ٥٧٠هـ / ١١٧٤م متجهاً صوب صلاح الدين حيث اجتمع به في حمص ، ومنذ تلك اللحظة لم يفارق العماد الكاتب صلاح الدين الأيوبي لا في حله ولا ترحاله <sup>(١)</sup> .

ازداد قرب العماد الكاتب من صلاح الدين الأيوبي وصار كاتبه ، واعتمد عليه صلاح الدين اعتماداً كبيراً ، « فتصنر وزاحم الوزراء وأعيان الدولة ، وعلا قدره وطار صيته ، وكان إذا انتظم القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى إليه السلطان مقاليدته ، وركن إليه بأسراره ، فتقدم الأعيان ، وأشير إليه بالبنان » <sup>(٢)</sup> .

غير أن الدنيا لا تدوم لأحد سوى لله سبحانه وتعالى ، فبعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩هـ / ١١٩٣م ، وما حدث من الصراع بين أولاده وأخوته وأبناء عمومته ، اختلت أحوال العماد فلزم بيته ، حيث أخذ في التأليف والتصنيف حتى وافته المنية يوم الاثنين أول رمضان عام ٥٩٧هـ / ١٢٠١م ، ودفن بدمشق في مقابر الصوفية خارج باب النصر ، بعد أن قضى حياة مليئة بالعمل والنشاط بين سراديب الحكم منذ أن التحق بالعمل في ديوان الإنشاء للسلطان نور الدين محمود حتى وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي <sup>(٣)</sup> .

وقد مدحه معاصروه فقال عنه ابن الأثير الجزري <sup>(٤)</sup> : « وكان كاتباً مفلحاً ، قادراً على

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٤٩ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٩ ص ١٨ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٥٢ .

(٤) الكامل ، ج ١٢ ص ١٧١ .

القول ، ، أما أبو شامة <sup>(١)</sup> فقال : « كان مبرزاً في النظم والشر عارفاً بالأدب ، حافظاً لدواوين العرب » .

أما العصر الذي عاش فيه العماد الكاتب فيعرف باسم عصر الحروب الصليبية ، وهو عصر ذو طابع خاص من الناحيتين السياسية والثقافية . فقد ولد العماد في وقت كانت فيه الخلافة العباسية تمر بمرحلة من التدهور السياسي ، وكان السلاجقة هم الحكام الحقيقيين للدولة .

والواقع أن السلاجقة نفخوا روحاً جديدة في جثمان الدولة العباسية المنهار ، ويعود ذلك لجهود ثلاثة من أعظم سلاطين السلاجقة هم طغرل بك (٤٢٩ - ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٦٣ م) ، وألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) ، وكان آخرهم السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) الذي كانت وفاته إيذاناً بانتهاء وتفكك قوة السلاجقة وتبع ذلك انهيار قوة الشرق الإسلامي <sup>(٢)</sup> .

في تلك الأثناء أخذ الغرب الأوربي في تنظيم عدة حملات لغزو الشرق ، هي التي أطلق عليها اسم الحروب الصليبية ، وذلك من أجل سلب خيرات الشرق والاستيلاء على أراضيه ، ونتيجة ذلك الانهيار والتفكك الذي كان يمر به الشرق نجح الفرنج في تحقيق هدفهم واستطاعوا إزلال الهزائم بقوة السلاجقة المنهارة ، واستولوا على عدة مناطق بالشرق مؤسسين أربعة كيانات لهم هي : الزها ، وأنطاكية ، وبيت المقدس ، وطرابلس <sup>(٣)</sup> .

واستمر هذا الوضع إلى أن ظهر على مسرح الأحداث أحد رموز الوحدة الإسلامية وهو عماد الدين الزنكي بن قسيم الدولة أفسنقر الحاجب (٥٢١ - ٥٤١ هـ / ١١٢٧ - ١١٤٦ م) <sup>(٤)</sup> ، الذي نشأ وسط هذا الجو المشحون بالفرقة والانقسام ، وأيقن زنكي أن الحل الوحيد للخروج من هذه الكارثة هو توحيد الجبهة الإسلامية <sup>(٥)</sup> .

(١) الذيل على الروضتين ، ص ٢٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية ، ج ١ ص ٢٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ١ ص ٢٣ ، حامد زيان : الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية ، ص ٩ .

(٣) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٥٦٣ وما بعدها .

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص ٢٤ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٥) حامد زيان : حلب في العصر الزنكي ، ص ٢٧ .

وبالفعل أخذ عماد الدين الزنكي يجاهد من أجل توحيد الجبهة الإسلامية للصمود أمام العدوان الصليبي ، واستطاع إنزال أول هزيمة ساحقة بالفرننج ، وسقطت في يده أول إمارة صليبية تأسيساً ، وهى إمارة الرها عام ٥٣٩هـ / ١١٤٤ م <sup>(١)</sup> ، لينق بذلك أول مسمار فى نعش الصليبيين ، وذلك بعد أن بلغ العماد الكاتب العشرين من عمره وأصبح فى زهرة شبابه .

وإذا كان زنكى قد قتل بعد استيلائه على الرها بعامين (٥٤١هـ / ١١٤٦ م) ، فإن ابنه نور الدين محمود قام بأمر الجهاد ضد الصليبيين من بعده خير قيام ، واستطاع أن يعيد توحيد الجبهة الإسلامية <sup>(٢)</sup> ، ويصمد أمام الحملة الصليبية الثانية <sup>(٣)</sup> ، ثم أخذ فى تصفية إمارة إنطاكية ولم يبق منها سوى حصون مهلمة <sup>(٤)</sup> .

وهكذا استطاع نور الدين محمود تصفية الوجود الصليبي بشمال الشام ، ولم يبق أمامه سوى الصليبيين الموجودين بجنوب بلاد الشام (بيت المقدس - طرابلس) ، ولم يكن أمام نور الدين محمود إلا أن يوحد الجبهة الإسلامية بالجنوب حيث يضم إليه دمشق ثم مصر ، وبذلك يحصر الصليبيين بين شتّى الرّحى ، وبالفعل استطاع نور الدين ضم دمشق <sup>(٥)</sup> ، ثم تبسم له الحظ نتيجة الخلافات التى سرت بين وزراء الخليفة الفاطمى الشيعى حاكم مصر ، وجاءته دعوة لإرسال جيوشه إلى مصر ، فلم يتردد نور الدين محمود وأرسل قائده أسد الدين شيركوه ويصحبته صلاح الدين الأيوبي ابن أخت شيركوه إلى مصر ، وبعد صراع استطاع شيركوه أن يتولى وزارة الخليفة المعاضد الفاطمى عام ٥٦٤هـ /

(١) ابن القلائسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ٤٤ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٠٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ١٢٣ .  
(٣) نتيجة سقوط الرها جهز الغرب الأوروبى حملة صليبية جديدة هى الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤١هـ / ١١٤٧ م ، التى تزعمها ملك فرنسا لويس السابع وإمبراطور ألمانيا كونراد الثالث انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٦٢٩ وما بعدها .

(٤) ابن القلائسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٣٠٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٢٩٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ٥٨ .

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٣١٨ .

١١٦٨ م ، وهو فى نفس الوقت قائد جيش نور الدين <sup>(١)</sup> ، ولكنه لم يستمر فى الوزارة طويلاً إذ توفى بعد خمسة وستين يوماً <sup>(٢)</sup> .

وبعد وفاة أسد الدين شيركوه تولى صلاح الدين الأيوبي الوزارة خلفاً لعمه <sup>(٣)</sup> ، ولم تلبث الخلافة الفاطمية نفسها أن سقطت <sup>(٤)</sup> ، وبذلك أصبح صلاح الدين الأيوبي طليق اليد فى مصر .

ولم يلبث أن دب نزاع خفى بين نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ، ويعزو البعض سبب هذا النزاع وتلك الجفوة إلى غضب نور الدين من صلاح الدين ، حينما أرسل إلى الخليفة العباسي بشارة سقوط الخلافة الفاطمية مباشرة متغاضياً عن نور الدين الذى هو سيده وصاحب مصر من الوجهة الشرعية <sup>(٥)</sup> .

ثم تابعت بعد ذلك شكوك كل فى صاحبه ، فصلاح الدين يخشى من نور الدين ، لذلك رفض الاجتماع به فى حصن الأكراد ، ثم إنه جمع أهل بيته ؛ ليستشيرهم فيما يفعل حينما نعى إلى سمعه أن نور الدين يستعد لقصده <sup>(٦)</sup> .

غير أن وفاة نور الدين محمود فى شوال سنة ٥٦٩هـ / ١١٧٤ م ، أتاحت لصلاح الدين الأيوبي فرصة تأسيس دولة تحمل اسمه وتصبح مصر هى قاعدته <sup>(٧)</sup> .

وفى بلاد الشام جلس الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود والبالغ من العمر إحدى عشرة سنة محل والده فى السلطنة ، مما أتاح الفرصة للطامعين من الأمراء أن

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٩ - ٣٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٨ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص ١٥٣ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٤) سقطت الخلافة الفاطمية فى أول جمعة من شهر المحرم عام ٥٦٧هـ / ١١٧١ م ، وكان العاضد آخر الخلفاء الفاطميين مريضاً فلم يعلم نبأ سقوط دولته ، وتوفى بعد ذلك بثلاثة أيام .

[ راجع : ابن الأثير : الكامل ج ١١ ص ١٥٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٠١ ] .

(٥) المقرئى : السلوك ، ج ١ ص ٤٤ ، حامد زيان : حلب فى العصر الزنكي ، ص ٧٥ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٦٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٢٣ .

(٧) حامد زيان : حلب فى العصر الزنكي ، ص ٧٥ .

يتلاعبوا بهذا الصبي ، وأتاح الفرصة أيضاً للصليبيين أن يسترجعوا ما فقدوه من أراضٍ<sup>(١)</sup> ، وقد استاء صلاح الدين كثيراً بعد سماعه بالقوضى والاضطرابات التي عمت مملكة نور الدين بعد وفاته ، كما غضب لما فعله الصليبيون بالبلدان الإسلامية وغاراتهم المتتالية عليها ، لذلك قرر التوجه إلى الشام ؛ لمعاقبة هؤلاء الأمراء الذين فزطوا في دولة نور الدين ؛ وليضع حداً لهجمات الصليبيين على الممتلكات الإسلامية ؛ ولإعادة توحيد الجبهة الإسلامية<sup>(٢)</sup> .

وما أن وصل صلاح الدين إلى الشام حتى فتحت دمشق أبوابها له ، وبعد صراع مع الأمراء الطامعين ، استطاع صلاح الدين إعادة توحيد الجبهة الإسلامية تحت رايته ليحمل عبء الجهاد ضد الصليبيين<sup>(٣)</sup> .

وكانت معركة حطين هي أولى معارك صلاح الدين الحاسمة ضد الصليبيين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧ م ، حيث استطاع من خلالها تصفية الوجود الصليبي بجنوب الشام واستعادة بيت المقدس من الصليبيين ، مما دفع الغرب الأوربي للدعوة إلى حملة صليبية جديدة ، هي التي عرفت في التاريخ باسم الحملة الصليبية الثالثة ، والتي تزعمها ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا هم : ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا ، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا ، والإمبراطور فريدريك بربروسا إمبراطور ألمانيا<sup>(٤)</sup> .

وإذا كان فريدريك بربروسا قد لقي حظه في بداية هذه الحملة<sup>(٥)</sup> ، فإن كلاً من فيليب أوغسطس وريتشارد قلب الأسد قد أخذوا يعملان من أجل استعادة بيت المقدس ، غير أن فيليب أوغسطس فضل العودة إلى فرنسا ، بينما ظل ريتشارد في بلاد الشام يتصارع مع صلاح الدين ، لكنه بعد أن أحس بعدم جدوى محاربة صلاح الدين فضل أن يعقد معه اتفاقية ، هي التي عرفت باسم صلح الرملة عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢ م ، ويعود أدراجه إلى أوروبا<sup>(٦)</sup> .

(١) حامد زيان : الصراع السياسي والعسكري ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٨٢ ، حامد زيان : الصراع السياسي والعسكري ، ص ٧٨ .

(٣) حامد زيان : الصراع السياسي والعسكري ، ص ٧٩ - ٨٣ .

(٤) حامد زيان : الإمبراطور فريدريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ص ١٠ - ١١ .

(٥) المرجع السابق : ص ٥٨ - ٥٩ .

(٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ص ٨٦٠ - ٨٦٥ .

وفي العام التالي (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) ، توفي صلاح الدين الأيوبي وهو ابن سبعة وخمسين عاماً لتتقسم مملكته الواسعة بين أبنائه وأخوته وأبناء عمومته <sup>(١)</sup> ، وبعد رحيل صلاح الدين الأيوبي بشان سنوات لحق به صاحبنا العماد الكاتب ( عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م ) ، بعد أن عاش فترة من أخصب فترات التاريخ من النشاط السياسي والعسكري والثقافي أيضاً .

ذلك أن العماد الكاتب عاصر فترة مزدهرة ثقافياً ، فالمعروف أن السلاجقة عملوا على تشجيع الحركة العلمية والأدبية في دولتهم بخرسان وسائر البلاد التي خضعت لحكمهم ، وتعتبر المدارس من أهم منشآت السلاجقة ، وتأتي على رأسها المدرسة النظامية ببغداد <sup>(٢)</sup> ، كذلك يعتبر العصر الزنكي من العصور التي ازدهرت فيها العلوم والثقافة ، وقد جاء هذا الازدهار مصاحباً للحروب الصليبية وهو ما يدعو للتعجب ؛ فكيف تستقيم الحرب وعدم الاستقرار مع النمو والازدهار العلمي الذي يتطلب الهدوء والاستقرار ؟ .

وتكمن الإجابة في أن كثيراً من الحكام اتخذوا من النشاط الأدبي والعلمي وسيلة لهم في الحرب والسياسة ، وأهم مثل على ذلك ما كان عليه العماد الكاتب مع نور الدين محمود ؛ فقد روى العماد أن السلطان نور الدين محمود طلب منه يوماً أن ينشده بعض الآيات في معنى الجهاد فأنشد :

أقسمت بيوى الجهاد مالى أُرَبُّ والزَّاحَةِ فى بيواه عندى تَعْبُ  
إلا بالجد لأ ينال الطَّلَبُ والعيش بلا جدّ جهادٍ لِعِبُ

ويطلب نور الدين محمود من العماد مرة أخرى أن يصف له معركة دارت بينه وبين الصليبيين ، ويطلب مرة ثالثة أن يكتب على لسانه رسالة يبعث بها إلى بغداد ، يتحدث فيها عن جهاده ضد الصليبيين وما أصابهم من هزيمة وخذلان ، كذلك يطلب نور الدين محمود من أسامة بن منقذ الفارس والشاعر المعروف أن يرد بالشعر على الملك طلائع بن رزيق وزير الخليفة الفاطمي بمصر في إحدى رسائله <sup>(٣)</sup> .

هكذا أصبح الأدب شعراً ونثراً أداة من أدوات الحرب والقتال ، وقد أدرك العماد الكاتب نفسه قوة قلمه وكثيراً ما مدح هذا القلم وقال عنه : إنه أقوى من السيف وأكثر أثراً

(١) عماد الدين الأصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القلمى ، ص ٦٢٩ - ٦٣٦ .

(٢) نسبة إلى الوزير نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي .

(٣) أحمد أحمد بدوى : الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية ، ص ٣٠ .

منه ، من ذلك الحوار الذي دار بينه وبين صلاح الدين إذ قال العماد الكاتب لصلاح الدين مازحاً : « ... وسلاح قلبي أخذ وأجذ وأفك وأقتل ، وما اجتمعت هذه العسائر الإسلامية إلا بقلبي ، ولا تفرقت جموع الكفر إلا بكلمها من جولمع كليلي »<sup>(١)</sup> .

كذلك من الأسباب التي أدت إلى اهتمام بنو زنكي بالعلم والأدب ، أن بنو زنكي حملوا على عاتقهم محاربة المذهب الشيعي ببلاد الشام ونشر المذهب السني ، وكان من المنتظر أن يقوم العلماء والأدباء بتلك المهمة ، وقد سار صلاح الدين الأيوبي على نفس هذه السياسة عندما أخذ في محاربة المذهب الشيعي بمصر<sup>(٢)</sup> .

أما عن المدارس فيعتبر العصر الزنكي هو عصر ازدهارها ببلاد الشام<sup>(٣)</sup> ، وبطبيعة الحال يرجع إلى السلاجقة بداية إنشائها ببغداد ، حيث أنشأ الوزير نظام الملك أول مدرسة ببغداد وهي المدرسة النظامية عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م<sup>(٤)</sup> ، بعد أن كان التعليم يتم في المساجد ، وهي المدرسة التي تعلم بها صاحبنا العماد الكاتب . ومنذ ذلك الحين توسع السلاجقة في إنشاء المدارس في أنحاء الدولة الإسلامية ، وقد سار عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود على نفس سياسة السلاجقة في إنشاء المدارس ورعايتها ، كما تبعهم في ذلك صلاح الدين الأيوبي .

ولم يقتصر الأمر على إنشاء المدارس ورعايتها ، وإنما اهتم بنو زنكي برعاية العلماء حيث كان نور الدين محمود يكرم العلماء ويعظمهم ، وكان يجمعهم عنده للبحث والنظر ويستقدمهم من شتى البلاد<sup>(٥)</sup> ، « وكان مع عظمتهم إذا دخل عليه أحد العلماء يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه إلى جانبه كأنه أقرب الناس إليه »<sup>(٦)</sup> ، وأجزل له العطاء ، وحينما أشار عليه أحد أصدقائه بقطع إدارات الفقهاء والقراء بدولته واستخدامها في إعداد

(١) العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القلبي ، ص ٦٥٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، النعمي : الدارس في تاريخ المدارس ، ج ١ ص ٦٠٧ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ٥ ، المقرئ : الذهب المسبوك ، ص ٦٧ ، محمد كرد علي : خطط ، ج ٤ ص ٣٨ .

(٤) المقرئ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٤ ص ١٩٣ .

(٥) النعمي : الدارس ، ج ١ ص ٦٠٨ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ص ٢٥٣ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

الجوش ؛ لمحاربة الصليبيين رفض هذا بشلة وقال : « إن هؤلاء هم [ الذين يدافعون عنا بسيوف لانتل ] »<sup>(١)</sup> .

وعلى هذا النحو كان عصر العماد الكاتب الأصفهاني عصرًا مليئًا بمختلف التيارات السياسية والثقافية ، مما أهله لأن يلعب دوراً كبيراً في هذا العصر في النواحي السياسية والثقافية .

وعلى الرغم من اشتغال العماد بأمور السيادة والعمل في ديوان الإنشاء ومصاحبة السلطان في حله وترحاله ، لكنه استطاع أن يؤلف عددًا من الكتب الهامة ، لعل أشهرها كتابه : « خريدة القصر وجريلة المعصر » ، وهو كتاب كبير جمع فيه تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس الذين عاشوا في القرن السادس الهجري إلى عام ٥٧٢ هـ . كذلك له كتاب « البرق الشامى » يؤرخ فيه لحياته ورحلته مع الحياة وأخباره مع السلطان نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين الأيوبي .

أما كتابه « الفتح القسّى فى الفتح القدسى » فهو هذه الذخيرة التى تقدمها اليوم ، وتتناول أحداث السنوات التى تبدأ من عام ٥٨٣ هـ ، وهى السنة التى شهدت معركة حطين واستعادة بيت المقدس ، إلى أن يصل إلى بداية عام ٥٨٩ هـ ، تاريخ وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وما حدث من تقسيم مملكته بين أولاده وأخوته وأبناء عمومته . أى إنه يؤرخ لحوالى سبع سنوات من أهم سنوات التاريخ بصفة عامة ؛ لأن أحداث هذه الفترة كان لها آثار كبيرة على كل من الشرق والغرب جميعاً . ذلك أن معركة حطين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، وما نتج عنها من استعادة صلاح الدين لبيت المقدس جعلت الغرب الأوروبى يحسب لصلاح الدين ألف حساب وجعلت اسمه يملأ الأرض شرقاً وغرباً .

ومن المفيد أن نذكر أن العماد الأصفهاني بدأ هذا الكتاب بعام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، على اعتبار أن هذا العام شهد معركة حطين واسترداد بيت المقدس واعتبره تاريخاً جديداً ، حيث سماها هجرة ثانية ، فيقول العماد : « وأنا أرخت بهجرة ثانية ، تشهد للهجرة الأولى ، بأن أمدّها بالقيامة مغنوق ، وبأن موعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير الممنوق ، وهذه الهجرة هى هجرة الإسلام إلى البيت المقدس ، وقائمها

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٣٣ .



السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب ، وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق ...<sup>(١)</sup> .

وأشار العماد الكاتب فى مقدمة كتابه إلى سبب تسميته بهذا الاسم فيقول : سميت (الفتح القدسي) تنبيها على جلالة قدره ، وتنويعا بدلالة فخره . وعرضته على القاضي الأجل الفاضل ، وهو الذى فى سوق فضله تعرض بضائع الفضائل ، فقال لى : سمه (الفتح القسّى فى الفتح القدسي) فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قسّ وبلاغته ، وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو القدرة فى البيان عن صياغته<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا النحو أخذ العماد برأى القاضي الفاضل وسماه بما أشار عليه به .

ولم ينس العماد أن يحيطنا علماً فى مقدمة كتابه بأنه توخى الدقة الكاملة فى تسجيل أحداث هذه الفترة ، وكيف سار على منهج الكتابة التاريخية الصحيحة التى يلتزم صاحبها بذكر الحقيقة المجردة المتأكد من صدقها ، بعد التأكد من صدق رواة أحداثها فيقول : « وما شهدت الا بما شاهدته وشهدته ، وما عنيت إلا بإيراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعدة إلا على أسس ماثبتة فينته ، وما توخيت إلا الصدق ، وما انتهيت إلا بالحق ، ولا ذكرت كلمة تسقط ولا اعتمدت إلا ما يرضى الله ولا يسخط<sup>(٣)</sup> .

وقد ساعد العماد الكاتب على أن يلم بدقائق الأمور كونه قريب الصلة من دوائر الحكم والسلطان ، لذلك جاء هذا السفر حاوياً قدراً كبيراً من المعلومات التى لا يعرفها غيره ، والتى رواها لنا العماد بعد أن تأكد من صدقها وصحتها كما سبق أن أشار إلى ذلك ، لذلك يعتبر كتاب الفتح القسّى وثيقة هامة لكاتب عاصر وشارك فى أحداث هذه الفترة .

تناول العماد فى هذا الكتاب الأحداث التى أدت إلى معركة حطين ، عندما تأزم الموقف بين صلاح الدين وبين القوى الصليبية خاصة ملك بيت المقدس ، ذلك الموقف الذى انتهى بإعلان الحرب ضد الصليبيين ، واستنقارهم كافة الدول الإسلامية للاشتراك فى الحرب المقبلة ضدهم ، وفى ذلك يقول العماد : « كتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الأقطار والبلاد يستدعى من جميع الجهات جموع الجهاد ، وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد ، واستحضر الغزو ، من الحضرة والبدو<sup>(٤)</sup> .

(١) العماد الأصفهانى : الفتح القسّى ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) العماد الأصفهانى : الفتح القسّى ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) العماد الأصفهانى : الفتح القسّى ، ص ٥٨ .

(٤) العماد الأصفهانى : الفتح القسّى ، ص ٥٨ .

ثم تحدث العماد بعد ذلك عن أحداث معركة حطين وهزيمة الصليبيين ، ووقوع ملك بيت المقدس وبقية أمراء الفرنج أسرى فى يد صلاح الدين ، وما تلا ذلك من أحداث من فتح بقية بلدان الشام التى استولى عليها الفرنج .

كذلك تناول العماد أهم نتائج معركة حطين ، خاصة قيام الغرب الأوروبى بتجهيز حملة جديدة من أجل ضرب صلاح الدين واستعادة بيت المقدس ، وهى المعروفة باسم « الحملة الصليبية الثالثة » ، وشرح العماد أحداث هذه الحملة بالتفصيل وما انتهى إليه أمرها ، من فشل وعقد هدنة بين صلاح الدين والصليبيين ، وهى المعروفة باسم صلح الرملة .

ثم ينتقل العماد إلى أهم أحداث عام ٥٨٩ هـ ، وما حدث فى بدايته من وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي ( صفر ٥٨٩ هـ ) ، وما حدث من تقسيم مملكته بين أولاده وأخوته وأبناء عمومته .

وينهى العماد كتابه بذكر مناقب السلطان صلاح الدين الأيوبي وأهم ما تميز به رحمه الله .

أما أسلوب العماد فى الكتابة فكان أسلوب عصره ، وهو ما كان يسمى باسم « مذهب التصنع » ، وهو الإتيان بالمحسنات من سجع وجناس وطباق وغير ذلك بصورة مفرطة <sup>(١)</sup> ، وإن كان هذا الأسلوب يؤدى إلى بعض الصعوبات أمام المستفيدين من هذا السفر .

وصفوة القول أننا أمام ذخيرة من أهم ذخائر تراثنا الإسلامى ، كاتبها علم فى صناعته ، قريب من دوائر الحكم والسلطان ، على دراية بخفايا الأمور ، تناول أحداث فترة محددة ( سبع سنوات ) شرح خلالها أدق التفاصيل التى من الصعب على غيره الإحاطة بها ؛ لذلك جاء مؤلفه ذا قيمة أدبية عالية وأهمية تاريخية لا مثيل لها .

أ.د. حامد زَيْيَان غانم  
أستاذ تاريخ العصور الوسطى  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

---

(١) أحمد أحمد بدوى : الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية ، ص ٣٦٤ - ٣٧٢ .

الفتح القسّي  
في  
الفتح القدسي

للعامد الكاتب الأصفهاني  
٥١٩ - ٥٩٧ هـ



## فهرس موضوعات الكتاب

\*\*\*\*\*

الموضوع	صفحة
المحاطط	١٥
مقدمة المحقق	١٧
رموز التسخ	٣٩
مقدمة المؤلف	٤١
دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسائة	٥٨
ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومس من الخلف	٦٧
ذكر دخول صلاح الدين بالسكر إلى ديار الفرنج	٦٩
ذكر فتح طبرية	٧٦
ذكر الصليب الأعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف	٨٤
ذكر فتح حصن طبرية	٨٥
ذكر ما اعتدته في الأسارى الداوية والامبتارية من ضرب رقابهم واعطاء بشر الوجوه باعطائهم	٨٦
ذكر فتح مكاء	٨٨
ذكر فتح عدة من البلاد	٩٢
فتح الناصرة وصفورية	٩٣
فتح قيسارية	٩٤
فتح نابلس	٩٥
فتح الفولة وغيرها	٩٧
فتح تبتين	٩٩
فتح صيدا	١٠٢
فتح بيروت	١٠٤
فتح جبيل	١٠٨
ذكر هلاك القومس ودخول المركيس إلى صوز	١٠٩
ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمائل إلى يأتي ذكرها	١١٢

المصنف	الموضوع
١١٦ ... ..	فتح بيت الله المقدس ... ..
١١٨ ... ..	ذكر كنيسة قماعة ... ..
١٢٢ ... ..	وصف البيت المقدس ... ..
١٣٠ ... ..	ذكر يوم الفتح وهو صايع عشرين ورجب ... ..
١٣٢ ... ..	ذكر حال في المود إلى الخليفة ... ..
١٣٥ ... ..	ذكر ما جرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس ... ..
١٣٧ ... ..	ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات وعاه من السيئات ... ..
١٤١ ... ..	وصف الصخرة المظلمة عمرها الله ... ..
١٤٥ ... ..	ذكر محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد الكرام وتطيل الكتائب وإنشاء المدارس وما كتبه إلى الديوان العزيز بمداقه البشارة بفتح القدس مع الرسول غياث الدين الشهرزوري
١٤٧ ... ..	من رسالة ... ..
١٥٠ ... ..	عاد الحديث إلى ما جرى بعد فتح القدس ... ..
١٥٣ ... ..	ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور ... ..
١٦٠ ... ..	ذكر ما تم على الأسطول ... ..
١٦٤ ... ..	ذكر خروج الفرنج لقتال ... ..
١٦٨ ... ..	ذكر ما دبره من الرأي وما وأوه من التدبير ... ..
١٧٠ ... ..	ذكر فتح حصن هوتين ... ..
١٧٧ ... ..	ذكر الحادثة التي تمت على محمد أغني جاولي حتى استشهد هو وأصحابه ... ..
١٨٠ ... ..	ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عودته من صور ... ..
١٨١ ... ..	ذكر رسل ودواوا في هذا التاريخ ... ..
...	ذكر وصول أغني تاج الدين أبي بكر حامد من دار الخلافة لمراسلة في قسطنطينية على إحداث ثقلب
١٨٣ ... ..	بلغ وذكر السبب في ذلك ... ..
١٨٨ ... ..	وفى هذه السنة استشهد الأمير شمس الدين بن المقدم بالموقف في عرفة ... ..
١٩٠ ... ..	نسخة كتاب جامع لفتح القدس الأيمن أنشأها إلى سيف الإسلام أغني السلطان بايكن ودخلت
٢٠٣ ... ..	ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسائة ... ..
٢٠٥ ... ..	ذكر حال الترك من أول الفتح ... ..
٢٠٨ ... ..	ذكر ما دبره في عمارة عكا ... ..
٢٠٩ ... ..	ذكر وصول بهاء الدين قراقرش لتولي عمارة عكا ... ..
٢١١ ... ..	ذكر وصول رسول سلطان الروم قنيج أرسلان وغيره من الرسل ... ..

٢١٢	ووصل في تلك المدة أيضاً المصالح قتلغ ايه
٢١٤	ذكر رحيل السلطان صوب دمشق
٢١٦	ووصل الخبر بوصول عسكر الشرق
٢١٩	ذكر وصول عماد الدين صاحب منجار والاجتماع به
٢٣٣	ذكر فتح جبلة
٢٣٥	ذكر فتح اللاذقية
٢٤١	ذكر فتح صهيون
٢٤٤	ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل
٢٤٥	ذكر فتح حصن يكسا والشفرة
٢٤٨	ذكر فتح حصن يريزه
٢٥٢	وفيها كتبت
٢٥٥	ذكر فتح حصن دريساك
٢٥٧	ذكر فتح حصن يفراس
٢٦٠	ذكر فقد الهدنة مع انطاكية
	ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودودين زنكي وعساكر البلاد وعود السلطان إلى دمشق
٢٦٢	ينجح المصاد
٢٦٦	ذكر فتح الكرك وحصونه
٢٦٦	وكتبت عن السلطان في بعض البشائر
٢٦٨	ذكر محاصرة صفد وفتحها وادراك السبي فيه ونجحه
٢٧٠	ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير
٢٧٢	ذكر حصار كوكب وفتحها
٢٧٦	ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة
	ذكر وصول رسول دار الخلافة والحلبة لولي العهد عدة الدين أبي نصر محمد بن الإمام الناصر
٢٧٨	لدين الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين
٢٨١	فصل لما كتبه في المنى عن السلطان إلى الديوان العزيز مع الرسول
٢٨٥	ذكر خروج السلطان من دمشق لأجل شقيف أرنون وما جرى له مع صاحبه
٢٨٩	ذكر ما تجدد السلطان مدة المقام بمرج عيون من الأحوال
٢٩٣	ذكر ما تم من استشهاده عدة من أمراء العرب
٢٩٦	ذكر مبعير الفرنج إلى عكا والازول عليها ورحيل السلطان قبائلهم إليها

ذكر وقعة تحت يوم الأربعاء سادس شعبان ... ..	٣٠٤
ذكر وفاة حاتم الدين طمان ... ..	٣٠٥
ذكر وقعة للمرب أريت لنا بالأرب ... ..	٣٠٦
ومن نوادر ما جرى ... ..	٣٠٦
ومن الالتفاتات النادرة ... ..	٣٠٧
ذكر الواقعة الكبرى ... ..	٣٠٨
ذكر حصة النصرة بعد صحة الكسرة وكيف أدال الله الاسلام وأزال الكفر بتلك الكرة ... ..	٣١١
ذكر مكاتبة أنشأتها إلى بعض الأطراف بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الألطاف ... ..	٣١٣
ذكر ما عرض للمكر بعد ذلك من المذل فصد عن قصد المباكرة لمناجزة أهل الكفر ... ..	٣١٨
ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث وتجدد لهم من البواش ... ..	٣٢١
ذكر رأى راتب عن النظر في الغلب غالب اسفر عن داء دالب وابان عن غرارة بفرائب ... ..	٣٢٢
ذكر الرحيل إلى الحروب عند خيم الأتقال المضروبة ... ..	٣٢٤
ذكر مجلس عقد ورأى عليه احمد وصواب اتفق وقد فقد ... ..	٣٢٧
ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل واستدراك ما حارب من الخلل ... ..	٣٢٨
ذكر وصول ملك الألمان ... ..	٣٣٠
ذكر رسالة دار الخلافة ... ..	٣٣٢
ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أنشى السلطان والاستظهار بجموعه والاجتماع بظهوره	
لنصرة الإيمان ... ..	٣٣٥
ذكر فصل الديوان إلى العزيز اشتمل على مجارى الأحوال ... ..	٣٣٧
ذكر وصول الأسطول للمبحر من مصر ... ..	٣٤٠
ذكر فصول أنشأتها فيها محبا فصل ... ..	٣٤٢
فصل من كتاب ... ..	٣٤٣
فصل من مكاتبة أخرى ... ..	٣٤٤
ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد وتقل الرجال والنخائر والعدد ... ..	٣٤٥
ذكر حال نساء القبرليج ... ..	٣٤٧
ذكر ما أهده عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن أقتغر صاحب الموصل من النقط	
الأبيض والرماح والتراس ... ..	٣٥٠
وكتبنا في شكره ... ..	٣٥٠
ذكر عناد الدين صاحب منجبار وما عزم عليه من تجهيز ولده ... ..	٣٥٢



الموضوع	الصفحة
فكتب إليه السلطان من مكاتبة ... ..	٣٥٢
وفي آخر هذه السنة كتب السلطان الرسل إلى الإقطاع والأمصار ... ..	٣٥٢
ذكر وصول سلطان المجمع ... ..	٣٥٤
وتوفى النقيب ضياء الدين عيسى المكارى ... ..	٣٥٥
وفاة شرف الدين عبد الله بن محمد ابن أبي عمرو ... ..	٣٥٥
وفاة الأمير عز الدين موسك ... ..	٣٥٥
ودخلت سنة ست وثمانين ... ..	٣٥٦
ذكر ورقة الرملة ... ..	٣٥٧
ومن نوادر هذه الورقة ... ..	٣٥٨
ذكر فتح شقيف أرتون ... ..	٣٥٩
ذكر حال عكا ودخول المومنين إليها ووصول الكتب على أجنحة الطير منها ... ..	٣٦٠
ذكر ما دبره السلطان عند انحصار الشتاء وانكسار بالانتهاء ... ..	٣٦٢
ذكر وصول رسول دار الخلافة مع ضياء الدين الشهرزورى في جواب رسالته ... ..	٣٦٥
ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالأبراج والإجواز بها والأزعاج ... ..	٣٦٧
واتفق في هذا اليوم وصول عماد الدين صاحب دارا ... ..	٣٦٧
ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين عوام يغبر بقوة للمركين المحاصرين ... ..	٣٦٨
وقدم في هذا اليوم مظفر الدين بن عل كوجك ... ..	٣٦٩
ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحترقها وتلف كل ما كان ومن كان في طبقتها ... ..	٣٧٠
ذكر فصول انشائها من كتب البشائر بالنار ... ..	٣٧٣
فصل ... ..	٣٧٤
فصل ... ..	٣٧٥
فصل إلى الديوان العزيز ... ..	٣٧٦
فصل من كتاب إلى اليمن في وصف الأبراج واحترقها ... ..	٣٧٧
فصل ... ..	٣٧٩
ذكر تاريخ وصول الأكابر في هذه السنة وأولهم عماد الدين زنكى ... ..	٣٨٠
ثم وصل بعده ابن أخيه معز الدين مستجير شاه صاحب الجزيرة ... ..	٣٨١
ثم وصل الملك السعيد علاء الدين غرهم شاه ابن صاحب الموصل ... ..	٣٨١
فصل من كتاب إلى صاحب الموصل في شكره على تسيير ولده ... ..	٣٨٣
ثم وصل زين الدين يوسف بن زين الدين عل كوجك صاحب اربل ... ..	٣٨٣

الموضوع	الصفحة
ذكر وصول الأسطول من مصر ... ..	٣٨٥
ووصفت هذه الحالة في مكتبة كتيبتها لتعرف منها الصورة وتكشف القضية المستورة ...	٣٨٦
فصل آخر ... ..	٣٨٧
فصل ... ..	٣٨٨
ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله ... ..	٣٨٩
عاد الحديث إلى ملك الألمان ... ..	٣٩٥
وكتبت إلى الديوان فصلا يخبر ملك الألمان عند أرباب الأرجاف به ... ..	٣٩٧
فصل فيه في جواب أمير ... ..	٣٩٩
فصل من كتاب الاستقار ... ..	٤٠٠
فصل من كتاب ... ..	٤٠١
فصل فيه ... ..	٤٠٢
ذكر اللوثة المادلية ... ..	٤٠٣
فصل في ذكر حلم ... ..	٤٠٨
فصل فيه ... ..	٤٠٩
فصل ... ..	٤١٠
فصل ... ..	٤١١
وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة وود في عصره نجاب من حلب ...	٤١٢
ذكر ما تجدد للفرنج من الانتصا بوصول الكند هري بالمال والرياش وما اعتد السلطان	
من الاحتياط اشفاقا من التطريط والانفراط ... ..	٤١٣
ذكر حريق المنجنيقات ... ..	٤١٥
ذكر وصول بطلة بيروت ... ..	٤١٧
ذكر وصول بطس الفلة من مصر إلى عكا ... ..	٤١٩
فصل من كتاب إلى سيف الإسلام بهذا المعنى ... ..	٤٢١
ذكر عيسى الموام وما تم عليه في العشر الآخر من رجب ... ..	٤٢٣
ذكر وصول ولد ملك الألمان الذي قام مقام أبيه إلى الفرنج بمكة ... ..	٤٢٤
ذكر برج التبان ... ..	٤٢٧
فصل مشيع في المعنى من حصار برج التبان مرة بعد أخرى من كتاب إلى سيف الإسلام بآمين ...	٤٢٩
فصل في المعنى ... ..	٤٣١
ذكر الكيش وحريقه بعد تمب العلو في إحكامه وتسوية طريقه ... ..	٤٣٢
وفي هذا اليوم وهو يوم الاثنين قتل صاكر الشمال يتقدمهم الملك الظاهر صاحب حلب	

٤٣٤	وقدم الملك الأجدد عبد الدين جهرام شاه
٤٣٤	واتفق في يوم الاثنين هذا من العود على البلد أنزحف الشديد
٤٣٦	ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت
٤٣٦	وفي هذا التاريخ ألقى الريح إلى ساحل الأريب بطستين
٤٣٧	وفي عشية الاثنين تاسع عشر رحلنا إلى منزل يعرف بشفرعم
٤٣٨	ذكر وفاة سيف الدين صاحب أربل
٤٣٩	وخلت الأسوار عند الفرنج
٤٤١	ذكر نوبة رأس الماء وغزوهم يعزم القاء
٤٤٣	وسار الفرنج شرق البحر
٤٤٦	فصل من كتاب في المعنى
٤٤٨	ذكر وقعة الكمين
٤٥١	فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاحتلال
	ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد وعود من سار من المسافر إلى البلاد على
٤٥٣	رسم الاستراحة والاستعداد
٤٥٥	فصل من كتاب إلى صاحب الموصل عند عود ولده إليه وينتد الملك السعيد علاء الدين
٤٥٦	ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة
٤٥٨	وبتاريخ يوم الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر بالقلعة بطس سبع
٤٥٩	وفي ليلة السبت حاصى ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكاه
٤٥٩	وفي ثاني عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الألمان بمرض الجوف
٤٦٠	وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذي الحجة عاد المستأمنون من الفرنج
٤٦١	وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الفرنج بركو سان
٤٦١	وفي الخامس والعشرين منه أخذ أيضاً بركوس
٤٦٢	وفي هذا الشهر كان قدوم القاضى الأجل الفاضل
٤٦٣	ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة
٤٦٣	وخرج أسطولنا في هذه السنة ليكبس شوانى الفرنج
٤٦٤	واستشهد أيضاً في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدى
٤٦٤	واستشهد في تاسع جمادى الأولى القاضى المرتضى ابن قريش الكاتب
٤٦٥	ودخلت سنة سبع وثمانين
٤٦٧	ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر لفترام من الجوامع

٤٦٨	وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك المجاهد أمد الدين شيركوه
٤٦٩	وفي أول ليلة من شهر ربيع الأول خرج أصحابنا من البلد إلى العدو
٤٦٩	وفي الأحد ثالث هذا الشهر شهر سلاح الحرب أهل الكفر
٤٧٠	ووصل إليه (السلطان) من بيروت خمسة وأربعين أسيراً من الفرنج
٤٧٢	ذكر جماعة وصلوا من عسكر الإسلام وأولهم علم الدين سليمان بن جندر
٤٧٢	وقدم في ذلك التاريخ بقومه الملك الأبعد مجد الدين جرامشاه
٤٧٣	وقدم بدر الدين مودود إلى دمشق بعد ذلك
٤٧٤	ذكر وصول ملك أفرنسيس لنجدة الفرنج إلى عكا واسمه فيليب
٤٧٥	نادرة
٤٧٦	خبر فائدة في غنيمة وأثرة
٤٧٦	وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية
٤٧٧	خبر وصول ملك الانكثير واسمه ليجرت إلى قبرس واستيلائه عليها
٤٧٨	وبتاريخ انسلخ شهر ربيع الآخر وصلت من ثغر بيروت كتب مبشرة بالنجح
٤٧٨	وفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى زحف العدو إلى البلد
٤٨٠	قصة الرضيع
٤٨٢	ذكر انتقال السلطان إلى قل العياضية
٤٨٤	ذكر وصول ملك الانكثير
٤٨٦	ذكر غرق البطنة
٤٨٧	ذكر حريق الديابة
٤٨٨	ذكر وقعات في هذا الشهر
٤٩٠	وقعة أخرى
٤٩١	وقعة أخرى
٤٩٣	وقعة أخرى
٤٩٤	ذكر المراكيس ومفارقة القوم ووصف السبب في ذلك
٤٩٥	ذكر من وصل في هذا التاريخ من الساكر الإسلامية وأولهم عسكر سبجار
٤٩٥	وفي يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة
٤٩٥	وفي عصر هذا اليوم وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل
٤٩٦	وفي يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة وردت من مصر كتبية ثانية
٤٩٧	ذكر ضعف البلد

فصل من كتاب إلى صاحب الموصل في شكر بلده ووصف الحال في ضعف البلد	٢٩٨
فصل في وصف عسكر عماد الدين	١٩٩
فصل في الاستنفار	٥٠٠
ذكر خروج وسل الفرنج	٥٠١
ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر	٥٠٣
وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة	٥٠٤
ذكر خروج سيف الدين على المشغوب إلى ملك الافرنجيس	٥٠٥
ذكر هرب جماعة من الأمراء والأجناد من البلد	٥٠٦
فصل من كتاب إلى مظفر الدين صاحب اربل في المني ووصف الحال	٥٠٧
ذكر ما جرى من الحال	٥٠٨
ذكر جماعة من العسكرية وصلوا	٥١١
ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة على البلد	٥١٢
ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها	٥١٣
وأنشأت في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة وسيرت بها كتابا	٥١٤
فصل من كتاب إلى قطب الدين بن نور الدين بن قري أرسلان	٥٢٠
ومن رسالة أخرى في استدعاء مظفر الدين من أربل تشتمل على حادثة عكا ووصف الحال الجارية فيها	٥٢١
ذكر لطف من الله في حق شفي	٥٢٥
ذكر ما جرت عليه بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع	٥٢٦
وفي يوم الجمعة ثامن من رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة المقررة	٥٢٦
ذكر غدر ملك الانكثير وقتل المسلمين المأخوذين بمكا	٥٢٨
وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها	٥٢٨
ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا بلفاتهم	٥٣١
فصل من كتاب إلى مظفر الدين بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا إلى هذه الغاية لاستدعائه	٥٣٥
وقفة قيسارية	٥٣٧
مقتل اياز الطويل	٥٣٩
وقفة لمر الدين بن المقدم	٥٤١
ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكثير	٥٤٢
وقفة أوسوف	٥٤٣
فصل من كتاب السلطان إلى النيروان العزيز يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من عكا	٥٤٦

- ذكر ما احتدم السلطان بعد دخول القلج إلى يافا ... .. ٥٤٩
- ذكر خراب عسقلان ... .. ٥٥٠
- وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان وصل صاحب ملطية ... .. ٥٥٢
- وفي هذا التاريخ وهو الاثنين خرج ملك الانكثير في خياله متكررا ... .. ٥٥٢
- وجرت أيضاً يوم الجمعة ثاني عشر الشهر حرب بين البركية وأهل الكفر ... .. ٥٥٢
- فصل من كتاب إلى البيوان المزيز وصف مطلولة الحروب والجراح وقناء الخيل والمدد والسلاح ... ٥٥٣
- ذكر ما تجدد لملك الانكثير من المراسلة والرغبة في المواصله ... .. ٥٥٥
- وفي يوم السبت وهو الثلاثاء أمد السلطان من الليل غلب الأكابر ... .. ٥٥٧
- ذكر نزول السلطان جريد بالرمة ليقرب من العدو ومواقفه له في كل يوم ... .. ٥٥٨
- ذكر وقعة الكمين ... .. ٥٥٩
- ذكر اجتماع النادل بملك الانكثير ... .. ٥٦٠
- وفي يوم الأحد سابع عشر شوال عاد السلطان إلى الخيم بالطنرون ... .. ٥٦٠
- وفي يوم الخميس سبيل في القعدة سار ابن قليج أرسلان ... .. ٥٦٠
- ورحل الفرنج يوم السبت ثالث في القعدة ... .. ٥٦١
- ذكر الرحيل إلى القدس ... .. ٥٦٢
- وفي يوم الأحد ثالث في الحجة وصل حسام الدين أبو المهيمن من مصر ... .. ٥٦٢
- يوم عيد الأضحي بالقدس ... .. ٥٦٣
- وقصة ... .. ٥٦٤
- ذكر ما احتدم السلطان في عمارة القدس وحفر خندقه وتجديد سورته وإعادة رونقه ... .. ٥٦٥
- ذكر من توفي من الأكابر والمروفين في هذه السنة ... .. ٥٦٦
- وفاته تقي الدين ... .. ٥٦٦
- وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر لاجين ابن أخت السلطان ... .. ٥٧١
- وتوفي في هذه السنة علم الدين سليمان ابن جنتو ... .. ٥٧١
- وفي هذه السنة فلك ياتابك حنظلة الدين قر أرسلان بن ايلدكر في همدان ... .. ٥٧٢
- وتوفي في هذه السنة بدمشق من المروفين من أصحاب السلطان صفى الدين أبو الفتح ابن القباض ... ٥٧٦
- وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول توفي الحكيم الموفق بن طرمان ... .. ٥٧٦
- وفي آخر هذه السنة توفي للفرقة نجم الدين الميوشاني بمصر ... .. ٥٧٧
- فصل كتب إلى بعض الأكابر في الدعوى إلى القدس ... .. ٥٧٨
- فصل في شكر صاحب الموصل على إنقاذ المصنمين بحفر الخندق ... .. ٥٧٩

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حكام الدين سيادوخ النجى بولاية

- القدس ..... ٥٧٩
- ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ..... ٥٨١
- ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة ..... ٥٨٣
- وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على عاقته في نقل الحجارة ..... ٥٨٣
- ذكر ثلاث سرايا سرت وبرت وبرت ..... ٥٨٥
- وفي يوم الثلاثاء ثامن صفر أغارت المرية وفيها جرديك على ظاهر عسكران ..... ٥٨٥
- سرية فارس الدين ميمون القصري ..... ٥٨٦
- ذكر خروج سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب من الأسر ..... ٥٨٧
- نكتة ..... ٥٨٨
- هلاك المركيس بصور ..... ٥٨٩
- ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم ..... ٥٩١
- ذكر كسبة الفرنج عسكر مصر الواصل ..... ٥٩٣
- ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وما جرى لها من الأول ..... ٥٩٥
- ذكر رحيل ملك الانكثير صوب عكا مظهرا أنه على قصد ثغر بيروت ..... ٥٩٧
- ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وتسميها ..... ٥٩٨
- فصل في وصف الحال من الكتاب إلى الديوان العزيز ..... ٦٠١
- ذكر الهدنة العامة ..... ٦٠٣
- فصل من كتاب إلى الديوان العزيز في شرح نوية يافا ثم انقضاء الأمر إلى عقد الهدنة ..... ٦٠٦
- ذكر ما جرى بعد الصلح ..... ٦١٠
- ذكر ما عزم عليه السلطان ..... ٦١١
- ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون ..... ٦١٣
- ذكر وصول السلطان إلى بيروت ودخول يمينه الأيرنس صاحب انطاكية عليه والاستجارة
- به وذكر أسامة ..... ٦١٦
- ذكر وصول الأيرنس يمينه ودخوله على السلطان ..... ٦١٨
- ذكر وصول السلطان إلى دمشق ..... ٦١٩
- وفي هذا الشهر (شوال) غلب على الدين قراقرش من الأسر وخرجت السنة ..... ٦٢٠
- ومن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم قليج أرسلان ..... ٦٢٣
- ومن توفي في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن القرائش ..... ٦٢٣

٦٢٣	ودخلت ستة تسع ومائتين وخمسمائة
٦٢٧	ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق
٦٢٩	ذكر الملوك من أولاد السلطان وقبويه بدمه
٦٣٠	ذكر من تولى ممالكه بدمه من أهله
٦٣٢	ذكر دمشق وما جرى معها ومن تولاها
٦٣٤	ذكر حلب وما جرى معها
٦٣٦	ذكر الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أخى السلطان وما جرى له بعد وفاة أخيه
٦٣٧	ذكر أهل الثغرات وما قدر الله لهم من الشجاعات
٦٣٧	وأول بادى بالخروج تتولى ماردتين
٦٣٩	ثم تحرك عز الدين أتابك مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل
٦٤٠	فصل فى المعنى أنشأته إلى الديوان العزيز فى آخر رجب عن الملك الأفضل
٦٤٤	ذكر سيف الإسلام باليمن
٦٤٥	وهذا كتاب يشتمل على سيرته ( السلطان )
	ذكر ما اقترعه الأفضل من خدمة دار الخلافة المحظية وافتاد رسوله بدمه والله مع هدانا
٦٥٠	وتحفظ سنايا
٦٥١	فصل من الكتاب إلى الديوان العزيز
٦٥٦	ذكر مناقب السلطان رحمه الله
٦٦٧	فهرس الأعلام
٦٧٩	فهرس البلدان





[illegible]

الكركي •

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

\*\*\*\*\*

### مقدمة التحقيق

لله تعالى الحمد والمنة، وبه العون والقوة ، ومنه الفضل والنعمة . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير قلدوة للناس فى الخلق والعمل ، وللانسانية إلى يوم الدين أسمى مثل ، وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وبعد ...

فى كل جيل من الأجيال ، أو عصر من العصور ، تبرز شخصيات فى الوجود يجعلها الله - سبحانه وتعالى - التاريخ الحى لزمانها ، والزواج الدافع للحياة فيه ، تنفخ فيه من روحها ، وتصنع أحداثه ، وتسيطر بأعمالها المجيدة صفحاته .

### صلاح الدين فى التاريخ :

ولقد كان ما تجرى به الأقلام على الصفحات ، وما تحفل به المؤلفات فى تراجم الأشخاص ، أبطالا كانوا أو علماء أو مفكرين ، محببا إلى نفوس القارئ - يقبلون عليه ويؤثرونه على ما سواه . ولهذا الحب وذلك الأقبال « أسباب نفسية وفنية ، إذ هى مرايا تراءى فيها صور أشخاص صانعى التاريخ ومحركى الحياة » (١) ، وأمثلة عليا تتطلع إليها أنظار المبدعين من الأجيال التالية لهم ، ومشاعل يهتدى بها فى ظلمات الحياة حينما تنفرق السبل بالسائر فى طريقها .

ومن السير التى أثارَت اهتمام الناس فى حياة صاحبها ، وستظل هكذا عبر القرون والأجيال « سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب » ذلك البطل السرى المجاهد ، الذى يستوقف النظر فى تاريخ الحروب الصليبية .

---

(١) مالك تجارب حياة للاستاذ أمين الخولى .

وحينما أذكر الحروب الصليبية ، لا أريد أن أتناولها بالوصف التفصيلي وذكر الأسباب التي دفعت إليها و.. الخ ، فقد كثر الحديث فيها وتناولها بذلك كثير من الكتاب من قبل ، وإنما أريد أن أبين الدور الذي لعبته القيادة الحكيمة المخلصة ، والتكتل الشعبي الذي التف حولها ، تدفعه وتسانده بقظة واعية . أثمرت تلك الانتصارات الساحقة التي أحرزها أبطال ثلاثة حملوا لواء الفكرتين وعملوا لهما مخلصين لله تعالى معتمدين به ، تحوطهم قلوب الشعب المؤمنة ، وتعمل معهم لبلوغ هدف مشترك ، ألا وهو طرد العدو المستعمر ، واستعادة الأجزاء السليبة من الوطن العربي .

ضعف في الشرق يؤدي إلى كارثة :

يحدثنا التاريخ بأن الشرق الاسلامي شقى منذ القرن الثالث الهجري بالفرقة والافتقار والتطاحن بين أمراءه وحكامه ، ثم عمته بقظة عامة على يد السلاجقة بلغت أوجها على يد « ملكشاه » ثم آذن موته ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م بعودة الفرقة والشحناء ثانية إليه ، وزاد الطين بلة ذلك الصراع الذي كان بين خلافتين ضعيفتين متهاويتين ، سنية في بغداد وشيعية في مصر .

فالأمراء والخلفاء يتناحرون ويتطاحنون ، والشعوب في العراق والشام ومصر تكوى بنار هذه الفرقة وذلك الصراع .

أدت هذه الحالة إلى استقرار الغزاة الصليبيين في إماراتهم الأولى التي أقاموا صروحها في « الرها » و « أنطاكية » و « بيت المقدس » و « طرابلس » بعد أن ارتكبوا من الحماقات الحرية ، وسفك الدماء بلا حساب ، وقتل الأبرياء والضعفاء ، وألوان التخريب والتدمير والقتل ، في أنطاكية ومعة النعمان وبيت المقدس ، ما تقشعر من هوله الأبدان ، وما يظل صبة في تاريخهم في كل آن وزمان .

خير تولد من شر :

وإذا جاز أن نقول : ان من الشر خيرا . فقد كانت هذه القضاة التي ارتكبت ، وهذه الشذائد التي صلبها المستعمر على بلاد الشرق الاسلامي وشعوبه - إيقاظا له ولما من رقدته التي طال أمدها ، وصحوة له من سباته

العميق ، ومساعدنا كبيرا على نبذ عوامل القرقة والانقسام والتشتت ، وعونا على ظهور فكرتي القيادة الموحدة والتكتل الشعبي المتمسك باليقظة والوعى لبلوغ هدف مشترك واحد .

برزت الفكرتان في أول الأمر في صورة « غزوات جهادية ضد الكفار » يقوم بها الخليفة العباسي تارة ، والسلطان السلجوقي أخرى ، أو بعض من الأمراء في العالم الإسلامي — لا في صورة حرب منظمة موجّهة تحت قيادة واحدة لوحدة اسلامية شعبية متماسكة . ولم تكن هذه الغزوات إلا جهوداً ضائعة — أمام عدو متشبث قوى عنيد — يزول أثرها بزوال وقتها .

دعت هذه الحالة الرأي العام إلى التفكير في الأمر ، فلا بد لبلوغ النصر على العدو وتدميره وطرده ، من قيادة واحدة لوحدة شعبية دافعة .

فكرنا القيادة الموحدة والوحدة الشعبية نخرجان إلى الحيز العملي :

وشاء الحق جل وعلا أن يمن على الذين استضعفوا في الشرق وبلادهم ويحملهم أئمة ويلهمهم من بعد خوفهم أمناً ، ومن بعد ظلم وفقرتهم عزاء وقوة ، فحمل لواء الأمر رجال ثلاثة ، اتسموا بصلافة الود ، وصعوبة المراس ، في صراع العدو ومنازلته .

كان أول من فطن إلى الأمر وهب يعمل نه في عزم وثبات ، أمير الموصل « عماد الدين زنكي » ، إذ سرعان ما أصبح الشخصية المرموقة التي انف حولها الشعب بعد أن كون له ملكاً واسماً بين الجزيرة العراقية والشام فقد أخضع « حلب » و « حماة » و « حمص » و « بعلبك » وأقام في سورية الداخلية دولة قوية البنيان يحميها جيش قوى وتصرف أمورها إدارة منظمة يسيرها رجال أكفاء ، ثم اندفع إلى معقل الصليبيين الأول في « الرها » و « سروج » ، فزلزل أركانه ، وأسقطه سنة ٥٣٩ هـ = ١١٤٤ م ، وظل يوجه ضرباته السديدة القاصمة إليهم حتى فارق الدنيا ٥٤١ هـ = ١١٤٦ م بمهدا لابنه وخلفه الطريق ليضرب الضربة الثانية ضد العدو الجاثم على صدر البلاد .

آمن « نور الدين محمود » الملقب بالشهيد — ذلك المجاهد التي المخلص —

بأن رضا الله تعالى لا يتم إلا بالجهاد في سبيله - ضد علو البلاد وتحقيق السياسة التي بدأها أبوه من قبل ، فاشترى الآخرة بالحياة الدنيا ، لا يهجم مطامع شخصية ، ولا مكاسب مادية ، وآثر الوحدة والتكامل - ضد العلو المشترك - على القرقة والتنازع ، وضرب لذلك مثلاً بتسامحه - مع القدرة - في استرداد « بعلبك » من أمير دمشق ذلك الذي كان قد اقتنصها عقب وفاة « عماد الدين زنكي » .

وافتح عهده بضرية سليمة وجهها إلى الصليبيين استرد بها الرها وكانوا قد استعادوها عقب وفاة زنكي ، ثم قصم ظهري أمبراطور ألمانيا وملك فرنسا أمام أسوار دمشق فعادا وجنودهما إلى بلادهم خائينين مدحورين . وفتحت « دمشق » أبوابها له مرحلة سنة ٥٤٩ هـ فنقل عاصمة ملكه إليها ، وازداد بهذا الفتح المين تدعم الجبهة الداخلية ، كما ازداد التكامل الشعبي تحت رايته ، وسارت جيوشه تحرسها عناية الله سبحانه تلك صروح الصليبية الغاشمة وجنودها في الشام ، وسرت روح اليقظة والتكامل والوحدة القيادية في ربوع العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه .

ثم تابعت الأحداث في مصر ، وشاء الله سبحانه أن تتضافر الظروف المختلفة على شد أزره وتقوية مركزه ، وتوحيد الجبهة الاسلامية كلها تحت قيادته الحكيمة ، وتحقيق حلم طالما سعى الشرق إلى تحقيقه - ذلك هو سقوط مصر في قبضة جيوشه التي قادها أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين سنة ٥٦٤ هـ ، وزوال الفتن الداخلية التي عمتها ، والتي كادت أن تمكن الأسد الصليبي من أن ينشب أظفاره فيها ، ثم سقوط الخلافة الشيعية واحلال الخلافة السنية مكانها سنة ٥٦٧ هـ .

ظل نور الدين - والشعب حوله - مخلصا للهدف الذي كرس حياته له حتى انتقل إلى الدار الآخرة سنة ٥٦٩ هـ ، بعد أن أثبت في مدة ربع القرن التي حكمها بأنه بطل خلم القضية الاسلامية العربية والوحدة الشعبية ، وسيامي مخلص قدير ، حقق ما رسمه وأعد له أبوه من قبل ، واستطاع أن يسير في سبيل وحدة الصف وقيادة الشعب خطوات واسعة موفقة ، ويستفيد من الوحي واليقظة الشعبية التي مرت في بقاء العالم الإسلامي العربي ، وأن

يرمى القواعد التي بلغ بها خلفه في القيادة ذروة النصر في حطين من بعد ، هذا إلى ما امتاز به من نشر عدل ، وقوامة خلق ، وسلامة دين ، وتشجيع للعلم والعلماء .

صلاح الدين يصل بالهدفين إلى الذروة :

كانت وفاة نور الدين خطراً هدد الوحدة القيادية ، وهز كيان التكتل الشعبي ، إذ آل الملك إلى ابنه الطفل ، فتنازعت أهواء القادة من حولهم مطامعهم وأوشك ذلك البنيان الشامخ الذي شاده الشعب بدمائه، ودعمته حكمة وقوة القائدين — عماد الدين ونور الدين — على الانهيار، لولا أن قيض الله تعالى له برحمته من ساربه إلى نهاية الشوط ، وارتفع به إلى الذروة التي تطلع إليها الشعب المخلص الأمين في دفعه ، ذلك هو البطل « صلاح الدين الأيوبي » .

امتاز صلاح الدين بصفات شخصية واجتماعية وحرية ودينية ، جمعت حوله قلوب الرعية وجذبت لحبه نفوسهم ، فاتفقوا له ، وتكفلوا حول لوائه .

فلقد رأوا فيه رجلاً صائب الرأي حصيفاً ، يبدو في معاملة الأمور كأنه موحى إليه أو ملهم ، ذو عزم ماض ويقظة دائمة وتنبه ، وهمة عظيمة بعيدة الآمال ، ومقاومة للشدائد بصبر وحب وصبر ، مع استعذاب وللة في عراكها ، وزهد في الحياة الدنيا وزخرفها ، وعفة في قلدره ، وتواضع في عزة ، ولين لا يمس الهيبة ، وكف ندى ، وشجاعة في إقدام ، ومراقبة لله سبحانه في كل عمل ، وابتغاء لمرضاته في السر والعلن .

وضع صلاح الدين نصب عينيه منذ أن دانت له وزارة مصر سنة ٥٦٤ هـ العمل على إتمام توحيد القوى ضد الصليبيين ، والوصول إلى نهاية الشوط الذي بدأه عماد الدين ، وتوجيه هذه القوى ضد العدو وطرده من أرض العالم الإسلامي العربي إلى غير رجعة .

أحسن منذ اللحظة الأولى بأن الله قد أعده لأمر عظيم ، فقال كلمته

ولما يسر الله لى الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل ، لأنه أوقع ذلك فى نفسى » (١) .

وشاء الحق جل وعلا أن يعمده بأسباب تثبيت سلطانه فى مصر وأن يجعل له من أهلها وشعبها الوفى المخلص ، الدرع القوى الأول ، فانطلق به تحلوه قلوبهم ، وتدفعه عزماهم ، وتؤيده جموعهم ، يدافع عن مصر ضد من هاجمها من الصليبيين فى دمايط سنة ٥٦٥ هـ ، وفى الاسكندرية سنة ٥٦٩ هـ حتى ردهم عنها أذلاء ملحورين . ثم تغلب به على المشاكل الداخلية والخارجية التى واجهته ، كما ثبت به قواعد ملكه فى النوبة والحجاز واليمن وشمال افريقية . ودفع عنها غائلة الطامعين والمفسدين ، ثم انطلق إلى الشام يقضى فيه على النوضى وعوامل الضعف التى أخذت تهدده ، فسارت رابته من ظفر إلى ظفر ، ومن نصر إلى نصر ، تسبقها سيرته العطرة ، ومآثره الحميدة ، وانتصاراته على الفرنج ، وفتحت له دمشق أبوابها مرحبة به سنة ٥٧٠ هـ كما رحبت بنور الدين من قبل ، ودانت له البلاد من أقصاها إلى أقصاها . وتم له ما تمناه من وحدة قوية تسودها وتدفعها يقظة الشعوب ووعيا .

ثم بدأ بها الجولة التى بلغ بها ذروة النصر فى حطين سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م وما أعقبه من سقوط بيت المقدس وغيره من البلاد ، ذلك النصر الذى زلزل أوروبا ودمر أكبر قوة للصليبيين فى الشرق الاسلامى العربى . وتمت كلمة ربك بنصر المتعصمين بحبله المتين ، المخلصين لبلوغ المهدف النبيل « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » .

والناظر فى الكلمات السابقة يرى أن القدر قد رسم بريشته الحكيمة صورة بدئية لتطور الوحدة القيادية ، والتكامل الشعبى الذى اتسم باليقظة والوعى الدافع لهذه القيادة . والتى كانت سراجا وهداية لمن خلف صلاح الدين من القادة والشعوب حتى طهر الشرق من العدو الصليبي فى عهد الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م .

---

(١) صلاح الدين لابن شداد تحقيق محمد محمود صبح نشر الدار القومية فبراير ١٩٦٢ .



أثار نصر حطين وسقوط بيت المقدس في قبضة صلاح الدين نفوس الشعراء ، وحرك أقلام الكتاب فجرت تشيد بهذا النصر المبين ، وتذكر إلاء الله تعالى على المحاربين والمجاهدين ، ومن اتخذ سنة عودة القدس أساساً لمؤلفه عن عهد صلاح الدين « العماد الأصفهانى » صاحب كتابنا هذا .

مؤلف الكتاب :

مولده ونشأته :

هو أبو عبد الله محمد بن صنى الدين أبى الفرج محمد بن نفيس الدين أبى الرجاء حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله القرشى الأصفهانى ، المعروف بـ « آله » - وآله اسم أعجمى معناه العقاب وهو الطائر المعروف ، وقد اشتهر به العماد الأصفهانى .

ولد بأصفهان سنة ٥١٩ هـ ونشأ بها ، ثم قدم بغداد مع أبيه شاباً حدثاً فأقام بها مدة ، انتظم فيها في سلك المدرسة النظامية ، وتفقه على الشيخ أبى منصور سعيد بن محمد بن الوزان (١) ، وسمع الحديث من أبى الحسن على ابن هبة الله بن عبد السلام ، وأبى منصور محمد بن عبد الملك بن جبرون (٢) ، وأبى المكارم المبارك بن على السمرقندى ، وأبى بكر أحمد بن على بن الأشقر وغيرهم . وأجاز له أبو عبد الله القراوى وأبو القاسم بن الحصين .

اشتغاله بالكتابة :

ثم عاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه - أصفهان - ففقه بها على محمد بن عبد اللطيف الخجندى ، وأبو المعالى الوركانى ، ثم رجع إلى بغداد ، وشاء الله تعالى أن يكون في هذه الرجعة بدء صعوده سلم المجد كأديب وكاتب له مكانته السامية في عالم الأدب ودنياء . اشتغل العماد بصناعه الكتابة فبرع

---

(١) في معجم الأديباء بتحقيق د . فريد رفاعى « للرزاز » .

(٢) « جبرون » في المرجع السابق .

فها ونينغ ، ثم بدأ نجمه في الصعود والتألق ، فاتصل بالوزير عون الدين يحيى ابن هيرة (١) ، فولاه النظر بالبصرة أولاً ثم بواسط .

ظل العماد مسر العيش ، هائئ البال في حياة ابن هيرة ، ولم يدر ما خبأه له الدهر من شدائد ومنغصات ، فما أن وافت المنية ذلك الوزير حتى صدرت أوامر الخليفة باعتقال جماعة من أتباعه من بينهم العماد ، فكتب من حبه إلى عماد الدين بن عضد الدين ابن رئيس الرؤساء — وكان حينئذ أستاذ الدار (٢) المستنجدية وذلك في شعبان سنة ٥٦٠ هـ قصيدة منها :

قل للإمام علام حبس وليكم أولوا جميلكم جميل ولاته  
أوليس إذ حبس الغمام وليه خلى أبوك سبيله بدعائه (٣)  
فأمر باطلاق سراحه وتخليه سبيله .

أقام العماد في بغداد فترة كان فيها متكد العيش ، مسهد الجفن ، وما أشد على النفس من ذل بعد عز ، ومن ضيق بعد فرج وسعة — فعزم على أن يرحل منها إلى دمشق ، عله أن يجد في كنف سلطانها العادل نور الدين محمود ، الأمن والطمأنينة ، وسعة العيش ورغده ، فشد الرحال إليها فدخلها في شعبان سنة ٥٦٢ هـ .

كان حاكم دمشق ومتولى أمورها لنور الدين محمود آنئذ هو القاضي

---

(١) ابن هيرة : هو عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هيرة الشيباني ، وزير بغداد ، ولد سنة ٤٩٧ هـ بقرية الدور من نواحي بغداد - وزر المقتدى ثم المستنجد ، وتوفي سنة ٥٦٠ هـ . كان عالماً ديناً وله عدة مصنفات منها «الانصاح في شرح الأحاديث الصحاح» (الروشتين تحقيق . د . محمد حلمي أحمد قسم ثان ص ٣٥٩)

(٢) (ذكر السيوطي في حسن المحاضرة ج ٢ : ٩٣) أنه من «إليه أسر بيوت السلطان كلها من المصالح والتفقات والكسوى وما يجري مجرى ذلك . وهو من أسراء المئين . وذكر الإمام السبكي في كتابه معيد النعم ومسند النعم في ص ٢٦ : بتحقيق محمد علي التجار وزميله أنه المتكلم في اقتطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم : وهي كلمة فارسية الأصل صواب كتابتها «استدار» أو «استدار» .

(٣) في البيتين إشارة جميلة إلى حادثة استنقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم .

كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري (١) ، فصرف به العماد ، فأنزله بالمدرسة النورية الشافعية ، وكان يحضر مجالسه ، وبذا كره بمسألة الخلاف في القروع . وعرفه الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب والد صلاح الدين — وكان العماد له سابق معرفة به وبأخيه أسد الدين شيركوه منذ أن كان عمه ( أي عم العماد ) معتقلاً بقلعة تكريت ، « ونجم الدين إذ ذاك وليها » فانتسجت المودة بينهما من هناك ، فلما سمع ابن أيوب بوصوله « بكر إلى منزله لتبجيله » وأحسن إليه وأكرمه ، وميزه عن الأعيان والأماثل ، فمدحه العماد بقصيدة منها :

موفق الرأي ، ماضى العزم ، مرتفع      على الأعاجم مجداً والأعاريب  
أحبك الله إذ لازمت نجديته      على جبين بتاج الملك معصوب  
أخوك وابنك (٢) صدقاً منهما ، اعتصما      بالله ، والنصر وعد غير مكنوب

بلده اتصاله بصلاح الدين :

ولما عاد أسد الدين وصلاح الدين من مصر ، اتصلت بين العماد وصلاح الدين المودة ، وأخذ يستهديه نظمه ونثره ، وكأنما شاء الله تعالى أن يعمد بهذه الصلة لما سيكون فيما بعد بين الاثنين من وشائج قوية .

ارتفع ذكر العماد في دمشق ، وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يعرضه ماقد من عز أيام ابن هيرة في بغداد ، وما لاقاه من عنت ومذلة بعد وفاته ، فنوه « الشهرزوري » بذكره أمام « نور الدين » وعدد عليه فضائله ، وأمله لكتابة الانشاء ، ولما كانت مواد هذه الصناعة غنيمة عنده ، إذ لم يكن قد مارسها من قبل ، خاف الاقدام في أول الأمر ، وبقي متحيراً . ويحدثنا العماد عن نفسه فيقول : « فبقيت متحيراً في اللخول فيما ليس من شأني

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله الفقيه الشافعي ، كان قاضي الموصل أيام عماد الدين زنكي ، ثم قدم دمشق ٥٥٠ هـ فولاه نور الدين قضاهما سنة ٥٥٥ هـ ، وكانت وفاته سنة ٥٧٢ هـ ( ارجع إلى طبقات الشافعية الكبرى ) .

(٢) يشير العماد إلى أسد الدين وصلاح الدين اللذين كانا آنذا بمصر النفاق عنها ضد الصليبيين .

ولا وظيفتي ، ولا تقدمت لي به دراية ، غير أنه ما لبث أن تيسر له أمرها ، وهانت له حين مارسها وأجادها إجادة لم تكن له في الحسبان، وأتى فيها بالغريب الذي لفت إليه الأنظار ، وأثار انتباه ذوى الحجا والأقلام . فبرز اسمه بين أسماء البارزين في هذه الصناعة ، وعلت منزله عند نور الدين ، وصار صاحب سره .

وسيره رسولا إلى بغداد ، كما فرض إليه في سنة ٥٦٧ هـ أمر المدرسة النورية الشافعية وهي التي عرفت فيما بعد بالعمادية نسبة إليه ، كما ولاه الاشراف على ديوان الانشاء سنة ٥٦٨ هـ .

لبث العماد يتقلب في نعم الله ، وطاب عيشه ، واستقام حاله ، طيلة حياة نور الدين . حتى إذا مات وخلفه ابنه الصالح اسماعيل سنة ٥٦٩ هـ ، نفس الحاقلون عليه مكانته السابقة ، فأخذوا يدبرون له المكائد ، ويضايقونه بشتى المضايقات ، وينسجون حوله ما أخافه وأفرعه ، فتأثر السلامة بترك جميع ما هو فيه ، وشد الرحال إلى بغداد ، حتى إذا باق « الموصل » في طريقه ، هاجمه المرض هجوما شديدا ، وكاد يقضى عليه . لولا أن تداركته رحمة الله الواسعة فبرىء منه .

في هذه الفترة سرى خبر خروج صلاح الدين من مصر قاصدا دمشق لتخليص الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود من حاشية السوء والانتهازيين الذين أحاطوا به ، ولتوحيد الدولة في قوة تقف أمام الصليبيين — سريان ضوء الشمس ، فانثني عزم العماد سنة ٥٧٠ هـ عن مواصلة السير إلى بغداد ، ورأى في العود إلى دمشق والالتقاء بصلاح الدين خيرا وبركة ، وأمنا وطمأنينة ، قد سبق أن توثقت عرا الصداقة بينهما ، وتوطدت العلاقتي ، وتأكدت المودة فعاد إليها ، وكان صلاح الدين قد غادرها إلى حلب ثم إلى حمص فلحق به ، وكان قد تسلم قلعتها فملحه بقصيدة طويلة ، ولزم بابه ، يتزل لتزوله ، ويدخل لرحيله ، واستمر مدة يقضى مجالس صلاح الدين متقربا إليه وإلى القاضي الفاضل ، ينشد السلطان المدائح ويعرض بصحبته القديمة ، حتى نظمه في سلك جماعته .

هكذا طويت صفحة مليئة بالمتاعب والشدائد من حياة العماد، ونشرت صفحة جديدة سيبلغ فيها أوج المجد ويرتفع ذكره ، ويخلد اسمه بين الخالدين من أدباء ومؤرخين .

فلقد استكتبه صلاح الدين ووثق به ، وقربه إليه ، وصار من خاصته ، بضاهى الوزراء ويجرى في مضمارهم ، « صاحب السر المكتوم إذا غاب القاضي الفاضل والثائب عنه » وأن لم يصل إلى نفس المكانة العالية التي كانت للفاضل في نفس صلاح الدين .

مكانة العماد بين القاضيين الفاضل وبهاء الدين بن شداد :

ويطيب لى في هذا المقام أن أئين في بضع سطور ، الفارق في المكانة بين رجال ثلاثة ، كانوا دعامة الحكم في عهد صلاح الدين ، وموضع ثقته البالغة . أولئك هم القاضي الفاضل . والعماد الكاتب . وبهاء الدين بن شداد .

كان القاضي الفاضل عبد الرحيم اليسانى رجلاً أتاحت له ظروفه ومنصبه أن يعاصر فترتين من فترات الحكم في مصر . سقوط الفاطمى . وقيام الأيوبي ، كما كان صاحب ديوان الانشاء في عهدي شيركوه وصلاح الدين ، وقد كان للكفاءة الإدارية التي امتاز بها . ولطول باع قلعه . ولاخلاصه في عمله وتدينه ، الفضل الأكبر في أن يصبح الساعد الأيمن لصلاح الدين . يعتمد عليه في كل ما يتعلق بشئون دولته . . يتنبه عنه في مصر إذا غاب . ويستمره النصيح والمشورة إذا أشكل عليه أمر أو عرضت له شدة . ولذلك كانت له في قلب صلاح الدين المكانة الأولى التي لا تدانيها مكانة : وما أجمل قول صلاح الدين في تقدير منزلته ، لانتظنوا أنى ملكت البلاد بسيو فكم بل بقلم الفاضل . » .

أما القاضي بهاء الدين بن شداد فقد كانت صلته به بسبب إعجابه بعلمه وبشخصيته ، إذ رأى فيه من السمات والصفات والعلم ما يدعو إلى احترامه والركون إليه . فرض عليه في سنة ٥٨٤ هـ تولي قضاء العسكر فقبل . وبدأت الصلة تقوى بينهما منذ هذا التاريخ . وزادت القرى والمحبة . وظل ابن شداد ملازماً لصلاح الدين حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ . ولذلك نرى أن مكانته

بالنسبة لتدبير شئون دولة صلاح الدين بين الثلاثة، هي التالية للعماد ، والثانية بعد الفاضل في الدين والعلم وفي الميل والاطمئنان الشخصي .

صلة وطيدة بين العماد والفاضل :

توطدت الصلة بين العماد والفاضل وتألفا اجتماعيا ، ولاعجب في ذلك فقد كان العماد ينحوي في كتاباته نحو « مذهب أصحاب التصنع » ذلك المذهب الذي كان الفاضل يتبعه ويدعوله ، والذي كان لديه فيه من البراعة الفنية ما جعله « ينهض بصعوباته دون أن يستشعر الإنسان ما فيها من أُنْقال » ، وما من شك في أن الفاضل « كان أبلغ كتاب العصر الأيوبي فدفع العصر كله من ورائه في دوائر نماذجه » ، وكان العماد يقول عنه « رب القلم والبيان ، واللحن واللسان » كما كان الفاضل يقدّره بقوله « العماد الكاتب كالزناد الوقاد » .

وقد سجلت لنا كتب الأدب والتاريخ بعضا من المحاورات اللطاف التي كانت بين الكاتبين :

فقد لقي العمادُ الفاضل وهو راكب على فرس فقال له : « سرّ فلا كِباً بك الفرس » فرد عليه الفاضل : دام علّا العماد (١) .

واجتمعا يوما في موكب صلاح الدين ، وقد انتشر من القبار لكثرة الفرسان ما سد الفضاء ، فتعجبا من ذلك ، فأنشدا العماد في الحال :

أما القبار فأنسه مما أثارته السَنابك  
والجسو منه مظلم لكن أثارته السَنابك  
يادهرُ لي عبد الرحيم قلست أخشى مس نابك (٢)

حج الفاضل سنة ٥٨٤ هـ من مصر وركب البحر في طريقه فكتب العماد إليه رسالة نذكر منها :

« طوبى للحجر والحجون من ذى الحجر والحجا ، منيل الجلدا ، ومنير

---

(١) وهذا ما يقرأ مقلوبا وصحيفا ، سواء . وهو ضرب من البديع يسونه القلب ، وهو من المحسنات الفنية .

(٢) لقد انتق له الجناس في الأبيات الثلاثة وهو في غاية الحسن .

الدجا ، ولندى الكعبة من كعبة الندى ، وللهدايا المشعرات من مشعر الندى  
وللمقام الكريم « ..... إلى أن قال « لقد عاد « قُسّ » إلى عكاظه ،  
وعاد « قيس » لحفاظه ، وباعجبا لكعبة يقصدها كعبة الفضل والأفضال ،  
ولقبلة يستقبلها قبله القبول والاقبال « ...

وقد ذكر العماد فضل الفاضل عليه في عدة مواضع من كتابه « الفتح  
القلسى » من ذلك قوله عنه حين قدم على صلاح الدين بالشام سنة ٥٨٧ هـ  
« رب الفضائل والفواضل ... » ثم يذكر كيف تحدث مع السلطان في رفع  
رتبته وراتبه « ونبه قدرى ، ونوه بذكرى ، وسعى في رفع رتبتي وزيادة  
راتبي ... ولولا أنني قويت به لأقويت ، ولولا أنه أولاني عارفته لما عرفت  
ولا توليت ، فأنا شاكر نعمه عمرى ، وعامر كرمه بشكرى » .

العماد الشاعر :

لم يكن العماد كاتباً فقط ، بل عرف أيضاً كشاعر من شعراء العصر الأيوبي  
المعلودين ، غير أن قدرته في الشعر وشهرته فيه ما كانت لتقف أمام قدرته  
ومكانته كأديب وكاتب رفعة قلمه، وسمت به أساليبه الفنية إلى صفوف المبرزين  
من أهل الكتابة . وقد جمع لنفسه ديواناً من شعره في أربعة مجلدات ، وديواناً  
آخر صغيراً ، فمن قوله من قصيدة يمدح بها صلاح الدين :

جرى بالذى تهوى القضاء وظاهرت ملائكة الرحمن أجنادك الخمسا  
وكم لبني أيوب عبيد كعنت إذا ذكروا بالناس لم يذكروا عبسا  
ومن قوله ينوه بكرم صلاح الدين :

وقيل لنا : في الأرض سبعة أبحسر ولنا نرى إلا أنامله الخمسا  
ومن قوله وهو يطمح في أن يفتح صلاح الدين القدس ، ويوحد بلاد  
الإسلام :

توكل على الله الذى لك أصبحت كلاءته درعا ، وعصمته ترسا  
ولا تُنْسِ شرك الشرق غربك مرويا بماء الطلى من صاديات الظبا الخمسا  
فان بلاد الشرق مظلمة ، فخذ خراسان والنهرين والترك والفرسا

ولم يقتصر في شعره على الوصف والمدح بل قال في الغزل أيضاً ، وإليك بعضاً مما قال :

أفدى الذى خلّبت قلبي لواظظه      وخلفت لذعات الوجد في كبدي  
صفات ناظره سقم بسلا ألم ...      سكر بلا قدح جرح بلا قود  
على عياه من نار الصبا شمس      وورد خديه من ماء الجمال ندى  
كما طرق ضروبا أخرى فمن حكمياته .

اقنع ولا تطمع فان الغنى      كاله في عزة النفس  
فانما ينقص بدر الدجى      لأخذه الضوء من الشمس  
وقوله أيضاً :

وما هذه الأيام إلا صحائف      يؤرخ فيها ثم يمحي ويمحق  
ولم أر في دهرى كدائرة المني      توسعها الآمال والعمر ضيق  
ومن قوله في معاملة الناس :

دار غير اليبب إن كنت ذا لبّ ولاطفه حين يأتي بحذوق  
فأخو السكر لا يخاطبه الصا      حتى إلى أن يفيق إلا برفق  
ومن مرثيته من قصيدته التي رثا بها صلاح الدين والتي بلغت مائتين  
واثنين وثلاثين بيتا :

شمل الهدى والملك عم شتائه      والدهر ساء وأقلعت حسناؤه  
أين الذي كانت له طاعاتنا      مبنولة ، ولربسه طاعاته  
أين الذي شرف الزمان بفضله      وسمت على الفضلاء تشريفاته  
أين الذي عنت القرنج لبأسه      ذلا ومنها أدركت ثاراته

نعم العماد بقية صلاح الدين واطمئنانه إليه في تصريف الأمور ، والرضا  
بقسمة الأموال التي يسلمها إليه ، والتوقيع على ما يوقع عليه دون مراجعة ،  
وقضاء حاجات من لجأ إليه من الناس عن طريقه ، وقد سجل لنا ذلك في



كاتبه . وان أصحاب المطالب ، والراغبون<sup>(١)</sup> في الرغائب ، والذاهبون في المذاهب ، يحضرون عندئذ ويعرفون في انجاز أمورهم وانجاح قصدهم ، فأكتب لهم توقيعات بمتوقعتاتهم ، وأنتهى في الاملاء بنهاية مأمولاتهم ، فيجربها ويمسحها ، ويضع علاماته فيها ويرتضيها ، فاذا ألتى توقيعا بخطى ، علم فيه ، ولم يقف بنشره على سر مطاويه ، الفا بما ألقه من صحتي ومناصحتي ، وكفاء للمهمات بكفائتي .

والناظر في هذا الكتاب يرى أن العماد قد اعترى بقلمه ، ووثق بأسلوبه وبأثره في عدة مواضع . وفي كثير من المناسبات ؛ اعترازا وثقة تدفعان إلى الظن باتهامه بجاوز حد التواضع إلى الزهو والخيلاء ، فتارة يقول : فبشرت بأقلامى أقاليم البشر ، وعبرت بأعاجيبى عن عجائب العبر ، وملأت البروج بالدرارى ، والدرج بالدرر .

وأخرى يذكر : وكان الناس قد أنسوا بما أسطره وأزيره ، وأنسوا سوى ما أذكره وأجبره ، وألفوا الصحة فيه فألفوه ، وألقوا السقم في غيره فأنفوه . . .

ويبلغ قمة الاعتزاز بقلمه حين يذكر أن خطره أشد من سيوف أصحاب السيف والرمح « وقلى من سيوفهم أضرى وأضرب ، ومن رماحهم أخطى وأخطب ، ومن سهامهم أنجى وأنجب ، ومن قسيهم أكمى واكسب » ، بل نراه يجاوز حد هذا القول بأن آثار قلمه لا تحمل ولا تحمد بينما يصيب آثار السيف الطوى والنسيان فيقول : « وآثار السيف من الجراح قد رقأ دمها ، وآثارى من الذكر لا تحمل ولا تحمد » .

وها هو ذا يحدثك عن نفسه فيبلغ قمة الاعتزاز ، إذ يقول بأن أخباره التى يحدث بها عن صلاح الدين لا تموت ولا تنسى ، بينما تموت أخبار غيره « فكل أثر خير به غيرى يموت الخبير بموته ، وينقطع صيت الأثر بانقطاع صوته ، والذى أخبر أنا به عنه روض يز هو إذا أقلت الأيام

(١) الراغبون ، الذاهبون ، هكذا في الأصل ، ولعل وجهة نظر المؤلف أن هذه الجملة مقطوعة عما قبلها ولذلك رفعت بتقدير الخبر ، وهذا مثل قوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ... » ( الآية ٦٩ سورة المائدة )

سجبا ، ونجم يبلو إذا أفاض الشفق على فضة النجوم ذهباً ، فهو قول يذكر ، وينسى كل فعل وفاعله ، لا قول يؤثر مهما عاش اليوم عالمه ثم لا يأتى فى غد إلا جاهله .

صنف العماد عدة مؤلفات تعتبر مراجع قيمة فى الأدب والتاريخ هى :  
« خريدة القصر وجريدة العصر » ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٢ هـ وجمع فيه شعراء الشرق الاسلامى والشام ومصر والمغرب فى عشر مجلدات (١) ، ولم يذكر فيها النادر الحامل .

وكتاب « نصرة الفطرة وعصرة القطرة فى أخيار الدولة السلجوقية » وهو يشمل تاريخ من اتصل بهم من ملوك الدولة السلجوقية قبل قدومه إلى الشام . كما أن له كتاباً فى سبع مجلدات ، هو مجموع تاريخ ، بدأه بالحديث عن نفسه ، وصور فيه انتقاله من العراق إلى الشام ، وتاريخه فى دولة نور الدين وخدمته لصلاح الدين حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ ، وذكر شيئاً من الفتوحات بالشام وقد سماه « البرق الشامى » لأنه شبه أوقاته فى تلك الأيام بالبرق الخاطف لطبيعتها وسرعة انقضائها .

وغير ما ذكرنا فإن له أيضاً ديوان رسائل ، و « كتاب السيل على الذيل » ، و « كتاب الفتح القسى فى الفتح القسمى » الذى نحن بصدده .

هذا الكتاب :

أما كتاب الفتح القسى .... « فهو سجل لما قام به صلاح الدين من جهاد وحروب منذ سنة ٥٨٣ هـ حتى سنة ٥٨٩ هـ ضد الصليبيين ، أى منذ السنة التى فتح فيها بيت المقدس إلى السنة التى توفى فيها ، وما أعقب هذه الوفاة من أحداث .

وقد تميزت هذه الفترة بمظهر الوحدة الكاملة للعالم الإسلامى الذى يقوده صلاح الدين ضد عدو البلاد ، وبحلوث الضربة القاصمة له فى « حطين » ،

---

(١) لا يزال هذا الكتاب فى معظمه مخطوطاً ، ولم ينشر منه إلا جزءان عن أدباء مصر وجزء عن أدباء الشام والجزيرة .

وما أعقبا من سقوط بيت المقدس في قبضته ، وسقوط كثير من البلدان والقلاع الصليبية التي كانت تعد مراكز هامة للفرنج في فلسطين والشام ، ثم سقوط عكا ثانية في يد الفرنج ، والصراع الذي كان بين صلاح الدين من جهة ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا من جهة أخرى - ذلك الصراع الذي انتهى بمعاهدة الرملة سنة ٥٨٩ هـ .

كما سجل طرفا من صفات وسجايا صلاح الدين ، وما أعقب وفاته من تقسيم للبلاد بين أولاده وآله . ويشمل الكتاب كذلك الكتب والرسائل التي بعثها صلاح الدين إلى الخليفة ببغداد ، وإلى سائر الملوك والسلاطين المسلمين لاستنفارهم إلى الجهاد ، أو وصف حالة الحرب ، أو تبشيرهم بالنصر - أو غير ذلك - من إنشاء العماد . كما أنه تبيان للعلاقات التي كانت قائمة بين مصر وغيرها من البلدان في هذه الفترة ، ولذلك فهو وثيقة تاريخية هامة لعصر صلاح الدين ، تضاف إلى الوثائق الأخرى مثل كتاب « سيرة صلاح الدين لابن شداد » ومراسلات القاضي الفاضل .

ولما كان المؤلف أدبيا واسع الأفق والثقافة ، وكانبا بليغا صادق الحس ؛ فقد استطاع في سرده للأحداث التاريخية ؛ ووصفه للمعارك الحربية ؛ أن يربط بينها وبين المسرح الجغرافي لهذه الأحداث ، ربطا امتاز بالدقة وتجلت فيه مقدرته على إبراز الصورة الواضحة التي تكاد تنبض بالحياة ، وتبين مواطن الضعف والقوة فيها ، ومشاعر المحاربين في البر والبحر أثناءها . كما نجح نجاحا كبيرا في وصف البقاع والبلدان والمنشآت التي تناولها ، والحالة الاجتماعية التي عليها سكان البلدان .

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه حديث من شاهد الأحداث بنفسه أو وقف عليها في أثناء عمله بديوان الانشاء ، أو سمع عنها فتحرى الدقة والتثبت فيما سمع .

وقد اتبع المؤلف في إيراد الأخبار « نظام الحوليات » الذي كان سائدا في عصره ، ولم يتعرض لترجمة الأعلام سواء أكانوا علماء أو رجال سيف أو حكاما إلا في النادر القليل .

وعدنا العمداء في مقدمة كتابه هذا أنه اختار اسم « الفتح القدسي »  
لكتابه قبل عرضه على القاضي الفاضل ، فلما عرضه عليه قال له : « سمى الفتح  
القدسي في الفتح القدسي » تنبيها على جلالة قدره ، وتنويفا بدلالة فخره ،  
فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قس (١) وبلاغته ، وصاغت صيغة بيانك فيه  
ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته .

وقد اختار العمداء الأسلوب الأدبي للكتاب ليكون روضا يعيش الأديب  
فيه ، ويطوف أرجاءه ، ويمشي في جنباته ، يقطف من أزهاره اليانعة ،  
وينهل من غلاته ، كما يجد فيه المورخ ضالته ، وفي ذلك يقول : « وهذا  
كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الفرر المتجلية ، وبين  
المستخزين الذين يستشرفون إلى السير المتحلية ، يأخذ الفريقان منه على  
قدر القرائح والعقول ، ويكون حظ المستخير أن يسمع ، والأديب أن  
يقول » .

#### أسلوب الكتاب :

الزم العمداء في هذا الكتاب « اللغة الفنية المصنوعة من ألف الكتاب إلى  
ياته » كما الزم السجع التزاما لم يتخل عنه ، واعتمد على الاكثار من استعمال  
المحسنات البديعية واللفظية إلى درجة كبيرة ، « تجعل استخلاص الحقائق  
التاريخية منه أمرا صعبا ، ومهمة شاقة » على بعض القراء ، ولكن الصدق  
الذي امتازت به هذه المعلومات يجعلها تستحق ما يصرف في سبيل استخلاصها  
من عناء وجهده .

وإذا تحدثت عن أسلوب العمداء فتجد الإشارة إلى أنه نهج منهج  
أصحاب مذهب التصنع - وهو مذهب ساد المشرق والأقاليم الإسلامية في  
القرن السادس الهجري ، وكان العمداء كغيره من أدباء عصره يعيش في  
الاطار الفني العام له ، من استعمال للمحسنات البديعية واللفظية : من تنظير ،  
وتشخيص ، وتورية ، وجناسات منقوصة وغير منقوصة ، واقتباس من آي

(١) يقصد قس بن ساعدة الإيادي خطيب العرب وفصيحها في الجاهلية .

الذكر الحكيم وتضمنين بديع لها ، وبراعة في ذكرها في مواضعها ، وكذلك تضمنين الشعر ، كما استخدم عناصر التصنع لمصطلحات العلوم والنحو ، ومراعاة النظر ، والطباق ، والجناس المقلوب ، كما عني بالتشخيص والتصوير

في خضم المذاهب الكتابية التي كانت سائدة ؛ من تصنيغ (١) وتصنع نشأ العماد ..... وترعرع واستوى عوده ، وبلغ أشده ، ومنها أخذ ونهل ، فلا غرابة أنه قد التزم مذهب التصنيغ في الأغلب في كتابة الفتح القسي وفي كتبه الأخرى ورسائله جميعها .

تحقيق هذا الكتاب :

كان للأهمية التي حظي بها - بفضل الله تعالى - كتاب « سيرة صلاح الدين لابن شداد » بتحقيقى والذي نشرته الدار القومية للطباعة والنشر في ١٥ فبراير سنة ١٩٦٢ - أثر بليغ ؛ ودافع قوى لى ؛ للبحث عما يفيد كمصنر هام في تاريخ صلاح الدين ، ذلك البطل الذى وهب نفسه وحياته وضحي براحته والعيش الرغيد لاعلاء كلمة الله سبحانه ، والدفاع عن ديار الاسلام

(١) عني كتاب المصنر العباسي بحرفة الكتابة من ناحية قيامها على الزخرف والتشنيق ، وقد أخذت هذه الناية تردد شيئا فشيئا على مر الزمن حتى برز ملعب أدبي أطلق عليه ملعب التصنع - وهو ملعب كان يحتد على السجع من جهة والبيدع من جهة أخرى وكان أستاذ هذا الملعب هو ابن العميد - فهو الذى وسع - لأول مرة - طاقة الزخرف في تمبير النثر وتجميله . ثم أخذ هذا الملعب يتطور حتى أصبحت كتابة الكتاب زركشة خالصة « من تظريز بالسجع ، وترصيع بالبيدع » وازدادت هذه الحالة قوة حتى بلغت درجة الحدة في القرن الرابع الهجرى ، وقد اصطلحت « أعمال الكتاب والأدباء بهذه الصيغة ولم يسلم منها أحد حتى كتاب التاريخ أنفسهم ، إذ ظهر منهم من اختار لنفسه هذا الأسلوب ، فطرز ما ساقه من أخبار بهذا الأسلوب وكان أول كتاب ظهر في هذا الثوب هو « كتاب التاجي في أخبار بني بوية للمباه » ثم تبعه « كتاب الجيى العتي » . ولم يلتزم الكتاب هذا الملعب التزاما تاما بل أخذت تظهر على أساليبهم بوادر ملعب التصنع وهو مذهب « يقوم على تصميغ طرق الأداء وتجميلها ضروبا مختلفة من التشديد » ويعتبر أبو الملا « أبرز من « حقق لهذا الملعب ، كل ما يمكن من صور التصميغ » ثم تبعه الكتاب . حتى إذا أرق القرن السادس الهجرى نجد أن الكتاب في الاقاليم المختلفة قد غرهم « ذوق التصنع في الكثير الاكثر وقلما تركوا هذا الفوق إل ذوق التصنيغ » (النثر القفى ومذاهبه المذكور شوق ضيف ) .

والعروبة ، ضد مستعمر ظلوم تستر بشار دينه ليحقق أطماعا سياسية واقتصادية في الشرق ، ويستذل أهله ويسلبهم ما بأيديهم من خيرات .

وحدا في هذا الدافع إلى تناول الكتاب ، إذ لم يتناوله أحد بالشرح أو التعليق، أو الدراسة التي تيسر مفاهيمه وتفتح مغاليقه ، وتجعل معانيه دائية القطوف للدارسين ، على الرغم من أنه قد حقق من قبل ، في نسخة طبعت في لندن سنة ١٨٨٨ م عن نسخة مخطوطة بمكتبة لندن ، كتبت بعد وفاة المؤلف بأربع سنين ، وقوبلت نسخة لندن بنسخة أخرى كانت من طرابلس ، كما طبع بعد ذلك في القاهرة عدة طبعات . وقد اخترت لتقوم نص هذا الكتاب لإحدى النسخ المطبوعة في القاهرة بمطبعة الموسوعات سنة ١٣٢١ هـ وقابلتها على نسخة لندن المذكورة ، ثم على نسخة مخطوطة بمكتبة الجامعة الأزهرية مؤرخة ١١٦٦ هـ بقلم عبد الله الإدكاوي في ٤١٨ لوحة وهي نسخة كاملة .

وبمقابلة النسخ الثلاث استطعت تقوم النص وإثبات الفروق بينها . ثم قمت بالشروح اللغوية بقدر الطاقة مكفيا بذكر معاني الكلمات الصعبة بما يتفق والعبارة ، إذ من المعلوم أن كثيرا من معاني الكلمات العربية لها مترادفات عدة ، وما يصلح من معنى في مقام لا يصلح لآخر ، وأشرت أحيانا إلى ما يقصده الكاتب بعبارة . على أني في معظم الشروح اللغوية تركت للقارئ إعمال الفكر قليلا ليصل هو إلى المعنى المقصود . كما قمت بالترجمة لما ورد من أعلام وخصوصا البارز منهم ، وكذلك التعريف بالبلدان ، والتعليق على الأحداث التاريخية ، والتعريف بالألآل الحربية ، وشرح الكلمات الدخيلة في العربية من فارسية وغيرها ، معتمدا في ذلك على المراجع الهامة التي ذكرتها في ثبوت بآخر الكتاب .

على أني أرى من الواجب على واعترافا بالنفضل قبل أن أختم كلمتي هذه أن أؤوه بالتشجيع الصادق الذي دفعني به الأستاذ الأديب الكبير محمد عطا لتيسير هذا الكتاب وتقديمه للقارئ العربي ، والعون الكبير الذي عاونني به كل من الأستاذ الفاضل الأديب الجليل محمد عبد اللطيف بن الخطيب ،

وزوجتي الفاضلة فيه حتى خرج في هذه الصورة . فجزاهم الله تعالى خير الجزاء .

وإني لأرجو بعد بذل كل ما استطعت من جهد أن أكون قد وفقت - بفضل الله ورحمته إلى تحقيق الهدف الذي قصده من نشر هذا الكتاب كما أرجو الله تعالى أن يوفق غيري في إكمال ما عجزت عنه - إن كان هناك عجز أو تقصير - والحمد لله الذي بنعمته وبهونه يترك كل خير ويتم كل فضل .

المحقق

محمد محمود صبح





\*\*\*\*\*

## رموز النسخ

(أ) النسخة المحفوظة بمكتبة الجامع الأزهر وهي

مخطوطة . ي = يمن ، ش = شمال .

(ب) النسخة المطبوعة بمطبعة الموسوعات بالقاهرة .

(ل) نسخة لندن .



## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه ( وإن حقه لعظيم ) (١). ومن الرشد ما يكتب سلامة نياتنا في الطريق إلى كرمه وإنه لكريم . ونشكر بسم القلب وجهر اللسان إحسانه (٢) إلينا بأنهما حادث وقديم . ونستزيده ونستديمه نعمه (٣) ولن يخيب على الشكر والرضا مستزید واستديم . ونستعين به على الدهر وقد فعل ( فلذا الذي بيننا وبينه (٤) ) عداوة كأنه ولي حميم . والحمد لله الذي بدأ بنعمه متطولا ، وبمزيده متفضلا ، وعلمنا شكر فضله الموفور ، وقبل منا عفوَ خاطرنا المزور (٥) . فلا يكلفنا من الشكر فوق الطاقة ، ولا يطلع من النعم الطليعة إلا وراها من المزيد (٦) الساقطة . وقد وصف المشكور منه نفسه بأنه شاكر عليم . فرب (٧) غافل منا عن الشكر ما غفل عنه فضله العظيم . فلا عد منا يتاب مُستتابه (٨) راجيا وداعيا ، ومستيقظا وساهيا ، وصامتا ومتقاضيا ، لنا منه على كل حال كل حال من مواهب ربما عطل (٩) عنها لسان شكرنا ، وضمير ذكرنا ، وبانت صلوة

(١) في أ و ان حق الله لعظيم .

(٢) في أ و إحسانه .

(٣) في أ و نعمه .

(٤) في ب و ل و فاذا هو الذي بيننا وبينه . والمذكور من أ .

(٥) المزور ، القليل .

(٦) ساقطة في أ شبه في ب و ل .

(٧) الساقطة : مؤخر الجيش .

(٨) في أ و رب .

(٩) يتاب متاب : يأتي فضله مرة بعد أخرى . والثوبة : القرصة .

(٩) عطل عنها : سكت . والتعطيل : التطرغ والاختلاء وترك الشيء شيئا ما .

إلينا لا طيقنا بل حقيقة على نوم فكرنا . ثم ان الله (تعالى) (١) ساعنا في حقه من الشكر قبله من عينا وبلغنا ، ومتجرنا ومسينا : فتارة يقبله ضميرا مجمعا (٢) ، وتارة يحيط به قولاً (٣) مترجماً . ومرة يعلمه نظراً من قلب ينفذ نور الذكر من ظلمات ضلوعه ، ومرة يسمعه همساً من لسان يتاجى ملكه بنغمات مسموعة ، وكيف لا يعلم السر وأخفى من بعينه ممارحه . وكيف لا يعلم الغيب من عنده مفاعه .

ونرغب إليه في أن يحمل عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فإننا لانرضى بغو استحقاقه من الوصف جهداً ، فنصل إليه صلاتنا ونودى إليه ودنا ، ونعظم موقعه حين كان منه قاب قوسين أو أدنى . ونشكره على أن فتح علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسرى به . فانبعث صلى الله عليه وسلم سهماً فكان كقاب قوسين في اقترابه . ما كذب القواد ، ولاخاب المراد . ولاصدق المراد (٤) . وأين من أخبر عنه أنه رآه بالأفق الأعلى ممن امتن عليه بأنك ( بالوادي المقدس طوى ) (٥) .

فمن كان في روض القرآن يسرح ، فرق بين المنزلتين من (رب اشرح) و ( ألم نشرح (١) ) ونصلى على آله وأصحابه ( ولالة الحق . وقضاة الخلق (٧) ) ورتقة الفتق (٨) ، وغرر السبق ، وألسنة الفرق ، وفتحة الغرب والشرق .

(١) حبه في أ ، ساقطة في ب و ل .

(٢) مجمعا : الجمجمة ، عدم إبانة الكلام وإخفاء الشيء في الصدر .

(٣) في أ « فضلا » .

(٤) المراد : جمع ما رد ويطلق على العائق المتجبر وأكثر ما يطلق على الجن .

(٥) في ب « بأنك بالوادي » وما ذكر من أ .

(٦) « رب اشرح لي صدري » الآية ٢٥ من سورة طه وهي دعاء موسى عليه السلام لربه :

و « ألم نشرح لك صدرك » الآية ١ سورة الانشراح وهي خطاب للرب تعالى لحتم أنبيائه عليه صلوات الله وسلامه .

(٧) في ب و ل « ولالة الحق ، وقضاة الخلق » .

(٨) رتق الفتق : أصله والمقصود بالكلية ، المصلون .

منهم (١) من رد ردة العرب عن اسلامها . ومنهم من استنزل أرجل  
العجم عن أسرتها وتيجانها عن هامها . وأحمد عبدة نيرانه أن يطعموها (٢)  
حطباً ولو وصلت إليهم لأكلتهم ، وأحمد (٣) عبدة أوثانها عن أن يقعوا  
لها سجداً ولو وقعت عليهم لقتلتهم . ومنهم من اتفق في سبيل الله وجهز ،  
ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز . ومنهم الأشداء على الكفار ، ومنهم (٤)  
الأشداء إذا زاغت الأبصار . ومنهم الساجدون الراكعون ، ومنهم السابقون  
ومنهم التابعون . ومنهم نحن أهل الزمن الآخر ، وقد سلم علينا سلام الله  
عليه في زمنه الحاضر . وسمانا إخوانا واشتاق إلى أن يلقانا . فنحن الآن  
إنما نرد عليه بحبته والباديء أكرم ، وإنما نرجو شفاعته (٥) بالمودة التي  
قدمها والفضل للأقدم .

هذا كتاب أسهمت فيه بين الأدباء الذين يتطلعون إلى الغرر المتحلية ،  
وبين المستخبرين الذين يستشرفون إلى السير المتحلية . يأخذ ( القريران  
منه ) ( ٦ ) على قدر القرائع والعقول ، ويكون حظ المستخبر أن يسمع  
والأديب أن يقول . فإن فيه من الألفاظ ما صار معدنا من معادن الجواهر  
التي تولدها ، ومن غرائب الوقائع ما صار به لسانا من ألسنة العجائب التي  
نوردها .

وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن التواريخ معتادها إما أن تكون مستفتحة من بدء نشأة البشر الأولى . وإما مستفتحة بمعقب من الدول الأخرى . فلامنة من الأمم ذوات الملل (٧)؛ وذوات الدول ، إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه . ينقله

(١) في ب و هـ ، والتصحيح من أ و د .

(۲) فی أ ن تطمبها .

(۳) فاء، اخل، .

(٤) ساقطة فـأ .

(هـ) في أداء الشفاعة .

(٦) في أ. م. م. الفريقان .

(v) قُوا الْمَلَائِكَةَ .

خلفها عن سلفها ، وحاضرها عن غابرها . تقيد به شوارد الأيام ، وتنصب به معالم الأعلام .

ولولا ذلك لانتقطعت الوصل ، وجهلت الدّول ومات في أيام (١) الآخر ذكر الأول . ولم يعلم الناس أنهم امرق الأرى ، وأنهم نطفت في ظلمات الأصلاب طويلة السرى (٢) . وأن أعمارهم مبتدأة من العهد الذي تقادم لآدم . وقد أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (٣) لما أرادهم من ظهورهم .

(ليعلم المرء) (٤) قبل انقضاء عمره ؛ وقبل نزول قبره ؛ ما استنبعده اهل الطي (٥) من حقيقة النشر ، وتقيل في واحدة من الأطوار شهادة عشر ، فقد قطع عمرا بعد عمر ، وسار دهرآ بعد دهر ، وثوى وأنشر في ألف قبر ، وإنما كان من الظهور في ليل إلى أن وصل من العيون إلى فجر .

ولولا التاريخ لضاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ، ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة . ولقل الاعتبار بمسألة العواقب وعقوبتها ، وجهل ما وراء صعوبة الأيام من سهولتها ، وما وراء سهولتها من صعوبتها . فأرخ بنو آدم ييومه ، وكان أول من اشترى الموت نفسه ، وقام النزع مقام سومه (٦) ، ثم أرخ الأولون بالطوفان الذي بلل الأرض وأغرقها ، ثم بالعام الذي بلبل الألسن وفرقها ، وأرخت القرس أربعة تواريخ لأربع طبقات من ملوكها أولها كلشاه (٦) ومعنى هذا الاسم ملك الطين ، فاليه ترجع

---

(١) في آء الأيام .

(٢) السرى : سير عامة الليل ، والمقصود هنا ، طول سير النطف في الظلمات وتنقلها في الأصلاب .

(٣) قال الله تعالى في الآية ١٧٢ من سورة الأعراف « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » .

(٤) ما ذكر من أوقب ول : قليل المرء .

(٥) الطي : ضد النشر والمقصود بأهل الطي ، المتكرون البعث والنشور .

(٦) سومه : أي سلوته على بيع نفسه .

(٦) كلشاه : كلمة فارسية معناها : آدم . وهو اسم أول ملك من البشهاديين « كيومرت »

( انظر معجم الألفاظ الفارسية د . محمد موسى متنلوى ) .

الفرس بأنسابها . وعليه ينسق (١) عقد حسابها . وهي الآن تؤرخ بيزدجرد (٢) آخر ملوكها . وهو الذى بزّه الإسلام تاج إيوانه . وأطفا نور الله بيت نيرانه . وأرخ اليونان من فيلبس (٣) أبى الاسكندر (٤) وإلى قلوبطرة (٥) آخرهم ؛ وهؤلاء المسمون بالخلفاء وهم الصابئون . وأرخ الروم بالاسكندر لعظم خطره ، وشهرة أثره . وأرخ النبط (٦) - بالعراق - والقط - بمصر - بتواريخ موجودة فى الكتب التى خلطوها ، والأزياج (٧) التى رصدها . وأرخ اليهود بأنبيائهم وخلفائهم ، وبعمارة البيت المقدس (٨) وبخرابه (٩) على ما اقتضاه نقل أوائلهم وآبائهم . وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة ، فكانت

(١) فى أ - ينسق .

(٢) هو يزدجرد الثالث وقد قتل سنة ٣١ هـ - ٦٥٢ م فى عهد الخليفة عمان بن عفان رضى الله عنه وموته زالت الدولة الساسانية . من حكم فارس ( تاريخ الإسلام السياسى د . حسن ابراهيم حسن ج ١ : ٢٣٢ ) .

(٣) هو فيليب الثانى ملك مقدونيا من ٣٥٩ ق . م إلى ٣٣٦ ق . م .

(٤) يقصد الاسكندر الأكبر المقدونى الذى ترات امبراطوريته من مقدونيا وشملت اليونان وآسيا الصغرى وبلاد فارس والشام ومصر من ( ٣٣٦ ق . م - ٣٢٣ ق . م ) .

(٥) يقصد كليوباترا آخر ملكة من أسرة البطونية - الذين حكموا مصر من ٣٣٣ ق . م إلى ٣٠ ق . م - بعد هزيمتها فى موقعة اكتيوم هى وحليفها انطونيوس من يد أوكتافيوس الرومانى

(٦) النبط : قوم ظهوروا على مسرح التاريخ حوالى القرن الخامس قبل الميلاد وامتد بقاؤهم قرابة ستة قرون ، كانوا بمنطقة الحجاز الأعل م نزحوا إلى وادى العربى وخليج العقبة بعد تدميرهم على الأديبيين ، وقد امتدت دولتهم حتى شبلى دمشق ، وظلت قوية حتى احتلتها الرومان بعد احتلال عاصمتهم البتراء سنة ١٠٦ م .

(٧) الأزياج : جمع زيج وهى كلمة فارسية الأصل معناها الجداول التى يستعمله الفلكيون فى رصد النجوم ( الألفاظ الفارسية المعربة لادى شير ) .

(٨ و ٩) عمره نبى الله الملك سليمان بن داود ( ٩٦٠ - ٩٣٥ ق . م ) ، وقد استقرت عمارة ، سبع سنوات . أماخرابه فقد قام به بمختصر ( نبوخذ نصر ) الكلدانى بعد أن أسقط بيت المقدس ٥٨٦ ق . م وأرسل السكان أسرى إلى بابل حيث ظلوا سبعين عاما ثم سمح لهم كوروش ملك فارس بالعودة وبناء الهيكل ثانية .

حمير تؤرخ بالتبابعة (١) ممن يلقب بـ « ذو » (٢) ويسمى بـ « قيل » (٣). وكانت غسان (٤) تؤرخ بعام السد (٥) حين أرسل الله عرم السيل . وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه (٦). وأرخت معد (٧) بغلبة جرهم (٨) للعالمين واخراجهم عن الحرم . ثم أرخوا بعام القصاد - وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب تنازع في الديار

(١) حمير والتبابعة : قبائل من العرب القحطانيين أنشأوا مملكة بين سبأ والبحر الأحمر في جنوب الجزيرة العربية حوالي ١١٥ ق . م وكان مقر ملكهم مدينة ظفار التي عرفت فيما بعد باسم ويدان . وكان ملوكها يلقبون بالتبابعة (جمع تبع ) وقد دامت هذه المملكة قرابة ٦٤٠ سنة حتى قضى عليها أرباط الحبشى سنة ٥٢٥ م ( ارجع إلى تاريخ اسلام السياسي د . حسن ابراهيم ج ١ : ٢٩ - ٣١ ) و ( تاريخ العرب العام لسيدو ص : ٤٨ ) .

(٢) (٣) القيل : الرئيس وهو لقب كان يطلق على الملك من الحميريين . وكلمة تبع كانت تطلق عليه إذا ضم إليه حضرموت . وكلمة ذو كانت تضاف إلى اسمه ، مثل ذو نواس .

(٤) (٥) بعد تدمر مد مأرب وكان ذلك حوالي ٥٤٣ م ( كما جاء في كتاب العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ص ١٦٨ ) هاجرت قبائل من الأزد واستقرت على ماء يقال له غسان على حدود الشام بعد تغلبها على السكان الأصليين وهم الضباجة ، وعرفوا باسم هذا الماء وكان أول ملك لهم هو جفنة بن عمرو وظلت هذه الدولة تحت حماية الروم حتى قضى عليها المسلمون سنة ١٣ هـ ( تاريخ الاسلام السياسي ج ١ : ٤١ ) و ( تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي زيدان ج ١ ) .

(٦) في سنة ٥٢٣ م اعتنق يوسف ذو نواس ملك حمير اليهودية واضطهد المسيحيين وكانت حادثة الأخنوخ التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم . فقام الأحباش باخضاع اليمن ٥٢٥ م وأذلوا أهل البلاد قرابة عشرين عاما . ثم استجد سيف بن ذي يزن الحميري بالفرس على الأحباش فأنضموا اليهم لسلطانهم سنة ٥٧٥ م وأصبح سيف حاكما من قبل الفرس ( تاريخ الاسلام السياسي ج ١ : ٣١ - ٣٢ ) و ( تاريخ العرب العام لسيدو ٤٨ - ٤٩ ) .

(٧) (٨) مد : هواين عدنان وينتهي نسبه إلى رسول الله اسماعيل عليه السلام ومن أجداد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أما جرهم : فهم القبائل القحطانية الأولى التي هاجرت من اليمن واستقرت حول الحرم المكي وقد اختلطت بهم هاجر زوجة النبي إبراهيم عليه السلام . ثم صاهرهم بعد ذلك اسماعيل عليه السلام . والمبارة في ( أ ) ( وأرخت معد بغلبة جرهم للمالين ) وعبارة ( واخراجهم من الحرم ) ماقطة .



فقتلوا منها ، وافرقوا عنها . ثم أُرخوا بحرب بكر وتغلب (١) - ابني وائل - وهى حرب البسوس (٢) . ثم أُرخوا بحرب عيس وذبيان - ابني بغيض - وهى حرب داحس والغبراء (٣) ، وكانت قبل البعث بستين سنة . ثم أُرخوا بعام الخنثان (٤) . قال النابتة الذيباني (٥) .

فمن يك سائلا عنى فافى من الفتیان فى عام الخنثان وأُرخوا بعده من مشاهير أيامهم وأعوامهم بعام المخاتق ، وعام الذنائب (٦) ، ويوم ذى قار (٧) ، وبحرب الفجار (٨) ، وهى

---

(١ و ٢) حرب البسوس : حرب قامت قبل الاسلام من ٤٩٤ م إلى ٥٣٤ م بين قبيلتي بكر وتغلب وسبها أن كلييا بن ربيعة عقر ناقة لامرأة عبجو ز دعى « البسوس » بنت منقذ التميمية وهى خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، فقتل جساس كلييا فقامت الحرب ( تاريخ الاسلام السياسى ج ١ : ٢٢ و ٥٠ - ٥٧ ) .

(٣) حرب داحس والغبراء : بعد انتهاء حرب البسوس بقليل ، قامت هذه الحرب بين قبيلتي عيس وذبيان وسبها أن دحسا حمل قيس بن زهير سبقت الغبراء فرس « حمل بن بدر » بعد أن رد قتيبة قيس الغبراء عن بلوغ الغاية وقد ظلت من ( ٥٦٨ - ٦٠٨ م ) .

( ارجع إلى تاريخ الاسلام السياسى ج ١ : ٥٧ - ٥٩ ) و ( تاريخ العرب العام لسديو : ٥٥ ) (٤) الخنثان : داه يأخذ الطير فى حلوقها وأعينها ، وزكام يصيب الابل كالوباء . وانتشر هذا الوباء فى الابل فى أحد أعوام حكم المنصور بن ماء السماء ملك الحيرة ( ٥١٠ - ٥٣٣ م ) .

(٥) النابتة الذيباني : هو أبو امامة ، زياد بن معاوية بن ضباب الذيباني النبطاني المصري ، أحد أشراف المجاهلية وأقن شعراء الطبقة الأولى من أهل الحجاز ، كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ ، ويقصده الشعراء يعرضون عليه أشعارهم وكان حظيا عند النعمان بن المنذر ، وكان حسن شعراء العرب ديباجة ولا تكلف فى شعره أو حشو ، مات ٦٠٤ م تقريباً ( الأعلام للزركلي ج ١ : ٣٤٢ ) .

(٦) عام الذنائب : عام حدثت فيه واقعة من وقائع حرب البسوس عرفت بيوم الذنائب ، طفر فيه التلييون وقتلوا من بكر مقتلة عظيمة ( العرب قبل الاسلام لمجورجى زيدان : ٢٦٦ ) .

(٧) يوم ذى قار : فيه انتصر عرب بكر على اياس بن قبيصة حاكم الحيرة وحلفائه من الفرس وذلك من سنة ٦١٣ م = ٢ فى البيعة النبوية وقد فر اياس على فرسه ( الحمامة ) وبقيت الحيرة تحت حكم الفرس حتى فتحها خالد بن الوليد ١٣ هـ = ٦٣٣ م ( تاريخ الاسلام السياسى ج ١ : ٤٠ ) ( والعرب قبل الاسلام لمجورجى زيدان ) .

(٨) حرب الفجار : حروب أربعة وقعت بين قبائل العرب فى الأشهر الحرم قبل البيعة النبوية ، ودامت تسع سنوات وقد خاضها النبي مع أعمامه وهو ابن ١٤ سنة ( تاريخ الاسلام السياسى ج ١ : ٥٩ - ٦٣ ) ( وتاريخ العرب العام : ٦٦ ) .

أربع حروب ذكرها المؤرخون ، وأسندها الراوون . وأدنى ما أرنخوا به قبل الاسلام بحلف الفضول (١) منصرف قريش من القجار الرابع . وبحلف المطيين (٢) - وهو قبل حلف الفضول . ثم بعام الفيل (٣) وهو الجار ذو القرنى لتاريخ الاسلام . وبعده خرج امام الجمعة (٤) فطويت الصحف وجفت الأقلام .

وأظهر الله على الأديان الدين القيم (٥) ، ونسخ تاريخ الهجرة كل تاريخ متقدم ، فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الأمم ، وجبت الهجرة ما قبلها جباً الأنوار للظلم . ودفع الله الناس بعضهم ببعض ، واستدار الزمان كهيشته يوم خلق الله السموات والأرض . وسأل الله عباده على يد وكيل حقه من الأموال والأنفس ما يعيده اليهم مضاعفا من القرص .

وقوت هذه الهجرة الوقت (٦) الذى أمر به أمر الاسلام ، ويومها اليوم (٧) الذى ما ولدت الليالى مثله من بينها الأيام ، وعامها الخالص بالفضل وكل ما بعده يعد من عوام الأعوام .

وأنا أرخت بهجرة ثانية تشهد للهجرة الأولى بأن أمدها بالقيامة

(١) حلف الفضول : حلف أخذت فيه قريش على نفسها ألا تجد في مكة مظلوما إلا نصرته ولا ضالا إلا آوته وقيل كان في سنة ٥٩٥ م ( تاريخ الاسلام السياسى ج ١ : ٥٠ ) و ( تاريخ العرب للعام : ٦٧ ) .

(٢) حلف المطيين : حلف عقده عبد مناف من ولد قصي بن كلاب مع بعض بطون العربية ضد بني عصبهم - بني عبد الدار - وكانوا قد رفضوا التنازل عن امتيازات لهم من عهد جدكم قصي ، وسى بذلك لأن الطرفين المتخالفين غمسا أيديهم في إثناء طيب على مقربة من الكعبة ( سيرة ابن هشام ) .

(٣) عام الفيل : كان تقريبا عام ٥٧٠ م وقد هاجم فيه أبرهه مكة لهدم الكعبة ويحول الناس للحج إلى كنيسته بناها في صناد بايمن ، وقد أهلكه الله تعالى وجيشه كما جاء في القرآن الكريم .

(٤) هو النبي محمد صل الله عليه وسلم وهو امام الأنبياء .

(٥) في واه القوم .

(٦) سابقة في واه مثبته في ب ول .

(٧) سابقة في واه مثبته في ب ول .

معلوق (١) ، وبأن مواعدها الموعد الصحيح غير المدفوع والصريح غير المملوق (٢) ، وهذه الهجرة هي هجرة الاسلام الى البيت المقدس ، وقائمها السلطان «صلاح الدين أبوالمظفر يوسف بن أيوب» . وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسق ، وتسفر عن أهلئها دآدء (٣) المداد وتنشق (٤) ، وهي وان كانت هجرة الاسلام الى القدس (٥) ثانية ؛ فقد كان انثنى عن وطنه منها لما ثنته يد الكفر ثانية .

وهذه الهجرة أبقي المجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقي (٦) الكرّتين . فان العرب كانت اذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت ( كأنه كسر ثم جبر ) . والحق أن نقول : إن أطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نشر . والعيان يشهد أن أمنع السودين ماعمر بعد أن تُغر ، والفرق بين فتوح الشام في هذا العصر وبين فتوحه في أول الأمر فرق يتبين تبيين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

فان الشام فتح أول والعهد بالرسول صلى الله عليه وسلم غير بعيد ، والوحى ما كاد يتعطل في طريقه من السماء الى الأرض يريد (٧) ، والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسلي (٨) سيوفها من أجفانها ، والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته أوثق بخبره في الفتح منها بعيانها . ورسول عالم الغيب الى عالم الشهادة بالآيات الموثقة مختلفة ، ونجدات السماء الى الأرض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة ومردفة (٩) .

---

(١) يقال اصطق فلانا بكذا ، إذا اختصه به والمقصود أن أمد الهجرة مختص بالقيامة

(٢) أى المملوق .

(٣) دآدئ : جميع دآداء ودوؤء ، من اليالى : الشديدة المظلمة والمقصود هنا سواد المداد الذى يشبه الظلمة في لونه .

(٤) في «أ» تناسق .

(٥) في «أ» البيت المقدس .

(٦) في «أ» أخرى .

(٧) الرسول ، أو المسافة التي يسيرها وقدرت باثنى عشر ميلا .

(٨) في «أ» تسال .

(٩) مسومة : معلمة . مردفة : متتابعة .

وقد أخبرهم سيدنا وميلدهم أن الأرض زويت له مشارقها ومغاربها .  
 وأنه سيلغ ملك أمته المثوبة (١) المرحومة ماضمت عليه جوانبها . والروم  
 حيثئذ بغاث ما استنسر (٢) : والفرس يومئذ رخم ما استبصر (٣) ،  
 والحديد ماتتوت أشكاله الرائعة ، ولا طبت سيفه هذه القاطعة ، ولا نسجت  
 ثيابه هذه المانعة . والبروج لاتعرف الامشيلة لامجلة (٤) ، والمنجنيقات (٥)  
 لايثوب ما يثوب (٦) اليوم من خشبها المسندة . والأقران لاتراجع بالنيران  
 المدكاة ، والأسوار لا تتناطح بالكباش المشلاة (٧) .

وبصائر السلف الصالح رضوان الله عليهم يقاتل بها لو كانوا عزلا ،  
 والواحد منهم يسوق العشرة كما يساقون الى الموقف حفاة غرلا (٨) ، وكانوا  
 أحرص على الموت منا على البقاء ، وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهم على  
 لقاء الأعداء بذلك اللقاء .

والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه واشتعل الرأس  
 شيبا ، وهريق شبابه ، واستشش (٩) أديمه ، وقد عاد غريبا كما بدأ غريبا ،  
 وقد اطلع شرف السمتانة وهى للملك المعترك ، وكثرت معائره بما نصب  
 الشرك من الشرك ، وأخلق الجديدان ثوبه وكان القشيب (١٠) ، وذوى  
 فضنه وكان الرطيب ، ونصلت كفه (١١) وكانت الخضيب .

(١) فى واه المثابة .

(٢ و٣) بغاث الطير : شراره . الرخم ، طائر من الجوارح الكبيرة الوحشية الطباع .  
 والمقصود بالعبارتين ، أن الروم والفرس كانوا ضعفاء على الرغم من شرورهم .

(٤) البروج المجلة : أى الحصون التى فى حاجة إلى التمكن والتقوية .

(٥) المنجنيق : آلة لرمى الحجارة على الأمكنة البعيدة والمرقمة . ( القاموس المحيط ) .

(٦) فى واه ثوب .

(٧) أى المقلطة .

(٨) الغرل : الذى يمتن ، والمراد بذلك أنهم « حماة عمرة غرلا » .

(٩) أى بل جلده .

(١٠) الجديدة للتنظيف الأبيض .

(١١) نصلت كفه : حرمت من الخضاب ، وكان من عادة سادة القوم وكبرائهم الاختضاب  
 بالحناء ونحوها .

وطال الأمد (١) على القلوب ففتت ، ورائت (٢) الفتن على البصائر  
 فطمست . وعرض هذا الأدنى قد أعمى وأصم حبه ، ومتاع هذه الحياة  
 القليل قد شغل عن الجزل في الآخرة كسبه. والكفار قد خشنت عرائكهم (٣)  
 واتسعت بمالكهم ، واستبصروا في الضلال (٤) ، واستبضعوا للقتال ،  
 وخرجوا من ديارهم يخطبون غاشية الموت ، ونفروا من وراء البحر يطلبون  
 امامهم من البرناشية الصوت (٥) .

وقاتلوا جندا ورعية ، واستباحوا الأنفس متورعين فلا ترى أعجب  
 من أن ترى استباحة ورعية (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) (٦)  
 وامدهم في طغيانهم يعمهون ، ورفعوا التكاليف فلا ينزع الحديد لوضوء  
 ولا مسح ، واستشعروا لبوس البوس فلم يلبسوا وجها الامزور الشفاه  
 على القطوب بلا بشر ولا مزح . شقرا كأنما لفحت النار وجوههم (٧)  
 (وهم فيها كالحون) (٨) ، زرقا كأنما عيونهم من حديدهم فهم بقلوبهم  
 وعيونهم يكافحون ، قد نزع الله الرقة من قلوبهم ، ونقلها (٩) الى  
 غروبهم ، وعذب بهم لما يريد من تعذيبهم ، واشتعلت نار جهلهم في  
 فحم ذنوبهم ، تستعيد المردة (١٠) من مردتهم ويدعى للنار بالعون على  
 الاطلاع على أقدارهم .

ففاظ غلاظ ، جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ (١١) ،

(١) في «هـ» الأمل .

(٢) رائت : غطت .

(٣) شديد العريكة : أب شديد النفس .

(٤) استبصروا في الضلال : المقصود هنا أنهم تهادوا فيه .

(٥) ناشية : رائحة ، ونشأ الخبر ، علمه . والمقصود أنهم يطلبون كل ناطق ليقطروه .

(٦) الآية ٤٣ سورة الأنعام .

(٧) في «هـ» لفحت وجوههم النار .

(٨) الآية ١٠٤ سورة المؤمنون .

(٩) في «هـ» فنقلها .

(١٠) المردة : الجن العاتية .

(١١) شواظ : لحب لادخان فيه ، حر النار أو الشمس .

( لهم قلوبٌ لا يفقهون بها ولم أعينٌ لا يبصرون بها ولم آذانٌ لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أوائك هم الغافلون ) (١) . خلق الله الخلق من طين وخلقه من حجارة ، فهم المكئي عنهم يوقود جهنم حين قال ( وقودها الناس والحجارة ) (٢) . وإلا فالحجارة لا تستحق الوقود ، إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجلمود في الجمود .  
ومضت ملوك الاسلام ، ومضت (٣) أيامهم كالبارق وان لم يخلع الاضلام ، وزادت أيامهم الأيام خيالا فتنازع الناس (٤) طرائف الأحلام . وحاربوا هذا العدو الكافر فما أثروا فيهم ، وكانوا محاربين كسالمين وبدلوا جهدهم فلا تقول أنهم مظلومون بالعجز وما نسميهم ظالمين .

اللهم غفرا ( لكل أجل كتاب ) (٥) و ( كل يوم هو في شأن ) (٦) ولكل مقدور أجل ، ولكل ما خاق له تيسير . ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت تأخير ، والأيام تمحض وتمطل بالزبد (٧) ، والسور تتلى الى أن تأتي بالسجدة (٨) ، والناس يربنون الخروج ولكن ما أعلوا له عدة ، والعرلى كل لسان لكل قوم مدة .

إذا عجزوا قالوا مقادير قُدرت وما العجز الا ما تبحر المقادر وأبى (٩) الله من يقبل علرا صحيحا ، وكفى بلفظة النبوة لوما صريحا (١٠)

(١) الآية ١٩ سورة الأعراف .

(٢) الآية ٦ سورة التحريم .

(٣) التصحيح من واه . وفي ب و ل . ومضت .

(٤) زيادة من واه وهي ساقطة في ب و ل .

(٥) الآية ١٩ سورة الرعد .

(٦) الآية ٢٩ من سورة الرحمن .

(٧) مطل : سوف وأخر . الزبد : الخلاصة والعبارة كناية عن أن الأيام تبخل بالمطلوب

والنفيس .

(٨) في واه السجدة .

(٩) في واه أى والله .

(١٠) أى أن الله تعالى عاتب رسوله عليه الصلاة والسلام في بعض الأحيان فكيف لا يلام هؤلاء على تقصيرهم في الجهاد .

فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها ؛ وأظهر الآية التي لا أخت لها ؛  
 فنقول : فهي أكبر من أختها ؛ أفضت الليلة للماطلة إلى فجرها ، ووصلت  
 الدنيا الحامل إلى تمام شهرها . وجاءت بواحد الذي تضاهي إليه الأعداد ،  
 ومالكها الذي له السماء خيصة والحبك (١) أطناب والأرض بساط والجبال  
 أوتاد ، والشمس دينار والقطر دراهم والأفلاك خدم والنجوم أولاد  
 ( صلاح الدنيا والدين ) . ومهما دعونا له فإن الله قد سبق إليه كونا ،  
 ورأينا بين منانا وبين كرمه بؤنا . فهو سبحانه أكرم بالتوال منا بالسؤال .  
 والكريم بكرم الله مجزى ، والساكت عن الدعاء له مكفى .

فإن قلنا : أحسن الله إليه : فقد قال (إننا لا نُضِيعُ أجر من أحسن  
 عملا (٢) ) . وإن قلنا : جزاء الله بالاحسان : فقد قال (هل جزاء  
 الإحسان إلا الإحسان) (٣) وإن قلنا : هداه الله سبيله : فقد قال (والذين  
 جاهلوا فينا لنهدينهم سبلنا) (٤) : وإن قلنا : لا ضيع الله عمله : فقد قال  
 (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل) (٥) . وإن قلنا : لاجعل  
 الله لدهر عليه سيلا : فقد قال (ما على المحسنين من سبيل) (٦) . وإن  
 قلنا : زاده الله هدى : فقد قال (والذين اهتدوا زادهم هدى) (٧)

كل مسئول سائل في معاليه قد كل  
 لا يسأل منه (٨) سائل سبق الجود ما سأل  
 ولتُصحح (٩) تأملا نحمد (١٠) الله قد فعل

(١) الحبك من الساء : طرائق النجوم .

(٢) الآية ٣٠ سورة الكهف .

(٣) الآية ٦٠ سورة الرحمن .

(٤) الآية ٦٩ سورة النكيت .

(٥) الآية ١٩ سورة آل عمران .

(٦) الآية ٩١ سورة التوبة .

(٧) الآية ١٧ سورة محمد .

(٨) في (أ) منه وفي ب ول فيه .

(٩) في أ ول تصح وفي ب ول ول يصح .

(١٠) في واه نحمد وفي ب ول نحمد .

ونعود إلى ذكره - أعز الله ذكره - فجاد إلى أن لم يبق مال ولا أمل ،  
 وجاهد إلى أن لم يبق سيف ولا قتل (١) فلا كفتح على يديه فتح (٢)  
 وما هو فتح واحد ؛ ما هو الا فتحان : فتح والدم ذائب ، وفتح والذهب  
 جامد . فما البلاد التي جمعها فاتحا ، بأغرب من البلاد التي فرقها مانحا .  
 فقد استوعب بأسه أكثر مما ولدت المعادن حديدا ، وزاد لأنه ضرب  
 بالسيف التي كسر ها (مدى ومثالا) (٣) ثم ضربها ، [ واستوعب جوده  
 ما ولدت المعادن ذهباً وزاد لأنه نقل إلى الأعداء ثمن سلع ثم نهبها فوهبها .  
 فكل معادٍ معادى الا هذا المعاد . وكل مداد يكتب به أسود الا هذا المداد .  
 ( أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ) (٤) ، أما يرى الناس ما على وجه الصدق  
 من قبول القرائح ! وما على يد الجود من قبل المدائح [ (٥) .  
 الناس أكيس من أن يمدحوا ملكا ولم يروا عنده آثار احسان

وانا لرجو أن نكون قد كتبنا بمدحه مع الصادقين الذين أمر الذين  
 آمنوا أن يكونوا معهم . وأن نكون قد كتبنا مع المحسنين لأننا أحسنا وصف  
 احسان الله الى عباده ، ولم يقطع بنا ما قطعهم . وإننا كنا رعاياه لرى  
 أنفسنا ملوكا ونرى الملوك وهم له سوقة ، وإن القلم في ايدينا ليهتز طربا  
 لذكره كأنه جان : وكان السيف يشنع بأنه فروقه . ولستنا نسميه قصيرا  
 وإن جلع أنفه . ولكنا نركبه كما ركب قصير العصا الى وصف هذا الساطان  
 ليدرك وصفه .

ونقول للقلم اذا فاخره السيف ( ان شانتك هو الأبر ) (٦) ونريد  
 اذا أوردناه وصف مولانا ؛ (إننا أعطيناك الكوثر ) (٧) . على أن هذا  
 القلم يلزم الأدب لذكره - أعلاه الله - فينكس رأسه ، ويقبل بين يديه

(١) في رواية غل . والقتل : جميع قلة وهي أمل الجبل .

(٢) في رواية ( فالفتح على يديه فتح ) .

(٣) زيادة من رواية .

(٤) الآية ١٥ سورة الطور .

(٥) ما بين المقوفين ساقط في رواية .

(٦) (٧) الآيتان ٣ و ١ سورة الكوثر .



[ كما يقبل حامله الأرض قرطاسه . ولست يبعد في تقييد هذه المفاخر ، وتشديد هذه المآثر من رجال الطعن والضرب الذين قنحوا بين يديه وأوجبوا الحق عليه ، بل حتى من حقوقهم أوجه وأوجب ، وقلمى من سيوفهم أضرى وأضرب ، ومن رماحهم أخطى وأخطب ، ومن سهامهم أنجى وأنجب (١) ، ومن قسيهم أكمى وأكسب (٢) ، ومن جيادهم أسرى وأسرب (٣) . ومدادى من نفعهم أغلى وأغلب (٤) ، وقرطاسى من رايانهم أجلى وأجلب (٥) . وسيوفهم قد أغمدت وجردت منه مالا يعمد ولا يعمد (٦) ، وآثار السيف من الجراح قد رقأ دماها (٧) ، وآثارى من الذكر لا تحمل ولا تحمد .

وما السيف أسوى ضربة من لسانيا

فكل أثر خبر به غيرى يموت الخبر بموته ، وينقطع صيت الأثر بانقطاع صوته ، والذى أخبر أنا به عته روض يزهو اذا أقلمت الأيام سحبيا ، ونجم يبدو اذا أفاض الشفق على فضة النجوم ذهبيا ، فهو قول يذكر وينسى كل فعل وقاعله ، لا قول يؤثر مهما عاش اليوم عالمه ثم لا يأتى فى غد الاجاهله . فهذه الكتب تهب الأعمار الثانية . وتفاخر الألسنة القائلة بها الأيدى الكتابة البازية (٨) ] .

(١) أى أن قلته أقطع وأشد أثرا .

(٢) من قسيم أكمى وأكسب : الكسب يفتح الكاف : المجد والشرف والمعنى أن قلته يكسب المجد والشرف .

(٣) ومن جيادهم أسرى وأسرب : السرب يسكون الراء : الطريق والوجهة والمقصود أن قلته أسرع وجهة .

(٤) النفع : رفع الصوت ، والقيار يشار عند الحرب .

(٥) أجلى وأجلب : أى أشد ظهورا ، وأقوى فى جميع الناس لقيام بالحرب .

(٦) يقال: عمد الشيء : إذا أسقطه أو ضربه بالمد - والمقصود أنه لا يضرب بالمد كما تضرب السيوف .

(٧) رقأ الدم : جف وانقطع .

(٨) ما بين المقوفين ساقط فى أ

[ فانظروا الى ايوان كسرى (١) وسينية البحرى (٢) فى وصفه ،  
تجلدوا الايوان قد خرت شعثاته (٣) ، وعفرت شرفاته ، وتجلدوا سينية  
البحرى قد بقى بها اسم كسرى فى ديوانه . أضعاف ما بقى شخصه فى ايوانه ،  
وانما نراوح بين الأوصاف العادية ، ونناوب بين السمات السامية ، للإشارة  
الى من يئنه على مسماه ، وينوه بسيماه .

فأما من يقول الله لاسمه « أنت من معقبات حمدى » ويقول  
الدهر لذكره « أنت الباى من بعدى » فأما يلزم الأدب بوصف فضله  
العظيم ، ويرفع قدر القول بفضل وصفه الكريم ] (٤) .

[ ويسر الله هذه الفتوح وأنزل بها الملائكة والروح ، فى أيام سيدنا  
ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبى العباس أحمد (٥) بن الامام  
المستضى بالله أبى محمد الحسن بن الامام المستنجد بالله (٦) أبى المظفر  
يوسف بن الامام المقتدى لأمر الله أبى عبد الله محمد بن الامام المستظهر بالله  
أبى العباس أحمد بن الامام المقتدى بالله عبد الله بن الذخيرة محمد بن الامام  
القائم بأمر الله عبد الله بن الامام القادر بالله أبى العباس أحمد بن الأمير  
اسحاق بن الامام المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله ] (٧)

(١) ذكرى اقترنت أن ايوان كسرى الذى بالمدائن هو من بناء كسرى ابرويز ، وأنه كان  
هناك ايوان آخر لسابور بن أردشير .

(٢) هى القصيدة التى قالها البحرى الشاعر فى وصف الإيوان ومطلعها :

صنت نفسى صا يئس نفسى وترفت عن جدا كل جيس

والبحرى : هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى ، أبو عبادة ، ولد بمنج سنة ٢٠٦ هـ ،  
ورحل إلى العراق واتصل بالخلفاء وأولم المتوكل العباسى ثم عاد إلى الشام ، وتوفى بمنج سنة  
٢٨٤ هـ (الأعلام للزركلى ج ٣ : ١١٨٣) .

(٣) الشفقات : وهوس الجبال والمقصود أمال الايوان .

(٤) ما بين المقوفين ساقط فى « أ » .

(٥) الناصر لدين الله أبو العباس أحمد : ولد سنة ٥٥٣ هـ وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه  
المستنجد بالله سنة ٥٦٥ هـ وقد لبث فى الخلافة ٤٦ عاما ولم يزل الخلافة من هو أطول مدة من  
توفى سنة ٦٢٢ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٦١-٢٦٢ ط . دار الكتب) .

(٦) فى ب المستنجد والتصحيح من ل .

(٧) ما بين المقوفين ساقط فى « أ » .

[ أبى العباس أحمد بن الموفق بالله أبى أحمد طلحة بن الامام المتوكل على الله أبى الفضل جعفر بن الامام المعتصم بالله أبى اسحاق محمد بن الامام الرشيد بالله أبى جعفر هارون بن الامام المهدي بالله أبى عبد الله محمد بن الامام المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس صلوات الله عليه وعلى آبائه (١) الطاهرين والخلفاء الراشدين ، وهى الأيام التى زواهر أيامها زواه ، ومضاء مضاربها فى القضاء مضاه .

فما أجعلها فضلا وأفضلها جلالا ، وأقبلها جدا وأجدها اقبالا ، وأقربها ندى ونوالا ، وأبعدا مدى ومنالا ] (٢) وما أعلى سنى مجدها ، وأحلا جنى رقدتها ، وأفعم ريا رياض قضائها . وأفعم حيا (٣) حياض فواضلها ، وأسح سماء سماحها أمطارا ، وأصح جناح نجاحها مطارا . والسلطان صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أبوب ناصر دعوته وداعى نصرته ، وولى الطائع وسيفه القاطع ، والمحكم بأمره ، والمؤمر بحكمه . قرأيت ابداء ميامن هذه الأيام الغرّ على الآباد بفرر الآداب ، وقيدت شوارد معانيها ، وسيرت محامد معاليها بهنا الكتاب ، وأودعته من فوائد الكلام والقرائد القذ والثؤام ، در السحاب ودر السحاب (٤) .

وسميته « الفتح القلسمى » تنبيها على جلالة قدره ، وتبويها بدلالة فخره . وعرضته على القاضى الاجل الفاضل (٥) ، وهو الذى فى سوق فضله تعرض بضائع الفضائل . فقال لى : سمه (الفتح القسمى) فى الفتح

(٣) لقد تقال المؤلف رحمه الله فأجرى على العباس ما لايمرى لإهل الأنبياء دون سائر الناس .

(٤) ما بين المعقوثين ساقط فى « أ » .

(٥) الحيا : المطر والمصب .

(٦) السحاب : قلادة من سك وقرنفل ومحب بلا جوهر .

(٦) القاضى الفاضل : هو عبد الرحيم بن على بن محمد بن على بن محمد بن حسن النعمانى ، أبو على ، محي الدين السقلا فى المولد ، المصرى الدار ، وزير صلاح الدين الأيوبي ، برز فى صناعة الانشاء وقى العلم والبيان ، وكان مع فضله كثير العبادة ، تاليا للقرآن الكريم ديننا خيرا ، مات سنة ٥٩٦ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٥٦-١٥٧ ط . دار الكتب ) .

القدمى ) فقد فتح الله عليك فيه بنصاحة قس (١) وبلاغته ، وصاغت صيغة يانك فيه ما يعجز ذوو القدرة في البيان عن صياغته .

ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بدأت بها ، وأنذأت رياضى بسحبها ، وما شهدت الا بما شاهدته وشهدته ، وما استمطرت لإعهاد العهد الذى عهدته ، وما عنيت الا بإيراد ما عاينته ، ولا بنيت القاعدة الا على أس ما تيسرته فيسته ، وما توخيت الا الصدق ، وما انتهيت إلا الحق ، ولا ذكرت كلمة تسقط ولا اعتمدت الا ما يردى الله ولا يسخط . وبالله التوفيق والعصمة ، وله الحمد ومنه النعمة .

دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الى الأقطار والبلاد ، يستنعي من جميع الجهات جموع الجهاد ، وأهل للاستدعاء أهل الاستعداد ، واستحضر الغزو ، من الحضرة والبلو .

وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود ، واستحشاد (٢) الحشود ، واصحار (٣) الأسود ، واحضار البيض والسود ، مضى العز ، ماضى العزم ، صائب السهم ، ثائب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحشود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى (٤) ، وكفت (٥) يد رعيه الطولى من القرنج اليد القصرى ، وأقام (٦) على ارتقاب اقتراب

---

(١) هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك من بني امiad ، أحد حكماء العرب في الجاهلية ، وأسقف نجران ، أول عربي خطب متكئا على سيف أو عصا ، وكتب « من فلان إلى فلان » وقال في كلامه « أما بعد » ، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وراه في سوق عكاظ ، وسئل عنه فقال « يحشر أمة وحده » (الأعلام للزركلي ج ٢ : ٧٩٥) .

(٢) في ١٧ وأه احتشاد .

(٣) إصحار الأسود : مشهم في الصحراء ، يقال أصحار القوم ، : إذا مشوا في الصحراء .

(٤) بصرى : بلد بالشام ، كانت من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ( معجم

البلدان ج ٤ : ٤٤١ ط . بيروت ) .

(٥) كفت في بول أما في « أ » ( كف ) .

(٦) في « أ » فاقام .

الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاد أفواجا على تلك الفجاج ، لاسيما  
ابننس الكرك (١) ، فانه كان حريصا على الدرك ، ناصبا شر الشرك .  
نصب الشرك . فلما شم ذلك الذئب رائحة الأسد ، عاود دخول حصته  
حذار خروج روحه من الجسد . ووصل الحاج في أول صفر وقد قضوا  
حاجهم ، ورضوا منهاجهم ، وخرجوا عن (٢) فرضهم ، ودخلوا الى  
أرضهم ، وفرغ القلب من شغلهم ، وخف (٣) ما لزم من ثقلهم .  
وانتظر السلطان وصول العسكر المصرى المستدعى ، ورعى منه حصول  
العدد المسترعى . فأبطأ عليه وروده ، واختلفت في الاسراع وعوده ،  
فأمر ولده الأكبر الملك الأفضل ونور الدين عليا (٤) ، ولم يزل مكانه  
عنده عليا ؛ أن يقيم على رأس الأمراء برأس الماء (٥) ، وتجتمع العساكر  
لوالصلة منه تحت اللواء .

وتقدم السلطان في أتباعه وأشياعه ، الى الكرك وضياعه ، فأقام عليها  
يرهن ويزهن ، ، ويحرب (٦) ويحرق ، ويرعب بصاعقة بأسه ويرق ،  
حتى ألحق الموجود بالمعدوم ، وأتى بالقطع على البساتين والكروم . ورعى  
الزروع ، وعرى الدروع ، واستأصل الأصول والقروع . حتى أقوت من  
الأقوات ، واستعرت الغلة بغلاء سعر الغلات . وحلت آجال الأرزاق ،  
وانحلت عرا الأرماق . وأقفر بلد الشرك ، وامتلأ من الكرد والترك .

(١) هو ارناط وكان اسمه قبل مجيئه إل الشام Renauld de Chatillon ( فرج  
الكروب ٢ : تحقيق د . الشيال : ١٩٢ ) والكرك : قلعة بنواشى البلقاء بين أيلة والبحر  
الأحمر وبيت المقدس على جبل عال ( معجم البلدان ج ١٦ : ٤٥٣ ط . بيروت . ) .

(٢) في ١٧ هـ من .

(٣) في ١٧ هـ خف .

(٤) الملك الأفضل نور الدين علي : هو أبو الحسن ، ابن صلاح الدين ، ولد بمصر سنة  
٥٦٥ هـ ، كان ملك الشام في حياة أبيه ثم من بعده ، اختلف مع أخيه العزيز وعنه العادل وتقلبت  
به الأحوال إل أن صار صاحب سبساط وبق بها إل أن مات سنة ٦٢٢ هـ ( النجوم الزاهرة  
ج ٦ : ٦٢٢-٦٢٣ ط . دار الكتب ) .

(٥) رأس الماء : ميدان فسيح للحرب في حوران على بعد نحو عشرين ميلا شمال درعا

The Damascus Chronicle p 306

(٦) يقال حربه يحربه حربا . إذا سلب ماله ، ورجل حرب ومحرب : شديد الحرب شجاع .

وسار الى الشوبك (١) فأستأر به شوباً (٢) ، وأخفه من عزيه ثوباً . وأخلاه من زرع ونبات ، وفرغه من أقوات وقوات . وأذهب ضياء تلك الضياع ، وأزال بقاء تلك البقاع . وجاس الخلال ، وداس الغلال . وقشر الثرى وبشره ، وحشر الردى ونشره . وسلب قرار القرى وسكون مسكونها ، وفجع القرنج بكرمها وزيتونها ، وقد عدم ليلها المصباح ، وصباحها الاصباح .

ووصل عسكر مصر فتلقاه بالقريتين ، وفرقه على أعمال القلعتين ، وأقام على هذه الحالة في ذلك الجانب شهرين . والملك الأفضل ولده مقيم برأس الماء ، في جمع عظيم من العظماء . وعنده الجحافل الحافلة ، والخواصل الواصلة ، والعساكر الكاسرة ، والقساور (٣) القاسرة (٤) . والبواتر الواطرة . والخضرم (٥) الضرم (٦) ، والعمرم (٧) العرم ، واللهام (٨) الملتهم . والجيش الجاش (٩) ، والترك والأكادش (١٠) . والجنود والبنود (١١) والأسود السود . والقبائل (١٢) الفوائق (١٣) . واليارق (١٤) البوارق .

(١) الشوبك : بلد صغير كثير البساتين وغالب ساكنيه من النصارى وهو على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع ، به قلعة حصينة ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٤ حاشية ٣ ) .

(٢) فأسأره شوباً : الشوبة : الخديعة . والشوب ، الخلط . أسأر : أبى بغية .

(٣) جمع قسورة وهو الأسد .

(٤) القاسرة : القاسرة ، من قسره على الأمر .

(٥ و ٦) الخضرم الضرم : أى السيد المحمول الجاد .

(٧) الجيش الكثير .

(٨) الجيش العظيم .

(٩) الجاش : القاتل .

(١٠) جمع أكديش وهو لفظ يطلق على الحصان الخليل أو غير الأسيل أو الصغير غير

الجيد ، وقد يستعمل اللفظ أحياناً للخيال الصغيرة الجياد . وقد كان سلاطين المماليك يقدمونها هدايا

للأمراء (Dozy. Supp. Dict. Arabe) و(مفرج الكروب ج ٢ : ٤٢٧ تحقيق د. الشيال)

(١١) البنود : الأعلام الكبيرة ، مفردا بند .

(١٢) الفائق : الجيوش ، الرجال النظام .

(١٣) الفوائق : مفردا فلق يكسر الفاء وهو الداهية .

(١٤) اليارق : جمع يرق وهو الراية

وبنات الأغمد (١) قد برزن من خلورها حبا لمعاينة العدا ، ظامئات الى ورود (٢) الوريد وما أحسن حل نجيع الكفر على عرائس الهدى .

والعزم يستنهضه ، والعز يحرضه ، والدين يستبطيه ، والنصر يستعطيه .  
والقدر يحركه ، والظفر يدركه . والكفر قد مات من ذعره ، والاسلام قد مته (٣) بعلمه . وهو ينتظر أمرا من أيه يأتيه بما يأتيه ، ويكتب اليه ويقتضيه ، من رأيه بما رأيه يقتضيه .

ولما استمر تأخر الأمر استمر التأخير ، وقدم في الاقدام التكبير والتكبير . وانتهاز الفرصة وأحرز الحصه . وانتخى (٤) وانتخب الأجناد الأنجاد (٥) ، وجرّد الجرد (٦) واستجاد الجياد . وسرى السرية السرية ، وأمرها بالغارة على الغرة بأعمال طبرية (٧) . و(عليهم) مظفر الدين بن زين الدين على كوجك (٨) المقدم المقدام ، والمهام المهام ، والأسد الأسد . والأرشد الأشد . وعلى عسكر دمشق قائماز

---

(١) بنات الأغمد : تصد بها السيوف في أغمادها .

(٢) فب و أ (ورد) وما ذكرى ل .

(٣) مت : مد .

(٤) انتخى : افتخر وتعلم أى انتخب من يقتخر به .

(٥) الأنجاد : جمع نجد ، وهو الشجاع الماضى فيما يعجز غيره ، السريع الإجابة إلى ما دعى إليه .

(٦) الجرد : جمع اجرد وهو السباق من الخيل .

(٧) طبرية : بلدة مطلة على البحيرة المعروفة بهذا الاسم ، وهى فى طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، من أعمال الأردن فى طرف النور ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٣١ ) .

(٨) مظفر الدين كوجك : هو مظفر الدين كوكبورى بن زين على كوجك بن بكتكين التركمانى ، وكوجك معناه اللطيف القدر ، ولما ملك يمد موت أبيه ولم يتجاوز الرابعة عشرة إلا أنه عزل وولى أخوه مكانه ، ولما شب اتصل بصلاح الدين الأيوبي فزوجه أخته الصغرى ، كانت له مواقف مشهودة فى حروب صلاح الدين ، ولما مات أخوه صاحب أربل ، أخذ منه صلاح الدين حران والرها وولاه أربل وشمزور ، وكان من أحسن الملوك تمسكا بدينه .  
توفى سنة ٦٣٩ هـ ( ارجع إلى النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٨٢ ، وشنورات الذهب ج ٥ : ١٣٩ ) .

النجمي . وعلى عسكر حلب « دلدرم ياروق » (١) . فساروا  
مدججين ، وسروا مدجلين (٢) . وصبحوا صفورية (٣) وساء صباح  
المنشرين .

فخرج اليهم الفرنج في جمع شاك ، وجمر ذاك . وقنطاريات (٤)  
طائرات ، وسابريات (٥) سابغات . ولداوى (٦) دوى . وللاستارى (٧)  
هوى . والبارونى يقدم على البوار ، والترمبولى (٨) يلقي نفسه على النار .

(١) دلدرم ياروق : هو ابن ياروق صاحب تل مياشر ، توفى سنة ٦١١ هـ  
وغلفه ابنه فتح الدين ( تاريخ أبو القداء ج ٢ : ١١٥ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) .

(٢) ادليج القوم : إذا ساروا الليل كله أو آخره .

(٣) صفورية : كورة وبلد من فواحي الأردن قرب بطريقه ( ياقوت ج ١٢ : ٤١٤ ط ) .

(٤) قنطاريات : جمع قنطارية أو قنطرة وهى فى الأصل خشب الرمح أو الحريرة  
ثم اتسع استعمالها فأطلقت على الرمح نفسه ، وقد قال الأستاذ جب بأنها هى ما يطلق عليها كلمة  
lances ( ارجع إلى Dozy. Supp. والى The Damascus Chronicle P. 334  
والى الروغتين لأى شامة بتحقيق د. محمد حلى أحمد ) .

(٥) سابريات : دروع دقيقة النسيج محكمة تنسب إلى مدينة سابور .

(٦) لداوى : أحد أفراد فرقة الدلاوية أو اللدوية ، وهم قوم من الافرنج وقفوا أنفسهم  
على جهاد المسلمين وامتنعوا عن ملقات الحياة ، ولم يكن لأحد عليهم طاعة ، وكانوا ينسبون  
إلى حصن حصين بنواى الشام ، أطلق المسلمون هذا الإسم على فرسان المبد templars  
وهم جماعة أسسها Hugh de Payers سنة ١١٢٩ م لحماية طريق الحاج المسيحى  
بين يافا والقدس ثم تحولت هذه الجماعة إلى هيئة حرية دينية كان لها شأنها فى التاريخ  
الصليبي الإسلاى ( للنجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٢ ) و ( سيرة صلاح الدين لابن شداد بتحقيق  
الحقق ، نشر الدار القومية ، ١٩٦٢ ) .

(٧) الاستارى : أحد أفراد فرقة الاستارية وهى جماعة من فرسان الصليبيين لها كثير  
من خصائص الدلاوية ، ويطلق عليهم أيضاً اسم المستارية أو المستالين Hospitallers  
التي تأسست ١٠٩٩ م بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس ، وإن كانت قد نشطت قبل ذلك  
بكثير وكان هدفها الأول علاج المرضى وإيواء الحجاج ومساعدتهم ( المرجعان السابقان ) .

(٨) التركبول : فرسان ينحدر أصلهم من أمهات يورانية وآباء أتراك أو عرب ( الاختيار  
لأسامة بن منقذ : ٥١ نشر فليب حتى ) .



وقد ثاروا والثارق قد وقد ، والجو قد عقد . وقد انصدع زجاج الزجاج ، (١)  
وارتجز عجاج العجاج . وانفض القضاء ، وانفض القضاء . وكادوا يفلون  
الجمع ويمعمون الفل (٢) ، ويحلون العقد ويعقدون ما انحل .

فثبت « قايماز النجمي » في صلورهم ، وأشرع الأسته الى نخورهم .  
وروى اللهازم (٣) من تامورهم (٤) وعطف « مظفر الدين » يشلهم ويقلهم .  
ولا يكثر بكثرهم ويستقلهم . ولقيهم « دلدرم » بالوجه الأبيض ،  
والعزم الأنض . والحد الأجد ، والحد الأحد . وانجل الغبار وقد عم الفرنج  
القتل والأسار ، وفجع بقتل مقدمهم الاستار . وأفلت مقدم الداوية وله  
حصاص (٥) ، ووقع الباقون ولم يكن لهم من الملك محاص . وأخلفت  
رنة السراء أنه الإسراء ، وكانت هذه النوبة بلا نوبة (٦) . والهبة  
بلا هوبة (٧) .

وسكنت القلوب بهذه الحركة ، وركنت النفوس الى هذه البركة .  
وسارت البشري وسرت ، ودارت النعمى ودرت . وعد ذلك من اقبال  
« الملك الأفضل » وفضل الملك المقبل . وحسنت السنة بالنصر وأحسن  
الأسته في الشكر . هذا والعساكر في كل يوم يفلون ويفيدون .  
وفيما يجلون الطريق اليه من النكاية في العدو يجلون ويحمدون . وجاءتنا  
البشارة ونحن بالكر كفايقت الآمال بالنجح والدرك . وسار ساطاننا « الملك  
الناصر صلاح الدين » ووصل السير بالسرى ، وخيم بعشرا (٨) فقصت بسول  
الخيل الوهاد والذرا . واجتمع به ولده ، وقر عينا بشبل العرين اسده .

---

(١) الزجاج : مفردا زج يضم الزاي ، وهو طرف المرقق أو الحديدة في طرف الرح

(٢) أي التهمون .

(٣) اللهازم : جنح لهم ، وهو القاطع من الأسته .

(٤) التامور : النفس وحياتها ، والقلب وحيته وحياته ودمه .

(٥) الحصاص : القرار وشدة العدو في سرعة .

(٦) أي الكلال والضعف .

(٧) غيرة .

(٨) عشرا : موضع بحوران من أعمال دمشق ( ياقوت ١٣ : ١٢٥ ط.ب )

وما رأيت عسكرا أبرك منه ولا أكبر ، ولا أكرث (١) للكفر ولا أكثر . وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض . وما شاهده الا من تلا ( والله جنود السماوات والأرض ) (٢) . في ألوية كأنما عقدتها حور الجنان بجمرها . ويبارق كأنما حبتها أنف الرياض بزهرها . ويوم كالليل عجاجا ، وليل كالיום ابتلاجا . ومناصل بالمئي صات (٣) ، وقساطل (٤) بالقسي طلت . وفياق لهام اللهام (٥) يفلق . وقلوب يمانية رفاق في صدور الأعماد تفلق ، وطيور سهام من أوتار الحنايا الى أوكار المنايا تمرق . وسوانغ مفاضة ، وسوابق مرتاضة . وهضاب راسيات ، وهواضب (٦) ساريات .

ولما تم العرض ، حُسم الفرض . وتعين الجهاد ، وتبين الاجتهاد . واضطربت السهول والوعوث (٧) ، وانبعثت الهمم وهمت البعوث . وسمع القرنج بكثرة الجمع الجهم ، وزخرة اليم الخضم . وبروز التوحيد الى التثليث (٨) ، وانتهاض الطيب لادحاض الخبيث . فخافوا وخابوا ، وهبوا وهابوا . وعرفوا أن حزبهم غثول ، وأن غريهم (٩) مفاول . وأن حدهم مثلوم (١٠) ، وأن جندهم مهزوم . وأنه قد جاءهم مالا عهد لهم بمثله ، وأن الايمان كله برز الى الشرك كله .

(١) أشد غيا .

(٢) الآية ٤ سورة الفتح .

(٣) صوت .

(٤) قساطل : جمع قسطل وهو النيار .

(٥) الجيش العظيم والمدد الكثير .

(٦) هواضب : جمع هضب بكسر الميم وسكون الشاد وهو القوس الشديد . وهضبت السماء أمطرت .

(٧) الوعوث : جمع وعث ، وهو المكان السهل تنيب فيه الاقدام ، والطريق الممر .

(٨) قصد المؤلف المسيحية لأنها تقول بأن الله ثالث ثلاثة ( تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ) .

(٩) الغرب : الحدة والنشاط .

(١٠) مكسور .

وقد كان بينهم حيثئذ خلف منبث ، وحلف متكث . ووقع نثار بين الأتفار ، ووقود شرارين الشرار . ولما استدنوا حين حينهم ، سعوا في اصلاح ذات بينهم . ودخل الملك على القومص (١) ليتقمص له بالود الأخلص . ورمى عليه بنفسه ، واستبدل وحشته بأنسه . فاصطحبا بعد ما اصطلحا . واصحبا بعد ما جمعا .

وتزاور الفرنج وتوازروا . وتآمروا ماينهم وتشاوروا . وقالوا هذا دين متى دنا منه الوهي هوى ، وعود اذا عاده الأذى ذوى . فالمسيح لنا ، والصليب معنا . والمعمودية (٢) عملتنا ، والنصرانية نصرتنا . ورماحنا مراحنا ، وصحافتنا صفاحتنا . وفي لوائنا اللأواء (٣) . ومع أودائنا اللداوية الأكدواء . وطوارقنا (٤) الطوارق ، وبيارقنا البوائق (٥) . وسيف الامبتار بتار ، ولقرن الباروني من مقارنته بوار . ومعنا الدلاص (٦) والصلاد (٧) ، والصعاب والصعاد . وفي كل قنطارى قنطار ، ولكل سابرى من أستنا مسبار (٨) .

وقد عم بحرنا الساحل ، وشددنا به المعاهد والمعائل . وهذه الأرض تسعنا نيفا وتسعين سنة ، وما تضيق بنا في هذه النسنة ، وأرماحتنا إلى هذه الغاية من الأسواء أسوار هذه البقاع والأمكنة . وسلطين الاسلام ما صدقوا

---

(١) القومص : هو الكونت ريمون الثالث صاحب اماره طرابلس الصليبية ويلقب فيفس المراجع العربية بالصنجل تحريفاً لقبه الفرنسي The conte Raymond de Saint Angilles ( مفرج الكروب ج ٢ : ٢٩ تحقيق د. الشيال ) .

(٢) المعمودية : ماء لتصاري يفسون فيه صفارهم معتدين أنه تطهير لهم .

(٣) أى القوة والشدة والبأس .

(٤) الطوارق : أو الطارقيات جمع طارقة وهي الدرة أو الترس ( الروضتين لأبي شامة

ج ١ تحقيق د. محمد حلى أحد ( عن Buckler )

(٥) البوائق : جمع بائقة وهي النازلة أو الداهية .

(٦) درع دلاص : مساه لية .

(٧) الصلاد : أى الأسلحة الصلبة للمساء .

(٨) السابرى : الدرع المحكمه الدقيقة الصنع . والمسيار : المتحن لنور الجروح وبغيرها .

(١٥٥) الفتح القسى فتح الفتح القدسى ٦٥

أن يسلموا إلينا ويسالمونا ، ويذلو لنا القطائع ويقاطعونا ، وطالما ناصفونا  
وما صافونا ، وهادوننا وهادوننا . وفي جمعنا تفريقهم ، وفي وقعتنا تعويقهم .  
فقال القومص وكان محربا مجربا ، متدبرا متلدرا « هذا صلاح الدين لا يقاس  
بأحد من السلاطين لتسلطه ، وإقدامه على المخاوف وتورطه . وإن كسر كم  
مرة فلا يصح لكم الجبر . وليس إلا المراوغة والمقاورة والصبر . والصواب  
ألا نخالطه ولا نباسطه ، ولا نخالقه ونقبل شرائطه »

فقال له الملك « أنت قد قلبت الآفة ، وفي قلبك المخافة . وأنت  
للحور رخو ، وللخشية حشو . وأنا لا بد أن أصدمه وأصده ، وأكدمه  
وأكدّه (١) ، وأراده حتى أردّه . وأقيم صليب الصليوت (٢) فلا يقعد عنه  
من أهل الأحد (٣) أحد . وأمد يد الأيد (٤) لجمعي فلا تمتد لأهل الجمعة يد »  
فقبل القومص قوله على مضض ، وصح ظاهره معه على ما كان في  
الباطن من مرض . ولما (٥) أحس منه الملك بالوفاء والوفاق ؛ وعدم أهل (٦)  
الشقاء ما وجدوه بينهما من الشقاق ؛ اشتغلوا بالحشد والحشر ، والطى والنشر .

---

(١) أكده : ألج في طلبه .

(٢) صليب الصليوت : قطعة من الخشب يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام صلب  
عليها وتذكر المراجع أن هذا الصليب قد نقل إلى جزيرة قبرص بعد جلاء الصليبيين من الشام  
ثم استول المسلمون عليه عند فتحهم للجزيرة سنة ١٤٢٦ م على أنه بين يلك الجزيرة ، وراه

أحد الأوروبيين الرحالة سنة ١٤٨٨م P 102 Ziaa Mamlouk Conquest of Cyprus

(ومفرج الكروب ج ٢ : ١٨٩ تحقيق د. الشيال) .

(٣) أهل الأحد : هم الصليبيون وذلك لعظم يوم الأحد عندهم .

(٤) الأيد : القوة .

(٥) في أظلا .

(٦) ساقطة في ب ميثه في أول .

## ذكر ما كان بين ملك الافرنج وبين القومص من الخلف

لما هلك الملك أماري (١) بن فلك في آخر سنة تسع وستين (٢) وخمسمائة خلف ولدا مجنوما ، وكان مع الوجود معلوما . قد أعضل داؤه ، وأيس شفاؤه ، وسقطت أعضاؤه . وطال بلاؤه . فوضع الفرنج التاج على رأسه ، وتمسكوا مع أمراضه بأمراسه (٣) . ونفخوا في ضرمه (٤) ، وتمسكوا بورمه ، وصحوا بسقمه : ورقوا في سلمه ، ورضوا بتقلمه . وأكبروه وأركبوه . وأقنموا به وقدّموه . وهم يكرثون (٥) يجذاذ (٦) ملكهم هذا ، ولا يكرثون بجنازه ، ويخمون حماه أن يحم حلول حمامه ، وبني بينهم زهاء عشر سنين ملكا مطاعا ، معارا من إشفاقهم واتفاقهم مراعى . فلما أحس بهلاكه ، وسكون حراكه . أحضر البطررك (٧) والقسوس ، والمقدمين والرؤوس . وكان له ابن أخت صغير ، عن التطاول إلى الملك قصير ،

( ١ ) أماري : هو أموري وسمى Amarlic I ، تول ملكة القدس الصليبية سنة ٥٥٦ هـ بعد وفاة بلدوين الثالث . Baldwin III . وكان صره آتت ٢٧ سنة ، وقد تقطعت جيوشه لغزو مصر مرتين في النزاع الذي قام بها بين الوزيرين شاور وشراف ، توفي سنة ٥٩٩ هـ ( الرومانيين ج ١ : ٢٩٣ تحقيق د. محمد حلي أحمد ) .

( ٢ ) في ب تسعين وهذا خطأ والتصحيح من أول .

( ٣ ) أمراض : الجبال ، والمقصود بالعبارة أنهم تمسكوا به ولم يمرضه .

( ٤ ) ضربه : جراحة . يقال ما في الدار فلان ضربة لى أحد .

( ٥ ) كثره التمسك : اشتد عليه . جذاذ : حجارة الذهب والمقصود أنهم اعتصموا بذهب ملكهم ولم يهتوا بمرضه .

( ٧ ) البطررك : أو البطريرك صواب اللفظ Patricius يعني القائد وأحيانا يطلق على رؤساء الأساقفة على أنظار معينة أو على طائفة من طوائف المسيحيين ، وجاء في ( تاريخ العرب العام لـديو ) بأن الكلمة لقب سام جدا كان يمنحه الروم البيزنطيون لبعض الناس . وطبقة البطارقة في القسطنطينية كانت أعلى الطبقات الاجتماعية ، وهي أرق من رتبة قنصل ، وعلاقتها بالإمبراطور نسبة علاقة الكرادلة بالبابا ، والبطررك أعلى من فيلارك ( ارجع إلى الألفاظ القارسية العربية لـدي شيرط . ب ١٩٠٨ م ) وال ( تاريخ العرب العام لـديو ) .

وقال لهم : «المسك في هذا ، ولكن القومص يكفله مدة سنى صغره ، وهو يستقل به بعد كبره . فهو الآن لا يستبد ، ومن أمر القومص يستمد . فقبل القومص الوصية ، وجمع إليه الأطراف الدانية والقصية : وسكن بطبرية . فإن صاحبها كانت تزوجت به ، وطمعت في قوته وقربه .

وهلك الملك المجنوم ، وظهر السر المكوم . وطمع القومص في الملك استغلا ، فعدم موافقة الداوية . وقالوا : يلزمك العدل بشرط الوصية . فكنل بالأمر وهو مغلوب ، وتفقد اختياره فإذا هو مسلوب . ورغب في مقاربة السلطان صلاح الدنيا والدين ، ليقوى بجانبه ، ويحظى من مواهبه . فاشتد أثره ، واستند أمره : واستقل بنفسه . واستولى على جنسه ، حتى مات الملك الصغير فانتقل الملك منه إلى أمه : وبطل ما كان في عزم القومص برغمه .

وانتقل الملك إليها ، واجتمع الفرنج عليها . فقالت لهم : زوجي أقدر . وهو أحق بالملك وأجدر . وأخذت التاج من رأسها فوضعت على رأسه ، وعاش رجاءه بعد بأسه . وراش (١) غناه بعد إفلاسه ، وانتاش (٢) إبليس (٣) بعد إبلاسه (٤) وقامت قيادة القومص بإجلاسه . وطالبه الملك الجديد بحساب ماتولاه ، فما أجاب دعوته ولاباه . واستنصر عليه بسلطانا الملك الناصر ، وأقام بطبرية في زى المتناول المتناصر . وضم إليه من الافرنجية من استرغبه ، بما استباحه من سلطاننا واستوهبه .

وحث العزم السلطاني على قصدهم ليرد إليه الملك ، ويعد له في نظم أمره السلك . فلما اجتمعت العساكر الاسلامية ، وتألفت منها الجزرية والديار بكربة والمصرية والشامية ؛ جاء الملك إلى القومص بنفسه ، وفتح له ما وجده من وحشته وعدمه من أنه . وقال أصحاب القومص له : « إن لم تنصره فنحن ما نخذل الدين ، ولا نكون بأيدينا مسلمين إلى المسلمين . » وتمت بينهم ليوم المصاف المصافاة ، وزالت المتافرة والمتافاة .

(١) راس : جمع المال والأثاث واقتنى .

(٢ و ٣) انتاش إبليس : نهض شيطانه وأسرع في النهوض .

(٤) بعد إبلاسه : بعد بأسه . وأبلس : ينس وتخبر ومته سى إبليس لتعيده وليأمله

من الرسة .

ذكر دخول السلطان صلاح الدين بالعسكر إلى ديار الفرنج

أصبح بالمخيم عارضا من العسكر لعارض نجاج (١) ، وبحر بالعجاج (٢)  
عجاج . وخضم بالصواحل السواح والمناحل والصفائح ذى أمواج . وقد  
رتب أبطاله وأطلابه (٣) . وسحب على وجه الأرض سحابه ، ونقل  
به من الثرى إلى الثرى ترابه (٤) . وأطار إلى النسر الواقع من الغبار غرابه .  
وقد فصر القضاء ختام القتام (٥) . وشدت للشدائد كتب الكبت على  
حمام (٦) الحمام ، وحت ضلوع الحتايا على أجنة (٧) السهام  
وتكنفت العوجاء بالمعدلة ، وضمت المنقلة (٨) إلى المنقلة . ووفت  
الأوتار بالأوتار ، وثار كل طُلب (٩) لطلب النار . ووقف السلطان  
يوم العرض يرنب العسكر ترتيبا : ويوبه تبويا . ويعيه بعيداً وقرىبا .  
وقرر لكل أمير أمرا ولكل مقدم (١٠) مقاما . ولكل موفق موقفا .  
ولكل كين مكانا . ولكل قرن قرانا (١١) . ولكل جمر مطفئا ، ولكل

---

(١) العارض : السحاب الممطر . والعجاج : الذى يسيل مائه بمرارة .

(٢) العجاج ، بفتح الجيم ، الغبار والدخان . وبتشديد الجيم ، الصياح من كل ذى صوت .

(٣) الأطلاب : جمع طلب ، وهو لفظ كردى يطلق على الأمير الذى يقود مائتي فارس  
في ميدان القتال ، كما يطلق أيضا على القائد الذى يقود مائة جندي أو سبعين ( Dozy. Supp. )

و(السلوك المبريزى ج ١ : ٢٤٨ تحقيق دكتور زيادة) .

(٤) فى (أ) ونقل من الثرى إلى الثرى ترابه (أما فى ب ول) ونقل من الثرى إلى الثرى  
ترابه ( .

(٥) أى الغبار .

(٦) فى ب حم والصحيح من أول .

(٧) جمع جنين وهو الولد فى الرحم . ويطلق على كل مستور ولعله أراد أن حشايا الضلوع  
قد حنت على كل مستور من السهام .

(٨) فى المنقلة .

(٩) فى أ طالاب .

(١٠) فى أ مقدم .

(١١) القرن : الكفة فى الشجاعة . والقران : حبل من سلك يشد فى المتق ، والمقصود .

أنه حبل لكل سيد شجاع من الأعداء حبل يشد به عتقه .

جمع مُكْتَفَا . ولكل زَنْد موريا ، ولكل حد مَمْهيا (١) . ولكل قضية (٢)  
 حكما ، ولكل حنية (٣) سهما . ولكل يمين مقضبا (٤) . ولكل يمان  
 مقضبا . ولكل ضامر مضمارا ، ولكل مغوار مغارا (٥) . ولكل رام  
 مرتمى . ولكل نام متمى . ولكل سام مَسْمَى ، ولكل اسم مسمى .

وعين لكل أمير موقفا في المينة والميرة لا ينتقل عنه . ولا ينيب جمع  
 ولا يبرح أحده . وأخرج الجاليشية (٦) الرماة الكماة من كل طلب ، ووصى  
 كل حزب بما يقربه من حزب . وقال : إذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة  
 عساكرنا . وصورة مواردنا ومصادرنا . ومواضع أطلابنا ، ومطالع  
 أبطالنا . ومصارع أستاذنا . وشوارع أعتنا . وميادين جردنا (٧) ، وبساتين  
 وردنا . ومواقف صروفنا . ومصارف وقوفنا . ومرامى مرامنا ، ومجالى  
 مجالنا .

وقوى الآمال بما بذله من الأموال ، وحقق في انجاز المواعد وانجاح  
 المقاصد رجاء الرجال ، وجمع العدد ، وفرق العدد . ووهب الجياد وأجاد  
 المواهب ، ورغب في العطايا وأعطى الرغائب . ونثر الخزائن ، ونثل (٨)  
 الكتائن . وأنفق اللخائر ، واستفد كرائعها والأخاير . وقسم أحمال النشاب (٩)  
 ففترق الناس منه بأكثر من ملء الجعاب . وأجرى الجرد وأجنى الأجناد (١٠) :

(١) أمى الحديدة : أحدها وسقاما الماء .

(٢) في أوب قضية .

(٣) أى القوس وتجمع كلمة حنية على حنايا وحنى .

(٤) مقضب : ما قطع من الأغصان السهام أو القسي .

(٥) أى الكهف .

(٦) الجاليش : الأصل في معناها هو الراية البيظية في رأسها غصلة من الشمر ، ثم أطلقت

على مقعدة القلب في الجيش أو على العليقة منه . ارجع إل ( السلوك القريرى ج ١ : تحقيق د .

زيادة (و) سيرة صلاح الدين لإبن شداد . تحقيق محمد محمود صبح ص ١٠١ ) .

(٧) الجرد : واحدها أجرد وهو الباقي من الخيل .

(٨) نثل الكتائن : استخرج نبالها ونثرها .

(٩) النشاب : جمع نشابه وهو القبل أو السهام .

(١٠) أبجى الأجناد : كثرها .



وأذكى المذاكى وأشهد الأَشهاد . وأَذال (١) مناقب المقانِب (٢) ، واستمال معاطف المعاطب . وقوى القواطع ، وروى الروائع .

وعاد إلى المخيم مسرورا محبورا ، مقبولا مبرورا ، موفورا مشكورا . وقد رتب وربت (٣) ، وقنب (٤) وكتب ، وثبت ونبت . قد بر عمله ، وأبر أمله . وفاح نشره ، ولاح بشره . وتأرج رياه ، وتبلج بحياه . وأيقن بالظفر وظفر باليقين ، وأمن إلى الدعوى المستدعية للتأمين ، وتيمن بأوضح (٥) عرابه (٦) الميامين ، وإيضاح إعرابه في اقتضاء دين الدين . وأنس بيهجة الخيل ولمجة الخير ، وسر سره بما سرى له من وجه السير . وشد حَزْمُ الحَزْم ، وجد في العزم الجزم . وقدم الإسراج للإسراء ، وألحم العراب للعراء .

ورحل يوم الجمعة السابع عشر شهر ربيع الآخر والتوفيق مسايه ، والتأييد موازره ، والتمكين مضافره ، والسعد مظاهره ، والجد مكائره ، واليمن محاضره ، والغز مسامره ، والظفر مجاوره ، والاسلام شاكركه ، والله عز وجل ناصره . وسار على الهيئة التي قدمنا ذكرها من المقانِب المقتنية ، والكتائب المكتبة ، والمراتب المرتبة . والمذاهب المهذبة . والسلاهب المجلبة (٧) والصوائب (٨) المجعبة . والمواضب (٩) المقربة (١٠) . والثعالب

---

(١) أذال : أمان .

(٢) المقانِب : مخالف الأسد .

(٣) ربت : ربي .

(٤) يقنب قنب الأسد مخله : إذا غييه في فريسته .

(٥) أوضح : جمع وضح وهو الفرة والتجميل في قوائم الأسد .

(٦) عراب : أي ليست بهجين بل عربية أصيلة .

(٧) السلاهب : واحد سلهب وهو الطويل من الخيل . والمجنبة : التي تسيّر جنباً إلى جنب .

(٨) الصوائب : جمع صائب وهو الذي يحيد التوسيب . والمجعبة نية إلى الجعبة وهي كنانة الثياب .

(٩ و ١٠) ب و ل القواضب المقربة والتصحيح من نسخة أ .

المفربة (١) . والهاذم الهاذمة (٢) . والصلادم (٣) اللاذمة (٤) . والضراغم (٥) الضاغمة .

وخيم على خسفين (٦) ، وقد أدنى الله الحسف بالعدو وخسوفه ، وكسف الكفر وكسوفه . وبات والوجوه سافرة ، والعيون في سبيل الله ساهرة ، والأيدى لسبوف الأيّد شاهرة ، والألسن لأنعم الله شاكرة . والقلوب بالإخلاص عامرة ، والأنفس للأنس مسامرة . والإقدام بالأقدار متضافرة متظاهرة .

ثم أصبح سائراً ونزل على الأردن بنهر الأقحوانة، بزم الصيال (٧) وعز الصيانة . وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط ، وضاق ببساط خيامه ذلك البسط . وبرزت الأرض في قشب أنوابها (٨) ، وتفتح السماء لتنزل الملائكة من أبوابها . ورست سفن المضارب على تلك الأنياج (٩) ، وطمت الأطلاب أمواجاً على أمواج . وانعقدت سماء العجاج (١٠) ، وطلمت فيها أنجم الخرصان (١١) والزجاج (١٢) .

(١) الثعالب المفربة : ثعالب هنا بمعنى أطراف الرماح الداخلة في جبهة السنان ، والمفربة : الحادة .

(٢) الهاذم : واحداً لحدم وهو القاطع من الأسد . والهاذمة : القاطعة .

(٣) الصلادم : جمع صلدم وهو الأسد ،

(٤) اللاذمة : في ب اللازمة والتصحيح من لول والمعنى أنها تمجب ويولع بها .

(٥) الضراغم : جمع ضرغام وهو الأسد . والضاغمة : التي تمض .

(٦) خسفين : قرية من أعمال حوران في الطريق إلى مصر بين نوى والأردن - ( يلقوت

ج ٧ : ٣٨١ ط . ب ) .

(٧) الصيال : الذي يطو ويستطيل على خصه .

(٨) قشب أنوابها : أي جديدها . وسلاح قشيب : مجلج .

(٩) الأنياج : جمع نياج وهو وسط الثوب ومنظفه .

(١٠) العجاج : الثبار والفضان .

(١١) الخرصان : جمع خرص وهو الرمح .

(١٢) الزجاج : جمع زج بضم الزاي ، وهو الحليدة في أسفل الرمح .

وأعاد الأحموانة رياضاً فصرة ، وحطائق مزهرة . من فرس ورد (١) ،  
وفارس كالأسد الورد (٢) ومشرفيات (٣) كطافات الرياحين ، ويزنيات (٤)  
كأشجار البساتين ، ورايات صفر تحقق بعذبات الياسمين . وألوية حمراء (٥)  
كثقاتي النعان . وموضونة زغف كالغدران ، ومصقولة بيض كالخلجان .  
ومريشة (٦) زرق كالأطياف (٧) ، وعجنية (٨) عوج كالأنان ، وبيض تلعب  
كتغور الأحموان . وحجب ترائك على نغور الدارعين (٩) ، وعقبان  
صواهل تروق وتروع الناظرين والسامعين .

والفرنج قد صفوا راياتهم بصفورية (١٠) . ولووا الألوية ، ومدوا  
على مدود الضواهر الزواجر قناطر القنطاريات ، وأوقدوا في ظلام القتام  
الثائر سرج (١١) السرمجيات . وصوبوا إلى صوب قرا الأقران نياب  
اليزنيات (١٢) . وأحاطوا حول مراكزهم بلوائهم ، وحاطوا بوآثرهم  
بوآثرهم . وجمعوا الأوشاب (١٣) والأوباش (١٤) ، ورتبوا الجيش  
وثبتوا الجاش .

ومشغلوا الفارس والراجل ، والرامي والنابل ، ونشروا ذوايب

- 
- (١) في ب (رده) - والتصحيح من ل و ١٨ أ ، وفرس ورد : أي الأحمر والأخضر .  
(٢) ورد : أي جرى .  
(٣) المشرفيات : السيوف المنصوبة إلى مشارف القتام .  
(٤) يزنات : الرماح والسيوف المنصوبة إلى يزن أحد بطون حير .  
(٥) في ب حق والتصحيح من ل و ١٨ أ .  
(٦) مريشة : السهام يلقق عليها الريش ليشعلها في الهواء كما يحصل العائر .  
(٧) في أ ١٨ كالنجان .  
(٨) عجنية : قوس .  
(٩) في أ ١٨ جث ترائل على نغور الدارعين .  
(١٠) سبق الصريف بها .  
(١١) في ب مروج والتصحيح من ل و ١٨ أ .  
(١٢) أرجع إلى هاشم ٤ .  
(١٣) الأوشاب : مفرد ما وشب يسكون الشين وم غليل القلس ولرباشهم .  
(١٤) الأوباش : سفة القلس وأغلطهم .

الذوايل (١) ، وحشروا أبطال الباطل ورفعوا صليب الصليوت ، فاجتمع إليه عباد الطاغوت (٢) ، وضلال الناسوت (٣) واللاهوت . ونادوا في نوادي أقاليم أهل الأقاليم (٤) ، وصلبوا الصليب الأعظم بالتعظيم . وما عصاهم من له عصا ، وخرجوا عن العد والاحصا ، وكانوا عدد الحمى . وصاروا في زهاء خمسين ألفا أو يزيدون ، ويكيلون ما يكيلون . قد توافوا على صعيد ، ووافوا من قريب وبعيد . وهم هناك مقيمون ، لا يرومون حركة ولا يرمون (٥) .

والسلطان صلاح الدين في كل صباح يسير إليهم ، ويشرف عليهم ، ويرامهم وينكى فيهم . ويتعرض لهم ليتعرضوا له ، ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله . فربضوا وما نبضوا ، وقعدوا وما نهضوا . فلوبرزوا لبرز إليهم القتل في مضاجعهم (٦) ، وعابنوا مقام صارعهم في سوقهم إلى مصارعهم . وفرعوا عما فيه وقعوا . وجبنوا عما له تشجعوا .

فرأى السلطان أن يطيب ربه من طيريه (٧) ، ويشرف على خطتها بالخطية والمشرقية . ويحوز حوزتها ويملك مملكها . فجرّ على الأردن أردان الردينيات (٨) ، وأطلع النقع المثار من البحر بحوافر الأعوجيات (٩) ،

(١) الذوايل : النقيصة .

(٢) الطاغوت : الصنم أو هو كل رأس في الضلال .

(٣) الناسوت : طينة الإنسان في مقابلة اللاهوت .

(٤) الأقاليم : بلخ أفتوم وهو الأصل ، ويقول بعض المسيحيين إن الله تمال واحد فوأنانيم ثلاثة وهي الأب والابن وروح القدس ( تمال الله عن ذلك علوا كبيرا ) .

(٥) أي لا يبرح .

(٦) أي لكتب عليهم الموت ، يعني للوقت قول الله تمال « قل لو كنتم في يوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » .

(٧) طيرية : سبق للتعريف بها .

(٨) الردينيات : الرماح وتنسب إلى ردينة وهي امرأة اشتهرت بتفريق الرماح .

(٩) الأعوجيات : جمع أعوج وهو فرس مشهود لئى حلال تنسب إليه الخيل الجهاد .

واستسهل عليها ولم يستوعر يات العربيات . فأمر عساكره ، وأمرأه جيشه  
وأكابره ؛ أن يقيموا قبالة الفرنج ، ويضيقوا عليهم واسع النهج . فان  
خرجوا للمصاف بادروا إلى الانتقام منهم والانتصاف . وإن تحركوا إلى بعض  
الجوانب ؛ وثبوا بهم وثب الأسود بالأرانب ؛ وإن فصلوا طرية لصونها ؛  
وأن يكونوا في عونها ؛ عجلوا الإعلام ليعجل عليهم الإقدام .

## ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خواصه، وذوى استخلاصه. وأحضر الجاندارية<sup>(١)</sup> والنقائين والخراسانية والحجارين. وأطاف بسورها، وشرع في هدم معموها. وصدفها القتال، وما صدف عنها النزال، وكان ذلك يوم الخميس. وأخذ النقاؤون القنب في برج فهدوه وهدموه، وتسلقوا فيه وتسلموه، ودخل الليل وصباح الفتح مسفر، وليل الويل على العدو معتكر. وامتنعت القلعة بمن فيها - من القومصية - ست طبرية - وبينها.

ولما سمع القومص بفتح طبرية وأخذ بلده: سقط في يده، وخرج عن جلد جلده، وسمح للفرنج بسبده وبلده<sup>(٢)</sup>. وقال لهم ولا تعود بعد اليوم، ولا بد لنا من وقم القوم<sup>(٣)</sup>، وإذا أخذت طبرية أخذت البلاد، وزعجت الطراف والتلاد<sup>(٤)</sup>. وما بقي لي صبر، وما بعد هذا الكسر لي جبر.

وكان الملك قد خالفه، فما خالفه، وواقفه فما ناقفه، وماحضه فما ماذقه<sup>(٥)</sup>، ووادده فما رادده، وواعده فما عاوده، ورحل يجمعه، وبصره وسمعه. وثعابينه وشياطينه، وسراحيه<sup>(٦)</sup> وسراحيه. وأتباع فيه، وأشياع بغيه. فمادت الأرض بحركته، وغامت السماء من غبرته

---

(١) الجاندارية: وظيفة صاحبها كالتسلم لآبائهم يتأذن على دخول الأمراء القلعة ويدخل أمامهم الديوان، وكلمة جاتندار فارسية الأصل مركبة من كلمة جان بمعنى سلاح ودار بمعنى مملك (السلوك القريري تحقيق د. زيلدة ج ١: ١٢٢) و(صبح الأضنى ج ٤: ٢٠). و(النجوم الزاهرة ج ٦: ١٢٢).

(٢) السبد: ليل الشر، والبد: كثيره.

(٣) وتم القوم: أي إذا لاهم وتهرم وردهم أموا رد.

(٤) الطراف والتلاد: حديث اللال وقديمه.

(٥) ماذقه: لم يخلص له الرد.

(٦) سراحيه: جمع سرحوب وهو القوس الطويلة. وسراحين: أحدهما سرحان وهو القنب لأرأسه.

ووصل الخبر بأن الفرنج ركبوا ، وثابوا من أثبات ثيابهم ووثبوا . وعبثوا  
وعبوا . ودبوا حتى يذبوا . وشبوا النار ، وليوا النار ، وقدموا للنزول بالدار  
البدار . وذلك في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر .

فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه ، بما سبق به حكمه ،  
وسرّحتين أحاط بمسيرهم علمه . وقال : قد حصل المطلوب ، وكل  
المخطوب . وجاعنا ما نريد ، ولنا بحمد الله الجند الحديد ، والجند الحديد ،  
والبأس الشديد ، والنصر العتيد . وإذا صحت كسرتهم ، وقتلت وأسرت  
أسرتهم ، فطبرية وجميع الساحل مادونها مانع . ولا عن فتحها وازع .

واستخار الله وسار ، وعلم القرار . وجاء يوم الجمعة رابع عشر  
شهر ربيع الآخر والفرنج سائرون إلى طبرية بقضتهم وقضيضهم (١) ،  
وكانهم على البقاع (٢) في حضيضهم . وقد ماجت خضارهم (٣) ،  
وماجت ضراغمهم ، وطارت قشاعهم (٤) ، وثارت غماغمهم (٥) ،  
وسدت الآفاق غمامتهم ، وشاقت ضاريها جماجمهم .

وهم كالجبال السائرة ، وكالبحار الزائرة . أمواجها ملتطمة ،  
وأفراجها مزدحمة ، وفجاجها مخلمة . وأعلاجها (٦) مصطلمة (٧) . وقد  
جوى الجو ، وضوى الضو ، ودوى الدو . والقضاء منقض ، والقضاء  
منقض . والثريا قد استزار الثرى ، وجر ذيل الخليل قد برى البرى (٨) .

---

(١) بقضتهم وقضيضهم : القضى ، الحصى السدار والقضيض الكبار والمضى أمهم  
جاءوا بالكثير والصغير .

(٢) البقاع : كل ما ارتفع من الأرض من تل وغيره .

(٣) خضارهم : السادة الكرام الذين يتحملون عظام الأمور .

(٤) قشاعهم : واحدا قشع وهو المن من القصور والرجال والنساء والمقصود كل القوم  
غرجوا العرب .

(٥) غمام : جمع غمامة ، وهو صوت البطل عند القتال وصوت الثور عند القهر .

(٦) أعلاج : واحدا علاج وهو الرجل القضم من كفار الهم ، ويطلق مل للكثرة  
صوماً ، كما يطلق أيضاً مل الحمار الوحشى .

(٧) استأسل : استأسل .

(٨) البرى : التراب .

والخوافز الخوافز للأرض حوافر ، والقوارس اللوابس في البيض (١)  
سوافر . وفتاب النباد (٢) وأجلاد الجلال ؛ قد حملوا كل علة ، وكلوا  
كل علة .

فرتب السلطان في مقابلتهم أطلابه ، وقصر على مقاتلتهم آرابه . وحصل  
بمسكره قدامهم ، ورقب على الحملة لإقدامهم . وحجز بينهم وبين الماء ،  
ومنع ذمامهم (٣) على اللماء (٤) . وحلأهم (٥) عن الورد ، وصدعهم بالصد.  
ذلك واليوم قيط ، وللقوم غيظ . وقد وقدت الماجرة ، فوقدتها غير هاجرة ،  
وشربت ما كان في إدأوتها (٦) فهي على الظما غير صابرة . وحجز الليل  
بين الفريقين ، وحجرت الخيل على الطريقين . وبات الإسلام للكفر مقابلا ،  
والتوحيد للتثليث مقاتلا . والهدى للضلال مراقبا ، والإيمان للشرك محاربا .  
وهبت دركات النيران ، وهبت درجات الجنان ، وانتظر مالك واستبشر  
رضوان (٧).

حتى إذا أسفر الصباح ؛ وسفر الصباح ؛ وفجر الفجر أنهار النهار ؛  
ونفّر الفجر غراب الفجار ، وانتهت في الجفون الصوارم ، وانتهت في الضوالم  
الضوالم ؛ وتيقظت الأوتار ؛ وتفيظت النار ؛ وصل الفزار (٨) ؛  
وصلب القرار ؛ خرج الجالسية تحرق بنيران النصال أهل النار ، ورنّت  
القصى وغنت الأوتار . ورقصت مرآن (٩) المراد ، بلحلاء عرائس الجلال .

- 
- (١) البيض : جمع بيضة وهي الخوفة من الحفيد تلبس على الرأس لوقايتها عنه الحرب .  
(٢) النباد : النبع أو البرد .  
(٣) ذمام : الحق .  
(٤) اللماء : أي بقية الروح .  
(٥) حلأ : طرد ومنع من ورود الماء .  
(٦) الإدوة : أنه صغير من جلد .  
(٧) يقصد أن مالك غاثر النار أمد نفسه لا يستقبل أهل الكفر والضلال وأن رضوان  
غاثر الجنان مستبشر لاستقباله الشهداء من جماعة المسلمين .  
(٨) القرار : حد السيف ، أو الفرج ، أو السهم .  
(٩) مران : رماح لفته في صلابه .



وبرزت البيض من ملأها في الملاء عارية ، ورتعت السمير لكثتها من الكلى راعية .

فرجا القرنج فرجا ، وطلب طلبهم المحرج مخرجا . فكلما خرجوا جرحوا ، ويوح بهم حر الحرب فما يرحوا . وحملوا وهم ظماء ، ومالم سوى مابأيديهم من ماء القرند (١) ماء . فثوبهم نار السهام وأشوبهم ، وصممت عليهم قلوب القمى القامية وأصمتمهم . وأعجزوا وأزعجوا ، وأخرجوا وأخرجوا . وكلما حملوا رُدّوا وأرَدّوا ، وكلما ساروا وشدّوا ، أسروا وشدّوا . وما دبت منهم نملة ، ولا دبت عنهم حملة ، واضطرموا واضطربوا ، والتهنؤوا والتهبوا . وناشبههم الشباب فعادت أسودهم فتاندا ، وضابقتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذ . فأروا إلى جبل حطين (٢) يعصمهم من طوفان الدمار ، فأحاطت بحطين بوارق البوار . ورشقتهم الظبا (٣) ، وفرشتهم على الربا . ورشقتهم الحنايا ، وقشرتهم المنايا ، وقرشتهم البلايا ، وقرشتهم (٤) الرزايا ، وصاروا للردى درايا ، وللقضايا ومايا .

ولما أحس القومص بالكسرة ، حسر عن فزاع الحسرة . واقتال من العزيمة ، واحتال في المزيمة . وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطراب الجمر ، واحتداد الحرب واحتدام الحر . فخرج بطله يطلب الخروج ، واصوج إلى الوادي وماود أن يسوج (٥) . ومضى كومض البرق ، ووسع خطى خرقه قبل اتساع الخرق . وأفلت في علة معدودة ، ولم يلتفت إلى ردة مردودة . وغاب حالة حضور الوغى ، ونابه الرعب الذى نوى المزيمة به وما ولى .

ثم استجرت (٦) الحرب ، واشتجر العطن والضرب : وأحيط بالقرنج

(١) القرند : السيف ، ويقال سيف قرنء أى لا يشل له .

(٢) حطين : قرية بين طبرية وعكا ، بينها وبين طبرية فرسنتين ، ويقرية جباله بالقرب منها قبر يقال أنه قبر النبي شبيب عليه السلام . ( ياقوت ج ٧ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ط . م ) . .

(٣) الظبا : جمع ظبية يضم الظاء وسكون الباء ، وهى حد السيف أو السنان .

(٤) رقت : رقت . ورتقت الكلام ، كتبه وزينه .

(٥) يسوج : يسود .

(٦) لم تستر .

من حوالهم بما حووا إليهم ، ودارت دائرة الدوائر عليهم . وشرعوا في ضرب خيامهم ، وضم نظامهم . فحطوا على حطين مضاربهم ، وقلت حدود الرامة الكمامة مضاربهم . وأعجلوا عن نصب الخيم ورفعها ، وشغلوا عن أصل الحياة وفرعها . وترجوا خيراً فترجلوا عن الخيل ، وتجلدوا وتجاللوا فجرفهم السيف جرف السيل . وأحاط بهم المسكر إحاطة النار بأهلها ، ولجأوا إلى حزم الأرض فبلغ حزامهم الطيين<sup>(١)</sup> من سهلها . وأسر الشيطان وجنوده ، وملك الملك وكنوده<sup>(٢)</sup> .

وجلس السلطان لعرض أكابر الأسارى ، وهم يتهاونون في القيود تهادى السكارى . فقدم بدائه مقدم الداوية ، ومعه عدة كثيرة منهم ومن الاستبائية . وأحضر الملك (كى) <sup>(٣)</sup> وأخوه (جفرى) و(أوك)<sup>(٤)</sup> صاحب جبيل و(هغرى) <sup>(٥)</sup> . و(البرنس أرناط) <sup>(٦)</sup> صاحب الكرك - وهو أول من وقع في الشرك . وكان السلطان قد (٧) نذر دمه ، وقال لأعجلن عند وجدانه عدمه .

فلما حضر بين يديه ، أجلسه إلى جنب الملك والملك يجنبه ، وقرعه على ظهره وذكره بلذبه ، وقال له : كم تحلف وتحث ، وتعهد وتنكث . وتبرم

(١) الطيين : وأحداهما طوى وهي حلة القصر لكل ذات غث أوظف أوسائر أوسباع والمقصود بالمباراة أنهم يلغوا وسطها ويحرقوا أنفسهم بها .

(٢) كنود : أجمع كند بضم الكاف وسكون النون ، وهو القارص الباسل الشاكي السلاح . وهي كلمة فارسية الأصل بمعنى القرس الشديد (النجوم للزاهرة ج ٦ : ٢١٤) . و(اللائط الفارسية للبرية لإحدى) .

(٣) الملك كى : Guy of Lusignan king of Jerusalem أسرته صلاح الدين يوم حطين وذلك أسره بعد أن أقسم ألا يحاربه (مذكرات في تاريخ الصوادر الوسطى في أوروبا والشرق لمحمد رفعت) .

(٤) أوك صاحب جبيل هو Hugh II Embriacol Lord of Jebail (مفرج الكروبي ج ٢ : ١٩٧ تحقيق د. الشيال) .

(٥) في ٢٢١ مقرر وهذا مخالف لما جاء في بول وسيرة صلاح الدين لابن شداد .

(٦) سبق التصريف به .

(٧) زياده من ٢٢١ .

الميثاق وتنقض ، وتقبل على الوفاق ثم تعرض « فقال الترجمان عنه (١) يقول « قد جرت بذلك عادة الملوك ، وما سلكت غير السنن السلوك » .

وكان الملك يلهث ظمياً ، ويميل من سكرة الرعب متشياً . فأنسه السلطان وحاوره ، وفثا سورة الوجل الذي ساوره . وسكن رعبه ، وأمن قلبه ، وأتى بماء مثلوج أزال لثته ، وأزاح من العطش ماكرته . وقاوله الأبرنس ليحمد أيضاً لهبه ، فأخذه من يده وشربه . فقال السلطان للملك « لم تأخذ مني في سقيه إذنا ، فلا يوجب ذلك له مني أمنا » ، ثم ركب وخلاهما ، وبنار الوهل أصلاهما . ولم ينزل إلى أن ضرب سرادقه ، وركزت أعلامه ويأرقه ، وعادت عن الحومة إلى الحمى فيالقه .

فلما دخل سرادقه ، استحضر الأبرنس فقام إليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه . وحين صرع أمر برأسه فقطع ، وجر برجله قد أم الملك حين أخرج فارتاع وانزعج . فعرف السلطان أنه خامره الفزع ، وساوره الملع ، وسامره الجرح . فاستدعاه واستناده وأمنه وطمنه ، ومكنه من قربه وسكنه . وقال له « ذاك رداءته أردته (٢) ، وغدرته كما تراه غادرته . وقد هلك بغيه وبغيه (٣) ، ونبا زند حياته ووردها عن وريته وريته » .

وصحت هذه الكسرة ؛ وتمت هذه النصرة ؛ يوم السبت . وضربت ذلة أهل السبت على أهل الأحد ، وكانوا أسوداً ضادوا من النقد<sup>(٤)</sup> . فما أفلت من تلك الآلاف إلا آحاد ، وما نجا من أولئك الأعداء إلا أعداد . وامتلأ الملأ بالأسرى والقتلى ، وانجلى الفبار عنهم بالنصر الذي تجلى . وقيدت الأسارى بالحبال واجفة القلوب ، وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب .

---

(١) في ب ول أن والملاكور من ٢٢١ .

(٢) في ب ول أردته والصحيح من أ (٢٢ ث) .

(٣) في أ (٢٢ ث) يديه وفيه .

(٤) النقد : جلس من الغنم صغير الأصيل والعبارة كناية من أنهم عاودوا ضمها بعد أن كانوا متسلحين .

وحطت حطين تلك الجيف على متنها ، وطلاب نشر النصر بشتها .  
وعبرت بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملتقى ملقاة ، بالعراء عراة . بمنزقة  
بالمنازق ، مفصلة المقاصل مفرقة المرافق ، مقلقة المقاتل . مخوفة الرقاب ،  
مقصوفة الأصلاب . مقطعة الهام ، موزعة الأقدام . مجموعة الآناف ،  
منزوعة الأطراف . معضاة الأعضاء ، جزأة الأجزاء . مفقوعة العيون ،  
مبعوجة البطون . مخضوبة الضفائر ، معضوبة المراتر . مبرية البنان ، مفرية  
اللبان (١) .

مقصومة الأضالع ، مقصومة الأشاجع (٢) . مرضوضة الصدور ،  
مفضوضة النحور . منصفة الأجساد ، مقصفة الأعضاء . مقلصة الشفاه ،  
مخلصة الجباه . قانية اللوالب ، دامية الترائب . مشكوكة الأضلع ، مفكوكة  
الأفروع . مكسورة العظام ، محسورة اللثام . بائدة الوجوه ، بادية المكروه .  
مبشورة الأبشار (٣) ، مبشورة الأعشار . منشورة الشعور ، مقشورة  
الظهور . مهلومة البنيان ، مهتومة الأسمان . مهركة النماء ، مرهقة اللماء .  
هاوية اللرا ، واهية العرا ، سائلة الأحقاق ، مائلة الأعناق .  
مفتوتة الأفلاذ ، مبتوتة الأقفاذ . مشلوخة الهامات ، مسلوخة اللبات .  
عديمة الأرواح ، هشيمة الأشباح . كالأحجار بين الأحجار ، عبرة لأولى  
الأيصار

وصارت تلك المعركة ، بالنماء دأماء (٤) ، وعادت الغبراء (٥) حمراء .  
وجرت أنهار الدم المنهر ، وسفر بتلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر .  
فما أطيب نفحات الظفر من ذلك الحبث ، وما ألهب علبات (٦) العذاب في تلك

(١) اللبان : الصندر أو ما بين الصندرين .

(٢) الأشاجع : هي أصول الأصابع التي تتصل بحصب ظاهر الكف أو هي مروق ظاهر  
الكف .

(٣) الأبشار : جمع بشر ، وهو ظاهر جلد الإنسان . والبشر : القشر .

(٤) في بول أدماه والتصحيح من أ . (٧٢ش) ، والدأماء : البحر .

(٥) في بول النيرة والمذكور من أ (٢٢ش) .

(٦) في بول طلبات والتصحيح من أ (٢٢ش) .

الجنث ، وما أحسن عمارات القلوب بفتح ذلك الشعب ، وما أجزأ صلوات  
البشائر بوقوع ذلك الحدث . هذا حساب من قتل . فقد حصرت السنة  
الأمم عن حصره وعده . وأما من أسر : فلم تكف أطناب الخيم لقيده  
وشده . ولقد رأيت في جبل واحد ثلاثين وأربعين يقودهم فارس ،  
وفي بقعة واحدة مائة أو مائتين (١) يحميهم حارس . وهناك العتاة عنه ،  
والعداة عراه . وذوو الأسيرة أسرى ، وأولو الأثرة عثرى . والقوامص  
قنائص ، والقوارص فرائس ، وغوالي الأرواح رخائص . ووجوه الداوية  
الداوية عوابس ، والرموس تحت الأنخامص ، (٢) ومطالع الأجسام ذوات  
المقاطع والمخالص . فكم أصيد صيد ، وقائد قيد وقيد . ومشرك مكشر ،  
وكافر مفكر . ومثلث منصف ، ومكيف مكشف . وجارح مجروح ، وفارح  
مقروح . وملك مملوك ، وهاتك مهتوك . ومتبر مبتور ، ومحسر محصور .  
وكابل (٣) في الكبول (٤) ، ومقتال في الغلول . وحر في الرق ، ومبطل  
في يد المحتق .

(١) (و) ق ب ول والصحيح من أ (٢٣ ش) .

(٢) ساقطة في أ (٢٣ ش) .

(٣) في أ (٢٤ ي) كابل وفي ل مكبيل .

(٤) الكبول : القيود .

## ذكر الصليب الأعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصليوت ، وأهلك دونه أهل الطاقوت . وهو الذي إذا نصب وأقيم ورفع ؛ سجد له كل نصراني وركع . وهم يزعمون أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم ، فهو معبودهم ومسجودهم . وقد غلقوه بالذهب الأحمر ، وكللوه بالدر والجوهر . وأعلوه ليوم الروح المشهود ، ولوسم عيدهم الموعود . فلذا أخرجته القسوس ؛ وحملتة الرعوس ؛ تبادروا إليه ، وانثالوا (١) عليه . ولايسع لأحدهم عنه التخلف ، ولايسوخ للمتخلف عن أتباعه في نفسه التصرف . وأخطه أعظم عندهم من أسر الملك ، وهو أشد مصابهم في ذلك المعترك . فإن الصليب السليب ماله عوض ، ولألم في سواه غرض ، والتأله له عابهم مفترض . فهو لإلهم وتعفرله جباههم ، وتسبح له أفواههم . ويتعاشون عند احضاره ، ويتعاشون لإبصاره ، ويتعاشون لإظهاره ، ويتعاضون إذا شاهده ، ويتعاضون إذا وجلوه . ويذلون دونه المهج ، ويطلبون به القرج . بل صاغوا على مثاله صليانا يعبلونها ، ويغشمون لها في بيوتهم ويشهلونها .

فلما أخذ هذا الصليب الأعظم عظم مصابهم ، ووهت أصلابهم . وكان الجمع المكسور عظيماً ، والموقف المنصور كريماً . فكأنهم لما عرفوا إخراج هذا الصليب ، لم يتخلف أحد من يومهم العصيب . فهلكوا قتلا واسراً ، وملكوا قهراً وقسراً . ونزل السلطان على صحراء طبرية كالأسد المصحر ، والقمر المبهر .

---

(١) انثالوا عليه : تقاطروا عليه ، انصبوا عليه .

## ذكر فتح حصن طبرية

ونلب إلى حصنها من تسلمه أمانا ، وأسكنه بعد الكفر إيماناً . وكانت  
الست صاحبة طبرية قد حمته ، ونقلت إليه كل ما ملكته وحوته . فأمنها على  
أصحابها وأموالها ، وخرجت بنسائها ورجالها ورجالها ، وسارت إلى طرابلس (١)  
بلد زوجها القومص بمالها وحالها .

وعادت طبرية أهلة آمنة بأهل الإيمان ، وعين لولايتها ( صاهم الدين  
قايماز النجى ) وهو من الأكابر الأعيان . هذا والملك الناصر ، نازل  
ظاهر طبرية ، وقد طب البرية ، وعسكره طبق البرية .

---

(١) طرابلس : أو أنطرابلس ، بلد على طرف خارج في البحر ، فتحها المسلمون  
سنة ١٨٦ هـ ثم غريبوها وعمرها على مقربة منها وعلى بعد ميل مدينة باسمها ( بالقوت ج ١٣ :  
٢٥ - ٢٦ ط . ب ) .

ذكر ما اعتمده في الأسارى الداوية والاستبارية من ضرب

رقابهم وإعطاء بشر الوجوه بإعطائهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشر شهر ربيع الآخر بعد الفتح  
يومين ، طلب الأسارى من الداوية والاستبارية وقال : أنا أطهر الأرض  
من الجنسين التجسين ، وجعل لكل من يحضر منهما أسيراً خمسين (١) ،  
فأحضر المسكر في الحال مئين (٢) . وأمر بضرب أعناقهم ، واختار  
قتلهم على استرقاقهم .

وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف ، وعدة من ذوى التعفف  
والتعيف (٣) . فسأل كل واحد في قتل واحد ، وسل سيفه وحسر عن  
ساعده . والسلطان جالس ووجهه باشر والكفر عابس . والعساكر صفوف ،  
والأمراء فى السماطين وقوف . فمنهم من فرى وبرى وشكر ، ومنهم  
من أبى ونبا وعذر . ومنهم من يضحك منه ، ويتوب سواه عنه .

وشاهدت هناك الضحوك القتال ، ورأيت منه القوال القفال . فكلم  
وعد أنجزه ، وحمد أحرزه ، وأجر استدامه بدم أجراه ، وبرأعتى إليه  
بعنتى براه . ونصل خضبه ، لنصر خطبه . وأسل (٤) اعتقله ، لأسد عقله .  
وداء داواه ، لداوى أدواه . وقوة أهلبها لهلبه قواها ، ولواء  
نشره للأواء (٥) طواها . وكفر أمانته لاسلام أحياء . وشرك هدمه  
لتوحيد بناءه . وعزلة أمضاها (٦) لأمة أرضهاها . وعلو قصمه ، لولى عصمه .

---

(١) يقصد حسين ديارا (الروضتين ج ٢ : ٧٩ تحقيق د. محمد حلى أحمد) .

(٢) مئين : جمع مائة .

(٣) التعيف : التكنن ، وهو زجر الطير والاتصاف بالابتكار .

(٤) أى الرمح .

(٥) أى شدة وعنة .

(٦) فى أفضاها وهذا تصحيف وفى بضاها والتصحيح من ل .



وسير ملك الفرنج وأخاه وهنرى وصاحب جبيل ومقدم الداوية  
وجميع أكابرهم المأسورين إلى دمشق ليودعوا السجون ، وتستبدل بحركاتهم  
السكون . وتفرقت العساكر بما حوته (١) أيديهم من السبي أيلى سبا .  
وخمد جمر جمع الكفر وخبا .

---

(١) فى أ (٢٥ ش) جمت .

## ذكر فتح عكاه

ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثاء ظاهراً على أهل التلث ، مديلاً للطيب  
مزيلاً للخبيث (١) . وسار عسكره ، وثار عثيره (٢) . وظهرت راياته ،  
وجهرت آياته . ونعرت كوساته (٣) ، وصاحت بوقاته . وجالت خيوله ،  
وسالت سيوله . وطلعت في سماء (٤) العجاج نجوم خرصانه ، وقلعت  
قلائع تلك الجبال جبال فرسانه . وحفرت حوافر الصلادم أصلاب الصلاد  
الصلاب ، وفصحت بإعراب الحمام (٥) صواهل الجياد العراب .

والأمسة مشرعة ، والأعنة مسرعة . ويمحور السوايح متموجة ، وغدران  
السوايح مترجرة ، ويوارق اليارق متوجة ، ولأوضاع الجرد وغررها  
كأوضاع النصر وغرره متبلجة . ونزل عشية بأرض لوية (٦) ، للداعي  
الفتح ملياً ، ولجيش النصر معياً ، وللولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان  
مرياً . وبات بها معرساً بانياً على عروس الظفر البكر ، جانياً ثمار الأمانى  
من غروس البيض والسمر . وأصبح وقد أحصب جماح الدهر ، وصبح  
نجاح الأمر ، وحص جناح الكفر . وأسفر فجر الفرج ، وسفر وجه البهج .  
وسار ساراً سره ، بارأ بأرباب الدين بره . زائرة أسوده ، طائفة  
بنوده . ظاهرة جنوده ، زاهرة جلوده . سامية أضواؤه . هامية أنواؤه .  
رائحة مواكبه ، رائقة مراكبه . مجنبة عتاقه ، منوبة رفاقه . وكان أمير المدينة  
النبوية - صلوات الله على ساكنها - في موكبه . فكأن رسول الله - صلى الله

(١) في ب النث والصحيح من ل ومن أ (٢٦ ص) .

(٢) العثير : التراب .

(٣) كوسات : لوكوس ، صنوج من نحاس تشبه التروس الصغيرة يندق بأحدها حل  
الآخر يلتصق بخصوص (النجوم الزاهرة ج ٦ : ٦٥ حاشية ٣ ط . دار الكتب) .

(٤) في ب سماع والصحيح من ل .

(٥) الحمام : الحسنة ، أصوات التحيل الجياد .

(٦) لوية : أرض بالقرب من طبرية (مفرج الكروب ج ٢ : ٨٩ تحقيق د . الشعال) .

عليه وسلم - سير للقبر إلى نصرته من يرى به من يثريه (١) . وهذا الأمير  
( عز الدين أبو قليلة القاسم بن المهني الحسيني ) قد وفد في تلك السنة أو أن  
عود الحاج ، وهو ذو شيبة تقد كالسراج .

وما برح مع الملك الناصر ، مأثور المأثر . ميمون الصحبة ، مأمون  
المحية . مبارك الطلعة ، مشاركاً في الوقعة . فما تم فتح في تلك السنين<sup>٢</sup>  
إلا بحضوره ، ولا أشرق مطلع من النصر إلا بنوره . فرأيت ذلك اليوم  
للسلطان مسيراً ، ورأيت السلطان له مشاوراً محاوراً . وأنا أسير معهما . وقد  
دنوت منهما ليسمعاني وأسمعهما . ولاحت أعلام عكا ، وكأن ييارق الفرنج  
المركوزة عليها ألسته من الخوف تشكى . وكأن عذبات النيران تصاعدت  
بعذاب أهلها ، وقد توافرت صاكر الإسلام إليها من وعرها وسهلها .

فلما قرب منها خيم وراء تلها ، وآذنت عروش معاشر الشرك بفلها ،  
وعقود معاقدي الكفر بجلها . وأصبح يوم الخميس وركب في خميسه (٢) ،  
ووقف كالأسد في عريسه (٣) . فخرج أهل البلد يطلبون الأمان ، ويدلون  
الإذعان . فأمّنهم وخيرهم بين المقام والانتقال ، ووهب لهم عصمة الأنفس  
والأموال . وكان في ظنهم أنه يستبيح دماءهم ، ويسبي ذريتهم ونساءهم .  
وأهلهم أيّاماً حتى يتنقل من يختار النقلة ، واغتموا تلك المهلة .

وفتح الباب للخاصة ، واستغنى بالدخول إلى البلد جماعة من ذوى  
الخصاصة . فإن القوم ما صدّقوا من الخوف المزعج ، والفرج المحرج .  
كيف يتركون دورهم بما فيها ويسلمون ، وعندهم أنهم إذا نجوا بأنفسهم  
أنهم يغنمون . فترك معظمهم المدينة ، وعندهم أنه ما كسب السكينة إلا من  
ركب السفينة . وذلك أن الجند لما دخلوها استولوا على الدور ونزلوها .  
وركز كل منهم بيرقه على دار ، وقال صاحبها « كيف يصح المقام مع الأسد  
في غابة ولا مقام على زار » .

---

( ١ ) يقصد يثرب وهو الاسم القديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومى المدينة المنورة .

( ٢ ) أى جيشه .

( ٣ ) الرئيس بتشديد الراء وكسر العين ، ملأى الأسد .

وكان السلطان جعل للفقير (عيسى المكارى) (١) كل ما يتعلق بالداوية من منازل وضباع ، ومواضع ورياح ، فأخذها بما فيها من غلال ومتاع . ووهب عكاء لولده الملك الأفضل ، فأجراها من نظره على الأحسن الأجل . ودخلناها يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى فأقمنا بها الجمعة ، ووصلنا فريضتها المنقطعة . وأعدنا الكنيسة العظمى مسجداً جامعاً ، وعاد نور الهدى الخفافى بالضلالة لامعاً .

وحضر القاضي الأجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمنبر ، وتسميم بيمانه للإسلام بعد الإطلام سبى الصبح المسفر . وخطب (جمال الدين عبد اللطيف ابن الشيخ أبى النجيب السهروردى) فإنه تولى بها القضاء والخطابة ، وملانا بعد الذئاب بالآساد السادة تلك الغابة . وعلى سكان البلد دورهم ، ونغزورهم وملخورهم . وتركوها لمن أخذها ، ونبلوا ما حووه لمن حواها وما نبذها . وافترق من الفرنج أغنياء ، واستغنى من أجنادنا فقراء . ولو دخرت تلك الخواصل ، وحصلت تلك الذخائر ؛ وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر ؛ لكان عدة ليوم الشدائد ، وعمدة لنجح المقاصد فرتمت فى خضرائها بل صفرائها وبيضائها سروح الأطماع ، وطال لمستحليها ومستحليها الامتاع بذلك المتاع .

وأقام السلطان يباب عكاء على التل مخيماً ، وعلى فتح سائر بلاد الساحل مصمماً ، ولحملكمتها متمماً . وكان قد كتب إلى أخيه الملك العادل (سيف الدين أبى بكر (٢) ) - وهو بمصر بما أتاحه الله من النصر ، وقضيه له من اقتضااض الفتح البكر . فوصلت البشرى بوصوله باشراً ، وللواء الحمد ناشرأ

(١) الفقيه عيسى المكارى : هو أبو محمد ، عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد ابن القاسم ، ضياء الدين ، حضر فتح مصر مع أسدالدين شيركوه ، وحضر مع صلاح الدين فتح القدس والفروقات وكان صلاح الدين يميل إليه ويستشير به ، وكان ورعاً حفيظاً ديناً ، توفى سنة ٨٨٥ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ط. دار الكتب) .

(٢) الملك العادل : هو أبو بكر ، محمد أبو الشكر ، نجم الدين ، أيوب بن شافى ابن مردان اللؤينى ، الكركي ، دمشق ، ولد سنة ٥٣٩ هـ ، وتولى حكم الديار المصرية سنة ٥٩٦ هـ ، توفى بمالكين إحدى قرى دمشق سنة ٦١٥ هـ ودفن بدمشق (النجوم الزاهرة ج ٦ : ط. دار الكتب) .

ولاستفتاح مافى طريقه من الحصون مباشراً . وأنه فتح حصن مجدل يابا (١) ومدينة يافا عنوة ، واغتمها غزوة ، وتسلمها حظوة . فقصد من عساكرنا القصاد ، ووفد إليه من عندنا الوقاد . فحباهم بالحباء من السبايا ، وآتاهم المرباع (٢) والصفايا ، وخصهم من الحاصل بالنقود ووعدهم مما سيحصل بالنسايا (٣) .

وشرع يستضيف حصناً فحصناً ، ويستفيض حسنى وحسناً . ويستزيد بلداً ، ويستزير (٤) مدداً . ويستنزل من الكفر يداً ، ويستميل إلى الهدى هدى . والدين بسيف سيفه منصور ، والإسلام بنصر ناصرته مسرور . والملك العادل مالك بعده ، سالك نهج النجاح بفضلته . فائز العزيمة ، حائز الغنيمة ، ماضى الضريبة ، قاضى الكتيبة . مأمول الرغبة (٥) .

- 
- (١) مجديابه : أو مجدل يابه ، قرية قرب الرملة بفلسطين ، بها حصن محكم (ياقوت ج ١٧ : ٥٧ ط. ب) .
- (٢) المرباع : المكان ينبت زوجه فى أول الربيع .
- (٣) النسايا : ما يتركه المرتحلون من متاعهم .
- (٤) أن يسأله أن يزوره .
- (٥) فى ب الرغبة والتصحيح من ل .

### ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بمخيمه ، ظافراً بمنمنه ، ظاهراً بكرمه ، شاكراً عرام<sup>(١)</sup> عرمرمه . ملهياً ضرام مخنمه<sup>(٢)</sup> ، مروياً أوام<sup>(٣)</sup> لتهنمه . وأمر أمراءه بقصد البلاد المجاورة ، وأمدهم بالفراغم المراوغة المغاورة .

---

(١) عرام : شدة .

(٢) مخنم : القاطع من السيوف . آلة الخنم .

(٣) أوام : عيش .

## فتح الناصرة (١) وصفورية (٢)

فسار (مظفر الدين كوكبورى) إلى الناصرة فاستباح حماتها ، واستبي دماها . وحلها واستحلها ، وأزالها وأزالتها (٣) وخف إليها واستخفها ، واستشفها وشفها (٤) . وشافهها يشفار البواتر ، فشفه منها موالد اللخائر واجتلى عرائسها ، واجتنى مغارسها ، وجمع نقاشها ، ونزع ملابسها ، واستلرُ طَبِيْهَا ، واسترد سبيها .

واستقل منها بما استقل به . من كل غانية عانية (٥) ، ورقيقة رفيقة ، ومصابة مُصْبِيَّة ، ومسيية مصبِيَّة ، ومجلولة مجلولة ، وسالبة مسلوبة ، ودمية دامية ، وجارية لطيفة بالعنف جارية ، وأسيرة من أسرة ، وحاضرة عن حصرة . وثاكلة لواحدھا ، وآكلة لساعدها ، وعاضة على يديها ، وفاضة ختم الدمع على خديها . وناهلة متنهدة ، وفريدة متفردة ، وناعمة شقية ، وقيسة نقية . وعلراء مفرعة ، وحسناء منزعقة . وعظفة عطفقة ، وقوية مستضعفة . وعزيزة ذليلة ، وصحيحة عليلة . وساجية عبرى ، وصاحبة سكرى . وغريرة غراء ، وظلية ظمياء . وغضبيضة غضة ، وفضة منفضة . وخمارة مخمورة . وسحارة مسحورة . ومخلرة مهتوكة ، وموقرة منهوكة وجاعوا بالأسارى بين يديه مقرنين فى الأصقاف ، مقودين فى الأقياد . مسوقين إلى السوق ، والحديد منهم فى الأعناق والسوق . وصفرت صفورية من سكانها فلم يوجد بها صافر ، وكان بها من اللخائر مبلغ وافر .

(١) الناصرة : قرية بينها وبين طبرية ١٣ ميلا ، منها اشتق اسم النصارى لأن المسيح عليه السلام سكنها فلقب إليها (ياقوت ج ١٨ : ٢٥١ ط . ب) .

(٢) سبق التصريف بها .

(٣) أى أسقطها .

(٤) شفها : أوفنها .

(٥) عاتية : مأسورة ، عنى . عناق القوم : صار أسيراً فتم .

### فتح قيسارية (١)

وتوجه ( بنو الدين دلدوم ) و( غرس الدين قليج ) وجماعة من الأمراء إلى قيسارية فافتتحوها بالسيف ، وسلطوا على الأنفس والنفائس بها حاكمي الختف والخيف ؛ وسبوا وحبوا وسلبوا وحبوا . وجالوا ونالوا . ووقدوا (٢) وأخذوا ، واحتووا وارتووا ، وربطوا وضبطوا . واستفادوا واستفادوا ، وفرسوا الفوارس ، وكنسوا الكنائس ، واستبوا الأبقار العرائس . والعون (٣) العوانس . وتسلمت بعدها ( حيفا ) و ( أرسوف ) (٤) واستولى على تلك الشمس والأقمار الكسوف والخسوف :

---

( ١ ) قيسارية : بلدة على ساحل ( البحر الأبيض المتوسط ) من أعمال فلسطين ( ياقوت ج ١٦ : ٤٢١ ط. ب ) .

( ٢ ) وقد : صرح .

( ٣ ) العون : عانت المرأة ، تمون ، صارت عوانا أى فى منتصف عمرها ، وعون جمع عوان .

( ٤ ) أرسوف : مدينة على ساحل الشام بين قيسارية ويافا ( ياقوت ج ٢ : ١٥٢ ط. ب )



## فتح نابلس (١)

وسار (حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين (٢) على سمت نابلس حامياً بحسامه داء الشرك ، مائلاً بسهام الفتك جعاب الترك . تالياً آى الفتح ، جالياً رأى النجح . ووصل إلى (سَمَسْطِيَّة) (٣) فتسلمها . وتعجل مغنمها . ووجد مشهد (زكريا) عليه السلام — قد اتخذ القسوس كنيسة ، وأعادوها بالصور والآلات النفيسة أنيسة . فاستخرج المصونات والمصوغات ، واستوعب العدد والآلات . وأعادته مشهداً ، وردده مسجداً . ووضع فيه من بره بالإسلام متبراً ، وأصبح الدين به مُثرياً والكفر مقترأ .

ثم أناخ على نابلس وناب حله غير ناب ، وطرف حله غير كاب .  
وحد بأسه(٤) طرير ، وناظر الدوثة به قرير . وكان من قبل مُسلبسا كنوها من الفرنج والنصارى السكون . وأيقنوا أنهم إن أقاموا لا يأمنون المذن . فإن المسلمين بها وبأعمالها نهضوا إليهم في مواطنهم ، فأجفلوا من مساكنهم ، وانتقلوا من أماكنهم . وخلوا دورهم وأخطوها ، وتسلبوا منها وسلوها . وتحول الأقوياء إلى قلعتهما ، وتحصنوا بتلعتها(٥) . ونازها (حسام الدين) وحاصرها ، وطال عليه حصرها وصابرها . ولم يزل عليها مقيماً ، واقتتلها مديماً ، إلى أن وثقوا بأمانه ، وعلقوا بإحسانه . وسلموا وسلموا ، واستأمنوا وأمنوا . وخلصت

---

(١) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبيلين (ياقوت ج ١٨ : ٢٤٨ ط.ب).

(٢) حسام الدين لاجين : هو محمد بن عمر بن لاجين ، ابن ست الشام أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة ٥٨٧ هـ (التجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٦٤) .

(٣) سمسطية : ذكرها ياقوت «سبسطية» وهي مدينة من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس (ياقوت ج ١ : ١٨٤ ط.ب) .

(٤) طرير : محدد .

(٥) تلعة : عالا أو ما هبط من الأرض ، الجبل ، المرتفع من الأرض وهو المقصود .

له نابلس وأعمالها ، وحليت به أحوالها . ولكون معظم أهلها وجميع سكان  
نواحيها مسلمين ؛ لم يسع الفرنج المتحصنين عند مضايقتهم إلا أن يكونوا  
لخصمهم مسلمين . فأنمحي بالسعود رسم النحوس ، ونزعنا عنها لبوس  
البوس ، واستبشرت وجوه أهلها بعد العيوس ، وقام جاه الآذان وانكسر  
ناموس الناقوس .

## فتح القولة (١) وغيرها

وكانت القولة أحسن قلعة وأحصنها ، وأملأها بالرجال والعدد وأشحنها . وهى للدلوية حصن حصين : ومكان مكين ، وركن ركين . ولهم بها منبع منبع ، ومريع مريع ، وسند مشيد ، ومهاد مهيد . وفيها «شتاهم ومصيفهم : ومقراهم ومضيفهم . ومربط خيولهم ، ومجر ذيولهم ، ومجرى سيولهم ، ومجمع اخوانهم ، ومشرع شيطانهم ، وموضع صلبانهم . ومورد جمعتهم (٢) ، وموقد جمرتهم :

فلما اتفق يوم المصاف خرجوا بأجمعهم إلى مصرعهم ، واثقين بأن الكثر لا يتمكن من صفو مشرعهم . فلما كسروا وأسروا : ونحسروا ونحسروا ، خلت طول القولة : بمحدود أهلها المقلولة ، ودماء داويتها المقلولة ، ولم يحتمع شمل غمودها بالسيوف المسلولة .

ولم يبق بها إلا رعايا رعا ، وغللمان وأتباع ، وأشياع شعاع (٣) . فعلموا إمكان حماية المكان ، ووجدوا أمنهم في الاستئمان ، فسلموا الحصن بما فيه إلى السلطان ، وكانت فيه أخاير اللخائر ونفائس الأعلاق (٤) ، فوثقوا بما أحكموه من الميثاق . وخرجوا ناجين ، ودخلوا في المنام لاجين ، وللسلامة راجين . وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل ( دَبُورِيَّة ) (٥) و ( جينين ) (٦) و ( زَرْعِين ) (٧) و ( الطور ) (٨)

(١) القولة : بلدة بفلسطين ( ياقوت ج ١٥ : ٢٨٠ ط.ب. ) .

(٢) جه : هنا بمعنى الكثرة .

(٣) شعاع : أى مطرقتين .

(٤) الأعلاق : واحدها علق وهو التنفيس من كل شيء .

(٥) دبورية : بليد قرب طبرية من أعمال الأردن ( ياقوت ج ٨ : ٤٣٧ ط.ب. ) .

(٦) جينين أوجاينين : بلدة حسة بين نابلس وبيسان من الأردن ، بها مياه وعيون

(الفهرس الجغرافى لكتنب النوادر السلطانية ط. ليث و ق م G) .

(٧) زرعين : موضع من نواحي الأردن ( المرجع السابق رقم S ) .

(٨) الطور : جبل مغل على طبرية الأردن بينهما أربعة فرائخ ( النجوم الزاهرة

ج ٦ : ٢٢١ ط. دار الكتب ) .

و (اللجون) (١) و(يسان) (٢) و(القيصون) (٣) . وجميع ما لطيرية  
وعكا من الولايات . و (الزيب) (٤) و (معليا) (٥) و(البجنة) ،  
و(اسكندرونة) (٦) و(منوات) (٧) .

- 
- (١) اللجون : بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا في وسطها صخرة ملورة  
عليها قبة يقال إنها مسجد أبراهيم عليه السلام (ياقوت ج ١٧ : ١٣ و ١٤ ط.ب.) .
- (٢) ييسان : مدينة بالأردن بالنور الشامي بين حوران وفلسطين (ياقوت ج ٤ :  
٥٢٧ ط.ب.) .
- (٣) القيصون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (ياقوت ج ١٦ : ٤٢٤ ط.ب.) .
- (٤) الزيب : قرية قرب عكا على (ساحل البحر الأبيض المتوسط) وتعرف بشارستان  
عكا (ياقوت ج ١٠ : ١٦٢ - ١٦٣ ط.ب.) .
- (٥) معليا : من نواحي الأردن بالشام (ياقوت ج ١٨ : ١٥٨ ط.ب.) .
- (٦) اسكندرونة : مدينة في شرق انطاكية على (ساحل البحر الأبيض المتوسط) بينها  
وبين أنطاكية ثمانية فراسخ (ياقوت ج ٢ : ١٨٢ ط.ب.) .
- (٧) منوات : بلدة بسواحل الشام قرب عكا (المرجع السابق ج ١٨ : ٢١٦) .

## فتح تبين<sup>(١)</sup>

ولما خلصت تلك الممالك والأعمال ، وقلصت من الضلال تلك الغلال ؛ وصفت الممالك ؛ ووفت المدارك ؛ أوعز السلطان إلى ابن أخيه الملك المظفر ( عمر بن شاهنشاه تقي الدين )<sup>(٢)</sup> بقصد حصن تبين ، وأن يتوكل على الله فيه ويستعين . فألقى عليه جران باسه ، ولقى بالتليل حران ناسه ، وأخذ في مضايقته بأنفاسه ، ولمح مالمع من قبس فتحة فشعف باقتباسه . وسنح له قنصه فاشرب باقتناصه واقتراسه .

وكتب إلى السلطان يبعثه على الوصول إليه بمسكركه ، والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره . فضرب الكوس وسمت النفوس . وأنارت في ظلام القتام من الترك والترك<sup>(٣)</sup> الأكمار والشموس ، واشتعلت من شيب البيارق في شعاع تلك البوارق الرعوس . وتحرك السواد كهيل النقا<sup>(٤)</sup> ، واشتبك على الآساد غيل القنا . وسالت الأودية بالسباحات العتاق ، وطالت على السير أعناق الإعناق<sup>(٥)</sup> . ومالت إلى الرقاب الغلاظ من أهل الكفر وقاب الرقاق . ( وجرت الفجاج ، وجرت الزجاج<sup>(٦)</sup> ) وتموجت الأفواج ،

---

(١) تبين : أوتينا . بلدة في جبال بني عامر المطلّة على بانياس بين دمشق وصور ( ياقوت ج ٥ : ١٤ ط . ب ) .

(٢) الملك المظفر تقي الدين عمر : هو عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، أبو سعيد . أصطاه عنه صلاح الدين حماء وعدة بلاد من حماء إلى ديار بكر ثم طبع في بلاد الشرق فقامت بيته وبين صاحب خلاط عدة وقائع وحروب ، كان شجاعاً مقداماً ، كما كان شاعراً ، مات ببلاد الشرق سنة ٥٨٧ هـ فنفن في ميافارقين ثم نقل إلى مدرسته بمجاه بعد ذلك ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٤ ط دار الكتب ) .

(٣) الترك : واحصا ترك وهي بيضة الحديد ( الخوذة ) .

(٤) مهيل النقا : مكان رملي محمودب مخيف ذو أهوال .

(٥) أي الجماعة من الناس ، أو الرؤساء .

(٦) زيادة من أ ( ٣١ ش ) .

وتفوتجت (١) الأمواج . وتحركت غدران السوايف (٢) من رياح السوايف ،  
ولتدركت ضوامن الضوامر بالأرفاد في أرداف الحق اللاحق ، وأسفر من  
بريق البيض (٣) والبيض (٤) فتق الفياق .

وترنمت الصواهل ، وترنمت النوايل ، وساح الساحل ، وراح الراحل .  
ووصلنا إلى (تبين) في ثلاث مراحل . فرمينا أهل التلث فيها بثالثة  
الأثافي (٥) ، وأوطأناهم بشفاه الشفار (٦) على حدود الأشافي . ونزلنا  
عليها بالنوازل . وبسطنا من المجانيق عليها أيدي الغوائل . فتلبنوا من  
لرعب ، وتجللوا على الحرب . ثم نحاروا وحاروا ، وجأروا وجاروا .  
ورغبوا ورهبوا ، وصحوا من سكر الجماع وأصبحوا . وعجزوا فجزعوا ،  
وفزهم الحصر وفزعوا . وشكوا التلوب وتلبوا ، فدانوا ودنوا . وأذعنوا  
إذعنوا ، واعتلروا مما جنوا .

وراسلوا السلطان ، وسألوا الأمان . واستمهلوا خمسة أيام لينزلوا  
بأموالهم فأمهلوا . وبذلوا رهائن من مقنمهم ووفوا بما بذلوا . وأقلع من  
بالقلعة عن الجهلة ، وتعلق لبث العلق (٧) بالمهلة . وترقبوا باطلاق الأسارى  
المسلمين . وترقبوا اقتضاء المهلة لسلامة المسلمين . فخرج المأسورون -  
مسرورين ، وأصبح الصبح للكسورون مجبورين . محبورين بالفرج بعد  
الشدة مجبورين .

وسر بهم السلطان وسر بهم (٨) ، وأقرهم وقربهم . وكساهم

---

(١) أي صارت أمواجاً .

(٢) العبارة في أ (٣١ ش) : وجرت الزجاج ، وتفوتجت الأمواج ، وتحركت غدران

السوايف .

(٣) أي خوذات الحرب ومفردها بيضة يسكون الياء .

(٤) أي السيوف ومفردها أيض .

(٥) يقال رميناها بثالثة الأثافي ، أي بالشر كله .

(٦) الشفار جمع شفرة ، وللقصود هنا حدود السيوف .

(٧) أي الأشغال .

(٨) أطلقهم .

وحياهم ، وآتاهم بعد ردهم إلى مغانيهم غناهم . وهذا ذأبه في كل بلد  
يفتحه ، وملك يربحه ، أنه يبدأ بالأسارى فيفك قيودها ، ويعيد بعد  
عدمها وجودها ، ويحيى بعد اليأس آمالها . ويوسع أرزاقها بعدما  
أُجال عليها ضيق الأسر آجالها . فخلص تلك السنة من الأسر أكثر من عشرين  
ألف أسير للقيود ألف ، ووقع في أسرنا من الكفار مائة ألف .

ولما خلوا القلعة وأخلوا البقعة ؛ سيرهم ومعهم من العسكر المنصور  
من أوصلهم إلى صور<sup>(١)</sup> ورتب في الموضع مملوكه ( سُقر الدوى ) ،  
فأرشد به ذلك الصقع الغوى . فلن أعمال جبل عاملة<sup>(٢)</sup> مجبولة على  
الشر ، وأهلها وان كانوا مسلمين كانوا أعوانا لأهل الكفر ، فوصى سُقر  
بتأنيس النافر ، وتعكيس الكافر . وتألّف الجافل ، وتعريف الجاهل . وقال له  
« تَبْنِي تَبْنِينَ ما هدم بالمنجنيق ، وتجد لسورها وخندقها كل ما يمكن من  
التوثيق والتعميق » ، ورحل ومعه رفيق التوفيق . وكان النزول على تبنين ،  
يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى ، وتسلمها يوم الأحد الثامن عشر منه .

---

(١) صور : بلد مشرف على البحر الأبيض المتوسط ( بحر الشام ) داخلة فيه ، يحيط  
الماء بها من جميع الجهات إلا من الجهة الداخلة على بعد ستة فراسخ من عكاه إلى جهة الشرق منها  
( ياقوت ج ١٢ : ٤٣٤ ط . ب ) .

(٢) جبل عاملة : يقع عند ملتقى الطرق الموصلة بين صفد وتبنين وبانياس

( The Damascus Chronicle )

## فتح صيداء (١)

يوم الأربعاء الحادى والعشرين من جمادى الأولى يوم النزول عليها

وسنحت له صيداء فتصلى لصيدها ، وكانت همتة فى قيدها ، وبادوها  
إشفافاً من مكر العداة وكيدها. وسرنا وسرنا مرتاح، ونصرنا متاح، والحد جديد  
والمزاح مزاح . والعزم جزم ، والحكم حتم . ونفحات الفتوح لمناشق أهل  
الهدى تفوح . ونفحات (٢) الردى لأعين العدا تلوح . ونص النصر قد  
تنزل ، وقصد الصديق قد تعدل . وفكر الكفر قد توزع ؛ وشرك الشرك  
قد تقطع وتقلع . وظل الظفر ضاف ، وسر السرور غير خاف . والقدرعون  
والمعين قادر ، والنظر سعيد والسعد ناظر . وأوجهنا وأوجه البشائر باشرة ،  
ونيوب التائب فى أوجه المشركين كاشرة ، والأكنس لحديث الفتح الحديث  
ناشرة . وقد جفت أعضائها البواتر الواترة . وجلت دياجير (٣) النقع من لمعان  
الحديد السوافر الوافرة . واتصلت للممالك (٤) من الملائك أمداد النصرة  
المتواترة .

ووصلنا فى يومين إلى صيداء إلى منهل فتحها صادين (٥) ، وعن حمى  
الحق دونها لأهل الباطل صادّين. ولما نزلنا من الوعر إلى السهل سهل ماتوعر ،  
وصفا من الأمر ماظن أنه تكدر . فصرنا الأعنة إلى صرّقند (٦) ،

---

(١) صيدا : بلدة شرق صور على بعد ستة فراسخ منها . سقطت فى يد الفرنج سنة ٥٠٤هـ

وبقيت فى حوزتهم حتى استنقذها صلاح الدين سنة ٥٣٨هـ - ( ياقوت ج ١٢ : ٤٣٧ - ٤٣٨ طاب ) .

(٢) فى ب نفحات والتصحيح من ل ومن ا (٣٣ى) .

(٣) دياجير : واحدا ديجور وهو الظلام أو التراب الأغبر الضارب إلى السواد كالرماد .

(٤) فى ب المالك والتصحيح من ل وا (٣٣ى)

(٥) صاد لى عطشان بشدة .

(٦) صرّقند : من قرى صور ! بين صور وصيدا على ساحل بحر الشام ( البحر الأبيض

المتوسط ) ( ياقوت ج ١٢ : ٤٠٢ ط ب ) .



وأسمنا<sup>(١)</sup> في مسارحها الجند . وهي مدينة لطيفة على الساحل ، مورودة المناهل . ذات بساتين ، وأزهار ورياحين . وأشجار التارنج والأترنج تعرب مسراتها لجنتها عن أشجان القرنج . فجسنا خلالها ، وكل قلب مشغول خلالها . وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية . وقرتنا بما اشتهينامن فواكهها تلك القرية .

ولم نخرج عليها حتى خيمنا على صيداء وقد حصلنا على صيدها ، وخلصنا من كيدها ، وانطلقت هممتنا من قيدها . فقد جاءت رسل صاحبها . بمفاتيحها ، وأذهبنا ظلماتها من العزائم الفر بمصاييحها ، وطلعت الراية الصفراء<sup>(٢)</sup> باليد البيضاء على سورها . وجلت غياهب تلك المذاهب بنورها ، وفحت أبوابها ، وأنجحت آرابها . وعز مسلموها ، وذل مشركوها وسكن ساكنوها ، وهلك أهلوها . وعادت معالمها مأهولة بعد أن كانت مقفرة مجهولة . وصدق منبرها ، وصدق مفخرها . وريح منجرها ، ووضح منظرها . وأقيمت بها الجمعة والجماعة ، واستديمت بها بعد العصيان لله الطاعة .

---

(١) اسم : أي أرمي .

(٢) هذه إشارة إلى لون راية صلاح الدين .

## فتح بيروت

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشرى جمادى الأولى وتسلمها

يوم الخميس التاسع والعشرين منه

ولما فرغ من شغل صبيداء وتبين ؛ وجمع لهما التحصين والتحسين ؛  
قال لعصمة الله شيدى مابصيدةاء وتبين وتبين . وأخفيهما رداء الحماية  
فما يضيع ما تحفظين ولا يطرق ما تحمين ، ثم صرف عتانه ، وأرهف  
سنانه (١) . ورحل على سمت بيروت ، مائلاً بعسكره الآكام  
والمُروّت (٢) . وسار على الساحل ، بترك الحماقل . يبحر على البحر  
مائج ، ومَجْرُ مُجْرٍ إلى الهياج هائج ، وتقد من عقد الجدر رائج ،  
وعزم على صدق القصد عائج (٣) .

ووصل لاليها ونزل عليها . وبنيت القباب ، وطقاً على خضم المعسكر  
من الخيم الحباب (٤) ، وزحف إلى الأعداء الأحباب ، وضويق البلد ،  
وفورق الجلد . وأحاط الرجال بأرجائه ، ورجمت بشبه النصال شياطين  
الضلال في سمائه . وانقضت نجوم السهام من أبراجه ، وتلاطم  
عباب ذلك الجمع الجم بأمواج أفواجه . وترجل دونه الناس ، وتمجل نحوه  
الباس ، واصطفت التراس ، واشتد المراس . واحتد القتال ، واحتدم  
النزال . وامتد المصاع (٥) والمصال (٦) .

واتصل خروج الجروح (٧) للجروح : ودام احتراق الروح على اقتراح

---

(١) السنان : نصل الرمح .

(٢) المروت : جمع مرت ، وهى المغازة أى الأرض لانبثاقها

(٣) عائج : عاجل بمعنى مال وصطف .

(٤) الحباب : القفاقيج التى تملو الماء أو النحر .

(٥) المصاع : القتال .

(٦) المصال : مكان الصولة أو الاسطاة .

(٧) الجروح : جمع جرح ، وهى آلة حربية كانت تستعمل لرى السهام والنفط المشتعل

والحجارة (Dozy· Supp. Dict. Arabe)

القروح . ومدت الجفاني (١) — كأنها أعتاق البخاني (٢) : وأنى العاني ، وعنا الآتي ، وأحمد النصر المواني المواني ، ودارت كؤوس المنايا للأرواح بخذي وهاني . وطارت القوارير ، وثارت المساعير . واشتعل النفط ، واشتغل الرهط . واتهم الزرق ، واتهب الحرق . ومرق الشهم الكمي ، مروق السهم من الرمي ، وأنى الوادي فطم على القرى (٣) . ودبت الدبابه (٤) بلبوث الرجال ، وصبت الصبابة غيوث النبال ، وارتجزت رواعد الأبطال ، وانتجزت مواعد الآجال ، وجالت في الضمائر ضوامر الأوجال ، وهالت بالنوازل نوازي الأهوال .

ورعدت بوارق البوار ، وأسعدت الأقدار بالإقدار . وشغلت الرقاب قواضي القواضب ، وحملت العدد النواكب على المناكب . وخفت للأثقال أكتاف الفتاك ، وهتكت ستائر السور فوهت أشراك الإشراك .

ودام القتال أياما ، يتضاعف اصطلاء واصطلاما ، ويتظاهر اضطرابا واضطرابا . وبنات الحنايا هائجة ، وأمات المنايا نائجة . ورجمت بشهب التفاسطات (٥) شياطين الداوية المردة ، وتعادت الأسود العادية على أولئك القردة . حتى خرق الخندق وطرق ، وعلق النقاب بالسور فتقب وعلق .

(١) الجفاني جمع جفتا ، قال Dozy بأنها تقابل الكلمة الفرنسية *pallisade* بمعنى السياج الستر ، وأضاف الدكتور جبال الشيال في مفرج الكروب ج ٢ : ٨ بأنها كانت نوعاً من المتراس أو الحاجز المحيط بضمير العدو . أو المتر الذي يستتر وراءه الجنود الرماة أثناء القتال .

(٢) البخاني : جمع بخت وهي الإبل الخراسانية .

(٣) القرى : كل شيء على طريق ولحد ، وسيل الماء من الريوة إلى الريوة وهو المقصود .

(٤) الدبابه : شبه برج متحرك يكون أحيانا من طبقات أربع من خشب أو حديد أو حراس أو نحاس يتحرك على عجلات ، في طبقته يستقر الجنود لمهاجمة الحصون أو تسلق الأسوار وأبسط صورة لدبابه هي أن تكون من خشب مكمو بمجلة قد تقع في المل لعيناتها من الاحتراق . *Dozy* . *Suppl. Dict* . و (السلوك ج ١ : ٦٦ تحقيق د. زياده) .

(٥) التفاسطات : جمع فطاطه ، وهي أداة من النحاس يرى فيها بالنفط ( القاموس المحيط للفيروزابادي) .

وكاد النقب يتسع ، والبرج يقع . والجلدار ينقض ، والحجار بالحجار تنفض وترفض . وسوار السور ينكسر ، وقناع النقع لا ينحسر .

وخرج من البلد رجال ، إلى الموت عجال . وقفوا دون الباشورة (١) مباشرين ، ولماشر أصحابنا بمعطات كؤوس المنون معاشرين . فقلقوا بسلام السلام ، وكلام الكلام . وتصافحوا بالصفائح ، وتجاروا بالجرائح . وتواصلوا بالقواطع ، وتعانقوا بالمقامع ، وتصارعوا على المصارع . وتجلدوا وتجالدوا ، وتواقحوا ، وتواقعوا وتماقروا وتقارعوا . والبيض يتقد ، والباسل يرد ، والباسل يرد ، والباسل يرد . والصقيل الصادى يصدأ بالدم ويروى ، وحزب الكفر يضعف وحزب الإسلام يقوى .

ثم انحصروا في البلد ، وانحشروا على اللدد (٢) . وضافهم الرعب ، وضاق بهم الرعب . وذلوا وخاروا ، وضلوا وحاروا . ولما خاب المقاتلة وخلدوا ، ظن أهل بيروت أن المسلمين دخلوا . فأجفلوا إلى البحر إذ عمدوا سكيبتهم ، ليركبوا سفيتهم ، ويخلوا مدينتهم .

فخرج أحد المقلمين يستدعي الأمان ، ويستعدي الإيمان . ويطلب مثالا يصعبهم ، وذمما يحرمهم . وعهدنا يسلمون به ويسلمهم ، وعقدنا في عقد الأمن ينظمهم . وكنت يومئذ في مرض قد أزعجني وأعجزني ، ومفض أخفاني ولعيون العواد أبرزني . وانقطعت عن الحضور عند السلطان ، وضعت عن تحرير كتاب الأمان . فطلب السلطان كل كاتب في ديوانه . وكل من يحسك قلما من أفاضل الملك وأعيانه . فلم ير ضه ما كتبوه ، ولم يكفه مارتبوه . فجاءني في تلك الحالة من استملاء مني ، ومرضت أذهان الأصحاء ولم يعرض ذهني . فتسلم بيروت بخطي ، وأصبحوا وأنا الآخذ والمعطى .

وكان الناس قد أنسوا لما أسطره وأزبره ، وأنسوا سوى ما أذكره وأحبره . وألقوا الصحة فيه فآلفوه ، ولقوا السقم في غيره فأنفوه . فلم يكن في ذلك التوقيع تنويق ، بل كله بتوفيق من الله توثيق . فما فُتح فتح إلا بمفتاحه

(١) الباشورة : هي الحائط الظاهري من الحصن الذي يخفى وراءه الجند عند القتال

Dozy. Supp. Diet. Arabe

(٢) اللدد : شدة المصومة .

ولارتق فتق إلا باصلاحه . ولا جلى ظلام إلا باصباحه ، ولا وري زلد  
إلا باقتداحه .

وكانت يومئذ جمرة الحر متوهجة ، ووقدة القيظ متأججة . وضررم  
مرضى ملتهبا ، وروح روحى متنها . وبقيت مضطرا مضطربا ، ولقيت  
من ذلك الوصب نصبا . وحصلت من الإقامة أو السفر ، على الخطر أو  
الخلل . وتعلم المقام لعذر السقام ، واشتغلت عن آلاء شغلى بالآلام . وحملى  
اختلالا بنصبى على إخلالى بمنصبى . وعزت على مفارقة السلطان ، وهو  
باعتزائى على مواصلة الاحسان . قضيت على مضض ، وانصرفت بمضرة  
ومرض . وحملت إلى دمشق فى محفة ، وحصلت بفضل الله من طيب  
هوائها بعد الثقل بمحنة . ففضل الله بالشقاء ، وبدل الكل بالصفاء .

وعدت إلى السلطان يوم فتح القدس ، وانتهت الوحشة إلى الأتس .  
وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين من جمادى الأولى  
مطاع الأمر ، مشاع النصر ، مناع السر فى تضوع (١) النشر ، وتوضع  
البشر . مستفيض السيادة ، مستضيف الزيادة ، ناجح الإرادة ، راجع  
العبادة . رابع المتجر ، واضح المنخر . قد شبغرب الهدى ، وجب راغب  
العدا . واستجلى من من الله منحا ، واستجد باستفتاحه فتحاً ، واستفاد  
ملكاً ، واستزاد ملكاً .

وبر بيروت إذ برت ، وانبرى لبرى قوسها فأبرت ، وقرر مصالحها  
ومناجحها فاستقرت ، وحفلت له أخلاف الفتوحات قدرت . واستمرى  
صوب الصواب من عزائمه وصرائمه فاستمرت .

---

(١) تضوع : ضياع وذهاب الشيء .

## فتح جُيْل (١)

يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى

ووصل (كتاب الصنى بن القباض) وهو يومئذ قد فوضت منه دمشق إلى الكافى الناهض. يتضمن أن (أوك) صاحب جيل - أسر إليه في أسره ، واستشاره في أمره - . وقال له : إن قنع منى بتسليم جيل سلمت وسلمت وأبجتها لكم وغرمت : وأخرجتها من عصمتى وخرجت واعتصمت . فأنأ أطلقها إن أطلقت ، وأزِيلها من وثاقى إذا وثقت ، فأجيب باحرازه من كيدِه ، واحضاره في قيدِه . فأحضر في صفده ، وسمح بيلده . فخلص ناجيا ، وملص راجيا .

وملكت مدينة جيل ، وجرت عليها الفتوح النيل . ونحن يومئذ على بيروت حاضرون حاصرون ، ولأعداء الله مصابرون مكابرون . وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجيل مسلمين مساكين ، لمساكنة الفرنج مستسلمين . فذاقوا العزة بعد الذلة ، وذاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشار ، وصدحت المنابر . وترغمت المحارب ، وترغمت المطارب . وتليت الآيات ، وجلت الفيايات (٢) . وغربت الكنائس وعمرت المدارس . وظهر عيب البيع ، وشهر جميع الجمع . وقرء القرآن ، واستشاط الشيطان . ونطقت الأعواد ، وحقت الأعياد . وخرصت النواقيس ، وبطلت النواميس .

ورفع المسلمون رموسهم ، وعرفوا نفوسهم . وانتعشوا من شكاة عثارهم (٣) ، وانتعشوا (٤) من شوكة عارهم ، وقرؤا في ديارهم ، وقرؤا أبصارا بأبصارهم ، وكان كل من استأمن من الكفار ، يمضى إلى صور عسى الدمار . وصارت صور عش غشهم ، ووكر مكرهم ، وملجأ طريدهم ، ومنجى شريدهم ، ومأمن خاشيهم ، وممكن عاشيهم . وهى التى فر القومص إليها يوم كسرهم ، بل يوم حسرهم .

(١) جيل : بلدة شرق بيروت وعلى مسافة ثمانية فراسخ منها (ياقوت ج ٥ : ٢٠٩ ط.ب)

(٢) الفيايات : جمع فاية ، وهى كل ما أغل الإنسان من سحاب أو غيره .

(٣) أى السقوط .

(٤) انتفش الشوكة : أخرجا من رجله والمقصود أنهم تخلصوا مما لحقهم من عار الذلة

ذكر هلاك القومص ودخول المركيس إلى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها أنخلها وخلها ، وآوى إلى  
ذرابلس وثواها . فما متع بما ملك . وكان بما قيل :

راح يبغي نجوة من هلاك فهلك

فما أنجاه القرار من القضاء ، وفر من البلاء إلى بلاده فوقع في البلاء .  
وظن أن صور خلت : وأن مجانيها حلت . وأن جماحها أذعن ، وأن كفاحها  
أمكن . وأن فرصتها انتهزت ، وأن حصتها أحرزت . وأن قيادها أطاع ،  
وأن مرتادها استطاع . لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس ، كما يتعوض  
عن الشيطان بابلوس . فأدرك ذمء (١) الكفر بعد ما أشق (٢) ، وأيقظ روع  
الروح بعد ما أغفى . وضبط صور بمن فيها ، من مهزومي الفرنج ومنفيها .

وكان المركيس من أكبر طواغيت الكفر وأغوى شياطينه ، وأضرى  
سراحيته . وأحبب ذنابه ، وأنجس كلابه . وأنش صلاله ، وأفحش ضلاله .  
وأغوى أعوانه ، وأخون إخوانه . وأبغى بغاته ، وأجنى جفاته ، وأرعى  
حماته ، وأحمى رعانه . وشر شراره ، وأنكر نكاره ، وأفجر فجاره .  
وأروغ ثعالبه ، وألسب عقاريه . وأحث معاهدته ، وأنكث معاقديه .

وهو الطاغية الداهية ، الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية . ولم يكن وصل  
إلى بلاد الساحل قبل هذا العام . ولا خلف مقدمى الكفر غيره في الاقدام على  
خلاف الاسلام .

واتفق وصوله إلى ميناء عكاك وهو بفتحها جاهل ، وعمن فيها من  
المسلمين ذاهل . فغزم على ارساء الشقي (٣) بالمينا . ثم تعجب وقال

(١) أى بنية الروح .

(٢) أشقى : أشرف على الموت .

(٣) الشقي : هو السفينة البحرية الكبيرة كانت تقام فيها الأبراج والقلاع وكانت  
تؤذى على الماء بمساعدة مائة وأربعين مجذافاً السلوك ج ١ : ٥٦ تحقيق د. زيادة (و) Dozy  
(و) (الروشين ٢ : ٨٨ تحقيق د. محمد سليم أحمد) و(تاريخ الإسلام السياسي ج ١ - ٥٢٣)  
(وسيرة صلاح الدين لابن شداد : ٨٠ تحقيق محمد محمود صبح) .

« ما نرى أحدا من أهلها يلتقينا » . ورأى زى الناس غير الزى الذى يعرفه ، فارتاب وارتاع وحديث عن الدخول توقفه . وبان تنلده ، وتأخر تقدمه . وسأل عن الحال فأخبر بها ، ففكر فى النجاة وكيف يتعلق بسبيها . ثم وقف بالقرب ، فلبث على الرعب . والهواء راكد ، والقضاء عنه راقد . فانه لو خرج إليه مركب لأخذه ، ولو وقف له قاصد لوقفه . فاحتال كيف يخرج بسفيته ، ولا يدخل مع فقد سكيته .

وانظر هبوب الريح الموافقة له فلم تهب . . وماتم له الافلات على ما أحب . فسأل عن البلد ومن إليه أمره ، ومن يده نفعه وضره . فقيل : هو الملك الأفضل ، والمالك الأكل . فقال « خلوا لى منه أمانا حتى أدخل ، وأرفع إليكم ماعى من المناع وأنقل » فجيء إليه بالأمان . وقيل : هذا بعلامة السلطان فقال : « ما أتى إلا بخط يده » ، ولا أنزل إلا بعهده إلى بلده . فما زال يردد الرسل ، ويدبر الحيل ؛ حتى وافقته الريح فأقلع ، وأفلت من الشرك بعد ما وقع . وصار فى صور ، فزم الأمور ، وأجم الجمهور . وجرا الكفر بعد خوره ، وبصر الشيطان بعد عماء وعوره . فاستعلى بالخزى ، واستولى بالغى والبغى .

وأرسل رسله إلى الجزائر ، وذوى الجزائر . يستعذى ويستلجى ، ويستودع ملة الصليب عباده ويسزعى ، ويستثير ويستزير . ويستغفر ويستغفر : وثبت فى صور ونبت ، وجمع إليه من الفرنج من تشئت . وما فتح بلد بالأمان . ؛ إلا سار أهله فى حفظ السلطان ؛ حتى يصيروا فى صور ، ويأمنوا المحظور .

فاجتمع إليها أهل البلاد المفتوحة ، بالقلوب المغفلة المقروحة . فامتلات وكانت خالية ، وانتشأت وكانت بالية . وتمللت وكانت معتلة ، وتعقدت وكانت منحلة ، وتسددت وكانت مخنطة . ولم يحضل بها فأخر فتحها ، وما ظن بها الضن<sup>(١)</sup> حتى علم شحها . فاستجدت رمقا بالمهلة ، وتصعبت بعد مقادتها السهلة .

فقضى إمامها بإهمالها ، وعادت عيونها إلى الاغفاء باغفالها . وألمى

(١) الضن : الجبل .



عن طلبها طلب ما هو أشرف ، والمزم بفتحته أشعف وهو البيت المقدس ،  
فان فتحه من كل فتح أنفس . والمركيس في أثناء ذلك يحضر الخلق ويحكمه ،  
ويعقد الموثق<sup>(١)</sup> ويبرمه ، ويجمع المفرق وينظمه .

وسنذكر ما تجدد منه في أوقاته . وما فات من فرصة الامكان في دفع  
آفاته .

---

(١) في ب الموقمة والصحيح من ل .

ذكر فتح عسقلان<sup>(١)</sup> وغزة والداروم<sup>(٢)</sup> والمعقل التي يأتي ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة .  
ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبل ، ثنى عنانه بحر ويجرى من العسكر  
والعشير على السماء والأرض الذليل والسيل . وعاد عابرا على صيداء وصرقند ،  
وقد أورى فيهما باقتداح اقتراحه الزند .

وجاء إلى صور ناظرا إليها ، وعابرا عليها . غير مكترث بأمرها ،  
ولا متحدث في حصرها ، ولا معتقد في تعقلها ، ولا متد في توردها . وعلم  
أيضا أنها ممتنة ، وعن سومها مرتفعة . فعمل بالحزم ، وعمد إلى العزم .  
ودلته الفراسة على أن محاولتها تصعب ، ومزاولتها تتعب . وليس بالساحل  
لد منها آحصن ، فعمطف الأعتة إلى ما هو منها أهون .

وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية ، وشرط معهما واستوثق  
منهما أنه يطلقهما من الأسر والبلىة ، متى تمكن بإعانتها من البلاد البقية .  
وعبر والعيون صور إلى صور ، والمركيس ما شك أنه بها محصور محصور .  
فالما أرخى من وثاقه ، واتسع ضيق خناقه . حلق في مطار أوطاره ، وحرك  
أغواته أوتار أوتاره .

واجتمع السلطان بأخيه الملك العادل ، واتفقا على طي المراحل ، ونشر  
القساطل ، وحل معاهد المعقل ، وسل قواصم القواصل<sup>(٣)</sup> . ونزل على  
عسقلان ، وشديدها قد لان ، وقد آتاه الله الخذلان . فتجلد من بها على  
الحصار ، وتحوفت أسودها الخادرة من الإصحار . وترى صواوت صبروا ، وترى صوا  
وتسروا . وحاصوا وصاحوا ، وحانوا وناحوا . وأبأسوا وأبسلوا<sup>(٤)</sup> ، وأعولوا .

(١) عسقلان : بلدة من أعمال فلسطين على جانب البحر بينها وبين غزة نحو ثلاثة فراسخ  
كان يقال لها حروس الشام ( ياقوت ج ١٣ : ١٢٢ ط ب ) .

(٢) الداروم : أو الدارون ، قلعة بيد غزة لقاصد مصر بينها وبين البحر فرسخ ( ياقوت  
ج ٤ ط . الخاني ) .

(٣) القواصل : السيوف القاطعة .

(٤) في ب أبسلوا والتصحيح من ل . وأبسلوا : وطئوا أنفسهم الموت .

مما عليه عولوا . وشبوا وشابوا ، وخبوا وخابوا . لكنهم استقبلوا الموت واستقبلوا . وتعقدوا على الفتح وما تحلوا ، وأحزنوا في الإباء وما أسهلوا . وجهلوا وجهلوا .

فأقام السلطان عليها مجانيق مجت نيقها (١) ، وفرجت بالحجارة طريقها ، ورجت بالتفريق فريقها ، ووسعت بالتضييق ضيقها ، وأضعفت بالتوثيق وثوقها . وجمعت شمل الحجارة بالنار التي وقودها الناس والحجارة ، ولقحتهم نيرانها . وتوالت عليهم بعد الشرارة الشرارة ، وخربت منهم العمارة ، ووجبت بالحسرة متاهم الحسرة . وتهللت الصخور بالصخور ، وازم عيث يورهم بالثبور . وجسر النقب فحسر النقب ، وباشر الباشورة فرفع الحجاب . واشتد القتال : واحتد المصال .

وراسلهم عند ذلك الملك المأسور . وقال : قد بان عنركم حين نقب الدور . وجرت حالات ، وتكررت حوالات ، وترددت رسالات . وقال لهم الملك الأسير : لا تخالفوا ما به أشير ، وأطيعوني ما استطعتم ، واسمعوا مني إذا سمعتم ، واحفظوا رأسي فهو رأس مالكم ، وحلية حالكم ، ولا تعظروا غيري ببالكم . فاني إذا تخلصت خلصت ، وإذا استنقذت استنقذت .

وخرج مقدمون وشاوروا الملك ، ونهجوا في التسليم نهجا سلك . وسلموا عسقلان على خروجهم بأموالهم سالين ، واستوفوا بملك الميثاق واليمين . وذلك يوم السبت لانسلاخ جمادى الآخرة ، وتلاذت السعود في أوجها بالأوجه السافرة .

ومن استشهد على عسقلان من الأمراء الكبراء ( إبراهيم بن حسين المهراني ) وهو أول أمير افتتح بالشهادة . واختتم بالسعادة . وكان السلطان

---

( ١ ) نيقها : أرفع مواضع في جهالها . ومع الشيء : كرهه ورمى به .

قد أخذ في طريقه إليها الرملة (١) ويُبتي (٢) وبيت لحم (٣) والخليل (٤) .  
وأقام بها حتى تسلم حصون الداوية : غزة والتطرون (٥) وبيت جبريل (٦) .  
وكان قد استصحب معه مقدم الداوية وشرط معه أنه متى سلم معاقلم  
أطلقه . فسلم هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موثقته .

واجتمع بالسلطان ولده صاحب مصر (الملك العزيز عثمان) (٧) على  
عسقلان بشارة وبشارة ، وراية وآية . وهيثقوهية ، وثرة (٨) وثروة .  
وهزة وعزة . وعدة وعدة ، وجلة وجلة ، وشلة وشلة ، وحد وحدة .  
وضوعة وروعة ، ونخوة ومطوة . وصوت وصيت . ومصايب ومصايلت .  
ومساعير ومقاوير . ودُهم ودُهم . وشهب وكُمت . وصلاب وصلاد .  
وأنجاب وأنجاد . وجلب وجلب ، ويضض ويلب (٩) . ويضض وسود ،  
وأساود وأسود . وجرد ومرد . وكهول وفحول . ورقاق وعقاق . وقود

(١) الرملة : كورة ومدينة عظيمة بفلسطين (ياقوت ج ٩ : ٦٩ - ٨٠ ط . ب) .

(٢) يَبُتي : أويينا : بَلِيد قرب الرملة (ياقوت ج ٢٠ : ٤٢٨ ط . ب) .

(٣) بيت لحم : بَلِيد عامر قرب القدس ، مكان مهد عيسى عليه السلام (ياقوت ج ٤ :

٥٢ ط . ب) .

(٤) الخليل : اسم لموضع وبَلِيد فيها حصن وعجارة وسوق يقرب بيت المقدس (ياقوت

ج ٨ : ٣٨٧ - ٣٨٨ ط . ب) .

(٥) التطرون : اسم محرف للتطرون وهو موضع قرب دمشق (ياقوت ج ١٧ :

٤٢ ط . ب) .

(٦) بيت جبريل : أوييت جبرين ، بَلِيد بين غزة وبيت المقدس . بينه وبين القدس

مرحلتان ، كانت فيه قلعة حصينة ضربها صلاح الدين لما استنقذ بيت المقدس من الإفرنج

(ياقوت ج ٤ : ٥١٩ ط . ب) .

(٧) الملك العزيز عثمان : هو أبو الفتح ، عماد الدين ، ابن صلاح الدين يوسف بن أيوب ،

ولد بالقاهرة سنة ٥٦٧ هـ ، وول ملك مصر بعد وفاة والده سنة ٥٨٩ هـ وتوفى بها سنة ٥٩٥ هـ ،

(النجوم الزاهرة ج ٦ ط . دار الكتب) .

(٨) ثره : الاتساع في الخير .

(٩) اليب : الأروس أو الدروع اليمانية من الجلد ، وقيل جلود يخرز بعضها إلى بعض

تليس على الرحوس في الحرب واحدها يليه .

وقيلود (١) . وأطلاب وأبطال ، وفوارس ورجال ، وخفاف وثقال .  
وعراب وأعارب ، ومراحين ومراحيب . وحد لا يكل ، وجد لا يمل .  
وجمر يتى ، وجمع لا يلتقى .

ومعه رماة الأحداق (٢) كماء الأتراك ، وهداة التوحيد عداة الاشرار .  
فقرت عينه بولده ، واعتضد بعضده ، ووضع يده بتأييد الله في يده . وكان  
قد استدعى الأساطيل المنصورة فوافت كالفتخ (٣) الكواسر ، بالغلك  
المواخر . وجاءت كأنها أمواج تلاحم أمواج ، وأفواج تراحم أفواجا .  
تدب على البحر عقاربها ، وتخب كقطع الليل سحائبها ، وتجر باللوابل  
ذوائبها ، وتراحم مناكب الأطواد مناكبها . ( والحاجب لؤلؤ (٤) )  
مقدمها ومقدمها ، وضريحام غابها وهمامها . فطفت يكسر ويكسب ،  
ويسل ويسلب . ويقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه ، ويقف له في جزائر  
البحر على مذاهبه . وسيأتى ذكر ذلك في موضعه ، ويظهر في وقائعه حسن  
موقعه .

---

(١) القود : الخيل التي تقاد ولا تتركب . والقيلود : الناقة العلولة تظهر .

(٢) الأحداق : جمع حقة وهي سواد العين الأعظم ويقال رماة الحدق أى المهرة فى الرمي  
والنصال .

(٣) الفخ : يقال أمد افخ ، أى عريض الكف . والفتخ حقة تلبس فى اليد أو الرجل  
لأنس فيها ، والمقصود هنا أنهم كالأسود الكواسر .

(٤) الحاجب لؤلؤ : من كبار رجال الدولة الصلاحية ، كان مقدم العسكر ضد الفرنج  
الذين أرسلهم أرنأط صاحب حصن الكرك لحرب مكة والمدينة فى البحر ، قيل إن لؤلؤ سار  
جائزاً بالنصر وأخذ معه قيوداً بمدد الفرنج من كرك الشوبك مع طائفة من العرب المرتدة  
وقد أدرهم لؤلؤ على بعد يوم من المدينة وبذل الأموال للعرب فانضموا إليه ، ونزل الفرنج  
إلى الساحل وانضموا بجبل ، فترجل لؤلؤ وصعد إليهم بالناس فهابوه ، وسلموا أنفسهم  
جيماً وقدم بهم إلى مصر ، كان لؤلؤ شيخاً أرمينياً من خدام القصر خدم مع صلاح الدين وأخلص  
له ، مات سنة ٥٩٧ هـ (شذرات الذهب ج ٤) .

## فتح بيت الله المقدس

ثم رحل عن عسقلان للقدس طالبا : وبالعزم غالبا ، والنصر مصاحبا ،  
ولذيل العز ساجبا . قد أصحب ريق مناه ، وأخصب روض غناه .  
وأصبح رائج الرجاء . أرج الأرجاء . صيب (١) العرف . طيب العرف .  
ظاهر اليد ، قاهر الأيد . سنى عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملاً  
الملأ فأفاض الآلاء . وقد بسط عثر فيلقه ملاءته على الفلق ، وكأنما  
أعاد العجاج راد (٢) الضحى جنح الغسق . فالأرض شاكية من اجحاف  
الجحافل ، والسماء حاذية بأقساط التساقل .

وسار سارا بالأحوال الخوالى : مروية أحاديث فتوحه العوالى من  
العوالى (٣) . مطوية مدارك مناجحه على ما تنشره الآمال من الأمالى (٤) .  
وقد حلت وعلت من مغارس النصر ومطالعه ، المجانى (٥) والمجالى (٦) .  
والاسلام يخطب من القدس عروسا ، ويبذل لها فى المهر نفوسا ، ويحمل  
إليها نعيم (٧) ليحمل عنها بوسى . ويهلى بشرا ليذهب عبوسا .

ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستدعية لإعدادها على أعدائها ،  
واجابة دعائها وتلبية نداءها ، وإطلاع زهر المصابيح فى سماها . وإعادة  
الإيمان الغريب منها إلى وطنه . وردة إلى سكونه وسكنه . واقصاء الذين

---

(١) فى بولس صيب والتصحيح من أ (٢٤: ٤) : والصيب : السحاب والمطر ، وصيب  
العرف : كثير الجود والعطاء .

(٢) راد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٣) العوالى : الأول بمعنى العاليات ، والثانية جمع حاله وتطلق على أمل القناة أو النصف  
الأعلى من السنان ، أو على الرماح .

(٤) واسعدا ملأه وهى ما يمل من الأقوات .

(٥) المجانى : جمع مجنى وهو الموضع الذى يجنى منه الشيء كالشجر مثلاً .

(٦) المجال : جمع مجلى ، وهو مقدم الرأس .

(٧) فى بولس تصحيح من ل ومن أ (٤٢: ٤) .

أقصاهم الله بلمته من الأقصى ، وجذب قياد فتحه الذي استعصى . واسكات  
 الناقوس منه بانطاق الآذان ، وكف كف الكفر عنه بأيمان الايمان .  
 وتطهيره من أنجاس تلك الأجناس ، وأدناس أدنى الناس . وافحام الأفهام  
 بإخراس الأجراس .

وطار الخبر إلى القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت ، وخفقت  
 أفئدتهم خوفا من جيش الاسلام وجاشت : وتمنت القرنج لما شاعت الأخبار  
 أنها ما عاشت . وكان به (١) من مقدمي القرنج ( باليان بن بارزان )  
 و ( البطرك الأعظم ) ومن كلا الطائفتين الاسبتارية والداوية المتقدم .  
 فاشتغل بال باليان واشتعل بالنيران ، وخمدت نار بطر البطرك . وضاعت  
 بالقوم منازلهم فكأن كل دار منها شرك للمشرك (٢) . وقاموا بالتدبير  
 في مقام الإدبار ، وتقسمت أفكار الكفار . وأيس القرنج من القرج (٣) ،  
 وأجمعوا على بطل المهج .

---

(١) في أ (٤٢) ش) بها .

(٢) ما ذكر هو في ب ول وأما في أ (٤٣) ع) المشرك شرك .

(٣) في ب الخرج والصحيح من ل .

## ذكر كنيسة قُمامة(١)

وقالواها هنا نطرح الرعوس . ونسبك النفوس . ونسفك الدماء ، ونهلك الدهماء . ونصبر على اقتراح القروح ، واجترأ الجروح ، ونسمح بالأرواح شحا بمحل الروح . فهذه قمامتنا ، فيها مقامتنا ، ومنها تقوم قيامتنا ، ونصبح هامتنا ، ونصبح ندامتنا ، ونصبح علامتنا . ونسح غمامتنا ، وبها غرامتنا وعليها غرامتنا : وبأكرامها كرامتنا ، وبسلامتها سلامتنا ، وباستقامتها استقامتنا ، وفي استدامتها استدامتنا . وإن تخلينا عنها لزمّت لآمتنا ، ووجبت ملامتنا . ففيها المصلب والمطلب ، والمذبح والمقرب ؛ والمجمع والمعد ، والمهبط والمصعد . والمرقى والمرقب ، والمشرب والملعب ، والموه والمذهب . والمطلع والمقطع ، والمربى والمربع . والمرخّم(٢) والمخرم ، والمحلل والمحرم : والصور والأشكال ، والأنظار والأمثال ، والآساد والأشبال . والأشباه والأشباه ، والأعمدة والألواح ، والأجسام والأرواح .

وفيها صور الحوارين(٣) في حوارهم ، والأخبار(٤) في أخبارهم ، والراهبين في صوامعهم ، والأقساء(٥) في مجامعهم . والسحرة(٦) وحبالها ، والكهنة وخیالها . ومثال السيدة والسيد ، والهيكَل(٧) والمولد . والمائدة والحوت(٨) ، والمنعوت والمنعوت ، والتلميذ والمعلم ، والمهد والصبي

(١) كنيسة قمامة : بيت المقدس ويقولون إنها قبر المسيح عليه السلام .

(٢) أى المكس بالرخام .

(٣) هم أصحاب عيسى عليه السلام وعددهم اثنا عشر .

(٤) الأخبار : جمع خبر وهو العالم الكبير .

(٥) جمع قس .

(٦) أى السحرة الذين جمعهم فرعون مصر ليحلى بهم موسى عليه السلام .

(٧) المقصود هيكل سليمان الذى أقامه بيت المقدس وقد سبق الحديث عنه .

(٨) أى المائدة التى أنزلها الله تعالى من السماء معجزة لعيسى عليه السلام وكان عليها الحوت

وقد ورد ذكر هذه الحادثة في سورة المائدة من القرآن العظيم .



المتكلم (١) . وصورة الكباش والحمار ، والجنت والنار . والنواقيس والنواميس  
 قالوا « وفيها صلب المسيح ، وقرب النديح ، وتجسد اللاهوت (٢) ،  
 وتأله الناسوت (٣) . واستقام التركيب ، وقام الصليب . ونزل النور ،  
 وزل الديجور . وازدوجت الطبيعة بالأقنوم (٤) ، وامتزج الموجود  
 بالمعلوم (٥) . وعمدت معمودية المعبود ، ونحضت البتول (٦) بالمولود » .  
 وأضافوا إلى متعبدتهم من هذه الضلالات ، ما ضلوا فيه بالشبه عن نهج  
 الدلالات . وقالوا : « دون مقبرة ربنا نعوت ، وعلى خوف فوتها منا نفوت ،  
 وعننا ندافع ، وعليها نقارع . ومالنا لا نقاتل ! وكيف لاننازع ولاننازل !  
 ولأى معنى نتركهم حتى يأخذوا ! وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه  
 منهم ويستقلوا ! »

وتأهبوا وتباهوا ، وما انتهوا بل تناهوا . ونصبوا المجانيق أمات  
 الأسواء على الأسوار . وسرّوا بظلمات السائر وجوه الأنوار . واستشاطت  
 شياطينهم ، وسرحت سراحينهم ، وطفئت طواغيتهم ، وأصلت مصاليتهم ،  
 ونشرت طواميرهم (٧) ، وتسعرت مساعيرهم . وهاج هائجهم ، وماج  
 مائجهم ، ودعت دواعيهم ، وعدت عواذهم ، وسعت أفاعيهم .

وحضتهم قسوسهم ، وحرضتهم رموسهم ، وحركتهم نفوسهم ،  
 وجاعتهم بجوى سوء جواسيسهم . وأخبرتهم بأقبال العساكر الناصرية منصوره  
 الجنود ، منشورة البنود ، موصولة القواطع بالأشاجع ، مهجورة الغمود .

( ١ ) المقصود به عيسى عليه السلام حين تكلم في المهد ليبرئ أمه أمام قريها .

( ٢ ) أى تجسد الله ( تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ) .

( ٣ ) أى طيبة الإنسان في مقابلة اللاهوت والمراد تأله عيسى وقد برأ نفسه وبرأه الله  
 من ذلك في سورة المائدة .

( ٤ ) الأقنوم : الأصل ، وأراد المؤلف بالمادة ما يزعمونه من أن الله سبحانه وتعالى  
 واحد ذو أقانيم ثلاثة ، الأب والإبن وروح القدس ( تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ) .

( ٥ ) البتول : هى من انقطعت عن الدنيا إلى الله تعالى ، والمقصود بها مريم أم عيسى  
 عليها السلام .

( ٦ ) أمات : جمع أم وتطلق على البهائم .

( ٧ ) الطوامير : جمع طومار وهو الصحيفة .

مشهورة القواضب ، مشهودة الكتائب . مقودة الضوامر إلى ثار العدا ،  
موقدة الضمائر بنار الهدى . مشبوبة العزائم ، مجنوبة الصلادم . مسلوقة  
الظُّبا . مطلوقة الربا . مجنونة أجنة أَعْدَادِها . مسنونة أسنة صعادها . مطلقة  
أعنة جِياذها ، محققة مظنة طرادها .

قد سالت الوهاد بآكامها ، وجالت الأعلام في أعلامها . وسدت التمجاج  
أنفاجها ، وملت العجاج أمواجها ، وحجبت الغزاة عقباتها . وألمبت  
الذُّبالة خرصانها . وجرت بالجلال رياحها ، وجُرت كالجلال رماحها ،  
واشتمل على الضراغم غيلها . وأقبل بالعقائم قبيلها .

ووافي كل واف بمهد ربه ، كاف لكف خطبه ، شاف لهم قايه ،  
ضاف بفيض شربه : خاف في لبوسه ، ناف لبوسه ، باسل بياسه ، غاسل (١)  
بأمراسه ، ناسل بنت الغمد من جفته ، غاسل نبت الحد يدم قرنه . واصل  
بيض الهند (٢) بسواعده ، فاصل خطاب الخطوب ببوارقه ورواعده . حاد  
بجده ، جاد بجده .

وكل شاب بنار الحرب شاب : ورب دين الدين الرب راب ، وكل  
جيش كالبحر عباب . وكل سال ذى ذباب (٣) عن الهدى ذاب . وكل  
قائل بالآخرة للحياة الدنيا قال ، سائل من الله الشهادة عن حب البقاء سال  
مائل في سبيل الله إلى اتفاق مال .

وأقبل السلطان بإقبال سلطانه ، وأبطال يشجعانه ، وأقيال أولاده  
واخوانه . وأشباه مماليكه وغلما نه . وكرام أمرائه ، وعظام أوليائه . في  
مقانب (٤) بالمتائب مقنبة ، وكتائب بالمواكب مكتبة (٥) . وذوابل بالكواكب

(١) غاسل بأمراسه : العبارة كناية عن أنه ذو شدة وقوة يطيب لثناؤه عليه جما .

(٢) يبيض الهند : أي السيوف الهندية .

(٣) ذو ذباب : الألياب من السيف ، هو حده وطرفه ، وكذلك بمعنى جنون وفي الدفاع

من الحق .

(٤) مقانب : جماعة من الخيل تجتمع للغارة . والمتائب : أطراف الجبل .

(٥) مكتبة : مجمعة ، كتب الجنود . جمعهم وجملهم كتائب .

منصلة ، وجحافل بمضاء المضارب عجلة . وألوية صفر للأواء بني الأصفر .  
بيض وسمر تزرقي زرق العلاء من الموت الأحمر . وقباب وقبائل ، وقنا  
وقنابل ، وصوافن (١) وصواهل ، وعوامل وعواسل . وفوارس فوارس (٢) ،  
وكل من يبذل للشح بدينه النفوس والنفائس . وأصبح يسأل عن الأنهى  
وطريقه الأذى وفريقه الأسنى ، ويذكر ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من  
الحسنى .

---

(١) واحدا صائق وهو الفرس الثائم على ثلاثة قوائم .

(٢) فوارس : أى ينفون أعناق أعدائهم . فرس الأسد فريسة : دق عنقها . اصطادها ،

فرس الذبيحة : قتل ففادها .

## وصف البيت المقدس

وقال : « إن أسعدنا من الله على إخراج أعدائه من بيته المقدس فما أسعدنا ، وأى يد له عندنا إذا أيدنا . فانه مكث في يد الكفر إحلى وتسعين سنة ، لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ، ودامت همم الملوك دونه متوسنة (١) وخلت القرون عنه متخلية (٢) . وحلت القرنج به متولية . فما ادخر الله فضيلة فتحه إلا لآل أيوب ، ليجمع لهم بالقبول القلوب . وخص به عصر الإمام الناصر لدين الله ليفضله به على الأعصار ، ولتضخر به مصر وعسكرها على سائر الأمصار .

وكيف لا يهتم بافتاح البيت المقدس الأقوى (٣) ، والمسجد الأقصى المؤسس على التقوى ، وهو مقام الأنبياء ، وموقف الأولياء ، ومعبد الأنبياء ، ومزار أبدال (٤) الأرض وملائكة السماء . ومنه المحشر والمنشر ، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المعشر المعشر . وفيه الصخرة التي صينت جلة أبهاجها (٥) من الإنهاج (٦) ، ومنها منهاج المعراج ، ولها القبة السماء التي على رأسها كالتاج . وفيه ومض البارق ومضى البراق . وأضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير فيه الآفاق .

ومن أبوابه : ( باب الرحمة ) الذي يستوجب دخله إلى الجنة بالدخول الخلود ، وفيه ( كرسى سليمان ) و ( محراب داود ) ، وله ( عين سلوان ) التي تمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود . وهو أول القبلتين (٧) ،

(١) متوسنة : أى مسترخيه غير متيقظة .

(٢) هذه العبارة ساقطة في أ ( د ه ش ) والتي بعدها فيها كلمة خلت بدلا من حلت .

(٣) ساقطة في أ ( ه ش ) .

(٤) الأبدال : قيل إنهم قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم فإذا مات واحد أبدل الله

مكانه آخرًا .

(٥) في أ ( ه ش ) أنها جها .

(٦) الإنهاج : هو البيل والاختلاق بكسر الهمة .

(٧) يقصد القبة الأولى للمسلمين وهي بيت المقدس والقبة الثانية وهي تجاه الكعبة بمكة .

وثاني اليتيم (١) ، وثالث الحرمين (٢) . وهو أحد المساجد الثلاثة (٣) التي جاء في الخبر النبوي أنها تشد إليها الرحال ، ويقعد الرجاء بها الرجال .

ولعل الله يعيده بنا إلى أحسن صورة ، كما شرفه بذكره مع أشرف خلقه في أول سورة ، وقال عز من قائل (سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ بِهِ لَيْلٌ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (٤) ) وله فضائل ومناقب لا تحصى . وإليه ومنه كان الامراء ، ولأرضه فتحت السماء ، وعنه تؤثر أنباء الأنبياء ، وآلاء الأولياء ، ومشاهد الشهداء ، وكرامات الكرماء ، وعلامات العلماء . وفيه مبارك المبار ، ومسارح المسار .

وصخرته الطولى ، القبلة الأولى . ومنها تعالت القدم النبوية ، وتوالت البركة العلوية . وعندها صلى نبينا صلى الله عليه وسلم بالنبين ، وصحب الروح الأمين (٥) ، وصعد منها إلى أعلى عِلين . وفيه عراب مريم عليها السلام الذى قال الله فيه ( كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا (٦) ) ، ولنهاره التعبد وليلته المحيا . وهو الذى أسسه داود ووصى ببناؤه سليمان . ولأجل اجلاله أنزل الله سبحانه (٧) ، وهو الذى افتتحه الفاروق (٨) وافتتحت به سورة الفرقان .

فما أجله وأعظمه ، وأشرفه وأفضحه ، وأعلاه وأجلاه ، وأسماءه وأسنائه . وأمين بركاته وأبرك ميامنه ، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه ، وأزین مباحجه وأبهيح مزائنه . وقد أظهر الله طُوبه وطُوبه ، بقوله ( الذى ناركنا حوله ) (٩) . وكم فيه من الآيات التى أراها الله نبيه ، وجعل مسموعنا

---

(١) أى البيت المقدس والبيت الحرام بمكة .

(٢) أى الحرم المكي والحرم المدني والمسجد الأقصى بالقنس .

(٣) أى المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة والمسجد الأقصى .

(٤) الآية ١ سورة الإسراء .

(٥) جبريل عليه السلام .

(٦) الآية ٣٧ سورة آل عمران .

(٧) الآية ١ سورة الإسراء .

(٨) الفاروق : هو الخليفة السائ الرشيد عمر بن الخطاب وكان حكمه من ١٣ هـ إلى ٢٣ هـ .

(٩) الآية ١ سورة الإسراء .

من فضائله مرئية . ووصف السلطان من خصائصه ومزاياه ، ما وثق على استعادة آلائه موافقه وآلاياه . وأقسم لا يبرح حتى يبر قسمه ، ويرفع بأعلاه علمه ، وتخطو إلى زيارة موضع التلم النبوية قدمه . ويصنئ إلى صرخة الصخرة ، ويغنى بالشرى بشر أسرة الأسرة .

وسار وانما بكمال النصره ، وزوال العسرة : وحسر التمرنج قناع الحسرة . ونزل على غربى القدس يوم الأحد خامس عشر رجب ، وقلب الكفر قد وجب ، وحزب الشرك قد شارف الشجى والشجب (١) ، والقلر قد أظهر العجب .

وكان في القدس حينئذ من الفرنج ستون ألف مقاتل ، من صائف ونابل ، وبطل للباطل ، وعاس (٢) عاسل بالعاسل (٣) . قد وقفوا دون البلد يبارزون ويحاجزون ، ويعاجزون ويناجزون ، ويرمون ويلمون ، ويحمون ويحمون ، ويحتدون ويحتدمون . ويضطربون ويضطرمون . ويذودون ويذبون ، ويشبون ويسبون . ويصرخون ويصرخون ، ويلهثون ويتغوثن ، ويلوذون ويلبون ، ويحولون ويحولون ، ويقلمون ويحجمون ، ويتلملحون ويألمون . ويتعاونون ويتضاعون (٤) ، ويحترقون للبلايا (٥) ، ويقترحون المنايا .

وقاتلوا أشد قتال ، وفاضلوا أحد نضال ، ونازلوا أجد نزال . وطاقوا بصحاف الصفاح (٦) لإرواء الظبا الظماء من ماء الأرواح ، وجالوا بالأوجال ، وأجالوا قذاح الآجال ، وصالوا لقطع الأوصال . واتهموا

---

(١) الشجب : العنت يسبب الانسان من مرض أو قتال .

(٢) عاس : أى يطوف بالليل ، يحرس الناس ويكشف أهل الريه ومنه العس .

(٣) العاسل : السيف .

(٤) يتضاعون : تضاعى تصور من الجوع أو الضرب وصاح

(٥) في الباياء والتصحيح من ل ومن أ ( ٤٧ ي )

(٦) الصفاح : جمع صفح يفتح الصاد وسكون الفاء ، عرض السيف

والتهبوا ، وتأشبوا (١) ونشبا (٢) . واستهلغوا للسهام ، واستوقفوا للحمام . وقالوا « كل واحد منا بعشرين ، وكل عشرة بمئتين . ودون القيامة تقوم القيامة ، ولحب سلامتها تقلى السلامة » : ودامت الحرب ، واستمر الطعن والضرب . فانتقل السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالى وخيم هنالك ، وضيق على الفرنج المسالك ، ووسع عليهم المهالك . ونصب المجانيق ، ومرى (٣) من آفات الأفاويق (٤) . وأصرخ الصخرة بالصخور ، وحشر حشر السوء منهم وراء السور . فما عادوا يُخرجون من السور الرعوس ، الا ويلقون البوس ، واليوم البوس ، ويلقون على الردى النفوس .

« فللداوية » دوى ، و « للبارونية » من البوار فى الهاوية هوى . و « للاستبار » تبار ، وما « للفريرية » من الموت فرار . وما بين الحجار المحلقة وبين المرمى اليهم حجاب ، وفى كل قلب من الفشتين من نار حرصه التهاب . اذ الوجوه لقبل النصال مكشوفة ، والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة . والأيدى على قوائم السيوف المفتوحة مضومة ، والنفوس لاستبطاء الهمم فى الاهتمام مهمومة ، وقواعد السور ونواجذ شراريقه بالأحجار الخارجة من الكفآت مهلومة مهتومة .

فكان المجانيق مجانين يرامون ، ومناجيد لا يرامون . وجبال تجذبها حبال ، ورجال تنجدها رجال . وأمات الدواهى والمنايا ، وحوامل تلد البلايا . لا حجير عليها فى حجر ، ولا أمن عندها من حذر ، ولا تخطر سهامها الا بالخطر . ولا يفطر (٥) مرورها الا مرارات ذوى الفطر . فكأن نجم من سماها ينقض . وصخر من أرضها يرفض ! وجمر من

(١) تأشبوا : اختلطوا .

(٢) نشبا : ثاروا واشتبكوا .

(٣) مرى : استخرج .

(٤) الأفاويق : واحدا فيقه وهو اللبن الذى يجمع فى الضرع بين الحلبتين أو الماء المجمع فى السحاب . يطر ساعا بعد أخرى والمقصود أنه صب عليهم المصائب .

(٥) فى بخطر والصحيح من له ومن ( ٤٨ ى ) .

شرارها بنقض ! وما شيء ككافات كفاتها ، وآيات نكاياتها ، ودركات ادراكاتها ، ولفئات فلتاتها ، وجذبات عنذاتها .

فما زالت تفلح بمقالعها ، وتقرع بمقارعها . وتمتج (١) بأشطانها ، وتمرح في أرسائها (٢) . وتصلم وتهلم ، وتصرع وتصدع ، وتنهز بدلائها ، وتجهز بيلائها ، وتحل تركيب الجلاميد بأفراد جلاميدها ، وتفل شمل المباني بتفريقها وتبديدها ، وتقوض القواعد بضرها من أساسها ، وتنقض المعاهد بجذبها في أمراسها ، وتشقه الموارد بشرها من كأسها . حتى تركت السور مسورا (٣) . وجعلت الذاب عنه محسورا ، وعاد العلو من نظمه المبثور متبورا (٤) .

وخرق الخندق وحفر الزحف ، وظهر للإسلام التمتع والكفر الخطف . وأخذ الثقب : وسهل الصعب . وبذل المجهود ، وحصل المقصود . وكل المراد ، وكلم المراد . وثغر الثغر ، وأمر الأمر . وأربى الأرب ، واستتب السبب . وخاف القوم الوشم ، واستعاضوا من الصحة السقم . وأسلم البلد وقطع زنا خندقه ، وبرز (ابن بارزان) ليأمن من السلطان بموثقه . وطلب الأمان لقومه ، وتمنع السلطان وتساى في سومه . وقال « لأمن لكم ولا أمان وما هوانا (٥) » إلا أن نديم لكم الهوان . وغدا نملككم قسرا ، ونوسعكم قتلا وأسرا . ونسفك من الرجال الدماء : ونسلط على الذرية والنساء السياء . وأبى في تأمينهم إلا الإباء . فتعرضوا للتضرع ، وتخوفوا وخوفوا عاقبة التسرع . وقالوا « إذا أبستنا من أمانكم ؛ وخفنا من سلطانكم ؛ وخفنا من إحسانكم ؛ وأيقنا أنه لا نجاة ولا نجاح ؛ ولا صلح ولا صلاح ؛ ولا سلم ولا سلامة ، ولا نعمة ولا كرامة ، فانا نستقتل فتقاتل قتال الدم ؛ ونقابل الوجود بالعدم . ونقدم

(١) تمتج : ترمي ب .

(٢) أرسان : جمع رسن وهو الخيل المعروف للذابيه .

(٣) سورا : أى أصبح يمكن التسلق عليه .

(٤) أى هالك .

(٥) فى ب وهو والتصحيح من ل ومن أ ( ٤٨ : ٥ ) .



إقدام المستشرى بالشر ، وتقتحم اقتحام المستشرى من الضر ، ونلقى أنفسنا على النار ، ولا نلقى بأيدينا إلى التهلكة والعار . ولا يُجرح واحد منا حتى يجرح عشرة . ولا تضمنا يد الفتك حتى تُرى أيدينا بالفتك متشرة . وانا نحرق الدور ونخرب القبة ، ونترك عليكم في سبينا السبة . ونقطع الصخرة ، ونوجدكم عليها الحسرة . ونقتل كل من عندنا من أسارى المسلمين وهم ألوف ، وقد عرف أن كلاً منا من الذل عزوف ، وللعز ألوف . وأما الأموال فانا نعطبها ولا نُعطِها ، وأما الذرارى فانا نسارع الى إعدامها ولا نستبطيها . فأية فائدة لكم في هذا الشح ، وكل خسر لكم في هذا الريح ، وربّ خيبة جاءت من رجاء النجح ، ولا يصلح السوء سوى الصلح ، ورب مدلج أضله ظلام الليل قبل إسفار الصبح .

فبعد السلطان محضرا للمشورة ، وأحضر كبراء عساكره المنصورة . وشاورهم في الأمر ، وحاورهم في السر والجهر ، واستطلع خبايا ضمائرهم واستكشف خفايا سرائرهم . واستورى زندهم ، واستعلم ما عندهم . وراوضهم على المصلحة المرجحة ، وفاوضهم في المصالحة المربحة . وقال « إن الفرصة قد أمكنت فنحرص في انتهازاها . وإن الحصة قد حصلت ونستخير الله في إحرازها . وإن فانت لاتستدرك ، وإن أفلتت لاتملك » . فقالوا « قد خصك الله بالسعادة ، وأخلصك لهذه العبادة . ورأيك راشد ، وعزمك لصالاة النصر ناشد ، وأمرك لأشئناات المنائح وأسباب المناجح حاشد ، وكلنا لك في اغتنام هذا الموضع الشريف مناشد » .

واستقر بعد مراودات ومعاودات ، ومفاوضات وتقويضات ؛ وضراعات من القوم وشفاعات ؛ على قطيعة تكدل بها الغبطة ، وتحصل منها الحوطة . واشتروا بها منا أنفسهم وأموالهم ، وخلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم . على أنه من عجز بعد أربعين يوما عما لزمه ؛ أو امتنع منه وما سلمه ؛ ضرب عليه الرق ، وثبت في تملكه لنا الحق . وهو عن كل رجل عشرة دنانير ، وكل امرأة خمسة ، وكل صغير أو صغيرة ديناران . ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدما الداوية والامبتار في الضمان .

وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء ، وقام بالأداء ولم ينكل عن الوفاء فمن سلّم خرج من بيته آمناً . ولم يعد إليه ساكناً .

وسلموا البلد يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب على هذه القطيعة ، وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة . وكان فيه أكثر من مائة ألف انسان ، من رجال ونساء وصبيان . فأغلقت دونهم الأبواب ، ورتب لمرضهم واستخراج ما يلزمهم الثواب : ووكل بكل باب أمير ومقدم كبير . يحصر الخارجين : ويحصي الواجبين . فمن استخرج منه خرج ، ومن لم يقدّم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج .

ولو حفظ هذا المال حتى يحفظه : لفاز منه بيت المال بأوفر حفظه . لكنّها تم الضريط ، وعم التخليط . فكل من رشأ مشى ، وتنكب الأمانة نهج الرشد بالرّشأ . فمتهم من أدلى من السور بالحبال ، ومنهم من حمل مخفياً في الرحال . ومنهم من غيرت لبيسته فخرج بزي الجند ، ومنهم من وقعت فيه شفاععة مطاعة لم تقابل بالرد .

وكانت في القدس ملكة رومية مترربة : في عبادة الصليب متصلة : وعلى مصابها به ملتبة : وفي التمسك بملتتها متصعبة متعصبة . أنفاسها متصاعدة للحزن : وعبراتها متحددة تحدر القطرات من المزن . ولها حال ومال وأشياء وأشياء ، ومتاع وأتباع . فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج ، وأذن في اخراج كل مالها في الأكياس والاخراج . فراحت فرّحى : وإن كانت من شجنها قرحى .

وكانت زوجة الملك المأسور — ابنة الملك أمارى — مقيمة في جوار القدس مع مالها من الخدم والحوّل (١) والحوارى . فخلصت هي بمن معها ومن تبعها . ومن ادعى أنه ممن أصحابها وشيعها . وكذلك الابرنساسة ابنة فيليب أم هنفرى : أعفيت من الوزن ، وتوفر مالها عليها في الحزن . واستطلت صاحب البيرة (٢) زهاء خمسمائة أرمنى : ذكر أنهم من

(١) الحول : جمع حول وهم العبيد والامم وغيرهم من الحاشية .

(٢) البيرة : بلد قرب سميساط بين حنط والثنور الواقعة على حدود الروم ( آسيا الصغرى )

ومى قلعة حصينة لها رستاق ( ياقوت ج ٢ : ط . الخاني ) .

بلده . وأن الواصل منهم إلى القدس لأجل متعبده ، وطلب مظفر الدين  
ابن على كوجك ( زهاء ألف أرمني ادعى أنهم من الرّها ، فأجراه السلطان  
من إطلاقهم له على ما اشتهى .

وكان السلطان قد رتب عدة دواوين<sup>(١)</sup> ، في كل ديوان منها عدة  
من النواب من<sup>(٢)</sup> المصريين ومنهم من الشاميين ، فمن أخذ من أحد  
الدواوين خطأ بالأداء انطلق مع الطلقاء ، بعد عرض خطه على من بالبواب  
من الأمناء والوكلاء . فذكر لي من لا أشك<sup>(٣)</sup> في مقاله ، أنه كان  
يحضر في الديوان ويطلع على حاله ، فربما كتبوا خطأ لمن نقده  
في كيسهم ، ويلبس أمر تلييسهم . فكانوا شركاء بيت المال لا أمناء .  
وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما أضر غناه ، ومع ذلك حصل  
لبيت المال ما يقارب مائة ألف دينار ، وبقى من بقي تحت رق وأسار ،  
يتنظر به انقضاء المدة المضروبة ، والعجز عن الوفاء بالقطعية المطلوبة .

---

(١) في أ ( ٥٠ ش ) عدة من الدواوين .

(٢) سابقة في أ ( ٥٠ ش ) .

(٣) في أ ( ٥٠ ش ) يشك . ( مبنى السجول ) .

## ذكر يوم الفتح وهو سابع عشرى رجب

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه (١) المعراج ، وتم بما وضع من منهاج النصر الابتهاج ، وزاد من الألسنة بالدعاء والابتهاج الابتهاج . وجلس السلطان للهنا ، للقاء (٢) الأكابر والأمراء ، والمتصوفة والعلماء . وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار ، بين الفقهاء وأهل العلم جلسائه الأبرار . ووجهه بنور البشر سافر ، وأمله بعز النجح وافر (٣) ظافر . وبابه مفتوح ، ورفده ممنوح . وحجابه مرفوع ، وخطابه مسجوع . ونشاطه مقبل ، وبساطه مقبل . وحمياه يلوح ، ورياه يفوح . ومحبه تروق ومهايته تروع ، وآفاقه تضيء وأخلاقه تضوع . وبده لفيض أهواه السخاء ، وقص أفواه العطاء (٤) ؛ ظاهرها قباة القبل : وباطنها كعبة الأمل .

قد حلت له حالة الظفر ، وكان دَسَمُهُ (٥) به حالة القمر . والقراء جلوس يقرأون وبرشدون ، والشعراء وقوف يَشْدُون وَيَشْدُون . والأعلام تبرز لتنشر ، والأقلام تبرز لتبشر . والعيون من فرط المصرة (٦) تدمع ، والقلوب للفرح بالنصرة تخشع ، والألسنة بالابتهاج الى الله تضرع ، والكاتب ينشئ ويوشى ويوشع (٧) ، والبلغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع .

(١) ساقطة في أ (٥٠ ش) .

(٢) في أ (٥٠ ش) ولقاء .

(٣) ساقطة في ب و ل مثبته في أ (٥٠ ش) .

(٤) في أ (٥١ ش) العطاء .

(٥) التست كلمة كردية لما معان كثيرة وهي هنا بمعنى صدر المجلس ( الألفاظ الفارسية

المعربة لاندى شيرط . ب ١٩٠٨ م ) .

(٦) في أ (٥١ ش) الاسرة .

(٧) يوشع : أى يزيد وينتق ، ووشع في الجبل : أخذ يمينا وشمالا ، ووشعت الغنم في الجبل صعدت لترعاه ، والوشيع علم الثوب وما يحمل حول الحديقة من الشوك ونحوه منعا للدخيلين .

فما شبهت قلبي إلا بِشائر أَرَى (١) البشائر ، ولا وجهت كلمي إلا لطائف وحى اللطائف . وما أُرسلت يراعي إلا يراعي الرسائل ، ويوشع الفضائل (٢) ، ويشيع القواضل . ويشيع القول ، ويسبغ الطول . ويطول بالهجة وإن كان في طوله (٣) قصر ، ويصول بالهجة وإن كان في حجمه (٤) حصر . ويسمن (٥) الملك به وهو نحيف ، ويثقل الجيش به وهو خفيف . ويبدى بياض الفرة من سواد الدهمة ، ويجلو بهجة الضياء من عجمة الظلمة . ويجرى بالآجال والأرزاق ، والمنع والاطلاق ، والخلف والوفاق ، والارفاق والإعتاق . والعدة والانجاز ، والجلدة والإعواز . وأفتق والرتق ، والرقع والخرق .

وهو الذى يجمع الجيوش ، ويرفع العروش . ويوحش المستأنس ، ويونس المستوحش . وبه (٦) ينشئ العائر ، ويعثر المستعش (٧) ويجرى بالإعداء على الأعداء ، وبالإيلاء للأولياء .

فبشرت بأقلامى أقاليم البشر ، وعبرت بأعاجيبى عن عجائب (٨) العبر ، وملأت البروج بالدرارى والدروج (٩) بالدرر . ورويت تلك البشرى حتى أطابت ربا (الرى) (١٠) وسمر (سمرقند) (١١) ، وأطربت وحلت حتى (فاقت القنديد والقنند) (١٢) . وعلقت بفتح القدس بلاد الإسلام وزينت ، وشرحت فضيلتها وبينت ، وأدبت فريضة زيارتها وتعينت .

(١) شائر أرى جامع عمل ومجتز له .

(٢) عبارة يوشع الفضائل ساقطة ، في بول مثبته في أ ( ٥١ ش ) .

(٣) في بول حجمه ، والتصحيح من أ ( ٥١ ش ) .

(٤) في بول حجمه والتصحيح من أ ( ٥١ ش )

(٥) في بول يسمى وهو تحريف والتصحيح من أ ( ٥١ ش ) .

(٦) ساقطتان في بول مشتبتان في أ ( ٥١ ش ) .

(٨) في أ ( ٥١ ش ) أعاجيب .

(٩) الدروج : لى الرياح السريعة المروور .

(١٠) الرى : مدينة كبيرة بإيران .

(١١) سمرقند : يقال لها بالهرية سمران من بلاد ماوراء النهر وهو قصبة الصند ( ياقوت

١١ : ٢٤٦ ط . ب ) .

(١٢) القنديد : الكافور ، طيب يعمل بالزعفران . القنند : عمل قصب السكر إذا جمده

## ذكر حالي في العود الى الخيمة

وكننت قد انقطعت من الصحبة ؛ لما عرض لي في (١) المرض من النوبة . فأقمت بدمشق أداوى مزاجي ؛ وأدارى منهاجي ؛ وأعالج تدييري وأدبر علاجي ؛ الى أن وصل الخبر بأن السلطان نزل على القدس ، فوجدت خفة في النفس ، وأنست بابلالي بعض الأنس ، وأمنت لوثوق بالصحة والاستقامة من النكس .

فأوجهت الى تلك الجهة ، وسرت بطاعة النفس المنزهة ، وعصيان الطبيعة المتكرهة . واخترت تعب السفر على راحة الإقامة ، ورأيت في ركوب طريق العطب وجه السلامة . ووصلت بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجاح .

فوصلني السلطان عند وصولي بأجلى بشاشة ، وأحلى هشاشة . وسرى عنه وسرّ ، وأبرّ وبر . وقال « أين كنّت ولما أبطأت ، وحيث أصبت في المجيء فما أخطأت . وقد كنا في انتظارك ، والسؤال عن أخبارك . وهذا أوان احسانك ، فأين احسان أوانك ، فأجبر بنانك بجرة بيانك ، واجبر في ميدانك . وما للبشائر إلا واصفها ، وللفرائد الا راصفها . وللفصاحة الافسها (٢) ، وللحصافة الا قيسها (٣) » .

وكان قد جمع أمس كتاب دواوينه على انشاء كتب ما ارتضاها ، واقتضاب معان ما اقتضاها . وكانوا سألوه في كتاب الديوان العزيز فقال

---

(١) في (٥٢ ص) من .

(٢) يقصد قس بن ساعدة الايادي فصيح العرب وخطيبها في الجاهلية وقد سبقت ترجمته  
(٣) يقصد قيس بن زهير حصيف العرب في الجاهلية وهو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير عبس وداهيتا ، وأحد السادة القادة في عرب العراق ، وكان يلقب بقيس الرأي بلودة رأيه ، كما يضرب بدمائه المثل ، وحكمته في مأثور كلامه مستفيضة وخطبه غير قليلة وشعره جيد فحل ، توفي سنة ١٠ هـ ( الأعلام للزركلي ج ٢ : ٨٠ ط . المطبعة العربية ١٣٤٦ هـ ) .

ولهذا من هو أقوم به ، ، وعَنَانِي ، فلما رَأَى ناداني واستدنانِي ، فصرفت  
الى امتثال أمره عَنَانِي . وسلم الى الكتب التي كتبوها بالألفاظ التي رتبوها .  
وقال « غيرها ولا تسيرها » وغرضه أَنى أعدل معوجها ، وأبدل مثبجها (١)  
وأفترع المعنى البكر للفتح البكر ، وأوشح ذكر آياته بآيات الذكر .

فاستجديتُها فما استجدتُها ، واستكملتُها فما استكملتُها . وشممتُها  
وبها سهك (٢) ، وكشفتُها وسرّها هتك ، وكانوا قد تعاونوا عليها وفيها  
لهم شرك . فتسرع في اقتضااض الأبيكار ، واقتضاء الأفكار . واقترّاح  
القرينة ، واقترأ رحاب الكلم القصيدة الفسيحة . وافتتحت في بشرى  
الفتح بكتاب الديوان العزيز ، وأوردت المعنى المبلغ في اللفظ الوجيز .  
ووشحت ووشعت ، وشعبت وأشعبت . وأطلت وأطبت ، وصبت (٣)  
وأصب ، وأعجزت وأعجبت ، وأطريت وأطربت . وأبعدت وأبدعت ،  
ورصعت وصرعت . وطابقت وجانست ، ووافقت وأنست .

وينت فضل عصر الامام على الأعصار السابقة ، بالأبصار الصادقة . وأن  
هذا الفتح ادخره الله لزمانه ، ومكن منه لمكانه ، وسلط عليه بسلطانه ،  
وحسنه لنا باحسنه . وقد عبرت القرون الماضية على حسرته ، وظفر  
هو وأشياعه بمسرته . وما حصل لنا الا ببركة أيامه ، وحركة اعتزاه .  
وذكرت من هذا كل ما راق وشاق ، ونور الآفاق . وأن هذه الفتوح  
تفوح بأرج نشره ، ونجما بجما بره . فما أيمن أيا منا بأيامه ، وما أسعد آمالنا  
بانعامه .

وكتبْتُ الى كل ذي طرف بمعنى طريف ، ولفظ فصيح حصيف .  
وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلئ ، وحليت المعالي ، وقرحت المعادي  
وفرحت الموالى . وصارت شواردي الى المشرق والمغرب ، مُعْرَبَةٌ عن

(١) مثبجها : أى معطها وأكثرها .

(٢) سهك : ريع كربة .

(٣) صبت : صاب المطر يصب ، انصب ونزل والمقصود هنا أن المؤلف شبه نفسه  
بالمطر المنهمر وأنه أصاب القصد والمعنى اللتين روى إليهما .

هذا الفتح المعرب عن النصر المذهب . وبشرت المسجد الحرام بخلاص  
المسجد الأقصى . وتلوت ( شرع لكم من الدين ما وصى ) (١)

وهنأت الحجر الأسود بالصخرة البيضاء (٢) ، ومنزل الوحي بمحل  
الإسراء (٣) ، ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والأنبياء .  
ومقام إبراهيم بموضع قدم محمد المصطفى - صلى الله عليه وعليهم أجمعين ،  
وأدام أهل الاسلام بشرف بيته مستمتعين .

وتسامع الناس بهذا النصر الكريم ، والفتح العظيم ، فوفدوا للزيارة  
من كل فج عميق ، وسلكوا إليه في كل طريق ، وأحرموا من البيت  
المقدس الى البيت العتيق ، ونزهوا من أزهار كراماته في الروض الأنيق .

---

(١) الآية ١٣ سورة الشورى .

(٢) يقصد للصخرة الى أقام عليها عبد الملك بن مروان القبة سنة ٧٦ هـ .

(٣) يقصد حادثة أسراء الرسول من مكة إلى القدس .



## ذكر ماجرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الافرنج في بيع الأمتعة ، واستخراج ذخائرهم المودعة .  
وباعوها بالمجان في سوق الهوان ، وتقاعد الناس بهم فابتاعوها بأرخص  
الأثمان . وباعوا بأقل من دينار كل مايساوى أكثر من عشرة ، ووجدوا  
في ضم ماوجدوا من أمور لهم منتشرة . وكنسوا كنائسهم ، وأخذوا منها  
نفائسهم . ونقلوا منها الذهبيات (١) والقضيات من الأواني والقناديل ،  
والحريريات والمذهبات من الستور والمناديل . ونقضوا من الكنائس  
الكنائس ، واستخرجوا من الخزائن اللغائن . وجمع البطرك الكبير كل  
ما كان على القبر من صفائح التبر ومصوغات المسجد ومصنوعات اللجين ،  
وجمع ما كان في قمامة من الجنسين والنسجين .

فقلت للسلطان « هذه أموال وافرة ، وأحوال ظاهرة ، تبلغ مائتي  
ألف دينار ، والأمان على أموالهم لا أموال الكنائس والأديار . فلا تركها  
في أيدي هؤلاء الفجار » ، فقال اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر ، وهم  
جاهلون بسر هذا الأمر . ونحن نجريهم على ظاهر الأمان ، ولا نتركهم  
يرمون أهل الايمان بنكت الأيمان ، بل يتحدثون بما أفضته من الاحسان .

فتركوا ما ثقل وحملوا ما عز وخف ، ونقضوا من تراب تراثهم وقمامة  
قمامتهم الكف . وانتقل معظمهم الى صور . وكنفوا بالديجور (٢) الديجور ،  
وبقي منهم زهاء خمسة عشر ألفا امتنعوا من مشروع الحق ، فاختصوا  
بمشروط الرق . فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف فانهم ألفوا  
ذلا لم يكونوا له بالآلاف . فاقسمتهم أيدي السبي أيدي سبيًا ، وتفرق  
الغامون يجمعهم في الوهاد والربا . وأحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف  
نسمة ، عادت بيننا مقتسمة ، وأصبحت ييكأها وجوه الدولة مبتسمة .

فكم محجوبة هتكت ، ومالكة ملكت ، وعزباء نكحت ، وعزيرة

(١) في أ (٥٤ ي) ذهبياتهم .

(٢) ساقطة في أ (٥٤ ي) والديجور : بمعنى التراب الأغبر الضارب إلى السواد ، الظلام

منحت ، وبخيلة تسمحت ، (١) وحية توقحت ، ومجلة مزحت ،  
ومصونة ابتذلت ، وفارغة شغلت ، وعقيلة امتنعت ، وجميلة امتنحت ،  
وعلواء افترعت (٢) ، وشماء قرعت ، ولواء (٣) رشفت ، وظمياء (٤)  
فرشت ، وريضة أصحبت ورضية أصحبت .

فكم تسرى منهن سرى ، وتجراً عليهن جرى . وقضى وطره عزب ،  
وننى نهمه سغب ، وفناً سورته شغب . وكم غانية استخلصت ، وغالية  
استرخصت . ووالية اعتزلت ، وعالية استزلت . ووحشية صيدت ،  
وعرشية قيدت .

ولما تقلص القلص من رجس الفرنج أهل الرجز ، وخلع لباس الدل  
ولبس خلع العز ، أبى النصارى بعد أداء القطيعة أن يخرجوا ، وتضرعوا  
فى أن يسكنوا ولا يزعجوا . وبذلوا خلعاً وخطموا يبدول ، وقابلوا كل  
ما ألزموا به بالزام وقبول . وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،  
وشحت (٥) أفواههم بما شجاهم فزاد شجاهم وهم فاغرون . ودخلوا فى  
اللزمة ، وخرجوا الى العصمة ، وشغلوا بالخدمة ، واستعملوا فى المهنة ،  
وعدوا المحنة فى تلك المحنة .

---

(١) فى ب عيه والصحيح من ل ومن أ ( ٥٥ ى ) .

(٢) افترعت : أنزلت بكارتها .

(٣) لواء : فعلها لى يلى ، وهى مؤنث ألى والمضى بشفتها سواد .

(٤) ظمياء : مؤنث أظلى والمقصود هنا بصفة عامة الرقيقة النحيفة .

(٥) فى أ ( ٥٥ ش ) شجيت .

ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات وعماه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب . وحتم به أمر الإيجاب . وكان البداية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للفلة هريا(١) ، وقيل كانوا اتخذوه مستراحا علوانا وبغيا . وكانوا قد بنوا(٢) من غربي القبلة دارا واسعة ، وكنيسة رفيعة . فأوعز برفع ذلك الحجاب ، وكشف النقاب ، عن عروس المحراب . وهدم ما قدامه من الأبنية ، وتنظيف ماحوله من الأفنية . بحيث يجتمع الناس في الجمعة في العرصة(٣) المتسعة .

ونصب المنبر وأظهر المحراب المطهر . ونقض ما أحدثوه بين السواري(٤) ، وفرشوا تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبورى(٥) . وعلقت القناديل ، وتلى التنزيل ، وحق الحق وبطلت الأباطيل ، وتولى الفرقان وعزل الانجيل . وصُغت السجادات ، وصفت العبادات ، وأقيمت الصلوات ، وأدبعت الدعوات ، ونجحت البركات ، وانجلت الكربات ، وانجابت الغيابات ، وانتابت الهدايات ، وتليت الايات ، وأعليت الرايات .

ونطق الأذان وخرس الناقوس ، وحضر المؤذنون وغاب التسوس ، وزال العبوس والبوس ، وطابت الأنفاس والنفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس . وعاد الايمان الغرب منه الى موطنه ، وطلب الفضل من معدنه . وورد القراء وقرىء الأوراد ، واجتمع الزهاد والعباد ، والأبدال والأوتاد(٦) . وعبد الواحد ووجد العابد ، وتوافد الراكع والساجد ،

---

(١) هريا : مخازن اللؤلؤ .

(٢) ساقطة في (٥٥ ش)

(٣) العرصة : ساحة الدار أو كل بقعة لا بناء فيها .

(٤) السواري : الاسطوانات التي تشبه الأعمدة ، أو الأعمدة التي تنصب في وسط الساحة

لتعليق القلوع .

(٥) البورى : الحصر المنسوج .

(٦) الأوتاد : أي الرؤساء .

والخاشع والواجد ، والزاهي والزاهد ، والحاكم والشاهد ، والجاهد والمجاهد ، والقائم والقاعد ، والمتعهد الساهد ، والزائر والوافد .

وصدح المنبر وصدح المذكر ، وانبعث المعشر وذكر اليحث والمحشر . وأملى الحفاظ ، وأسلى (١) الوعاظ . وتذاكر العلماء ، وتناظر الفقهاء . وتحدث الرواة وروى المحدثون، وتحنف الهداة وهدى المتحنفون . وأخلص الداعون ودعا المخلصون ، وأخذ بالعزيمة المترخصون ، ونلخص المفسرون وفسر الملخصون . وانتدئ الفضلاء ، وانتدب الخطباء . وكثر المترشحون للخطابة ، المتوشحون بالإصابة ، المعروفون بالفصاحة ، الموصوفون بالحصافة .

فما فيهم الا من خطب الرتبة ، ورتب الخطبة . وأنشأ معنى شائفا ، ووشى لفظا رائفا ، وسوى كلاما بالموضع لائقا ، وروى مبتكرا من البلاغة فائقا . وفيهم من عرض على خطبته ، وطلب منى نصيبته . وتغنى أن ترجح فضيلته ، وتنجح وسيلته ، وتسبق منيته فيها أمنيته . وكلهم طال الى الانتهاء بها عنقه ، وسال من الالتهاب عليها عرقه . وما منهم الا من يتأهب ويترقب ، ويتوسل ويتقرب . وفيهم من يتعرض ويتضرع ، ويتشوف ويتشفع . وكل قد لبس وقاره ووقر لباسه ، وضرب في أحمامه أسداسه ، ورفع لهذه الرئاسة راسه . والسلطان لايعين ولا يبين ، ولا ينقص ولا ينص .

ومنهم من يقول « ليتنى خطبت في الجمعة الأولى ، وفزت باليد الطولى . وإذا ظفرت بطالع سعدى ؟ فما أبالى بمن يخطب بعدى » .

فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان ؛ أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان . وامتلاً الجامع ، واحتفلت المجامع ، وتوجست الأبصار والمسامع ، وفاضت لركة القلوب المندماع ، وراعت لولية تلك الحالة وبهاء تلك البهجة الروائع ، وشاعت من سر السرور بلبس حبر الجبور الشوائع ، وغصت بالسابقين اليها المواضع . وتوسمت العيون ، وتقسمت الظنون .

---

(١) أسلى : كشف عنهم الغم .

وقال الناس : هذا يوم كريم ، وفضل عظيم ، وموسم عظيم . هذا يوم  
 تجاب فيه الدعوات ، وتصب البركات ، وتسال العبرات ، وتقال  
 العثرات . ويتيقظ الغافلون ، ويتعظ العاملون . وطوبى لمن عاش ، حتى  
 حضر هذا اليوم الذى فيه انتعش الاسلام وارتأش . وما أفضل هذه الطائفة  
 الحاضرة ، والعصبة الطاهرة ، والأمة الظاهرة . وما أكرم هذه النصر  
 الناصرية ، والأسرة الامامية ، والدعوة العباسية ، والمملكة الأيوبية ، والدولة  
 الصلاحية . وهل فى بلاد الاسلام أشرف من هذه الجماعة ، التى شرفها  
 الله بالتوفيق لهذه الطاعة .

وتكلموا فيمن يخطب ، ولئن يكون المنصب . وتفاوضوا فى التضيض ،  
 وتحدثوا بالتصريح والتعريض . والأعلام تعل ، والمنبر يكسى ويغلى .  
 والأصوات ترتفع ، والجماعات تجتمع . والأفواج تزدهم ، والأمواج  
 تلتطم . وللعارفين من الضبيج ، مافى عرفات للحبيج . حتى حان  
 الزوال ، وزال الاعتدال . ونخيل (١) الداعى ، وأعجل الساعى .  
 فنصب السلطان الخطيب بنصبه ، وأبان عن اختياره بعد فحصه . وأوعز  
 إلى القاضى ( محيى الدين أبى المعالى محمد بن زكى الدين على القرشى ) (٢)  
 بأن يرق ذلك المرق ، وترك جباه الباقيين بتقديمه عرق . فأعزته من عندى  
 أهبة (٣) سوداء من تشريف الخلافة ، حتى تكمل له شرف الاغاضة  
 والاضافة : فرق العود ، ولقى السعود . واهتزت أعطاف المنبر ، واعتزت  
 أطراف المعشر .

وخطب وأنصتوا ، ونطق وسكتوا . وأفصح وأعرب ، وأبدع وأغرب ،  
 وأعجز وأعجب ، وأوجز وأسهب . ووعظ فى خطبته ، وخطب  
 بموعظته . وأبان عن فضل البيت المقلد وتقديسه ، والمسجد الأقصى من

(١) خيل : أى ليس .

(٢) محيى الدين أبى المعالى بن زكى الدين على القرشى : كان قاضى قضاء دمشق ، مات

سنة ٥٩٨ هـ عن ٤٨ سنة (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٨١ ط . دار الكتب ) .

(٣) الأهبة كالمية بكسر الميم وتشديد الهاء : القطعة من الثوب .

أول تأسيسه ، وتطهيره بعد تنجيسه ، وإخراص ناقوسه وإخراج قسيسه .  
ودعا للخليفة والسلطان . وختم بقوله تعالى ( إن الله يأمر بالعدل والإحسان (١) )  
ونزل وصلى في المحراب ، وافتتح بيسم الله من أم الكتاب . فاثم بثلث  
الأمة ، وتم نزول الرحمة ، وكل وصول النعمة هـ

ولما قضيت الصلاة انتشر الناس ، واشتهر الأيثار ، وانعقد الاجتماع  
واطرده القياس . وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير ، ليفرعه كبير .  
فجلس عليه ( زين الدين أبو الحسن علي بن نجبا (٢) ) ، فذكر من خاف ومن  
رجا ، ومن سعد ومن شق ومن هلك ومن نجا ، وخوف بالحجة ذوى الحجا ،  
وجلا بنور عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا . وأتى بكل عظة ، للراقدين  
موقظة ، وللظالمين محفظة ، ولأولياء الله مرفقة ولأعداء الله مخلظة .

وضج المتباكون ، وعج المشاكون . ورقت القلوب ، وخفت الكروب  
وتصاعدت النعرات ، وتحدرت العبرات . وتاب المذنبون ، وأتاب المتحوبون ،  
وصاح التوابون ، وناح الأوابون . وجرت حالات جلت ، وجلوات حلت ،  
ودعوات علت ، وضراعات قبلت ، وفرص من الولاية الالهية انتهزت  
وحصص من العناية الربانية احرزت .

وصلى السلطان في قبة الصخرة ، والصفوف على معة الصحن (٣) بها  
متصلة ، والأمة إلى الله بلوام نصره مبتهلة ، والوجوه الموجهة إلى القبلة  
علية مقبلة . والأيدى إلى الله مرفوعة ، والدعوات له (٤) مسموعة . ثم  
رتب في المسجد الأقصى خطيبا استمرت خطبته ، واستقرت نصبته .

(١) الآية ٩٠ سورة النحل .

(٢) زين الدين ، أبو الحسن ، علي بن إبراهيم بن نجبا ، ويعرف بابن نجبه ،  
اللقبة الخليل ، الواظ ، أحب للوعظ واشتغل به ، عرف به . اثنى أموالا عظيمة حتى قيل أنه  
كان في داره عشرون جارية للفراش ، وكان يقدم في داره من الأطعمة الكثيرة الحيدة مالا يقلم  
إلا في دور الملوك ، ومع هذا مات فقيرا سنة ٥٩٩ هـ ، فكفته أصحابه ( شلرات الذهب ج ٤ :  
٣٤٠-٣٤١ ) و ( الروضتين ج ٢ : ٣١٢ تحقيق د . محمد حلمي ) و ( النجوم الزاهرة ج ٦ ط .  
دار الكتب ) .

(٣) الصحن : صحن الدار ، ساحتها ووسطها .

(٤) سابقة في أ ( ٥٨ ش ) .

## وصف الصخرة المعظمة عدها الله

وأما الصخرة فقد كان القرنج (١) قد بنوا عليها كنيسة وملجأ ، ولم يتركوا فيها للأيدى المتبركة ولا للعيون المدركة ملمسا ولا مطمحا . وقد زينوها بالصور والتماثيل ، وعينوا بها مواضع الرهبان وعط الأنجيل ، وكملوا بها أسباب التعظيم والتبجيل . وأفردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة ، بأعمدة الرخام منصبة . وقالوا : محل قدم المسيح : وهو مقام القديس والتسبيح ، وكانت فيها صور الأنعام مثبتة في الرخام . ورأيت في تلك التصاوير أشباه الخنازير . والصخرة المقصودة المزورة ، بما عليها من الأبنية مستورة ، وبذلك الكنيسة المعمورة مغشورة .

فأمر السلطان بكشف تقاياها ، ورفع حجابها ، وحسر لثامها ، وقشر رخامها ، وكسر رجامها ، ونقص يناتها ، وفص غطائها . وأبرازها للزائرين ، وأظهارها للناظرين . ونزع لبوسها ، وزفاف عروسها . وأخرج حرها من الصدف ، وأطالع بلرها من السُدْف (٢) . وهدم سجنها ، وفك رهنها ، وارة حسننها ، واضاعة يمنها . وأبداء وجهها الصبيح ، وجلاء شرفها الصريح . ورددها إلى الحالة الخالية ، والقيمة الغالية ، والرتبة العالية . وهى التى حليها عطل ، وعطّلها حلى ، وعريها كسوة وكسوتها عرى .

فعادت كما كانت في الزمن القديم ، وشهدت حين شوهدت بحسبها الكريم ، وسيم بهاء حسننها الوسيم . وما كان يظهر منها قبل الفتح الاقطعة من تحتها ، قد أساء أهل الكفر في نحتها . وظهرت الآن أحسن ظهور ، وسفرت أيمن سفور ، وأشرقت القناديل من فوقها نورا على نور . وعملت عليها حظيرة من شبايك حديد ، والاعتناء بها إلى الآن كل يوم في مزيد . ورتب السلطان في قبة الصخرة إماما من أحسن القراء تلاوة ، وأزينهم

(١) ساقطة في أ (٨٠ ش) .

(٢) السدف : النظلة أو الحجاب .

طلاوة . وأنداهم صوتا ، وأسماهم فى الديانة صيتا . وأعرفهم بالقراءات  
السبع بل العشر ، وأطيبهم فى العرف والنشر . وأغناه وأفناه ، وأولاه لما  
ولاه . ووقف عليه داراً وأرضاً وبستاناً ، وأسلى إليه معروفاً داراً واحساناً .  
وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات ؛ وربعات  
معظمت ؛ لا تزال بين أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعة ، وعلى أسرتها  
موضوعة .

ورتب لهذه القبة خاصة ؛ وللبيت المقدس عامة ؛ قومة (١) لشمل مصالحها  
ضامة . فما ترتب إلا العارفون العاكفون ، القائمون بالعبادة الواقفون .

فما أبهج ليلها وقد حضرت الجموع ! وزهرت الشموع ! وبان الخشوع !  
ودان الخضوع ! ودرت من المتقين الدموع ! واستعرت من العارفين الضلوع !  
فهناك كل ولى يعبد ربه ويأمل بره ، وكل ( أشعث أغبر لا يؤبه  
له لو أقسم على الله لأبره ) (٢) وهناك كل من يحيى الليل ويقومه ، ويسمو  
بالحق ويسومه . وهناك كل من يحتم القرآن ويرتله ، ويطرد الشيطان ويبطله .  
ومن عرفته لعرفته الأسحار ، ومن ألقته لتعجده الأوراد والأذكار .

وما أسعد نهارها حين تستقبل الملائكة زوارها ، وتلحف الشموس  
أنوارها ، وتحمل القلوب إليها أسرارها ، وتضع الجناة عندها أوزارها ،  
وتستهنى صبيحة كل يوم منها أسفارها ، وما أظهر من تولى إظهارها !  
وأظهر من باشر إظهارها !

وكان الفرنج قد قطعوا من الصخرة قطعاً وحماوا منها إلى قسطنطينية ،  
ونقلوا منها إلى صقلية . وقيل باعوها بوزنها ذهباً ، واتخذوا ذلك مكسباً .  
ولما ظهرت ، ظهرت مواضعها ؛ وقطعت القلوب لما بانَت مقاطعها ؛ فهى الآن  
مهرزة للعيون بجزها ، باقية على الأيام بجزها ، مصونة للإسلام فى خلدتها  
وحرزها . وهذا كله تم بعد انفصال السلطان والشروع فى العمران .

---

(١) قومه : أى قائمون بأمرها .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .



وأمر بترجيح محراب الأقصى ، وأن يبالغ فيه ويستقصى . وتنافس ماوك  
بني أيوب فيما يؤثر بها من الآثار الحسنة ، وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر  
الألسنة . فما منهم إلا من أجمل وأحسن ، وفعل ما أمكن ، وجلا وبين .  
وحلا وزين . وأشفق وأفنى ، وأغنى وأفنى (١) ، واعنى وابنى . ووفى  
وأوفى ، وأصنى وأضنى .

وأنى ( الملك العادل سيف الدين أبو بكر ) بكل صنع بكر ، موجب  
لكل شكر . وكل فعل جميل ، ورفد جزيل ، ومن جلى ومنح جليل .  
ومكرمة حميدة ، ومعملة كريمة . وفضيلة بها ترجح ، ووسيلة بها (تنتجح)  
وأنى ( الملك المظفر تقي الدين عمر ) بكل ما عم به العرف وغمر ،  
ونهى وأمر ، وبني وعمر . ومن جملة أفعاله المشكورة ، ومكرماته  
المشهوره ؛ أنه حضر يوما في قبة الصخرة ، مع جماعة من السراة والأسرة (٢)  
ومعه من ماء الورد أحمال ، ولأجل الصلقة والرفد مال . فانتهاز فرصة  
هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض (٣) ، وتولى بيده كنس تلك الساحات  
والعراس . ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ، ثم أتبع الماء بماء الورد  
صبًا حتى تطهرت . وكذلك طهر حيطانها ، وغسل جدرانها . ثم أتى  
بمجامر الطبيب فتبخرت ، وتضوعت وتعرفت . وفغمت مناقش أهل  
الهدى ، وأرغمت آناف العدا .

وما زال مع قومه ؛ في تطهير البقعة المباركة طول يومه ؛ حتى تيقنت  
طهارتها ؛ وبينت عمارتها ، وراقت نضارتها ، ووقفت عليها الاستحسان  
نظارتها . ثم فرق ذلك المال فيها على ذوى الاستحقاق ، واقتصر بأن فاق  
الكرام بالاتفاق .

وجاء ( الملك الأفضل نور الدين علي ) ؛ بكل نور جلى ، وكرم ملى ،  
واحسان سنى ، وانعام هنى ، وعرف زكى ، وعرف ذكى . وعطاء  
مبتدع ، ومسحاء مخترع . وجود مبتكر ، ورفد معتبر . وآتى بكل ما خلد

---

(١) أغنى وأعلى .

(٢) أى الملوك بالأمر .

(٣) أى انتهاز الفرصة .

الأثر الحسن ، وأنطق بحمده الألسن . وبسط بها الصنعة ، وفرش فيها البسط الرفيعة . وهلى وأهدى ، وأعاد بعد ما أبدى ، وأثار وأسدى . وأفاض التلى ، وفض الجدا(١) . ونفض الأكياس ، حتى خلنا به الانفاض والافلاس .

وسبق ذكر ما اعتمده من بناء أسوار القدس وحفر خنادقه ، وأعجز بما أعجب من سوابق معروفه ولواحقه ؛ ما لم يشق أحد فيه غباره ، ولا ملك سابق في مضماره .

وأما ( الملك العزيز عثمان ) ، فإنه أتى بالاحسان الذى استظهر به الايمان . وذلك ؛ أنه لما عاد إلى مصر وقد شاهد الفتح والنصر ، ترك خزائنه سلاحه بالقدس كلها ، ولم ير بعد حصولها به ثقلها . وكانت أحمالا بأهوال ، وأثقالا كجبال . وذخائر وافية ، وعددا واقية . ودروعا سوانج ، ونهولا دواعج . وخوذا وترائك ، ورماحات ونيازك(٢) . وقنا وقنابل ، وصواقل وذوايل . وجروحا وقسيًا ، وبعانيًا وهنديا ويزنيا ، ووردينا ومشرفيا . وجفاتي وجنويات ، وطوارق(٣) وقنطاريات . ورائات(٤) حديد وزانات . وآلات وزيارات(٥) وزراقات ، ونفّاطات وقطّاعات . وعدل الثقوب ، وجميع أدوات الحروب . فاستظهرت بها المدينة ، وتوقفت بها عراها المثينة .

وكان من جملة ما شرط على الفرنج أن يتركوا لنا خيلهم وعدتهم ، ويخرجوا قبل أن يستوفى الباقيون في أداء القطيعة ملتهم . فتوفرت بذلك عدد البلد ، واستغنى بذلك عما يصل من المدد .

(١) فض الجدا : فرق البطء وقسمه .

(٢) نيازك : رمح قصيرة .

(٣) طوارق : جمع طارقه وهى الدرة أو الترس ( Buckler )

(٤) الران : كالتف إلا أنه لا تلم له وهو أطول منه .

(٥) زيارات : جمع زيارة ، نوع من القس الرامية للمهام يذكر غالباً مع القس الأخرى

كالبرخ والقفار ولكنها أكبر منها وأضخم (مفرج الكروب ج ٢ : ٢٦٢ تحقيق د . الشبال)

و ( Dozy. Supp. Dict. Arabe ) .

ذكر محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد الكرام

وتبديل الكنائس وإنشاء المدارس

وأما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الأقصى ؛ فإنه في حصن عند باب المدينة منيع ، وموضع عال رفيع . وهو الحصن الذي يقيم به الوالى ، فاعتنى السلطان بأحواله الخوالى (١) . ورتب له إماما ، وموذنين وقواما . وهو مثابة الصالحين . ومزار القاديين والرائحين . فأحياء وجدده ، ونهج لقاصديه جدده (٢) . وأمر بعمارة جميع المساجد ، وصون المشاهد ، وإنجاح المقاصد ، وإصفاء الموارد ، للقاصد والوارد . وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلام ، وكان يتنابها فيها الأنام .

وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون ، وأجناده على بابها يقيمون دوافض السلطان جلساؤه من العلماء الأبرار والأتقياء الأخيار ؛ في مدرسة للفقهاء الشافعية ، ورباط للصالحاء الصوفية . فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصند حنة (٣) — عند باب أسباط . وعين دار البطرك وهى بقرب كنيسة قمامة — للرباط . ووقف عليهما وقوفا ، وأسدى بذلك إلى الطائفتين معروفاد وارتاد أيضاً مدارس للطوائف ، ليضيفها إلى ما أولاه من العوارف .

وأمر باغلاق أبواب كنيسة قمامة ، وحرم على النصارى زيارتها ولا الإمامة . وتفاوض الناس عنده فيها ، فمنهم من أشلر بهدم مبانيها . وتعفية آثارها ، وتعمية نهج مزارها . وإزالة تماثيلها ، وإزاحة أباطيلها ،

---

(١) أى للتخيرة المتتالية .

(٢) الجدد : الطرق المختلفة والمخطط تكون في الجمال .

(٣) كنيسة مسندنة : هذه الكنيسة يقال أن فيها قبر حنة أم مريم عليها السلام ، وقد صارت مدرسة أقامها صلاح الدين ، ( تاريخ أبو الفداء ج ٣ : ٨٣ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) ويبدو أن كلمة مسند هى تحريف للكلمة الفرنسية *benoit* بمعنى قسيسه ( الخلق ) .

واطفاء قناديلها ، واعفاء أناجيلها ، وازهاب تساويلها (١) ، واكذاب  
اقاويلها .

وقالوا : إذا هدمت مبانيها ، وألحقت بأسافلها أعاليها ، ونبشت المقبرة  
وعفيت ، وأخمدت نيرانها وأطقيت ، وحيت رسومها وتقيت ، وحرثت  
أرضها ، ودمر طولها وعرضها ، انقطعت عنها امداد الزوار ، وانحسرت  
عن قصدها مواد أطماع أهل النار . ومهما استمرت العمارة ، استمرت  
الزيارة .

وقال أكثر الناس : لا فائدة في هدمها ولا هدمها ، ولا يؤذن بصد أبواب  
الزيارة عن الكفرة وسدّها . فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد  
من البناء ، ولا يتقطع عنها قصد أجناس النصرانية ولو نسفت أرضها في  
السماء ؛ ولما فتح أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - القدس في صدر الاسلام  
أقرهم على هذا المكان ، ولم يأمرهم بهدم البنيان .

---

(١) لعل المؤلف أراد ، إذهاب الأباطيل التي يسوقها الشيطان لهم .

ومما كتبه إلى الديوان العزيز مجله الله للبشرى بفتح القدس

مع الرسول ضياء الدين الشهرزورى (١) من رسالة

وقد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم ، والنصر العميم ،  
والعرف الجسيم ، والفضل الوسيم ، واليوم الأغر الأعز الكريم . والشرف  
الذى ذخره الله لهذا العصر ليفضله على الأعصار . وأراد تأخير فخاره إلى  
هذه الأيام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد أعجز الملوك عن اقتضاء نصرته ،  
واقتضاؤا عثرته ، وخص من أجراه على يده بسمو قدره ونحو قدرته .  
وأعاد به القدس إلى قلعه ، وأظهره وطهره من رجس الكفر ورجسه . وقد  
رجع الاسلام الغريب منه إلى داره ، وخرج قمر المدى به من سراره (٢) ،  
ودهمت ظلم الضلالة بأنواره . وعادت الأرض المقلعة إلى ما كانت موصوفة  
به من التقديس ، وأمنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح السرى ومناخ  
التعريس (٣) . وقد أقصى عن المسجد الأقصى الأقصون من الله الأبعدون ،  
وتوافد إليه المصطفون الأقربون ، والملائكة المقربون . وخرس انناقوس  
بزجل المسبحين ، وخرج المفسلون بلخول المصلحين .

وقال المحراب لأهله مرحبا وأهلا ، وشمل جماعة المسلمين من إقامة  
الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه شملا . ورفعت الأعلام العباسية على  
منبره فأخذت من بره أوفى نصيب ، وتلت بالسنة عليها ( نصر من الله  
وفتح قريب (٤) ) . وغسلت الصخرة المباركة بلموع المتقين من دنس  
المشركين . وبعد أهل الأحد من قريبا بقرب الموحدين . فذكر بها ما كاد

---

(١) ضياء الدين الشهرزورى : هو القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم ، أبو الفضائل ،  
الشافى ، كان قتيها فاضلا ، جوادا كريما ، أدبيا شاعرا ، توفى سنة ٥٩٩ هـ ( ارجع إلى النجوم  
الزاهرة ج ٦ : ١٨٣-١٨٤ ط . دار الكتب ) .

(٢) السرار : الخلفاء الشديد .

(٣) عرس القوم : نزلوا للاستراحة من السفر والمقصود ، الإقامة والاستراحة .

(٤) آية ١٣ سورة الصف .

ينسى من عهد المعراج النبوى ، وقامت بدلائها براهين الاعجاز المحمدى .  
وصافحت الأيدي منها موضع القدم ، وتجدد لها من البهجة والرسالة ما كان  
لها فى القدم .

فهو ثانى المسجدين ، بل ثالث الحرمين . فليُهنّ البيت الحرام  
خلاص أخيه البيت المقدس من الأمر ، واسفار صبح الاسلام بعد طول  
اعتكار ليل الكفر . وتطهير مواقف الأنبياء صلوات الله عليهم من أدناس  
الأرجاس ، وتضوع أرج الرجاء فى أرجائه بعد اليأس .

فالحمد لله الذى أبدل الايماش بالاناس ، ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة  
عليه لباس اليأس . وجعل عصر مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - على  
الأعصر مفضلاً ، وكل بهذا الفتح الشريف شرف زمانه ، فأصبح فخر الدين  
والدينايه مكمل . وسيربركات أيامه فتح البلاد الساحلية بأسرها ، وعجل هلاك  
هذه الطائفة الطاغية من الفرنج بقتلها وأسرها . ولقد حل الكفر عروة عروة ،  
وهُد ذروة ذروة . وعادت حباله رثا ، وعقوده أنكاثا ، ومساكنه  
أجداثا ، وصار حديثاً بعد أن شوهه أهل اللمة أحداثا .

فالرتاج (١) مستفتح ، والرجاء مستنجد . والبلاد مستخلصة ، والقيم  
الغوالى منها بسوم العوالى مسترخصة . والعاقلة مقتضة ، والمعاقل منفضة ،  
ومناهل المني بمياه النجاح مرفضة ، ونجوم الرجوم (٢) على شياطين الكفر  
يسوف أهل الايمان منفضة . والثغور ميتسة ، والأمور منتظمة ، والحصون  
متسلمة ، والحصوم مدعنة مستسلمة . وأرض الكفر ينقصها الاسلام كل  
يوم من أطرافها ، بل يستولى على أوساطها وأكتافها ، ويعيد إلى الطاعة  
كرها مذهب خلافها . ولقد أُنِعَ زرعها وثمرها من رؤوس المشركين ، وهذا  
أوان حصادها وقطافها . والنعمة بحمد الله عظيمة ، والموهبة وإن خصت  
هذا الاقليم فهى فى جميع أقاليم المسلمين عميمة .

ولو شرح ما لهذا الفتح من جلالة العظمة ، ودلالة المكرمة ، لكبا قلم

(١) الرتاج ، الباب المعلق عليه باب صغير .

(٢) الرجوم : أى الذى يردجم بها كالذهب - قال الله تعالى « ولقد زيننا السماء الدنيا

بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين » سورة الملك .

البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١) ) ،  
 والقاضي ضياء الدين القاسم الشهرزوري ، قد توجه لهذه النعمة واصفا ،  
 وعند ما يؤمر (٢) به من انتهاء البشرى بها واقفا ، وأولى من وصف العرف من  
 كان بأوصافه عارفا . وأحق من شرح الحق والحقيقة من نفى بشرح الصدور  
 مصادره شرحه ، ويفتح على الاسلام أبواب المناء بانها ما تسنى من فتحه .  
 ويحدث وهو الضياء بأسفار صبحه .

---

(١) الآية ١٠٩ سورة الكهف .

(٢) في ب يأمر والتصحيح من ل .

## عاد الحديث إلى ما جرى بعد فتح القدس

وأقام السلطان على القدس حتى تسلم ما بقربها من حصون ، واستباح كل ما للكفر بها من مصون . ورحل ولده الملك الأفضل قبله إلى عكاه عائدا ، وعن حوزتها بياسه وجوده ذاتا . ثم تبعه (١) الملك المظفر فرحل ، وسار إلى عكاه وبها نزل . ثم عمد السلطان إلى ما جمعه فقرقه ، وأخرجه في قوى الاستحقاق وأنفقه . وفرضه بعوارفه ، وفضه في مصارفه . فسد خلة الميل ، وأسهم منه ابن السيل . وحمل به عن الغارم (٢) . وأسيا به سنن المكارم ووضعه في أهله ، وأحله في محله ، وصرفه في حله . وقدم التوسعة على قوى الاضاعة ، والاتفاق في أهل الفاقة . وأجنى الأجناد منه مقاطف ، وجعل للمجاهدين منه وظائف . وأبقاه بافتائه ذخرا للآخرة ، وكسبا للمحامد الفاخرة .

فأكثروا علله (٣) على بلده ، واستكثروا ما فضه بفضله . فقال « كيف أمنع الحق مستحقه ، وهذا الذي أنفقه هو الذي أبقيه ، وإذا قبله في المستحق فالثمة له على فيه . فانه يخلصني من الأمانة ويطلقني من وثاقها ، فان الذي في يدي وديعة أحفظها لنوى استحقاقها » .

فما عاد الوفد الابوفر ودثر (٤) ، والافاضة في نظم من حمده ونثر : وحاز كل ذي فضيلة منه فضلا ، وتفا كل فئة من فيته ظلا . وكثر السائلون بالفضائل ، والقائلون بالوسائل . والقاصدون بالقصائد ، والوافدون بالوافد ،

---

(١) في أ (٦٣ ي) اتبعه .

(٢) الغارم : المقتل بالدين « وكذلك الذي أصابه اضطهاد ، وغرم في سبيل الدين والوطن ، قال تعالى : « إنما الصلوات للفقر والمساكين والمسلمين عليها والمؤلفة قلوبهم والتارمين وفي سبيل الله وابن السيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ( أوضح التوضاير لابن الخطيب : ١٦٠ طبعة الخامسة ) .

(٣) أي لوجه .

(٤) أي كثير .



والواردون بالفوارد . والسابقون بالشوافع ، والشافعون بالسوابق : والسالكون للطرائق ، والمالكون للحقائق .

فما ترى الافارثا باللسان الفصيح ، وراويا للكتاب الصحيح . ومتكلما في مسألة ، ومتفحصا عن مشكلة . وموردا لحديث نبوي ، وذاكرا لحكم مذهبي ، وسائلا عن لفظ لغوي . ومعنى نحوي . أو مقرضا بقريض ، أو مصرضا بتصریح أو مصرحا بتعريض . أو جاليا للمحة ، أو طالبا لمنحة : أو مستمعنا بفاقة ، أو مستمعنا بأفاقة . أو ناشدا بنشيد ، أو مسمعا بتغريب وتغريد .

وما فيهم إلا من أحطى بسهم ، أو أرضى بقسم . وأصيب بنصيب وأجيب ، وأجيز بتقرير وتغريب : قليل له ، لو ذخرت هذا المال للمال لشغيت به مايقع من الاعتلال . وكفيت بالحقيقة ما يسنع من الاختلال ، فقال : أملى قوى من الله الكافل بنجح الآمال ، وجمع الأسراء المطلقين ، وكانوا الوفا من المسلمين : فكساهم وأساهم ، وواساهم وأذهب أساهم . فانطلق كل منهم إلى وطنه ووطره ، ناجيا من ضرره ووضره (١) .

ومكث السلطان عليه مقيما ، للنظر في مصالحه مستديما . قليل ما تعودك عن صور ؟ فأنهض إليها عسكري المنصور . وأنت تلخلها يوم وصولك ، وتحظى منها بمرادك وسواك . فانثو السير واحر الخير . واحصر الخير ، واحظر التأخير . وفي تعجيل النهضة تحصيلها في القبضة ، وفي بدار الإمام بدارها بشرى أهلة الفتوح المقمرة بإبدارها . فأسر بالعسكر وأسرع ، واقطع عن الكفر تلك الأعمال وأقطع ،

وأكثر من كان يستحثه ، وعلى النهوض يبعثه ، الأمير (على بن أحمد المعروف بالمشطوب (٢) . وكان من أكابر الأمراء الكافين للخطوب ، الكافين

(١) الوضر : وسخ الدم ، أثر اللطام في القصة ، غزالة القصة ونحوها .

(٢) الأمير سيف الدين المشطوب : هو على بن أحمد الهكاري ، ملك الهكارية ، والمشطوب شهرة كانت له من أثر طمعة في وجهه ، كان شجاعا صابرا في الحروب طامعا في قبيلته ، دخل مع أسد الدين شيركوه إلى مصر في مراته الثلاث ثم عاد بعد سلطة صلاح الدين ، توفي سنة ٥٨٨ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٧ ط . دار الكتب) (ومفرج الكرب ج ٢ تحقيق د . الشيال) .

في الحروب . وكانت معه صيداء ويبروت وهما بقرب صور - وقد  
أشفق أن فتحها يفوت . فرأى الحظ في الحضر ، وحرض على الفرض ،  
ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل إليها ، وأنه يشق في هذا الوقت  
التزول عليها . وكان المركيس عند اشتغالنا بالقلمس بأحكام صور مشغولا ،  
وعلى الاستهتار بتحسينها مشغولا . وقد استجد قدامها من البحر إلى البحر  
مختلفا ، وجعل الطريق إليها مضيقا . وأحكم أسباب الأحكام ، وأخذ  
بالحزم في الاهتمام (١) .

---

(١) في أ (٦٥) بالامتمام .

## ذكر رحيل السلطان عن القلمس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان ، وقد عنا لأمره كل قاص ودان . وودعه ولده عزيز مصر في أول منزلة ، وسأيره لكرامية فراقه مقدار مرحلة . ثم وصاه وشيعه ، واستصحب أخاه الملك العادل معه . مستظفرا بإخائه ، مستبشرا بآلائه ، مستبصرا بآرائه ، مستنصرا بمضائه ، مستغنيا بغناؤه ، موفيا بوفائه . وهو بعقدته يعقد ويحله يحل ، وبشدته يشد ويحلوله يحل . والعاكر بالفضاء فائضة ، وللخطوب الريضة رائضة ، وإلى استنهاض النصر لانصارها ناهضة ، ومن هواها أنها في دأماء اللماء من أهل الكفر خائضة . فوصل إلى عكا في أول شهر رمضان فخم بظاهرها ظاهرا بجميه . باهرا بتأخيرته وتقدمه . قاهراً يشابه (١) المير (٢) ، زاهرا بسناه المنير . جاهرا بسره ، ظاهرا في بحره .

وأقام أياما يضكر ويتدبر . ويستشير ويستخبر . والمشطوب يستعمله ولايمله . ويحرض بالبعث ، ويحذر من المكث ، ويقول : القرصة تدرك بالحث ، وتفتوت باللبث . . فسار لنوائه مليا ، وجليش النصر معيا ولأبيه مقلدا ، وبالله - عز وجل - متأيلا . فوصل إلى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة بالبحافل المحفلة ، والجموع المجتمعة . فنزل بعيدا من سورها ، سعيدا في ترتيب أمورها . مضروبة قبابة ، مجنوبة عرابه . محجوبة بالبنود والجنود أرضه وسماؤه ، منشورة غاياته . منصوره آراؤه : خافقة على الأعداء عذبات عذابه ، دافقة في ثرى النجح في الأنحاء ثرات (٣) صوب (٤) صوابه . قد كست خيامه عرى العراء ، وفضبت أشعة يفضه

(١) الشبا : جمع شبة وهو قدر ما يقطع به من السيف .

(٢) أي الملك .

(٣) ثرات : قطرات المطر الواهمة التزيرة .

(٤) : صوب : المطر ، والطاء على التشبيه ، علم الزوغان عن القصد ميتا وشالما .

وسمره الفضة بالفضاء ، واحتوت مضاربه المضيئة بالآله وآرائه على مضارب  
المضاء ، وباحت استباحة حمى المشركين للموحدين بسر السراء .

فمكث أياما حتى تواصل المدد ، وتكامل العدد . واستحضر آلات  
الحصار ، واستكثر من المجانيق الصغار والكبار . ثم تقدم إليها وخيم عليها  
الثاني والعشرين من الشهر يوم الخميس ، ( في خميس<sup>(١)</sup> يسير في الوشيج<sup>(٢)</sup> )  
كالأسد في الخيس<sup>(٣)</sup> ( ٤ )

ونزلت النوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس ، فوقع في  
الدرديس<sup>(٥)</sup> ، والعذاب البئيس . فكأنما نفخ في صور ( صور ) : فحشر  
أهل جهنم وملأوا السور . واتصلت زيارة الزيارات للجروح بالجروح  
وتوافقت مناجاة المجانيق بالخلدوش والشدوخ ، وأرسلت الحجارات حاجرة  
حاجزة ، وألسنة أهل الرجس والرجز بالفحشاء راجزة .

وكانت صور على السوء مستوية ، وعلى كل من خرج من القدس وبلاذ  
الساحل محتوية . فضجوا وارتجوا ، وعاجوا وعجوا ، ولجأوا<sup>(٦)</sup> ولجوا . ونصبوا  
على كل نيق منجنيقا ، وشدوا من كل جانب ركنا وثيقا . وشدوا في الجبال ،  
ومدوا في الجبال . ورموا من الشرافات بالشرور والآفات . وساب الحجار  
حجاها وأمت الأمة وجاعها وجاها . فكم من رعوس أطارت ! وقوم  
أبارت ! وبرخصفت ، وبلرخصفت ، وبمر نرفت ، وطودنست .

فحول السلطان إلى قريبا له خيمة صغيرة ، وأنقض بنات الحنايا بالمنايا  
عليها مغيرة . ووصف الخفاني ، فصدف أتيها الآتي . وعارض بمرها بعرض  
بحره ، ورد كيد الكفر من المنجنيق بما نصبه من المنجنيق في نحره . فأجبط

---

(١) في ل خمس غير أن المذكور أنسب للسياق والخديس هنا بمعنى الجيش

(٢) الوشيج : أي الرماح والمقصود أنهم يسرون حاملين رماحهم .

(٣) الخيس : غاية الأسد .

(٤) العبارة بين القوسين سابقة في ( ٦٦ ى ) .

(٥) الدرديس : الناهية .

(٦) في ب ولجوا والتصحيح من ل ومن ( ٦٦ ى ) .

أعمالهم بأعماله ، وأهبط رجالهم برجاله . وقابل الأبراج بالأبراج ، وحاول بالردى علاج الأعلاج . ووالاها حجارات وصخورا ، حتى جعلت سور صور سورا . وجد في أمرها ، وأجاد في حصرها .

ووصل إليه في تلك الأيام من قوى به ظهر الاسلام ، ولده ( الملك الظاهر غياث الدين غازي (١) ) ، وهو الذي جل في سماحته وحماسته عن الموازن والموازي . فقدم مبارك القدم ، متدارك النعم ، على الهمم ، غالى القيم . ومعه عسكر مجر لجب ، جلبه من حلب ، قد استصحب البيض والسمر والبيض واللب . فظهر من الملك الظاهر ما ملك به قبول القلوب ، وأغرى سيفه بسفك دم الكفر المطلول المطلوب . ورأى نصب خيمته وراء خيمة أبيه المنصوبة ، وجد في استرجاع مدينة الاسلام المنصوبة . وقدم بين يديه كل حجار راجح ، وكل نقاب ناجح ، لضم الصفاح مصافع . وكل جائنار جان در الردى للكفار ، وكل زراق رزق الجسارة على أهل النار بالنار . وكل منجنق من جنازه تقتبس ذبالة البسالة ، وكل جرخى رضى البال بالهدى لإصماء أهل الضلالة .

وكل رام رام النجم في الافق فراماه ، وكل همام هم بالخطب النازل فتحاماه . وكل مقدم قرنه دام ، وكل ضرغام صريعه في غرام . وكل قُمقام (٢) ضارب بصمصام (٣) ، وكل حام شارب بكأس حمام . وكل ذمر (٤) مشيح ، لنمار الكفر مبيح ، ولروح الجلد مريح ، وللماء (٥)

---

(١) الملك لظاهر غياث الدين غازي : هو أبو المنصور غازي بن صلاح الدين الأيوبي ، ولد بمصر سنة ٥٦٨ هـ وولاه أبوه سلطنة حلب في حياته ، كان ملكا مهييا ذا سياسة رافطة ، حضر معظم النزوات مع والده ، وكان ملجأ للفرهاء ، وكهفا للفقراء ، مات سنة ٦١٣ هـ ودفن بحلب . ( التاجم الزاهرة ج ٦ : ٢١٧-٢١٨ ط . دار الكتب ) .

(٢) ققم : العدد الكثير .

(٣) صمصام : السيف الذى لا ينفى .

(٤) ذمر : شجاع .

(٥) ذماء : أى الحركة .

الزواج مزيج . وكل فاتك لحبل الوريد باتك (١) ، ولستر الحياة هاتك ،  
ولدم العدة سافك .

وكل شجاع إلى الموت داع ، وإلى المجد ساع ، وللإسلام راع ،  
وللاشرار ناع . وكل فارس للفوارس فارس ، وللذوابل في النحور غارس ،  
وفي اليوم العايس غير عايس . وكل راجل لقهر العدو راج ، وبسر الأس مناج ،  
ومن شر الناس بشجاعته ناج ، ويباغث المتون لمن يلاقه شاج . وكل عتال  
عات ، ونجار ونشار ونحات ، وحداد وقين ، وكل زائر للعدا بحين .

فاجتمعوا وزحفوا ، وجفوا على القوم ورجفوا . وأصموا وصمموا ،  
وأوقدوا نارا وأضرموا : وأطاروا من أعشاش الأقواس إلى أوكار الأحلاق  
أفراخا ، واستمسخوا الأقدار لأقدارهم فجيتهم حين أحيتهم إصراخا .  
وغلظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق (٢) ، وأولوا الشقاء لأولى الشقاق .  
وتساعدوا وتناصروا ، وتطلولوا وما تقاصروا . وما فيهم إلا من أبان عن  
جد ، وأبان بجد . وألان الشديد ، وأعان السديد ، وأفلح ففلح الحديد بالحديد ،  
وجدد الحديد ، ومد المديد .

وصور مرتجة أبوابها ، مرتجة أربابها ، منتصة جوانبها ، مرتصة عصائبها ،  
مشحونة أبراجها ، مسجونة أعلاجها ، محصورة كلابها ، محسورة ذئابها ،  
محشورة ثعالبها ، محشودة كتابها : والمركيس بها متجهم ، وابليس عليه  
متحكم . وقد سقط في يده ، وسخط لبلده ، وارتبط ببلده ، واختلط  
بكمده . وغلت مراحل غلوائه ، وعدت غوائل عدوائه . وطاش وجاش ،  
وأوخش (٣) الأوباش والأوخاش (٤) . وتوشح بالشر وتوحش ، وترشح  
للردى ونحرش . واشتعل بجمره ، وبعل بأمره ، وضرى بضره ، وجال  
بوجهه في مكر مكره ، وكر في وكره . وعشا (٥) عشه ، وغشى غشه .  
وثبت على بلججه ، ونبت في أجاجه . وتسعر وتسعر ، وتربص وتصبّر .

(١) باتك : قطع .

(٢) الرقاق : السيوف .

(٣) أوخش : غلط .

(٤) الأوخاش : جمع وعش وهو الرذيل من الناس .

(٥) أى لزم موضعه .

والسلطان مصيب حكمه ، صائب سهمه ، ماض عزمه ، قاض حزمه ،  
 بار حده ، جار جلده ، وار زنده ، سار وفده (١) . باتك غربه ، فاتك  
 ضربه . قاطع شبا بامه ، ساطع منى اينامه . قد اتسقت أسيا به ، واتسعت  
 رحابه ، واجتمع أصحابه . فازدحم على بابه ، وحول قبابه ؛ كل مبارز  
 بار ، وكل ضارب ضار ، وكل حجار جار . وكل رامح ورام ، وكل  
 حامل سلاح وحام . وكل سائف حائف ، وكل عاصف قاصف .

وكل آكل للحرب شارب ، وكل طالع بالضرب غارب (٢) . وكل  
 هاجم هائج ، وكل راجم رائج . وكل معتقل متقلد ، وكل مجرب مجرد .  
 وكل ذكر مذكور ، وكل غصن مشكور . وكل ليث ملاث (٣) وكل غيث  
 غياث ، وكل سفاك لدم الكفر سفاح ، وكل جرأد لسيف الفتك جراح .  
 وكل مكتم في درعه ، مكتم في ثقبه . ملثم بزغفه ، ملثم بجرفه . مقنع  
 بلائه ، ملقع بقتامه . صابح في بحر الموت بسابحه ، سامع في الصباح صوت  
 صائحه .

فجمع إليه أمراءه ، واستحضر عظماء ملكه وخبراءه . وقالوا : هذا  
 بلد حصين ، ومكانه من الأرض مكين . في البحر ثلاثة أرباعه ، وفي  
 السماء ارتفاع يفاعه . وطريقه الذي يسلك من البر إليه ، قد أحاط به البحر  
 من جانبيه . وقد قطعوه بخلق في عرضه ، وعمقه ونزلوا في أرضه .  
 وكان من احكام الخزم ، وإتمام العزم ؛ تكميل الآلات وتتميمها ، وتحصيل  
 المنجنقات وتقديمها . وتركيب الأبراج والديابيات وتأليفها ، وتقريب  
 الجفاتي والجنويات وتصنيفها ، وتسوية مناصب للمجانيق وتسقيفها ،  
 وتنحية أفعال العسكر وتخفيفها ، وتنحية (٤) نخب الرجال وتصريفها .  
 وتسنية الأسباب ، وتسنية الأخشاب . واستحضار كل ما يراد للحصار ،  
 واستنفار كل ما يرام من الأنصار .

(١) في أ (٦٨) دلفه .

(٢) غارب : أي خروجه ونشاط .

(٣) الملاث : السيف الشريف يلاف ويلاذ به ، فله آلات .

(٤) ملح .

فاذا حضرت هذه الأشياء والأشياء ، وتيسرت وتوفرت الأصول والألتباع ، رجب الذرع فى الحصر والمضايقة وطال الباع ، وإذا حالت الأحوال وضاعت الأوضاع ؛ اختل واعتل الزال والتراع .

وأمر السلطان بازاحة العلل ، وإزالة الخلل ، وشغل الصنائع بالعمل ، ونقل الأمل إلى طريق الأجل . وتقدم بقطع أشجار الفياض (١) ، وحمل ما بتلك النواحي من الأتقاض . فاجتمع هناك كل آلة (٢) وآلة ، وذباب وذبالة ، وقضيب ومقبض ، ومجرب ومحرب . وسهم وشهم ، وشهب ودُهم . وأحمال وأثقال . ونظمت الستائر (٣) من القضب ، وصفت من سور صور بالمكان القريب . وكنت من ورأها الكماة ، واستترت بالجفاني قدامها الرماة . واشتغل كل صانع بصنعه ، وكل جامع بجمعه ، وكل دافع مانع بمنعه ودفعه . فمن جان بمنجنيق ، ودان إلى نيق . وداب بدبابة ، وذاب بدبابة . ونازع فى حنية ، وناز بمنية . وقاذف بشرارة ، وحاذف بحجارة ، وهاتك من ستارة ، وفاتك بمسارة . وجاذب فى جبال ، وجالب لوبال . وسرو فى قلع ومسوق لقلاع ، ومدبر بإخفاف (٤) وملمر بإيماح .

ولم تزل المنجنيقات ترمى ، والحجارات تلمر وتلدى ، والدبابات تطير من أوكارها عقبان الجروح ، وأطباق البرج تُبنى وتغطى بالسلوخ حتى امتد الزمان ، واشتد الحران (٥) . وضاق الحصر ، واعتاق النصر . وكان العسكر قد ألف تيسر الفتح ، وتسرع النجح . فصعب عليه حين

---

(١) الفياض : جمع غيبة وهى الأجمة أو مجتمع الشجر فى مفيض الماء .

(٢) آلة : الحربة ، أو جميع أدوات الحرب .

(٣) الستائر : جمع ستارة ، وهى من أهم معدات القتال عند المسلمين فى القرون الوسطى ، وكانت تعمل من الجلود أو البود المبللة بالخل والشبه والنطرون وكانت تتخذ لوقاية الحصون والقلاع من قذائف القنط واستعملت بوجه خاص لحماية آلات الحرب التى كانت تصنع من الخشب ، وكذلك لحماية الأبراج والسفن الحربية ( مفرج الكروب ج ٢ : ٢٠٣ تحقيق د . الشيال ) من آثار الأول الحسن بن ميداه .

(٤) أوجف الشيء : حوله وصيره يضطرب .

(٥) حرنت الدابة حرانا : أى استمر جرحها فوققت .



صعب ، وتبع هواه لما تعب . ولم يآلف الناس إلا إرواء ظمائهم بنهالة ،  
والحصول على أكساب سهلة ، وفتح ما يقصدونه من البلاد بنير مهلة .

فلما توقف هذا الفتح توقفوا ، وملوا وضجروا وتأفقوا . والسلطان  
مع ذلك يزداد في حدة حدة ، وفي شدة شدة ، وفي جده جدة . يشبههم  
بحنه ويحثهم على الثبات ، ويقوهم بيجوده ويوجدهم القوات ، ويقول  
« إن الله أمر بالمصابرة ، ولا مصابرة إلا بالمثابرة . فاصبروا تفلحوا ،  
وصابروا تفتحوا » .

## ذكر ما تم على الأسطول

وكان السلطان قد نفذ من صور ، وأحضر إليها من عكاء ما كان بها من مراكب الأسطول المنصور . فوصلت منها عشر شوان ، على العدا جوان ، ولردي لحم جوان . فعمرها بالرجال ، وجهازها للقتال . واتصلت بها مراكب لنا من يروت وجيئيل ، فاستشعر المركيس وأشياعه منها الويل . وعمرها لهم مراكب ، ورفعوا بها مناكب .

وسفتنا بالساحل عندنا مربوطة ، وبخفطنا مضبوطة محوطة . ودامت تذب عقاربها ، وتذب سواربها ، ونجى سواربها (١) ، وتسرى جواربها ، وتطير للقص بزاتها ، وتغير للفرس غزاتها . وتكسر بكواسرها وتدور بدوائرها . وتلاطم الأمواج بأمواجها ، وتراحم الأتجاج بأنباجها . وترفع شرع الهداة بشراعها ، وتقلع عرش الغواة بأقلاعها . وتنقض على شياطين الكفر شهبها ، وترفض بشايب (٢) النحر سحبها .

فكانها الأسود السود ، ركبها الأسود . من كل أفعوان يحمله أفعوان (٣) ، وشجاع امتطته شجيمان ، وغراب بشتات العدا ناعق ، وسحاب بوميض الهدى بارق . فيالها من أغربة دارت بعقبان ، وأجنحة طارت بظلمان . (٤) ورواس سوار ، وغواز بغوار . وقد ملئت برماة الحلق (٥) ، وحماة الحلق . وزراق النار ، وطراق النار . والخطافين بالخطاطيف ، والقاذفين بالمقاذيف . والكالين بالكاليل (٦) ، والسالين بالأساليب ، والحارين

---

(١) السوارب : جمع سرية وهي القطيع والجماعة من الخيل وغيرها .

(٢) شاييب : جمع شويوب ، والمقصود شدة انتفاخ الشئ .

(٣) الأفعوان : ذكر الأفعى .

(٤) ظلمان : واحدا ظليم وهو ذكر النمل .

(٥) لى المهرة في التنضال والرى .

(٦) الكليل : جمع كلاب أو كلوب ، وهي المهائر أو المدينة التي حل تحت رائف

الخيل أو راكبها .

بالمحارب . والراجمين بالرجام (١) ، والمعلمين على الأعلام .

فانشقت مراثر الفرنج ، وأزاحت سفنها عن النهج . وقرنصت بُزاة  
البيزانية ، وتقلصت جناة الجنوية (٢) . وكثرت أدواء الداوية ، وكثرت  
أسواء الاستبارية ، وزادت آلام الألمانية ، وعادت أسقام الافرنسية .  
وصارت مراكبههم في المينا لا تبتن ، وشدهم بشدة شوانينا تكاد تلين . وقد  
ربطوا عندهم السفن ، فلو خرجت كانت جبلا نسفن .

وأنس أصحابنا بطول الأمر ، وخطو البحر . وأمنوا من الخوف ، وأدمنوا  
على الطوف . ودام تطوافهم ، واستقام إيجافهم . واغثروا بالسلامة ، وسروا  
بالاستقامة . وباتت لنا شوان خمس ، لها بزوال الوحشة أنس . وربطت  
بقرب ميناء صور راصدة ، ولأخذ ما يخرج من شوانيها قاصدة . والدياجي  
مدلعة ، والدواهي ملتمة . وعيون الزهر راقدة ، وعيون الكفر ساهدة .  
وللمكايد مصايد ، وللعوادي عوائد ، وللغوائل طوائل ، وللمسائل دلائل  
وللمقادير مقاد ، ولأولئك المراد مراد .

فحفظ أصحابنا إلى السحر الحرس ، وسهروا إلى أن شارفوا الغلس ،  
وكل منهم لما استأنس نفس ، وغاص في النوم وما تنفس . فما انتبهوا إلا  
وسفن الفرنج بهم عملة ، ونيرانهم محرقة . فويلوا في البحر والتجوا ،  
وتطافروا (٣) إلى الماء لينجوا . وعدت العدة ، وأخذت تلك الشواني  
الشناء . وأسروا منها عدة ، ولقي الباقون شلة .

فاغتم السلطان بسبب هذه النكبة ، وفرح الكفار بتلك الضربة . وكانت  
تلك أولى حادثه كرث وكرامة حدثت . ونائية رابت ، ورائبة (٤) نابت .  
فضاقت القلوب ، وضافت الكروب . وحصلت تجربة الفارين ، وانصلت  
حركة الفارين . واستيقظ الناعس ، واستوحش الآس . وهب الراقدة ،  
ودب الراكدة . وذاب الحامد ، وشب الخامد . وهاج الزائر ، وماج الزائر .

(١) الرجام : جمع رجمة وهي الحجارة التي تنصب على القبر ككلمة ، ورجم القبر عليه  
أو وضع عليه الرجام .

(٢) الجنوية : هم أهل جنوا بإيطاليا .

(٣) أي قفزوا .

(٤) يقال « راب دمه » أي حان هلاكه ، والرائبة هنا بمعنى نازلة .

وتحرك الساكن ، وتورك<sup>(١)</sup> الراكن . وعقل من غفل ، وذهن من ذهل :  
وتيقظ من غفا ، وتحفظ من هفا . وتقبض من انبسط ، وتقيد من نشط ،  
ووهم من عف ، وألم من كف .

ورجفت الآفاق بالمرجفين ، وطالت السنة المعنفين . فممنهم من يؤنب  
ويذنب ، ومنهم من يقول ويطنب ، والعاقل يتجنب ، ويقيم العذر لمن  
يذنب ويقول « هذه من الله موعظة ، وآية لنا موقظة » .

وأشار الناس بانفاذ الشواني البواني ، وقطعوا بأن هذه القطاع لا تكفى  
للافاة من يلاقى . فجهزوها نهارا ، وصيروا سرها جهارا . وأمروا بتسييرها  
إلى بيروت ، ورجوا أن تسبق وثقوت . وركب العسكر فى الساحل يبارها ،  
وهى بالقرب تجاريه فى البحر وهو فى البر يجارها . فأبصر ملاحوها شوانى  
الفرنج لمارزتها مبرزة ، وللأجهاز وراءها مجهزة .

وكانوا رجلا من بحرية مصر مجمعة ، وأصبحت قلوبهم بما جرى على  
أنظارهم مروعة . فتواقوا إلى الماء ، وخافوا على دمائهم فى الدأماء .  
وخرجوا إلى البر على وجوههم ، وخافوا مكروهم فى مكروهم . وفروا  
وقاروا ، وطاروا وثاروا . ولم يلفت أحد منهم لينا<sup>(٢)</sup> ولم يزدحم دعاؤهم  
إلى التجمع الا تشيتا .

فظهر بهذه النوبة الواقعة ، والنوبة الرائعة ، أن نواب مصر لم يجر منهم  
بالأسطول احتفال ، ولم يرتب فيه على ما يراد رجال . وإنما حشدوا إليها  
مجموعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة ، ومستصعدة غير آلفة ولا مألوقة .  
فلاجرم لماً شاهدوا الروح ارتاعوا ، ولماً أنزموا بالطاعة ما استطاعوا .

وكان فى جملة شوانينا قطعة يتولاها رئيس ( جيبيل ) كأنها جيبيل ،  
وفىها بحرية من ذوى التجربة والتجربى والبحرية مالها جبن ولا ميل . فطال  
بأسلحة اللفاع : وطار بأجنحة الشراع . وفاز بالسبق وفات ، وهيهات  
أن يدرك هيهات . فنجا النجباء ، وآب بهم الالباء . فقيت المراكب الباقية

(١) أى اتمد على وركه .

(٢) البيت : هى صفحة المتق .

وقد أخلها حماها الواقية . فرفعتها إلى البر ، ورأينا الصحة منها في الكسر .  
وفرغنا من شغل المراكب في البحر .

هذا والمنجنيقات ترميهم ، والمفوقات (١) الموفقات تعديهم وتصميمهم .  
والقتال قائم ، والزال دائم . والصخور تفلق ، والصلور تقلق . والأحجار  
تقلقل ، والأسوار تحلحل . والأطواد تضعضع ، والأبراج القيام تسجد  
وتركع . والأصلاد تقدح ، والأجلاد تفرح . والألواح تصدع ، والأرواح  
تودع . والحدود لشفاة الشفار ملثومة ، والحدود بضراب الأضراب ملثومة .  
والجروح بين أكفاء الكفاح مقسومة ، والقروح بها قوارح القوارع  
موسومة .

والحنايا وائرة موترة ، والمنايا مأثورة مؤثرة . وظعائن الضغائن تُحدى  
بصليل البواتر ، وصهيل الضوامر . وحقوق الحقود تقتضى بألسنة الأسنة  
وعنت الأعنة من الغريم الكافر . والأوداج شاذبة كالعيون البواكي ،  
والأبشار دامية من الزنبوركات (٢) والناوكات (٣) النواكي . وهناك العقل  
معزول بالتهور ، والرأى مشغول عن التدبر . والعلم والحلم خالطهما  
الجهل والسفاه ، والجرحى يتلدى بيسم الله ، والمنجنيق يحتم بلا اله إلا الله .  
والزراق بالنار يطيب القارورة ، ويحرق الساتورة ، والسباق إلى المضمار  
يساور السور ويياشر الباشورة .

---

(١) فوق السهم ، وضع فوقه في الوتر . وفوق الرجل السهم ، جعل له فوقاً والمقصود  
هنا السهام .

(٢) الزنبوركات : جمع زنبورك وهو نوع من السهام في سمك الإهام وطول الذراع ،  
هو أوجه أربعة وطرف حديدى ، وهو مريض ليكون في انطلاقه أكثر ثباتاً

(Dozy. Supp. Dici. Arabe) (و) مفرج الكروب ج ٢ تحقيق د . الشيال .

(٣) ناوكات : جمع ناوك وهو لفظ فارسي الأصل معناه : السهم الصغير ( معجم الألفاظ  
الفارسية الدكتور محمد موسى هنتولى : ٣٢١ ) .

## ذكر خروج الفرنج لقتال

ولما غر الفرنج على تلك العرة ، وظنوا فينا الفتور لأجل تلك الفترة ، وقالوا : مراكبهم انحل تركيها ، وكتائبهم اختل ترتيها ، ومستجري بها عنا الندامة التي بجلشها بجريها . وهم الآن على صوت لهم خفيف ، وفوت بهم مطيف . فلا معنى لتقاعدنا عنهم ، ولا وجه لتباعدنا منهم . فلو خرجنا صدمناهم ، وأقدمنا عليهم وهزمناهم .

وخرجوا يوما قبل العصر ، في عدة كالليل خارجة عن الحصر . قد التأموا واستلموا ، وانضموا وانتظموا ونقلوا ، وأقبلوا للطوارق حاملين . وللجمالات (١) مطرقين ، وعلى الفرق مجتمعين وللجماعات مفرقين ، وبالرهب (٢) جادين وبالجد مرهقين . وللقود حاليين ، ومن الغدود ساليين . وللمناصل (٣) منتضين (٤) ، وللطوائل (٥) مقتضين ، وللسيوف مجردين ، وللسيول مجرين ، وبالزغف (٦) ملتئين ، وفي الحنف مقتحمين . وبالقنطاريات طائرين ، وبالزيارات زائرين .

من كل مغوار وار ، ومحضار ضار ، وفجار جار ، وجبار بار . وعلو عنود (٧) ، وكند كنود (٨) . وداوى ذى دوى ، وباروفى غوى . ومن كل مصمم اذا وتر ، مصمم (٩) اذا أوتر ، مصمم اذا نمر ، مصر اذا

(١) الجمالات : جمع جمالة وهو الحبل اللطيف .

(٢) الرهب : الأثم ، خنة العقل ، الجهل .

(٣) أى السيوف .

(٤) منتضين . فعله انتضى : أى رفع .

(٥) الطوائل : جمع طائل وطائلة ، يقال بينهم طائلة أى عداوة والمضى أنهم العداوات

مستجيبين .

(٦) الزغف : الدرع الراسمة الطويلة .

(٧) العنود : هو الخائف للحق وهو عارف به .

(٨) كافر بالثمة جحود .

(٩) مصمم : أحله أصبى ، والمقصود هنا أنه رام يصيب هدفه قاتل لصيده .

ذعر ، هائج اذا استعر ، مائج اذا ذخر ، متنمر اذا زأر ، متلمر اذا زحر . فتناوبوا وتواثبوا ، وتجاولوا وتجاوبوا . ودنوا من متارس المنجنقات ، وجنوا من مغارس الجنويات . وبنوا أمرهم على أن التامس ناسون غارون ، وأن أهل البأس في خيمهم هاجمون قارون .

فتلقاهم منا كل ضارب للهام ، ضار بالحمام ، جار إلى الإقدام . ملب للصوت ، حجب للموت . مشتهر بالغناء ، مشته لقاء ، مستهتر بالبلاء . ماض بالمواضي ، متقاض بالقواضب القواضي . وكل أبيض بالبيض ضراب ولليبيض رضاض ، وأغلب للمقلب قضقاض (١) ، وإلى الحرب نهاض . وكل معتقل رماحه ، معتقد مراجه . مهتر لطرب الشهادة ، معتر بأرب السعادة . متمن للمنون ، متجن على الجنون . مضرم نار الحديد في ماء الوريد ، مغرم في تفريق العدا يجمع العديد . مفرغ ماء الظبا على نار النجيع ، مبلغ تلبية الهدى إلى الصريخ السريع . قد تلثم باللام ، وتلفع بالثام . وتقعن بالزرد ، وتلمرع بالجلد . وتجوثن (٢) بالصبر ، وتخنن بالزير (٣) وصال بالقضب ، وجال بالمضب . وطال بالهندي على القرنجي ، وخاض من دم الشرك في البحر اللحي .

فلم يسمع إلا أنين الحنية ، لحنين المنية ، ورنين الأوتار ، من كنيز (٤) الأوتار . وهفيف السهام للفيف (٥) الأهام . وصليل بنات القمود ، من غليل أبناء الحقود . وهمهة الأبطال ، وغممة الأقتال . وزثير الضرغام ، وزفير الضرام . وقرع الظبا بالظبا ، ووقع الشبا على الشبا . وضجة الحديد من الحديد ، وعجة الشديد من الشديد . وجعجة رحي الحرب ، وقعقة أداة الطس والضرب . وجرجرة الفحول ، وزمجرة النحول (٦) د وهديل حمام الحمام ، وهدير قروم الإقدام . ووعوة ذئاب الوغي

(١) قضااض : أي مزق كاسر لمعه . يقال قضااض الأسد فريسته أي كسرها ومزقها .

(٢) تدرع .

(٣) الزير : يفتح الزاي وسكون الياء : الصبر ، والمقل الذي ينهي .

(٤) مستور .

(٥) اللفيف : الإهلاك ، ذف الطاعون فلانا أي أهلكه .

(٦) النحول : جمع ذحل وهو الثأر أو الدواة أو الحدق .

ومعممة التهاب اللظى . ودعدة صاع المصاع (١) ، وجلجلة صباع القراع . وصلصلة الزبر (٢) ، وولولة الزمر . وحيلة دعاة النصر ، وهيضلة (٣) رعاة الكفر .

ورفرقة المريشات (٤) الراشقة . وههسة الطعنات الفاهقة . وهزهزة أعطاف المران ، وزهزة أصوات الشجعان . ونعير الغالين ، وصخب السالين ، ولجب الخالين ، وزجير الطالبين . ونهيت الأسود ، وقصيف الرعسود . وهدة الأركان ، ودهدمة الرعان (٥) ، وقهقهة الأقران . وقرقرة كم الكماة ، وصرصرة بزاة الغزاة . وكشيش (٦) صلال الضلال ، ونشيش مرآجل الرجال . وهزيز ريع الباس ، وهزيم رعد المراس . وإرنان المعاجس (٧) ، وأرزام القناعس (٨) . وهيعة (٩) الصارخ ، وصيحة النافخ . وزعقة المستفز ، ونهقة المستزع . وشعشة الخرصان ، وزهزمة النيران . وهيمنة الأجل ، وجهجمة الرجل . وتكبير المؤمنين ، وتهلليل المؤمنين . وصرير أبواب الجنان للشهداء ، وصرير أنياب الجنان (١٠) للأعداء ، والدعاء الى اللقاء ، والنداء الى الارداء . وارتفعت الأصوات ، واشتبهت الأحياء والأموات . ووقع أصحابنا فيهم وقوح النار في الخطب ، وأروهم في مرايا البيض وجوه العطب ، وولوا مدبرين ، بعد ماتولوا مدبرين .

(١) القتال والمبالاة .

(٢) الزبر : جمع زبره : قطعة الحديد .

(٣) أصوات .

(٤) السهام المريشة .

(٥) الرعان : جمع رعن وهو الجبل الطويل أو أنف الجبل . والدهدمة : العرجة .

(٦) كشيش : صوت الأنفى من جللها ، والمضى في العبارة مستعار من ذلك .

(٧) المعاجس : جمع معجس وهو مقبض القوس .

(٨) أرزام : غضب . والقناعس : جمع قنماس وهو الرجل الشديد المنيع أو العظم

الخلق .

(٩) صوت مفزع .

(١٠) الجن .



وجنودنا تثلهم ، وحلودنا تغلهم . ولتوتنا<sup>(١)</sup> ترضهم ، ونيوتنا  
تفضهم . وعادوا إلى البلد ، عادى الجلد . وفيهم ندوب وعليهم نوادب ،  
وأيدى الردى بهم لواعب ومنهم لواغب . ودخل الليل ، وعمهم الويل .  
وأسرنا منهم مقدمين ، ثبتوا على الموت مقدمين .

ومن أسر فخر قومص عظيم ، بل شيطان رجيم . فترك في قيد الاسار ،  
ليكشف عن حاله بالنهار ، وكان ( الملك الظاهر غازى ) لم يحضر فيما تقدم  
من المغازى . فرأى أن يحقق اسمه بقتله ، ففرب عنه بعد نضله . وكان  
للمركيس شبيها ، وفي الفرنج وجيها . فظنوا أنه هو للشبه ، وبات أهل  
الكفر بالعمى والعمه . ثم عُرِف أن المركيس في نفسه لم ينكأ ولم ينكب ،  
ولما عطب أشياعه لم يعطب ، وندم على ما قدم ، ومن تقدم على غرة تندم .

---

(١) لتوت : جمع لت وهو القنوم أو القفاس الكبيرة .

## ذكر ما دبروه من الرأى ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد ؛ وارتدع الجلد ؛ وارتجج العدو ولج ؛ ضجعر العسكر  
وضج . واجتمع أمراء بجيون الافلات ، ولا يكرهون القوات .  
وقالوا : «مُطاوله ما تقصر عنه تُتعب ، ومزاولة مالا يزول تصعب .  
ومحاولة الممتنع محال ، ومطال غريم هذا الفتح مُطال ، وما يتسع لنا فى هذه  
الحلبة الضيقة مجال . وهذا السلطان جلد على المصابرة ، مجدى المكابرة .  
لا يكثر بالكوارث ، ولا يدخل سمعه حديث الحادث . ولا يبالي بمن بلى ،  
ولا يفكر فيمن ولى أو ولى . ولا راحة له إلا فى التعب ، ولا يعلم له نصيب  
سلامة إلا من النصب . وكل ما جرى إلى اليوم منا ومن القوم لم يرعه ولم  
يردعه ، وقد قيل : إذا لم تستطع شيئا فدعه . فكيف السبيل إلى استعطافه ؟ ،  
وما التدبير فى استعطافه ؟ . وبم فتوصل وتوصل ؟ وإذا عرفناه أن الداء  
يعضل ، والخطب يشكل ، اعله يجتوى<sup>(١)</sup> الإقامة ويرحل .  
فاطلع على ما أسروه ، ومربه ما أسروه . وأهمه ما به هموا ، وآله ما به  
ألوا . فراسلهم بالمحبات ، وواصلهم بالصلات . ورغبهم فيما عند الله من  
الزنى ، ووعدهم بكل ما على أملهم أوفى .

وقال لهم : «كيف نخلى هذا المكان ، وما استغرغنا فى شغله الإمكان .  
وما استغللنا فى مضايقة الوسع ، ولا أحسنا بعد فى محاصرته الصنع ،  
ولا زحف إليه الجمع ، ولا حفز منه المنع . ولا أصابنا من مكتر أهله مكروه  
ولا ورد الصبر منه بشفاه شفاهه مشقوه . وكيف تجرى بنا الخيل عنه قبل  
التجريب ، وهذا الأرب ما يخطر بخاطر الأريب . وما علرنا إلى الله وإلى  
المسلمين إذا تركناه ، وكيف نقول فائنا هذا القنص وما أدركناه . (والقرصة  
إذا فانت لا تترك ، والبغية إذا واثت فحقها تملك ) . ونواظر الناس إلى  
ما سيكون منا فى صور صور ، وهذه الظلمة الملهمة لا يملوها إلا نور .  
(ومن لا يتعب لا يستريح ، ومن لا يحترق من الوجد لا يقترح ) . وان

(١) يحوى : يكره الإقامة فى البلد .

لجذّوا تجلّوا ، وان تردّوا على المنهل العدى تردوا . وان تصبروا نصيبوا ،  
فارجعوا إلى الله وأنبيوا . وهنا الرجل متواصل ، والغرض به حاصل .  
ونحن نقسمه على المجانيق ونوبها ، ونلزم كلّاً منهم ملازمة البقعة التي  
هو بها ، وهذا البرج قد ارتفع ، والوسع قد اتسع . وقد امتلأت بالرجال  
طبقاته ، وتوالت منها في الكفر رشقاته ، والنصر قد آن أن تطيب نشقاته ،  
والمركيس أبعد الله — قد قرب أن نخونه ثقاته . ورأينا طول الأرواح ،  
لا التطاول إلى الرواح . وفي التثبيت على المقام ، التوثب على المرام .

ثم أخرج المال وصبه من أكياسه ، وفرقه على ناسه ، وأنفق في أهل  
باسه ، وواصل البذل ، وهجر العذل . وعلأ الأبدى بالغنى ، وروج  
للرجاء نبح المنى . وأمر فامثل ، وقال ققبل . ونادى فسمع ، وحشر فجمع .  
وعادت عادة الحصار ، وأسعدت سعادة الانتصار .

## ذكر فتح حصن هونين (١)

وورد الخبر عن هوفين أنها هانت ، ودنا أمرها ودانت ، وأن طريق فتحها بانت ، وأنها عنت فإن (٢) أطفاف الله أعانت ، وأنها بذلت ماصانت ، ولم تبق للكفر على ما كانت ، وأن شدتها لانت . وكان السلطان قد وكل بها بعض أمرائه ، وأمدّه بمدد جنده وعطائه . فلبث (٣) إلى هذه الغاية ، يصميها بسهام التكاية . حتى طلب أهلها الأمان على الوفاء بما يشترطون ، ويشطون منها ولا يشطون ، فأول ما قالوا « أمهلونا حتى نعلم ما يكون من صور ، ونكشف هذه الأمور ، فإن أخذتموها أخذتم هذه ، وشفعنا أمر السلطان بنفاذه . وإن خليتموها فياهوان هونين ! . ونحن نجعل على هذا عدة من الأصحاب مرهونين » .

فندب السلطان ( بدر الدين دلدزم الباروق ) وهو من أكابر عظمائه ، وأكابر أمرائه ، وأمره باستزاعهم واستئذلالهم (٤) ، والأمان لنسائهم ورجلهم . ففضى ورغبهم في الأمن والسلامة ، وخوفهم عقبي الحسرة والتدامة . وقال لهم « أنتم بين حصنين هما تينين وبانياس ، وماذا تصنعون إذا خاب رجاءكم وبان اليأس . وإذا أبيس التسليم علمتم سلامتكم ، وأقم قيامتكم ، واستباحكم السلطان واستباحكم ، وكرهكم وأباكم ، وحل بالقتل حياكم (٥) ، وفل شياكم » .

فما زال يغرب ويرهب حتى رغبوا ورهبوا ، وأخلوا الأمان على أن

(١) هونين : بلدة في جبال عاملة تقابل على نواحي مصر القروية منها (ياقوت ج ٢٠ : ٤٢٠ :

ط . ب .).

(٢) في أ (٧٧ ي) وأن .

(٣) في أ (٧٧ ي) وليث .

(٤) في ب استزاعهم والتصحیح من ل ومن أ (٧٧ ش) .

(٥) الحيرة وجمعها حي بضم أو كسر الحاء ، ما يجتمع به أي يشتمل به من ثوب أو صامة والمعنى هنا أنه حل بالقتل كل ما احتجيت به .

يذهبوا . ووصل الخبر إلى السلطان وهو على محاصرة صور مقيم ، ولقائلا  
أهلها مستديم ، وإلى ما عند الله من نصره مستم . وتسلمت هونين بما فيها  
من عدة وذخيرة ، وقوة وميرة ، وآلات وأدوات كثيرة . وتسلمها (يرم)  
أخو صاحب بانياس ، واستشعر الفرنج منها الياس . وكانت قد بقيت من  
الحصون التي تملأ فتحها ، وبرح بالقلوب برحها ؛ من عمل صيداء :  
قلعة أبي الحسن وشقيف أرنون<sup>(١)</sup> ، ومن عمل طبرية والغور : صفد<sup>(٢)</sup>  
وكوكب<sup>(٣)</sup> - وهما من أحكم الحصون . وقد وكل بهما أميرين ، من  
خواصه كبيرين . وقد ضيقا على من بهما من العلوج<sup>(٤)</sup> ، ومنعا من الدخول  
والخروج .

وأقام السلطان على صور محاصرا ، وللدن الحنيف ناصرا ، وليد الشرك  
بمطاولته قاصرا . يقاتلها بكل سلاح ، ويقابلها بكل كفاح ؛ حتى كادت  
تستكين ، وشدتا تلين ، وأبيتها تلين ، وسريرها بين .

وكان قد دخل كانون<sup>(٥)</sup> ، وظهر من سر الشتاء المكنون . وقبض البرد  
الأيلى عن الانبساط ، وأعلم المم دواعى النشاط . وعادت الغزائم  
التهوجة برد ، والصرائم<sup>(٦)</sup> المتأججة تمهد<sup>(٧)</sup> . والنخوات المتحركة  
تجمد ، والحميات المتينة ترقد . والضرام المحتلم ينجو ، والحسام المخدّم  
ينبو . والطباع تتكره ، والسباع تتأوه . ومناوبة القتال تختل ، ومعاودة  
الترال تنحل . فلحاهم<sup>(٨)</sup> السلطان على ما لاح ، وعرفهم أن فى الصبر

(١) شقيف أرنون : قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق

بينها وبين الساحل (ياقوت ١٢ : ٣٥٦ ط . ب ) .

(٢) صفد : مدينة فى جبال عامللة المطلة على حصص بالشام وهى من جبال لبنان (ياقوت

ج ١٢ : ٤١٢ ط . ب ) .

(٣) كوكب : اسم لقلعة حصينة على الجبل المطال على طبرية ، مشرقة على الأردن (ياقوت

ج ١٦ : ٢٩٤ ط . ب ) .

(٤) العلوج : جمع علج وهو الكافر .

(٥) كانون : ديسمبر .

(٦) الصرائم : جمع صريمة وهى العزيمة .

(٧) فى ب يتعلم والتصحيح من ل .

(٨) لحاهم : قبحهم واستنكر فعلهم وقولهم .

الفلاح . وأمرهم بالمقام والاستقامة على الأمر ، وأنه لا ظفر إلا مع الصبر ، وأن الظلم تتجلى عند تجلى الفجر .

وكان في الأمراء جماعة منتخبون منتخون ، أبت أماناتهم في حمية الدين أن نخون . مقيمون على الكريمة ولا كراهة منهم للمقام ، ويحبون أن تقام وظيفة الانتقام . ويؤثرون بأنفسهم في طاعة الله وموافقة السلطان ، وعصيان الشيطان في مفارقة المكان . فإذا أُرْجِف بالرحيل رجفوا ، وسخفوا رأى المشير به وضعفوا . واضطربوا واضطرموا ، وتلعموا وتلوموا .

وقالوا : كيف نترك ما حوينا ، ونعوج ما سويناه ، وننشر كفرا طوينا ، ونهجر خيرا توينا . ولدأوى توحيدا شفيناه ، ونشفي أشراكا أدويناه . وما للراحة اليوم طالب ؛ إلا وهو غدا بالتعب مطلوب . ومن أسسى وهو الآن غالب ، يوشك إذا ولى أن يصيب وهو مغلوب . وهذه صورة صور قد تشوهت ، وموارد قوتها شفهت ، وإذا تخلينا عنها وغليناها ترهفت واستفهرت (١) ، وإذا حلمنا عنها صفهت ، وهبت من غشية خشيتها وتبتهت . وتارك المصابرة مصاب ، والأخذ بالمثابرة مثاب .

فمنهم الأمير طمان بن غازي (٢) — ما اطمأن يوما في الغزو ولا سكن . وعز الدين جرديك النوري (٣) — كم جرد على أعناق المشركين سيفه الذي به تمسكن ، وهما همامان مقدمان مقدمان ، من عادتهما

---

(١) كثرت وزادت .

(٢) طمان الدين غازي : هو الأمير حسام الدين طمان بن غازي صاحب الرقة ، كان شجاعا جوادا محبا للخير ، كثير الصلقات ، محبا للفقهاء والعلماء ، باني مدرسة مجلب الحنفية ، وكانت وفاته في تل العياضية قرب عكا في شبان سنة ٥٨٥ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٠٩ ط . دار الكتب ) .

(٣) عز الدين جرديك النوري : هو جرديك بن عبد الله النوري ، كان من أكابر رجال الملك الناصر نور الدين محمود ، ثم خدم صلاح الدين الأيوبي في جميع غزواته وحروبها ، منذ أن قتل شاور مصر وابن الخشاب مجلب ، وقد كان شجاعا مهيبا جوادا ، ولاء صلاح الدين نيابة القدس إلى أن أخلعته الأفضل بن صلاح الدين ، توفي سنة ٥٩٤ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٤٣ ط . دار الكتب ) .

الوثبات على ثبات العداة يرومان الثبات ولا يريمان . وجماعة آخر بهما يتشبهون ، وبالكريهة لا يتكروهون .

وأما الباقيون فإنهم أحبوا البقاء ، وأبغضوا اللقاء ، واتقوا الانتهاء ، وأبوا إلا الإيابة . وقالوا « قد لغبنا وما بلغنا ، وجرحنا وما رجحنا ، فلو رحنا استرحنا ، ثم عجبنا ورجعنا . وما نحن بأول واضح للاصر ، راجع عن الحصر . معتف للعقل ، مستعف من الثقل . عامل بمحض الحزم ، عالم بوقت العزم . هذا وقد علم ما عرا من ضروب الكروب ، وثلم ما برى من غروب الحروب . ويقدر ما هدم من مباني البلد ، هدم أكثر منه من مباني الجلد » .

فقال السلطان « بل نجد في القتال أيا ما ، وتقديم بأسا واقداما (١) . ونزحف بجميع رجالنا ، ونصلقهم في نزالنا . ونقاتلهم من جميع النواحي ، فان تعذر لاح العذر للاحي (٢) » .

وأصبح العسكر وقد استعد ، وامتد قبالة البلد من البحر إلى البحر والنصر استمد . وركب الأمراء بأجنادهم ووقفوا ، وأمر لهم ورق الحديد الأخضر فقطفوا . وتناوبوا في الزحف ، وتعاقبوا على الخطف . وكلما ترجلت طائفة قاتلت ثم رجعت ، وجاءت الطائفة الأخرى فصدمت وصدمت ، وقارعت وقرعت ، وصارعت وصرعت . فلم ير أشد من ذلك اليوم ، في وقم القوم . واجترأ أصحابنا وراض جماحهم لإصحابنا . وخاضت خيلنا في البحر خلف متهمزيمهم ، وأقلم من أحجم منا لاحجام مقلمهم . فحيث ظارت للحين من السهام زنايرها ، وأسمرت الحرب بضرام الضراب مساعيرها . وامتلات السعير بقتلاهم وقالت : « هل من مزيد (٣) » ، وفشحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت : « هل من شهيد » . وانقضى ذلك اليوم وقد كلت الأسلحة ، وملت الأجنحة . وانهضت قوادم الإنهاض ، وانفضت المجموع من إقواء القوى والانفاض :

(١) في ب أقدام وهو خطأ لقوى .

(٢) اللاحي : لحي فلان فلانة دافعه ولاموه واللاحى اسم القاتل منه .

(٣) الآية ٣٠ سورة ق .

وبات الناس على ضجر وضجاج ، ويلج ويلجاج . فلو عاودنا البلد  
بمثل ذلك اليوم أياما ، لنلنا من فتحه مراما . لكنهم أصبحوا على سأم ،  
وألوا بابتداء ألم . وقالوا : قلت كثرتنا ، فلو أقبلت عثرتنا لنجبرت كسرتنا  
وفينا الجريح والطيح (١) ، وحتى متى لا نستريح ! وقد توالى الأمطار  
فلا مطار ، علينا هذا الحصار صار ! » .

وكانت الجراحات كثيرة ، والاحتياجات بها مثيرة . ومنع البرد من  
العمل ، وامتنع سد الخلة وتسديد الخلل . وما زالوا يرسلون السلطان ويشيرون  
بالرحيل ، ويقولون : لا تتعب على تحصيل المستحيل ولا تذهب الأيام في  
إبرام السحيل . ودعنا نستجد دعة ، ونسترد قُوى عند لطف الله مودعة .  
ونشتغل بفتح الأيسر وهو أكثر ، ونؤخر التشاغل بما لعله يتعسر .

وكان السلطان في تلك المدة ، أنفق أموالا كثيرة على تلك الآلة والعدة .  
وما أمكن نقلها ، ولا مكن من نقلها ثقلها . ولو أبقاها لقوى بها الكفر ،  
واشتغل بسببها الفكر . فرأى نقصها ، وفك بعضها . وأحرق منها ما تعلم  
حملها ، وشتت بعد التجمع شملها . وحمل بعضها إلى صيداء ، وبعضها إلى  
عكاء . وجرت أعاجيب ما تكاد تحكى ، وسر ذلك الرحيل قوما وساء قوما  
فأضحك وأبكى .

وتأخر السلطان وتباعد عن قرب صور إلى المنزلة الأولى ، ويد أيده  
على جميع الأحوال طولى . فشرع العسكر في الانصراف ، وتزود للانكفاء (٢)  
والانكفاف . وأخذ الجمع في الافتراق ، وانتشر في الآفاق . وذهب من ذهب  
على مواعدة في المعادة ، ومسارعة في الرجوع إلى المساعدة .

وودع ( الملك المظفر تقي الدين ) من هناك ، وأوعده بوعد عوده  
الاشراك . وسار على طريق هونين إلى دمشق مغدًا ، وفارق الغزو وكان  
له ذلك المغزى مغدًى . وسارت معه عساكر الموصل وسنجار وديار بكر ،

(١) المنزلة والمصعب إلى درجة كبيرة .

(٢) في الانكفاء والتصحيح من ل .



وكل طير منهم اشتاق إلى وكر . وما عرفوا أن هذه الراحة القليلة تعقبهم تبعاً كثيراً ، وأن هذا الهدوء الذى مالوا إليه يصير لحيث حركتهم مثيراً .

وبنى السلطان يتلهف على ما تركه ، ويتأسف على التفتح الذى ما أدركه والذين أشاروا بهذا رأى يسهلون الصعب ، ويهوتون الخطب . ويقولون : نمضى ونعود ، وتساعدنا السعود ، وتنجدنا الجنود ، وتتجدد الجنود ، ويورق العود ، وتصدق الوعود . وإذا أبقل (١) الريح ، أقبل الجميع . وطاب الزمان ، ووفى الضمان ، وأمكن الاسعاد وساعد الامكان .

وما زالوا بنا حتى رحلنا ، وعلى رأى الرائب منهم أحطنا ، ولو أقمنا لنقمنا ، وقمنا العدو ووقمنا . لكن الله قذر وقلده محتوم ، وسر غيبه المكتوب فى اللوح المحفوظ مكتوم . وأراد ولا مرد لمراده ، وقضى ولا يحيد لما قضاه فى عبادته . أن تبقى صور فى تلك الحالة للكفر وكرا ، وللمكر مكرا ، وللشرك شركا ، ولنار جهنم دركا .

وقد منا عن صور الارتحال آخر شوال غرة كانون الثانى ، وعم البرد فى القاصى والدانى . وتوَحَّمت السماء من حوامل السحاب ، وتوَحَّلت الأرض من سواثل المذائب (٢) . والنكب (٣) الرياح عواصف عواصف قواصف قواصف ، والسحب الدلاح (٤) هوامل هوامل رواعد رواعف (٥) والبرد قارص قارص ، والماء جامد جامس (٦) . والشتاء شتات ثبات (٧) ، وما مع مقامه وثباته مقام وثبات .

(١) ظهر .

(٢) المذائب : جمع مذنب بكسر الميم وهو سيل الماء والجفول إذا لم يكن واحداً .

(٣) النكب : جمع نكباء وهى الريح انخرقت عن مهاب الريح للقيام ووقعت بين ريحين . عواصف : جمع عاصف ، وهى من الابل المصاب بالفة كالترع للانسان والمقصود أنها رياح مهلكة .

(٤) الدلاح : الكثيرة الماء .

(٥) رواعف : يقصد أنها كثيرة الماء حتى أنه يسيل .

(٦) متجمد .

(٧) جتات : مشتت ، قاطع الوصل .

وسرنا عباديد(١) في لبايد(٢) ، وبين جليد وجلاميد . على الناقورة(٣)  
وطريقها ، والأثقال قد ازدحمت في مضيقها . والأحمال تتواقع ، والأجمال  
تتقاطع . والنبل تنسد ، والسابلة ترتد . وسلكت الخيل الجبل ، وقطع  
العسكر طريقه إلى المخيم ووصل . وتأخر الثقل إلى أن تخلص ، وتقدم من  
سبق وتخلص .

ووصلنا إلى عكاء في ثلاث مراحل ، وقد غطي بحر عسكرنا الساحل .  
وخيم السلطان على باب البلد بجانب التل ، سامي المحل ، نامى الفضل .  
دائم الفكر في تدبير الأمر ، وتدمير الكفر ، واتهما من الله بانجاز عدة النصر .

---

(١) عباديد : أى فرق (مجموعات) .

(٢) لبايد : جمع لبيد وهو الجولق أو الخلاة .

(٣) الناقورة : قرية ساحلية في لبنان على الحدود بين لبنان وفلسطين .

ذكر الحادثة التي تمت على محمود أخى جاولى حتى استشهد هو وأصحابه  
ويوم رحيلنا من صور نعى (محمود أخو جاولى) ، وكان من جملة  
الأمراء أعف ولّى ولّى . وعاش مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد ، وقضى صابرا  
مصابرا وهو سعيد شهيد . وسبب ذلك ، أن السلطان لعلمه بديانته وأمانته ؛  
وبأسه وبسالته ؛ ويقظته ونهضته وحزامته ؛ وكله بحصن كوكب الذى على الغور  
وكانت فيها جمرة الاستتارية القرية الجور البعيدة الغور . وقد تمنعوا بشلتهم ،  
واشتدوا بمنعتهم . وهو حصن لا يرام ، وركن لا يضام ، ومعقل لا يسامى  
ولا يسام . وخروة لا تفرع ، ومروة لا تفرع ، وعقيلة لا تنفرع . وبكر  
لا تختب ، وقلمة لا تطلب .

ولما ملك الساحل ، وهلك الباطل ، ونظمت الحصون فى سلك الحصول  
وظفر الاسلام بالفتح المأمون المأمول ، وافتتحت طبرية وأعمالها ، وتملكت  
أغوار تلك البلاد وجبالها ، تمنعت قلعتا صفد بالدوايه وكوكب بالاستتاريه  
وتعذر فتحهما ، وتعثر منحهما ، ووقف أمرهما ، وأعدى البلاد ضرهما ،  
فرتب على صفد جماعة يعرفون بالناصرية ، من أهل الأية والنخوة والحمية .  
ومقلهمهم (مسعود الصلتي) أصلت سعادته منه سيفا لإصليتا ، لا يلفت عن  
لقاء العدو ليتا .

ورتب على كوكب هذا (محمودا) ، وكان بهما أمر الحفظ محمودا .  
وذلك بعد الكسرة ، وصحة النصرة . فأحاطا بالحسينين واحتاطا ، وظهرت  
كفاية كليهما بما تعاطى . وكان الحفظ مستمرا والاحتياط مستمرا . حتى  
أنس محمود بضعف أهل الحصن ، وظن أنهم فى غاية الوهن . وسكن  
إلى سكونهم ، وأغمضت عينه لتوهم إغماض عيونهم . واسترسل فيما  
حزب ، واستسهل ما صعب . وأخل بالحزم ، وخلا من العزم . واحتقر  
علوه ، وحسب من العجز هלוه .

وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له عفر بلا (١) ، قد أقام

---

(١) عفر بلا : بلدة قرب ييسان وطبرية بالأردن (يقوت ج ١٤ : ١٣١ ط . ب)

به جاما جامعا فيه ما أمرّ وحلا. وكان ذا دين متين ، ومكان من النسك مكين . وهو يسهر أكثر ليله متهجلا ، وقد جعل منزله مسجدا . وأصحابه من حوله ، يحفظونه بقوة الله وحوله . فلما كان آخر ليلة من شوال ، وهى ليلة ذات أهوال ، مظلمة ملهمة كافرة مكفهرة ، ليلاء قتلاء ، باردة مةشعرة ، أنوارها بائدة ، وأنوارها جائدة ، وهزيع جناحها دجوجى<sup>(١)</sup> ، وهزيم ودقها<sup>(٢)</sup> لحتى ، وسحبها سحم<sup>(٣)</sup> ، وأقطارها دهم . وصيرها صيب ، وصنبرها مشيب ، لا يفرق فيها السماء من الأرض ( ظلمتات بعضها فوق بعض<sup>(٤)</sup> ) خرج أهل كوكب وقت السحر ، ومضوا إليه وقد رقد بعد طول السهر . والناس رقاد ، والحراس هجود ، والجنود جمود ، والأقناس خمود ، والمهم رقاد . والسيوف أصرار أضمرت الغمود ، والعدم قد دنا منه الوجود .

فما أحس محمود المحمود ، وأصحابه الممود ، إلا بالفرنج وقد سلكوا إليهم ، وبركوا عليهم . فقصروا عن الامتناع ، ولم يقدروا على الدفاع . ففجأتهم السعادة ، وفجأتهم الشهادة . وبقي الأمير حتى استشهد محصورا ، ( وكان أمر الله قدرا مقيورا<sup>(٥)</sup> ) . وتقاوا إلى القلعة ما وجلوه من سلاح ومتاع ، وخيل وكراع<sup>(٦)</sup> .

فلما عرف السلطان ما أصابهم ؛ احتسب عند الله مصابهم ؛ وأحمد إلى اللجنة مآبهم . فندب إلى كوكب ( صارم الدين قايماز النجمى ) — الصارم المخدّم ، والحازم المقدم . والعصب<sup>(٧)</sup> البتار ، والتنب<sup>(٨)</sup> المغوار . والأسد

(١) مظلم .

(٢) ودقها لحي . : مطرها دائم .

(٣) سحم : جمع اسحم ، أى أسود .

(٤) الآية ٤٠ سورة النور .

(٥) الآية ٣٨ سورة الأحزاب .

(٦) بقر وغنم وحير وبغال .

(٧) السيف القاطع .

(٨) التنب : المغوار من الرجال الكثير الفارات ، الدريع إلى الفضائل ، الخفيف فى

الحاجة لأنه إذا ندب إليه حث لقضاها .

الأسد ، والأحمى الأحمد . فى خمسمائة فارس من قوى النجدة ، والبأس  
والشدّة . فسد الطريق بمضايقتها عنها ، ومنع من الدخول إليها والخروج  
منها . ولم يزل عليها مقيما ولحصرها مستديما ؛ إلى أن يسر الله فتحها ؛  
وسهل للأمال فيها نجاحها . وستذكر ذلك فى موضعه ، وكيف أشرق صبح  
النصر من مطلعته .

ذكر ماجرى بعد نزول السلطان على عكاه بعد عوده من صور

استأذن (الملك الظاهر) والده في العود إلى حلب فأذن له وودعه ،  
بعد ما أمره بكل ما يجب تقديمه من الاستعداد فامثله وأتبعه .  
وودع (الملك العادل) وأوجه إلى مصر ، مستقبل الظفر والنصر . وأقام  
(الملك الأفضل) بعكاه مستقلا بالآراء ، مستهلا بالآلاء ، مستبدا بتدبير  
أسباب الهدى ، مستعلا لتلميز أحزاب العدا .

وأقمتا بالمخيم لخدمة السلطان ملازمين ، ولإقامة شرائطها مداومين .  
وكل يطلب ادنا في الانصراف ، ويستقيم على نهج الانحراف . حتى خف  
من غلنا من الجند ، وثقل علينا عبء البرد . وتناوحت الموج (١) ،  
وتراوحت الثلوج ، ورجت الدروج (٢) ، ونجت التووج (٣) . وارتجز  
عجاج الودق ، وارتجز ثجاج البرق . وجفت الحرجف (٤) ، وطفح  
الأوطف (٥) . وتقطعت الخيام وتقلعت الأوتاد ، ونجلت بأبراد الجليد من  
البرد الآكام والوهاد . ومال بل وقع عمود السراقق ، ودام تواصل البوارق  
والبوارق .

ودخل السلطان إلى المدينة ، وسكن بها في كنف السكينة ، مستقيما على  
المحجة المستينة ، مقيما للحجة المثينة . وشرع في إعداد العدد ، واستمداد  
المدد . وإبرام معاهد الحل والعقد ، وإحكام قواعد الدين والمجد . وإحياء  
سنة السماح والفضل ، وإعلاء سناء الإحسان والعدل . وإفادة الكرام  
وأكرام الوفود ، وإعادة ما بدأ به من إفاضة الجود . وإجازة الراجين ،  
وإجارة اللاجئين ، وإسعاف العافين ، وإبعاد العادين . وإدناء أهل العلم ،  
وإغناء ذوى العلم . وإتجاح المقاصد ، وإتجاز المواعد .

(١) الموج : واحدا هو جاء وهى الرياح التى لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت .

(٢) رجت الدروج : تحركت الرياح السريعة المروور .

(٣) نجت التووج : أسرعت الرياح الشديدة .

(٤) الحرجف : الريح الباردة الشديدة المهبوب .

(٥) السحاب القريب من الأرض .

## ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق ، عاكفين على بابه ، قاطفين جنى جنبه ، واقفين لرفع حجابه . مستسعين لنعمائه ، مستعطفين لإبائه . متعرضين لثوابه ، متضرعين في خطابه . وكلهم يهتة بما أقرده الله بتفضيلته ، وخصه بنجح وسيلته ، وأقرده عليه وقد عجز عنه الملوك ، وهدهاه إلى سبيله وقد تغلر بهم إليه السلوك ؛ وهو فتح القدس الذي درج على حسرة القرون الأولى ، وتقاشرت عنه أيديهم المخطولة وتمكنت منه يده الطولى .

فما منهم إلا من يعترف بيمينه ويعترف من يمه : ويقر بحكم التنزيل له وينزل على حكمه . ويخطب الصداقة ويخاطب في الصديق ، ويحقق المظاهرة لظاهر الحق ، ويتقرب بالوفاء والوفاء ، ويتباعد عن الشقاء والشقاق .

ومن جملتهم رسول صاحب الرى ( قتلغ إينانج ين بهلوان ) ، ورسول ( قزل أرسلان (١) ) - المستولى على ممالك همدان (٢) وأذربيجان وأران (٣) - وهو ( عز الدين الطالبي ) - الطالب للعز ، الراغب في الفوز .

فما من يوم يمضى ، وشهر يتقضى ؛ إلا ويصل منهم رسول ، ويتصل به سول . وتنجلي غمة ، وتنجلي نعمة . وتتجه بشرى وتستبشر وجوه ، ويكف مكر ويكفي مكروه .

ونظر في أحوال حكام فرتبها ، وفي أمورها فهدبها : وفي مضارها

---

(١) قزل أرسلان : هو ابن أيلدكر ، مظفر الدين ، ملك أذربيجان ، وأران وهمدان ، وأصبهان ، والرى ، كان قد خلف أخاه البهلوان عمده ٥٨٢ هـ ، قتل غيلة على فراشه ٥٨٦ هـ (شذرات الذهب ج ٤) .

(٢) همدان : إحدى مدن إيران .

(٣) أران : صنع من أصقاع أرمينية بينها وبين أذربيجان نهر الرس ، فكل ما شاله وغره من أران . وأران قلعة مشهورة من نواحي قزوین (ياقوت ج ٢ : ١٣٦ ط . ب )

فأذهبها ، وفي منافعها ققربها . وولى ( عز الدين جرديك ) بها واليا ، وأعاد  
عطلها بفضل ولده الملك الأفضل حاليا . ووقف بها وقوفا ، وأجنى  
المستحقين منها ققوفا ، وأسدى معروفًا ، وأعطى ألوفا ، وأرغم من الأعداء  
أنوفا ، وكانت فتوحه لهم حتوفا . ووقف نصف دار الاستاررباطا للمتصوفة ،  
وللوافدين من أهل الطريقة والمعرفة ، ونصفها مدرسة للمتفقهة ، وللطلبة  
المتفقهة المتزهة . فجمع بين العلم والعمل ، والنجح والأمل ، وكتب الرزق  
لهم إلى كتاب الأجل . واتخذ لطلب مرضاة الله دار الأسقف يمارستان المرضى  
وأنى بكل ما يحبه الله وبه يرضى .

فلم يبق سنة إلا خلدها ، ولأمنة إلا قلدها . ولأجرا إلا أجراه ، ولأهدى  
إلا أهدها . ولا أمرا إلا أمره ، ولأدرًا إلا أدره . ولا فريضة إلا أداها ،  
ولا فضيلة إلا أتاها . ولا فرصة صواب إلا انتهزها ، ولا حصة ثواب  
إلا أحرزها . ولا رمم<sup>(١)</sup> فواضل إلا أنشرها ونشرها ، ولا أمم فضائل إلا  
حشدها وحشرها . وما ترك قارئًا إلا قرأه ، ولا راويا إلا أشبعه وأرواه .  
ولا حافظ حديث إلا حفظه من الحدثنان ، ولا محسن صنعة إلا اصطنعه  
بالإحسان . ولا ناظم مدائح إلا نظم له المناائح . ولا وافيا بقريض إلا وفى  
قروضه ، وأعجز عن القيام بحمل حملة نهوضه .

وتقدم إلى الوالى بالتردد فى الأعمال ، وتفقد الأحوال . وسد الخلة  
وتسديد الاختلال . وتعليل السقيم وتسقيم المعتل ؛ وتحليل العقد وتعقيد المنحل .  
فاستقرت بولايته الولاية ، واستمرت لرعيته الرعاية . ودرت أفاويق<sup>(٢)</sup>  
الآفاق ، ودارت أسواق الأرزاق .

(١) رم : بالك مقطع .

(٢) أفاريق : جمع فيق والمقصود خيراته وإحساناته .



ذكر وصول أخى تاج الدين أبى بكر حامد من دار الخلافة للرسالة  
فى العتب على أحداث ثقلت . وأحاديث ثقلت . ووشايات أثرت  
وأرثت (١) . وسعابيات فى السلطان عثت (٢) . فى الأحوال وشعثت  
وذلك فى شوال . ونحن على حصار صور ونزاع ونزال

### ( ذكر السبب فى ذلك )

لما تم الفتح الأكبر ، وخص وعم النجح الأظهر ، وقطع دابر المشركين ؛  
وحط لإقبال المسلمين أوزار ادبار الكفر بحطين ؛ أمرنى السلطان بإنشاء  
كتب البشائر إلى الآفاق ، وتقديم البشرى به إلى العراق . فقلت « هذا فتح  
كريم ، ومنح من الله عظيم ، وملك عقيم ، وسمو وسيم . فلا يجب أن يكون  
مبشر دار الخلافة ، بما أنزله الله لنا من الرحمة والرفقة ؛ إلا من هو عندنا  
أجل وأجلى ، وأعلم وأعلى ، وأجمع لفنون الفضائل ، وأعرف بأداء  
الرسائل . فلا تُوجه بهذه الكرامة إلا الكرم الوجيه ، ولا تُنبه لهذه المقامة  
إلا القويم النبيه . ولا ترفع العظيم إلا بالعظيم الرفيع ، فان الشريف يتضع  
شرفه بمقارنة الوضع » . فقال « هذه نصرة مبتكرة بكرت ، وموهبة  
ميسرة بلدت وندرت . فنحن نعجل بها بشيرا ، ونؤخر للاجلال كما  
ذكرت سفيرا » .

وكان فى الخلفة شاب بغدادى من الأجناد ، قد هاجر للاسترقاد .  
وتوجه بعد وصوله ، ونبه بعد خموله . فسأل فى البشارة إلى بغداد . وزعم  
أنه يداوم إليها الاغذاذ . وشفع له جماعة من الأكابر ، حتى خص بأشرف  
البشائر . فقلت « هذا لا يحصل له وقع ، ولا يصل إياه نفع . والواجب أن  
يسير فى هذا الخطير خطير ، وفى هذه النصرة الكبرى كبير . فان الرسول  
من ينذب للتفهيم والتفخيم ، ويرتب فى الأمر العظيم للتعظيم » .

---

(١) أوقد نار الفتنة .

(٢) عثت : عثت الحية ثلاثا عثته والمقصود أنه أصابه بشرها وما تبع عنها من أذى .

ثم سار المندوب ، وشغلت عن ارسال سواد الفتوح والحروب . ولا فتح البيت المقدس أرسل بشارته نجاب ، ونفذ بها كتاب . ووصل البشير الخدي فلم تجل به على كثرة الجلالة من الخدي المدي . وحقروه وما قروه . فانه كان عندهم بعين فنظروه بتلك العين ، وجبوء بما يليق به من الرقة والعين . ونظم على السلطان ارسال مثله ، وأنه لم يعصب المنصب في تلك الرسالة بأهله . وتسمح المندوب بكلام أخذ عليه ، وبلدت منه أحاديث نسبت إليه . وقال في سكره وحالة نكره ، ما يعرض عن ذكره . فخيّل وموه ، وتكرر وتكره . وظن أن لكلامه أصلا ولقطعه منّا وصلا . وأنهت إلى العرض الأشرف مقالاته ، وعلمت جهالاته .

وتجنتى على السلطان بارساله ، وطرق إلى هداه ما أنكروه من مقال المذكور وضلانه . ووجد الأعداء حيثئذ إلى السعاية طريقا ، وطلبوا لشمل استسعاذه بالخلمة تقريرا . واختلقوا أضاليل ، ولفقوا أباطيل . وقالوا : هذا يزعم أنه يقلب الدولة ، ويقلب الصولة . وأنه ينعت بالملك الناصر ، نعت الإمام الناصر ، ويدل بما له من القوة والعساكر .

فأشفق الديوان العزيز على السلطان من هذه ، وبرز الأمر المطاع بارسال أخى وانفاذه ، وقالوا : هذا تاج الدين أخو العماد ، يكفل لنا في كشف سر الأمر بالمراد . فان أخاه هناك مطلع على الأسرار ، وهو منتظم في سلك الأولياء الأبرار . وعول عليه الديوان العزيز في السفارة ، وود معه جواب البشارة . وكبت له تذكرة بموجبات مقاصد العتب ، ومكتوات موارد القرب . والمخاطبة فيها وان كانت حسنة خشنة ، والمعابة مع شدتها للعواطف الأمامية لينة . ونشر الاعتاب في طي العتاب ، وروح الارضاء في شخص الاغضاب . وبرد المهوبة في برد المهابة يرد ظن الخطأ إلى يقين الاصابة .

وشرف من الديوان الأخ ، قصار وهو يئذخ . وقد أصبح خيلا ، وأسحب من التشريف والانعام ذبلا ، ولحف من نور الأهبة العباسية نهارا وليلا . فوصل السير بالسرى ، وقطع الوهاد والذرا . وجاء إلى دمشق بشارة راتقة ، وبشارة راتقة ، وإشارة رادعة . وشعار مهيب ، وشرع مصيب . وهيبة

روعة امامية ، وهينة عصمة عصابية . وفرند نبوى لاينبو ، وزندورى لايبكو . ولسان فى الصرامة جرى ، وجنان بالشهامة جرى . وبلاغة بايلاغ مانيس بلاغ . وقفة وافية ، وصيغة بصياغة كل غريبة قول ورغبة طول كافلة كافية . وسنى نور وقار يستعير منه منير (١) ، وثبات خلق يتخاق به ثير (٢) .

وكان قد عاد المنتوب ناديا عاديا ، جاحدا للنعمة شاكيا . ذاكرا أنه عدم الحفاظ ، ووجد الاحفاظ . وأكثر الكلام فما حرّك شمام . وقال أخو العماد قد وصل بكل عتب ممض ، وخطب مقد وغضب ممض . ولفظ فظ ، وحض على غير حظ . ومعه الملامات المولّات ، والظلمات المظلمات فقلت له « اسكت واصمت ، وبمالك من ومم الوصم مت ، ولا تلتخل هذا الباب واخرج ، وليس هذا بعشك فادرج » .

وقلت للسلطان « سمعا وطاعة لأمر الديوان ، فان اظهر سر العتب لك من غاية الاحسان » . فقال « نعم ما قلت ، وقد طلّمتُ بارمال أخيك وطلّمتُ ، وما أسعدنى إذا شرفت بالعتاب ، واسغت بالخطاب ، والمملوك يقع التأديب ، ويزعه التهذيب . على أننا لم نأت إلا بكل ما قوى المدى وأضعف العدا ، وكف الكفر وأخذ الدين ، وما زانا فى طاعة أمير المؤمنين مجدين .

أما فتحنا مصر وقد باضت بها دعوة الدعى وفرخت ، أما استأنفنا بها تاريخ النولة العباسية بعد أن كانت سنين بسواها أرخت . أما استخلصتُ اليمن والدعى بها داع ، وللهدى فيها ناع ، وللضلال منها راع . أما أرحتُ من رق الشرك الساحل ، أما أزحتُ عن حق الملك الباطل . أما فحنتُ البيت المقدس وألحقته بالبيت الحرام ، وألحقته رداء الاكرام ، وأعدت إلى الوطن منه غريب الاسلام . أما رعتُ الغرب بغرب (٣) عزمى ، ووزعت الشرق بشرع حكمتى . وما تعبدتُ إلا بالعبودية للدار العزيزة ، وهذه القطورة

(١) منير : شمس الخلق .

(٢) من فى خلقه سوء وشر .

(٣) غرب : حجة ونشاط .

متمكنة منى فى الغريزة . فأهلا وسهلا بالرسول وبالسول ، وحباً ومرحبا بالاقبال والقبول . وما أنى إلا بالحب والحبور ، وإلمرار الأمور ، ولاظهار سر السرور . والبارق يشام إذا رعد ، والصادق يرام إذا وعد . وما أسرنا بالواصل وأوصلنا بالمسرة . وأبرنا بالحد وأجدنا بالمبرة . وسمعت منه كل ما هدى سمعى ، وأبدى لمى ، وجمع شملنى وشمل بالعر جمعى .

ولما قرب أنى ، أصبحت لندومه أنتخى . فأمر السلطان الأمراء على مراتبهم باستقباله ، وتقدم لجلالة قلوبهم باجلاله . ثم ركب وتلقاه بنفسه ، وخصه من تقريه بأسه . ولم يزل حتى أراه مواضع الحصار ، ومصارع الكفار . ومواطىء أقدام ذوى الإقدام ، ومواطنى بسالة أهل الاسلام . ثم نزل وأنزله بالقرب ، وعقد له بالحباء حباً الحب . وسفر وجهه لوجاهة السفير ، وأحل محل التوفير والتوفير . وتباح له صبح اتبجيل ، وتأمل منه نبح التأميل . ثم حضر عنده ، وقد أدخل مجلسه لى وله وحده . فأدى الأمانة فى مشافهته ، ووجه مقاصده فى مواجهته .

وأحضر التذكرة ، وقد جمعت المعرفة والنكرة . فقرأها عليه بفصولها وفصولها ، وأزمته حكماً عمومها وخصوصها ، ووقفته على ظواهرها ونصوصها . وكانت فى الكتب غلظة عدت من الكاتب غلظة ، وخيلت سقطه ، وجلبت سخطه . وقال : ان الامام أجل أن يأمر بهذه الألفاظ الفظاظ ، والأسجاع الغلاظ . فقد أمكن ابداع هذه المعانى فى أرق منها لفظاً وأرقى ، وأوفى منها فضلاً وأوفى . ومعاذ الله أن يحبط عملى ، ويهبط أملى .

وامتنع وارتمس (١) ، ثم أعرض عما عرض . ورجع إلى الاستعطاف وانتجج بارق الاستسعاف . وقال : أما ما تمحله الأعداء وعدا به المتمحلون (٢) ، وتنفق به المتقولون ؛ وتسوق المبطلون ؛ فمأعرف منى إلا الاعتراف بالعارفة ، وما هزرت (٣) منذ اعترزت اعطاف العز إلا لما يعزنى من العاطفة . وإن

(١) ارتتمس من الحزن . : احترق .

(٢) أصحاب الكيد والخديعة .

(٣) أى لم أكن غير جاد .

شرفي بالنعمة السالفة ؛ يوجب أنني من هذه الآفة . وأما النعت الذي أنكر ،  
 ونبه على موضع الخطأ فيه وذكر ، فهذا من عهد الإمام المستضيء رضوان  
 الله عليه - وجرى لنحقيقه مني على الألسنة ، ومتى عدت سيئة ما عد من  
 الحسنة . والآن كل ما يشرفني به أمير المؤمنين من السمة فانه اسمي الذي  
 هو أسمى وأشرف ، وأطراً وأطرف ، وأرفع وأعرف .

وما زاده ذلك العتب الاخلوص ولاء ، وخصوص اعتزاز واعتزاه (١) ثم  
 قال « كل ما اعتمدته من نصرة الدين وقهر أعداء أمير المؤمنين فلنما طلبت به  
 وجه الله ورضاه ، ما تعبدت به سواه . فاني أقرض الطاعة الامامية  
 للدين لا للدنيا ، وما أنتوى فيها إلا بالقوى . وما في عزمي إلا استكمال  
 الفتوح لأمر المؤمنين ، وقطع دابر المنافقين والمشركين . وإذا عادت عواطفه  
 عطف على في الحسن العوائد ، وقطفت الفوائد ، وصفت الموارد ، ووقت  
 المقاصد ، وبعث الأبعاد ، وبعد الحاسد الحاسد . وهجر هجر الساعي  
 وأجرى أجر الداعي . وعلم جهل الواشي ، وعذر ذعر الخاشي ، وجرب  
 غش الغاشي ، وخرب عش العاشي . وذوت هموم ذوى المهم ، وأوليت  
 كرامة أولى الكرم » .

وما زال السلطان مدة مقام أخى عنده ، يورى في اعظامه زنده  
 ويأمر باكرامه جنده . فكنت أشفق من تكرار ذات الين يعود  
 الأنس والوصلة إلى الوحشة والين . وأن جماعة من الأكابر اجتمعوا  
 بالسلطان ، وقالوا له « قد نسب حقلك إلى البطلان ، ورميت بالبهتان ،  
 ولمحت طاعتك بعين العصيان . فكيف خفت وما عفت ، وألفت وما أنفت ،  
 ورغت وما غرت ، وصبرت وما سبرت ، وأغضيت لما أغضبت ، وأعتبت  
 لما عوتبت ، وراقبت وما روقبت » .

فقال « تल्ली للديوان العزيز تعزز به أدين ، وتوصلى إلى مرضاته  
 توصل بالله فيه أستعين . فتواضعى ترفع ، وتخشى تورع . وحبل حبي متين ،  
 ومكان قربي مكين » . وما قلت له وأوضحت له سبله « إنا كنا بطاعة أمير

---

(١) اعتزاه : فعله اعزى : اتسب صدقاً أو كذباً . إلى فلان .

المؤمنين نطول ونصول ، ونزاول بها الملوك وعنها لانزول . وهذه فضيلتنا التي رجحت ، ووسيلتنا التي نجحت . وكنا بها مسعودين ، وعليها محسودين . وقد شملت بها بركاتها ، وكملت حسناتها . وصفت مشارع بمنها ، وصفت مدارع حسناتها . فلا تلتفت إلى من يلفتك ، ولا تثبت لمن لا يثبتك . وأعرض عن تعرض المذهب الخلاف ، وانهض لمن ينهضك للاتلاف . فقال هذا ديني ودينى ، وبه أعنى وأعنى ، ولنوره ولنوره أجتلى وأجتلى .

ثم ندب مع أخى من سار في خدمته لزيارة القدس ، وأمر بأن يقف به على مواقف الطهر التي طهرت من أهل الرجز والرجس ، ثم ودعه وأودعه من شافهه كل ما في النفس . وبالف في إبداء التصرع والتلرع ، وإظهار التمشي والتخشع .

وأنشأت عنه إلى الديوان كتباً معه وبعده ، ضمنتها كل ما حلا وجلا جادة وجدة . وكل ما يبطل سوق المتنفقين ، ويعطل نفاق المتسوقين ، ويهجن خلق المختلفين ، ويزيل تلفيق الساعين ، ويزيح صعاية الملققين . ويشرف إلى العوارف النزر بالشكر ، ويستعطف العواطف الغر بالعلم . ويحتشد في استغراغ المجهود للاستغفار . وينفض عن وجه البشر ما عليه من لغبار . وظهرت بعد ذلك بالقبول آثار الرضى ، وهفى ما مضى . وقضى القدر من اعزاز الديوان قدر السلطان بما قضى .

وفى هذه السنة استشهد الأمير ( شمس الدين بن المقدم<sup>(١)</sup> ) بالموقف في عرفه ، لابداعه رسماً ما عرفه . فلذهب غلطا ، وعطب فرطاً . وذلك

---

(١) شمس الدين بن المقدم : هو محمد بن عبد الملك بن المقدم ، من أكابر أمراء السلطانين نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبي ، كانت له مواقف مشهودة . حضر جميع الفتوحات السلطان صلاح الدين ، استأذن في الحج فأذن له صلاح الدين على كره منه ، وفى عرفات حدث خلاف بينه وبين طاشتكين ملوك الخليفة على رفع العلم ، فرماه ملوك طاشتكين فمات يوم النحر سنة ٥٨٣ هـ ( النجوم الزاهرة : ج ٦ : ١٠٥ ط . دار الكتب . ) .

أن أمير الحاج ( طاشتكين (١) أنكر عليه ضرب الطبل فامتنع ، فنلب إليه من به وبأصحابه أوقع . فتمت من هذه الفتنة فترة ونمت فترة . ولما نعى الخبر إلى السلطان ؛ لم يبد منه سوى الازعان . وقال : لاشك أن طاشتكين طاش ، وقصد بعد الأيناس الإيماش » . وعد الديوان العزيز هنا من ذنوب طاشتكين حتى عزله واعتقله يجرأته بعد سنين .

---

(١) طاشتكين : هو الأمير محير الدين ، طاشتكين بن عبد الله المقصود أمير الحاج ، حج بالناس ٢٦ حجة ، وكان يسير في طريق الحج مثل الملوك ، كان شجاعا جوادا سمحا ، قليل الكلام ، يمضي عليه الأسبوع ولا يتكلم ، استنفاث إليه رجل يوما فلم يكلمه فقال الرجل : الله كلم موسى ؟ فقال : وأنت موسى ؟ فرد الرجل : وأنت الله ؟ فقضى حاجته . ومن حله ، أن رجلا استنفاث إليه من أحد نوابه فلم يجبه . فقال الرجل : أنت حمار فقال طاشتكين : لا . كانت « الحلة » أقطاعه ، وكان الخليفة قد ولاه « عوزستان » وكان يتشيع ، توفي سنة ٦٠٢ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٩٠ ط . دار الكتب ) و ( أبو الفداء ج ٣ : ١٠٧ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) .

## نسخة كتاب جامع للفتح القلمى الأيمن

أنشأها الى سيف الاسلام (١)

أجى السلطان باليمن

صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى ضاعف الله علاه ، وظاهر  
آلامه ، وضافر نعماه وأظفر بالنجح رجاءه ، وأضعف حساده وأعز  
أولياه ، وأذل أعداءه . ولا زالت أيامه بالأيمان مسفرة ، ولياليه بالمحاسن  
مقمرة ، ومكارمه بالمحامد مثمرة ، وعهود مواليه بشكر النعم محكمة  
ومعاهد معاديه بقهر القوم مقفرة . دالة على البشرى بالفتح الأكبر ، والنجح  
الأزهر ، والنصر الأشهر ، والعصر الأبر ، والفضل الأكثر ، والافضال  
الأوفر ، واليوم الأنور ، واليمن الأنصر ، والفجر الأسفر ، والفخر الأظهر ،  
والجد الأشم الأشمخ ، والمجد الأبلج الأبلغ (٢) . والعز الأسبق (٣)  
الأسنى ، والنور الأتم الأنمى . والظفر الأجل الأجل ، والوطر الأحل  
الأحلى . والشرف الأسمن الأسنى ، والعزم الأغنى الأغنى ، والسعد الأجد  
الأجدى ، والصيت الأبدى الأبدى .

وهو الفتح الذى تفوح بمحابه مهاب الفتوح ، وتبوح بسرّ روجه  
وملكه سرائر الملائكة والروح ، وتروح وتغلو غواذى النعم وروائحها  
الى روض الهدى المروح ، وتلوح تباشير بشره فى لوح الدهر لكل مؤمن  
يتلقاها بالوجه السافر والصدر المشروح ، وتروح ناعية الكفر فى كل ناحية  
ولكل نادبة للأسى على قتيلاها وأسیرها ندوب فى القلب المقروح .  
وهو فتح بيت الله المخلص الذى غلق نيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنه ،

---

(١) هو سيف الاسلام ، ظهر الدين ، طنتكين بن أيوب ، أخو السلطان صلاح الدين  
الأيوبي ، كان والى اليمن ، وقد ملكها من زبيد إلى حضرموت ، وكان مقدما شجاعا شهيدا ،  
توفى بزييد ٥٩٤ هـ وخلفه ابنه شمس الملوك اسماعيل (التجويد الزاهرة ج ٦ : ١٤٢) .

(٢) الأبلغ : العظيم المتكبر . والمقصود أنه مجد عظيم يدعو إلى الكبرياء .

(٣) الأسبق : السابق ، وهو الخالص البحت .



وطال في أسره سجنه ، واستحكم وهنه . وقوى نكره ، وضعف ركنه . وزاد حزنه ، وزال حسنه ، وأجديت من الهدى أرضه ، وأخلف مزنه ، وواصله خوفه ، وفارقه أمنه ، واشتغل خاطر الاسلام بسببه (١) ، وساء ظنه ، وذكر فيه الواحد الأحد ، الذى تعالى عن الولد ، أن المسيح ابنه ، وأربع فيه الثلاث فخر صليبه وصلبه ، وأفرد عنه التوحيد فكاد يهيم مته .

ودرج الملوك الأقدمون على تمنى استفاذه فأبى الشيطان غير استيلائه واستحواده ، وكان في الغيب (٢) الإلهي أن معاده في الآخرة الى معاده وأن فساد ايل الشرك بأسفار صبح أمرنا واشراق مطالع نفاذه . ودخر الله هذه الفضيلة لنا ولهذا العصر ، وأنزل على نصلنا نص النصر ، وأطاع ليل عزمنا فجر الفخر ، ووقفنا لوصل أسباب الاسلام وقطع دابر الكفر .

وذلك أنا استفتحنا سنة ثلاث وثمانين بقمع أهل التلث ، وأصرخنا الاسلام بابلجد المتجد والعزم المقيث . وخرجنا من دمشق في المحرم ، في العزم المصمم ، والرعب المجهز الى الكفر والبأس المقدم . وكنا أشفقنا على طريق الحج من قصد القرنج فشغلناهم عن القصد بقصدهم ، وتصدينا بلجهادهم بردهم عن المراد وصددهم . وأقمنا بظاهر بصري نخمين على سمت الكرك ، وقدمنا الطلائع الى المناهل ونظمتنا سلك امدادهم في ذلك المسلك حتى وصل الحاج سالما ، وذل الكفر عن قصده راغما .

ولما فرغ القلب من شغله ، وفاز كل يجمع شمله بأهله ؛ سرنا الى الكرك في الأمراء والمقردين الخواص ، وشفعنا للجهاد في سبيل الله الفاتحة بالاخلاص . وقد كنا استدعينا العساكر والجمعوع لتجهاد من جميع الجهات ، وترقنا توافيهم بالمليقات . وأمرنا ولدنا الملك الأفضل أن يقيم برأس الماء (٣) . ويكون في خدمته جميع الأمراء . وسرنا الى الكرك والشوبك فأخربنا عماراتها ، وأحرقنا غلاتها ، وقطعنا ثمراتها . وأزعجنا ساكنيها ،

(١) في ب ليه والصحيح من ل .

(٢) في ب غيب والصحيح من ل .

(٣) رأس الماء : ميدان فصيح الحرب في حوران ، على بعد نحو عشرين ميلا شمال درما

( The Damascus Chronicle P. 306 )

وأخفنا آمنيتها ، وأجينا عنها فلاحها ، وأقمنا التوائح عليها في نواحيها .

ووصل إلينا ونحن بالقريتين العسكر المستدعي من الديار المصرية ،  
فقويت به قلوب الأمة المحمدية . واجتمع بالمخيم الأفضلى ، برأس الماء  
من وصل من العساكر الشامية والقراتية ، والجزرية والموصلية والديار  
بكزية . فانتهاز ولدنا هناك فرصة الامكان ، وأنهض الى الكفر سرية (١)  
سرية (٢) من أهل الايمان . فساروا سارين (٣) ، وأغاروا غارين (٤)  
وأخلوا ونهبوا ، وسبوا وسلبوا . فلم يشعروا الا وجموع الكفر قد  
سدت عليهم الطريق ، وأخذت دون خروجهم الى السعة المضيق ،  
فثبتوا ثبوت الجبال بالرياح العواصف ، وشرعوا الى عرازين الكفر أسنة  
الرماح القواصف .

وكان مقدم عسكرنا ( مظفر الدين بن زين الدين ) (٥) ومعه مملوكنا  
( تايماز النجمي صارم الدين ) . فلقيما بصليهما صدور العوامل ، وحملنا  
في عسكرنا على الفارمن والراجل . وحصل القرنج منهم في دائرة الردى ،  
وخلل الضلال ونصر الهدى . وكثر من القرنج القتل والأمرى ، وعاد  
المسلمون بالمسرة العظمى والمبرة الكبرى ، واتصلت بنا ونحن في بلاد  
الكرك البشري ، وشكرنا الله على نصرته الأولى وقلنا هذه مقدمة الأخرى .

ولما قضينا الوطر (٦) من تلك البلاد ، ووفينا بلحراق أقوات أهل  
النار بالنار حق الجهاد ، اجتمعنا باصحابنا القادمين من مصر ، وتناصرت  
إلينا دلائل الظهور وتظاهرت أمارات النصر ، وعدنا (٧) إلى الشام ؛  
وقد تكاملت به جموع الاسلام ؛ وزخر بحر القضاء بأمواج الأعلام ؛

---

(١) سرية : القسم من الجيش .

(٢) سرية : السرى . هو صاحب السقاء والروثة في شرف .

(٣) أى ساروا في سرية . وتصار القوم : تتابجوا وأطلع بعضهم بعضا على سر ما .

(٤) أى على غرة .

(٥) المقصود بمظفر الدين كوكبوري ؛ بن زين الدين صاحب أربيل وقد سبقت ترجمته .

(٦) الحاجة والبيئة .

(٧) زيادة الوار اختضاها السياق .

وطفا على أنباج (١) لجة حباب الحيام ؛ وقد فض القضاء ختام القتام :  
وسلق بالفلق من ذلك الفلق غرام الرغام (٢) . فخيما بمشرا شهرا ؛  
وقد أعدنا بشهر بنات الغمود سرها جهرا ؛ وخطبتنا من الله الكريم فتح  
بكر جعلنا بذل المهج لها مهرا .

وقد سمع الفرنج يجمعنا فجمعوا ؛ ونادوا في بلادهم فأسمعوا .  
واجتمعوا على صفورية من صفر ، وحشروا في تلك الأشهر من جمعهم  
في المحشر جموع سقر . وأخرجوا صليب الصلوت ، وقائد أهل الجبروت .  
فتهافت الى شعلة ناره فراشهم ، وتوافى الى ظلة ضلاله خشايشهم (٣) . وقاموا  
وقيامة رعبهم قائمة ، وسوايح جردهم في بحر العجاج عائمة . وطلاتهم  
سارية وسرايهم طالعة ، ومقلعات رعبهم منا السائرة لجنوبهم وقلوبهم  
مقضة خالعة .

فلما تكامل منا الجمع ؛ وأخذ بعجاجة وعجيجه على الآفاق البصر  
والسمع ؛ عرضنا عساكرنا في يوم يذكر يوم العرض ، ويتلو مشاهد  
لنزل الملكة ( والله جنود السماوات والأرض (٤) ) ، في رايات خافقة  
كقلوب الأعداء ، عالية كهمم الأولياء ، وسرنا في جموع ضاق  
بها واسع القضاء ، وسار في كتابها نازل القضاء ، وسحب ذيل الأرض  
بُحْثار تقعها على السماء . وقطعنا الأردن وتأيد الله مواصل ، وقلره باقدارنا  
على الأعداء كافل . فما ألمنا بطبزية حتى فتحناها بالسيف ، ودخلناها بدخول  
المغير لا دخول الضيف . وتسلمنا المدينة ، ونازلنا قلعتها البكر الحصينة .  
وذلك يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر ، والخميس (٥) يوم  
الخميس . وأسد الوغى قد اتخذت من وشيجه العريس .

(١) في ب اتباع والتصحيح من ل ، والانباج جمع نبج وهو أهل الشيء أو منطه أو  
وسطه .

(٢) القراب ، الرمل المختلط بالتراب .

(٣) الخشايش ، حشرات الأرض والمصافير ونحوها والمقصود الفسقاء والردى منهم .

(٤) الآية ٧ سورة الفتح .

(٥) الخميس ؛ الجيش وقد ذكر أبو البقاء في كلياته أنه من ٤٠٠ إلى ١٢٠٠٠ جندي .

كما جاء في لسان العرب أنه الجيش الجرار .

هذا والملك العادل عنا غائب ، ومعه أيضا بمصر كتاب ، وتوفيق الله له مصاحب . وكنا عزمنا قبل قصد طبرية ، أن نلاق القرنج على صفورية . في مركزهم ومجتمعهم ، ونلابسهم في تخيمهم . فحين نزلنا من الثغر بالاقحوانة ، وتمسكنا من الله بالاستجد والاستعانة ، ركبنا قبل قصد طبرية الى القرنج في مجتمعهم ، وأشرفنا عليهم في موضعهم . فما برحوا من مكانهم ، ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم .

وارتدنا في صحراء لوية موضعا للمصاف واسعا ، وفضاء المازق الجامعين جامعا . وبتنا هناك بأطلاب الأبطال ميمنة وميسرة ، ووجدنا بتأييد الله أسباب الظهور ميسرة . وجئنا في خواصنا والجاندارية ، ونزلنا في العدة المجردة على طبرية . وأخذ الثقابون ساعة النزول في الثقب ، فصرع قائم سورها للجنب ، ودخل الناس اليها ليلا للنهب . وكانت ليلة مدلحة معتمة ، وأرجاء المدينة مظلمة ، فأشعلوا وأوقدوا (١) ، ودخلوا الدور وتفقدها ما لم يفقدوا .

وكانت بها حواصل من زفت وكان علقت بها النار ، فاحترقت تلك المساكن والديار . وتحصن أهلها بقلعتها ، وتمنعوا بمنعتها . فأصبحنا على حصرها ، وسلبكتا جدد الجدد في أمرها .

فجاءت رسل الأمراء أن القرنج قد تحركت ، وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية تملككت ، وأدركهم الندم كيف تركت وما أدركت : وأنها قد عبت جنودها ، وثبت وقودها ، ولبت نداء جموعها ، وصبت عليها ماء دروعها . وغاضت في غلغان سوابغها السابرية ، وفاضت ببحار سوابجها الأعوجية .

وأن جمرهم قد استعر ، وأن بحرهم قد زخر ، وأنهم قد أتوا في عددهم وعديدهم ، وحدهم وحديدتهم ، وخيلهم ورجلهم ، وظلمهم وويلهم ، وفارسهم وراجلهم ، وأحزاب ضلالهم وأبطال باطلهم . وأنهم حين عرفوا استيلائنا على طبرية ، وسبقنا بفضيلة فتحها البرية ،

---

(١) في ب أولها والمصحح من له .

غاروا على العقيلة السية؛ وأشعلت نغواتهم نار الحمية ، وساقوا (أنفسهم)  
إلى معترك الردى وملتى المنية .

ولما عرفنا قريبهم ؛ فصلنا حربهم . وزحفنا إليهم ، وأشرقتا عليهم .  
واللجب السارى كالجبل الراسى ، وقد أفاض الحديد من قلبه على الحجر  
القاسى . ولعلت بوارق ييارقه ، وراعت طوارق طوارقه . وبرقت  
قوانس (١) قوامصه (٢) ، وارتعلت فرائص فرائصه : وأمكنت فرائص  
فوارمه ، وياح الحديد على عوابه بوساوسه . وماجت بحار سلاميه ،  
واشعلت نيران قواضيه . وشلت الأجادل (٣) دون صوار (٤) صوارمه (٥)  
وسدت بعرض أفواجه فجاج مخارمه ، وقرنت الألفات بلاماته ، وظهر من  
حشره يوم الحشر بعلاماته . فاغتنمتا الفرصة فى اللقاء ، وهجنا الى المهيجهاء .  
وأسرعت الأعنة ، وأشرعت الأسته . وتقع تقع أوام الجوى ، وأجاب الصدى  
جوى اللو . وجال الجاليس ، وطار السهم المريش . وعصفت رياح  
السوايق ، واستعبرت عيون البوارق . ولقيناهم فى عرمم حارم ،  
ومعجر جار وعوامل جوازم ، وصواهل صلادم . وضراغم ضوار ،  
وجوارح جوار . وأسود قد اعتملت أسود ، وجياد قد حملت أجود .  
وسوايح قد أقلت بحورا ، وصقور قد ركبت صقورا .

وأوقفتناهم نهار يوم الجمعة وساكنهم لا يتحرك ، وبازلهم (٦)  
لا يرك . وصفهم لا ينقض ، وجدارهم لا ينقض . وبنيانهم مرصوص ،

---

(١) قوائس : واحدها قنس وهو أعلى الرأس .

(٢) القوامص : واحدها قمص وهى الفرس .

(٣) الأجادل : الدروع المحكمة .

(٤) صوار يقال . صرت النمن لأجنى الثمر لئى أمته .

(٥) صوارمه : الصارم هو الشجاع أو الأسد أو السيف القاطع .

(٦) بازلهم : بزل البير ، انشق نابه ، أو بزل ناب البير ، طلع فهو أوى بازل :

البير أو الناقة .

وظاهرهم عن الطيران محصوص (١) . حتى دخل الليل ، وقر في الوادي ذلك السيل . وبات القريقان على تعبيتهما ، واجابة داعي الموت بتلييتهما .

وأصبحنا يوم السبت وأهل الأحد على حالهم ، لم يردوا موضع قتالهم . وما زالت الحملات تتناوب ، والأسلات (٢) تتوابع وتتوابع (٣) . والسواعد بقرع الظبا سواع ، والروافع في زرع الطل رواع . والمنايا تن ، والحنايا تحن . والبيض تصافح البيض صفاحها ، والذكور لتتاج الحرب العوان بالفتح البكر عند اللقاء لقاحها . والنوابل في أشاجع الشجعان ذواب ، والصوارم بجوامع النيران شواب . وضمانر الغمود قد باحت بأسرارها ، ونواظر الجفون قد تحملت عن غرارها (٤) .

ولما أحسوا بأسنا ، وامرار أمراسنا ، والمجير يتلظى وقد قد عليهم بناره ، والأوام يتوقد ولا يتوق أحراقهم بأواره ، مالوا الى طلب الماء ، وأخلوا طريق البحيرة للارتواء . فأخذنا قدامهم ووقفنا أمامهم . وحلأناهم عن الورد ، وألأناهم الى الردى بالرد . فاعتصموا بطل حطين (٥) وصرنا بهم محيطين . وتحكمت فيهم قواضي القواضب ، ونشبت من النشاب بهم نيوب النوايب . وكان جمعهم جمرا وقد وقد ، فصب عليهم السيف نهرا فحمد . وفضوا بالقضاء ، وفرشوا بالنعراء ، وعب دأماء الدماء ، وغصت الفجاج بالقتلى والأسراء .

وأسر الملك وأخوه ، والابرنس الكركي وموازروه ، ووجوه الكفر ومقدموه . ومقدم الداوية وأعوانه ، وصاحب جليل وأعيانه . وهنفرى

---

(١) محصوص : طائر أحسن الجناح أى قليل ريش الجناح والمبارة هنا كناية عن الضعف وعظم القدرة .

(٢) الاسلات : واحدا لسة وهي الرماح .

(٣) تتوابع : تصاد .

(٤) غرارها : الفرار هنا بمعنى التلذذ من النوم .

(٥) حطين : هي قرية بين طبرية وعكة ، بينها وبين طبرية فرسخان ، وبالقرب منها قرية يقال لها جبارة يقال أن بها قبر شبيب عليه السلام (ياقوت ج ٧ : ٢٧٣-٢٦٤ ط . ب) .

ابن هنرى واين صاحب اسكتلرونه وصاحب مرقية . (١) .

ولم يقلت الا ابن بارزان والقومص ، وتم لها من الورطة المخلص .  
وكان كلاهما ملهما عند اللقاء بالقتال ، وعند الفرار بالاحتيا . فأما  
القومص فانه لما مر بطرابلس أدركه الموت فى برج المشيد ، ونقله القدر  
المبيد الى عذابه المؤيد . وذل ذلك اليوم أهل الجبروت ، وحيز صليب  
الصليبوت ، وبار وياد أولياء الطاغوت ، وهلك عبدة الناسوت واللاهوت ،  
وملك عليهم القدر كتاب الأجل الموقوت .

وقدما الابرنس وضرنا رقبته وفاء بالنذر ، وعجلنا به الى النار  
مأوى أهل الفلر . وألحقنا به الداوية والاستبارية ، وأدنا عليهم صبرا  
كوؤس المنية . وروينا ظماء الظبي من نجيعهم وقرينا سيد القلا من صريعهم .  
وعدنا الى طبرية فسلمنا قلعتها ، وحلانا عقدها ، وفرعنا ذروتها ، واقترعنا  
عثرتها .

ثم سرنا الى عكاء ففتحناها بالأمان ، وأعلنا بها شعار الايمان . واستقرينا  
بعدها البلاد الساحلية من جليل وحد طرابلس الى الداروم غير صور  
فانها امتنعت بسورها ، ولم يبق فى كأس انكفر غير سورها ، وانها وجلت  
فسحة فى أيام اشتغالنا بفتح أخواتها ، وكثفت من عدد المحاصرة آلائها .  
وكتنا لما فتحنا عسقلان بلدنا بالنزول على القدس ، وذلك يوم الجمعة  
ثالث عشر رجب ، فرجف بها قلب الكفر ووجب . وظن أهلها أنهم  
يعتصمون ، وأنهم من بأسنا يسلمون .

فنصبتا عليهم منجنيقات هدت أحجار السور بسورة أحجارها ،  
وآذن ركوعها بسجود الأبراج فى لجبارها . ووفت الصخور باصراخ  
الصخرة ، وعثرت تلك القلل باقالة ما دام بها من العثرة . وكشف  
الثقب ونقب الأسوار ، ورمت الجنادل جوانب ذلك الجدار ، وعلم  
الكفار لمن حقى الدار ، وأيقنوا بالقتل والاسار .

فخرج مقدموهم متذللين بالأذعان ، مبتلهين فى طلب الأمان . فأبيناه

---

(١) مرقية : قلمة يساحل الشام قرب حمص ( ياقوت ج ١٧ : ١٠٩ ط . ب )

كل الالباء ، الاسفلك الدماء من الرجال وسبي الذرارى والنساء . فخوفوا  
بقتل الأسراء ، وخراب العمران وهدم البناء . فأمناهم على قطيعة موازية  
لأثمانهم لو أسروا أو سبوا . فأمنوا من أن يسلبوا وهم على الحقيقة قد  
سلبوا . ومن وفى منهم بالقطيعة خرج بحكم العتق ، ومن عجز عن أدائه  
دخل تحت الرق .

وعاد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ، ورجع بنيانه من  
التقوى الى تأسيسه . وزال ناموس ناقوسه . وبطل بنص النصر قياس  
قسيه . وفتح باب الرحمة لأهلها ، ودخلت قبة الصخرة لفضلها .  
وباشرت الجباه بها مواضع سجودها ، وصافحت أيدى الأولياء آثار القدم  
النبوية لتجديد عهودها . وشوهد مقام المعراج وموطئ براقه ، ورث  
نور الأسراء ومطلع اشراقه .

ودنا المسجد الأقصى للراكم والساجد ، وامتلأ ذلك الفضاء بالإنقياء  
الأمجاد . وطنت أوطانه بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس ،  
وجليت هدى الهدى من الصخرة المقدسة جلوة العروس . وزارها شهر  
رمضان مضيفا لما نهار صومها بالتسبيح ، وليل فطرها بآتراويح ، وشق  
الله بسقيا هذا الفتح ما كان دهم القلوب لأجلها من تبار التباريح .

فالبيت الحرام مساو للبيت المقدس ، مفدى منا كلاهما من المهج  
والأنفاس بالأنفس . وانه من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال الرجال ،  
وبضيق عن وصف شرفها في حلبة البيان المجال . وهو للحرمين ثالث  
ولا تثليث في حرم توحيده ، فتجلدت جند الاسلام بتجديده .

ولما فرغ البال من تديره ، وقفينا حتى تقديسه وتطهيره ؛ صرنا  
الى صور ، ونازلناها بعسكرنا المنصور . وفي صور سور الكفر وبقيته ،  
حرق تحصن بسورها ومنعته شرفته . وهى مدينة حصينة ، متوسطة في  
البحر كأنها سفينة . وقد نصبتا عليها المنجنقات فتكأت فيها ، ورمت  
من أعاليها ، وهدمت من مبانيها . ولم يبق في جعبة الكفر سوى نشابها ،  
وان جمحت علينا فنصرة الله وعوائل تأييده لنا تؤذن بإصحابها ، واذا  
تسلمناها تسلمنا — ياذن الله — كل بلد للفرنج باق ، وما لهم من عذاب  
الله الواقع بهم واقى .



ثم رأينا أن حصار صور بطول ، وأن مسألة ييكار (١) العسكر فيها تحول . وأن فتحها لا يفوت ، وله وقته الموعود ووعده الموقوت . وكان العسكر قد ضجر ومل ، وأعيا وكل . وقد دخل الشتاء وبرد الهواء . وجادت السماء ، وتواترت الأنواء ، وتواصلت الأنداء . ولا بد من استئناف جمع العساكر في أيام الربيع ، واستمداد الناصر الذي يضم لاستجداد الفتح شمل الجميع .

ورحلنا عنها بعد أن رتبنا حولها ، في الثغور المجاورة لها ، من يديم شن الغارات عليها ، ويواظب على النهوض إليها . وفسدنا لاجنادنا في الاستراحة مدة شهرين الى النيروز (٢) . فان في تلك الأيام تتوفر العزائم على المبارزة والبروز . وقد جرت المواعدة على المعادة ، والمعاودة للمعاودة والمعاودة للمساعدة . فليس في الفرنج من يقاتل الآن على الخيل ، والنهار عليهم في اظلام الليل ، والنز متقلص الظل عنهم والذل ضاف الليل . وقد حزب حزبهم من حربنا مثير للحرب وأويل .

وقد اشتمل الفتح على البلاد المعينة ، والمعاقل المينة ، وهي : طبرية ، عكا ، الزيب ، معليا ، اسكلدرونة ، تبين ، هونين ، الناصرة ، الطور صفورية ، القولة ، جينين ، زرعين ، دبوريه ، عفر بلا ، يسان ، صمسطية نابلس ، اللجون ، ريمحا (٣) ، سنجيل (٤) ، البيرة (٥) ، يافا ، أرسوف ،

(١) ييكار : كلمة فارسية معناها الحرب (Dozy. Supp. Dict. Arabe)

و(الروضتين لأبي شامه ج ٢ : ٦٤٨ تحقيق د . محمد حلمي أحمد) .

(٢) النيروز : أو النوروز رأس السنة الشمسية عند الفرس ، وكلمة نوروز معناها يوم جديد (الأنفاط الفارسية المعربة لاصي شير ط . ب ١٩٠٨ م) .

(٣) ريمحا : مدينة قرب بيت القدس من أصال الأردن بينها وبين القدس خمسة فراسخ (يقال لها أريحا أيضا) (ياقوت ج ٩ : ١١٢ ط . ب) .

(٤) سنجيل : ذكرت في ياقوت بنون ياء ، بليدة من نواحي فلسطين (يقال أن بها جبه يوسف عليه السلام) ياقوت (ج ١١ : ٢٦٤) .

(٥) البيرة : قلعة قرب صمسط بين حلب والثغور الواقعة على حدود الروم (آسيا الصغرى) لما رستاق ، والمقصود هنا بليدة بين القدس ونابلس بهذا الاسم (ياقوت ١٢ ط . الخانجي) .

قيسارية ، حيفا ، صرند ، صيداء ، قلعة أبي الحسن (١) ، جبل جليل ،  
بيروت ، جبيل ، مجدل يابا ، مجدل حباب ، الداروم ، غزة ، عسقلان ،  
تل الصافية (٢) ، التل الاحمر (٣) ، الأطرون (٤) ، بيت جبريل ،  
جبل الخليل ، بيت لحم ، لد (٥) ، الرملة ، قرتية (٦) ، القدس ، صوبا (٧)  
هرمس (٨) ، السلح (٩) ، عفرا (١٠) ، الشقيف ، ولم نذكر ماتخلها  
من القرى والضياع ، والأبراج الحصينة الجارية مجرى الحصون والقلاع .

ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها أعمال وقرى ومزارع ،  
وأماكن ومواضع . قد جاس المسلمون خلالها ، واسترعوا ثمارها وغلاتها .  
وقد كنا عند قصدنا البلاد ؛ وعرضنا للجهاد الأجناد ؛ كاتبنا أخانا الملك  
العادل سيف الدين أن يدخل بالعساكر المصرية من ذلك الجانب ، ويتنظر  
كتابنا بنصر هذه الكتاب . فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا ،

(١) قلعة أبي الحسن : قلعة ساحلية قرب صيداء (ياقوت ١٦ : ٣٨٩ ط . ب)

(٢) تل الصافية : حصن من أعمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة (ياقوت  
ج ٥ : ٤٢ ط . ب) .

(٣) التل الأحمر : قرية في سورية (قضاء طرابلس) على يسار الفرات ذكرت باسم  
تل برسب في الألف الثالثة ق . م . كانت تصعد إليها السفن من وادي الفرات لتشمن غشب جبل  
طوروس .

(٤) الأطرون : بلد من نواحي فلسطين ثم من نواحي الرملة (ياقوت ج ٢ : ٢١٨ ط . ب)

(٥) لد : قرية من نواحي فلسطين قرب القدس (ياقوت ج ١٧ : ١٥ ط . ب)

(٦) قرتيا : بلد قرب بيت جبرين من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس (ياقوت  
ج ١٥ : ٣٢ ط . ب) .

(٧) صوبا : من قرى بيت المقدس (ياقوت ج ١٢ : ٤٣٢ ط . ب)

(٨) هرمس . ذكرها ياقوت هرمز : وهي قلعة بوادي موسى عليه السلام بين القدس  
والكرنك (ياقوت ج ٢٠ : ٤٠٢ ط . ب) .

(٩) السلح : حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب البيت المقدس (ياقوت ج ١٠ :  
٢٣٦ ط . ب) .

(١٠) عفرا : أو عفريلا وهي بلدة قرب بيسان وطبرية بالأردن (معجم البلدان ج ١٤ :  
١٣٦ ط . ب) .

والظفر الذى أضحك الأولياء وأزعج الاعلاء وأبكى ؛ وتلى عليه ( قد أفلح المؤمنون (١) و ( قد أفلح من تركي (٢) ) ؛ كان وصل الى السوادة فى سواده وبياضه ، وبحار جيشه وبراضه (٣) وورد من مورد النصر إلى حياضه . فجاش يبيوشه ، وجاز العريش بعريشه ، وزار دار الداروم بدهورها ، وأجفلت قدامه البلاد فى كل من اعتمد عليه بأموورها .

ووصل الى بافا ففتحها عنوة ، ونال العسكر منها بالنهب والسبأ حظوة . ثم حضر مجدل يابا وحصرها ، وطلبت منه الأمان فأنظرها . وكبنا اليه بالاقامة فى ذلك البخانب ، ماضى العزائم قاضى القواضب . وأن يستفتح من البلاد ما يتعجل فتحه ، ويقدم من الرجاء ما يتيسر نجهه ، إلى أن تفتح ماني جانبنا من البلاد وتسلمه ، ونتهز فرصة الامكان فيما نحن بصددده ونغتتمه .

وقد كنا أنهضنا الى كل بلد من الناصرة وصفورية ؛ وحيفا وقيسارية ؛ من يتولى افتتاحه ، ويستقبل من مهب النصر أرواحه . فنصرهم الله على للناصره وقيسارية قسرا ، وتسلمت البواقي سلما ، ورأى من كان فيها سلامته غنما ، ورضى بالغرم رغما . وتسلمنا نحن تبين ويروت بالأمان ، بعد أن قاتلنا أهلها قتالا شديدا ألجأهم الى الاذعان . فأما صيداء فان صاحبها أذعن الى التسليم ، بعد أن بات منا بلبه السليم . وأما جيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الأسر ، ورأى ربح خلاصه فيما تعجله من الخسر .

وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك العادل على عسقلان ، وهان لنا كل ما استصعب منها ودان ، وظهر لنا منها وجه الفتح وبان ، وأمكن كل ما تعلم واشتد ولان . وزاحمنا متكأ أبراجها من المنجنيقات بمنكأب ، وأصبنا قواتها لما رميها بمصائب . وأصبنا مقاتل الأسوار بسهام

---

(١) الآية ١ سورة المؤمنون .

(٢) الآية ١٤ سورة الأعلى .

(٣) يراضه : البراض جمع البرض وهو القليل والمعنى أنه وصل فى كثير جيشه وقليله .

قسيمها ، وعاقبتها بحبالها وعصيها ، واقتدنا بنجرائم الكره أنف الطاعة من  
عصيتها ، وصافحنا ببيض الصفائح يد الرضى من أيّتها . وباشرت سهام  
المجانيق بسواكها ثانيا الشرافات فهتمتها ، ونهضت أحجار الرماة إلى  
أحجار البناء فهديتها وهلمتها . وغنى فيها معول النقاب ، فرقصت  
للاضطراب لال للإطراب . وعادت الحجارة الى أصلها من التراب .

ولما أيقن أهلها بالعطب ، لاذوا بالضرعة والطلب . وخرجوا  
مسلمين مستسلمين ، وانقادوا مستكينين مذعنين . وأسلم البلد وأسلم ،  
وجدع أنف الكفر وأرغم . وعاد منه الايمان الغريب الى وطنه ، وقر منه  
الاسلام القريب فى مسكنه . وعند ذلك تسلمنا غزة ، وأعدنا اليها العزة .  
وأتيننا على الرملة ولد والنطرون ، وفتحنا بيت جبريل وجبل الخليل وجميع  
تلك المعاقل والحصون .

ثم ختمنا فتوحات هذه السنة بفتح الأرض المقدسة ، والحمد لله على  
نعمه المفرجة للكروب والطافه المنقصة . وقد جعلنا هذه البشارة القدسية  
بماناه الله من الموهبة السنية ، وسناه من المنحة الهنية ، لملوكنا حسام الدين  
مستقر الخلاطى (١) ، وأمرناه أن يسير فيها من أصحابه من يقوم فيها بحق منابه.  
والمجلس السامى بشيع ميامنها ببلاد اليمن ، ويحلو عروسها البكر فى  
حسنها الحالى وحليها الحسن . ويشكر نعمة الله التى خصنا بها وعمت الأمة  
ويديم شكرها فان دوام الشكر يديم النعمة ، لازال المجلس مشكور الشئمة ،  
على المهمة ، منصور العزم إن شاء الله .

---

(١) مستقر الخلاطى : هو حسام الدين ، أحد عمالك صلاح الدين المملوكين توفى فى رجب

## ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

والسلطان صلاح الدين (١) مقيم بمكا (٢) وريب الربيع رضيع ،  
 ووشى الروض وشيع ، وصنيع القدر نصيح ، وشمل الظفر جميع ، وفضاء  
 الفضائل وسيع ، ومَراد المُرَاد مريع ، ونسيم الأسحار لاسرار الأزهار  
 مذيع ، وأريج الجو العليل في شفاء غليل الجوى شفيح . والدهر قد ثمل  
 وأفاق ، والزهر قد شمل الآفاق . والمحجب مهاب ، وقى الشعاب  
 أصباب . وخلود الشقائق (٣) محمرة ، وثغور الأقاحي (٤) مفترة ،  
 وعيون النرجس مصفرة ، وشفاء المتابع مخضرة . وأحداق الحدائق الناضرة  
 نازرة ، ووجنات الجنات الزاهية زاهرة . وعذبات المُنابِت متعوجة ،  
 وحافات المناهل متديجة . وجياه الغدران متغضنة ، وجفون النوار متوسنة ،  
 والأفنان مورقة والورق (٥) متفتنة . وخد الخيري (٦) مورد ، وحد  
 الحرار (٧) مجرد . وعرف البهار قد تأرج ، ووجه الجنار قد تفرج .  
 وعذار البنفسج قد بقل ، وعذر الزمان قد قبل . وشارب النبت قد طر (٨)  
 وهارب البرد قد فر . وسر الصيف قد سرى وسر ، وطبى الطيب قد  
 حفل ودر .

وتقاضى السلطان غريم عزمه بدين الدين ، وآن أن يصحر ليث بأسه  
 الخادر من العرين . فأبرز مضاربه ، وجهاز كتابه . وضرب مرادقه ،

(١) زيادة من أ (١٠١) ساقطة في ب و ل .

(٢) الشقائق : جميع شقيقة للسان ، وهو نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء .

(٤) الأقاحي : جميع أقصوانه ، وهو نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها  
 الإنسان .

(٥) الورق : جميع ألورق وورقاء ، وهو كل مالونه لون الرماد ، والورقاء تطلق على  
 الحماة كما تطلق على شجرة لما ورق ناعم ملون واسع فتراء الساق .

(٦) الخيري : هو المنتشر الأسفر (نوع من الزهور) .

(٧) الحرار : هو النرجس البري ، هار ناعم طيب الرائحة .

(٨) طلع وظهر .

وعرض فيالقه ، ونشر ييارقه ، وحشر رواعده وبوارقه.وأنفق خزائنه ،  
وأنفد دفاقته . وبذل في صون الدين ديناره ، وأشعل في حفظ ماء الهدى  
وعلى العلى ناره .

وسار على سمت حصن كوكب ، وعن قصده ما تنكب . ونزلنا  
عليه في العشر الأوسط من المحرم ، ومامنا الا من له بقتال العلوفيه لهج  
المحب المغرم ، ولعزمه وهج اللهب المضرم .

فوجدنا كوكب في سمائها كأنها الكوكب ، وظن الفرنج أنها  
لاتنكأ ولا تنكب ، وهى من المصاعيب التى لاتبرك ولا تركب . فأحطنا  
بالحصن وخيمنا حوله ، واستمددنا قوة الله وحوله . وزحف إليها الرجال ،  
وتناوب عليه القتال .

وركب إليه السلطان ورازه (١) ، واستصعب احتيازه . ورأى أن  
مقاتلته تطول ، وأن مسألته تعول . وأن محاولته في مطاولته ، ومصابه في  
مصابرته ، واضاقته في مضايقته . وأن مافى هذه الحال اقتضى تعلو  
اقتضاض علوته ، ولا مطمع الآن في فرع ذروته ، ولا قرع مروته .

وكان في خواصه وأهل استخلاصه ، لم تتجمع عساكره ، ولم تتموج  
زواجره . فأقام هناك بالتدبير مشغلا والاشغال مدبرا ، وبلاستظهار  
متأبدا وبتأييد الله مستظهرا ، حتى رتب على قلعة صمد خمسمائة فارس ،  
من كل محرب للحرب ممارس . وسلمهم الى (طغرل الجاندار) ،  
لمرابطتها بالليل والنهار . ووكل بكوكب (قايماز النحى) في خمسمائة  
مقاتل ، من كل ناصر للحق وللباطل خاذل . وكان (سعد الدين كمشببى  
الأسدى) بقلعة الكرك موكلا ، وبمحفظها مكفلا .

---

(١) أى خبره .

## ذكر حال الكرك من أول الفتح

وقد (١) مضى ذكر وقوع ابن رنس الكرك في الشرك ، بمعسكر (٢) يومه في المعرك . وافتتاح الفتح بفتح ، وبسط كف الانتقام عليه بقبضه وكفه . وأنه أخذ رأسه ، وقطعت أنفاسه ، وقلعت أساسه . وكانت زوجته لبنة فليب صاحبة الكرك بالقدس مقيمة ، ولحفظ معاقبتها مستديمة . وحصل ولدها (هزرى بن هزرى) في قبض (٣) الأسار ، وقيد الحسار ، وغمة الانكساف والانكسار .

فلما يسر الله فتح البيت المقدس ، وأصبح الإسلام على اليد والكفر غارم العطس ، خرجت صاحبة الكرك معرصة الخضوع ، مطروعة بالخشوع ، وبرزت مسكينة مستكينة ، مستعطفة (٤) مراحم السلطان معقلية . زافعة عتيرها بالابتهال ، شافعة في فك ولدها من الاعتقال . معطرة عظام من فانة الضغرة ، مسفرة عن وجه من عاذلة الضغرة ، حاسرة خسرى ، باسرة لحزنها بأسرى . والدلة تشد ولدها ، والملة دخل الرعب خللها . مقلقة ميسورها ، مشلقة مأسورها . ثائرة عطف العطاف لواحدتها ، رائبة بعين القتل في خلاص ساعدها .

سائلة في قلادة كدها ، جائلة بملوحة كدها ، باسطة يدها لقبض يدها . قائرة عززات دموعها ، عائرة بمزاورات ولوعها . خلقة جراح استعطائها ، نائمة في فجاج استعطائها . راجزة بنوحها ، عاجزة عن بوحها . وخرجت معها زوجة ابنها ابنه الملك ، كأنها من بنات الملك ، باديا صبح وجهها اليقن (٥) في ايل شعرها الحلك . مشرقة من أوجها ، مشقة

(١) الرواسقة في (١٠٢ ش) .

(٢) في (١٠٢ ش) ومعسكر .

(٣) في (١٠٢ ص) قص .

(٤) في مستطعة والصحيح من ل و من (١٠٢ ص) .

(٥) اليقن : القطن ، جوار القطن ، اللحم الأبيض والمقشود ياقن ووجهها المثل .

على زوجها . محترقة على فداء الحليل ، مقترحة به شفاء الغليل . خادرة قد  
أصفرت من مطالعها وأصحرت ، خادرة عبدة في مدامعها طحرت (١) .  
ناهلة متهلة ، واجدة متوجدة . معززة متزلة ، مهتزة متمللة . باكية  
متلهفة ، شاكية متأسفة . مستعدة مستعدة ، عاطية مستطية . ساكية  
عبراتها ، راكبة عثراتها . خامشة وجناتها ، خادشة بشراتها .

وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة ، ولقرمها (٢) التندب نادبة .  
قد أذعنت وعنت لفكاك عانيها ، وطلبت بطلها الذي هو عامر دار عزها  
وبانيها . فاكرم السلطان وفادتهن ، ووفر افادتهن ، وقرب ارادتهن ، وقرر  
زيادتهن . ووهب لمن ولأتباعهن وأشباعهن ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال  
القطيعة ، ووصلهن بصلاته الرفيعة . وخصهن بما لاق بكرمه من حسن  
الصنيعة ، ووثقهن بنجح الذريعة .

وأما الملكة فانه مكن محلها ، وجمع بالملك شملها . وتقرر مع صاحبة  
الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعي الثوبك والكرك ، ودخولهما في معاقلة  
وخروج أصحابهما منهما في الدرك . فاستحضر ابنها هتفري من دمشق  
إليها ، وأقر برويته عينها . وسار معهم من الأمراء الأمراء من يتسلم منهم  
تلك المعادل ، ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقائل . فمضت إليها مع  
ولدها ، حسنة الظن بأهل بلدها .

فلما وصلت قاطعوها ، ودافعوها عن حصونها ومانعوها . وأخطفوا  
ظنها وخالفوها ، حيث ما ألقوها كما (٣) ألقوها . وجنحوا وجمعوها ،  
واجترأوا عليها واجترحوا . وعصوها وأقصوها ، وعددوا عليها الذنوب  
وأحصوها . وأفحشوا لها في خطأ الخطاب ، وأوحشوها بالتنجي عن صوب  
الصواب . وسبعوها (٤) وسبوها ، وإلى موافقة الاسلام نسبوها .

(١) طحرت العين قلدا : دمت به .

(٢) السيد العظيم .

(٣) في ب (كا) والتصحيح من ل .

(٤) أى شتموها واختابروها .



وكلما لا ينتهم خاشنوها ، وكلما قاربتهم باينوها . فوجدت نبوة  
توابها ، وعلمت لصحاب أصحابها ، وذكرتهم بحقوقها ، وحلّتهم من  
عقوقها . ولاطفتهم فغلظوا ، واسترضتهم فأحفظوا ، واسترعتهم العهد  
فما حفظوا ، ونهيتهم لأمرها فما استيقظوا .

وانفصلت عنهم خائبة غفقة ، هائبة مشفقة . تخشى من رد ولدها إلى  
السجن ، وعودها من الاصحار إلى الدجن (١) . ومضت إلى الحصن الآخر .  
فحصلت منه على صفقة الخاسر . فانها لما ألت بالشوك ألت من شوب  
كلرها ، وأملت قفعا فعدت بضررها . ولقيت من نوابها نواب ،  
وفى موارد المراد منها أقذاء وشوائب ، فأبت بالأمل الخائب والعمل العائب ،  
والخوف الصادق والرجاء الكاذب .

فلما رجعت قبل السلطان عندها ، وأزال ذعرها . وأعلمها بأن ولدها  
محفوظ ، وبالرعاية ملحوظ ، وبالعناية به محفوظ ، وهو في حصن السلامة  
إلى أن تسلم الحصون ، وإذا بذل مصونها بذلنا لك منه المصون . فسكنت  
إلى الوعد ، وسكنت بعكاء في ظل الرفه والرفد . ثم انتقلت قبل خروجنا  
من عكاء إلى صور ، واستودعت السلطان ابنها المأسور .

وأمد السلطان (سعد الدين كشي) في حصار الكرك والشوك ، بأمراء  
يساعدونه في الحفظ واليزك . فأقام على كل قلعة من يكفى لمحاصرتها ، وفي  
بمصابرتها ، ويلبث في مقابلتها ، ولا يبعث . بمقاتلتها . فانها تبقى على قوتها  
حالم تقو من قوتها ، وتلوم على طغيانها مالم يذل عز طاغوتها . فلما رتب  
السلطان هذه المراتب ، ورب هذه المآرب ، أقام حتى وثق باستمرارها  
وتحقق حتى استقرارها .

---

(١) السجين : المراد الكثير النعيم المطلق المظلم والمقصود هنا أنها اختفت وحزنت حزنا  
شديدا بعد أملها وفرحها بتلاص ابنها من الأسر .

## ذكر ما دبره في عمارة عكا

« انخلقت الآراء في أمر عكا فأتتها كانت مدينة مخزقة ، وبيوتها متفرقة .  
وسورها غير معمور ، ومعظمها بلا سور . ورأوا أن في إبقائها خطراً ،  
وأن تقي إخلالها ضرراً . فمن أصحابنا من أشار بخربها وحفظ الحصون ،  
وبناء قلعة القيسون ، ومنهم من قال : إذا صيبت عكا ، ملك البحر ، وهلك  
الكفر . وكانت على البلاد الساتلية قلاع ، وكانت بها بلاد الكفر اقلام .  
فمن قالل بإبقاء برج القلعة مبنياها ، ومن قالل بتحصينها من أدناها ،  
ومن قالل بجدد سورها ، وتحكم أمورها ، وتقيها بحالها ، ونعيمها بكمالها .  
على أن أسوار هذه البلاد سيوفها إلى هي عند القنوج مقايح أفعالها ، وأجالوا  
الفكر فيمن يحمل عوائلها ، ويحلى عواطلها . ويتوجد بتدبيرها ، ويتفرد  
بتصميمها ، ويجهد في تجويزها .

ذكر وصول بناء الدين قراقوش (١) لتولى عمارة عكا.

فقال السلطان وما أرى لكفاءة الأمر المهم ، وكفى الخطب الملم ، غير الشهم الماضي السهم ، والمضى القهم ، الميام الحرب ، الثقاب الحرب ، المهلب الأودعي (٢) ، المرجب (٣) الأكلى ، الراجح الرأى ، الناح السعى ، الكافى الكافل بتدليل الحرامج ، وتعديل الخوانج ، وهو الثيب الذى لا يزلزل ، والطود الذى لا يتحطل ، ( بناء الدين قراقوش ) الذى يكفل جاشه بما لا تكفل به الجيوش .

وهو الذى أدار السور على مصر والقاهرة ، وفات وفاق الفحول بأثار مساعيه الظاهرة ، فأنمره أن يستتب هناك من يستكفيه لتبام تلك العمارة ، ونومره لهذا الأمر فهو جدير بالأمر والإمارة ، وكوب بالحضور ، لتولى الأمور ، وعمارة السور . فوصل متكفلا بالشغل ، متحملا للثقل . ينشرح الصدر بالعمل ، منسحق السر والأمل . ينتهجا بالأمر ، ملتجئا بالشكر .

وقد استصحب معه كل ما فقير إليه من أسباب العمارة والآلات ، وأدوتها وأدواتها ، وأقارها وأقارها ، ورجالها وعملها وعمارها ، ومهندسيها وموسسيها ، وحجارها ومعمارها . والأسارى والصناع ، والنجات والقطاع . والمال الكثير النفقة ، والذهب الأوفر والركة .

(١) بناء الدين قراقوش : هو قراقوش بن عبد الملك الأسى ، الخادم الصلى وقراقوش لفظ فارسي معناه الثقاب ويطلق على الإنسان القبيح الشجاع ، اتصل بخدمة صلاح الدين بعد حبه أحد الدين شيركوه ، وكان صلاح الدين يثق به ويحده عليه في مهماته ، وهو الذى بنى قلعة الجبل والسور على مصر والقاهرة والفترة إلى حد الأكرام ، وقد سلم إليه صلاح الدين مكايد تحصنها ثم أسروا القلاع بعد استيلائها فاختار صلاح الدين ، توفي سنة ٥٩٧ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٧٧ - ١٧٨ ط ١ - دار الكتب ) .

(٢) الأودعي : هو الأكرام الدين ، الخليل القوادى ، المصمم البيان .  
(٣) المرجب : هو المهيب المظفر .

ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب ، وحضر الموكب . وشرف بأسمى  
الطلع وأعطى اللبس والمركب . وفوض إليه وقده ، وأسعفه من عنده  
وأسعده . وقوى جانبه ، وأغلب مشاريه ، وأوضح ملاهيه ، وأنجح  
مآزيه . وأبد يده ، وأجد جلدته ، وكثر ملده ، ووفر علده وعدده .  
وخصه بعباياها ، واستخلصه لوصاياها .

فتوجه إلى عكاء وشغله متوجه ، وعزمه متنبه ، وسره مترفه ، وفكره  
في رياض الهدى متزه . وأمره ماض ، وحكمه قاض ، وائقه عنه راض .  
وقام بما أقيم له ، ونهض بالعبء وحمله ، ومشى بكفايته عمله . وشرع في  
التعمير والتسوير ، وتسوية الأمور بحسن التدبير .

وصياني شرح ماجرى بعد ذلك في مكانه . وما ظهر من حسن إيائته  
واحسانه .

## ذكر وصول سلطان الروم قليج أرسلان (١) وغيره من الرسل

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد ؛ واستعلائه في الجهاد ؛ وتأرجت الأرجاء بعرف حُرُفه ، وأرخت السير بمحاسن وصفه ؛ عنت الأمصار لمصره ، وأذعنت الأملاك للملكه ، واقفادت الأمراء القادة بأمره : وعادت مهاب المحاب تفوح بما له من الفتوح ، وشروح إيراده وإصداره تحمل في صدر الزمان المشروح . فتهيبه بالضراعة كل عظيم ، وتأهب له بالطاعة كل إقليم .

ورهبه ملوك الأطراف ، وتعلق باستزادة الشرف منه أمل الأشراف ؛ فكاتبوه مستعفين ، وخطبوه مستعطفين . وراسلوه بالتحايا ، وواصلوه بالهدايا . ورغبوا في امتراء (٢) خلف الامتزاز ، والانشاح والالتحاف بحلف الانشاج . وخطبوا الوصلة ، وطلبوا الصلة . وكل يطلب لبلده منه أماناً ، ولیده وقدمه من تمكينه وتأييده إمكاناً ومكاناً . ويتوصل ويتوصل ، ويتلطف ويتطفل ، ويرسل ويسترسل . ويرجى مواهبه ، ويتخشى عواقبه . ويدم التردد للتودد ، والقصد لبلوغ المقصد . فما يعود رسوله الا بسُوله ، ولا يقبل عليه منه إلا بقبوله .

ومن جملة الملوك المقربين بالوداد ؛ المتسبين إلى حصول الاتحاد ؛ سلطان الروم ( قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ) . فإنه بذل الإذعان وسأل الإحسان . وأدى في المودة الأمانة ، وأبدى للرجة الاستكانة .

---

( ١ ) قليج أرسلان : هو السلطان ، عز الدين ، قليج أرسلان بن مسعود بن سليمان قتلش بن إسرائيل بن سليوق صاحب بلاد الروم ( آسيا الصغرى ) ، طالت أيامه وأتمت ممالكه ، ثم أصابه الفالج ، وتنافس أولاده ، وقد حكم عليه ابنه قطب الدين ملكشاه بعد أن كسر جنوده ونقله إلى قيسارية ، وعهد عند موته لابنه غياث الدين ولم يمهّد لقطب الدين الملكور ، توفي سنة ٥٨٨ هـ - ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٨ ط - دار الكتب ) .

( ٢ ) امتراء خلف : امترى واستمرى ، استخرج الابن واستعده . والخلف ، حكمة فصرح الناقة والمقصود أنهم رغبوا في التشرب واسترار غير صلاح الدين .

واستهض في سفارته السفير الألب ، وندب النَّدْب . وأخذ أكبر أمرائه ، وأعظم سفرائه ، وهو ( انجيار الدين حنين بن عُفَيْرِيس ) . وكان في دولته مقدماً ، وفي مملكته محكماً ، وعند أهل ولايته معظماً . وقد استعل على واستولى ، واستبد بالتدبير عليه كأنه بمملكته أولى . ولا تصرف له في ملك ولا مال إلا بتصرفه ، ولا تعرف له عن حادث وحال إلا بتعريفه .

فوصل هذا الكبير بنفسه لتمهيد التواعد ، وتشييد المقاصد . ومجديد اليهود ، وتأكيذ النُفُود . وقدم نكرماً وأكرم قادماً ، وخدم حاضراً وحضر غائباً . وقبل البسطا وبسط وجه القبول ، ومثل له الشرف فتشرف بالثول . وخيا نحية الممالك للملوك ، وحفظ الأدب ولم يتكبر فيه عن النهج المشلول .

فتلقاه السلطان بالبشر والرحيب ، والبر والتضريب . وأعزه بزوله في قراه ، وأوعز بزله وقراه . ووسع عليه من الإتيام بما ضاق عنه أملة ، وواصله من الحسب بما رافت تفاصيله وجمله ، وشفع رسالته بالإصغاء ، ورفق مقالته عن الإلقاء . وسمع ما جاء به وأجاب به ، وأبدى بأدائه ما رآه . وشافه بشافته ، وأرواه بزواه ، ولولاه لولاه ، وعرفه بالتعرف إلى آلاله .

ونصبت له خيمة مسردة ، شهادات الإقبال الناصري لما مصلقة ، ووجه الكرامات بها محقة ، وسحب المبرات لها مقدقة . فأقام أياماً بأمان مقيمة ، ومحاسن من أحسان الشم السلطانية مشيمة . فلما استقام أمره استقل ، واستتر له بارق البر من سماء السماح واستهل . ومارام حتى نال مارام ، ووثق لإحكام المواثيق الأحكام .

ووصل في تلك المدة أيضاً ( الصلاح فتتخ أنه ) وهو أتابك قطب الدين سكرمان بن محمد بن قرا أرسلان (١) ، وأقيا موافياً بإحسان الخطبة وخطبة

(١) قطب الدين سكرمان : لو سئلنا بن محمد بن قرا أرسلان بن طرد بن أوق شاسخ آمد وحصن كيفا ، خلف أباه طرد وغيرهما سنة ٥٨١ هـ ، مات سنة ٥٩٧ هـ . بسبب سقوطه من سلج جوست له مجنون كيفا ( أبو الفدا ج ٣ ص ٢٩٠ و ٢٩١ هـ . الخطبة المسيية ٦٢٢ هـ ) .

الإحسان . راعياً في تنعيم الوجلة ، ونعيم الصلة : آنحاً لصاحبه ملك ديار بكر عهداً بحكما ، وعقداً من الميثاق مزمياً . وقد أحضر قضاء بلاده شهوداً ، واقتضى لصاحبهم بحضورهم جهوداً .

وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل ، وميت بكثرة الشواغف والوسائل . وكان خافياً على أئمة قلاها من خروج السلطان ، ووجهها لأية (نور الدين بن قرا أرسلان (١) . فاضيق من لوم زجاجها بالحق بعد وفاة والده ، ورأى الأمن عليها وعلى جميع بلاده من أكبر مقاصده . ورغب في الصلح والمطاهرة وأن يفتح بها باب الزاوية المواتية .

فأراه الملك العادل إلى نيل هذه الزاوية ، وثبت بهد الزاوية حكم المازجة . فم أمته ، وعم بمنته ، وزاد قربه ، وزال رعبه .

وجلس السلطان ، وحضر عنده الأمائل والأعيان . ووكائي وكماني وكيل أخيه الغائب ، في إنشاء المجلس وكيل الزوج الراغب . فلما تم العقد بأركانته ؛ اعتضد ملك ديار بكر بمكانه . وسار صاحبه بالسار مصحوباً وعاد ذيله بالبخار مسحوباً ، وقيل له وقد وجدت الحزن فلاحن ، واشتد ركنك فإلى سواء لأنركن . وما من كبير أو أمير إلا وقد وصل منه أكبر أمراته ، ليتنظم بمهد السلطان في زمرة أوليائه .

---

(١) نور الدين ابن قرا أرسلان : هو محمد بن قرا أرسلان صاحب جرجان . وكان قد سلم أند قبل ذلك من صلاح الدين الأيوبي . وتوفي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) . (٢) ط . - جار الكتب .

## ذكر رحيل السلطان صوب دمشق

وأقمنا على كوكب إلى آخر صفر ، ننتظر منها بمن كسر الظفر . ثم رأينا أنه يطول حصرها ، ولا يفوت أمرها . وأن الفتح يطيء . وأن كان السهم لا يخطيء : فأمر الأمراء الموكلين بها وبغيرها من الحصون ؛ بالقيام عليها واجتئال سرها المصون .

ورحل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمة ، ظاهر الغزيرة . سامى اللواء ، هامى الأتواء ، نامى الأتوار فى مطالع المضاء . ودخل إليها يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول ؛ بالصدر الأرحب والباع الأطول . وتلقاه أهل البلد بوجوه لإقباله متهلة ، وألسنة بالدعاء له مبتهلة ، وعيون لأنواره مجتلية ، وقلوب بولائه ممتلية ، وأسماع لأمره مستمعة ، وأيد إلى الله فى نصره مرتفعة ، وصدور بأيامه منشرحة ، وآمال فى انعامه منفسحة ، ونفوس على طاعة الله فى طاعته مجبولة ، وأعمال فى رضا الله لمراضيه مبرورة مقبولة . ودخل المدينة ، وأدخل إليها السكينة . فوجدت الروح بسلطانها ، وعادت الروح إلى جثمانها وقرت به عيون أعيانها ، وأقرت له بحسنها وإحسانها .

وابتدا بالجلوس فى دار العدل ، وبمحضرة القضاة والعلماء من أهل الفضل . واسترفع قصص المتظلمين ، واستمع (إلى) غصص المتألمين . وكشف الظلامات المظلمة ، وفصل الحكومات (١) المستحكمة . وقرأ كل قصة ، وقرأها بكل حصه (٢) . وحقق الحقوق ، ورتق الفتوق ، وأقام للشرع السوق ، وأتم لرجال الرجاء بعلله الوثوق . وحل بانصافه كل مشكلة ، وطب بانصافه كل مضلة . وأصحت سماء السماح ، وأصحب جماع النجاح . وأعدى المستعدي ، وأروى الصدى ، وحيا الحى وأردى الردى ، ومجد المجدى ، ومهد الحق حتى قيل هو المهدي . فما انقضى ذلك اليوم ؛ وانفض أولئك القوم ؛ إلا عن مظلوم أجزى بالحق ، ومعلوم أجرى من الرزق .

(١) الحكومات : لى الأفضية والأحكام .

(٢) حصه : نصيب والمقصود بكل نصيب من الله والامتنان .



وعالم أعين ، وظلم أهين . وهاد زين ، وعاد شين ، ومغفل سدد ،  
ومنحل عقد . ومعتل شنى ، ومعتز كنى . وماحل جيد ، وآمل زيد ، وركن  
حق شد وشيد ، وخدن باطل أيروأيد . وراج أدنى فوزه ، ولاج  
أسنى عزه .

وجلس يوما آخر للأكابر والأمائل ، والأكارم والأفاضل . فأضاء  
النأدى ، وفاضت الأيادى . وغلق الندى ، وصلق الهدى . وكر الكرم ،  
وفر العدم . وحفل الدر ، ودرّ الحفل ، وشمل النظام وانتظم الشمل ، وصان  
العلماء بالبلد ، وأعان بافضاله أعيان أهل الفضل . وفاز بالحمد وحاز  
الثناء . وأجاز الشعراء ، وأكرم الكرماء ، وروج الرجاء ، وأولى التعماء ،  
ونعم الأولياء . وتقاضاه عزمه بالحركة ، لاستفاضة البركة ، واستفاضة المملكة  
إلى المملكة فلم تستقر به دار ، ولم يتر به قرار ، ولم يثبت فى جنبيه  
غَرار . ولم يبت إلا وبين جنبيه لحب لقاء الملأ أهل النار نار .

وكان (الصنى بن القابض) (١) قد استجد للسلطان على بعض أبراج  
القلعة داراً ، وأذهب فى نضارتها ذهباً ونضاراً (٢) . وهى مطاولة بين  
البروج ، مطلة على المروج . مشرفة على موازاة الشرفين ، كاشفة غطاء النظر عن  
الغوطتين . صحيحة البناء ، فسيحة القناء . بنية البهوشية الزهر ، مجمدة لأهل  
الجد ذكرى اللهو . فرشها بماء الورد ، وفرشها بالورد . ويسط بسطها وعلق  
ستورها ، وأعلى نورها ، وحيز حبورها . وسررورها . وسنى أنواع نمازها  
وأسمى أنوار مشارقتها . وتوصل إلى حضور السلطان بها وجلوسه ، وذهبت  
تياشيز بشره بخطوب الزمان وعجوسه . وأحضره كل مقرظ بقريض  
وكل مؤمل بتصريح وتعريض . وكل ناشد ضالة رجائه بنشيد ، وكل قاصد  
جلالة أرجائه بقصيد . وكل مفرد مغرب ، وكل مطر مطرب .

وظن أن السلطان تروقه تلك الخلية والحالة ، وتلك الجلوة والجلالة .  
وتلك البقعة المؤسسة ، وتلك الرقعة المقلسة . وذلك المشرف العالى ، وذلك

(١) هو صنى النخين بن القابض ، مات فى دمشق سنة ٥٨٧ هـ .

(٢) يقصد بالنضار : الأثل وهو شجر غشبه صلب جيد ، تصنع منه البغدان والقمصاع  
أيضاً لمحدثه .

المشرف الحال . وانظر نظر استحسانه لإحصائه ، وتوقع تمكنه لموقع مكانه . فما أعاده خطأ ، ولا أزاله خطأ . ولا منه بطرف استطراف ، ولا منه حرف استطاف . بل أعرض بنظره عن تلك النظارة ، وأغشى عن تلك الغضارة (١) . وغض عن تلك الغضاضة ، واشتغل عن تلك الرياض بالرياضة .

فالعقل من لا يخذل في دار الدوائر معقلا ، ولا يجد في منازل التوازل منزلا . ولا يركن إلى فناء الفناء ليب ، ولا يسكن في غار الغرور قريب . وكيف يبني العمران والعمر إلى المدم ، والنعم في الدنيا الدنية عين العرم . وقال السعيد من يبني دار الآخرة ، وينجو من أمواج الدنيا الزاخرة . ثم صرف في تلك الأيام (الصبي) عن ذبوانه ، وأبقاه في شغل الخزانة على مكانه . وسمعه يقول في بعض محافله ، وقد أجرى له حديث من يفرح بمنزله ، كان من قلوب الصبي عندي أنه يبني في تلك البنية ، فكل على أنه لم يوافق منه الأمتية . وقال : ما يعمل بالدار من يتوقع النية وما خلقنا إلا للعبادة ، والسعي للسعادة . وما يحطرننا في هذه النار خلود بالخلد ، وما لنا وللعقاصم في البلاء والبلد . وما جئنا لنقيم ، وما نرؤم إلا أن لا نريم ، وما نحركنا إلا للسكون ، وما أسهلنا إلا للمود إلى الخزون . فما يبني عمر الراحة إلا من مقرس التعب ، وما يبني لمصيب المدم إلا من مقرم التعب . فأين الأين ، الذي تقر به العين ، وما يحصل السكون في السكون . ولا يكمل الوطن في الوطن . لاسمها والدين يطالبنا بديته ، والكفر يستعزب منا حين خيثة . والبلاد سائبة ، والبلاد هائبة . فلا تفوح الفتوح إلا جهونا ، ولا ينزل النصر إلا بركوبنا ، وغدا للحزم متحما ، والغرم مصمما .

ووصل الخبر بوصول صكر الشرق بالغرب الماضي ، والحد القاصي . والجمع الواقف الواقف ، والبحر اللامع الواقف . وأن ( عماد الدين زكي ابن

مودود بن زكنى (١) : قدام قبل بقملة ، ووضعت برميله ، وعلم بجده ، وأقدم بجده . وأنه حل بجلب ثم سار عنها مسارحاً ، وجاء معه الجيش النجدة والجليلة جملها . فازحف الحرم السلطاني حين وصوله ، وجل بالمشة للرحيل عقد جلولة . وكان القاضي الأجل القاضي ذو الخلعة والفضل ، والنباهة والنبيل ، متأخراً في بيته بدسئس الشكاة أقام في غيرها ، واستقام مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال أثرها . والسلطان بنجح سعيه متبرك ، ويصيح رأيه متمسك ، وبطولة علم ، وبقولة عامل ، وبعبارة قاتل ، ولاشارته قاتل . فأراد السلطان أن يقدم بلقائه الاجتماع ، ويرأيه الاجتماع . ويستنير بنوره ، ويستشيره في أموره . ويقاضيه في تعويضاته ، ويقبله في تقليداته ، ويتركه بيمانه ويقيم بركاته . فإنه طالما أجل سعي السعادة من مطالعة ، وانجنى جنى الإرادة من صناعته . وافتتح الأقاليم بمفتح أقالمه ، وأحكم المملكة بثبوت أحكامه . ووافاه بأمداد السؤدد الواقى سواد ملناده ، وجاءه بالوجهة في دينه ودينه لاسعافه واسعاده .

وكان قد خرج إلى جوسق (٢) بالشرف الغربي الأعلى ، ليخرج هناك للعبادة ويتخلى . فأصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الأول على الرحيل ، وقصده لإبرام ما وجده في مملكته من الأمر النسيج (٣) . وأقام عنده في الجوسق إلى الظهر ، مستظراً به على النهر حتى كشف مهماته ، ورشف شفاه مشافهاته . والتجى معه في الآراء والآراب . وانتجع لريه من رأيه صوب الصواب ، وارتجع وديقه سر الغيب بمن عنده علم من الكتاب . ثم استودعه الله وودعه ، ودعاه الأجل القاضي وشيخه .

(١) عبد الله بن زكنى : هو زكنى بن مودود بن زكنى بن أسقر ، ابن أخى نور الدين محمود ، صاحب سنجار ، كان عقلاً جواداً ، وكان صلاح الدين يحبه ويعتزمه مثل احترامه لنور الدين ويقدم له الأموال والمدايا ، ولم يزل مع صلاح الدين حتى وفاته ، توفي بسنجار سنة ٥٩٤ هـ ، ولا أحضر أوصى إلى أكبر أولاده قطب الدين محمد الذى لقبه بالملك المنصور (النجم الزاهرة ج ٩ : ١٢٤ ط ١ دار الكتب) .

(٢) قصر

(٣) أى الغميص ، أو المزدول ، أى المصيب أو المتأخر .

وبات تلك القيلة مخيماً بالعرادة (١) . محملاً بالسعادة ، راجح السيادة ،  
 ناجح الإرادة . ثم سلك في جبل يَبُوس (٢) إلى عين الجر (٣) إلى النلمية  
 على البقاع . وهو مطيع أمر الخالق ومتبعه والخلق تابع أمره المطاع . وأق  
 بعلبك المحروسة ، وخيم بـرج علوسة . وأقام حتى أمر أمرها ، وأدر درها  
 وقسم لها من عدله ، وعدل بها من قسمه ، وحكم فيها بفضله ، وأفضل  
 عليها بحكمه . وكشف الظلم والمظالم ، وصرف المكاره وصرف المكارم ،  
 ورفع من المعالي المعالم ، وأجرى رسوم الأجر والمراسم .

وأمر الرعاة برعاية أمر الرعية ، وحكم على القضاة بالحكم في كل قضية  
 بالجهة الشرعية المرعية . ثم رحل على سمت اللبوة ، معصوم النوبة من النبوة .  
 مصون الكتية من الكبة والكبوة . ثم أوجه إلى الزراعة وزرع الظفر قد  
 توجه ، وشرع النصر الصافي الشرعة من الكلر قد نزه ، وقد كحل عثير  
 العسكر طرف الجوا الأمره . وقد آن لعين الشمس الراقلة من الهبة أن تعاود  
 الهبة وتتنه ، وزرع بالزراعة من السمر المركوزة والبيض المهزوزة نبات  
 الحظ وقناد الخروط ، وضاق ذلك القضاء الواسع بحط رحال الرهط .

---

(١) العرادة : قرية قرب نصيبين (القاموس المحيط) .

(٢) جبل يَبُوس : بالشام يوازي التيم من دمشق (ياقوت ج ٨ ط . ب) .

(٣) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق (ياقوت ج ١٤ : ١٧٧

ط . ب) .

## ذكر وصول عماد الدين صاحب منجار (١) والاجتماع به

ووصل الخبر بأن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامعاً من الأندلس والأقصى ، ونزل طائفاً على العاصي (٢) . وخيم على قدس (٣) ، وخيمه قد تخلص ، والدين بكنوه تأنس ، والكفر بقدمه تمكس . وأنه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه على قهر الشرك ونصر الإيمان . فركبنا وابن ذكاء (٤) في إسماره ، والصبح قد زحف على الليل بإيات أنواره والقمر قد فجر أنهار نهاره . وصرنا بصلق النزاع وقصد الاجتماع : فلقيناه قد ركب مستقبلاً ، وقرب مقبلاً .

ولما رآه السلطان حياه ، ولقيه بالكرامة وأكرم لقاءه . ونزلاً فتماعاً ، ثم ركباً وتوافقاً وتساقوا . وخيمنا بقرب خيمه ، وجشنا عند مجشيه ، وحططنا هناك رحالتنا ، وخططنا برجاله رجالنا . وتساعد الجندان ، وسعد الجندان ، وجد السعدان . وانتظم الجمعان ، واجتمع النظمان . واتحدت الكلم ، واتأدت المعجم .

وسأل السلطان أن يوازره ويؤوره ، ويحضره بحضوره جواره ، فساق معه إلى مضربه (٥) . وضافه في موكبه . وانتقل إلى قربه ، وتقرب إلى قلبه (٦) وارفع في صدره ، ورفع من قدره . وصار العسكران غنططين ، وجلسا

(١) منجار : بلدة في لطف جبل عال من أمال الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ( ياقوت ج ١١ : ٢٦٢ - ٢٦٣ ط . ب ) ..

(٢) العاصي : نهر يخرج من بحيرة قدس ويصب في ( البحر الأبيض المتوسط ) قرب أنطاكية وهي عتقا الأرند ويذكر ياقوت أن تسميته بالعاصي ترجع إلى أن أكثر الأنهار تنحدر نحو الجنوب بينما تنحدر نحو الشمال ( ياقوت ج ٦ : ٩٦ ط . ب ) .

(٣) قدس : قرية قرب حصص ( القاموس المحيط ) .

(٤) أي الصبح .

(٥) ساقطة في ب ، مخط في ل وفي أ ( ١١٣ ش ) .

(٦) ما بين القوسين ساقطة في ب مثبت في ل وفي أ ( ١١٣ ش ) .

«نيسطين: ووقف الأمراء والعظماء سماطين (١) كالسمطين (٢). وقرأ القراء ، وأورد الشعراء ، وتجاذب بينهم أطراف الطرف والآداب الفضلاء والعلماء . وكان مع عناد الدين شاعره (السنجاري ابن الهائم) (٣) ، ومن عادته لم يرأه الخائف في مثل تلك اللوامة ، فأنشد ملحاً ، ونشد مشحاً ، ثم بسط السماط وسط (٤) البساط . ومدت الموائد ، وصادت العوائد . ونضد الخوان وكونت الألوان ، ولونت الأكوان ، وصفت الخفان . وأحضر الظهانة من كل حاجة وباجة (٥) ، ومخروف وعطجة . ونظر حانت (٦) وسامر (٧) وحانص ، وتنه وقابض . ومطبوخ ومشوى ، ومضرب ومقل - ما طاب من طبق ملقة وحضه (٨) ، وظالت الأهل في بسطه وقبضه .

فلما رفع من نادية القرى ، وفرغ بأباده الدرا (٩) ، فقم ما أمله للهدايا ، والصحف السنابا من الجياد المقرية ، والقياب المدهية ، والعدد المعجبة ، والأسلحة للبرية (١٠) . وكل ما يروق ويروج ، ويضيء ويضوح . ثم انقض النادى عن ندى منقض ، وسدى ليكر الشكر مقتضى .

(١) الساط : ما يسط ليوضع عليه الطعام

(٢) السط : هو الخط مادام الخرز أو القز متطفاً فيه .

(٣) ابن الهائم السنجاري : هو أحمد بن يحيى بن موسى ، السنجاري ، جاه الدين ، فقيه فلبس عليه الشعر ، من أهل سنجار ، ولد بها سنة ٥٢٣ هـ كما مات فيها سنة ٦٢٢ هـ ، له ديوان شعر في مجلد كبير ، وفي شعره رقة (معجم الأدباء ج ١٠ تحقيق د . غريد وقاصي) .

(٤) ملق .

(٥) الباجة : النوع أو الشكل .

(٦) سمر : شعير الجذابة .

(٧) السامر : من الشراب أو الطعام هو ما كان فيه الخمر وجدة أي جموجة .

(٨) الحانص : البيرة مخلوط .

(٩) الدرا : جمع ذرة وهو الطور ، المكان المرتفع ، أهل كل شيء المقصود كل شيء .

سلم .

(١٠) الحادة القلعة .

وعين السلطان يوما لحضور عماد الدين عليه وآله يستضيف فيه  
خواجه وأمرأته وجنده . فويجع مرأته . ووشع (١) غلرقه (٢) . وضرب  
بيت الخشب له لحسب يده . وأسميت (الحسني) بحسن سمته وسمته .  
واجتفل بحمله . وأجل لأجله . وأرجت بأرجاء النادي بالند (٣) . أوراق  
مده التواظر التواضر في ذلك الرواق الممتد . وبسط جل البسط ماحضر من  
الياسمين والورد . وفاج النشر . ولأح البشر . وغرش الأرى . وشرف الأرى .  
ورفع الحجاب . وأشهرت القباب . وتوجهت الأسباب . وتزهت  
الأطاب . وتضهرت بواقي التواضع . وتوجهت بملعج المياح  
ووضعت المطارح والمساند . والأسرة والمساند .

وجاء عماد الدين في خواجه وأمرأته وصحبه . فخلقاه السلطان برحبه .  
وقرب له السرير وسرقره . وأجلسه إلى جنبه . وجياه بحبه . وأقبل عليه  
بوجهه وقلبه . وجلس من جرى بالخلوص رسمه . وسما في الرموس لسمه .  
ووقف الأمراء والحجاب . والعظماء والأصحاب . على مراتبهم في مواضعهم  
ودب للاعزاز الاهزاز في معاطفهم .

وكان النادي مهيا . والندي مجيا . والرا (١) رحيما . والتهري  
قريبا . والظل ممدودا . والفضل مورودا . والحفل حافلا . والشمل شاملا .  
والسائط مقبلا . والنشاط مقبلا . والمروى حالبا . والمروى عاليا . والمنسوع  
مطربا . والمجموع مقربا . والمنظر والمخير جليلا جميلا . والمطلع والمطلب  
منيرا منيلا . والمكان جليا . والزمان جليا . والربيع في انتهائه . والصنم  
في اشتهاه . والمصيف في انتهائه . والمصيف في انتهائه . والنجم في نصرته  
والكرم في نصرته . والأدب في أريه . والطروب في طربه . والضرب  
من لخلق الحسن في ضربه .

(١) فرق وزين ونظم .

(٢) التنازع : وأحدا فرق . وهي القسمة الصغيرة بالذكاء عليها .

(٣) الند : جود بغير شيء .

(٤) الرا : فناء النار . وأرجاءه والقصود فناء النادي .

وكانت أيام الشمس وقد وصلت من دمشق أحمالها، وحلت في تلك الحالة حالها ، وأقدم بالجلد قدمها ، وطلعت في أبراج الأطباق نجومها . كأنها كرات من التبر مصبوغة ، أو بالورس (١) مصبوغة . صفر كأنها ثمار الرايات الناصرية حلا فوقاً ، وأحل شوقاً ، ولو نظم جهره لكان طوقاً . وهو أحل من السكر ، وأعبق من العبر (٢) ، وأحسن هيئة من النارنج الأحمر ، والليمون المركب الملور ، وقد زفت عروسه في الثوب المعصر ، والخمار المزخفر . كأنما خرط من الصنل ، وخلط بالمتدل . وجمد من الثلج والعسل ، فهو الذي يضرب بصره مثل الثمل ، ويقضب من قضبه لقب القبل . ونظر منه ما نصر ، وما حظر ما حضر . ورنى هناك لقطوفه قطاف ، ولطوافه (٣) طواف . ولقطوده مصارف ، ولنقوده صيارف . فكأنها وجوه العشاق اكتست اصفراراً ، أو جمرات تشتعل ناراً وتبدي شراراً ، وقد أعاد بلينها صواغ القلدة الإلمية نضاراً . بل هي أحداق الخدائق ، وقلوب البوارق . ووجنات الخنات صبغها بلونه البرق ، وصفرها من خوفه الرعد ، ودورها بوقله الودق . لابل اصفرت من مهابة الخنات الجنة (٤) ، وانتظمت من جواهر الحيا للحياة ، واضطربت لهاها شوقاً إلى فتح اللهاة .

ثم صرفت الأطباق ، ونظفت الآفاق . وبسط المكان ، وسط الخوان . ونهت أجنان الخفان للقدور الرقود ، وشبهت المراحل لقلبانها بصلور خوى الحقود . وتريد مقال المقال الناشئة ، وتزينت مقار المقارى بالباشاة . ومادت أعطاف الموائد بالألطف ، وتهادت أكتاف السراق بموشى الأنواف (٥) . وهناك السموط والسلوخ ، والمخطوب المطبوخ . والمقلو المقلوب ، والمحبو المحبوب . والأغلبية واللعمان ، والأشوية والحملان ،

(١) الورس : نبات كالسم يصنع به .

(٢) العبر : التبرجس أو الياسين .

(٣) الطوافير : الخيل الوثابة .

(٤) الجنة : ما يحيط من الأشجار . أجنة الأرض ، كثر جناتها وغيرها .

(٥) الأنواف : جمع نواف وهو الثوب المرتق ، أو الثوب فيه خطوط يمشى على طول .



والألبان والألوان . والجواين والروابي ، والصواني والأواني . وقد صفت  
البرارد ، وصفت الموارد . وتوقت (١) الطهارة ، وتوقت المشتهاة . وحلت  
الأطعمة ، وعلت الأسمنة . وجاش جاش الجاشنكير الرابط ، وعاش  
إخوان الخوانسلار (٢) القنايط . وتناولوا وتناولوا التوالات (٣) ،  
والحوالات (٤) ، والحلاوات والحالات . وكان يوما مشهودا ، وحوضا  
مورودا ، وروضا معهودا ، ورواقا ممدودا ، ورواما مودودا ، وجمعا  
مسودا ، وصنعا محمودا .

ولما فرغت الموائد ، وبلغت المقاصد أحضر السلطان لعماد الدين هداياه  
وحياه بأحسن من تحايه ، من خيل صفون ، وحصن كحصون . وعراب  
جباد من طوائف الطرقييات (٥) ، وسوابق سوابح من التناق الأعوجيات  
والمناكي المنسوبات . من كل مطهم مطهر الخيم (٦) وكرم من نسل  
الكريم ، وصافن صافن الأديم . ومعرب مقرب ، ومجنب مكرب (٧) ،  
وسكب (٨) مشلب ، وفيض سلب ، وبجر جموم (٩) وطرف لموم (١٠)

(١) توقت : أجادت في مطها ، أو تجودت .

(٢) الخوانسلار : كلمة فارسية الأصل ، مركبة من كلمتين : خوان بمعنى مائدة وسلاط  
بمعنى رئيس أو أمير أو قائد ( الألفاظ الفارسية المعربة لا في غير ط . ب ١٩٠٨ م ) .  
وجله في معجم الألفاظ الفارسية الدكتور محمد موسى خنكاري : ١٢٩ أن خاتسلار هي  
بمعنى رئيس الطهارة في القصر الملكي ، أو رئيس القديران .

(٣) التوالات : واحدا نوله يسكون قرار وضع القون وهي ما يملكه الإنسان .

(٤) الحوالات : نوع من القرائب المؤقتة كانت تفرسه الحكومة في مناسبات مختلفة  
ومن أشهرها حوالة الأسواق وحوالة الأجناد ( الروسين لأبي شامخ ١ تحقيق د . محمد حلي

أسد و ( Dary. Supp. Diet. Arabe )

(٥) الطرقييات : الكرم القسب من الخيل .

(٦) الخيم : الخليفة والنجية .

(٧) مكرب : الصلب ، المتلاء صبا .

(٨) سكب : شديد الجري .

(٩) جموم : يجيع ماله بكثرة .

(١٠) الهموم : الجواد من الخيل ، أو القيس .

وسر حوت (١) شيطم (٢) ويغيبوب (٣) ضلعم (٤) وأجرده قوود . وشماقر  
 قبطوود (٥) . وأقب (٦) تهد ، وجواد وزد . ويصح فقل (٦) طمر (٧) . وأشق (٨)  
 أمق (٩) غمز (١٠) . ويفرغ . طموح . وعقيق غير جموح . وهيكمل عال  
 وعنجوج (١١) ذبال . فاختار منها كل طرف . قد حظ من قلوه إذا قوم  
 بألف . من كل أشهب قرطاسي ، وأشعل سوحى ، وأعز صناني . وأدهم  
 غيبى . وأحم أسوى . وأشقر ضلمى . وأبرش مدلر ، وكيت مضمر .  
 وأخضر وأدبس (١٢) ، وسمند أغبس (١٣) .

ثم أحضر له ما يناسبها من التحف اللامعة ، والطرف الرائقة ، والعدد  
 الزائفة ، والأسلحة المائقة . والسابريات السابغات ، والدروع الزرديات ،  
 والزودى والزائات . والخوف والترائك ، والبواتر البواتك . والدلائض  
 الموضوعة ، والتصال المستورة .

(١) خر حوت : طويل متلشب الأضواء .

(٢) الشيطم : الطويل الجسم القنى من الإبل والحمل .

(٣) يغبوب : السريع للطول حق الحمل .

(٤) ضلعم : ضامن قهقود ، ينسار ، مائل لحم . والقهقود : من الدواب ما يمشى أمامها

أحد أجليه فيأخذه .

(٥) أقب : تهب تهب : الأقب ابن الخيل ، ينسار . الخيل الثقيل : التهب : الذى يبرز ويصرع

إلى قتال العدو .

(٦) ذبال : ذى الذنب الطويل من الخيل .

(٧) أى القرس الجواد الطويل القوام .

(٨) الأشق : من الخيل هو الذى يشق فى جفوه عيناً وشمالاً .

(٩) الأمق : البهية الأطراف .

(١٠) القمر : من الخيل الجواد .

(١١) عنجوج : أى إليه من الخيل والإبل ، والبال : الخيل الليل .

(١٢) أدبس : يقال أدبست الأرض أى باظهرت الثبات وفلكه عندما يرى أول سواد

فيها والمقصود ما كان لونه كالون سواد الأرض أول فيها .

(١٣) السند : هو طائر يكثر وجوده فى الهند . والأغبس : ما كان لونه لون الرماد

والمقصود كل ما لونه لون طائر السند .

ومن المستعجلات المصرية الدخيلة والحزيرية والمخيم والديق (١) والمصنعت  
والمرق والعراف . ومن نسيج تونه وتيتيس (٢) ، كل ثمين ونقيس .  
وما شاكله من أنواع الطيب ، على النمط والترتيب . ثم انتصرت وعترت  
خفله متصروج ، وعترت جذه متزوج . وشغلو شكره وعطفت فخره مزرم .  
مترنغ ، وأمره متحور مترجع ، ووده مترج مترجع . ودعاؤه صالح ،  
وثناؤه صادق . ولبانه داح ، وجنانه داح ، وعهده راح ، ومنعته ساح .  
وتصاحب هو والسلطان في الركوب والجلوس ، والتناجي بما في  
الشموس والتدبير فيما يقدم ويؤخر ، ويقرب ويقر ، ويورد ويضطر . وتكررت  
المشاورة في الموضع الذي ينتأ بقصد ، ويؤم الحرم فيها الجهاد حق جهده .  
واضفوا على عركا (٣) وعركها وعترها ، والزلزل بقصرها . نواتها إذا  
ملكك ملكك طرابلس . وأمسز عن صبح فتحها القدس ، وأقام السكر  
أياما على (قدس) ، وتقيس النصر قد تأسن ، ولستاء الظفر قد توجس .  
وآلى العرب ، وواقى الأرب . واجمعت الجيوش وجاشت الجموع ، وأناليل  
الحرم الملتج من صبح النجع الطلوع ، ونبتت الفيوض من النعم وفاض  
النبوع ، وأنبعت غار الميار وطابت النتوع . ثم رخلنا أول شهر ربيع الآخر  
إلى البقعة تحت حصن الأكرد (٤) ، وخيمنا على الزيا والزهارة ، وصوبنا  
إلى الجهاد هواضي الجياد ، وأدنيا قطاف أطفاف الله لاجتماع الأجناد .  
وكانت الأعشاب بالشعاب واصية ، والشوائب من الشارب قاصية ،  
والنخب القرب في طاعة الله عاصية . وطار الرعي ، وتار العجم والعربية ،  
وخاف الكفر ، وطاف الدهر ، وقال قمر الشوك قمر ولا تسفر . وشغوروا ،  
وتشاوروا ، وحاروا وتحاوروا . كأنهم في قبور حصونهم أموات ،

(١) الديق : اثواب تنسب إلى مدينة ديق التي كانت بمصر .

(٢) تونه : جزيرة قرب تيس وديوط يضرب القل بحسن سمواتها لها وطورها

( ياقوت ج ٥ : ٤٤٩ : ٤٤٩ ط ١٠ )

(٣) عركا : أبركة ، بلدة شرق طرابلس ، بين أبركة الغربية والشرقية وهي بأمر علي دمشق

( ياقوت ج ١٢ : ١٠٩ ط ١٠ )

(٤) حصن الأكرد : حصن يقع على جبل الجليل المطل على جبل لبنان ، ويطلق ملا

الجبل حصن من جهة الغرب ( ياقوت ج ٧ : ٢٩٤ ط ١٠ )

لا ترتفع لهم من الوهل والوله أصوات . وأجمعنا على دخول بلد الساحل  
على التجريد للتجريب ، وجوس خلال البعيد والقريب . ثم تجرد السكر  
عن الأتقال ، وتجراً على أخذ أهبة القتال .

وسار السلطان ومعه عماد الدين زنكى وصيفه بصقاله يضحك وبدم  
الكفر ييكي . ( ومظفر الدين كوكبوري ) وهو الذى حين يوارى صارمه  
المشهور فى نيجع العدا لزند الظفر يورى . وصحبه من فرسان العرب كل  
فارس معرب ، ومن شجعان الأكراد كل فاتك محرب . ومن فتاك الأتراك  
كل قسور قاسر ، ومن صيد الصناديد كل كمروى كاسر . وكل كمي  
كميش (١) ، واكديش على اكديش (٢) . وقارح على قارح ، وخضم  
على سابح ، وجرى جار جارح . وبهمة (٣) وبطل ، وجبل على جبل ،  
وفحل على فحل ، وذمر نكل (٤) . وورد على ورد ، ومرد على جرد .  
وحلس (٥) وحلبس (٦) ، وباشر بالموت معبس . وأهيس (٧) أليس ، وأحمى  
أحمس . وغشمشم (٨) همام ، وأيهم (٩) مقدم . وباسل ذى باس ، وعاسل  
عاس . وربال على ربال (١٠) ، ومشتمل على شمال . وبحر على بحر ،  
وصقر على صقر .

وركبوا سلاهمهم (١١) ، وجنبوا جنائبهم . وجروا على الساحل سيولا ،

---

( ١ ) الكى : الشجاع أولابس السلاح - والكيش : السريع العزوم .

( ٢ ) الأكديش : الحصان الخليل أوغير الأصيل أو الصغير غير الجيد ، وأحياناً

يطلق اللفظ على الخيل الصغيرة الجيدة

( ٣ ) أى الشجاع الذى يستهم مأناه على أقرانه .

( ٤ ) اللمر : الشجاع . النكل : القوى الذى يظلم قومه .

( ٥ ) الحلس : الشجاع الحريص .

( ٦ ) الحلبس : الشجاع .

( ٧ ) الأهيس : الشجاع . والأليس : هو الشجاع الذى لا يبال هولاً ولا يردده شئ .

( ٨ ) غشمشم : من يركب رأسه فلا يخفيه عن مراده شئ .

( ٩ ) الأيهم : الرجل الجريئ الذى لا يستطاع دفعه .

( ١٠ ) الأسد .

( ١١ ) السلاهب : يخع سلهب وهو الطويل من الخيل .

وجروا باللوايل ذيو لا . وطار ابليس طرابلس بخوف الخوف ، ودام الجوى  
 في رعب أهلها بدم الجوف . وما سار إلا من خف في نهفته ، ونهض بفتحته .  
 وأحس حصن الأكراد بالأكندار ، وصفت على صافيتها (١) بوارق البوار .  
 وقطع عرق (عرقاً) وعقرت ، وتعمرت (العريضة) (٢) وتعزقت ، ومزعت  
 تلك الأعمال ومزقت ، وأرهقت وأزهقت . ونفرت أنفارها ، وبقرت  
 أبقارها ، وملأت بالدوائر ديارها . وسبقت مواشيها ، وحشيت بالنيران  
 أو ساطها وحواشيها .

ونزل السلطان على حصن يحمور (٣) فما قلروا يحمونه ، وابتذل  
 مصونه ، واستخرج مكنونه . وفتح وفتحته (٤) ، وساه بالدمار وصبحه .  
 وأقام في تلك الديار عشرة أيام يمحوسها ويلبوسها ، وقد حيزت له نفائسها  
 ونفوسها . ثم رحل بفتحته ، وقفل إلى تخيمه ، وعاد السكر مسروراً منصوراً  
 محبوراً موفوراً ، قد اطلع من تلك البلاد على العورات ، واضطلع بالفتائم  
 من تلك الغارات ، ونكأ منها في الأعمار والعمارات .

وانقضى شهر ربيع الآخر ، وذلك المرج يموج بالساكر موج البحر  
 الزاخر . وقد وصل قاضي جبله (٥) بحث على قصدها ، ويحس على إنجاز  
 وعدّها ، ويحرض على إعذاب وردّها ، ويحقق أن الظفر في هذه السنة يبتدى  
 من عندها .

ويقول وان الاشتغال بطرابلس مع احترازها واحتراسها ؛ وكثرة ناسها ؛  
 وتلرعها بلباس باسها ؛ واستعدادها للحصار ، وتجنّبها عن الإصحار ؛  
 يذهب الزمان ، ويفوت الإمكان . وهذه جيلة وماوراءها من المعامل ،

(١) صافيتا : قلعة تقع إلى الشمال من عرقة ، من أمال حلب قرب اللاذقية .

The Crusaders in the east p. 192

(٢) العريضة : بلد تتناغم البهاء وكان حصناً قريباً من الحصون التي دخلت في نطاق نفوذ  
 إمارة طرابلس اللاتينية ( ياقوت ج ١٣ : ١١٥ ط . ب ) .

(٣) حصن يحمور : أرجح إلى خريطة القسم الشمال من الشام . وهو حصن في يحمور  
 بلد شمال العريضة .

(٤) منعه : أي انتزعه .

(٥) جيلة : قلعة بساحل الشام قرب اللاذقية ، كانت أيام ياقوت من أمال حلب ( ياقوت

ج ٥ : ١٠٥ ط . ب ) .

قبيصة الجاهل (١) ، وفرصة المتناول ، ولحظة (٢) للآكل ، وتلغية (٣) للناهل وأمنية للعامل . فما دونها مانع ، ولا عنها مدافع . وهي على غرتها وضروها وغفلتها وفئورها ، لم يفرح عشرة أمنها دعر ، ولم يفتأ سورة تقعها ضر ، ولم يفرح باب يسرها عسر . فإن ملكنا سيلاها ، ملكنا ساسيلها ، وإن جزنا مباحها ، جزنا راحتها . وإن استعدنا ملكها ملكنا قيادها ، وإن اعتدنا حواءها جويتنا بجلادها . وإن افتتحنا بها فتحناها . والمسلمون بمجيلة مجبولون على التسليم مؤملون أن يتبدل شقاؤهم منكم بالنعم ، فمرغناه بصحة نصحه ، ورفعناه بحجة نجيحه .

وأصغى السلطان إلى قوله ، وأصغى له ورد بطوله ، وأقبل عليه وقبلة ، وأجزل له العطاء وأكمله . وكان قد وصل له مقدمو نجيل بهرا (٤) ، ففرر لهم زواتيهم وأجرى . وخلع عليهم وشرفهم ، وأسعدهم بالمواهب وأسعدهم . فنادبوا إلى ألباغهم ، وكنبوا إلى ألباغهم . وأجمع السلطان على دخول الساحل بلك السامر والحقائل .

ورحل يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، حافل الجفلي سابي القسطل . ماضي المنصل (٥) . فغيرنا في أجام مؤشبة (٦) ، وآكام معشبة . وحزون (٧) وسهول ، وشعاب وتلول . ومعلم ومجاهل ، ورواب وهواجل (٨) . ومقايض وغياض ، وإرتفاع وانخفاض . حتى خرجنا إلى ساحة الساحل ، ونزلنا بها ومبارك مباركنا مواحي رسوم تلك التواحي المواجل (٩) . ومعنا أجمال وأوساق

(١) الجاهل : البهائم لصفيه الجلالة .

(٢) لحظة : ما يطول به قبل العطاء .

(٣) تلغية : جوع .

(٤) جيل بهرا : أودية ، وديرة بجران ، والديرة أقصى ما يلي قرقرى لبني عيسى بن زيد بناد باليمامة (ياقوت ج ٤ : ١٠٩ ط ٢) .

(٥) أمي السيف .

(٦) أمي غطلة .

(٧) حزون : جمع حزن يسكون الزاى وهو ما غلط من الأرض ، وقل ما يكون إلا ارتفاعا .

(٨) هواجل : جمع هواجل وهي الخفاضة البعيدة التي ليست بها علامات .

(٩) المواجل : جمع موجل هو موضع الوحل .

وأثقال وأسواق . وأزواد وأمداد ، وعدد وأعداد . والخيل عرمرم ، والسيل عرم .  
والمجر لجب ، والخيل أشب (١) ، والأسد في عريس من الأميل العراض ،  
والقوارس الصلاد في غدران من السرايع الدلائل ، وقد نشأ العجاج  
كمعجاج النشاص (٢) .

فأثقلت بحولنا معاهد المعائل ، واعتلت باشتيلاء فحولنا عقائد العقائل .  
وحلت لخطبة سيوفنا كرائم الخوالى (٣) والعواطل (٤) . ونحن في استباحة واستياء  
واضطلام واضطلاء ، وارتياذ وارتقاء ، وقتك بأعداء ، وصقك للقاء .  
وبتك لرقاب ذوى الفجوز ، وهتك لحجاب ذوات الخيل .  
نزال من العدو كل نيل ، وندير عليه في داره دائرة كل ويل . فما تقطع  
الأوديا بغيظ الكفار ، ولا تحضر إلا ناديا يزيدهم به التمار .

وسرنا الساحل الساحل ، في ثلاث مراحل . حتى وصلنا إلى أنطوطون (٥)  
يوم الأحد سادس الشهر . فأحلقنا بها من البحر إلى البحر ، ووجدت إليها النابن ،  
وحفز عليها الباس ، وغاب رجاء رجالها وخب مخوها اليابن . وقاتلناها  
ساعة ، فلم يجد أهلها للدفاع استطاعة . ودخلت من جوانبها ،  
وتخللت من مداخلها ، وأصابها نوائها ، ونابها مصائبها ، وفل غربها  
وجب غاربها . وقتل من لحق من رجالها ، ونهب ما وجد من أموالها ، وبقيت  
ما صودف من غلالها ، وسوى من أخذ من نساءها وأطفالها .  
واعترض من هنا بيرجين اختصمت بالامتناع ، وهما هناك من أكنكم  
القلاع . وفي أحدهما الداوية بجمرة الكفر ، وفيهم مقدمة لهم الذي أطلق  
من الأسر .

(١) الخيل : الخيل الكثير الملقب : أشب : نام مرتفع .

(٢) عجاج : صوت . النشاص : السحاب المتراكم بقعة فوق بقعة .

(٣) الخوالى : ذوات الخيل ، شقير الإحبال ، البعراء بتحويل الألف .

(٤) العواطل : جمع عطل وعاطل وعاطلة : وهي المرأة لا يمكن عليها خلق .

(٥) أنطوطون : بلد من مراحل الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساجية لأول

أعمال دمشق . كانت حصنة متينة تحصنها على الساعات لها ، ثم طوى منارة المدينة وحسنتها فقاوت

وفى البرج الآخر المنهزمون التاجون ، والفارون إليه اللاجون . فنزل على هذا البرج مظفر الدين بن زين الدين ، فأبدى لمن استتر فيه وجه التأمين ، وحركهم إلى الخروج بالتسكين . ووثقوا بأمانه وأمنوا بميثاقه ، ومكن كل منهم لسلامته من تسلم مكانه .

فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هلمه وهدمه ، وحل من إحكامه ما الكفر شده . وركب النقب على ركه العالى ، ونكبه فى ذلك اليوم بما تنكبت عنه نواكب القباى . وخرب إلى أساسه سوره ، ورمى إلى البحر صخوره . وامتنع برج الداوية بدائها اللوى ، واتبع مردهم فى التمرد هوى طاغوتهم الهوى . وأقام العسكر حتى تقضى أسوار أنطربطوس وقوضها ، وريضا بها إلى أن عفيتا ريضها . ولما امتنع البرج تركناه ، وما كانت فيه فرصة لو أدركناه . وكيف كنا نشتغل بفتح برج عن فتح البلاد ، وللفرص أوقات هى لها بالمرصاد ، ومن يسلك الجدد اللاحب (١) لا يعرج على بنيات الطرق ، ولا يستغنى مدلج الليل بالدرارى عن القلق .

ورحلنا عنها رابع عشر الشهر ، شاهرين على الأعداء سيوف القهر . ونزلنا على مرقية وقد خلت من أهلها ونحلت ، وتشعثت عمارتها واختلت . وكان جوازنا إلى جبلة على الساحل تحت حصن المرقب (٢) ، وهو معقل للاستراتيجية على المنكب ، سامى المرقى والمرقب ، ضيق المذهب ، عسر المطلب . فلم يكن بد من عبور ذلك المضيق ، وسلوك تلك الطريق .

وقد صفت الفرنج فى البحر المراكب ، وسلوا المذاب ، وردوا الرجال والراكب . وفوقوا الجرخ للجرح ، وسددوا الزنبورك للقرح والطرح . فسر العبور ، وكثر العثور . وامتنع الجواز ، ووجب الاحتراز ، وأعوز الظهور وظهر الاعواز .

وذلك أن صاحب صقلية ، رام أن يكشف عن الفرنج البلية . فجهز

---

(١) للاحب : الطريق للواضح .

(٢) حصن المرقب : قلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام ( البحر الأبيض .

المتوسط ) وعلى مدينة باناس وهو على سحل جبلة ( يلقون ج ١٦ : ١٠٨ ط.ب ) .



أسطولا يجهزه مستطيلا ، وحمله من عدد القتال وعدد الرجال عثا  
 قبيلا ، واتفق وصوله في تلك الأيام في ستين قطعة ، تحسب كل واحدة منها  
 قطعة أولتمة . من كل شئ من شأنه شن الغارة ، ومن عاداته العادية تشييت  
 العمارة . مع طاغية يقال له المرغيط ، قد عرف منه التوريط ، من أرجس  
 الطواغيت ، وأنجس الغفارت . فوصل إلى طرابلس بطوله وأسطوله  
 وصوله وصوله . فما أحل ولا أمر ، ولا تقع ولاضر ، ولا استقل ولا استقر ،  
 ولا تنقض ولا أمر . بل صار على الفرنج وبالا ، وأحدث لهم بما يسومهم من  
 مؤنثه إعمالا<sup>(١)</sup> ، وما خفف عنهم بل زادهم على القتل أقتالا ، ووجد الكفر  
 في أوان توائيه ، فلم يتنفع ولم يرتفع شأن شوائيه . وصار إلى صور ثم رجع  
 إلى طرابلس ، وتردد في البحر وتلد وأبلس . وتفرقت جماعته ، وتجنبت  
 شجاعته . واضطرب في البحر أشهراً ، لا يظهر له رأى ولا يرى له مظهرأ .  
 فتقطعت أقطاعه ، وتتابت في الفرار أتباعه . حتى عاد في عدة يسيرة ،  
 وشدة صيرة .

وكان هذا الطاغية قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه ، مصفوفة  
 في البحر من جوانبه . قد ضيق الطريق ، ولم يطرق المضيقي ، فأمر السلطان  
 بحمل الجفاني إلى هناك وتصنيفها ، والستائر وتأليفها ، والتراس وترصيفها ،  
 وأقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم وإزائها ، الكماة النخية ، والرماة  
 الجرخية . حتى تباعدت تلك السفن ، ودب إليها الوهن ، وتمت عليها  
 المحن ، وأتمت الإحن<sup>(٢)</sup> . ورحل المسكر فعبر آمنا وأمن عابراً ، وصار  
 ظاهراً وظهر سائراً . وجزنا على مدينة يقال لها بُلُنْيَاس<sup>(٣)</sup> ، وقد  
 أُجفل عنها الناس . ونزلنا في أرضها ، وخيمنا في طولها وعرضها ،  
 وأنسا بنهرها وزهرها في الأرواء والرواء ، وجبنا على نواضر رياضها

(١) الجلب .

(٢) الإحن : جمع إسته وهو الحقد .

(٣) بلنيس : كورة ومدينة صغيرة وحسن بمواصل حصن على البحر ولها سبت .

باسم الحكيم بلنيس صاحب اللطيفات (بقرت ج ٤ : ٤٨٩ ط . ب) .

نواظر الإرضاء . ويتنازع فيجانب الناي مريضة . وجنات الوادي مريضة .  
والنسيم الجليل ليل ، والعزم الصحيح دليل ، ورسم العلو جميل ، ولقدح  
الفوز من تأييد الله لنا جميل . وأصبحنا على الرحيل مبكرين ، فساء صباح  
المتفرين .

وسرنا وسرنا في سرور ، وسفرنا في سفر . وجمعنا في اجتماع ،  
وجعلنا في إرتفاع ، ونهجننا في اتساع ، وركبتنا في امتناع . وعارضنا نهر عريض  
عميق ، مانعه طريق . وهو مطرد من الجبل إلى البحر ، فازدهم الصمكر  
عند ذلك النهر ، وتواتعت الأجمال والأجمال عند العبر ، وليس عليه  
للاقطرة وإحابة فصايموا على ذلك الخير .

وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر ، واجتمع من همكته  
بعد الزمر الزمر . ونزل عشية الخميس على بلدة (١) . وحانت الأجمال  
في تخلصها من الشدة الشدة . وتكامل نزولها حين انقصف الليل ، ووصل  
إلى القرار السيل .

وهذه بلدة كاسيها بلدة على شاطئ هذا النهر ، وصلح البحر . حصنة  
الزمار مصنوعة البناء . وقد حصنها الأسوار ، وحصنها الاستظهار . وقطعوا  
عنها جلود الطرق ، يعميق ذلك النهر للخرق . وألفنا بلدة أيضاً غايوة  
على المرويش ، جارية المرويش . خطية من الأكنس والإنيس ، ( كان لم  
أكنس بالأيس (٢) ) ، وقد انزعج أهلها ، وتشتت شملها ، وتخوف آمنوها ،  
وعدم الشكون منا كتبها .

(١) بلدة من جبل على الشام قرية عسقلان (القدس) ٢٠٢٠ ط ٢٢٢٢٢٢٢٢

(٢) (٢) ٢٠٢٠ ط ٢٢٢٢٢٢٢٢

ذَكَرَ، فَتَحَ بِطَيْلٍ .

وأشرفنا على جيلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر ، وقد اشتهر موسم  
النهر ، واشتد على الكثر وهي القهر . وكان قاضي جيلة قد تقدم في السابعة  
وسبق في المقدمة ، وأقدم على قصدها بالعزيمة المصممة .

فلما بصروا مظهر البلد ، بما وضع في الجلد من الجلد ، وسبح من الظفر  
المتضافر المدد ، خرجوا مستسلمين مستسلمين ، مستسلمين بجز الاسلام  
معتصمين . وعلت على السور الرايات الناصرية المنصورة ، والتهجت بحمد الله  
الألسن الشاكزة واتهجت القلوب المحبورة .

وتحصن الكفرة من الجبلين ، ونظروا في التحقير إلى الحصنين ، فمن  
لاذ بالحصن الذي على اللبنا ، قال إنه حصانه ومنعته بخيئنا . وعاد يحيطهم  
الأكر ، حصن البلد وهو المقل الأكبر ، وتوسط لهم قاضي جيلة في أخذ  
الأمان بعد قبض الرهائن . على أن يعيدوا من استرهقوه في الطائفة من أهله  
ويحموا شملهم بشمله . ويسلوا إلينا كل ما لهم من سلاح وعدة ، ونخل  
وفنيزة وغلة .

وتسلمنا الحصنين يوم الخميس ، وعادنا مأهولين من الاسلام بالأنيس ،  
وكرمنا بالكرام جيلة جيلة ، ونفت عنها بالقنة المقبلة القنة الشقية المختلة .  
وسعد أهلها بعد الشقاء ، وتوضوا من الشدة بالرخاء ، وأفضى اليأس  
بهم إلى الرجاء ، وفأموا إلى الرفاء . والنقل أهل الجبل إلى جيلة طائعين بعد  
العصيان ، مصافحين بالمصافاة بالآيمان أيمان أهل الإيمان .

وكان حصين بكبر ايل (١) قد تسلم من قبل واتصل بفتح الجبل ،  
فرتب فيه من حكم تلك الجانب وأهله ، وكانوا قاضي جيلة مدعين ،  
بإيمانه مؤمنين ، ولدهاته ملين ، ولقبائه محين . ونجوا من العار والبار ،

(١) حصن بكبر ايل - حصن من سوابل حمير يقال له جبل الجبل (والمرجع) ؛

وضم الكفار ، وتاجوا بالاستبصار والاستنصار ، والاستغفار والاستغفار ،  
 وآصت (١) تلك الولاية لاحسانها والية ، وتلك الناحية على سكانها حانية ، وتلك  
 المدينة لأهل الدين حائنة دائية ، وتلك الجنة العذبة الجنى لورّد دم الجنة  
 من شوك القناجانية . وتلك البنية لعالم المعالي فى هلم أساس الاساءة بانية ،  
 وتلك المضبة راسية ، والتربة كاسية ، والتربة سامية ، والرربة رابية ، والنروة  
 عالية ، والحالة حالية .

وأقام السلطان بها أياما حتى أزال شعنها ، وأزاح (٢) خبثها ، ورأب  
 صدعها ، ورب (٣) ربعها ، وشاد ركنها ، وشد حصنها ، وجبّ كفرها ،  
 وجبر كسرهما ، وجد بها جلبها ، وخص بها خصبها . وبالعدل عمرها ،  
 وبالفضل غمرها . وبالرعاية ملأها ، وللرعية كلأها . وبجمل قاضي جبلة  
 وشرفه ، وحبس عليه ملكا نقيسا ووقفه ، وصرفه فى أملاك آبائه ، وحكمه  
 فى ولاية حكمه وقضائه .

(١) آه طليت وأريدت .

(٢) فى ب أزاغ والصحيح من ل .

(٣) آه أصلح .

## ذكر فتح اللاذقية

ورحل ثالث عشرى الشهر يوم الأربعاء ، منشور اللواء ، منصور الأولياء ، مشكور المضاء ، على القدر قادر العلاء . ناجح الآراب راجع الآراء . وسار برعب إلى العدو يقدمه ، وعزم على الغزو يصممه ، وأمر بامرار الأحكام يحكمه . وجد على تدبير الدين يقفه ، وحد في تدبير الماردين يرفهه . وسعادة تويده ، وتأيد من الله يسعده . وسطوة على الكفار يرسلها ، وجنوة في أهل النار يشعلها . وجيش للوثبات ينشطه ، وجأش للثبات يربطه . وهيبة تروع الخواطر ، وهيبة تروق النواظر .

وبتنا تلك الليلة بالقرب من اللاذقية معرسين ، وبات الكفرة مبلسين . قد لافوا من حصن اللاذقية يجبل عاصم ، وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد فاصم . والخوف عليهم مستول ، والذعر فيهم مستمل . والأفئدة منهم خافقة ، والأندية بهم متضايقة ، والمهج في سوق الردى نافقة . ونحن طول الليل من السوانج في جر الذيل ، ومن السوابق في اجراء الخيل . ومن نشاط العزم في اهتزاز ، ومن احتياط الحزم في احتراز . ومن انتخاب الأجواد والجياد في انتقاء ، ومن انتقاد العتاق والرفاق في انتقاء ، ومن انتهاز الرياح بالمواضب في انتهاء ، ومن اقتضاب الأرواح بالقواضب في اقتضاء ، والمقشريات تسرج والسريجات تقرب ، والمقانب نكتب والكتائب تقنب . والصورم تنتضى (١) ، والصرائم (٢) تقتضى . والقوارح (٣) تفسر ، والقرائح تخمر . والضوامر تجرى ، والبواتر تعرى . والصلاد تلجم ، والدلاص تستلأم . والحنايا توتر ، والمنايا تؤثر . والجاليشية تعبي ، والجاوشية (٤) تلي .

(١) تنتضى : تثل من أغمارها .

(٢) الصرائم : العرائم .

(٣) القوارح : جمع قارح وهو الأسد .

(٤) الجاوشية : يفهم من السياق أنهم كانوا جنوداً مسلمين أثناء لاستنفار الناس أو

الجنه الجهاد أو القتال ( السلوك المقريرى ج ١ : ٨٧ تحقيق د. زيادة ) و

( Dozy . Supp Dict . Arabe )

حتى أصبحنا يوم الخميس والخميس مصبح ، والمتجر مريح ، والمقعر متوضع ، وللباش فرح ، والجيش مرح وقرح ، والعلو مقترح ، وزند الفتح مقتدح ، وباب السماء لتزول ملائكة النصر مفتوح . وأحلقنا بالقلاع وقتلنا الأحداق ، وخططنا بابر السهام من مؤقها الآماق ، وأخونبنا منهم بالارهاق الأرماق ، وأنقضنا إليها الحجار والتقاب والزراق . وأطرونا الشاب إلى أوكار المقل ، وأزروناهم زسل النضال بكتاب الأجل ، وحنمنا من نصوصهم زجل الوجيل ، ورأيتهم تغل صدورهم بنار الحقود من أجل الغل ، وأشرعوا من الشراريف قلقين متقلقين ما بين تلك القل . وجدوا في القتال ، وشدوا على الرئجال ، ومدوا ظلال الضلال ، واحتدوا بالنصال في النضال ، وردوا النبال بالنبال ، وسدوا ملأهب الأهواء بالأنحوال .

وهناك في الزنبورك بورك ، فانه بالخرج حورك ، وقلنا للكفر اخرج لتدخل إلى حورك ، وأى دار فيها التوحيد بأهل الشرك شورك ، وطالما سكنت دارنا فاجرح ، ودرجت إليها فادرج .

وما زلنا نقاتلهم بسوادنا يابض النهار ، ونظى شئ يومنا ليل الغبار ، ونرفع من السور حجاب به بالحجار ، حتى قرنا بتمكن التقاب والحجار ، وأخذت عليهم القوب ، ووقدت منهم القلوب . وبلغ النقب من الشمال في الطول سبعين ذراعا ، وأربع أذرع في العرض اتساعا . وهى ثلاث قلاع متلاصقات ، على طول التل متناحقات . كأنهن على رأس رأس وأس رأس ، وذروة أشم شامخ . فهل الله لنا فرعها (١) ، وشرعنا تستأصل أصلها وفرعها . وناوينا عليه القتال ، وجاؤنا بالنصال النصال ، وأوضعت بنات الكنائن بظلمات الضمائن ، وأثارت من مكابن الأحقاد كوابن الدغائن .

ودام الزماء ، ومريت (٢) الدماء . وانتجع النجع ، ووقع ذلك الرفيع ، فاستبطنى السريع ، ونحطى الصريع . وأبضروا مالا عهد لهم بمثله ، وعابنوا ما حاثوه من غريم الموت المثل في مثله . وفتح الحيف بابيه ، وحفز

(١) أى تزول .

(٢) ضرب : مرمى لهم بأوسطه .

الزحف أصحابه ، وكشر الشرك نابه ، وصادف الكفر لنمه المطلول مصبه ومصابه . ونقر الناس إليهم ، واستطالوا عليهم . وطعموا فيهم ، والأجل يظهرهم والوجل يخفيهم . وهم من وراء أسوارهم ، يواء (١) في بوارهم . ووبل النيل هام ، وأهل الجهد في ضراب وضرام ، وجمر الجمع في التهاب والتهام . ووقع منهم الزرع (٢) ، ومتأ فيهم الطمع . حتى ازدحم على التل الصغار والكبار ، واستشعروا منا وزال منا الاستشعار .

وكان لى مملوك صغير قد زحف ، وأرحق وأرهب ، فقبل خذه سهم ، فرجع وإذا وجهه طلق لا جهم ، وهو بقرحه فرح ، وللقرح بالشهادة مقترح ، وقد عدله الجرح ، وحسنه القبح .

فلما عرفوا أنهم مدركون ؛ وأنهم يؤخذون ولا يتركون ؛ صاحوا الأمان ؛ واستماحوا الايمان . وذلك فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الأولى عشية ، وكان فتح ذلك المعقل من الله مشية . فانه موضع مافيه سطع ، ولم يكن للكفر غيره مفرج . وصعد إليهم قاضى جبلة يوم السبت غلوة ، وكان ذلك الفتح صلحا أشبه عنوة . وطلع السنجق (٣) المنصور ، وانجلى الظلمة وتجلى النور ، وأشرق الفلق وزهى الديجور ، وبدأ الفجر وباد الفجور ، وسرت القلوب وأقبل السرور .

وسلموا القلاع بما فيها من علة وذخيرة ، وأسلحة وخيل ودواب كثيرة . وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، وانصرفوا بنسائهم ورجالهم ، وفريتهم وأطفالهم ، وخضوا من أتعالمهم . ودخل جماعة منهم فى عقد اللمة ، وتمسكوا بمجل العصمة . وانتقل الباقون إلى أنطاكية ، وأيقنوا أنهم وجدوا يعد رسوم السلامة العافية العافية .

ورتب السلطان جماعة من خواص مماليكه ، وأخرج من القلاع أهل الكفر وأسكنها التوحيد مصونا من الاشرار وتشريكه ، ثم ولى بها سنقر

---

(١) يواء : صاولة .

(٢) الزرع : أروعة تترى الإنسان إذا قام بالأمر .

(٣) السنجق : اللواء .

الخلاطى — مملوكه ، وقد عرف حسن سيرته وأحمد سلوكه . فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية ، وانتهى إلى الغاية فى نهى أولى الغواية ، وأقام جاليا للغاية ، على رأى والراية .

وركب السلطان إلى البلد وطافه ، وهز إلى إحسانه أعطافه ، وأدنى إلى عدله قطافه ، ووفر أطفافه ، وأصنى نطافه ، وأمنه بعد ما أخافه .

ورأيتها بلدة واسعة الأفنية ، جامعة الأبنية . متناسبة المعانى ، متناسقة المغانى ، قرية المجانى ، رحية الموانى . فى كل دارستان ، وفى كل قطر بستان ، وقد أبى الله أن يكون للكفرة منها جنان . أمكنتها محرمة ، وأروقتها مرخمة ، وعقودها محكمة ، ومعالمها معلمة ، ودعائمها منظمة ، ومسكنها مهندمة مهندمة ، وأماكنها ممكنة ، وعاسنها مينة ، ومراتبها معينة . وسقوفها عالية ، وقطوفها دائية . وأسواقها فضية ، وآفاقها مضية ، ومطالعها مشرقة ، ومرابها موققة (١) . وأرجاؤها فسيحة ، وأهواؤها صحيحة .

لكن العسكر شعث عمارتها ، وأذهب نضارتها ، وأزعج ساكنيها ، وأخرج قاطنيها . وملك دور المشركين للموحدين ، وطهرها من رجس الكفر وأظهر الدين . ووقع من عدة من الأمراء الزحام على الرخام ، ونقلوا منه أحمالا إلى منازلهم بالشام . فشوهوا وجوه الأماكن ، ومحووا سنى المحاسن .

وبظواهر اللاذقية كنيسة عظيمة ، نفيسة قديمة ، بأجزاء الأجزاء مرصعة ، وبألوان الرخام مجزعة (٢) ، وأجناس تصاويرها متنوعة ، وأصول تماثيلها متفرعة . وهى متوازية الزوايا ، متوازنة البناء . قد تخيرت بها أشباح الأشباه ، وصورت فيها أمواج الأمواه ، وزينت لآخوان الشيطان ، وعينت لعبدة الصلبان .

---

(١) موققة : حصة تعجب الرأى .

(٢) مجزعة : جزعت بالرخام ، جعل فيها قطع منه .



ولما دخلها الناس أخرجوا رغالها ، وشوهوا أعلامها ، وحسروا  
لثامها ، وكسروا أجرامها ، وأهدوا الأسي لهد أساسها ، وأفاضوا عليها  
لباس إبلاسه ، وحكموا بعد الفنى بافلاسها . وافترقت وأفترت ، وخربت  
وتربت .

ثم لما طابت النفوس ، ونجلى عن البلد بفتح البوس ، عاد إلى هذه  
الكنيسة بالأمان القسوس ، وهى متشوهة متشعثة ، مستسكة بأركانها  
وقواعدها متشعبة . ولقد كثر أسنى على تلك العمارات كيف زالت ، وعلى  
تلك الحالات الحاليات كيف حالت ، ولكنما زاد سرورى بأنها عادت  
للإسلام مرايع ، ولسروحه مراتع ، ولجموعه مجامع ، ولشموسه مطالع .  
فلو بقيت بحليتها وحالتها بعد ما تبدلت رشدتها من ضلالتها ، لشاقت  
ورافت ، وكما أفاقت فاقت . وشأت (١) البلاد إذا شاعت ، لكنها  
ساعت لما أسامت . ثم أعادها الإسلام إلى أحسن حالة ، وجلا لها فى السناء  
أسنى جلالة .

ورغب فى إعطاء الجزية سكان البلد من النصارى والأرمن ، حبا  
للوطن وسكونا إلى السكن . فأض مأمول الخنى مأهول الخناب ، وعاد بتجار  
البحار مملوء الرحاب . وتبدل بالأبدال الأخيار ، والأرباب الأبرار ، من  
بعد الكفار الصغار ، والأشرار أهل النار .

وكانت شوانى صقلية قد قابلت فى البحر اللاذقية طعما فى امتناعها ،  
وطلبا لزيادها عنها ودفاعها . فلما خابت خبت نارها ، وباخ (٢) أوارها ،  
وقصدت لجلهها أخذ مركب من يخرج من أهلها ، لكونهم شغلوا عن  
صونها بيلها . فامتنعوا عن الانتقال ، وأمنوا بعقد اللمة على النفس والمال .

وكان السلطان يوم الرحيل من اللاذقية راكبا عند مينائها ، وقد حصل  
من ترتيب العمارة منها . فطلب مقدم تلك الشوانى أمانه ، ليصعد ويشاهد  
سلطانه ، فأمنه حتى صعد ، ولو أسلم ذلك الشئ اقلت سعد . ولما حضر

---

(١) شأت : تابقت ، تفرقت .

(٢) باخ : خد وقر .

الكافر عفر وكفر ، وتروى ساعة وتثكر . وأحضرنا الترجمان ، وأدى عنه البيان وقال : أنت سلطان عظيم ، وملك كريم ، وملك رحيم . وقد شاع عدلك ، وذاع فضلك ، وقهر سلطانك ، وظهر احسانك . فلو مننت على هذه الطائفة الخائفة فأمنت ، وأفضلت عليها وأحسنتم ، لملكتم قيادها إذا أعدت بلادها . وساروا لك عبيدا ، وأطاعوك قريبا وبعيدا . وإن أبيت غير الغيرة والآباء ، ودمت على أرهاق الدهماء وأهراق الدماء ، جاء من وراء السبعة البحار من يسد فضاء السبع الطباقي ، وأفاق للتناصر على دفع هذا الخطب نصارى الآفاق . وثار الروم لروم الثار ، وخرج الفرنج أنفارا للاستنفار . وسار ملوك ذوى الأقاليم ، من سائر الممالك والأقاليم . وآتى الآتى ، ولا يقاوم القدر الماتى . وهؤلاء أهون منهم ، فاتركهم واصفح عنهم .

فقال السلطان : قد أمرنا الله بتمهيد الأرض ، ونحن قائمون فى طاعته بالفرض . وعلينا الاجتهاد فى الجهاد ، وامثال أمره فيه بالانقياد ، وهو الذى يقدرنا على فتح البلاد ، ولا تكثر الآساد بكثرة النقاد (١) ، ولو اجتمع أهل الأرض ، ذات الطول والارض ، لتوكلنا على الله فى اللقاء ، ولم نبال بأعداد الأعداء . فلما سمع ما فهمه من نجهه ، ذهب بعد أن صلب على وجهه ، وركب بكرهه ، وكر بركبه ، ولم يثن خطابه عن خطبه .

---

(١) النقاد : جمع نقد أو نقدة ، جنس من الفم صغير الأرجل ، سفلة الناس والمقصود عدم الاكتراث بالكثرة .

### ذكر فتح حصن صهيون (١)

ورحلنا ظهر يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى ، والمهلى فى نصره بين أنصاره بتهادى ، وقد تيقنا أن القتح لا يتماضى ، وأن العزم عن القداء بالمهج فى سبيل الله لا يتفادى . وأخذنا على سمت صهيون ، وهو حصن يفوق الحصون . ويفوق العيون ، وطلبناه كما يطلب الدائن المديون ، ونحن للكفر بميتون ، وللإسلام محيون .

وكان الطريق إليه فى أودية وشعاب ، ومنافذ شعاب ، ومضايق غير رحاب . وأوعاث (٢) وأوعار ، وأنجاد وأغوار . وقطعنا تلك الطرق فى يومين ، ووصلنا ليلة الثلاثاء بليلة الاثنين ، وخيمنا على صهيون يوم الثلاثاء التاسع والعشرين ، ورزقنا الله التأيد والتمكين . وهى قلعة على ذروة جبل فى مجتمع وادين ، بها عيظين من جانين . والجانب الجبلى قد قطع بمنندق عميق ، وسور وثيق . والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب ، ممتئة بذئاب سفاب ، وأسد غضاب . وأحاط العسكر بها يوم الأربعاء من نواحيها الأربع ، وهى ممتعة علينا بالركن الأيمن ، والسمو الأيمن .

ونقل السلطان خيمته إلى جانب الجبل بكرة اليوم ، وشرع فى محاصرة القوم ، وقامت أسواق الأقواس للمنون فى مغالة السوم . وتوفرت سهام السهام من المقل ، وتبدت بنات الكتائن من الدم القانى حمر الحلل . وأسقطت حوامل المنجنيقات أجنة الصخور ، وكشفت صدور الكتانيات أكنة الصلصور ، وظهروا السراء ، وكثر مرأه الرماء . وزخر دأماء اللماء . وطار الحجاراات وحجرت الطيارات . ودارت حمياً الحمام على أولئك ، واستنجدت ملوكنا الملائك ، وأدامت إليهم المجانيق والجروح والقسى الرمي المتدارك .

(١) حصن صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام ( البحر الأبيض ) من أعمال

حصن ليس بمشرق على البحر ( ياقوت ج ١٢ : ٤٣٦ ط ب )

(٢) أوعاث جمع وعث أولوعث ، وهو الطريق الغليظ السر السلوك .

وأقام الملك الظاهر غازي صاحب حلب منجنيين ، ونهج بهما من جانب الوادي إلى ردى الأعادى طريقين . وكان له في فتح هذه القلعة الجدة العالى ، والجدة الوالى . والعزم الماضى ، والحزم القاضى . والسعى الناجح ، والرأى الراجح . والبأس البالغ ، والسطو الدامغ . فانه اتصل بنا قبل الوصول إلى جيلة من طريق حماه ، وقد استصحب الكماة الحماة . ومعه الرجال الحلية ، والمنجنيقية والجرحية ، والجاندارية والحراسانية . فأظهر على صهيون اليد البيضاء ، وكسب الذكر والثناء ، وأثار فضاء الفضائل وأضاء . ودام القتال على المكان من جانبه ومن جانب السلطان . والملك الظاهر في تظاهر ملكه . وتضافر سلكه ، وريعان اقباله ، وعنفوان جلاله ، وشباب رهان مجاراته ، وشباب برهان مباراته ، وإبراق عوده ، وإشراق سعوده ، وغرة عزته ، وميعة (١) منعته ، وصلبر تصلبره ، وشرخ (٢) تأمره وتشمرة . وقد وصل في أول نشاطه ، ونشوء اغتباطه ، وقتاء (٣) فتوته ، ورواء رويته . وارتقاء ارتفاعه ، وإيقاع يقاعه . وترعرع سنه ، وتعرعر (٤) ركنه ، وتسامى سيادته ، وتراقى سعادته . وأجد لعز العزم الجدد ، وأعد لرى الرأى العد . واستلذ في سبيل الله نصبه ، ورفع المنجنيق ونصبه ، وجعل لرجاله نوبا ، ولأحواله رتبا ، وألهم أفواه كفتاته (٥) حجرا ، وأجرى في الحق من الحجارات الجاريات من منابعه نهرا ، ورجم الحصن الزانى رجم المحصن ، وأحسن إلى الإسلام وأساء إلى الكفر فله در المسيء المحسن . وما زالت المجانيث من جانبيه وجانبنا ترمى ، والحنايا بسهام النايا تصمى ؛ حتى قتلت مقاتلة الحصن ، وهان بما دب فيه من الوهن .

وأصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاى جمادى الآخرة ، وطما بحر العسكر

(١) ميعة : لثى ، أوله وأصله .

(٢) تأمره : أى أوله وريمانه .

(٣) فتاء : جمع فتى ، هو الشاب من كل شيء .

(٤) تمرمره : علو ركنه ، والمقصود كناية عن السور والرفعة .

(٥) كفتاته : أى سابقه .

بأمواله الزاخرة ، وازدحم الناس في الزحف كأنهم في الحشر بالساهرة .  
 وهاج الشباب ، وماج العباب . وتسايق ذوو الجرأة والقوة ، وتلاحق ذوو  
 الحمية والنخوة . وكان في قرنة (١) الخندق عند خرقه إلى الوادي موضع  
 لم يكمل تعميقه ، ولم يتم توثيقه . فتطرقوا من تلك القرنة إلى القنة (٢) .  
 وتسوروا السور وتسلقوا ، وتقلعوا إلى القلعة وتعلقوا . وتملكوا الذروة  
 وأمسكوا العروة . واستولى على أهلها الرعب ، واستشرى بهم الكرب ،  
 فتعادوا إلى القلة (٣) ، وتعادوا من الخوف لا من القلة . وملكت عليهم  
 ثلاثة أسوار ، بما فيها من متاع وشوار (٤) ، ونعم وأبقار ، وصاحوا :  
 الأمان ! وبذلوا الإذعان . ونادوا ، مكتونا من السلامة ، وتسلموا المكانا .  
 فما آمنوا على المال والنفس ، حتى قررنا عليهم مثل قطعة القدس .  
 وأغلقت دونهم الأبواب . وسيز إليهم التواب . وما استقر خروجهم حتى  
 استخرج منهم القرار . وجبى الدرهم والدينار ، وعم الكبار والصغار  
 الصغار . وتولى ذلك (شجاع الدين طغرل الخاندار) . ثم سلم حصن  
 صهيون بجميع أعماله ، وسائر ما حواه من ذخائره وأمواله ، إلى الأمير  
 (ناصر الدين منكورس بن خُمارُتْكِين (٥) ) ، أسد العرين وأمير  
 المجاهدين . المقدام الممام ، والمطمان المطمان . فألقى الثغر سداه بسبباده ،  
 وأمرع به مراد مراده .

(١) قرنة الخندق : أي الطرف الشاخص منه ، زاوية .

(٢) القنة : قنة كل شيء أعلاه ، أو الجبل الصغير .

(٣) القلة : رأس الجبل .

(٤) أي من لباس ومتاع مستحسن .

(٥) ناصر الدين منكورس بن خمار تكين : كان صاحب قلعة أبي قبيس ، وكان أحد  
 أصحاب صلاح الدين ، سلمه صلاح الدين قلعة صهيون سنة ٥٨٤ هـ وكذلك حصن برزيه  
 (تاريخ أبو الفداء ج ٣ : ٧٤ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ) .

### ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة المينو (١) . ويوم الأحد قلعة الجماهرين .  
ويوم الاثنين حصن بلاطنس . وندب إلى كل حصن من تسلمه ، وسلكه في  
ملك الفنوح ونظمه .

---

( ١ ) قلعة المينو أو الميند أو عينون ، بنواحي حلب ( ياقوت ج ١٤ : ١٧٦ ط.ب ) .

## ذكر فتح حصني بكاس والشفر (١)

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت القرشية (٢) ، ومشية الله جارية على موافقة ماله من المشية . ونزل على ( العاصي ) في طاعة الله والنصر قد نزل ، والكفر قد انحدر ؛ يوم الثلاثاء سادس الشهر ، وبحور السوابج في غدران السوابج مائجة على ذلك النهر ، وحكم السلطان في القهر ماض باذن الله على الدهر . وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور ، وشكا الشرك نكاية حد بأسنا المشكور .

وحول خيمة خفيفة إلى الجبل لحصار قلعة الشفر ، وهي قلة شائعة من أعلى القل على هضبة منقطعة ، عالية مرتفعة . ومن نواحيها واد ، خاف من العمق غير باد ، في أعماق ووهاد . وقد قطعت من الجبل حتى اتصل بالوادي خندقها ، وأخذ من العوادي موثقها . فما إليها طريق ولا عليها طُروق ، ولا فيها للطمع علوق (٣) ، ولا للسهم إليها مروق . ولا للزحف فيها مطمع ، ولا للترنحوها مطلع . ولا للطير في مراحها وكر ، ولا للمكر في افتتاحها مكر . ولا للوهم في توقلها (٤) مجال ، ولا للفهم من تصورها منال ، ولا لها بمن يحتمل بها احتفال ، وما عليها للنازلين عليها قتال ولا نزال ، ولا يتغير لها مع تغير الأحوال حال . وصعب شغل الشفر (٥) واشتغل فكر الكفر .

ولم ير السلطان طريقا غير الرمي من المنجنيق ، لعله ينال جمعها بالتفريق .

---

(١) حصنا بكاس والشفر : قلعان متقابلتان على نهر الدامس من نواحي حلب بينهما واد شيق ( ياقوت ج ٤ : ٣٧٤ ط.ب ) .

(٢) القرشية : قرية بسواحل حصن وهي آخر أعمالها ، مما يلي حلب وأنطاكية ( ياقوت ج ١٥ : ٣٢٣ ط.ب ) .

(٣) أي النفيس من كل شيء .

(٤) أي السوء إليها .

(٥) الشفر : ناحية كل شيء ، والشفر من الوادي أعلاه .

وداومها بالحجارات أياما ، ولكم سدد بها مرمى ومراما : ولم تعباً بأعبائها ،  
فأنها ترامت عن رمائها . وأبت إلا نجاتها ، وثبتت على إلبائها ، وأصيا اعضاء  
دانها ، واستفحال بلائها ، وخام الرجاء بالإرجاء عن أرجائها . ولولم يضجر  
حاميتها لضجر راميتها ، وسُم سائمها لتساميها . لكنه وهى جلده ،  
وهوى خلدته ، وخار قلبه ، وحار لبه . وخاف من الاقامة ، وخاب من  
السلامة . وارتاح إلى الراحة ، وسما إلى السراحة . وعاج إلى الانزعاج ،  
وعاد لداء خوفه في الاستئمان يطلب العلاج . ودعا إلى الدعة ، والخروج  
من الضيق إلى السعة .

فبينما نحن في تروّ وتفكر ؛ ونخير للرأى وتدبر ؛ ونقول : هذا حصر  
يشدد وأمر يمتد ؛ وعمل يصعب ؛ وأمل يتعب ؛ ومحل لا يخل ؛ ومعقد  
لا يخل ؛ ومقصد لا يدرك ؛ ومورد لا يملك ؛ ومكان لا إمكان لفتحته ؛  
ورجاء يطول الزمان في تطلب نجحه ؛ إذ خرج من الحصن ؛ من يضرع  
في الأمان ويمترى ضرع الأمن . فشكرنا الله على تسهيل المتوعر ، وتيسير  
المتعسر ، وتحصيل المتعذر ، وتلقيح الرجاء من اليأس ، وتنقيح مناط حكم  
الصحة عند اضطراب حلة القياس . وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم  
الثلاثاء ، وسألوا في مهلة ثلاثة أيام والارجاء ، ليخبروا صاحب انطاكية  
ويستأذنوه ، ويلبوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن ويسلموه .

فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر ، وجناب الشرك مقفر .  
والشجر شاغر ، والكفر صاغر ، وفم القهر منا لهم فاغر ، والاسلام قد ثلم  
نفر من هو له مئاغر (١) . والحصن البكر مفترع ، والدين المتأصل بشعب  
النصر متفرع . وطلع العلم إلى ذلك العلم الطالع ، وانقصر الهدى الضليع من  
الضلال الطالع (٢) . وكأنا عذبات تلك الراية مقاول الداعين ، وكأنا  
أبراج تلك القلعة مسامع الراعين . وعاد الحصن (٣) أهلا بأهل الاحصان ،

(١) مئاغر : جمع مئفر وهو الموضع المتناخم العدو .

(٢) الطالع : المائل . اللهم .

(٣) في ب أهل وهو غطاء لغوى والتصحيح من له .



وصافح بأيدي الأيد أيمان ذوى الإيمان . فابتسم عن النصر ثغر الثغر ، وفرغ القلب من شغل الشغل . وسلم هو وحصن بكاس ، إلى ( غرس الدين قليج الساقى ) - عدوة الموت - بكاس الباس .

وانتقل السلطان يوم السبت إلى مخيمه ، والاقبال جاثم في مجثمه . وسرى ولده الملك الظاهر إلى قلعة سُرْمَانِيَه (١) ، وأرهمق فيها القجرة الجانية ، واستطلق منها البررة العانية ، وقطف مجانيها الدانية؛ وأخطى مغانيها الغانية . وما قطع قرارها حتى قرر عليها قطيرة ، وكلفها ما كانت له من المال مستطبعة ، ولم تزل عاصية بطوعها فصارت كرها مطبعة . ثم خرّ بها حتى خربت بها عاليها ، وعطل حاليها ، وانجلى ثاويها ، وافتأى جاليها . وبقيت دُمْنَةُ دائرة ، ودُمْنِيَّة عائرة . ورسمًا عافيا ، ورقًا خافيا ، وربعا باليا ، وصقعا خاليا . وعادت دارا دارسة ، مستوحشة بعد أن كانت آمنة ، وكان فتحها في يوم الجمعة الثالث والعشرين ، فأخطى الله من السباع الضواري ذلك العرين .

ومن نواذر ألطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية ، في أيام الجمع الخمس المتوالية . بآء فيها لنصر أهل الجمعة بدل أهل السبت أهل الأحد (٢) . وأصبح التوحيد على التثليث قاهر الأيد ، ظاهر اليد .

---

(١) مرمانية : أوسرمينية ، بلدة مشهورة من أعمال حلب أهلها اسماعيلية (ياقوت

ج ١٠ : ٢١٥ ط.ب) .

(٢) يقصد بأهل الجمعة ، المسلمين . وبأهل السبت ، اليهود . وبأهل الأحد ، الصليبيين .

## ذكر فتح حصن برزويه (١)

وسرنا إلى قلعة برزويه وسرنا سار ، ودر الظفر لنا دار . وهي أحصن القلاع وأرفعها ، وأحسن التلاع وأرفعها ، وأسمى الرواسي وأسمائها ، وأسمى الرواسخ وأسمائها . وكان السلطان سبق إليها وأشرف عليها . ثم استدعى الثقل واستحضر ، وجمع بالفضاء تحتها العسكر . وذلك رابع عشرى الشهر يوم السبت ، وقد تهيأت في العدو أسباب الكبوة والكبت .

ثم تجرد يوم الأحد في العدد والعُد . ورقى إلى الجبل ، مع أبطاله النبل . فرأيناها قلعة شماء في اللرا ، لا تكاد من سموها ترى . وهي على من من الجبل عال مترامية في السماء ارتفاعا ، وقيل قدر علو ثلثه فكان خمسمائة ونيفا ومبعين ذراعا . فأحلقنا بها وبالجبل ، وقطعنا عنها متصلات السبل . ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح ، فلم تصافحها صفائحها وأبدت لنا صفحة الصفح . فقد بعد مرام مرماها ، وحارت الأوهام فيها وقلنا ما أعلامها وما أسمائها . ونحاجزت عنها الحجارة فلها من اجازتها بها الاجارة . فما بلغت إلى القلعة قلائعها (٢) ، ولا طلعت إلى التلعة طلائعها ، هذا والنجم يلامع بلامعها ، وتقارن طوالعه طوالعها . فكان الصخور سلم نحورها ، فإن صورتها تنكسر دون الوصول إلى سورها .

ولما رأى السلطان أنه لا وصول إلى نيقها (٣) بالمنجنق ، وإن الاشتغال به يطيل زمان التعويق ، مال إلى الزحف ، ولاحف جموعه في ذلك اللحف . وذلك في السابع والعشرين من الشهر يوم الثلاثاء ، فقسم الناس

(١) قلعة برزويه . حصن بالسواحل الشامية ، والعاملة تقول برزويه - على سن جبل شامق ، وعلو قلعتها ٧٠ ذراعا كانت بيد الاتونج حتى فتحها صلاح الدين ٥٨٤ هـ (٨) ياقوت ج ٣ : ٣٨٣ ط . ب.

(٢) قلائع : الحجر والمد يقطع من الأرض فيري به .

(٣) لى أهل مواضع فيها .

ثلاثة أقسام على السواء ، : وجعل النوبة الأولى لعماد الدين صاحب سنجار -  
 الليث المصنار (١) ، والغيث المدرار ، والبحر الزخار . والسيد الحلّاحل (٢) ،  
 والمملك العادل . في صحابه الصباح ، كفاة الكفاح ، وعفاة الصفا . ونفاة  
 الهام ، بثبات الأقسام في الإقسام ، وشفاة الأوام بعة الانتقام من الأوام ،  
 وأساءة ذوى الاسماء باحسان الحسام ، وكساء عرى العراء أردية القتات :  
 ورقاة أرقام (٣) اللهازم ، وسقاة حوائم (٤) الصوارم . والمزاق في  
 حومة الردى رداء المآزق ، والسباق في حلبة الهلى يهودى السوابق . من  
 كل شارب ماء الوريد يشفاة الشفار ، وضارب هام المرید يبتار التبار ،  
 ولاسع بجمة الحمام فى الأسل العاسل عاسل ، ولابس لباس الیاس كالأسد  
 الیاسر (٥) باسل . ومعتقد للدين بالردینى معتقل . ومعتد على العدو بمعدى  
 معتدل . ومجتاب لبوس البوس على الموت العبوس مجتاز ، ومجتب لحب  
 المنون لرهون نفائس النفوس محتاز .

فانقضوا على المضب (٦) ، وعضوا على العضب (٧) . ودام الصفا  
 يلمده (٨) ، والصدى يقهقه . والزاحف يتقدم ويتقهقر ، والحافز  
 يتخى ويظهر . والرجال تتعالى ، والحجار تتوالى . والمصاعد تفرق ، والمصابع  
 تلتقى . والمضائق تولج ، والبواقي تخرج . والآكام تفرع ، والرجام تفرع .  
 وللصخور تردید ، والجلامید (٩) تمید .

وما زالت هذه النوبة تنازل وتقاتل ، وتناضل وتطاول ، وترمى وتُرمى ،

(١) المصار : الكثير المصير لأنه يمصر فريسته أى - يكسرها كسرا .

(٢) أى السيد فى عشرته .

(٣) أرقام : جمع أرقم ، وهى الحية الخبيثة ، ماكان منها فيه سواد ويياض .

(٤) حوائم : جمع حائم وهو الطشان .

(٥) أى المقطب وجهه .

(٦) سبق التصريف بها .

(٧) أى السيف القاطع .

(٨) يلمده : يتسرح .

(٩) الجلاميد : جمع جلود : وهو الصخر .

وتُلمى وتُلمى ، وتُصمى (١) وتُصمى . وترد وترد ، وتصد وتصد ، وتصلم وتصلم ، وتقدم وتقدم ، وتصدع وتصدع ، وتحمل وتحمل ، وتذكو وتذكو ، وتنفق ، وتبدو وتنفق ، حتى كُلت وملت ، وانحلت وتخلت ، وكانت غلبت لولا أنها لغبت ، وسمت لولا أنها سمنت . وألقيت هذه النوبة خاصة ، لأهل الحصن خاصة (٢) . فأنهم تولوا بأجمعهم القتال ولم يقصدوا للتناوب الاستبدال .

ولما ظهرت في النوبة النوبة ، وكاد جوادها تناله الكبوة ، تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية ، والسطوة الدانية ، والعزمة النارية غير الوانية . وخف في القتال من الرجال ، وزحف إلى الجبل بالجبال ، وتضافروا فطافروا في الأوعار كالأوعال . وجروا كالسيول في تلك المسائل ، وجروا ذيل السوابغ على تلك المواجل (٣) . وترقوا في ذراها ، وقرروا على قراها (٤) . وتلبسوا بجرانها ، وتوجسوا من مئاعها (٥) ، وتلججوا في مدارجها ، وعرجوا في معارجها ، وخرجوا في مداخها ودخلوا في مخارجها . وصارت الجروح تيمزهم ، والجروح لا تمزهم . والسهم تعبهم ، والآكام تسهم . والنخوة تمحيمهم ، والحمية تنعيمهم .

وقد نشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم ، والتحذير من توريطهم وتفریطهم . فمن اتقيض بسطه ، ومن أعرض ضبطه ، ومن أقبل أربطه ، ومن أدبر أسخطه . ومن تقدم قرطه ، ومن تقاعس أحفظه ، ومن تناعس أيقظه . وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا ، وكلما اشتبهوا بما فرعه من تلك القوارع ارتبطوا .

فمنهم من تمكن من الطلوع ، ومنهم من تمكن للولوع . وتقلبوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع . وعرا أهل الحصن العناء والعياء ،

(١) أصمى : وثب وأسرع .

(٢) حاصه : أي داه أو مرض .

(٣) المواجل : المفازات البعيدة التي ليس بها علامات .

(٤) أي ظهرها .

(٥) القناص : جمع صعب وهو سبيل الحوض أو السطح .

وعمهم البلاء وأحركهم الشقاء . فانهم ما زالوا يقاتلون يومهم من غير مناوبة  
جميعا ، فمنهم من صد صديعا ، ومنهم من صار صريعا . وظهر فيهم  
الفتور ، وبدا منهم القصور .

وجاءت النوبة الثالثة تالية ، وأقلمت أمدادها متوالية متعالية . وعادت  
النوبة الأولى لنشاطها ، وزادت في انبساطها . فبلغوا وغلبوا ، واتهموا  
والنهبوا . وتحلقوا بالسور ، وتسلقوا كالنسور . وطلعت القلعة ، وقلعت  
الطلعة . واغضت العنزة (١) ، واقتضيت النصر . وأعان القدر فقدر  
الأعوان ، وتنجت بالفتح البكر الحرب العوان (٢) . وإن أهل القلعة لما  
أيقنوا أنهم ملكوا ، طلبوا الأمان حتى لا يهلكوا .

فلما سمع أصحابنا بالأمان صياحهم ، وعرفوا للضراعة التياهم (٣)  
والتياحهم (٤) ، كفوا عنهم انتظارا لما يأمرهم به السلطان ، وإشفاقا من  
سبي من يشمله الأمان . وكان جماعة من دهاة الخواص عارفين بطرق  
الاقتناص ، فأظهروا أن السلطان آمن أهل القلعة ، وأنه يدافع عنهم في هذه  
الدفة . وجمعوهم في مواضع وكنايس ، وأحرزوا النفوس والنفائس .  
وعاد عنهم من حضرهم ، على ظن أن السلطان آمنهم وحظرهم . وبقي  
أولئك الأفراد بهم متفردين ، ولتجريدتهم للسبي متجردين . وصار  
ما بالقلعة ومن فيها لهم كسبا وسبيا ، وما رأوا لحق من شاركهم في السبي  
رعيا . وحرمو ما ارتفقوا به وحرمو الرفقاء ؛ وحازوا دون الغنائم النهب  
والسباء . وملك واحد مائة ، وحاز الرى وحلأ عنه رفقة ظمته .

ولما تسنى ذلك الفتح وتها ؛ وتسهل ذلك الصعب وتها ؛ عاد السلطان  
إلى خيامه ، وعادت الأيامن بأيامه . وكانت صاحبة حصن برزيه - أخت  
زوجة الأبرنس صاحبة انطلاقية - وقد سبيت وخبئت . فما زال يطلبها

---

(١) أى البكرة .

(٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى أو أشد الحروب .

(٣) أى احترق قلوبهم من المم .

(٤) أى تسلبهم إلى الشيء .

حتى أظهروها وأحضروها ، وكان بعد هتك سترها سترها . فدن عليها  
بالاعتاق من الإرقاق ، وحل عنها وعن زوجها قيد الوثاق ، وأحضر أيضا  
ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأدخلهم معهم في الاطلاق . وجمع  
شملهم بعد الشتات ، ووصل جلهم بعد البتات (١) . وشعبهم وقد  
تصدعوا ، وأشبعهم وقد تجوعوا ، وحظرهم وقد استحلوا ، وكثرهم  
وقد استقلوا ، وحرمهم وقد استبيحوا ، ومنعهم وقد استمبحوا . واحياهم  
بعد ما هلكوا ، وعصمهم بعد ما هتكوا . وحواهم وأغناهم وقد افترقوا  
وافترقوا ، وجبرهم ونمشهم وقد انكسروا وعثروا .

وسير معهم إلى أنطاكية من أوفدهم على سنها ، فسرت بأختها ،  
وأعلنت بمقتها من سر مقتها ، وأذاعت من مضمير بغضها بمظهر حبها ،  
وجامعا الفرح في غمها والفرج في كربها ، وتشكت لأخذ بلدها ، وتشكرت  
لترك أختها ووالدها .

وأنعم السلطان بهذا الحصن على ( عز الدين بن المقدم (٢) ) - الكريم  
المكرم ، والمقدام المقدم ، والعظيم المعظم ، والماجد المجد - ( ابراهيم  
ابن محمد ) . فان هذه القلعة لثغر أرامية (٣) الحارية في اقطاعه متاخمة ،  
وهي لها في السلم مقاسمة ، وفي الحرب مزاحمة . وسرت هذه البشرية  
وسارت ، ودرت هذه النعمى ودارت ، وطارت كتب البشائر ، وسرحت  
على جناح الطائر .

وفيما كتبت ان هذه البشرية بما أجده الله من الفتح العزيز ، والنصر  
الوجيز ؛ بفتح حصن برزيه الذي برزت له الأرض في قشب أثوابها ،  
وتفتحت له السماء لتنزل الملائكة من أثوابها ، بل سفرت به عرائس

( ١ ) البتات : القطع .

( ٢ ) عز الدين بن المقدم : هو ابراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم ، صاحب منيج  
وقلعة نيم وأفاميه وكفر طاب ، توفي سنة ٥٩٧ هـ ، وخلفه أخوه شمس الدين عبد الملك بن محمد  
بن عبد الملك بن المقدم ( تاريخ أبو القدامج ٣ : ٩٩ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) .

( ٣ ) ثغر أرامية : مدينة حصينة من نواحي الشام وكورة من كور حص ( ياقوت ج ٢ :

٢٢٧ ط . ب ) .

الأيام في حلى أبا منها ، وأشرق من أقمار الليالي في أنوار محاسنها د  
وهذا الحصن لا يمكن وصف ما هو عليه من الحصانة ، وكان حجره  
في حجر حصن للحضانة . وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون ،  
وسلبنا أهل الكفر بها من السلامة والسكون . وفتحنا كل مرتج لم يكن  
فتح مرتهج ، ولم يجد من حصل في أمر الدهر به محرجا . حتى أتت أبا منا :  
وداني فيه مرانا ، فجاءه عصرنا ، وفجأه أمرنا ، ووصل إلينا ما هو في  
الأزل ذخرا ، وكل بهذه الانتوحات فخرنا .

وذلك أنا فتحنا من حدود طرابلس الى حد انطاكية ، وسقينا بماء  
الحديد الجارى في أنهار دم أهل النار مغارس الهدى الزاكية ، وجلونا بها  
ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدو الباكية . وهذه الحصون التي فتحناها ،  
والمعاقل التي استبحناها ، لو وكلنا الله الى اجتهدنا في فتح أحدها  
لنحذر ولو أنجبت عساكر الدنيا بمددها . لكن الله سهل ويسر ، وفتح  
ونصر ، وأنزل الظفر . وإن حصن برزبه لم يكن عليه قتال ، ولا للوهم  
فيه مجال . ولا منصب عليه لمنجنيق ، ولا مسلك إليه لسالك طريق .

وحضرنا لحصره ، متوكلين على الله في أمره ، غير طامعين في فتحه ،  
ولا راجين لنجاحه . فانقاد جماعه ، وانخفض جناحه ، وساء صياحه ،  
وكل سلاحه . وتوقل (١) الرجال في ذروته توقل النجوم في الأفلاك ،  
ونصر الله أهل التوحيد على أهل الاشراك . وفتحناه بالسيف عنوة ، ودجا  
يوم المثلث عليه يوم الثلاثاء ضحوة ، فانا لما توكلنا على الله في منازلته ،  
واستعنا به في مقاتلته ؛ نظر الله الى النيات ، وأعان ذوى العزائم والثبات .  
فتعلقوا في الجبل ، وتسلقوا الى القل ، وسعوا الى الأجل ، في طلب تسنى  
الأمل . فكان كما قال الله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (٢)  
حتى من الله بالظفر ، وأصنى الورد والصلبر من الكبر .

وقد بقيت انطاكية وما لها بقاء ، ولا لها في الاعتصام رجاء . وقد  
نقصنا أطرافها ، واستبحنا أكتافها ، وشفهنا نطافها ، وعضدنا من رموس

(١) توقل : صد .

(٢) آية ٥٠ سورة القمر .

أهلها بحدود الصوارم قطاها . ولم يبق من معاقلها إلا القُصَير (١) ،  
ودربسك (٢) ، وبغراس (٣) ، وقد تقدم إليها الفانخان ، الرعب والباس .

---

( ١ ) القصير : ضيعة وهي أول منزل لمن يريد حصن من دمشق ( ياقوت ج ١٥ : ٣٦٧ ط . ب ) .

( ٢ ) دربسك : قلعة مرتفعة مُحَصَّنَةٌ لها عين وبساتين ولها من شرقها مروج كثيرة  
الشب وهو في شمال بغراس بميلة إلى الشرق وبينهما عشرة أميال ( القهرس الجغرافي للنوادر  
السلطانية ط . ليدن رقم D ) .

( ٣ ) بغراس : مدينة في لُحف جبل الكلام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على عَين القاصد  
إلى أنطاكية في حلب في المنطقة المطلقة على نواحي طرسوس ( ياقوت ج ٤ : ٤٦٧ ط . ب ) .



## ذكر فتح حصن دريساك

ورحل السلطان وقد نجحت آماله ، ورجحت أعماله ، وجل اقباله ، وأقبل جلاله ، وعبر عند ( شقيف دركوش (١) الى شرقى العاصى . وقد دانت ودنت له المقاصد العواصى القواصى . وأقام آياما على جسر الحديد (٢) حديد الجسارة ، شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الريح والمشركين من الخسارة .

ثم قصدنا دريساك وجددنا بتأييد الله فى حصره الاستمساك ، ووجدناه حصنا مرتفع الذرا ممتع الذرا (٣) ، قد جاوز الجوزاء ، وناجت أرضه السماء . وكان عش النواية بل عرينهم ، وطالما أطال فى التعدى أيدىهم وعرائينهم (٤) ، وكانوا قد نزلوا منذ أنزلناهم من ظهور الحصن بطون الحصون ، وركنوا بسكنى هذا المعقل إلى السكون ، فلما أشرفنا عليهم أشرفوا على المتون .

ونزلنا عليه يوم الجمعة آمن رجب ، وقلب الكفر قد وجب . ووفرت المتجنقات سهامهم من سهامها ، وصويت اليهم مسددات مراميها ومرامها ، وراميناهم بها ايلا ونهارا ، وأرسلنا اليهم أمثال قلوبهم ووجوههم أحجارا . وكلدنا لا نفرى أرضها التى هى فى السماء من الكافرين ديارا (٥) . وتركنا ناسه بالحجارة صرعى ، وأسمنا من نحورهم ووجوههم يفيض النصال فى حمر المرعى .

---

( ١ ) شقيف دركوش : قلعة من نواحي حلب قبل حارم ( ياقوت ج ١٢ : ٢٥٦ ط . ب )  
( ٢ ) جسر الحديد : على نهر العاصى بالقرب من أنطاكية ( أبو الفداء ج ٣ : ٧٥ ط . المطبعة الحيدية ) .

( ٣ ) الذرا : القواصى .

( ٤ ) العرائين : جمع عرين وهو الألف كله أو ما صلب منه وهذا كناية عن أنهم يتقنون بحرقه .

( ٥ ) ديارا : أى صاحب دار أوساكن .

وأصبحنا يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ، وقد شارف القرنج الشجا  
والشجب ، ووجه نجاتهم قد احتجب ، وقد وقع بالنقب برج من السور  
الى الخارج ، وظهر فيه عروج للدارج ، ودروج للمارج . فطالبوا على  
«راجعة أنطاكية الأمان ، وأن ينزلوا ويتركوا بكل ما فيه المكان . فأجيبوا  
الى ذلك على قطيعة ، وردوا ماكان للإسلام معهم من وديعة . وتسلم  
الحصن بما فيه ثانی عشری الشهر يوم الجمعة ، واصحب بهذا الفتح جماع  
الحصون المنتنة .

## ذكر فتح حصن بفراس

وتوجهنا بكرة يوم السبت الى بفراس ، وقد ضايقنا الأعداء وضيقنا منهم وعليهم النفوس والانفاس . وهى قلعة من أنطاكية قريبة ، وانها فى الشدائد لدعائها مجيبة . ورأيناها راسخة على رأس راس ، شائخة على عاص عاس . أرضها فى السماء ، وجوازها على الجوزاء . متوغة فى الشعاب : متوقلة على المضباب . منسجة فى السحاب ، مضية بالضباب . مربة على الرباب<sup>(١)</sup> . متعلقة بالنيرين<sup>(٢)</sup> ، متسلقة الى الفرقدن<sup>(٣)</sup> ، محلقة الى النسرين . ولا مطمح نحوها لطالمع ، ولا مطمح فيها لطامع . ولا مطمح للامح ، ولا ملمح لطامح .

وهى للداوية وجار<sup>(٤)</sup> ضباعها ، وغاب مباعها . ودار دوائرها ، وغار مغاورها . وغيل غوائلها ، ومزل نوازها . وجعة نبالها ، وهضبة رثالها<sup>(٥)</sup> ، وملب ذئابها ، وملب ذبابها ، وكوارة<sup>(٦)</sup> زنايرها ، ومغارة خنازيرها ، ومربق صقورها ، ومردق نسورها ، ومكنس وحوشها ، وممرس جيوشها .

فخيمنا بقرىها فى المرج ، وقد أنارت من مشرعات أستنا فى ظلمات قمع خيلنا مشعلات السرج . وتقدم من العسكر جمع كثير ، وجم غفير . وخيم بين انطاكية وبينها ، ووكل بها ناظر يقظته وأرقد عينها . فأقام على سبيل اليزك ، ودخل فى حفظ جانبها فى الدرك . وصار يركب

(١) مربة على الرباب: هنا بمعنى أنها مقامة على علو شاطئ فوق الرباب = هنا بمعنى السحاب الأبيض والسحاب بطيئته حال جداً فى القشاه .

(٢) النيرين : هنا بمعنى جاذى الطريق .

(٣) الفرقدن : نجران أسدنا قريب من القطب الشمالى يسمى به والأخر أعنى به .

(٤) وجار : حجر .

(٥) رثال : جمع رائل وهو ولد النعام .

(٦) كوارة : شئ يتخذ النمل فى القشبان ليرالين تأوى إليه لوهى صلبها فى الشمس .

كل يوم ويقف تجاه انطاكية صفا ، ويسومها من الغارات عسفا . وليس  
بينه وبينها الا النهر ، ومقابل رجسها منه الطهر .

وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجبل ، ووقف بإزاء الحصن  
وقوف المشتاق على الطلل . فتصب عليه المجانيق من جميع جهاته ،  
وصوب لقم الحجر الى لماته ، ووافق أمره بالاذعان على خلاف نهاته ،  
وقلنا للمقيم به خذ الأمان وهاته .

وما زالت الحجارات تناوبه ؛ وصدى الصفا بالنكاية يحاوبه ؛ والصخور  
فيه تتواقع ؛ والبلايا اليه تتابع . فما شعرنا الا بانفتاح بابه ، وألحأ جماع  
أصحابنا عليه جماعه الى أصحابه . وخرج مقدم الداوية يستأذن في الحضور ،  
ويسأل الأمن من المحنور ، والحل من المحذور . ويقول : انما قَتِينَا  
بغراس بغراس القنا ، وبنينا على حصونها من القنطاريات أحصن البنى . والمعاقل  
لا يحميها الا معتقلوها ، والبلاد لا يحفظها إلا أهلوها . وما في هذا الحصن  
الا مقلدان ، وما لنا بمقاومتكم يلدان .

وعاد إلى أصحابه من السلطان بالأمان . وتسلمت القلعة كما تسلمت  
اختها دربساك بالأمس ، وسلمها الداوية طائعين فعجبنا من انقياد أولئك  
الشمس (١) ، وأباحوها لنا وكانوا بغارون عليها من طلوع الشمس .  
وأنار في مطلعها سنى السنجق المنصور ، وأذن المتطاوّل فيها من تطاولنا  
بالتصور . وذلك في ثلثي شعبان ، وسر النصر فيه شاع وبان .

وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى (علم الدين سليمان (٢) ) -  
وكان صاحب حصن عزاز (٣) وقد حاز الغنى به وفاز ، وما كان في

---

(١) الشمس : جمع الشمس وهو العصر في عدائوته شديد الخلاف على من عاده .

(٢) علم الدين سليمان : هو ابن جندر ، كان من أكابر أمراء حلب ومن مشايخ  
الدولتين النورية والصلاحية شهد مع صلاح الدين حروبه كلها ، وهو الذي أشار بخراب عسقلان  
مصلحة المسلمين ، توفي سنة ٥٨٧ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٣ ط . دار الكتب) .

(٣) عزاز : أو أعزاز ، بلدة فيها قلعة ، شمال حلب وقريباً منها (ياقوت ج ١٣ :

١١٨ ط.ب) .

الأمراء الأكابر من لا يدعى سواه الاعواز . فألزمه بهما ليعتنى بحفظهما ،  
وحضه من عصمتهم على حفظهما . فتسلمهما بلخاثرهما ، واطلع من  
النقائس على مستودعات ضماثرهما .

وكانت حينئذ أنطاكية قد أسعر غلتها غلاء سعر الغلة . وقل ساكنوها  
لما كانوا فيه من القلة . والغرارة تساوى اثني عشر ديناراً ، والقوم قد  
شارفوا فيها تباراً وبواراً . وحزننا ما في بغراس خاصة من الغلة ؛ سوى  
ما فيها من تفصيل الأقوات والحملة ، فكان تقدير اثني عشر ألف غرارة ،  
فحصل سليمان من متبع هذا الملك على غرارة عن غرارة .

فقلت : وكأني به وقد نقل هذه الغلة الى أنطاكية وباعها ، وأعرض  
عن متاعب الآخرة وحوى من الدنيا متاعها ، وأذهب الغلة بذهب يغله .  
ويستحل مر هذا السحت ويستحله ، ثم يستغنى من حفظ الثغر ويشير  
بتخريبه ، ووقع لي فيه من الظن ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجريبه .

## ذكر عقد الهدنة مع أنطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون ؛ وظفر من فتوحها بالسر  
المصون ؛ حول على قصد أنطاكية فإنها كانت مريضة على شفا ، ورسم  
قوتها قد عفا ، وخلق ثيابها قد انتفى ، والدهر قد انتقم منها واشتفى ،  
ووجه الفلاح عن أهلها قد اختفى . فلو صدقها وقصدها ، لحص دعائمها  
وحصدها .

وكان الأبرنس صاحبها قد عجل ، بإرسال أخى زوجته ، يسأل  
فى سلم يعود ببقاء بهجته ، وسلامة مهجته . وعقد الهدنة على بلده ؛ وأمن  
على ما فى يده ؛ وذلك لثمانية أشهر من تشرين (١) الى آخر أيار (٢) ،  
ووافق من السلطان الاختيار . لكون انقضاء الهدنة قبل إدراك الغلة وأوان  
حصادها ، فلا يقدر القرنج على تحصيلها ونقلها واعدادها . ولم يكن له  
رغبة فى اتمام هذا الصلح ، لكمال الغبطة لنا فى الحرب ووفور الربح .  
لكن العسكر الغريب مل الإقامة ، وأبدى السآمة ، وأراد السام والسلامة  
وقيل بهذه المدة من الهدنة لا تزداد أنطاكية قوة ولا تستجد جدة ولا ترجو  
لها عدة منجدة ، ونحن نضرب للعود اليها مع انقضاء عدتها عدة .

وأما حصونها فقد حصلنا على عسلها ، وقتلنا نخلها ، وأما هى فنعمل  
فيها بقول الله تعالى (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) (٣) . وشرط على صاحب  
أنطاكية اطلاق من فى الأسر من المسلمين ، واستوفى رسولها على عقد

---

(١) تشرين : أى شهر أكتوبر .

(٢) أيار أى شهر مايو .

(٣) الآية ٦١ سورة الأنفال .

الهدنة اليمينية . وسار رسولنا مع (شمس الدولة بن مُنقذ) (١) للأسارى  
منقلدا ، وللأوامر منقلدا ، وعلى المقاصد مستحوذا . وسار السلطان ثالث  
شعبان على سمت حلب ، والاسلام قد غلب ، وفاز من الفتوح بما طلب ،  
واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وسلب وخطب .

---

( ١ ) شمس الدولة بن مُنقذ : هو الأمير أسامة بن مرشد بن علي بن الملقد بن نصر بن مُنقذ ،  
أبو الحارث ، الكنتاني ، مؤيد الدولة ، مجد الدين . ولد بشيز سنة ٤٨٨ هـ ، كان فارساً شجاعاً ،  
عاقلاً مدبراً ، وكانت له اليد الطولى في الأدب والكتابة والشعر ، طاف البلاد ثم استوطن حماة  
وكان صلاح الدين مفرماً بشعره ، توفي سنة ٥٨٤ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٠٧ ط. دار الكتب) .

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي  
وعساكر البلاد وعود السلطان الى دمشق بنجح المراد

ولما رحل من بغراس وقف لعماد الدين ودعاه لوداعه ، وشيعه  
بكرامة كرام أشياءه ، وخصه بعد ما سير له من الخليل والخير بخلق خواصه  
وأتباعه ، وأتاله منه حسن اصطفاؤه وحسن اصطناعه ، ولم يتفصل منهم  
الا من وصل بصلته ، وخلعة بمجملته ، وحرمة مكملته . ووعد جميل  
يرغب في العود ، وجود جزيل منسكب الجود . وذلك سوى ماغذوه  
من كسب وكسبه من غنم ، واستطلقوه من رهم ، واستجزلوه من قسم .  
وملكوه من رقي سبي ، وأدركوه من حق سعي . وأجلوه من فرض ،  
وأدوه من مقرر . وأحيوه من حسنة النصر ، وأماتوه من سيئة الكفر .  
واستضافوه من فتح ، واستفاضوا به من نجاح .

وسار السلطان في عسكره حامدا لله في مودعه ومصدره . وارتاح الى  
العبور على أرتاح<sup>(١)</sup> ، وامتار لها اليمن بافتقادها وامتاج . ووصل الى  
( حلب ) وحلب احتفالها بوصولها حافل . والملك بها للاهتزاز بقدمه في  
ملابس البهاء راغل . ودخلناها وقد خرج كل من بها للتلق ، مستبشرين  
بالاقبال المتضاعف المترف . وشاهدنا من النظارة عيوننا لعماسن ناظرة ،  
ووجوها ناضرة ، وقلوبنا حاضرة ، وألسنا شاكرة ، وأيدينا في بسطها الى  
الله للابتهال بالدعاء بمظاهرة .

واقترضت حركتنا الى الشهباء<sup>(٢)</sup> ، لساكنيتها مكنون الدهماء . وأقام  
بقلعتها أياما بسيرة ، وألنى ولده الملك الظاهر أسرا إحسانا وأحسن سيرة .  
وقام به وبالعسكر مدة المقام ، وانسقت الأمور بأوامره على النظام ، ولم  
يرحل الا وقد خصص عوامنا وخواصنا بالانعام الخاص العام . وأبان عن

---

( ١ ) ارتاح : اسم حصن متنج كان من العوامس من أعمال حلب ، ومدينة (باتوت ج ٢ :  
١٤٠ ط . ب) .

( ٢ ) الشهباء : هي حلب وقيل أن هذا الاسم أطلق عليها لياض مياها .



كل منقبة ، وأعان بكل موهبة : فما رآه والده مذ حل بتاب الا في أجمال  
حلية وأكل حالة ، وأجلى بهجة وأبهى جلالة . وقد أجد لعينه ولنفسه قررة  
وقرارا ، وأعد لعزمه ولخزمه استنصارا واستبصارا .

ثم انفصلنا عن حطب منقطعين الى مواصلته بالدعاء ، قاطعين طرقنا  
المتصلة بدليلي الشكر والثناء . وتنكبنا طريق المعرة ، بساوك طريق المعرة (١)  
وأوفيناها (٢) بالمبرة الموفية المبرة . وتيمن السلطان بزيارة الشيخ الفقيه  
الزاهد التقي (أبي زكريا المغربي (٣) ) - وهو مقيم في مسجده ، عند قبر  
عمر بن عبد العزيز . (٤) ومشهده . وقصده السلطان على فراسخ ، ولقي  
منه في الحلم والوقار الطود الراسخ . واهتدى بسجاياه ، واقتدى بوصاياه .

ووصلنا الى حماه وبتنا بها ليلة واحدة ، ولم نر رعيته لما شملها من  
الرعاية جاحدة . فان ( الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب )  
قد كشف عنها بياض الكروب ، وملك القبول من أهلها والقلوب .  
وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا ، ومد عليها من مهابته ومحبه ظلا  
مديدا . وكانت قلعة حماه لاتعد في القلاع المملوذة المحمية ، ولا تذكر  
مع العاقل المرعية المرضية . وهي ذات تل متبطح ، غير مرتفع ولا متسفح .  
فلما تولاهما تقي الدين قطع من التل ما كان متواطيا ، وأطلع من التلعة جيда

---

( ١ ) المعرة : اسم لموضعين بالظلم أحدهما معرة مصريين وهي بلدة وكورة بتواحي  
حلب ، والثانية معرة النعمان ، وتنسب إلى النعمان بن بشير الصحابي وهي مدينة كبيرة بين حلب  
وحماه (وهي المقصودة هنا) (مراسد الاخلاص : تحقيق علي البجاوي) .

( ٢ ) أوفيناها : هنا معنى أمدناها وأصليناها مرة تامة .

( ٣ ) أبو زكريا المغربي : هو الفقيه الصالح ، كان مقيما عند قبر الخليفة عمر بن عبدالعزيز  
وقد زاره السلطان سنة ٨٤٤ هـ بعد منادته لحلب ، وله كرامات ظاهرة ، وكان مع صلاح الدين  
في الزيارة الأمير أبو فليت قاسم بن المهنا الحسيني أمير المدينة المنورة (أبو القدام ج ٣ : ٧٥-٧٦ .  
المطبعة الحسينية) .

( ٤ ) عمر بن عبد العزيز : هو الخليفة الأموي ابن مروان بن أبي الساس بن عبد شمس .  
خلف سليمان بن عبد الملك في الخلافة سنة ٩٦ هـ ، كان متحريرا سيرة الخلفاء الراشدين ، قيل إن  
مولده كان بمصر سنة ٦١ هـ وتوفي سنة ١٠١ هـ بقرية دير سمعان من عمل معرة النعمان (أبو القدام .  
ج ١ : ٢٠١ المطبعة الحسينية ١٣٢٥ م) .

حاطيا . وعمق خندقها في الصخر ، وحصنها على البحر . وبني فيها الدور  
المرخمة ، والأروقة المهتمة المهتمة : وحصنها وأعلامها ، وحصنها  
وحلاها . وزينها بكل زينة ، وأعاد حماة ذات قلعة حصينة ، فاضلة  
في الشام كل مدينة .

فطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة ، ومصر بما رأى لها من الحصانة  
والرفعة ، ووقف الملك المظفر لعمه ، وجرى في الخلة على رسمه .  
وحضرنا وأمير المدينة النبوية معنا ، والسلطان قد أجلسنا بحضرته ورفعنا ،  
والنادى قد جمعنا ، والنادى قد أسمعنا . والأغاريد تطرب ، والأناشيد  
تعرب . فما افصلنا تلك الليلة الا عن علم نشر ، وعرف (١) أنشر .  
وفضل منى ، وعدل أحبي ، ورسم نائل السماح أجرى ، وزند سائل بالنجاح  
أورى ، وسنى جد أعلى ، وجنى جود أحلى .

وقرأ للوى الحاجات القصص ، وأزال من الظلامات الغصص ،  
وأنا للوى الخصاصات الحصص . وأصبحنا على الرحيل ، ووصلنا  
العتق (٢) بالليل (٣) . وعبرنا مقلين على حمص ، وزدنا في الوصول  
الى دمشق على طريق بعلبك الحرص . وجئناها قبل شهر رمضان بأيام ،  
وركنا الى ما أنسنا به من مقام . وتجمع بنا شملها ، وتهلل باستهلانا  
أهلها . وقلنا نصوم مع القوم ، وقيم مدة الصوم . فما لبث السلطان  
ولا مكث ، ولا نقض عهد عزمه على الغزاة ولا نكت . وقال لا نبطل  
الغزوة ، ولا نعطل هذه الشتوة . وقد بقيت صفد وكوكب وأخواتها ،  
وبطول مضايقتها فنت أقواتها وقواتها ، فنتهز فرصة فتحها الى لا يؤمن فواتها .

---

(١) في ب شرف والصحيح من ل .

(٢) العتق : السير السريع .

(٣) الليل : السير اللين .

وخرج من دمشق في أوائل شهر رمضان وحد عزمه رميض (١) ،  
ولبارق سعدته وميض ، وفضله مستفيض ووجوه الأيام بأباده البيض  
بيض ، ولسان الدهر في ذكر سيزه وتسير ذكره مفيض ، وجناح الكفر  
بنجاح (٢) رجائه ورواج مناجحه مهيض ، وحديث اقدمه القديم والحديث  
طويل عريض .

---

(١) رميض : حاد .

(٢) في ب يحتاج والتصحيح من ل .

## ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك ، في تسلم حصن الكرك . وذلك أن مدة غيبتنا في بلاد أنطاكية ، لم تعلم من محاصرتها المضايقة الناكية . وكان الملك العادل أخو السلطان مقيما بتبين في العساكر ، محترزا على البلاد من غائلة العدو الكافر . مقويا للامراء المرتين على الحصون ، حافظا على الدهماء بحركته في الأمور عادة السكون . وكان صهره سعد الدين كمشبه الأسدي بالكرك موكلا ، وبأهله منكلا ، وقد غلق رهنه وبقي داؤه معضلا ، وأمره مشكلا ؛ حتى فئت أزوادهم ، ونقلت موادهم . وبشوا من نجدة تأنيهم ، وأعلمت<sup>(١)</sup> عليهم مصائبهم ومشائهم . فتوسلوا بالملك العادل ، وأبلوا له ضراعة السائل ، وتذرعوا بوسائل الرسائل . فما زالت الرسائل تتردد ؛ والاقتراحات تتجدد ؛ والقوم يلينون والعادل يتشدد ؛ حتى دخلوا في الحكم ، وخرجوا على السلم . وسلموا الحصن ، وتحصنوا بالسلامة ، وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة .

وكتبت عن السلطان في بعض البشائر ، ما ألهمي بملاوته عن أرى الشائر<sup>(٢)</sup> . وهو أننا لما عدنا الى دمشق رأينا أن لا نستريح ، ولا نثني عن كسر العدو عزمنا الصحيح . فقلنا نغتم هذه الشتوة ونستكمل الخطوة ، ونواصل بالفرزة الغزوة . ونستخلص هذه القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب قلوبا وعساكر . وأبقت لأهل البلاد في طريقها ندوبا ومعائر . وبمين صدق هذه العزيمة ؛ والاستمرار في الجهاد على الشيمة ؛ وردت البشرى بأن حصن الكرك عاد اليه بعد الجماع الإصحاب ، وخرج منه الفرنج ودخله الأصحاب . وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث نفسه بقصد الحجاز ، وقد نصب أشراك لإشراكه منه على طرق الاجتياز .

(١) أعلمت : أجديت .

(٢) أرى الشائر : السبل التي يمتد .

فأذناه عام أول كاس الحمام ، وملكننا حصنه الذي كان يعتصم به في  
هذا العام ، واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام ، وتم بكل هذا البيت  
أمن البيت الحرام .

وقد كان هذا الحصن ذنب الدهر في ذلك الفج ، وعذر أهله في ترك  
الحج . وابتسم الاسلام حيث زيد ثغرا ، وساق الى عقائله الرجال مهرا .  
فالحمد لله على ما قلدر من الحسنى ، وبسر من النعمى . حمدا يكون لما  
قلدر لزاء ، ولما يسر جزاء . والحمد لله انذى أنجز صادق عدائه (١) ،  
في كاذب عدائه (٢) .

---

(١) عدائه : جمع عدا بكسر العين وهو الود .

(٢) العداة : جمع العادى وهو العدو ، المتضى ، المعادى ، المتجاوز للحدود .

ذكر محاصرة صفد وفضحه وإدراك السعي فيه ونجحه

وقطعنا غناضة الأحران خائضين في بحار المسرات المتواصلة ، راكضين إلى مضممار الميراث الخافلة . وللسلطان سائر والجنة تحت راياته مفتوحة أبوابها ، والنصرة فوق ألوته ممدودة أسبابها . في أطلاب أبطال اذا أوعاها الفجر لم يسعها إلى عشائه ، واذا طلع عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه . ونزلنا على صفد ، والصبر قد نفذ ، والنصر قد وفد ، والقدر قد رقد ، والعزم قد وفد .

وجاء الملك العادل وظاهر أخاه ، وضافره فيما توخاه ، وشد بالرأي والحزم ما الزمان أرخاه ، وبعث كل ذي عزيمة على التصميم ونحاه . وشرعنا في مراومة (١) القلعة ، ومساومة السلعة . وجهت المجانيق لاجتثاثها ، وحديثها بالسنة أحداثها . ورمتها عن قسيها بالقاسيات ، وصمت إلى هضاب تلك الأبراج الراسيات ، وأمطرت عليها حجارة ، ولم نعطها من العذاب الواقع بها إجارة . فما رفع بها الحصن الراسي رأسا ولا الحجارة مست منه ركتا ولا الثقوب باشرت أساسا . ودامت المجانيق منصوبة قد قام دَمَتْ (٢) شطرنجها (٣) والنقب لم يكشف نقب السور عن وجوه فرنجها .

ودمنا عليها إلى ثامن شوال ، ونوعنا في افتتاحها الاحتيال . حتى أذن الله في الفتح فسهل ما تصعب ، وحضر ما تغيب ، وظهر ما تحجب . وتيسر ماتعسر ، وأمكن ما تعلو . وثأني ما ثأني ، وأجاب نداء الاسلام ولبي . وعلموا أن صفد إن لم تخرج من أيديهم دخلت أرجلهم في الأصفاد ، وعادوا ثعالب يروغون وكانوا كالآساد . ونزلوا من سماء العز إلى ارض

---

(١) مراومة : طلب .

(٢) دست شطرنجها : التست في لعب الشطرنج : يقال « التست لى أو على . وغلبت »  
وهنا كناية عن أن الحرب قامت من أجل فتحها فلما أن تسفر عن الانصار أو الخزيمة .

المهوان ، فأذعنوا للضراعة وتضرعوا بالأذعان ، وأخرجوا أسارى المسلمين  
ليشفعوا لهم في طلب الأمان .

وصارت صفد للمسلمين (١) صفدا ، وكانت للمشركين هدفا .  
وعادت للإسلام سدا ، بعد أن كانت للكفر ردماء ومردا . وطالما مكث فيها  
المشركون (وقالوا اتخذ الرحمنُ ولدا ، لقد جئتم شيئاَ إداً ، تكادُ السماواتُ  
يَتَفَطَّرْنَ منه وتَنشَقُّ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هذا (٢) ) . ولقد كانت مارنا (٣)  
للكفر جلدع ، ومرفقا للشر قطع . وناظرا للعلو غصن وقد شخص ،  
وجارحا له هيض وقد قنص . ويدا للباطل شلت وقد امتلت ، وعقدة  
للضلالة حلت وقد اشتدت . وتخلصت النابوة بأدواتها ، وتخلصت بأسواتها .  
وصاروا في صور ، وأبدوا بعد استطالتهم القصور .

---

(١) في ب للمسلمين والصحيح من ل .

(٢) الآية ٨٨ سورة مريم .

(٣) للمارن . طرف الأنف لومالان من طرفاء والمعنى هنا كناية عن القلة بعد الغز والأثرة

ذكر مادبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج أن صفد لنا صفت ، وأنها على الفتح  
الذي يشق أشفت ، قالوا « لم يبق لنا الا كوكب ، وان صلاح الدين  
عن قصدها لا يتنكب . وقد أقوت من القوة ، وهي تبي ان لم نعالجها  
ونعالجها بالنجدة المدعوة . وقد ضعف رجالها لضعف رجالها ، وقل  
ظهورها لظهور إقلاها ، وهذا أوان إنجائها وإنجاده ، وهي مشرفة على  
العدم فديروا في إيجادها . فاذا قويتها وحميتها بقيت عدة في العواقب ،  
وعصمة من الثواب » فقال مقدم الاستار « هي كوكبتنا الدلال  
ومنكبنا العالي . ومقلتنا المحكم ، ومقلتنا المبرم . وحصنتنا الحصين ،  
ومكاننا المكين . ولنا منه المربع المربع ، والمنبع المنبع ، والمحل المحل ،  
والمعلم المعلم . وهي قتل من البلاء على البلاد ، وموئل من الخطوب  
الشداد . ولعلها تثبت الى أن توافينا من البحر ملوكنا ، وتعود إلى عادة  
الانتظام سلوكنا ، فما تبطل جلداتنا ، وما تخطى نجداتنا » .

وأجمعوا على تسيير مائتي رجل من النخب ، المعدين اذفاع الثوب .  
من كل جرخی نخي (١) ، وكى أكى ، وجهم (٢) جهنمى . وسقرى  
سقرى ، ووعلى جبلى ، وبطل باطل . وكلب كلب ، وذئب سغب .  
وعاسل معاسر ، وباسل باسر . ومغوار مغو ، ومتلوم متلو ، وذوثر (٣)  
متلوم ، ونمر متمر . وسبع ضار ، وشواظ من نار . وجمر من الحميم ،  
وحام من الحميم . من شياطين يحنون الجنون ، ويمونون (٤) المنون ،  
ويشيون الشئون ، ويهدون الهدون (٥) ، ويحزون الحزون ، ويفوتون  
الفنون ، ويظنون بالله الظنون .

(١) نخي الرجل : اقصر وتظم .

(٢) جهم : عابس الوجه .

(٣) ذوثر : شجاع .

(٤) ذب يمنون والصحيح من ل ، ويمونون : أى يحملون مشونهم ويقومون بكفائتهم

(٥) الهدون : هنا بمعنى كل أحق جاف ثقيل في الحرب.



وقالوا لهم « كيف تمضون وطريق السلامة ضيق ، وطارق الاسلام مطيف ، والشجاء منيف ، والشجب مضيف » فقالوا « نحن نسير ونصير في ضمائر الكهوف أسراراً ، وعلى أجياد الأطواد أزراراً ، وفي أوتار المغارات أطيّاراً ، وفي أعماق السيول أكداراً ، وعلى ظهور الريدود<sup>(١)</sup> أوزاراً ، نسرى ليلاً ونخنى نهاراً . والليل للعاشقين ستر ، ولكم أدلج من له وتر ، والنهج وان بعد فهو في قرب عزما نثر . ومن رام النفيس الخطير رمى نفسه في الخطر ، وطار الى الوطر ، وغرب<sup>(٢)</sup> الى الضر .

ثم عزموا على ما زعموا ، وعملوا بما عهدهم . وخطرنا الى الخطر ، وحاولوا بما لهم من القدر مزاوله القدر . وتوغلوا في الأكمل ، وتوغلوا في الأجم . وتبطنوا في الأودية ، وتكمنوا في الأفنية . واحترسوا بالكمون<sup>(٣)</sup> ، واحترسوا من العيون ، وتحركوا على السكون . وكادوا يهاونوا الى الموضع ويحصلون على المطمع . ويدركون الطلاب ، ويهتكون الحجاب ، ويعيدون الى الحصن روحه ، ويأسون بعد اليأس جروحه . فعثر — بواحد عثر منهم — بعض المتصيدين فتصيدته ، وقاده وقيده . وأتى به الى صاحبه صارم الدين قايمآز ، واستغرب من الافرنجي هناك الجواز . فأخبره بالحال ، وأن بالوادي مكن الرجال . فركب اليهم في أصحابه ، والتقطهم من سرر الوادي وشعابه ، وركب الشجاع (مسعود) في طلب أولئك الأشقياء ، وانتشر الناس في تلك الأكناف والأرجاء . فما نجا منهم ناج ، ولا نجا راج . ولا عاش عاش ، ولا حصل عاثر بانتعاش .

فما شعرنا ونحن على صفد للحصار ، والساطان مغل من بيت المنشب على من حوله من الأنصار ، حتى وصل صاحب قايمآز بالأسارى ، مقرنين في الأصقاف ، مقودين في الأقياد . وكان فيهم مقلمان من الاستار ،

(١) الريدود : جمع ريد وهو الحرف الثاني من الجبل .

(٢) غرب الى الضر : تنزب عن وطنه وبعد مرضاً نفسه الهلاك .

(٣) الكون : الاعتناء والتواري .

وقد أشفيا على الثيلار : فان السلطان ما كان يبقى على أحد من الامبتارية والداوية ، فأحضروا عند السلطان المنية . فانطقهما الله بما به حياتهما ، وناجيا بما فيه نجاتهما . وقالوا عند دخولهما ، وأمام مشولهما ، ما نظن أننا بعد ما شاهدناك يلحقنا سوء ، فعرفت أن بقاءهما مرجو . وانتظرت أمر السلطان فيهما وأيقنت أنه يقيهما . فعال الى مقالهما ، وأمر باعتقالهما . فان تلك الكلمة حركت منه الكرم ، وحفنت منهما الدم .

واستبشرنا بانعكاس ما أحكمه الكفر من التدبير ، واتعاس من جردوه بالتدبير . وفتح الله علينا صفد ثامن شوال ، فشكرناه على أن مدد النعم متوال ، وسلمت القلعة الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها وال .

## ذكر حصار كوكب وفتحها

وجئنا إلى كوكب ، ووجدناها في مناط الكوكب . كأنها وكر العنقاء ، ومنزل العواء . قد نزلتها كلاب عاوية ، ونزعت بها ذئاب غاوية . ونزت فيها سباع ضارية ، وحمتها بحميتها وأبت النزول على أمينتنا ولو ينزل منيتها .

واختارت العطب على العطاء ، وامترت خيائف الخائف والشقاق للشقاء ، وأبت غير الإباء . وبصرت بالأمر قصبرت على الفهر ، وأصرت على تحمل الإصر . وترامت على التعامى بالمصائب ، وتعامت عن المرامي الصواب .

وقالوا ولوبي منا واحد لحفظ بيت الاستار ، وخلصه إلى الأبد من العار ، ولابد من عود القرنج إلى هذه الديار ، فتجلد للاضطبار ، وتشدد للانتظار ، قاتلوا أشد قتال ، ونازلوا أحد نزال . وفوقوا الجروح المصمية ، وصوبوا الصخور المردية ، ورفضوا المنجنيقات الموجية . وتواترت زيارات الزيارات الموترة ، وتناوبت نواب الزبوركات المطيرة .

واجترأوا على الاجتراح ، وجرى سيل الجراح ودما في الدم ، ورد الوجود إلى العدم . ونجثة الرجال ، والتجريد للقتال ، وإتار الحنايا ، وإتار المنايا . والرمي في المنجنيق ، وإلجم والتفريق ، والرقع والتخريق ، والنقب والتعليق ، والحفر والتعميق ، والحصر والتضييق . والمهد والمهد ، والرد والردم ، والصد والصدم .

وكان الوقت صعبا ، والفيث سكباً ، وتكاثرت السيول ، وتكاثفت الوحول ، ودامت الديم للموعها مريقة ، وبقيت الخيم في الطين غريقة . فلا مركب مبرك ولا مريط ، ولا لسالك مسلك ولا مسقط . وكنا في شغل شاغل من قلع الأوتاد وتودد الأقدام ، ووهى الأطناب ووقع الخيام . وكان الخيم مناغل الأتلاء ، وعلمت الأتوار لوجود الأنواء ،

وفقد ماء الشرب مع سيل الماء : والروايا مانهضت ، ولا لزعت ولا غمضت . والرواحل في الطين باركة ، وللحياة فاركة ، وللعلف تاركة . والمطية مطينة ، وسبل السيل مستينة . وقد كثر البرد بالبزد ، عن أسنان عضاضة بالبرد (١) . والطرق زلقة لزقة ، وهي مع سعتها ضيقة . وللتق (٢)

ثقل ، وللعقل عقل .

وما ثم الامانيط بالطين . وصعب علينا بصعوبة هذا الأمر أمر أولئك الشياطين ، فقل السلطان خيمته الى قرب المكان ، لتقريب وجوه الامكان . وبني له من الحجارة ، ماصار له كالستارة . فحضرت بين يديه والسهم تعبنا ولا تلعبنا ، والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهرنا . والنقاب قد قلع وعلق ، والجرحى قد هتك الحجب وخرق . وتجرد الجند ، وأجد الجند . ونزلت الأتقال والحيم الى أسفل التل ، فخف (٣) الثقل بنقل الثقل (٤) ، وطاب المقام بالغور وسهل بالسهل . وتحولت الشدة الى اللين ، وتحملت الى الطيب عقد الطين .

وما زال السلطان ملازما للحصن ، وهناك ظاهرة له منه أسباب الوهن ، حتى علق بعض جدرانه وطرق الدم الى بنيانه ، فتسلمه بامانة ، وأذهب سكون مكانه . فأخرجهم راغمين ، وأخرجهم غارمين . وتركوا الحصن بكل ما فيه ، وأصبحوا بعد مقاتلته للغو والمعافة معضبة . وذلك في منتصف ذى القعدة ، وانتصفت الأيام بحل تلك العقدة ، ورجعت الليالي بالسكون الى طيب الرقعة .

وعرضت القلعة على جماعة فلم يقبلوها ، وغلوها وأبوا أن يبلوها ، ونخلوا عنها بهمم واهية ، فوليها قايماز النجمي على كراهية ، بعزيمة عن مهامها لاهية .

وانتقل السلطان الى المخيم بالفضاء ، وحمد الله على قضاء التوفيق

(١) البرد : ذهاب الأسنان .

(٢) التقي : التزج من الطين .

(٣) في ب ثخفت وهو تحريف والتصحيح من ل .

(٤) الثقل : يفتح الثاء وسكون القاف : الأثمة .

وموافقة القضاء . وودعه (الأجل القاضل) على عزم مصر ، بعد ما استكمل لنا مدة مقامه بصدق اهتمامه وجد اعتزامه الفتح والنصر . ثم تحول السلطان إلى أرض ييسان ، وأزال اليونس وزاد الاحسان .

وأقام بقية الشهر ، في تمهيد مجد يقيم باقي الدهر . وظهر من الفضل ما لم يكن مستورا ، وأعطى الأمراء والأجناد في انفصالهم همتورا (١) . وسار ومعه أخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة ، واضح المحجة ، لائح البهجة . وأوجها إلى القدس في طريق النور ، وزاراه للبركة وتبركا بالزور ، ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر . وصل في قبة الصخرة ، ونصن ذوى الخصاصة بعميم المبرة . وعيد بها يوم الأحد الأضحى ، وأضحى بعد ماضى ، وقد أصبح مراده وأضحى .

وسار يوم الاثنين إلى عسقلان للنظر في مهامها ، ونظم أسباب أحكامها ، وتديز أحوالها ، وترتيب رجالها . وأقام أياما يوضح الجند ، ويصلح ما فسد ، وينشد من النفع ما فقد ، ويحمد من الشرماء وقد . فاذا وجد شعنا له ، وإن أنفى نشرأ ضمه ، وإن صادف فتقارقه ، وإن لقي حقا حققه ، وإن عثر على باطل عفى أثره ، وإن بصر بأمل خصه بعرفه وآثره ، ثم ودعه أخوه الملك العادل واستقل إلى مصر بعسكره .

ورحل السلطان على صوب عكا موقفا في مورده ومصلره ، فما عبر ببلد لإلا قوى عده ، وكثر عدده ، وواصل بالرجال ملده . وكنت انفصلت عن خلعتي إلى دمشق عند رحيله من ييسان ، لعارض مرض سلبني الامكان . والحمد لله الذى وفر حصبة الصحة ، وحول المحنة إلى المنحة . وكل الشفاء بعد الإشفاء (٢) ، وأهدى عند اليأس أرجى الرجاء .

---

(١) المستور : في الأصل النقر الذى يكتب فيه أسماء الجند أو الذى تجمع فيه قواتين الملك ، ويطلق أيضا على الوزير الذى يرجع في أحوال الناس إلى مآثره ، وصاحب القوة ، ومنه استهلال الدولة في كتابها إلى وزراءها بقولها «مستور مكرم» وهو مركب من دست بمعنى قاعدة ومن «وره» أى صاحب . ومن السياق يفهم أنه بمعنى أمر سلاطنتي (اللفاظ الفارسية المعربة لادى شبرط . ب ١٩٠٨) .

(٢) الإشفاء : الأشراف على الموت .

## ودخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة

والسلطان في عكاه مقيم ، والأمر مستقيم ، والنهج قويم . وهو يبوب أسباب حفظها ، ويسبب أبواب حفظها . ويهذب مراتب مصالحها ، ويرتب مناهب منافعها . ويعيد جوائح أمورها ، وينزل جوامع جهورها : ويتقوى ما وهى ، ويسوى ما هوى . ويحلى من الشان ما عطل ، ويعلى من للكان ما سفل . ويعيد نظم ما انتكث ولم ماتشعث ، ويحيي كل ما دعا الى بحث ما مات منه ويعث . ومكث بها لا يرمي القصر ، الى أن وصل جماعة من مصر . فأمرهم فيها بالإقامة ، محافظة على الحماية المستدامة . فأمر (بهاء الدين قراقوش) بأتمام بناء السور ، وإحكام أحكام الأمور . وولى الأمير (حسام الدين بشارة) بعكاه واليا ، ولم يزل لآثار الدولة في إشار العدل قاليا .

ثم خرج السلطان وسار على طبرية ودخل دمشق مستهل صفر ، وقد استكمل الظفر ، ووجه للدين به قد صفر ، وعز من آمن وذلل من كفر . وحزب الهدى قد أنس ، وقرر الضلال قد نقر . وجلس على سرير السرور ، وليس حير (١) الحبور . وبدأ بحضور دار العدل فترّ عدله للبادي والحاضر ، وأقام سفور بشره للمقيم والمسافر . وأفاض الفضل ، وشاح المحل (٢) . وأعلى أعلام العلماء ، وأحلى أحلام الخلاء ، وأمضى أحكام الحكماء ، وقضى بإكرام الكرماء . وأسدى المعروف ، وأعدى الملهوف . وأنكر المناهي ونهى عن المنكر ، وطهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر . وأقام مدة الشهر ، وأولياؤه جنة النصر ، وأعداؤه عناة القهر . وأيامه مسفرة ، ولياليه مقمرة ، ومغارس أياديه بثمار المحامد مثمرة ، ومجالس أعاديته في ديار الشدائد مقفرة .

والملك يزوهه زاه زاهر ، والدين يبهائه مباه باهر . والآفاق منيرة

(١) الخير من الثياب : التام الجند ، البرد الموشى .

(٢) الحل : الخلية والكيد .

والأنوار مفيقة ، وللنولة (١) حتى مدال (٢) وحقيقة . وللجد وافي (٣)  
جله ، وللجود وفي عهده (٤) . والسماح سماء تهمع (٥) ، وللمراد  
مراد يمرع . وللوجوه بالبشر بهجة ، وللألسنة في ديمة (٦) الشكر لهجة ؛  
وللهمم علو ، وللشيم سمو ، وللكرم نمو . وللفضل قيمة ، وللإفضال  
ديمة . وللشريعة شرعة واضحة ، وللحق سنة لسر الباطل فاضحة ، والصنائع  
رأجة ، والسرائع ناجحة .

---

(١) في ب ول وللنولة وفي أ (١٥٤ ش) والنولة .

(٢) مدال : متداول .

(٣) وافي : كامل غير منقوص وهي في أ (١٥٤ ش) أوفي .

(٤) في أ (١٥٤ ش) وللجود أوفرعة ، والمذكور هنا في ب ول .

(٥) المذكور في ب ول وأما في أ (١٥٤ ش) والسماء تهمع .

(٦) شبيقة في أ (١٥٤ ش) ساقطة في ب ول .

ذكر وصول رسول دار الخلافة والخطبة لولى العهد

— علة الدين أبى نصر محمد (١) بن — الامام الناصر لدين الله —

أبى العباس أحمد أمير المؤمنين

بتأريخ أوائل صفر وصل رسول منزل الرسالة ، ومقر الجلالة .  
ومربع الامامة ، وموضع الكرامة : ومطلع الهدى ، ومنبع الندى . ومشرق  
نور الايمان ، ومشرق فيض الاحسان . ومرجع المرجين ، ومفرج  
المتجنين ، ومتحى الناجين ، ومنجى المناجين . ومهبط الوحي ، ومصدر  
الأمر والنهى ، ومقصد نجاح السعى . ومخفف جناح الرحمة ، ومقطف  
جنى النعمة . ومجر ذبول المناقب ، ومجرى سيل المواهب . ومزار أملاك  
السماء ، ومدار أفلاك العلاء . ومحج ملوك الأرض ، ومحجة سلوك القرض .  
وموطن التنزيل ، وموطئ جبريل : ومقام الخلافة ، ومرام الرأفة .  
ومحل الأمانة ، ومحل الديانة : ومطاف الطائفين ، ومطار الماكفين ،  
ومعرف الواقفين ، وموقف العارفين ، وقبة المقبلين ، وموئل المؤمنين ،  
وكعبة اقصدين ، ومثابة الواقدين . ومقر وجوه العظماء ، ومكفر  
ذنوب الكرماء .

ومعصب السيادة اقرشية ، ومنصب الوراثة النبوية ، والسدة الشريفة  
الناصرية . ودار السلام ، وقبة الاسلام .

فاجتمع السلطان بوصول الرسول ، وأيقن بوصول السؤل . وسريره  
وأبريره ، وصل بر بشر الانشراح صدره ، وقدر على الاتسام بالتسامي  
قدره . واحتفل بأسباب التلقى ، والتحف بأثواب الترقى . وسأل عن الرسول

---

(١) عبد بن الإمام الناصر لدين الله . هو الخليفة الظاهر بأمر الله ، أبو نصر محمد ابن  
الناصر لدين الله تعالى أبى عباس أحمد ، الملقب بـالباسي البغدادي ، كان مولده سنة ٥٧٠ ،  
وأه أم ولده ، ول الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢ هـ ووقت له شذائده إلى أن مات سنة ٦٢٢ هـ  
كان فقيهاً عادلاً ، قطع الظلمات والكورس ( النجوم الزمرة ٦ : ٢٦٥ . دار الكتب ) .



المستوب ؛ لسؤال المخطوب . فقيل هو ( ضياء الدين عبد الوهاب ابن  
سكينة (١) ) ، وصل بالضياء والسكينة ، والأحوال الحالية المزينة .

وكان وزير الخلافة يومئذ ( معز الدين بن حديدة (٢) ) فعين لهذه الرسالة  
( ابن سكينة ) حين عرف آراءه السديدة . فتلقيه - يوم دخوله إلى دمشق -  
السلطان وأولاده ، وكان يوما مشهوداً حضره أعيان البلد وأماثل العسكر  
وأشهاده . وأنزله في دار الكرامة ، ورتب له وظائف الإقامة . ثم جلس له  
في يوم سعد صباحه ، وبدت في جبهة الدهر البهيم غرره وأوضاحه ، وملأت طرفي  
الزمان والمكان أفراحه ، وجاء على وفق الآمال اقتراحه ، وختم باليمن  
والإقبال رواجه . وورد بكل ما أبهج الأولياء ، وأزعج الأعداء . وخطب  
السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أعزه ، وثنى عطف ثباهيه وهزه . ورسا له  
طوداً بالوقار في إيراد الرسالة ، وجلال له في مهب المهابة أنوار الجلالة .  
وتلفظ له بالفضل ، وتطوق منه بالتطول . وبشر بأن أمير المؤمنين فوض  
ولاية عهده ؛ إلى ولده - عدة الدين - أبي نصر محمد من بعده ، وأخذ  
بليلك العهد على من حضره من أعيان الأمة ، وحفظ عليهم بتوليتهم ما أولاهم  
الله به من النعمة .

وأمر بأن ينظم له بمصر والشام وجميع بلاد الإسلام . فاستبشر بهذه  
الموهبة ، واستظهر بما يخص به من هذه المرتبة . وأمر بذكر اسمه ونقشه  
في الخطبة وعلى السكة ، وعاد الإسلام به ظاهر الشوكة والشكة (٣) .

---

( ١ ) ضياء الدين ابن سكينة ؛ هو ضياء الدين عبد الوهاب بن عل ، الشيخ أبو محمد  
الصوفي ، المعروف بابن سكينة ، سبط شيخ الشيوخ اسماعيل بن أحمد النيسابوري ، كان فاضلاً  
عديداً ، عابداً زاهداً ، توفي سنة ٦٠٧ هـ - ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٠١ ط . دار الكتب ) .  
( ٢ ) معز الدين ابن حديدة ، هو الوزير ، الرئيس ، سعد بن عل بن أحمد ، أبو المعالي ،  
ابن حديدة ، من ولد قطية بن عامر بن حديدة الأنصاري الصحابي ، كان مولده بكرخ سامرا  
( بالعراق ) سنة ٥٣٦ هـ ، وكان له مال كثير ، استوزره الخليفة الناصر لدين الله ، وقم له بعد  
ذلك عن - فهرب واختفى إلى أن توفي سنة ٦١٠ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٠٩ ط . دار  
الكتب ) .

( ٣ ) الشكة : السلاح .

وخطبنا لولى العهد بلمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر ، ولم يبق من الأمراء والأماثل والأفاضل الا من حضر ، وأحضر معه ائذنانير ونثر . وتولى ذلك الملك الأفضل فأظهر أبهة ملكه وبهاء فضله ، وحصل الإسلام من رى رأيه على نهله وعله (١) .

ونذب الرسالة إلى الديوان العزيز ( ضياء الدين الشهر زورى ، القسم (٢) ابن يحيى ) لينشره ما كاد يعفون من سنن الموافاة ويحيا . وسيرت معه اغدايا ، والنحف والطرف السنيا . وأسارى القرنج القوارس ، وعددها الكوامل للنفائس . وتاج ملكهم السليب والصليب والملبوس والطيب .

وأضفيت على رسول الإمام ملايس الإكرام ، وققل ناجيح المرام . واصطحب الضياعان لإضاءة مطالع الإيمان ، بسفارة سافرة عن سنى الإحسان ، وبشارة شائرة جنى النحل من نحل الجنان . واهتزت الأعطاف ، واعتزت الأطراف . واتسمت ثغور الثغور لسدادها ، وانتظمت أمور الجمهور لسدادها . وسرت القلوب وسريت الكروب . وخزى الخاسد الخاشد ، وقوى الساعد المساعد . وواصل فى طريقه الاغذاذ ، حتى وصل إلى بغداد . فلقى الرسول بالسول ، وقوبل بالقبول . وخرج إليه الموكب الشريف ، وأضيف له إلى تالد جلد القديم جلد الحديد الطريف . ودخل البلد وأسارى القرنج على هيئة يوم قراعها ، راكبة حصنها فى طوارقها ويبارقها وأدراعها ، وقد نكست بتودها وأنعست أنوفها . وهبّت على هيئة فتوحنا حتوفها ، ووقف على العتبة الشريفة واستقبلها وقبلها . ثم عطف به إلى دار الكرامة فنزلها :

وألنى الوزير ابن حديدة قد عزل ، وأقام فى بيته واعتزل . وتصدرفى الدمت للنيابة ، وسماع الخطاب والإجابة ، من له المجد الأثير ، الصدر الكبير ، مؤيد الدين صاحب ديوان الإنشاء ، وقد خصص بتولى الحل والعقد والأخذ والإعطاء . فتولى سماع الرسالة وجوابها ، وتولى صوبها ووالى صوابها . وسيأتى فى موضعه ذكر ما انتهت إليه الحال ، ويجرى به القال ، وكيف شغلت انوائق وعناقت الأشغال :

(١) طه : لعل ، هو الشرب للمتاع .

(٢) فى النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٨٤ ( القسم ) .

## فصل مما كتبه في المعنى عن السلطان إلى الديوان العزيز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال ، وأداه من فرض الإنعظام والإجلال . وقام به من الأمر الذي قام به أمر الدين والدنيا ، وبأمر إليه من استثمار طاعته التي دامت لها من نعمة الدار العزيزة في ازكاء مغارسها السقيا . وحل حبا (١) الحب لما حل من حباها ، وعقد خنصر النصر أزمه على ما اعتقده من ولائها ، وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع أمره من أسعاده ، واستجد عهد الجدد المورق الموثق بما جاد ثراه من ثرات (٢) عهادها ، ونهض من الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين . وأبرم من عقد عيوديته الكاملة ما تقاصر عنه تطاول الناقصين الناقضين . ووفق لما وافق المراضى الشريفة ففاض بما حاز من شرف الرضى ، واقتضى دين الدين الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه بما قضى . وسبق إلى ما سبق به جواد صدقه في جواد قصده ، وافتتح فريضة طاعته في حلالة عيوديته بتلاوة فاتحة حمده ، وانتهى إلى نهاية النهى ، وأطاع ما أطاق فيما أمره به ونهى . وما وضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعاء يده ، وسأل الله لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين وافد النصر ومدده . وأن يعضده بولده ولـي عهده المطاع بأمر الله عدة الدنيا والدين ، ويقربه عيون المسلمين . فقد فاضت البركات ، وآضت الحسنات ، وأضاعت الكرامات ، وراضت جماع الأماني المبرات المبرات ، وهاضت جناح الكفر التنتكات المرديات . وعمت الميامن ، وتمت المحاسن ونسبت ونسبت النعم الظواهر والبواطن ، وضمت بسكون الدهماء أهلها المعاهد والمواطن . وصلحت المنابر ، وصلحت المفابر ، وصعدت الأوامر ، وصلحت القوافر (٣) وصلحت قلوب أهل التفاف من بواعث الرعب البواعث البواذر . ونقشت صفحات الدرهم

(١) الحبا : هنا بمعنى الحباة .

(٢) ثرات : هنا بمعنى عزيز وكثير وواسع .

(٣) صدف القوافر : صدف ، مالت وانحرفت . والقوافر جمع فائرة وهي الدابة

للشديدة فكأنها تكسر فقر الظاهر .

والدينار ، ونعشت عثرات الأخيار الأحرار ، وفرشت مفوقات الأنواء  
والأكتوار . وعرشت أسرة المبار والمبار ، ورفعت رغبات الأبرار ، وسمعت  
دعوات الأسحار .

ونزل النصر ، وفضل العصر ، ووجب الشكر ، وشجب الكفر ،  
ورحب الصدر ، وأصبح الدهر . وسحت سماء السماح ، وصح إرواء الأرواح ،  
وتضموع نشر الانشراح ، وتوضح صباح الصلاح ، وطال جناح النجاح  
وطاب جنى الأفراح .

وعظم القدر ، ونظم الأمر ، وحسن الذكر ، وأمن الذعر . واهتزت  
أعطاف الإسلام ، واعتزت أطراف الشام ، وتباجت أيامن الأيام ،  
وتزوجت أماني الأنام . وأرجت أرجاء الرجال . وثبتت باسناء الإستاذ  
رواية أمالي رى الآمال . وقرت الأعين وابتهجت بالسعد الطالع ،  
وأقرت الألسن والتهجت بالحمد الجامع ، وقرت الأنفس وانتبهجت  
بوسعها سنن العز الواسع ، ونابت هذه الموارد العذبة المشارب ، الصافية  
المشارع ، فى تقع الأوام وققع الأنام مناب المنابع . وأخت السير وسيرت  
التواريخ ، وحلقت ملطقات البشائر ليوجب تفخيمها وتفخيمها التضمين (١) .

وأشرق المغرب من بشر البشرى ، وأنارت مصر من حسن هذه الحسنى  
وبسمت بسمة الشرف منابر الأفاضل والأداني موافقة لمنبر المسجد الأقصى .  
وتطرزت الفتوحات الفاضل عصرها الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب ،  
وفاحت فى مهاب المحاب تفحات هذا الزمن الأطهر الأطيب . وعاد الزمان إلى  
اعتداله وعاد العدل بزمانه ، وتاب الدهر من عدوانه ، وآب إلى إحسانه ،  
ورجع الدين إلى سناء سلطانه ، وفجع الكفر بعيدة صلبانه ، وبطاش الإيمان  
بأيمانه ، واستخلص من الشرك بلدانه بلدانه .

وتقاضى الربيع بقروضه ، وضافت ضيوف فيوضه ، وعتب العزم

---

(١) التضمين بالطيب . التطلع به .

(٢) لدانه : ليه ورقه وسلاحه . وتطلق اللدان على السلاح أيضا .

على ربوضه ، وحض الحظ على نهوضه. وحث الحب على إقامة سنن الجهاد وفروضه . فتلحدرت أفاريق الآفاق. وخرت أشعة الإشراف ، وافترت نضرة الحدايق لنظرة الأحداق ، وراقت أوراق الألوكة كالتواء الأوراق ، وأزهرت البيض والسمر كأزهار الرياض ، وأنفت غرار البخون في الأغمام من الاغماض .

وتيقظت الأقدار . للإقذار على ايقاظ عيون البيض لإجراء دم الشرك المطلول ، ونزل البركات في انتجاع المراق من نجيح المارقين لإنزال نص النصر على النصل المسلول ، وقد آن أن ترعى الحشاشات منهم على رعى الحشيش ، وبطير إلى أوكار القل طير السهم المريش ، وترتع ثعالب العوامل في عشب الكلى ، ويطن ذباب المتاصل في لوح الطلى ، وترن رفاق المرهقات في الرقاب رنين الخطب على الأعواد ، وتلوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب الثلوج على رؤوس الأطواد ، وتحمل أشجار القنا بثمر المام (١) ، ويمجيش القضاء المعشب بزهر الجيش اللهم ، ويقطف ورد الموت الأحمر من ورق الحديد الأخضر ، ويوقف حد الهندى الأبيض على قصر بني الأصفر . ويمجرى في ورد الوريد جداول البواتر ، وترمى من الحصن (٢) العاديات إلى حصون العدا جنادل الخوافر ، وتكفل بما وعد الله من الظفر الظاهر ، والظهور المضافر ، ضوامن الضوامر ، وتتل عقبان رايات الفتح والكسر من عقبان الجو بالفتح (٣) الكواسر ، ويعبق ثوب الدارع من ردة الثواب بسبك الماذى (٤) وتعلق في ملتقى التقي أفتات السمهرى (٥) ، بلامات السابرى .

ويظهر الحق بخذلان الباطل ، ويحل بأيدى الأيد ما بقى مع الفرنج من معاقل المعازل ، ويفرق بحر المجر الجرار ما تخلف من ساحات الساحل . فلم يبق به من المدن المنبعة إلا صبور وطرابلس ، ومعالم الكفر بهما في هذه السنة المحسنة بعون الله تدرس . وأما أنطاكية فلنأبها بالعراء منبوذة ، وعند

(١) في ب المام والتصحيح من ل .

(٢) في ب الحصون والتصحيح من ل .

(٣) الفتح : تخالب الأسد .

(٤) سهك الماذى : أى السحق الذى يحده كل سلاح من حديد .

(٥) السمهرى : القرح الصلب .

الانجاء إليها مأخوذة ، على أنها يوقم قومها عام أول موقودة ، وحدود  
الزائم إليها عند انقضاء هذتها مشحودة . فلها قد نقصت من أطرافها ،  
ودخل عليها من أكتافها ، وجلدت بفتح حصونها عرائنها (١) . وضيق  
على أسدها وسيدانها (٢) المحصورة المشورة فيها عريتها ، فهي نهزة لمقرص ،  
وطعمة لمقتنص ، وسلعة لمسرخص ، وبلغة لمستفحص .

وقد خرج الخادم ليدخل البلاد ، ويستأنف بجهد الجهاد ، ويستقبل  
الربيع بربيع الإقبال ، ويستزل ملائكة النصر من سماء الرحمة لأوقات  
الزوال ، وهو يرجو ببركة هذه الأيام الزاهرة من الله أن ينجد جند أرضه  
يخند سمائه ، ويوفق الخادم لتصديق أمه في تطهير الأرض من أنجاس أجناس  
المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه . فالجحافل حافلة ، وأسراب الكفر بين  
يديها جافلة ، ومعاطف الإسلام في لباس الباس رافلة ، ونصرة الله بانجاز  
عبداته في قمع عدائته كافلة .

والحمد لله الذي وفق عبد مولانا أمير المؤمنين في طاعته لنصر أمره ،  
ولإخلاص الولاء له في سره وجهره ، واقتناء كل منقبة حقق بها فضل عصره .  
وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره . فما يفتح مرتجى (٣) إلا بتقليدها ،  
ولا يستجح مرتجى إلا بتأييدها .

---

(١) العرائن : جمع عرئين وهو هنا بمعنى الأنف كله أو ما صلب منه وهذه كناية عن أنه  
كل ركن قوى فيها قد سقط وذلت بالنصر عليها .

(٢) سيدانها : ذئابها .

(٣) المرتجى : الطريق الضيقة .

ذكر خروج السلطان من دمشق لأجل شقيق أرنون

وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق وقد أطاب المناشق الآمال من نشره  
النشق، ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم الجمعة بالمعجة المجمععة،  
والهابة الممتعة، متوجهاً إلى شقيق أرنون ليقر بفتح العيون، ويصدق  
في استخلاصه الظنون.

وأنى مرج برغوث، وأقام به إلى يوم السبت حادى عشر الشهر يستظر  
من عساكره البعوث، ثم رحل على سميت بانفاس وقد أوقع رعبه بين أهل  
الكفر الياس، وأنى مرج عيون (١) وخيم منه بقرب الشقيق، وجمع على  
من به من آلات الحصار أسباب التخويف. وذلك يوم الجمعة سابع عشر  
ربيع الأول في أواسط فصل الربيع.

وأقام في ذلك المرج الوضيع، والمرض الوضيع، وأسمنا الخليل في أعشاب  
واصية، ورتعنا في ألطاف من الله دانية غير قاصية. وكان الشقيق في  
يد صاحب صيداء - أرناط، وقد أكل في حفظه الاحتياط. فنزل إلى خدمة  
السلطان لحكمه طائماً، ولأمره سامعاً، وارضاه تابعا، وفي موضعه شافعاً،  
وعلى حصنه خاشعاً، ولأجله خاشعاً.

وسأل أن يمهل ثلاثة أشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من أهله،  
وأظهر أنه محترز من علم المركيس بحاله فلا يسلم من جهله، وحيث لا يسلم  
الموضع بما فيه، ويدخل في طاعة السلطان ومراضيه، ويخضعه على إقطاع يغبه،  
وعن حب أهل دينه يسليه. فأكرمه وقربه، وقضى إربه، وأجابه إلى  
ماسأله، وقبل منه عزيزاً ما بدؤته بلدته، وأمهى غرب غربه وأمهله، وأخذله  
وما أخذله، وخلع عليه وشرفه ورفع في ناديه بنداؤه وعرفه، واقتنع بقوله  
ولم يأخذ رهينة، ووجد إليه سكونا وعنده سكونية.

---

(١) مرج عيون : مرج واسع بين نهر اليرموك وشقيق أرنون (النوادر السلطانية  
ط. ليدن رقم M).

فشرح ارناط في إزالة (١) حصته ، وإزالة وهنه ، وترميم مستهلهمه ،  
وتتميم مستحكمه ، وتوفير غلاله ، وتوفيره رجاله ، وتدبير أحواله ، وتكثير  
أمواله ، ونحن في غرة من تحفظه ، وفي سنة من تيقظه ، وفي غفلة من حزمه ،  
وفي غفوة من عزمه .

وكان يتناح من سوق عسكرنا الميرة ، ويكثر فيه الذخيرة . وقد صدقنا  
كذبه ، وحققنا اربه . وأنسى إلى السلطان ما هو مشغل به من عمارة  
يحبها ، وذخيرة يعدها ، وثلمة يسدها ، وقوة يشدها ، وميرة يستملها .  
وكان بالمذكور شديد الظن . شديد الضن (٢) . لا يقبل ما فيه يقال ، ولا يظن  
به عثوراً يقال .

فلما كثر فيه القول ، وتمكن من مسأله القول (٣) لم يرد أن يبدى له  
ما قيل ، ولم يصدى بالتغير عليه وجه جابه الصقيل . فأمر بالانتقال من المرج  
إلى سطح الجبل ، وتحويل الخيم إليه والقتل . وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر  
جمادى الآخرة . وأظهر أن المرج وخيم ، والمقيم به سقيم ، وأم الدهر فيه  
بالصحة عقيم .

وكان المقصود أن الشقيف من عيانه يقرب ، وأنخباره عنه لاتعزب .  
فلما علم صاحب الشقيف بقربه ، شرع في إزالة ما في قلبه . وجاء إلى الخدمة  
واستمسك بالعصمة . وذكر أنه متميز بذل الطاعة ، وبذل الاستطاعة .  
وتضرع خاضعاً ، وتعرض خاشعاً . وذكر أنه تخلف له أهل بصور ، وأنه  
كان زمان غيبته يرجو منهم الحضور . وأنه يترقب وصولهم ، ويأمل  
عنده حصولهم . وشرع في تقرير هذا الحديث ، وتمهيد علته فيما يتوهم  
من عهده التكبر التكريث . وأقام يوماً وعاد إلى حصته ، وقد وجد من  
السلطان دلائل أمته .

وكانت المدة قد دنا انتهائها ، وقرب انقضاؤها . فلما إلى آخر هذا الشهر ،  
ولم يجد بداً من التسليم أو الفدر (٤) . فعاد بعد أيام ، باكتئاب واغتمام .

( ١ ) في ب إزالة والصحيح من ل ومعنى كلمة أزال هنا كناية عن التورية والتوسيع . أزال  
التوب : جعل له ذنباً .

( ٢ ) الضن : ما يظن به من الشيء والمضى هنا كناية عن عدم التسليم بما يقال فيه .

( ٣ ) الصلاح .

( ٤ ) في ب الفدر والصحيح من ل .



وحضر عند السلطان فقال ما أظهر به الإجهال ، واستزاد الإمهال . وذكر أنه رقيق الامتنان ، وعتيق الإحسان . وأنه العبد القن (١) ، وقد دخل عليه الوهن ، وغلق به الرهن ، وأنه يبقى أهله معتقلين بصور إن خرج منه الحصن . ومن أنشأ غرساً سقاء فأبقاه ، وأشكاه فأزكاه ، وأسماه فأئماه . وقد اصتنعتي ورفعتني فلا تضع الرفيع ، ولا تضع الصنيع . وسأل أن تكون المدة سنة ، وأن يتبع الحسنة في حقّه حسنة . وأن يرخصي بطوله طوله وأن يشقّ بشقاء أله أمله .

فراقه قوله ، فرق له طوله ، ثم أفكر في أمره ، واستمر في فكره ، فغادره على عزيمة غدره ، وجاهره بسر شره . بعد أن ماطله وطاوله ، وزاوله على ما حاوله . وأقام أياماً يردده ويخصه من الكرامة بما يجده .

ثم كشف له العطاء ، بعد أن أجزل له العطاء . وقال له . « قد قيل عنك ما لا نظنه فيك ولا نعلمه منك » . فجحد ماعنه رقى ، وأنه كيف يلقى بالكفران ما من الإنعام لقي ، وأنه إن لم يسعد بأمهاله في الشقيف شقى .

ثم سأل في نذب من يوثق بأمانته ، ويؤمن إلى وثاقته . ليدخل الموضع ويلمحه ، ويحضر بوصف ما شاهده ويشرحه . فرجع المثلوبون بخبر ما أبصروه ، وذكر أن الحصن قد غيروه . وأنه قد استجد في سورة باب ، واستمدت له من أحكام إحكامه أسباب ، فاستحكم به الارتباب ، وعرف أن السرح قد حوته الذئاب .

فوكّل به وحفظ من حيث لا يعلم ، وقيل لعله يحسن فلا يجوز إلى مقابخته ويسلم . ثم قيل له « قد بقى يومان من الملة المضروبة ، والمهلة الموهوبة ، فتقيم عندنا حتى تنتهى الملة وتنقضى ، وتُسَلِّم الحصن وتُسَلِّم وتمضى . فأبدى ضرورة وضراعة ، وقال : سمعاً وطاعة . وكان له ماقى وملقى ، وفي لسانه ذلقى ، وما عنده من كل ما يفرق منه فرق . وقال « أنا أنفذ إلى نوابي في التسليم » . وهو قد تقدم إليهم بالوصية والتعليم . فآظفروا عصيانه ، وقالوا يبقى مكانه . فقال قد بقى من المهلة يومان فماذا العجلة التي يفوت بها الغرض ، ويطول منها المرض ؟ فصيّر عليه إلى يوم الأحد ثامن

(١) عبد قن : ملوك هو وأبواه .

عشرى جمادى الآخرة وهو آخر ملته ، وأول شدته ، وأوان انقضاء  
علة عدته .

وقد رتب على الشقيف يزكا بمنع الخروج والدخول ، والصعود  
والنزول ، وبضايق غريمه المطول ، قبل أن يمتد حصاره ويطول .

وحمله جماعة من الأمراء ووقفوا به إزاء حصنه ، فناداهم في دراك  
أمره ، وفكأك رهته . فخرج إليه قس قاس ، بأسرعن بأس ، فحادثه  
في حادثه بلغته ، وناقته (١) في كارهه (٢) بغلته ، وتجاوزا في السر ،  
وتشاورا في الشر . وكأنما أمره بالتجلد ، وصبره على التشدد .

وعاد القس الشقى إلى الشقيف ، وترك صاحبه عائيا بالعناء العنيف ،  
فقيّد وحمل إلى قلعة بانياس ، وبطل الرجاء فيه وبان اليأس .

ثم استحضره (٣) في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه ،  
على أن يبلغ المراد في شقيفه . فلما لم يفد خطابه ، ولم يجد عذابه ، سيره إلى  
دمشق وسجنه ، وأزمره شجاء وشجنه .

وتحول السلطان من نخيمه إلى أعلى الجبل يوم الأربعاء ثامن رجب  
لمحاصرة الحصن ، ورتب لها (٤) علة من الأمراء ، وأمرهم بملازمة (٥)  
في الصيف والشتاء ، إلى أن تسلمه بعد سنة بحكم السلم ، وأطلق صاحبه ،  
وأجرى عليه حكم الحلم .

---

(١) خطابه .

(٢) كارهه : الكارث هو الأمر القوي . يجب العلم الشديد .

(٣) يقصد السلطان .

(٤) أى البلاد .

(٥) يقصد الحصن .

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الأحوال

وما كان من غزواته ونهضاته ووقعاته في حرب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الأسر ،  
وقالوا : نحن في جمع جم خارج عن الحصر ، وقد توصلت إلينا أعداد  
البحر ، فربنا للثار ، وأعرنا من هذا العار .

وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور ، وفارقوا بالاستطالة  
القصور . وجرت بين المركيس المقيم بها وبين الملك مراسلات ، وحالت  
بين اتفاقهما حالات . فلم يمكنه من دخول البلد ، ولج معه في اللد (١) .  
واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر ، وأنه منتظر لما يرمونه  
من الأمر ، ويصله من الأمر . ثم اتفقوا على أن يقيم بصور المركيس ، ويلوم  
منه لملكهم التأسيس ، ولملكهم التأنيس . وأنهم يجمعون على حرب المسلمين  
وقتلهم ، ويتساعلون على رم ما تشعث من أحوالهم ، ويتماقنون (٢) على  
حل إشكالهم ، ويتعاضدون في تسديد اختلالهم . ويقصلون بلداً إسلامياً من  
الساحل ، ويقيّمون عليه بالنوازل إقامة المنازل . والمركيس بمدهم من صور  
بالمدد بعد المدد ، وبجميع ما يحتاجون إليه من الميرة والأسلحة والعدد .  
فأجمعوا على هذا الرأي ، وبلغوا في النفي إلى هذه الغاية . وشرعوا فيما  
شرعوه ، وفرعوا ذروة الأصل الذي فرعوه .

ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى من اليزك ، أن  
جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر (٣) إلى المعترك ، وأنهم على قصد  
صيداء الحصر ، وقد جسروا على عبور البحر . فركب السلطان في الحال  
فيمن خف من قتال الرجال ، وأقتال (٤) القتال ، وأطلاب الأبطال .

---

(١) اللد . شدة الحصوة .

(٢) فب يتماقنون والتصحيح من ل ومن أ . ( ١٦٤ هـ )

(٣) الشايد السواد .

(٤) قتال : نجح قتل بكسر التاء وهو القرن أو الصديق .

وأنجاد الأجناد ، وأجلاد الجلود ، والباذلين المهج للجهد فى الجهاد .  
 ووصل إلى الملتقى والشغل قد فرغ ، والسيل قد بلغ . والصدمة قد وقعت  
 والوقعة قد صدمت ، والثورة قد ثارت ، والسورة قد أسارت (١) . فإن  
 البركية لما شاهدت جاهدت ، وتعاقبت على لقائهم وتعاضدت . وخالطتهم  
 وبأسطنتهم ، وواقحتهم وواقعتهم ، وجالذتهم وجاولتهم ، وحارذتهم (٢)  
 وحاولتهم . وردتهم مفلولين مخلولين ، وصدتهم مهزومين مثلومين .  
 وقسرتهم وكسرتهم . وأسرت سراهم ، وبزت بزاتهم ، وقصبت عقباهم ،  
 وقصمت شجعانهم . وصادت صيدهم ، وفرمت فرسانهم . ووقع فى الأمر  
 من مباعهم سبعة ، وغودرت للنسور من أشلاء المارقين بالمأزق شعبة .

واستشهد من الممالك الخواص (أيك الآخرى) - وقد كان شهماً  
 بالوقائع يتحرش ، وثبتا بالروائع لايتشوش ، وأنيساً بالحوادث لايتوحش ،  
 وكياً كيشاً بالكوارث لايتكمش . وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان  
 وكانت الدائرة على أهل الشرك والظفان .

وعاد السلطان إلى خيم ضربت له بقرب اليزك ، وقال لعلهم يعودون  
 إلى ذلك المعترك ، فستلرك ما فرط من استصبالهم واجتثاثهم ، وقد ندم  
 الفرنج على ما نذر من اجترأهم وانبعاثهم . وأقام إلى يوم الأربعاء تاربع عشر  
 الشهر ، والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوى الظهور ، وركب فى ذلك  
 اليوم ، ليطلع من الجبل على القمم . ولم يكن له نية القتال ، فلم يستصحب  
 معه من يستظهر به من الرجال . وتبعه راجل كثير من غزاة البلاد بغير  
 علمه ، وظنوا أن السلطان إنما ركب للقتال وعلى عزمه : وكان الفرنج قد  
 بصروا بالراجل فطمعوا فيه ، ثم ظنوا أن وراءه عسكريا فى الكمين يهجمه .  
 وأنفذ السلطان بعض الأمراء إلى الغزاة ليعودوا فما قباوا ، وحمل  
 عليهم العدو فأسروا وقتلوا . وختمت بشهادة أولئك السعداء تارك العشية ،

(١) أسارت : بقيت .

(٢) حارذتهم : أى كانت تعطى ثم تمسك . وحاولتهم : أى أرادت وطلبت الشيء بحيلة .

ونفذت من الله في استشهدهم المشية . وحمل الحاضرون من الأمراء والعسكرية على الفرنج حملة أردتهم وردتهم : وصلغتهم عن الجراءة وصلغتهم . وتراحموا على الجسر ففرق منهم زهاء ثمانين في النهر . وكان يوما علينا ولنا ، جنى أُلنا وأجنى أُلنا . والحرب رجال والحرب سجال . ولم يكن لأولئك الغرياء بقتال الفرنج درية ، وإقدامهم على العدو لله قربة . فحاضوا من الدم في اللجج ، واعتاضوا الجنة من المهج .

ومن لقي الله بالشهادة ؛ وختم له بالسعادة ؛ ( الأمير غازي بن محمد الدولة مسعود بن البصارو ) - وكان شابا لنار الحرب شابا ، ولدين الرب رابا . ولما شاهد ما تمّ من الغزاة ؛ انقض في أصحابه على الفرنج انقضاض البزاة . فلدعته جنته ، إلى طعنة لبثها لبته . فاحتسبه عند الله والده ، وكُدّرت عليه موارده . وأوجد جمعنا الأسمى على فقد ذلك الواحد ، وساء علم الساعد ، وبتنا نشكر مساعي ذلك المساعد . وضائق القلوب ، وفاضت الكرب . وألمّ البوس ، وألمت النفوس .

وهذه وقعة ندرت ، وواقعة بنرت ، وتلير حدث وحادثة أنلرت . فلم يصب الكفار من المسلمين مذل أصيبوا غير هذه الكرة ، وأذاقونا بعد أن حلا لنا جنى الفتوحات مرارة هذه المرة ، فأيقظتنا من رقدة الغرة . وأخذ الناس حلزهم ونلروا وعقلوا على الانتقام نذرهم . ثم رجعوا إلى الله وقالوا : « بهذا وعد الله حيث قال ( فيقتلون ويقتلون (١) ) ، وعباده هم الذين يتبعون أمره ويمثلون » .

ثم قويت عزيمة السلطان على قصدهم في تخيمهم ، وكسبهم في مجثمهم . وعبور الجسر إليهم ، والاحتلاق بهم من حواليتهم . وشاع صيت هذا العزم وصوته ، وأسرع الناس إلى موسمهم وخشيت فوئته . وتسامع أهل البلاد ؛ بتصميم عزيمة الجهاد . فتباشروا وتبادروا ، وتسابقوا وتسارعوا . وأتوا من كل فج ، وجاموا من كل نهج . وسالوا في كل واد ، وجالوا في

كل بفاع ووهاد . ووافت مطوعة دمشق وحرّان (١) ، يجرّون إلى مر  
الموت ويجرّون المّرّان (٢) . وتوافد من بالبرج والغوطة ، على الحالة  
المغبوطة ، وقالوا : « هذا أوان احضار الضوامر المربوطة » .

واجتمعت ( بمرج عيون ) ، جموع مرجت العيون . فخافت الفرنج  
من هذا الجمع ، وأنافت (٣) على القمع . وتعكّست إلى سور صور ، وعابن  
أولئك البور الثبور . ونحزّوا ونحرموا ، وتوجلّوا وتوجسوا . فاقتضت  
الحال تأخير قصدهم ، ليتمكن على غرتهم حشدنا من حصدهم .

وعاد العسكر إلى المخيم وسار السلطان إلى ( تبّنين ) ، صبيحة يوم الخميس  
السابع والعشرين . — لتتقدّ أحوالها ، وتؤمل أعمالها ، وعرض رجالها .  
ثم صار منها إلى عكاء جريدة ، ورتب في عمارتها وولايتها أحوالا سديدة .  
ووصى رجالها بالاحتياط والتحفظ ، والاستظهار والتيقظ . وأسرع عودته  
إلى المعسكر ، عظيم المفخر ، كريم المعشر ، موفق المورد والمصدر ، مقرّظ  
المنظر والمخبر . وأقام إلى يوم السبت سادس جمادى الآخرة ، وبجرّ نعيمه  
بموج بأموال العساكر الزاخرة .

---

(١) حرّان : كورة واسعة من أعمال دمشق تتبعها قرى كثيرة ومزارع سكنها كثير  
من العرب ( يلقوت ج ٧ : ٣١٧ - ٣١٨ ط . ب ) .

(٢) المّرّان : الرماح اللينة في صلاحة .

(٣) أنافت : أشرفت ، وطالت وارتفعت .

ذكر ما تم من استشهاد عدة من أمراء العرب

وانتهى إلينا أن القرعج يتشرون في الأرض ، وينسطون في موضع القبض ، ولا يحفظون في الرفع والخفض ، ويحتلبون ولا يمتاطون . ويحتشون ولا يمشون . ويحنون ثمار الجبل ، ويحنون على من يصادفونه بأنواع الغيل . وهم في غرة من غارة ، وفي جسارة تعود عليهم بخسارة . وفي غفلة نجر عقلة (١) ، وفي ضلة ترفع عليهم من العذاب ظله . وأنهم إذا خرجوا للاحتشاش والاحتطاب ، وانتشروا لقم الأعشاب من الشهاب ؛ خرجت وراءهم خيل تلحظهم على بعد ، وتحفظهم من متعد .

ونفذ السلطان إلى خيل تبين ، وأمرهم بأن يصبحوا أولئك الملاعين . فإذا خرجت الخيل إليهم تطاردوا قدامها ووصلت بها الكمين . وذلك يكون في صباح الاثنين ثامن الشهر المذكور ، وواعدهم على هذا السر المستور . ونفذ إلى عسكر عكا ليكن (٢) في موضع عينه ، ولا يظهر مكمنه . حتى يكون من وراء القوم ، مستعدا لما ينالهم من الوقم .

وسار السلطان ليلة الاثنين على الموعد ، مصدقا للمقصد . وصادف خيل تبين قد أغارت وأثارت ، وأبرت وأبارت . فعبّر تبين وكن بين صور وبينها ، وعين البزكية وأوقد عينها . ورتب ثمانية أطلاب من الأبطال ، وكن بثلث الأجزاء كماة الرجال . وانتخب من كل طلبة عشرين فارسا ، أجودا على الجياد ، وأجلاذا في الجلد على الجلاد . فأمرهم بأن يترأوا للقرنج حتى تصل إليهم ، وتحمل عليهم . وهم يفرون قدامها ، ولا يقرون أمامها . ويجذبونها إلى قرب الكمين ويوقعونها عليه ، ويوقعونها إذا حصلت بين يديه . ففعلوا ما به أمروا ، ولما حملت عليهم القرنج ثبتوا وصبروا ، وأنفوا من أن يقال عنهم فروا بل جالوا فيهم وكروا .

---

(١) ما يربط به كالتية .

(٢) في ب ليكن والصحيح من ل ومن أ (١٦٦ ع) .

وانصل القتال واشتد ، واحتدم المصال(١) واحتد ، وطال زمان الحرب وامتد . وطارت جمرات الصفاح ، وفارت غمرات الكفاح . وثارت غبرات البرى(٢) ، ودارت عثرات الثرى . وانحلت عرى الدم(٣) ، وانحطت ذرا القمم . وعلم كل قرن قراره ، وكل جفن غراره ، ودام نهارنا يُجْرى بأنهار الدم أنهاره .

وعرف من بالكمين أن الحرب قد اشتبكت ، وأن الأسد قد اعتركت ، وأن البزل(٤) قد ارتبكت وابتكت : فتواصل انجادا للإنجاد ، وتراسل أمدادا بعد الأمداد .

فلما رأى العدو أن المدد يكثر والعدد يكثف ؛ وأن عساكرنا لا تتوق ولا تتوقف ؛ صمم المزيمة على المزيمة ، وعلم أن النجاة عين الغنيمة . فبنى أعطافه ، وضم أطرافه ، ورد أحلافه . وجرت بين الفريقين مقتلة ، عادت أرض المعركة بها وهى مثقلة . وكان قد حمل العرب على وعد العود إلى الكمين ، والرجوع إلى أسد ذلك العرين ؛ ولم يكن لهم بالطريق خبرة ، ولا عبرت من الطوارق بهم عبرة : فتطاردوا بين يدي الفرنج في واد ماله نفاذ ، ولا لسانكه إلى منهج ملاذ :

ورآهم العدو فعدا وراهم ، وسار يجمعه ازاءهم : فلما انتهوا إلى الجبل ادركوا ، ولم يقدروا أن يسلكوا . فقاتلوا حتى قتلوا ، وأقبلوا على الله فقبلوا . وهم : الأمير زامل بن تبتل بن مرّ بن ربيعة أمير النقرة ، ومسرّى الأسرة . والأمير حجبى بن منصور بن غدقل بن ربيعة ، والأمير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مرّ بن ربيعة ، وآخر معهم . فهولاء أربعة من ربيعة بنيت لهم في جنة الخلد ربوع ، وقلد لهم في رياض النعيم ربوع . وفازوا بالنعيم ونعموا بالفوز ، وانتقلوا من العزالفانى إلى الباقي من العز

---

(١) المصال : مكان الصول والقتل .

(٢) اثرباب .

(٣) الدم : الشدائد .

(٤) البزل : جمع يازل وهو الرجل الخير .



وكان معهم من الممالك الخواص ؛ من ذوى الجند والاخلاص ؛ تركى عربى النخوة ، غضنفرى السطاوة . فلما حصل فى المصيق ؛ وأيس من الطريق ؛ نزل عن فرسه على صخرة بنجوة ، وتل بين يديه كنانته فارعا للروة ، وقد أوتر قوسه وسدد إليهم سهمه ، وقبل تضاء الله وحكمه . وحن إلى منيته من حننه ، وأصاب منيته من إصماء العدو فى المصاب بآمنيته .

فوقفوا عنه بعيدا حتى خافوا قربه ، ومازالوا يطحنونه ويرهونه حتى ظنوا أنه قضى نجه ، فأصبح وقد نزع دمه ، فترجع على وجوده علمه .

ولما قيل أنه استشهد ؛ وطلب ليلحد ؛ رمق وبه رمق ، وهو فى دمه غرق . فحمل على أنه من الأموات ، ولم يرج له فوات الوفاة . فأحياه الله بعد أن أماته ، وجمع أعضائه عليه وقد شارف منها شتاته . وأنشأه خائفاً جديداً ، وأوجدته فى أجله مزبدا ، وهو ( أيبك الساقى ) ، زاده ما جرى اجترأ على الإقدام ، وإجترأ إلى مضمار الحمام . فدا سمع بعد ذلك هبة لإطار إليها ، ولا أبصر للكفر ضبعة إلا أغار عليها .

ذكر مسير الفرنج إلى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم إليها  
وصل الخبر يوم الأربعاء ثامن رجب ؛ أن العدو قد ركب . وأجلب  
بجيلة ورجله ، وطار يجراد جرده . ودبّ دباه في رجّله . وسرحت ذنابه ،  
ونبحت كلابه . وجاش عرام جيشه العرمم ، وطاش إلى أهل الجنة بأهل  
جهنم . ونوى القرب من النواقر (١) ، وأضرّم بنار السعير مساعى المساعير  
وهو على قصد عكا يجرى إلى المدى برأى جمعه المدامير (٢) . وأن نفرا منهم  
نفر ، وسبق إلى النواقر وعبر . ونزل باسكندرونة ، واستباح طرقها  
المصونة . وهناك من المؤمنين رجال يحمون طرف الثغر ، ويضمون نشر  
الأمر . ويضمون نحر للكفر ، ويحبون غارب الشر ، ويحبون جانب  
البحر . ويطوفون للحراسة ، ويطولون بالحماسة .

فلما رأوا مقدمة الفرنج واقعوها ودافعوها ، وعاقروها وقارعوها .  
وأهلكوا عدة ، وملكوا علة . ولما تكاثرت أعداد الأعداء ؛ استظهروا  
بالانكفاء عن الأكفاء . وتدافعوا بعد ما دافعوا ، وتراجعوا بعد ما راجعوا .  
واطلع السلطان على خبرهم ، وعرف نفور نفورهم . فكتب إلى العساكر الدانية  
بالدنو ، للعدو على العدو . فتوافدوا للميعاد ، وتوافوا للاعتضاد ، وتوافروا  
للجهاد ، وتوافقوا في ادناء المراد بإبعاد المراد .

ورحل الفرنج ثلثي عشر رجب يوم الأحد ، وافية المدد وافرة العدد .  
ونزلت على عين بصة (٣) ، ولقد شاهد حركات جهنم من شاهد تلك  
الرحاب المغتصة . ووصل أوائلهم إلى الزيب ، وأجابوا داعية الصليب .

---

(١) النواقر : جمع النقرة ، وأصله نواقر ، وهى فرجة فى جبل بين عكا وصور على  
ساحل (البحر الأبيض المتوسط) (ياقوت ج ١٩ : ٣٠٦ ط.ب).

(٢) برأى جمه المدامير : أى أجموا على رأى كان فيه صدمهم . أو هو من دمر دموراً :  
إذا دخل بينر إذن وهجم هجوم الشر .

(٣) عين بصة : موضع بين البلور والزيب (التوادر السلطانية ط . ليدن ، الفهرس  
الجغرافى رقم A) .

فأصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل ، ووصل العتق بالليل ، وكان الثقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحه (١) في الأودية جري السيل . وصرنا على جبّة يوسف (٢) إلى المنية ، آخذين بالخزم تاركين للوثية . وجئنا بمصريوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفر كفا (٣) ، وبنتا بها تلك الليلة وسكنا . ثم أصبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة (٤) ، واطلع منها على الأسرار المحجوبة . وأشرف على العدو النازل ، ودنا حزب الحق من حزب الباطل .

وكان عدة من الأمراء ساروا على طريق هوثين ، للفرنج مقابلين مقاتلين . فوصلوا في هذا اليوم ، وقد نالوا في طريقهم من القوم . ونزلنا في أرض صفورية بالأثقال ، ونجرد الرجال منها إلى المخيم السلطاني للقتال . وكان من رأى السلطان عند رحيل الفرنج على قصد عكا ، ولم يزل رآيه بنور فطنته وطيب فطرته أذكى وأزكى ؛ أن يسايرهم في الطريق ، ويوقعهم عند المضيق . ويقطعهم عن الوصول ، ويدفعهم عن الزول . فانهم إذا نزلوا صعب نزالهم ، وأتعب قتالهم . وإذا نبتوا تعذر حصدهم ، وإذا ثبتوا تعسر قصدهم . وإذا لصقوا بطن الأرض صاروا كالقراد ، وإذا حلقوا في جوالد (٥) طاروا كالجراد . فعند الانتشار يمكن التقاطهم ، وعند الانحصار يتمكن احتياطهم . فقالوا له : بل نستقيم على السنن القويم ، ونطاعهم طلب الغريم . وما أهون قطعهم إذا وصلنا ، وأعجل ادبارهم إذا أقبلنا . والطريق قبالتهم وعمر ، وللمقصر عن التطاول فيه عذر . فنمضى على أسهل الطرق ، ونسدفقهم بالميتق .

(١) الملاحه : بقعة قرية جدا من الركن الشمال الغربي لبحيرة الحولة

(The Damascus Chronicle P. 330)

(٢) جب يوسف : على بعد اثني عشر ميلا من طبرية ، بين سنجل ونابلس (ياقوت

ج ٥ : ١٠٠ و ١٠١ ط. ب.) .

(٣) كفر كفا : بلد بفلسطين بها قبر يونس عليه السلام وقبر أبيه (ياقوت ج ٧ : ٢٦٦ ط

الخاتمي ١٣٢٤ هـ) .

(٤) الخروبة : أو الخرنوبية ، تل وجبل كلك ، وحسن مشرف على عكا بسواحل

(البحر الأبيض المتوسط) (ياقوت ج ٧ : ٣٦٢ ط. ب.) .

(٥) اللو : البرية .

وتبين لنا بالعاقبة أن الرأي السلطاني كان أصوب ، فإن نزالهم عند نزولهم صار أصعب . ونزل الفرنج على عكاء من البحر إلى البحر ، محتاطين بالانحصار محيطين بها للحصر . وضرب الملك العتيق ( كى ) خيمته على تل المصلبة ، وربطت مراكبهم بشاطئ البحر فكانت كالآجام الموثبة .

وبعث السلطان ليلة وصوله إلى مدينة عكاء بعثا دخلها على غرة من العدو ، وتواصلت البعوث إليها التي هي على التزايد والنمو . حتى استظهرت بقوتها ، وقويت باستظهارها . فلما اجتمعت العساكر واتصلت الأوائل بالأواخر ، عي جيشه طلبا طلبا ، وميمنة وميسرة وجناحا وقلبا : وصار بهيمته وهيمته ، وأنزل العسكر على تعيته . ونزل بمرج عكاء على تل كيسان<sup>(١)</sup> في ذوى اختصاصه ، وقد نصب من خيامه عليه أشراك أفاضه . وامتدت الميمنة إلى تل العياضية والميسرة إلى نهر الماء العذب .

فدارت رحى الحرب ، ودام كر الكرب ، وطاب طعم الطعن والضرب ، وطافت كأس البأس بمدام الدم على الشرب ، ووافى للانجاد عسكر الشرق ماضى الغرب . وصرنا محاصرين للمحاصرين ، مكابرين للمكابرين . قد أحطنا بالعدو وهو بالبلد محيط ، واستشطنا منه وهو مستشيط : وأحذقنا بأولئك الكفرة احاطة النار بأهلها ، ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها وسهلها . وربنا بالزيب والنواقر رجالا يصلونهم عن سهلها . ودمنا نصابيحهم بالقتال ونماسيهم ، ونراوحهم ونغاديبهم ، ونعاودهم ونباديبهم ونقدم ، بعوادينا على عواديبهم ، ونصدهم ونصلهمهم ، ويوجلهم البحر ونعلمهم .

وما زالت مراكبهم تتواصل ، ومناكبهم تتناول . وأهل الجزائر من أهل الجزائر متوافرون متوافدون ، مترادفون مترادفون . قد لفقوا وجه البحر ينقصب السفن ، وجذبوا بالقُلوس على ثبجه عران الرعن<sup>(٢)</sup> . وألقوا على

---

( ١ ) تل كيسان : موضع في مرج عكا من سواحل الشام ( ياقوت ج ٥ : ٤٣ ط. ب. ) .

( ٢ ) القلوس : حبل السفينة الضخم . ثبجه : مظله ووسطه . الرعان : المسار الذي

يضم بين السنان والقناة ، القرن بكسر القاف . الرعن : الجبل الطويل . والمبارة كناية عن أنهم كانوا يجذبون بالحبال الفسحة على سطح البحر سفنا ضخمة كأنها الجبال .

تياره بسط البطس ، وحملوا على البحر أوزار النجس : وتبأ لهم وتعا .  
فأنهم زادوا على رجسهم رجسا .

وبقى القتال بينهم وبين اليزكية ، كل بكرة إلى العشية ؛ إلى أن وصل  
الملك المظفر تقي الدين عمر ومظفر الدين كوكبورى - الأسد الغضنفر .  
فاستظهرنا بهما وبمسكرهما الذهب ، ووصل مقدمو الرجال في الجمع  
الجلم . واستدارت الفرنج بعكاء كالدائرة بالمركز ، وزادوا من جانبنا في  
التحرس والتحرز . ومنعوا من الدخول والخروج ؛ ولج أولئك العلوج في  
ضبط طريق الولوج . وذلك في يوم الاربعاء والخميس آخر رجب لانصلاحه ،  
والاسلام ينادينا باستصراخه .

وأصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته ،  
واستقلت آياته . وعز عزمه وعلا حكمه . وما منا إلا من أسرج الجرد وجرّد  
السريجات ، وعاج بالأعوجيات ، وأشرف بالمشرفيات ، وبرز باعتقال  
الرديثيات ، وردبان العقليات ، وأذكى الملاكى وقرب المقربات . وقد  
سن سنان لدنه ، وجن جنان قرنه . وساف سيقه ردة الدم ، وضاف جوده  
مضيف العلم .

وأقبلنا والنصر مقبل ، والظفر متهلل . والمينة والميسرة باليمن واليسر  
ممتدنان ، والقلب له من التأيد والتمكين جناحان . واتفقت الآراء ؛ وأجمع  
الأمراء على أن يكون اللقاء وقت صلاة الجمعة ، عند قبول الدعوات المرتفعة .  
ومتاب منابر الاسلام عن أهله في جميع بلادهم ، واجماع الألسنة والقلوب  
في الضراعة إلى الله في نصرة المجاهدين من عباده . وأحاط العسكر الاسلامي  
بجوانهم . وكدر عليهم صفو مشاربهم ، وفلّل مضاء مضاربهم . وهم في  
مواضعهم واقفون ، وعلى مصارعهم عاكفون ، وفي مواطنهم ثابتون .  
وعلى مواطنهم ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خلل ، وكالحلقة المفرقة  
ما إليها مدخل . وكالسور المحيط ما عليه متسلق ، وكالجبل الأشم ما فيه  
متعلق .

فرحنا لإيهم فلم ييزحوا ، وقرينا منهم فلم ييزحوا . وحملنا عليهم

فأخذوا الضربة ولم يعطوها ، وأخذنا لهم مطايا للنيا فهان عليهم أن يعطوها .  
ودامت الحرب قائمة ، وديمة الدم دائمة . وكلما قتل واحد وقف آخر  
مقامه ، وخلف نظامه . حتى دخل الليل وحجز ، ووعد النصر ما نجز ،  
وحزب الحق ما عجز .

فأصبحوا يوم السبت على الحرب كماأمسوا ، وزادوا على ماجرى أمس  
وألموا عنه وأنسوا . فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس الظهور ،  
وأصبحت شمس الجمهور ، واستضاف نورها مستفيض النور .

وحمل الناس من جانب البحر شمالى عكاه حملة شديدة ، كانت لمن  
قدامهم من الفرنج مييلة . وفرشوهم على تلك التل ، وردوا مضاربهم  
من فلهم بها بادية القلول . وانهمز الفرنج إلى تل المصلبة نحو القبة وثبتوا  
عند الوثبة . وأخطوا ذلك الجانب ، وخطوا تلك المذاهب . وقلعت خيامهم  
منها ، وقطعت أطماعهم عنها . وافتح لنا طريق عكاه ودخلها الرجال ،  
وحملت إليها الغلال ، وقلعت إليها الأحمال . ودخل العسكر إليها وخرج ،  
وانكشف ضيق حصرها وانفرج . وذلك من باب القلعة الوسطى إلى باب  
تراقوش ، واستطرت إليها العساكر والجيوش .

واطلع السلطان على الفرنج من سورها ، وشرع في تدبير أمورها .  
وخرج عسكر البلد للموازرة على قتال العدو العادى ، وترك الموادة  
في قصر القصر والموادى (١) . والفرنج قد رهبوا ، ولو قلدوا هربوا  
ولكن أصحابنا رأوا أن افتتح باب البلد غنيمة ، وأنهم أى وقت أرادوا  
كانت منهم عزيمة ، ومن العدو هزيمة . وتوقفوا عن الاتمام ، وتقدموا  
عن مقام الاقدام . ولو أنهم استمروا في الحرب على هيتهم وهيتهم ؛ لباء  
الأعداء لنجحتنا بنجيتهم . فان الصلحة الأولى أخافت وحافت ، ونافت بقاء  
القوم وعلى هلكها أنافت . لكننا تركناهم حتى عادت إليهم الأرماق ، وعالود  
فرقهم الإفراق (٢) . وأبصروا ما بين أيديهم وما خلفهم وأزالوا فيما بينهم

(١) الهادى : من الليل أوله ، ومن الإبل أول رحيل يطلع منها .

(٢) أى أن جهنم التأم بعد التفرق وتفتت والفرج .

بالموافقة خلفهم . وأثبتوا في مستنقع الموت أرجلهم ، ورأوا أن الوقت قد أمهلهم :

وقال أمراؤنا : « هؤلاء قد سهل أمرهم ، وخمد جمرهم . وقد حصص (١) رياشهم حصصهم . وهم في قبضتنا أي وقت أردنا ، ولقصدهم نجردنا » . وقالوا : « نصبر إلى الظهر ونغصى ونسقى الخيل ونعود ، وحينئذ يشتغل بهم العلم ويفرغ منهم الوجود » . فانصرفوا على وعد العود ، وتفرقوا في مراتهم تفرق الذود .

وبلغ العدو ريقه ، ووجد إلى الجبل طريقه ، وجمع بعد التفرق فريقه . وضم عن الانتشار راجله ، وزم راحه ونابله . ووقفوا كالسور من وراء الجنويات ، والتراس والتقناريات . وقد صوبوا البخور وفوقوها ، وجمعوا العدد وعلى الرجال فرقوها . كأنهم في الدروع أرقام ، وفي المجان علاجهم (٢) ، وفي النهوض قشاعم ، وفي الضراوة ضراغم .

واختلفت الآراء مع العلم باحتراسهم ، وتسترهم بتراسهم . فمننا من يقول : « نصبحهم بالزحف ، ونزورهم بالحثف . ويرجل الأمراء فيتيهم الأصحاب ، وتنشب من آسادنا في تلك الخنازير من الشباب الأظفار والأكياب ، ويتصل الطعان والضراب . فتسفهم ولو أنهم جبال ، ونطقء نيرانهم فلا يقد لهم من بعدها ذبال » .

ومنا من يقول : « يدخل راجلنا إلى البلد ، مستعلا بالأهب متأهبا بالعدد . فإذا زحفنا إليهم وأوجفنا عليهم ، خرج من في البلد من العسكرية والراجل ، وناولناهم من أمامهم ومن ورأيهم بالنوازل . فلا تطرف لهم بعدها عين ، ولا يبق للدين بعد حرك الثار منهم دين » .

ومنا من يقول : « لا بل نفرج عنهم ، ونبعد منهم . فما دعنا على هذه المضايقة والمصابرة ؛ والمحاققة والمحاصرة ؛ والمكابدة والمكابرة ؛ فانهم

---

(١) انقص .

(٢) المجان : جمع عين وجبة ، وهو القوس أو كل ما وقى من السلاح . علاجهم : طبع وهو الغول من الإبل والحمر .

يتيقظون ويتبهون ، ويتحفظون ولا يتبهون ، ويتحرزون ويتحربون ، ويتوجلون ويتوجمون . فإذا أرخينا طولهم (١) ؛ وأوسعنا أملهم ؛ استرسلوا بعد ما استسلوا ، واستقبلوا الدعة بعد ما استقبلوا . واطمأنوا فطمعوا ، وإذا أبطأنا تسرعوا . واغترأوا بأننا على غرة فأغاروا ، وظهرت لهم آثار ركودنا عنهم فظهروا وثأروا ، فحيث جئهم يحين ، وشينهم يشين . وإذا ظهروا ظهرنا عليهم ، ومتى أصحروا أصرحنا إليهم . وإن بارزوا بارزناهم ، وإنجزنا عدة أماننا فيهم وإنجزناهم .

ومنا من يقول : « هؤلاء في عدد النمل ، وكثرة الرمل ، وظلام الليل ، وعرام السيل : فما يقمهم إلا العدد الكثير ، ولا يجمعهم إلا الجمع الجهم الغفير . والمصلحة أن تستقر العساكر ، وتستحضر لبادتهم البادية والحاضر . ونستجيش الجحافل ، ونستشير القارس والراجل . ونلقاهم بأمانهم ، ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم » .

ومنا من يقول : « هؤلاء عالم لا يحصى ، قد حضروا من الأدنى والأقصى . وأزادهم عن قريب تفرغ ، وأما دهم في الصبر تبلغ . وأمدادهم تنقطع ، وأنجادهم تمتنع . وموادهم تقل ، وجوادهم تفضل . ولما ركبهم في الشتاء شتات ، ولجأ لهم وجابهم انبثات (٢) . فلما أن يضطروا إلى الانفصال ؛ وإما أن يؤخذ فناء أرزاقهم بحلول الآجال ، ويهون علينا حربهم في تلك الحال ( وكفى الله المؤمنين القتال ) (٣) فهذا عسكر الاسلام ، وجند مصر والشام . ففي الاقدام بهخطر ، وفي المباشرة بحربه غرر . والمصاحبة العامة تلحظ ، ورأس المال يحفظ »

ومنا من يقول : « نستلحي من مصر الاساطيل ، ونستدفع بحقها الأباطيل . ونستكثر من مراكبها ، ونستعدي على هذه الأفاعى بعقاربها ، ونستطيل على الشناة (٤) المستطيلة بشوانيتها ، ونعدو على عوادي الأعادي

( ١ ) الطول : جبل يشد به قائمة الدابة ، أو تشد به وتمسك طرفه وترسلها ترمى .

( ٢ ) انبثات : انبت بتشديد التاء أى انقطع .

( ٣ ) الآية ٢٥ سورة الأحزاب .

( ٤ ) الشناة : هم البحارة الذين يقودون الشواني وهى المراكب الكبيرة المعدة للجهاد .



بعواديهما . وإذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر ، وصلت لنا أسباب النصر . وحيثئذ نقاتلهم برا وبحرا ، ونوسعهم بمضايقتهم فيهما قتلا وأسرأ . وما زالت هذه الآراء بيننا متناولة (١) ؛ وخواطرننا في تدبيرها متجولة والحرب بيننا وبين الفرنج جارية ، وزناد الهيجاء لاشعال نارها وارية . وفي كل يوم نتصافح بالصفاح ، وتكافأ في الكفاح . وننطق فيهم بكلام الكلوم ، ونلحق منهم الموجود بالمعدوم ، وللاطلاع وقائع ، وللوقائع طلائع . وللسهام أفواق فائقة ، وللحمام أسواق نافقة . وسرايانا في كل يوم وليلة تسرى وتأسر ، وتبرى وتأبر (٢) . وتكسب وتكسب ، وتسبي وتسلب . والسلطان يباشر ذلك كله بنفسه ، وهو يدأب في يومه لغده مجتهدا في الزيادة على أمسه . نائبا عن أعوان المسلمين وأنصارهم ، ساهرا لهم في ليلهم قائما بأمرهم في نهارهم . والعين الساهرة في سبيل الله قريرة ، وتعب يوم واحد لله في اليوم الآخر ذخيرة .

---

(١) في ب متداول له والصحيح من له .

(٢) تأبر : أى تهلك أو تلدغ بالبرتها .

## ذكر وقعة تمت يوم الأربعاء سادس شعبان

وركب الفرنج آخر يوم الأربعاء سادس شعبان بأجمعهم ، وتقدموا من مواضعهم ، واشتاقوا إلى مصرعهم ، وفارقوا الحزم في تسرعهم . وخرجوا عن رجالتهم ، وتجردوا بخيالتهم . وحملوا على الواقفين من أصحابنا حملة الرجل الواحد ، فتحرك الصف الثابت الساكن أمامهم كالبنين إذا تمحلحل من القواعد . وتراجع عنهم المسلمون استدراجا ، وملأت الأرض السماء عججا وعجاجا ، وزخر بحر الحرب على أمواج أمواج .

فما قربوا من خيام اليزك ، إلا وقد اعتكر جو المعترك . وعساكرنا قد أوجفت (١) عليهم ، وزحفت إليهم ، وأردتهم بعقابهم ، وردتهم على أعقابهم . ووصلت إلى رؤسائهم فقطعت رموسا ، وألحف بأسها ذلك الجمع بوسا ، وثنت وجه الكفر عبوسا . وولوا مدبرين ، وأدبروا مولين . والجريح بالقتيل عابر حائر ، والذمر بالاصل باسم بالمولت باشر .

فلما جن الليل رجعت بما جتته الخيل . وبات كل حزب على حرب ، واعداد عدد طمن وضرب . وبات الناس من الجانين على غاية من التيقظ ، وهمة متنبهة للحفاظ . وحراسة وحماية ، وسياسة ورعاية .

فلما أصبحوا عادوا إلى عادتهم في اللقاء ، وهاجوا بعاديتهم إلى الهياج . هذا وأبواب البلد مفتوحة ، والصدر بطروق الظهور إليها مشروحة . والفرنج قد نلموا على ما قلموا . وعلموا بصيرتهم بما صلموا . وعادوا لا يفرطون ولا يتورطون ، ويتقبضون ولا ينبسطون .

---

(١) أوجفت عليهم : حركتهم وصيرتهم مضطربين ، أو جعلتهم يملكون علوا سريعا ..

## ذكر وفاة حسام الدين طمان

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادى عشر الشهر إلى تل العياضية ، ليكون منه في الجهة المرضية . فان هذا التل بازاء تل المصلبة منزلة العدو ، وهو مشرف عليهم للعو . وضربت خيام الميمنة ممتدة إلى البحر ، وخيام الميسرة إلى النهر ، واتسع مجالنا وضائق الدائرة على الكفر . وكان الأمير طمان — صاحب الرقة — مريضاً ، ولم تزل وجوه الأيام الغبر في سبيل الله باحمرار ييضه ييضاً . وهو الحسام القاضل ، والهامام الباسل ، والقرم البازل (١) ، والتلب الحلالل . والمحرق لحمية الدين ، والمقترح لحماية المسلمين .

ولما وافت وفاته ، وفاته رجاءه ولم يرج فواته ، أسف على عمره ، وأسى على أمره . وحزن كيف لم يقتل شهيداً ، ولم يستشهد في الجهاد سعيداً . وقال : « قلموا حصاني حتى أشهد الحرب وأستشهد ، وأجاهد إلى أن أقتل وأجهد . فاني أرى موتى على القراش غبنا ، وقد عرفتم منى شجاعة لاجبنا » . وتوفي عصر الأربعاء ثالث عشر شعبان ، وبوآه الله الجنان ، وبشر به رضوان .

وكان قد توفي بالقرب الأمير التلب ، فارس الحرب ، ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب ، ( حسام الدين سقر الخلاطى ) النجيب المنتخب . فنبت مضارب الدين باغماد الحسامين ، وجأت الهدوم لأجل أجل الهمامين . فوجمت النفوس ، وألمت القلوب ، وفاضت لغروب فيضهما الغروب .

---

(١) البازل : الحيد .

## ذكر واقعة للعرب أربت لنا بالأرب

انتهى إلينا ان الفرنج يتطرقون ويتطرقون، ويأمنون ولا يتخوفون.. ويخرجون للاحتشاش ، ويتشرون لضم الأعشاب من الأعشاش . ويصلون إلى طرفي النهر وهم لمن يخلق عليهم من فوقهم تحت القهر . فانتدب جماعة من العربان، وضراغم فارسة من الفرسان . فأغاروا وهم غارون(١) ، وساروا إلى جمعهم وهم بتجمعهم سارون . وحالوا بينهم وبين خيامهم ، وحشروهم إلى حمى حمامهم . وحملوا إليهم حين حملوا عليهم بؤسا ، وقطعوا منهم لما اتصلوا بهم رموسا . وأحضروها عند السلطان فاجتأبوا بها خلع الامتباء ، ويعثم على الحمى والاياء . وذلك يوم السبت ثالث عشر الشهر . ومسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر . فلما والقتال بينهم وبين أصحابنا في صكاء متصل ، وشرار الشر مشتعل ، والموت منهم متق وفيهم منتقل . وفي كل يوم تقوم الحرب على ساق ، والأرواح في مساق ، والمصاع على اتساق . وكم قتل من حزب العدو وأسر ، وكم حمل ليكسر فكسر . وربما مل الحزبان ، وكل الغربان ، فتوافقا على الأمان ، وتوافقا يتكلمان . وربما أفلموا ثم نكصوا ، وغنوا ورقصوا . ولذا لغبوا لعبوا واستراحوا إلى الوقوف إذا تعبوا .

ومن نوادر ما جرى وغرائبه ؛ وملح ما تم وعجائبه ؛ أن الطائفتين في بعض الأيام ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام . فقال واحد من الفرنج : « إلى متى هذا القتال ، وقد فنى الرجال . فأخرجوا صبيانكم إلى صبياننا ، ليكونوا في أمانكم وأماننا » . فبرز منهم صبيان ومن البلد آخران . فقاتلوا مليا ، وألقوا نار الحرب صليا . ثم وثب أحد الصبيين المسلمين ، على أحد الصبيين الكافرين . وضرب به الأرض ، وقفز عليه وانقض . وقبضه كبيرا ، وجلبه أسيرا . فاقتلده بعضهم بدينارين ، وعاد المسلم من ظهوره وسروره إلى جتتين ، وألعنو من كفره وفكره إلى نارين .

(١) لى على غرة .

ومن الانتفاقات النادرة ؛ وأمارات السعادة الظاهرة ؛ أنه أفأت من بعض  
مراكب الفرنج حصان ؛ له عندهم صيت وشان . فلم يقدروا على ضبطه ،  
كما عجزوا عن ربطه . وما زال يعم في البحر وهم حواليه ، حتى دخل مينا  
البلد وتسارع أصحابنا إليه . وأهدوه إلى السلطان ، وعده العدو من أمارات  
الخذلان ، ورأينا ه لنا من دلائل النصر والاحسان .

## ذكر الواقعة الكبرى

وأصبح القرنج يوم الأربعاء العشرين من شعبان ، وقد رفعوا الصليبان ، وزحفت أسودهم في غاب المران ، وطارت بهم خيولهم عقباناً على عقبان . وجرت بالجبال منهم رياح ، وجالوا دون التل كأنهم له وشاح . وخرجوا على التعية ، وشفعوا نداء الكفر بالتلبية ، وشفعوا (١) بالتبرية للبرية . وتقدموا معزمين ، وعزموا مصممين . وثاروا ثورة الشيطان ، وفاروا فورة الطوفان ، وقدموا الراجل أمام القرمسان . وزحفوا أطلابا ، وحفروا طلابا . ودبوا ديب الليل إلى النهار، وهبوا هبوب الخيل إلى المضمار، وأجروا سيول السوابق إلى القرار ، وجروا ذيول السوانج إلى النوار . وتحركوا وهم هضاب ، وتتركوا وهم غضاب ، وما زالت ميسرتهم تكثر وتكثف ؛ وتعطوا (٢) وتعطف ؛ وتقور وتثور ؛ وتزود وتلور ؛ وتهم وتهمهم ؛ وتدمل وتلوم .

وقد عبي السلطان ميمته وميسرته ، وطلب من الله نصرته . وثبت قلبه وقلبه ثابت ، وبخزبه في صف الحرب ثابت ، ورعبه لكبة العدو كابت . وهو يمر بالصفوف ، ويأمر بالوقوف ، ويمحض على حظ الأبد ، ويمح على الجلال والجلد . ويثوب للوثوب ، ويندب إلى الندوب .

ولما شاهد شروق بروقهم ، وخروق مروقهم ، وكثافة ميسرتهم ، وحشو حشود كثرتهم ؛ أنهض رجال القلب لتقوية ميمته على الحرب . وكان الملك المظفر تقي الدين من الميمنة على الجناح ، في جمع يعثر بعثيره وارد الصباح . وكلما تقلعوا تأخر يستعرجهم ، ويحذر مكرهم ومكرهم فحرفوا أنهم لا قبل لهم لمقابلاته ، وأن هذا ليس ميمات مقاتلته . فتركوه واستقبلوا القلب ، وزخر بحرهم وعب . وحملوا حملة دوى منها اللوى ، واسود منها جوى (٣) الجوى .

(١) شفت : شفت به .

(٢) تطروا : صلا الله عليه وآله : تناولوه . صلا إليه يده لورأسه ، رنمها .

(٣) ف أ (١٧٨ ش) واسود منها الجوى .

ووصلوا إلى جموع ديار بكر<sup>(١)</sup> والجزيرة<sup>(٢)</sup> ، وخصوا في بلتها  
بفدران السوايح والسوايح الجزيرة . وكانت من القلب على الجناح للطيران ،  
وجالها على الرياح للجريان . فعرفوها بالغرة ، واستضعفوها لدى الكرة .  
وألوا بها فما ألت ، وهموا بها فما همت ، واندفعت وما دفعت ، وتراجعت  
وما رجعت ، وتمكست وما عكست ، وأدبرت وما تدبرت . ولكونها غير  
عارفة بقتال الفرنج هابت وما هبت ، ولايت وما لبست ، ورابت وما رابت .

وجاموا إلى القلب وقلوبه ، وحاربوه وحربوه . وخربوا حربه ،  
وخرقوا حجه . وهناك استشهد كرام باعوا أنفسهم بالجنة ، وأسأوا نحورهم  
نحو الأسته . منهم : ( الأمير مجتلى بن مروان ) — وكان مجليا في المروة ،  
و ( الظهير أخو الفقيه عيسى ) — وكان ظاهر الفتوة . وآخرون اعترفوا  
بذنوبهم ، فرحضوا<sup>(٣)</sup> بماء الشهادة دون حوبهم<sup>(٤)</sup> . وصعدوا إلى مخيم  
السلطان ، طامعين في استطاعة حزب الصليبان .

وكنت في جماعة من أهل الفضل قد ركبنا في ذلك اليوم ، ووقفنا على  
التل نشاهد الوقعة ونتظر ما يكون من القوم . وما ظننا أن القوة تهي ، وأن  
الواقعة الينا تنتهي . فلما خالطونا في المخيم ، وباسطونا في المجثم ، وكنا على  
بغال ، بغير أهبة قتال ، استلركنا أمرنا ، وأخذنا منهم حذرنا . ورأينا  
العسكر مواليا ، والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا . فوافقتنا في  
الاندفاع ، وألفينا الاستضرار في المال عين الانتماع .

فوصلنا إلى طبرية فيمن وصل ، ووجدنا ساكنها قد أجفل . فسقنا إلى  
جسر الصنبره<sup>(٥)</sup> وتزلنا على شرقيه ، وكل منا ذاهل عن شبعه وريته ،  
مفكر فيما يكون من أمره ، منكسر القلب لما تم على الاسلام من كسره .

---

( ١ ) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة حدها ماغرب من دجلة إلى الجبل اللطل على نصيبين  
إلى دجلة ومته إلى حسن كيخا وآند وميفارقين ( ياقوت ج ٨ : ٤٩٤ ط . ب ) .

( ٢ ) الجزيرة : هو الجزء الشمالي الغربي من بلاد ما بين النهرين ( دجلة والفرات ) .

( ٣ ) رحضوا : غسلوا .

( ٤ ) إتهمهم .

( ٥ ) الصنبرة : موضع بالأردن مقابل لقيح فيق ( ياقوت ج ١٢ : ٤٢٥ ط . ب ) .

لا يَأْلَف مِيْنَا ، ولا يَلِي يَتَا . مَمْسَك بِلِجَام فَرَسِه ، قَدْ آذَن ضَبِيق نَفْسِه بِضَبِيق نَفْسِه . وَمِنَ الْمُنْهَزَمِينَ مِنْ بَلِغ عَقْبَةِ فَيْق<sup>(١)</sup> ، وَهُوَ غَيْرُ مَفِيق ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ غَيْرَ مَعْرَجٍ عَلَى طَرِيق .

وَأَقَمْنَا بِمَوْضِعْنَا عَلَى الْجَوَى ، وَالْخَيْلُ وَاقِفَةٌ بِأَجْمَعِهَا وَالطَّوْرَى . وَالنَّهْضَى غَيْرُ طَارِقٍ ، وَالْفَرْقُ غَيْرُ مَقَارِقٍ ، وَالْقُلُوبُ مَرْتَاعَةٌ مَرْتَابَةٌ ، وَالْأَدْعِيَةُ إِلَى اللَّهِ مَرْفُوعَةٌ مُسْتَجَابَةٌ . وَتَحَدَّثَ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ عَادَ جَدُّهُ ، وَعَدْنَا جَنَّتَهُ ، وَأَنَّ الْكُفْرَ حَادَفَلَهُ وَفَلَّ حُدَّهُ . وَأَنَّ الْمَيْسِرَةَ ثَبَتَتْ فَتَابَ الْيَسْرُ ، وَالْأُسْدِيَّةُ انْتَصَرُوا فَأَسِيدَ النَّصْرُ .

وَكَانَ هَذَا الْعَبْدِيُّ يَقْوَى ، وَالصَّلَا يُرَوَّى ، وَالْبَشْرَى تَسْرَى ، وَالْبَرْدُ بِهَا تَجْرَى ، وَالنَّاسُ بَيْنَ مَصْلَقٍ وَمَكْدَبٍ ، وَذَاهِبٌ فِي مَذْهَبٍ مِنَ الظَّانِ مَذْهَبٌ مَهْذَبٌ ، حَتَّى عَبَّرَ سَحْرًا عَلَيْنَا خَادِمٌ اسْمُهُ ( صَافِي ) ، وَقَدْ وَرَدَ مُورِدُ الظُّفْرِ الصَّافِي . فَنَادَى : أَيْنَ الْعِمَادُ ! فَقَدْ جَاءَهُ مِنَ النَّصْرِ الْمُرَادُ .

فَأَسْرَعْنَا إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَقَلْنَا : « مَا الْخَبْرُ ، وَكَيْفَ ضَعُفَا الظُّفْرُ ، وَصَفَا الْكَلْبُ . وَقَدَّرَ السُّلْطَانُ وَتَسَلَّطَ الْقَدَرُ ، وَإِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَارَ بِالنَّبَا السَّارَ ، وَفِي آيَةِ دَارِ تَنْزُلٍ يَنْزِلُ النَّصْرُ الدَّارُ » فَقَالَ : « أَنَا بِشِيرِ دِمَشْقَ بِالنَّبَا الْعَظِيمِ ، وَالْخَبْرُ الْكَرِيمِ . فَقَلْنَا « أَهْلًا بِشَائِرِ الْبَشَائِرِ وَطَائِرِ الْأَوْطَارِ ، وَالسَّائِرِ بِالسَّارِ ، وَالْأَخُ الْبَارِ بِالْأَخْبَارِ . وَالصَّدِيقُ الصَّادِقُ ، وَالْمَوْفِقُ الْمَوْافِقُ . وَمَرْحَبًا بِالْخَصِيِّ الْخَاصِّ لِمَا مَرَّ حَبَا ، فَحُلْ بِالْخَيْرِ الْقَحْلِ فَحَلَا ، وَكَمْ أُمٌّ لِلنَّجْعِ أَمْلًا وَجَلًّا وَجَلًّا » .

فَأَبْنَا مَجْبُورِينَ مَجْبُورِينَ ، وَثَبْنَا مَثَائِينَ مَاجُورِينَ . وَنَدَمْنَا عَلَى مَا نَدَمْنَا فِي الْهَزِيمَةِ ، وَعَزَّ عَلَيْنَا تَرْكُ الْأَخْذِ بِالْهَزِيمَةِ . وَلَقِينَا السُّلْطَانَ وَقَدْ فَتَكَ وَتَقَتْلَ ، وَجَدَّ وَجَدَلْ ، وَانْتَقَمَ مِنَ الْقَوْمِ وَمِنْ مَقَامِهِ مَا انْتَقَلَ . وَقَدْ شَلَّ الْجَدُوعَ وَجَمَعَ الْأَشْلَاءَ ، وَأَدَامَ الْإِجْرَاءَ حَتَّى أَجْرَى الدَّمَاءَ .

---

(١) فَيْق : أَوْ أَيْق ، قَرْيَةٌ مِنْ حُورَانَ فِي طَرِيقِ النَّوْرِ فِي أَوَّلِ الْعَقْبَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَقْبَةِ أَيْق ، وَالْعَامَّةُ تَقُولُ فَيْق ، تَنْزِلُ فِي هَذِهِ الْعَقْبَةِ إِلَى النَّوْرِ وَهُوَ الْأَرْدَنُ ، وَهِيَ عَقْبَةٌ طَوِيلَةٌ نَحْمِ مِيلِينَ ( النَّجُومُ الزَّاهِرَةُ ج ٦ : ١٦٨ ط . دار الكتب ) .



ذكر حصّة النصر بعد حصّة الكسرة

وكيف أَدال (١) الله الاسلام وأَذال (٢) الكفر بثلث الكرة

ولما تمت الكسرة ؛ وعمت الفترة ؛ وكرت الكرة ؛ وأمرت تلك  
للرة ؛ وصل جماعة من الفرنج إلى خيمة السلطان ، وشيخ من عارض  
اعتراضهم شوّم شيمة الشيطان . وجالوا جولة ، وخالوا دولة ، وصالوا  
صولة . ثم رأوا عنهم انقطاع أشياهم ، وعلموا اتباع أتباعهم ، فشرعوا  
في اندفاعهم ، وهابوا الوقوف على اجتماعهم . فالتحدوا عن التل ، وقد  
جاموا بقوة العز فأبوا بضعف النل . واستقلهم أصحابنا فركبوا أكتافهم ،  
وحكموا في رقابهم أسياهم . وردوهم وأردوهم ، وعدوا على شركائهم  
في الشرك فأعدوهم :

وكان في ميستتنا عسكر سنجانر والأسدية . فما زالوا وما زلوا ،  
بل وصلوا وصالوا وصلوا . وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكأنما مرت  
بالجبال الرياح ، وخالطوها فودعت أجسامها الأرواح . وعاد من كان من  
اليمنة الاسلامية بالبعد ، حادّ المضاء ماضى الحدّ . مثل : تقي الدين ،  
وقايماز النجى ، والحسام بن لاجين ، ومن ثبت من أبطال المجاهدين .  
فعمكروا على ميسرة الفرنج فشتلّوها ، وأهلوها من دماء وأعلاوها ،  
ولفوها وقلوها ، ولقوها وأقلوها . ووضعوا فيها السيوف ، وأوضعوا  
اليها الختوف . وأوسعوها قتلا ذريعا ، وما أبطأ الوقت حتى صار مقدامها  
صريعا صريعا :

فلم يفلت من الأعداء الأعداد ، ولم ينج من آلائها الا آحاد . وأمست  
لنار الحرب قرّاشا ، ولأرض المعركة قرّاشا :

وتبعها أصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا ، وملت لتوتهم وليوتهم  
وملوا . وفرس زهاء خمسة آلاف فارس ، من كل ممار ممارس ، ومستوحش

(١) أى جعل الكرة للإسلام على أطاله .

(٢) أمان .

بالموت آنس . ومن أودى في الإقدام مقدم الداوية ، ولم تحمه من الحمام  
ناره الحامية لنار الحمية .

وحكى عنه أنه قال : عرضنا في مائة ألف وعشرة آلاف ، أحلاف  
إلحاف ، وألاف ، أتلاف ، بلا تلاف . قلما عجزوا ، وبالحندق احتجزوا ،  
وقف عنهم أجتادنا ، وبلغ الملى فيهم جهادنا واجتهادنا . ومن العجب  
أن الذين ثبتوا منا لم يبلنوا ألفا فردوا مائة ألف ، وآناهم الله قوة بعد ضعف .  
وكان الواحد منا يقول : قتلنا من المثلثين (١) ثلاثين وأربعين ، وتركهم  
بالعراة مصرعين ، ولا شك أن الله أنزل ملائكته المسومين : وكل  
يتحدث بعد ذلك مما شهده ، ويعهد اليها بما عهد .

وحكى بعضهم قال : و كنت على فرس قطوف (٢) ، ماله منه  
سير ولا وقوف . وأنا منهزم من فارس ملجج ، في بحر الحرب ملجج .  
وهو على جبل يحرق به جرى الريح ، وينادى بشعار المسيح ، وقد لزم (٣)  
بقربى حصانه ، وهز لصلبي سنامه . فما شككت أنه يشكنى بلهلمه ، ويفكنى  
بمخلمه . وأيسر من البقاء ، وأنسأ للشهادة واللقاء . واستعذت بالله  
واستعنت ، وتشاهدت مما شاهدت . ثم أبطأت على صدمته ، وأخطأتني  
حلمته (٤) ، فالتفت فإذا هو وحصانه ملقى كلاهما ، وما وجدت بالقرب  
أحدا أقول أنه أرداهما (٥) . فعرفت أنه نصر الهى ، وصنع ربانى ، في  
مذاق الإيمان شهى ، وفي آفاق الإحسان بهى . فأيقنت أن النصره ماملكت  
الا ملائكة نصرت ، وأن الظهور ما سر إلا لأسرار الله ظهرت .

---

(١) المثلثين : يقصد الصليبيين لأنهم يقولون بالوهية الأب والابن وروح القدس  
(تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) .

(٢) فرس قطوف : شقيق الملى بلى .

(٣) لزم : شد وألصق به .

(٤) الحمة : صوت التهاب النار .

(٥) في رادها والتصحيح من ل ومن أ (١٨١ش) .

## ذكر مكانة أنشأتها الى بعض الأطراف

بشرح مايسره الله في هذه الوقعة من الألفاظ

قد سبقت المكانية بشرح الأحوال وذكرها ، وشكر الطاف الله الخفية  
وابداء سرها ، ونشر مطاوى النعم باذاعة طيها واشاعة نشرها ، وذكر  
فيها ما القرنج عليه من اجتماع راجلها وفارسها ، والاحتماء بمخادقها  
ومتارسها ، وإن لنا كل يوم فيهم نكاية بالغة ، وسطورة دامغة ، وشعالب  
عوامل في دعائهم والفة ، ومضارب متاصل<sup>(١)</sup> لرموسهم فادغة ، ونيوب  
عوامل لمضغتهم ماضغة ، وذبول تقم عليهم في تقليص ظلال ضلالهم  
سابقة ، وأبدى أيدى لصفحات البيض بنعيمهم القاني صابغة ، وضماير  
وضواير عن كل شغل سوى شغل الجهاد فارغة ، وهيمسا وعزائم لا ترى  
عن وقم القوم أهل الزبغ زائغة ۝

وما برح القرنج في برج شديد ، وأمر غير شديد ، وظل للذل مديد ،  
وضيق حصر في كل يوم جليل جليل ، حتى ضاقت أنفسهم وأنفاسهم ،  
وأخفت رجاؤهم وظهر يأسهم ، ووقع بينهم بطول المقام بأسهم . فأجمعوا  
أمرهم على أنهم يملكون في اللقاء ، ويهيجون الى الهجاء . ويلقون الألف  
بالألف ، ويصدمون الصدف بالصدف ، ويعرضون نحورهم ووجوههم  
على الأسنة والسيوف ، ويمجمون في كلام الكلوم من الصواهل والصوارم  
بين الأصوات والحروف . ويكشفون بشبه التثليث أدلة التوحيد ،  
ويكشون الضر عنهم بالحد الجديد ، والحد الجديد .

وبرز ذلك الخميس يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان ، ورفعوا  
الصلبان وأشروعوا انخرصان (٢) ، وتبعوا (٣) الشيطان ، وربوا الرجال  
وطلبوا القربان . وحملت لهم أطلاب تضم أبطالاً ، وتضمن بياطلها

(١) في ب مناصل والتصحيح من له ومن أ (١٨٢ هـ) ومناصل جمع متصل وهو السيف .

(٢) انخرصان : جمع غرض بكسر الخاء وسكون الراء ، وهو الرمح القصير للسان .

(٣) في ب اتبعوا والتصحيح من له ومن أ (١٨٢ هـ) .

للحق إبطالا . وتأمل لشمها المتفرق اجتماعا ، وترجو للصليب السليب  
ارتجاعا . وعصفت رياحها الموج وأقبلت بحار سوايحها وسوابغها تموج .  
وكاد أن يثبت للشيطان قدم ، ويراق للإيمان دم . فأنها خرقت حجاب  
الصف ، وقرت شمل الجمع الملتف . وراع جنان الجبان وهمه وهمه ،  
وأدبر موليا وعزمه زعمه . فظن من لايقين له أن الاسلام قد أسلم ،  
وأن نصر الله الموجود قد عدم ، وأن الكفر المتأخر قد تقدم ، وأن الصبح  
المتبلج قد أظلم .

وهناك عرف أهل الثبات وثبت أهل العرفان ، ورقصت المران على  
أشاجع الشجعان ، والتفت العنان بالعنان ، والتقى السنان بالسنان . وخطبت  
الصورام على منابر الطلي (١) . ورتعت اللهازم في كلاً الكلى (٢) . وفتحت  
اليغالي مغالي الخنف ، وزحفت القوارس الى فوارس الزحف . وعطفت  
المساكر المنصورة طلابا لتلك الأطلاب ، ووصلت ضرب الأعناق بقطع  
الرقاب :

وما زالت تشل الفرنج وتفلهم ؛ وتحل بعقدهم الوهن وتحلمهم ؛ وتروى  
ظماً الغلبا من ورد وريدهم ؛ وتخضب شيب البيض بدم طريدهم ؛ حتى  
فرشت بعد أن سلبت أشلاؤهم بالعراء عريا ، وجرحت خيولهم وخيالتهم (٣)  
فلم تستطع اجراء ولم تطق جريا . حتى تثلث وتثلثت بنجيهم صفحات  
الصفاح ، ووقفت أشباحهم وقفة الوداع لفراق الأرواح ، وأعرب حديث  
حادثهم عن جمجمة الجماجم الفصاح .

وقتل من مقدّميهم ومقدميهم زهاء خمسة آلاف زهى الاسلام بما اتسع  
من عطن عطيم ، وحسن منقلب بسوء منقلبهم . وعاش بما شاع من قتلهم ،  
واشتغل العسكر المنصور بشغلهم .

وطاب القلب المهموم بما تم من مآثم الكفر وعرس الدين ، وقصم

(١) الطل : جمع طلية وطلاة وهى المتق أوأصله .

(٢) جمع كلية (مروقة) .

(٣) فى ب خيالهم والتصحيح من ل ومن أ (١٨٣ ى .)

لهدى من الفضل المتين ، وهمت الرواجف القوارع بحمل هامات  
الحاملين . وانجلى الغبار عن كل قتيل ما لعائره من ممكّل ، ولا لقاتله من  
مقيل . وعادت أعلام الاسلام ظاهرة ، وآيمان الإيمان باطشة قاهرة .  
وهدى الهدى على النصر مزفوفة ، وعيون العدا عن النظر بالعمى مكفوفة .  
ولم ينح ممن حمل من حمل راسه ، ولم يقدم من أولئك الرجال الا من فقد  
رجاءه ووجد ياسه .

وعاد الفرنج الى خيامهم وقد فجعوا بتلك الألف ، وأصيبوا بمن  
صفا في تلك الصفوف ، وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الختوف .  
ودخل الليل عليهم ، ووقفت الساكر حوالهم . وهم وان وهنوا لما  
أصابهم من الكسرة ، وأخطأهم من النصرة ، وحل فيهم من الرزء ؛  
وسخر بهم الشيطان في موقف الهزء ، وفجع كلهم (١) بالجزء ؛ وتقص  
منهم العدد الكثير ، وركد من ربحهم ذلك العاصف الميز ؛ فأنهم في حشد  
كالدبي (٢) ، وجمع أغص الوهاد والربا ، وقد أخلنوا الى الأرض  
وشلوا على حب الموت الحبا ، وودوا لو وجلوا مهربا ، وتفرقوا أيدي  
عسا . وقد عادوا وتحصنوا وتصبروا ، ونحيزوا المقام على الحين حين تحيروا .  
وأوسعوا الخنادق وعمقوها ، وأحكموا المتارس ووثقوها . ونلموا  
على الحركة ، فانها أفضت بهم الى الهلكة . وأنهم ما داموا رابضين ؛  
وعلى يد البصير قابضين ؛ يتعلم الوصول اليهم ، والدخول عليهم ، وتطول  
أيام الاحاطة بهم من حوالهم .

وفي تلك الحركة التي حلا بها للشجعان طعم الطعن ؛ وغلب فيها  
للجبناء وهم الوهن ؛ وتجنأى عن الثبات من محي الدنيا جنب الجبن ؛  
ارتاع عسكر الشرق من ذلك الغرب ، واختار المتسللون المتفللون منهم  
البعد على القرب . وما ثبت الا عسكر منجار ، فكله محرب محرب

(١) في ب أكلهم والصحيح من ل .

(٢) الدي : أصغر الجراد أو النمل .

للامور ، سليد ساد للتغور . ومجاهد الدين يَرْنُقُشْ (١) - قد صدق نعته بالمجاهدة للدين ، وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين . وقرت عين (طُمان) بالجنة باقداً الولد ، وماذا يقال في شبل ذلك الأسد . وانما الغرباء هابوا ، وكانوا قد ضجروا من الحضور فغابوا . والفرنج الآن في ذل وخسر ، وفي عسر بغير يسر ، وفي حصر بغير حصر . والمرجو من الله سبحانه - أن يقدر على قطع دابرهم ، واهلاك بائريهم عن آخرهم ، وتحريك همم المؤمنين في تسكين سائرهم ، وتخريب عمرهم وعامرهم ، وانزال دوائر السوء بمنازل دوائرهم .

وما دام البحر يمدحهم والبر لا يصدحهم ؛ فبلاء البلاد بهم دائم ، ومرض القلوب بأدوائهم وأسوائهم ملازم . وتديرنا الآن في التلميز على هذه الجموع ، وسوقهم الى مصارعهم في ورطة الوقوع . فأين حمية المسلمين ، ونخوة أهل الدين ، وغيرة أهل البقية ؟ .. وما ينتفضى عجبنا من تضافر المشرك على شركه ، وتظاهرة في اتساع مسلكه واتساق ساكه . وقعود المسلمين عن المسلمين وتعاذهم وتعاضلهم في تعاضدهم ، وانحلال عقود تعاقدهم . فلاملجى فيهم لمناد ، ولا متقف لمناد (٢) ، ولا مورى منهم في اجابة داع لزناد .

فانظروا الى الفرنج أى مورد وردوا ، وأى حشد حشدوا ، وأية ضالة نشلوا ، وأية نجدة أنجلوا ، وأية أموال غرموها وأنفقوها ، وجيدات (٣) جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها . ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم ، ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم وأكابرهم ؛ الا جارى جاره في مضمار الانجذاب ، وبارى نظيره في الجلد والاجتهاد . واستقلوا في صون ملتهم

---

(١) مجاهد الدين يرنقش : هو ابن طغان بن غازى ، كان ملكاً لمعاد الدين زنكى ابن مودود بن زنكى صاحب سنجار والخابور والركة ، توفى سنة ٥٩٤ هـ ، وقد أصبح أتابكا مديراً لدولة ابن عاد الدين - قطب الدين محمد بن زنكى (أبو الفداء ج ٣ : ٩٣ ط. المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ) .

(٢) ثقفه : أدركه . المناد : من دعه داعية والمقصود أنه لا ملك لمن دعه داعية .

(٣) جدات : جمع جنة وهى الرزق .

بذل المهج والأرواح ، وأمدوا أجناسهم الأنياس بأنواع السلاح مع أكثاء الكفاح . وما فعلوا ما فعلوا ؛ ولا بذلوا ما بذلوا ؛ إلا لمجرد الحمية لمعتلهم والنخوة لمعتقدم .

وليس أحد من الفرنجية يستشعر أن الساحل إذا ملك ؛ ورفع فيهم حجاب عزهم وهتك ؛ يخرج بلد من يده ، أو تمتد يد إلى بلده .

والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وفشلوا ، وغفلوا وكسلوا . ولزموا الحيرة ، وعلموا الفيرة . ولو انثنى — والعياذ بالله — للإسلام عنان ، أو خبا سنى ونبا سنان ؛ لما وجد في شرق البلاد وغربها ، وبعد الآفاق وقربها ، من لدين الله يغار ، ومن لنصرة الحق على الباطل يختار .

وهذا أو أن رفض التواني ، واستدناء أولى الحمية من الأقاصى والأداني . على أنا بحمد الله لنصره راجون ، وله باخلاص السر ومر الاخلاص متابعون ، والمشركون باذن الله هالكون ، والمؤمنون آمنون ناجون .

ذكر ماعرض للمسكر بعد ذلك من العنر

فصد عن قصد المباكرة لمناجزة أهل الكفر

وعاد السلطان الى مضاربه وقد عادت مضاربه الى عادة المضاء ، وزادت مشاربه من مادة الصفاء ، وأمر بمواراة الشهداء ، ومن جملتهم : الفقيه ( أبو علي بن رواحه ) (١) — وكان غزير الفضل قد أكل الرجاجة والسجاجة . وهو شاعر مقلد ، وفقه محقق ، من ولد ( عبد الله بن رواحه الصبحاني الأنصاري ) — في الشهادة والشعر معرق ، فطره الأعلى يوم مؤتة (٢) مع ( جعفر الطيار ) (٣) ، وطره الأقرب يوم عكا في لقاء الكفار .

ومنهم : ( اسماعيل الصوفي الأرموي المكبيس ) — وكان صديدا عافيا ، عاريا من العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس . ومنهم : شيخ من الحاشية في بيت الطشت . وغلالم في الخزانة أمين على البيت : وآخرون صودفوا عند التل . فجاءتهم السعادة ، وفجأتهم الشهادة . وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة ، وذهب قبل الرجعة :

---

( ١ ) الفقيه أبو علي بن رواحه : هو الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحه ، أبو علي الأنصاري ، الحموي الأديب ، الشاعر ، ولد بجماع ونشأ بها ، وحل الى دمشق فأقام بها مدة ، واشتغل بالفقه وسبع الحديث من ابن عساكر وغيره ، ثم رحل الى مصر ، ثم عاد الى دمشق ، وقتل شهيداً في واقعة مرج عكا سنة ٥٨٥ هـ ( مجمع الأديباء ج ١٠ تحقيق فريد رفاعي ) .

( ٢ ) يوم مؤتة : مؤتة ، قرية من قرى البلقاء في حدود الشام ، وقد حدثت عندها مؤتة بين جيش الرسول صلى الله عليه وسلم وبين جيوش هرقل امبراطور الروم سنة ٨ هـ ، استشهد فيها زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، وجعفر ابن أبي طالب ( الطيار ) فقاد المسلمين خالد بن الوليد وأسكنه الانساب ( تاريخ الإسلام السياسي ج ١ : ١٤٤ للكتور حسن إبراهيم )

( ٣ ) جعفر الطيار : هو جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم — هاجر الى الحبشة في الهجرة الأولى ثم عاد منها ، قتل في مؤتة مؤتة سنة ٨ هـ = ٦٢٨ م .



وأجمع السلطان وذوو الآراء أنه يصبح القوم ، وياكر في طلب أرواحهم السوم . وقال : « هؤلاء قد أضعفنا قوتهم ، وأعجزنا قدرتهم ، وفنأنا سنورتهم ، وأخمدنا فورتهم ، وقتلنا مقاتلتهم ، وأدويتنا داوتهم . فان تركناهم بلعوا الريق ، وبلغوا في الاحتراز والاحتراز الطريق . فنحن نوفيهم غدا ، ونوفيهم ردى . ونكيلهم بصاع المصاع ، ونذرهم بيع السباع ، ونقيسهم بذراع اليراع ونوسعهم قيرى القيراع . ونذيقهم حرّ الحرب ، ونسيفهم (١) في طعم الطعن ضرب الضرب . ونعين من عيونهم للسهم سهاماً ، ونخذل لأرواح النصال من أجسامهم أجساماً . ونفرقهم بماء فرند الهند وآنيات ، ونحرقهم بنار زند اليمانيات . ونوجد من علمهم النصر ، ونطيب من ننتهم النثر . ونقطع دابرهم ، ونأحق بأولهم آخرهم » .

فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم ؛ وإجراء هذا الحكم ، تفقدوا العسكر فاذا هو قد غاب ، لما ناب من الأمر وراب . وذلك ان غلمان العسكرية وصحابها ؛ وأوباش الجمع وأوشابها ؛ ظنوا تلك القورة هزيمة ، فنهبوا الأثقال والأحمال وعلوها غنيمة . وانهم من انهزم من الجند ، وثبت من ثبت من أهل الجند . فمن عاد إلى رحله وجده منهوبا مسلوبا ، وكان ظنه أنه فرغ من لقاء خطب فأتى خطوبا . فمضوا وراء الغلمان ، ويكّلوا بسوء دين السودان . وأصبحنا واذا العسكر غائب ، والعازم عازب (٢) . والقاصم قاص ، والطائع عاص . والجمع متفرق ، والثابت قلق ، والآمن فرق . والغنى معدوم ، والجرى متعلم . فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب ، وهذا لمن طلب الطريق بأثقاله طالب . ففتخر ذلك العزم ، وتأخر ذلك الحكم .

وانتشى الفرنج في تلك المدة ، وانتشلوا من تلك الشدة . واستطالوا بعد الاقصار ، وفرغوا لشغل الحصار : وجاءتهم في البحر مراكب

(١) في ب لسيهم والصحيح من ل ومن أ (١٨٦) .

(٢) عازب : بعيد ، غائب ، غنى .

أخلفت من علم ، وبت ما هدم : فأكمل بالملد ما نقص من العدد . ولولا  
أن الله تعالى قدر بقاءهم ، لَكُنَّا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم . فان  
الفرصة ما أمكنت ، والحصنة تعينت . والجو خال ، والضوء عال ،  
والحال جميلة والجمال حال . ففضى الله بما قضى ، وعرانا المفضض  
بما مضى .

وبقيت هناك تلك الجحيف مستنة منبئة مبيثة (١) ، وتلك الجحش مجينة (٢)  
مخبئة مجتنة . تُعرِّفنا أن نشورها من حواصل النسر ، وأن قبورها بطون  
الضبايع والنمور . فشكونا نين رائحتها ، وشكرنا بمن جانتها . فعجل  
السلطان حملها على العجل الى النهر ، ليشرب من صديدها أهل الكفر .  
فحمل الى الماء أكثر من خمسة آلاف جثة ، بعث الى النار قبل يوم البعثة .  
فما عبر بها الامن اعتبر ، واستشفى من أقبل بمن أدبر . وسلم الله من أسلم ،  
وكف ورد بالردى من كفر .

---

(١) مبيدة .

(٢) هالكة .

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل

واستلراك ما حذب من الخلل

تقدم الأمر الى المقدمين والامراء ، بعد التناء واعلام الجهلاء .  
باحصاء كل ما نهب ، واحضار كل ما سلب . وانه من لم يرد ما أخذه أخذ  
بالردى ، واعتدى عليه بمثل ما اعتدى ، فأحضر كل ما عنده ، وبذل  
في الكشف جهده ، وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان ،  
وضاقت عن كثرته سعة ذلك المكان .

وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان ، فكل من عرف  
من ماله شيئا أخذه بعد إحلافه (١) ، وحلا في مذاق الشكر قطاف أطفافه .  
وسعى في معاناة ذوى الأخلاق الصعبة على سهولة أخلاقه ، وشفى العلل  
والغلل بالنهل والعلل (٢) من اشفاقه . وقمش ذلك القماش ، وحصل  
من ذلك الويل الرشاش ، وصبح بعد العرى والعتار الارتياش والانتعاش .  
وكتب الى الولاة بالأمصار والنواحي ، والأقطار والضواحي ،  
بمحت البحث وجد الكشف ، واستخلاص كل ما يوجد ويؤخذ بالرفق  
والعنف . وتراجع الناس ، وتتابع الايناس . وعادت مضارب العزائم  
الى مضائها ، وقضاة القواضب الى اقتضاها واقتضاها . وغار الآف وأنف  
الغيران ، وتسلبت العزم وعزم السلطان . وثار الحق وحق الثائر ، وطار  
العلق وعلق الطائر . وطلبت الطلي نكاح بنات الخلل (٣) الذكور ، واشرب  
للشرب نبات الأسل الى ماء النحور . وحمى ذوو الحمية للتقاضى ، وقالوا  
عنى متى التراضى بالتقاضى .

(١) أى تخليفه بالقسم .

(٢) أى الشرب الثاني أو المتتابع .

(٣) الخلل : جمع غلة وهو جفن السيف المنقى بالدم أو بطلانة يمشى بها جفن السيف

ذكر مجلس عقد ورأى عليه اعتمد وصواب افتقد وقد فقد

وحضر أكابر الأمراء عند السلطان يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان . فقال : « اعلّموا أن هدا عدو الله وعدونا قد أجلب بجيله ورجله ، وأنّا بكلّ كلّ (١) ، وقد برز بالكفر كله إلى الإسلام كله . وجمع حشده وحشد جمعه ، واستنفذ وسعه . وإن لم نعالج الآن فريقه ، والبحر قد منع طريقه ، أعضل دأؤه ، وتعلر غداً لقأؤه ، فإنه إذا سكن البحر ، واستسهل ركوبه السفر ، تضاعفت أعداد الأعداء ، فظهر الأعداء من الإعداء ، وخرج الداء عن قبول الدواء .

ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها ، ولا قوة نستحضرها . وما بلى بهذا المعشر إلا معشرنا ، وما يلازم عسكر الكفر إلا عسكرنا ، وما في المسلمين من ينجدنا ، وما في بلاد الإسلام من يسعدنا . وعساكرنا حاضرة ، وعزائمنا للتواني حاضرة ، وعيون أستاذنا إلى القتلك بالعدا ناظرة ، وما يعوزنا إلا حضور أخيها الملك العادل سيف الدين . ولا بقاء للنقاد إذا أصحر منه ليث العرين . فالرأى كل الرأى في المناجزة ، قبل وقوفهم على محاج المحاجزة . »

ثم قال : « ليشركل منكم برأيه ، ولا يقدم على قول ورأيه من ورائه » فتجادبوا حبل الاضطراب ، واختلفوا في الآراء بحسب اختلاف الآراء : وركب كل منهم هواه ، وأعلن بما نواه . ومنهم من قال : « هذا ثالث عشر تشرين الثاني لا الأول ، وقد دفعنا إلى الخطب الأعضل ، والتعب الأطول ، والتائب الأعصى والتائب الأعصل (٢) ، وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين يوماً ، وما طعمنا في هذه الليالي نوماً ، ولا سمنا لطارق طيف غمضاً ، ولا شمتنا إلا لبارق سيف ومضاً ، ولكم قلقتنا المنايا وقد دخلنا لهاوتها (٣)

(١) الكل : القتل .

(٢) الأعصل : الأصوج في صلاحه .

(٣) الهوات : جمع الهواة ، وهي الحمة المشرقة على الخلق في أقصى سفن القم .

وكان أبا الطيب (١) عانا بقوله ؛ ( وكأنا خلقوا على صهواتها ) . وقد  
كلت الضوامر ، وفلت البواتر ، وملت العساكر . وهذا الشتاء قد أقبل ،  
والعلوق قد استقتل ، والشر قد استفحل . وما يتأق قلعه إلا لمن يتأق ،  
وبالصبر يدرك الأريب ما يتمنى . وهم بالمصابرة مصابون ، ونحن على  
المثابرة مثابون . وهؤلاء لا يتمكن منهم إلا بالجمع الجم ، والسيل لا يغلبه  
غير الخضم . والصواب أن نصابرهم هذه الشتوة ، ونستجد لنا ونخلينا  
القوة . وتأخر عن هذه المنزلة ، لتحصيل هذه المصلحة المؤلمة ، ونوكل بهم  
مناوبة من يمنهم من الخروج . وإذا انقضى البرد نرجع إلى معالجة هؤلاء  
العلوج . ونعيد السريجات إلى سلها والسهاب إلى السروج . والصواب  
الأخذ بالاحتياط وتديم الكتب والرسل إلى الأطراف والأرسل . ومكاتبه  
دار السلام ، وإعلام الإمام — عليه أفضل السلام — بما دفع إليه الإسلام  
بالشام . فإن المسلمين لاشك ينتجلون ، ويقومون بالنصرة ولا يقعون .  
ولا يترك استنفار التركمان ، وترغيبهم بالبر والإحسان . واستدعائهم  
بالعطايا ، والتشريفات السنايا . وينفذ إلى بلاد الشام القاصية والدانية  
في تحريك المعهم والعزائم الوانية . إلى أن تمتلئ بالجموع ساح الساحل ، وتغلي  
بنار الحميات بها مراحل الرجل .

فحيثئذ ينتهى أمد المصابرة ، ونصمم على المكابرة مع الكاثرة .  
ونباديهم ونفاتيهم قبل انفتاح البحر ، ونغاديهم ونراوحهم على اقتراح  
القهر . ونسفهم ولو أنهم جبال ، ونزفهم ولو أنهم بحار ، ونعلمهم حتى  
لا يطرق جفن بلد منهم خيال . ولا يلم يحفن طارق لهم غرار .

ومازلنا في مشاورة ومحاوره ؛ ومجادبة ومجاوبة ؛ ومناظرة ومساورة (٢) ؛  
حتى تنخل الرأي وتمحض ، وخالوا أنه تبين الصواب وتمحض . ومالوا  
إلى الدعة ؛ والخروج من الضيق إلى السعة . ومن نزال الحرب إلى المنزل  
الرحب . ومن المعترك المعتكر إلى المبرك المبكر .

فلم تعجبنى هذه الحالة ، ولم توافقني هذه المقالة . وقلت : و لعمري

(١) يقصد أبا الطيب المنطبي للشاعر المعروف .

(٢) مسورة : مؤاتية .

أُتِيتُمْ بمصلحة ، ولكنها غير مترجحة . فإن الفرنج إلى الآن لم يتمكنوا من الحصار ، ولم يحلقوا بجميع الأسوار . فإذا رحلنا وتنحينا عنهم أرخيننا خناقهم ، وأطلقنا إلى مرادهم أعناقهم . وباب عكاه من جانب البحر مفتوح ، والمقيم بها منا بكاس تفقدنا إياه مغبوق (١) مصبوح . والطريق إليها سابلة ، والذخائر إليها في كل يوم داخلة . والفرنج عن قطع الطريق عاجزة ، وعزائنا على مصابحتها ومماساتها لها دون قصدها محاجزة . وإن تأخرنا تقدموا ، وإن هونا أحكموا ، وإن نقضنا أبرموا . وإن قعدنا قاموا ، وإن بعدنا حاموا . ومتى رماهم تحفظوا ، ومتى نمنا عنهم نيقظوا . وما دمتنا نشغلهم فإنهم لحصر البلد لا يتفرغون ، وإلى أمد الأمل لا يلفون .

فقالوا : « هذا أمر هين ، وما ذكرناه صواب متعين ، ووجه الصلاح فيه بين . وما مقصودنا إلا أن يتشروا ويخرجوا من مضاربهم ويصحروا . فإذا أنسوا بالرجاء ، لم يأسوا من الارجاء . وأرخينا لهم جبل الإنظار ، حتى استمروا على الانتشار . وحيثئذ نصبهم على غرة ، ونعاجلهم كرة بعد كرة . وننقض عليهم انقضاض اليزاة على البُعْث ، ونصدهم بالباعث الباعث (٢) لهم عن الانبعاث . وكان السلطان متكرها لما أبْلوه من الرأي الثالث (٣) ، لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث .

(١) المغبوق : مشروب بالمشى .

(٢) الباعث : اللقاح .

(٣) الثالث : ثالث عليه الأمر أي اغلط والتبس .

## ذكر الرحيل إلى الحروب عند خيم الأتقال المضروبة

كان السلطان مع ما ألم به من الألم ، غير مبد وجه الملل والسأم . وهو في كل يوم يركب وعلى المسكر يطوف ، ويقف مستطيلاً على العدو ويطول منه الوقوف . ويعود وقت الظهر ، وعليه أثر الضر من الصبر . فليم على فعله ، وخصه الطبيب بعنله . فانتقل إلى الثقل ليلة الثلاثاء رابع شهر رمضان ، وخطى المنزل الأول وأخطى المسكر ذلك المكان . وتقدم إلى من بمكاء باغلاق الباب ، وسلوك نهج الاحتراس والاجتناب . وجرى الأمر على ما كنت قلته ، وتحقق من اخلل ما خلته . فإن المركيس رحل وشغل الجانب الذي كان خالياً ، ورخص عنده ما كان من سوم خوفه غالباً .

وشرع الفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالى عكاء من البحر إلى البحر ، وأخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر . وفي كل يوم تأتينا اليزكية بخبرهم ، وبما ظهر من أثرهم ، والجد في تعميق الخندق وتديم محضهم . والعسكر هاجم ، كأنه واجم ، والظن فيه راجم ، وشر الكفر ناجم ، وما فينا لمود الأمر عاجم .

وقلت يوماً للسلطان « يركب المسكر إليهم ، ويركض عليهم : فلعله ينال ظفراً ، ويقضي من كسر العدو وطراً » . فقال « ما يعمل العسكر شيئاً إلا إذا كنت معه ركباً ، ولعمله مشاهداً مراقباً » . ولقد صدق في مقالته ، فإنه كان أعرف برجاله . فلأنهم كانوا يبذلون معه المهج ، ويخوضون من بحر الحرب اللجج ، ويوسعون لزم العدو المألزق اللجج . وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم ، وأمهلناهم بل أمهلناهم . حتى عمقوا الحفور ، ووقفوا من ترابها السور . وملاؤوه بالسناثر ، ومنعوه من الطير الطائر . وبينوه وأسسوه ، وسرّوه . وترسوه ورتبوا عليه رجالاً ، ولم يتركوا إليه (١) لواغل (٢) بجالا . وتركوا فيه أبواباً وفروجاً ، ليظهروا منها إذا أرادوا خروجاً .

(١) زيادة من لوقى (١٩١ هـ) عليه .

(٢) واغل : أى متوغل ، داخل ميده فيه .

ولما فرغوا من هذا الأمر اشتغلوا بالحصار . ونحن نقول : « لا مبالاة  
بهم ولا اكتراث ، وما أسهل إذا عزمنا عليهم لاصولهم الاجتثاث ، وبسيول  
سوفنا نخسل تلك الأخباث . وأى وقت قصصناهم وجثثناهم وجأناهم ،  
ونكأنا قرحهم ونكبناهم . وما فوارسهم لنا الافرائس ، وما خنادقهم لهم  
الارموس دوارس . وما حضروا الا قبوهم ، وما دبوا الا ثبورهم .  
ومنى قصصناهم كذبت ظنونهم ، وصدقتهم منونهم . وامتألت بأشلائهم  
خنادقهم ، وأظلمت عليهم بغربنا مشارقهم ، وبيتهم بوائقهم وثبت علاقتهم »



ذكر رأى رائب ، عن النظر في الغاي غائب ، أسفر عن داء دائب  
وأبان عن غرارة بغرائب

وقع لبعض الأكابر فتى عليه خنصره ، ووكل بأعلمه سمعه وبصره .  
لما تمت على القرنج تلك المقتلة ، وعمت فيهم الهلكة ، وضمت أشلاءهم  
المعركة ، وشوهدت على الرئي حجب نحورهم المهتكة . وخملوا وخملوا ،  
وأهلكهم الله بما عملوا . وقع لبعض الأكابر أنه لم يبق للقوم انتعاش من تلك  
المعائر . وأنهم قد علموا القرار ، وعزموا القرار . ولو قلروا على النجاة  
لخلصوا ، ولو فتحنا طريقهم ماتصبروا ولا تربصوا .

وقال للسلطان : « ارحلوا عنهم حتى تروا ما يكون منهم . فإنهم يهربون  
ويهربون ، ويعدون إلى صور ومن بعدها ومن حكاك لا يقربون » . فمال  
قوم إلى مقاله ، ونجّلوا مثل خياله . وأشار بقطع طريق البلد ، والصدر عن  
ورد الرصد ، والجد في تعمية الجدد . وأن يفتح لهم ماسد من الطريق ،  
ولا يعوقهم فإنهم كلاب تعوى من التعويق .

ولما بلونا رأيه ، وتلونا آيه ، أخطف ظنه ، وبدا وهنه . وما زاد القرنج  
الاثباتا ، ولم نعرف لشلهم على ما توهمه شتاتا . وكنا نتحدث بذلك الرأي  
القاتل ، ونقول ما أعجب قبولنا قول هذا القاتل .

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث ، وتجدد للعزائم من البواعث

أقام السلطان بالمخيم لإصلاح مزاجه ، وابتضاح منهاجه . ومداراة أله ، ومداراة سقمه ، فوهب الله له العافية ، وكل له عصمته الكافية ، ومنته الشافية ، ونعمته الوافية ، وأبدى له أطفاه الخافية . وقوى قلبه على المقام بنية الانتقام . وصرف الأجناد الغرباء ليرجعوا في الربيع ، ويستريحوا في مراتبهم لوقت الرجوع . وأقام في ممالكه وخواصه ، ورجال حلقته المنصورة من ذوى استخلاصه . ورتب بالنوبة على الفرنج يزكا ضمته دركا ، وأدار بهلاك القوم منه فلکاً .

وكان في ممالكه كل مقدم مقدم ، وكل همام همام . وكل ليث ذى لؤة وكل حدث محسن له مُحسنٌ أحدثه ، وكل ضيغم ضاغم ، وكل أسد عرين ليس إلا عرين قرنه براغم . وكل ربيال ذى بال ، وكل بطل من ولاية المهيأ غير بطال . وكل مغير للنصر مريغ<sup>(١)</sup> ، وكل مسيء إلى العدو لكأس الحمام مسيغ . وكل تركى للرماة غير تارك ، وللأصماء غير فارك<sup>(٢)</sup> قوسه في ظفر الهدى موثر على الوتر ، وسهمه من مقل العدا طائر إلى الوكر ، وسيفه في رداء الردى حال بدم الكفر . وكل ( حميدى ) في الروح حميد ؛ وبالحرث عميد . وكل ( هكارى ) على القرن عكار<sup>(٣)</sup> ، وفي الوغى كرار ، وللقنا جرار . وكل ( زرزارى ) بالأسد زار ، ولللبسالة كاس ومن العار عار ، وكل ( مهرانى ) في القتال ماهر ، وللرجال قاهر ، وعلى الأبطال ظاهر . وكل كمى كميش ، واكديش على اكديش .

فما خلا يوم من وقعة ، وما صار من بارزهم إلا إلى صرعه ، وما عاد من نجا من زنايير سهامهم إلا بلسعة ، وما حصلت شفاة شفاهم من طلاء من

---

(١) مريغ : فله داغ ، ذهب ههنا وههنا ، وراغ الرجل عن الطريق . ساد ههنا وذهب ههنا وهكذا مكرراً وخفيفة .

(٢) فارك : تارك .

(٣) عكار : كثير الكر .

طاولهم إلا على لطة . وما تبقى على لتوتهم ليت ، ولصوتهم في الزوال كل صباح ومساء صيت . وبلى القرنج منهم بالمير المييد ، واعتاق بهم مراد العلو المريد .

وما زال هذا دأبهم في الركوب ، ومباكرتهم ومراوحتهم إلى مواقف الكروب . فكم أقروا منا أعينا بأيديهم ، وثبتوا عدل النصر بتعليبهم ، وصلوا شر الشرك بتصديبهم ، وحركوا ماسكن وهذا من عزائم الهداة بتهديبهم .

وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان أخذ أصحابنا بعكاء مركباً للقرنج إلى صور مقلماً ، واجتلينا به من منى النصر مطلقاً . وكان المركب محتوياً على ثلاثين رجلاً وامراً واحلة ورزمة (١) من الحرير . وجاءت حظوة حلوة ، وغنيمة صفوة ، ونشوة أعقت صحوة ، وصيحة (٢) استصحبت ضحوة . وقوة من وهن العلو ، وعجة فككت رهن السلو . فقد كان انكسر نشاطهم ، وانقبض انبساطهم ، وانخفض اغتباطهم . وفترت عزمتهم ، وقصرت همتهم ، وخمدت فورتهم ، وركدت ثورتهم .

فلما عثروا بالمركب انتعشوا وانتقشوا (٣) ، وتنغموا وتنغشوا . ودب الروح ، وشب المروح . وتحرك الساكن ، وتترك الضامن . وصارو يخرجون ويخرجون ، ويقتلون ويبحرون ، ويمسون على القتال ويصبحون ويكافحون ويدافعون ، ويقارعون ويواقعون . والمسكر في المنزلة هاجم ، وجم جمعه واجم . واليزكية زكية ، والعيون ذكية . والنوب راتبة ، والعدة المعينة المعينة في كل يوم راكبة .

---

(١) الرزمة : من الثياب وغيرها ما جمع وشه مما .

(٢) في ب صيحة والتصحيح من ل .

(٣) انتقشوا : يفيد اللياق معنى الترح والانبساط .

## ذكر وصول ملك الألمان (١)

ونما الخبر بوصول ملك الألمان إلى قسطنطينية في عدد دهم دثر (٢) ، ونظم من خيله ورجله وثر . وهو على قصد العبور إلى بلاد الإسلام ، وقطع بلد الروم والأرمن إلى الشام . وأنه في ثلاثمائة ألف مقاتل ، من كل سالب باسل ، وطالب باطل . وجهم جهنمي ، وأشقرى سقرى ، وأنمش أفعوانى ، وصل صليبي صلاتي (٣) . وأرقش حنشي ، ومستعر سعيرى . ومحرب اظوى ، ومغوار نارى . وضار بالقرن ضار ، وجار للدرع جار . وكل ذئب عاسل ، ذاب بعاسل . وأزرق لأبيض مشتمل ، وأصهب لأسمر معتقل . وكل ججمي جاحم ، وجمرى فاحم . وحرثى بحرى ، وبار برى . وقاطع في طريق الوصول ، وراجل بقصد الحلول . وناز إلى النزال ، وصال بنار الصيال (٤) . ومشمر على الموت متمرن ، ومتحين إلى المنون متحن .

وفيهم ستون ألف فارس مدرع مقنع ، ماله سوى السوء من مقنع . وأنه مع الألمانى ملوك وكنود ، وكل شيطان لربه كنود (٥) . وكتب صاحب

---

(١) ملك الألمان : هو فردريك بربروس ( ذو الحية الحمراء ) وهو أول من تحرك العرب بعد هزيمة حطين ، وقاد الألمان بعد تجمعهم في راتزبون Ratisbon سنة ١١٨٩ م فتقدموا إلى آسيا الصغرى بعد اختراقهم بلاد المجر والبلقان ثم جبال طوروس وكمليكي ١١٩٠م وهناك رأى الإمبراطور نفسه في نهر سالف ليستحم فغرق ، تقول بعض المراجع الممتدة كسيرة صلاح الدين لابن شداد وغيرها أنه لم يفرق بل تحرك عليه مرض شديد فهلك به . وخلفه ابنه دوق بشارايا على قيادة الألمان حتى عكا حيث مات بها سنة ٥٨٩ هـ ( ارجع إلى سيرة صلاح الدين لإبن شداد . تحقيق محمد محمود صبح ط . الدار القومية ١٩٦٢ ) . وإلى ( مذكرات تاريخ الصور الوسطى في أوروبا والشرق لمحمد رفعت ) .

(٢) دثر : كثير .

(٣) صل صلاتي : الصل هي الحية الخبيثة جداً والصلاتي التارى .

(٤) الصيال : السطر والقهر .

(٥) كنود : كافر بالنعمة عاص .

قلعة الروم (١) مقدم الأرمن — وهو في قلعته على الفرات ؛ ومن أهل  
الذمة في المأمن . يندى تنصيحاً واشفاقاً ، وتخوفاً على البلاد واحترافاً .  
ويقطع بأن الواصلين في كثرة ، وأن الناهضين إلى طريقهم في عثرة .  
وأبرق في كتابه وأرعد ، وأبدع بخطابه وأبعد . ولاشك أنه إلى جنسه النجس  
مائل ، وبملاءة أهل ملته قاتل .

ولما وصل هذا النبأ وقيل إنه عظيم ؛ وورد هذا الخبر وخيل أنه أليم ؛  
كاد الناس يضطربون ، على أنهم يصدقون ويكذبون ، ومن طرف كل جبل  
من الرأى يجذبون . وقلنا : ان وضح هذا الخطر ؛ وضح هذا الخبر ؛  
فالمسلمون يقومون لنا ولا يفعلون ، ويغضبون لله ولا يرضون أنهم لا يعضدون .  
على أن الله ناصرنا ومؤازرنا ومظاهرنا .

وحققنا بإظهار القوة لمن استوحش التأنيس ، وبتثنا بالإرسال إلى  
بلاد الروم عيوناً وجواسيس . وندبنا رسل الاستتصار ، وبعثنا كتب  
الاستنفار إلى جميع الأمصار والأقطار . وقلنا : ماهله المرة إلا مرة ،  
ولا يسيغها إلا كل مرئ أبي ، وماهله الكرة مثل كل كرة ، ولا يمحضرها  
إلا كل كميح كمي .

---

( ١ ) قلعة الروم : قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين حميساط (داقوت

ج ١٦ : ٣٩٠ - ٣٩١ ط . ب . ) .

ذكر رسالة دار الخلافة

وعول السلطان على ( القاضي بهاء الدين بن شداد ، يوسف بن رافع ابن تميم ) (١) ليكون كتابه إلى الديوان العزيز مع رسول كريم . وقال له : « ما أحتاج أوصى ، وأنت تستوفى القول وتستقصى » . وجعل له إلى كل ذى طرف في طريقه رسالة ، وأودعه إليه مقالة .

فسار من عنقنا في شهر رمضان مقلداً ، يذخيل الزعم بدأ ، ويجد (٢)  
 حبل السير جذاً . ووصل إلى حلب والقاضي ضياء الدين القسم بن يحيى  
 ابن عبد الله الشهرزورى — رسول السلطان ببغداد قد عاد ، وذكر أنه قد  
 بلغ المراد ، وأنه استجدى واستجاد ، استفاد واستزاد ، وأنه استكمل  
 للعدة الاستنجاز ، وللعدة الاستنجاد .

فما هنا الرسول الرائع . وربما تعرضت لتلك الحوائج الجوائح (٣) .  
وإذا اختلف الحديث حدث الاختلاف ومتى ألقى (٤) غير ما ألقى ألقى  
الاختلاف . فما هنا العجل ، ومم الوجمل . فصلقه الملك الظاهر غازي  
صاحب حلب ، عن كل ما أبان عنه وأعرض .

وكتب إلى والده ، بذكر مقاصده ، وقال : « أنا لا أقدر على صد من

( ١ ) القاضي بهاء الدين بن شداد : هو أبو الحسن ، يوسف بن رافع بن تميم بن حجة ابن محمد بن عتاب الأسدي ، الفقيه ، الشافعي قاضي حلب ، ولد بالموصل ٥٣٩ هـ ، واتصل بخدمة صلاح الدين ٥٨٤ هـ فولا قضاء السكر والحكم ببيت المقدس ، كان من خلاء صلاح الدين ومستشاريه ، كان عالماً ديناً حسن السيرة ، أصبح قاضي حلب في عهد الملك الظاهر بن صلاح الدين عمر ملوس له مجلب والحق بها داراً لمجلت النبوى ومقبرة له ، توفي بمجلب ٦٣٢ هـ ( ارجع للسيرة صلاح الدين لابن شداد تحقيق محمد محمود صبح - المجلد ط . الدار القومية ) ( وإلى النجوم الزاهرة ج ٦ ط . دار الكتب ) .

(۲) محل : یقیناً .

(٢) الجوائح : جمع جائحة وهي البلية والهلكة والداية العظيمة .

( ٤ ) ف ب ألف والصحيح من ل ومن أ ( ١٩٥ ى ) .

للخدمة تصدى ، ولارد من بثوب الرسالة تردى ، وأنت تفضى إلى السلطان ،  
بما أوضحته من البرهان . وهو يحكم ويحكم ، ويعقد ويرم . ويقول  
فتسمع ، ويأمر فتتبع . ولعلك تعود سريعاً ، وتجده شمل ما ألفته جميعاً .

فوصل ضياء الدين الشهرزورى وهو معتاض ، وسجاياء السجاح  
غلاظ . وتغير على ، ونسب انفاذ القاضى بهاء الدين إلى ، فإنه كان مغالى  
ومغالطى ومجالسى ومباسطى . فأزلت عنه كل ظن ، واعتلرت إليه بكل فن ، فما  
بسط علر ؛ ولا قبض ذعر . فلأتى على أسبابى ببغداد خائف ، ودون رضى  
كل سائر إليها واقف . واسترضيته فما رضى ، ومضيت إليه مراراً قبل  
أن يمضى .

ثم اجتمع بالسلطان وندّمه على ما قدمه ، وأعلمه بما علمه . وقال له :  
« الشغل قد فرغ ، والمقصود قد بلغ ، والسؤال قد أجيب ، والسؤل قد  
أصيب . والمخطوب بزماته نحوك مخطوم (١) ، وكل ملك سواك لأجلك  
من رضاع رضاهم مفطوم . فكن للإمام يكن لك ، واقبل أمره ليقبلك .

واجتمع بالسلطان دونى ، واتفق بجماعة شاركوه وأفردوني . وقرروا  
معه سرا أمراً ، وحلّوه أن يصير جهراً . ولو كنت معهم لعرفتهم أن الأمر  
الذى أبرموه غير مبرم ، وأن الرأى الذى أحكموه غير محكم . وما زلت  
أؤكد الأمر حتى يؤمن انتقاضه ، وأعرض دون الرأى حتى لا يمكن  
اعتراضه . وأتيقن أن الأمر ما فيه خلاف ، وأن الوعد ماله اختلاف . فما  
فعل الرسول تلبث ، ولا أمهل بتمكث ، بل جعل على المجاز لا الحقيقة  
مجازة ، وزعم فيما دبره نجاحه ونجازه . وسلك فيما تقرر نهج العجب ،  
وأسرع العودة على النجب .

فلما انفصل عن السلطان ، بما وصله من الإحسان ، جمع السلطان  
الأمراء على المشورة ، ووقفهم على المعنى والصورة . وقال لهم : « قد وعدت

---

(١) لى وضع الخطام فى أفنه ، والخطام هو كل ما وضع فى أنف البعير ليقناده به .

الخليفة على لسان الشهرزورى بشهرزور (١) ، واستدعيت عسكره المنصور،  
وربما قدم إلينا الحضور، فيكمل لنا النصر والحبور . فقالوا : « هذا رأى  
رائب ، وشأو شائب (٢) ، وأمر عته الصواب ناء ، وكيف تعد الإمام  
بما لا يقرب بوفاء . وكيف ينجز هذا الوعد وينجح هذا القصد ! ودونه  
إعماش من هو فى طاعتك ! فكنت تبذل ما يدخل فى استطاعتك . أما  
صاحب الموصل طلبها فمنع ، وصاحب أربل (٣) عنها دفع ، ومملوكك بها  
لمن يجاوره خائف ، وكل ابواقى لحدها وحققها حائف (٤) . وما من هؤلاء  
إلا من بذل عنها أموالا وأحوالا ، والتزم من الجنود والنقود أنجاداً خفافا  
وحمولاً ثقالا . فإذا عرف أنك أخرجتها لمن له الأمر ؛ دخل عليهم الضرر.  
وملك مالك الأمر أمرهم ، وأبدوا فى انقطاعهم عنك علهم . وانقطع  
الواصل، وارتفع الحاصل . وما جاءنا من المذكورين فارس واحد ، ولا ساعد  
على ما نحن فيه بعدها مساعد . فأما هذا بكتمر فى خلاط (٥) قد جمع  
الأخلاق ؛ وجهر بالعداوة ؛ وأقام على الغيابة والغباوة . »

فقال السلطان : « الخليفة ملك الخليفة ، وهو مالك الحق والحقيقة .  
فإن وصل إلينا أعطيناه هذه البلاد ، فكيف شهرزور ! وسيحدث الله بعد  
الأمر الأمور . »

ولما وصل ضياء الدين الشهرزورى إلى بغداد ؛ وصادف بها القاضى  
بهاء الدين بن شداد . فلم يسفر أمر سفارته عن شداد . وقيل له : « جواب  
ما أتيت فيه مع ضياء الدين نسيره ، وننديه فيما نتخيره . » وشرف  
بهاء الدين وأعيد ، وزين ضياء الدين وزيد . وذكر ماجرى فتم الاعتداد ،  
ونم الإحماذ . وسأى ذكر ما آلت إليه نوبته ، حين كانت أوبته .

(١) شهرزور : مدينة بين الموصل وهمدان وأهلها كلهم أكراد (ياقوت ج ١٢ :  
٣٧٥ - ٣٧٦ ط. ب.) .

(٢) الرأى الرائب هو الذى فيه شبهة وكدر . والشأو الشائب : هو الغاية الغير سديدة .

(٣) أربل : مدينة بين الزابيين (كانت فى زمن ياقوت من أعمال الموصل) وهى قلعة

حصينة ومدينة كبيرة (ياقوت ج ٢ : ١٣٧ - ١٤٠ ط. ب.) .

(٤) مقصوص .

(٥) خلاط : أو أخلاط ، بلفة عامرة مشهورة بكثرة الخيرات والمياه ، وهى عاصمة

أرمينيا الوسطى (ياقوت ج ٧ : ٢٨٠ - ٢٨١ ط. ب.) .



ذكر وصول الملك العادل سيف الدين أخى السلطان

والاستظهار بجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة الإيمان

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال ، فى جيش وآل ،  
وجمع حال . وشوكة (١) رائحة وشكة رادعة ، وشارة سارة ، وديمة  
من البأس دارة . وعدة متخية متخبة ، وعدة متفاعة مهذبة . من كل أجلل  
على مرقب ، وأجود على جواد مقرب . وصاف عتيق على صافن عتيق ،  
وطود على طود ونيق على نيق ، وصقر على سودنيق (٢) . وبحر على  
سابع ، وجذع على قارح (٣) . ومن كل رثبال على تنقل ، وأغر محجب  
على اغر محجل . ومن كل أبيض ضرب بالبيض ضراب ، وكل أسمر باسل  
بالسمر سلاب ، وكل أروع يحمل يراعا ، وكل شجاع يعقل شجاعاً . وكل  
أحمى أحمس ، وكل أفرى أفرس . ومن كل أسد خادر ، وقصور قاسر .  
وضيفهم ضاغم ، ومقام واقم . وليث به لوة ، وحدث له فى الشهامة  
أحلوثة .

وأحضر معه من سودان مصر كل ذمر كأنه العيسى عابس ، وكل  
مغامر للموت مغامس . وكل غريب حلكوك (٤) ، وكل مرحان صعلوك .  
وكل ضرغام غرينى (٥) ، ومقدام رينى . وكل خارج لثار ، وكل مارج  
من نار . وكل أسود سالخ ، وكل رأس فى الشر راسخ .  
وجامعوا بالغبسة (٦) القبطية ، والترسة (٧) اللمطية ، والصلال القفطية .

---

(١) شكة : سلاح .

(٢) سودنيق : صقر .

(٣) الجذع : الشاب الحدث . والقارح : الأمد .

(٤) الثريب : الأسود الحالك . والحلكوك : الشديد السواد

(٥) سريع .

(٦) الغبسة : يفهم من السياق أنها آلة تنسب إلى قبيل مصر .

(٧) الترس : جمع ترس وهو صفحة من الفولاذ تحمل لواقية من السيف .

والإلال (١) التوبة ، والحراب الحرية ، والصعاد الصعيدية . والصورم  
المثروبة ، والصرائم المشبوبة . والأمنة المسنونة ، والصوانغ الموضونة .  
والسراحين السارحة ، والتعاين الجارحة . والتماشيح المزدردة ، والشياطين  
المثوقدة . والزانات والزنيات ، والهنديات والجمانيات .

وكان يوم وصول العادل مشهوداً ، لم يترك في كل ما يراد من القوة  
مجهوداً . وأقبل في روع ظاهر وضوع باهر . وبشر ذائع ، ونشر ضائع .  
وجبور تام ، وسرور عام . وهزة وطرب ، وعزة وأرب . وقلنا :  
سيف الدين المنتضى ، وناصر الإسلام المرتضى ، وغياث الأنام المرتجي ،  
وسلطان جيوش المسلمين المجتبي . لقد نص النصر ، وكف الكفر . وسلم  
الإسلام ، ونام الأنام . وأمن الإيمان ، وتسلط السلطان . وحليت الأحوال  
وفرغ البال ، وبلغت الآمال ، ونيل رجاء الرجال ، وأزيل إبطاء الأبطال .  
وورث زناد الأجناد ، ورويت ظماء الصعاد . فما بعد اليوم إلا بعد القوم .  
وإدراك ما استقام من النهج ، وهلاك من أقام من الفرنج .

ونزل الملك العادل في نخيمه ، وقدم اليمن بمقلمه . وتقدم السلطان إلى  
راجل دمشق والبلاد فحضر ، وضايق الفرنج به وحصر . ولم يخل العلو في  
كل حين من حين ، وفي كل وقت من وقت ؛ وفي كل شأن من شأن . وفي  
كل بقعة من وقعة ، وفي كل صقع من صقعة . وفي كل ليلة من ليلة ، وفي كل  
سحرة من كبسة بالنكاية فيهم مليه . والملك العادل يركب في كل يوم ويلى  
ومن جهده في القتال لا يخل . والفرنج على البلاء صابرون ، وللعناء والعناد  
مكابرون لا يبرزون ولا يبارزون ، ولا يحاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون .

ذكر فصل إلى الديوان العزيز واشتمل على مجارى الأحوار

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل ، ومجاوله أهل الغواية بالغوائل ، ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد أمواجه إلى الساحل . وقد نزلوا على عكاه المحروسة ، براياتهم المنكوسة ، وآرائهم المعكوسة . وحشودهم المجموعة ، وجموعهم المحشودة ، وظلال الضلال المملودة ، وإقدام الأقدام المصلودة المسلودة .

وقد مضت ثلاثة أشهر شهر بها التلث على التوحيد سلاحه ، وبسط الكفر جناحه ، وحصل الشرك على قروحه وعلم اقتراحه . وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت ؛ والروعات التي وقعت ؛ أكثر من عشرين ألف مقاتل ، من فارس وراجل ، ورامح ونابل . فما أثر ذلك في نقصهم ، ولا أرث (١) إلا نار حرصهم . وما قلل حدّ حديثهم الحادث ، ولا قلل عدد كثيرهم الكارث (٢) . ولا غصوا عيون أطماعهم ، ولا فوضوا ختم اجتماعهم . ولاردوا وجوههم عن مواجهة الردى ، ولا قطعوا أملهم عن الوصول إلى المدى ، ولو قطعوا بالمدى ، وهم لمواضعهم ملازمون ، وفي مصارعهم جاثون ، وعلى الموت صابرون ، وإلى الحماص صائرون . وبالنخادق من البواقي محتمون ، وبالطوارق من الطوارق معتمنون . وعندهم أنهم للبلد محاصرون ، وهم على الحقيقة وإن كانوا لكثرتهم غير محصورين محصون ، وإن جندنا لهم المتصورون .

وللعاكر الإسلامية فيهم كل يوم نكاية شديدة ، وفتكة مبيدة . ووقعة ناكية ، وجمرة ذاكية ، وصدمة صادعة ، وحلمة رادعة .

ولما امتنع الدخول عليهم ؛ وتعلل الوصول إليهم ؛ جُمع راجل البلاد ؛ وحشد إلى حشودهم ذوو الاستعداد . حتى تقاتل الراجل بالراجل ؛ والفارس بالفارس ؛ وتفرع بقمع جمعهم بكر الفتح العانس . وقد وصل

---

(١) أرث : أوقد .

(٢) الكارث : للسبب للفم الشديد .

الأخ العادل وفقه الله للمراضى الشريفة ، بالجموع الكثيرة الكثيفة . ولعل الله أن يجعل حنف هؤلاء الفرنج فتحاً لأبواب الفتح ، ويعجل الليالى آمال المسلمين بطلوع صبح النجح . وليس هذا العدو بواحد فينتج فيه التدبير ، ويأتى عليه التلميز . ولأنما هو كل من وراء البحر ، وجميع من فى ديار الكفر . فإنه لم يبق لهم مدينة ، ولا بلدة ولا جزيرة ؛ ولا خطة صغيرة ولا كبيرة ؛ إلا جهزت مراكبها ، وأنهضت كتائبها . وتحرك ساكنها ، وبرز كامنها ، ونفضت خزائنها ، وانفضت معادنها ، وحملت ذخائرها ، وبذلت أخايرها . وثار ناثرها ، وسار سائرها ، وطار طائرها . ونظت كتائن كتائسها ، واستخرجت دفاائن نفائسها .

وخرج بصلبانها أساقفها وبطاركها ، وغصت بالأفواج فجاجها ومسالكتها . وتصلبت للصلب السليب ، وتغضبت للمصاب المصيب . ونادوا فى نواديهم بأن البلاء دهم بلادهم ، وأن اخوانهم بالقلمس أبارهم الإسلام وأبادهم . وأنه من خرج من بيته مهاجراً ؛ وبحرب الإسلام مجاهراً ؛ ولتعبه مسترداً ؛ ولجده فى النخوة لدينه مستجداً ، فقد وهبت له ذنوبه ، وذهبت عنه عيوبه .

ومن عجز عن السفر سفر بعلمته وثروته من قنر . وبلبل البيدر لمن بدر . فجاءوا لابسين للحديد بعد أن كانوا لابسين للحداد ؛ وتواصلت منهم الأمداد بالإمداد ، وتوالت أنجاد الإنجاد . وهم على النقص يزيلون ، وعلى الأبد يبيلون ، وبالمهج يهودون ، وعن اللجاج فى خوض اللجج لا يعودون . وهؤلاء هم الواصلون فى البحر القاطعون أثباجه ، المكاثرون أمواجه . فأما ملوكهم الواصلون فى البر فقد تواترت أخبارهم ؛ بأن خلت منهم ديارهم ، وورمتهم إلى أغراضهم البعيدة أوتارهم . وبهم يستفعل الشر ، وبعضل الأمر . ويصول الكفر ويحول ؛ ويتناول الشرك ولكنه لا يطول . فإن لدين الله من خليفته ناصراً لا يسلمه ، ورزاقاً لا يحرمه . وما تمسك بحبل طاعته إلا من فاز قلعه (١) وحاز السناء قلعه ، وأسفر صبحه ، ووفر نجحه . وبدا علوه ، وباد علوه .

(١) القنح يكرر القاف : هو السهم قيل أن ينصل ويراش والمعنى هنا كناية عن السمو.

والخادم بقوة رجائه في العوارف الامامية ؛ والعواطف النبوية ؛ وشدة  
استظهاره بالنصرة الظاهرة الناصرية ، أن أن يفرق الجمعين ويجمع الفريقين  
الجمعين . ويعيد البر بحرا من دماء وافدى البر والبحر ، ويقطع دابرهم  
دابر الكفر .

ذكر وصول الأسطول المنصور من مصر يوم الثلاثاء سادس عشر

ذى القعدة في المراكب المستعدة المستبدة بالبأس

والشدة وكانت عدته خمسين شينياً

كان السلطان منذ وصل الفرنج إلى عكا قد كتب إلى مصر بتجهيز  
الأسطول ؛ وتجزية حباله ، وتزجية أمور رجاله . وتكثير عدده ، وتوفير  
عُدده . وإصلاح شئون شوانيه . وإسقاء رواسى سواريه . فتولى ( حسام الدين  
لؤلؤ (١) الشيخ ) أمره ، وشرح لإيراده وإصداره صدره . وأنفق من ماله  
ما جمع به شمل رجاله .

وهذا لؤلؤ قد اشتهرت في الكفر فتكاته ، وشكرت في العلو نكاياته .  
وقد تفرد بغزوات لم يشاركه فيها أحد ، ولم يكن فيها على الإسلام لغيره  
يد . وماسلك نهجاً الاملك ، ولاطلب غاية إلا أدرك . وهو ميمون النقية ،  
مشكور الضريبة . وهو الذى رد الفرنج عن بحر الحجاز ، ووقف لهم على  
طرق المجاز . ولم يترك منهم عيناً تطرف ؛ ولم يبق لهم دليلاً يعرف .  
وغزواته مشهورة ، وفتكاته مذكورة . وأمواله مبذولة ، وأكياسه لعقد  
الإتفاق في سبيل الله محمولة .

فتولى الأسطول ، وجمع به الطول والطول . ووصل به . وللفرنج  
من شوانيه على وجه البحر عقارب تدب ، ولواسب (٢) سوالب ما تغيب  
وما تغب . وسفن حمالة ومقاتلة ، وبطس (٣) للأزواد والمير ناقلة .

فصلمتها مراكبنا بمنكايها ، وملأت معاطنها بمباطيها . واستطال  
الأسطول المنصور على أساطيلها ، وجاء حقه بازهاق أباطيلها . وطلعت في  
سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما ، وقذفت لشياطين الكفر رجوما .  
وأقبلت سواريه بالرواسى ، مبرمة الأمراس محكمة المراسى . وقطعت

(١) هو الحاجب لؤلؤ وقد سبقت ترجمته .

(٢) لادفات : ضاربات .

(٣) بطس : جمع بطه ، وهى المركب الكبيرة - ( النجوم للزاهرة ج ٦ : ٢٦٩ ) .

اللجة بأشباه أمواجها ، وسدت فجاجها بأفواجها ، ونكست أعلام الأعلاج  
عن ألباجها . ووافت أساودها السود بالأسود ، وسدت عقبانها الآفاق  
بأجنحة الرايات والبنود . وطاروت بقوادم المجاذيف وخوافيها ، وزارت  
بجوارح المقاذيف وعوافيها .

فجاءت فجاعة وسفن العلو كالجبال تمرُّ مر السحاب ، وتطوى اللجة  
كطى السجل للكتاب . فصلتها وصدعتها ، وردتها وردعتها . فكأنما نعبت  
غربانها بين أحبة الكفر أعاديها ، وأناخت ظعائن الضغائن على شوائف  
شوانيها ، وعادت قوامص القرنج فيها قنائص جوارح جواربها .

فأول ما ظهر الأسطول المنصور بشيئ القرنج عظيم الشان ، عاد طاغ  
بأهل الطغيان والعلوان . قتل مقاتليه ، وتبع ما يليه . فوقعت بطشته الكبرى  
ببطسة كبيرة ، تشتمل على ميرة لهم وذخيرة وأمتعة كثيرة .

وتفرقت سفن القرنج أبدى سبا ، وأصلد زندهم وكبا . وعادوا  
محصورين محصورين قد دفعت مراكبهم الى دافعت عن مباركهم ، وأيقنوا  
أنهم تورطوا في مهالكهم . وسيرت بوصول الأسطول كتب إلى الأقطار ،  
وبشر المسلمون بما حصل به من الاستظهار .

## ذكر فصول أنشأتها فيها

### منها فصل

ولما رأينا أمدادهم في البحر متضاعفة ، وجموعهم متكاثفة ، استدعينا الأسطول المصرى المنصور فجاءها فجأة ، وامتد أسطراً على طرس البحر أعيت متأملها قراءة ، وأقبلت جواريه جوارح من قنائصها القوامص ، وصدمت شوانيه شوائى الشناة فعادت مراكبهم وهى نواكص . وطارت غربانا يبين أحبة الكفر أعداء الإسلام ناعبة(١) ، واطردت على طرائد(٢) الفرنج فطردها غالبه لا لافية .

وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمرة ، وألهمت فى الماء على أهل التاركل نار للنكال مسعرة . وانقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت بها أساطيلنا فذهبت وجاءت ، وعملت ماشاءت ، وتبعهم مراراً ، وبالغنائم فاهت ، وأعشت أعين الرائين كلما تراءت . فضاقت بها العداة ذرعاً ، ولم تجد من بعدها مطعماً ولا مرعى .

---

(١) ناعبة : مصوغة متفردة بالبين .

(٢) طرائد : جمع طريقه أو طراد وهى سفينة لحمل الخيل وفرسانها وتحمل نحو أربعين فارساً بأنفاسهم . ( Dozy. Supp. Dict. Arabe ) ( والساوك ج ١ : ٥٦ تحقيق د. زيادة ) و( الروشيتين ج ٢ : ٥٩٨ تحقيق د. محمد حلى أحمد ) .



## فصل من كتاب

صلى الكتاب بورود الأسطول المصرى ، بالسطو الشديد والبأس القوى .  
فارتاع الكفر من وصوله وصوله الرائع ، وذل جمع الكفر لعزه الجامع ؛  
وجاء بكل شئى شافى . لشائن الدين واجىء ، مفاجع للعلو بالهلاك مفاجىء .  
مفرق لمراكب الشرك المجتمعة ؛ مضيق لمناهج مضارها المتسعة .  
قطحن مناكب مراكبها ، ووسع معاطن معاطبها . واستولى منها حالة  
وروده على عدة للملاقاة مستعدة ، ولامداد اعانتها ممن وراءها مستعدة .  
وقتل من فيها من الرجال ؛ وغنم ماوجد فيها من العدد والأموال .

## فصل من مكتبة أخرى

وصل الأسطول المنصور في كل شينى شافى؛ للشرك شائن ، زائد  
لبهجة الإسلام زائن . زائر بكل أسد زائر ، سائر بكل مقدم إلى مقام  
الإقدام سائر .

وكانت الفرنج قد جهزت مراكبها ، وأرهفت غروبها وسنمت  
غواربها . وملأتها برجال أيديها على قوائم القواضب قواضب ، وأرجلها على  
الثبات في روابي متون سفنها روابض . وهم على انتظار الأسطول .  
ليطاولوه ، ويلقوه وبالمدافعة يحاولوه .

فلما وصل وصال ، وراع أمره وهال ؛ وجلا عليهم الأوجال  
والآجال ؛ بتوا المراسى والحبال ، وانهمزوا بسفنهم ، وآذنت قوتهم بوهنهم .  
واستولى على عدة منها بالعدد والرجال والنخائر والأحمال مملوءة ، وسلبهم  
كل ما أعلوه فيها من قوت وقوة .

والقصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها ،  
وأعرب عن حقها وحقيقتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقوية البلد

ونقل الرجال والنخائر والعدد

ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث ؛ وتبحرت السهول والوعوث ؛ وحالت الأحوال ؛ ولاحت على خلاف المراد الأحوال ؛ وتعلز الخروج إلى تلك المروج ؛ وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج ؛ وزال حكم الزل ؛ واستقال من استقل بالقتال ؛ شرع السلطان فيما هو أنفع وأجدى ، وأنجع وأمنجى ، وأرجح بالاحتياط والحزم وأرجى ؛ وهو تقوية عكاه بالميرة والنخيرة ، والأسلحة الكثيرة . والرجال الحماة ، والأبطال الكماة .

فقتل إليها في المراكب جماعة من الأمراء الأمثلثة (١) بأجنادهم ، فدخلوا إليها بعددهم وأزوادهم . واستظهر البلد أيضاً برجال الأسطول ورؤسائه وقواده ، فما دخل أحد فيه إلا بزيادة في زاده . وكانوا زهاء عشرة آلاف بحرى حرى ، على الجرى إلى الموت جرى . فامتلاً البلد بكل منتخب مستخ ، ومرخص مهجته الغالية للإسلام مصرخ . وانتفع بهم في جذب المنجنيقات ، والرمي في العرادات (٢) ، والحذف بالنقاطات ، والإحراق بالزراقات ؛ والزرق بالمرقات . وإلقاء القوارير ، واذكاء المساعير . وتطريح النار ؛ وتطويع الأحجار ؛ ومواصلة القطاعات ، والزياراة بالزيارات . وتوزير الجروخ والزنبوركات ، وتطهير النواكات النواكى من مقاتل العدو إلى الوكات . ومناسبة الفرنج في كل وقت بالأخذ والوقد ؛ والجد في الجدد والجد (٣) . وطروقهم ليلاً على سبيل التلصص ، وسوتهم من سوتهم على وجه التصيد والتقصص .

وكبسوا ليلة سوق الخمارات والعواهر ، وسبوا عدة من المستحسنات القواجر . واستنصروا بذلك واستبشروا ؛ واجترأوا منه على ما أجروا .

(١) الأمثلثة : الأغنياء المتبولون أو المحسنو القضاة منهم .

(٢) العرادات : وأحدا عرادة وهي آلة حرية لرمى الحجارة .

(٣) القلع .

وكذلك من عندنا يدخل إليهم الرجال متسوقين ، ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين . فمن قدر على حصان أخذه وأخرجه ، ومن تعلق عليه إخراج عقره وبعجه . ومنهم من يهجم على الرجل في خيمته ويرهبه بمدُّ مِدْبَتِهِ . ويسلبه سكونه بسكينه ، ويجعله إن لم ينجذب معه من حيثه على يقينه . فيقوده بخطام القهر ، ويجذبه بخدام الأسر .

ووقع القوم من هذا في بلاء مُبْلٍ ، وعناء عن حب الحياة مسل . فقد كثر إليهم الاجتياز ومنهم الاحتياز ، وشق عليهم الاحتراس والاحتراز . ونحيل الناس في اغتيالهم بكل طريق ، وازداد فرقههم من كل فريق . وأعدت الحال من الليل إلى النهار ، والمكابرة والجهار ، حتى كان رجالنا يختفون بالحشيش في أجراف الأنهار ، فإذا صادفوا فارساً ورد الماء فاجأوه بالقتل أو الأسار .

## ذكر حال نساء الفرنج

وصلت في مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنة ، متحلية بشبابها وحسنها مزينة . قد اجتمعن من الجزائر ، وانتدبن للجزائر . واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء ، وترافدن على الإرفاق والارفاق ، وتلهبن على السفاح والسفاد . من كل زانية نازية ، زاهية هازية ، عاطية متعاطية ، حاظية خاطية ، متغنية متغنية ، متبرزة متبرجة ، نارية ملتهبة ، منتقشة متخضبة ، نائمة شائقة ، فائقة راققة ، راققة فائقة ، راققة خارقة ، مارقة راققة ، قاسرة سارقة ، فارجة فاجرة ، فائقة فائقة ، مشتتة متشعبة ، ملهاة متلهية ، متفنتة متفتية ، ناشية متشعبة ، متشوقة متسوقة ، مقترحة محترقة ، متحبة متعشقة . حمراء مرعاء ، نجلاء كحلاء ، عجزاء هيفاء ، غناء لفاء ، زرقاء ورقاء ، متخرقة خرقاء .

تسحب غفارتها ، وتسحر بنضارتها نظارتها . وتبني كأنها غصن ، وتتجلى كأنها حصن . وتبمس كأنها قضيب ، وتزيف وعلى لبثها صليب . وهي بائعة شكركا بشكرها ، باغية كسرها في سكرها .

فوصلن وقد سبلن أنفسهن ، وقلمن للتبذل أصوبن وأنفسهن : وذكرن أنهن قصدن بمروجهن تسيل فروجهن . وأنهن لا يمتنعن من الزيان ، ورأين أنهن لا يتقرين بأفضل من هذا القربان ، وتفردن بما ضربته من الخيم والقياب ، وانضمت اليهن أترابهن من الحسان الشواب . وفتحن أبواب الملاذ ، وسبلن ما بين الأفخاذ . ويمن بالإباحة ، ورحن إلى الإحاة ، وأزحن علة السماحة ، ونفقن سوق الفسوق ، ولفقن رتوق الفتوق . وتفجرن بينابيع الفجور ، وتحجرن بنزو الفحول منهن على الحبور ، وعرضن الإمتاع بالمتاع ، ودعون الوقاح إلى الوقاح :

وركبن الصلور على الأعجاز ، وسمحن بالسلعة للنوى الإعواز ، ودمن على تقرب خلاطهن من الأقراط ، ودمن فرشهن على بساط النشاط . وتهدفن للسهام ، وتحللن للحرام . وتعرضن للطعان ، وتضرعن للأخذان :

وممدن الرواق ، وحلن حين عقدن النطاق . وصرن مضارب للأوتاد  
واستدعين النصول منهن إلى الأعماذ . وسوين أراضيهن للغراس ، واستنهضن  
الحراب إلى التراس . واستففرن المحارث إلى الحرث ، ومكن المناقير من  
البحث . وأذن للرعوس في دخول الدهاليز ، وجرين تحت راكبيهن على  
ضرب المهاميز . وقرين الأشطان(١) من الركايا ، وفوقن النبال في أعجاس(٢)  
الحنايا ، وقطعن التلك ، وطبعن السكك .

وضمنن الأطيار في أوكار الأوراك ، وجمعن قرون كباش النطاح  
في الشباك . ورفعن الحجر عن المصون ، وترفعن عن ستر المكنون . ولفنن  
الساق بالساق ، وشفين غليل العشاق . وكثرن الضباب(٣) في الوجار(٤) ، وأظعن  
الأشرار على الأسرار . وطرقن الأقلام إلى الأدوية ، والسيول إلى الأدوية .  
والجدول إلى الغدران ، والمناصل إلى الأجفان . والسبائك إلى البواتق ،  
والزنانير إلى المناطق والأخطاب إلى التنانير ، وذوى الأجرام إلى المطامير(٥)  
والصيارف إلى الدنانير . والأعناق إلى البطون ، والأقناء إلى العيون .

وتشاجرن على الأشجار ، وتساقطن على الثمار . وزعن أن هذه قرية  
ما فوقها قرية ، لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبة . وسقين الخمر ،  
وطلبن بعين الوزر الأجر . وتسامع أهل عسكرنا بهذه القضية ، وعجبوا  
كيف تعبلوا بترك النخوة والحمية .

وأبق من الممالك الأغبياء ، والملاير(٦) الجهلاء ، جماعة جد بهم  
الموى ، واتبعوا من غوى . فمنهم من رضى للذة بالدلة ، ومنهم من ندم  
على الذلة فتحيل في القلة . فإن يد من لا يرتد لامتد ، وأمر الحارب إليهم

---

(١) جمع شطن وهي الجبل الطويل .

(٢) أعجاس : جمع حبس يشم الجيم وهو العجز .

(٣) الضباب : جمع صب وهو حيوان من الزواحف ذنبه كثير البقد .

(٤) الوجار : الحرف حفرة السيل من الوادي وجمر الضب .

(٥) المطامير : وهي الحفائر تحت الأرض تحيا فيها الحبوب ونحوها .

(٦) للملاير يقال « هو لا يعرف قبيلة من ديرة » أى لا يعرف ماقدامه ولا ماخلفه .

يكنون يملك عن فرط جهله .

لاتهامه يشتد ؛ وباب الهوى عليه يستد . وماعند الفرنج على الغزباء إذا أمكنت منها الأعزب حرج ، وما أذكاهما عند القسوس إذا كان للغزبان المضيقين من فرجها فرج . ووصلت أيضاً في البحر امرأة كبيرة القدر ، وافرة الوفر ، وهى فى بلدها مالكة الأمر . وفى جملةتها خمسمائة فارس بخيولهم وأتباعهم ، وغلمانهم وأشياهم . وهى كافلة بكل ما يحتاجون إليه من المؤونة ، زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة . وهم يركبون بركبانها ، ويحملون بحملاتها ، ويثبون لوثبانها ، وتثبت ثيابها (١) لثيابها .

وفى الفرنج نساء فوارس ، لهن دروع وقوانس . وكن فى زى الرجال ، ويبرزن فى حومة القتال ، ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال . وكل هذا يعتقدنه عبادة ، ويخلن أنهن يعقدن به سعادة ، ويعملنه لمن عادة . فسبحان الذى أضلهن ، وعن نهج النهى أزلهن .

وفى يوم الوقعة قلعت منهن نسوة ، لهن بالفرسان أسوة ، وفيهن مع لينهن قسوة ، وليست لمن سوى السوايف كسوة . فما عرفن حتى سلبن وعرين ، ومنهن عدة استين واشترين . وأما العجائز فقد امتلأت بهن المراكز ؛ وهن يشددن تارة ويرخين ، ويحرضن وينغين . وقلن ان الصليب لا يرضى إلا بالإباء ، وأنه لا بقاء له إلا بالقناء ؛ وأن قبر معبودهم تحت استيلاء الأعداء . فانظر إلى الاتفاق فى الضلال بين الرجال منهم والنساء . فهن للغيرة على الملة ملئن الغيرة ، وللتجاة من الحيرة ناحين الحيرة . ولعدم الجلد عن طلب الثأر تجلدن ، ولما ضامهن من الأمر تبلهن وتبلدن .

---

(١) لى شجاعتها وصلاق حملتها .

ذكر ما أهداه عز الدين مسعود  
ابن مودود بن زنكى بن آقستقر صاحب الموصل  
من النفط الأبيض والرماح والتراتس

ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من تكثير العدة ؛  
وتقوية النجدة ؛ لكل ما يمكنه من أسباب البأس والشدة ؛ سير من أحمال  
النفط الأبيض مع عزة وجوده — ما وجده . ومن التراس والرماح — من  
كل جنس — أحكمه وأقومه وأجوده . وشاح الاعتداد ، وذاع الإجماد ؛  
ودل ذلك على اتشاج الوداد ؛ والامتزاج والاتحاد .

وكتبنا في شكره

وصل السلاح ، وتم للإسلام من قروح الكفر الاقتراح ، واستجيدت  
التراتس والرماح ، وفارقت للقائهما أجسام الأعداء الأرواح . واتصل بالنفط  
الواصل إلى أهل النار الاحتراق ، وطعنت وضربت منهم النحور والأعناق .  
وقد هدأ بما أهداه النصر إلى الهدى ، والردى إلى العدا . وأجود الأكارم وأكرم  
الأجاود من جاد بما أجلى وأهدى ما هدى ، وعاد من المكreme بما بدا .

لا أدخل الله المجلس من يد يتخذها ، وأباد يسيرها وينقلها ، ومحمدة  
يستخلصها لنفسه ويستنقلها ، وحمية للدين يقوم بها حماة الشرك ويقذلها ،  
ونخوة للإسلام تمهى حلود المهمل النابية وتشحنها .

وما طلب من العدة ما طلب إلا للحاجة الحاقة ، والضرورة الشاقة .  
فإن الحروب المتطاولة المدد ، أتت على جميع العدد . فالسمر متحطمة ، والبيض  
متثلثة ، ووجوه الصفاح بلثام النجيع متثلثة . وعيون النصال عن حواجب  
القسى إلى مقل الأقران راقمة مارقة ، وحمام الحمام فى مريشات السهام  
بكتب الكبش من حنايا المنايا الساقطة سابقة .

وقد أفنى المصال النصال ، والنصال النبال . والرماء الأفواق ، واللقاء



العناق . والمصاع المناصل ، والقراع النوايل ، والصيال الصواهل ، وعمل  
الجهاد الدائم العوامل . فلا ضامر إلا وهو وان كان غالباً لاغيب ، ولا صارم  
إلا وهو في دم العدو الفائض ناضب . ولا جارج إلا وهو مجروح ، ولا قارج  
إلا وهو مقروح . ولا جامع إلا وهو مصعب ، ولا باشر إلا وهو مقطب .

فبأية عدة من هذه العدد أنجد ، غار الحمد وأنجد ، وتأسس الشكر  
لاتعامه وتمهد . ومن العجب أن العدة تقف ولا تقف العدة ، وتنمو على  
الحصاد وكأنها النبات ، ويتسارع إلى أمدادها الموت والهلاك ويخلفها في  
إيدائها الحياة . فان البحر يمدهم ، والكفر إلى الردى يردهم ، وكلما  
أخلفتهم الأيام فان الليالي تجددهم . وما جمعهم القدر إلا ليفرقهم ، وما حمل  
أهل النار في الماء إلا ليفرقهم في دماهم وبنار البواتر يحرقهم .

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده

ورد الخبر بأن عماد الدين قد جهز عسكره ، وقدم عليه قطب الدين (١) ولده وسيره . فقال السلطان « هذه أيام الشتاء ، ولا يتتصف فيها من الأعداء . ونحن محتاجون إلى العسكر في الربيع ، واستنهاض الجموع إلى شمل النصر الجميع » فكتب بتأخيره ، والتمهل في تسييره . فتأثر قلب عماد الدين برد ولده ، ورجوعه بعد المسير من بلده .

### فكتب إليه السلطان من مكاتبة

كان لما انتهى إليه صدق اهتمام المجلس بأمره ؛ والتقدم بتجهيز العسكر إلى نجدته بكل ما يعود بسرور سره ؛ وانشراح صدره ؛ وعرف مسير قطب الدين أدام الله له مضاعفة العلاء ؛ وأقر بأنواره عيون الأولياء ؛ وظن أنه لم يقدم حركته المقررة بالחסنات ؛ ولم يقرب من عبر القرات ؛ أشفق عليه من الشعب ، ليكون عسكره مستريحاً عند الطلب . فان الحاجة إليه في الربيع أدعى ، ومصلحة الاسلام في ذلك الأوان أولى أن ترعى .

ولو عرف أن الركاب القطبي قد دنا ؛ لبشرته السعادة بنجاح المني . ولاستقبله بالنفوس والأرواح ؛ وتلقته القلوب بالقبول العبق بنشر الانشراح . وإن اشتغل القلب بما فاتته من حظ الاستعداد بوفوده ؛ فقد بشر أمله بنضارة عود نجهه عند عودته ونجازه وعوده .

وفي آخر هذه السنة نذب السلطان الرسل إلى الأقطار والأمصار ؛

---

(١) هو قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن أئستقر ، خلف أباه على سنجار أثر وفاته سنة ٥٩٤ هـ فلقب بالملك المنصور ، كان حسن السيرة في رعيته ، وقد تملك سنجار مدة ، ثم حاصره الملك العادل الأيوبي أياماً ثم رحل عنها بأمر الخليفة ببغداد ، توفي سنة ٦١٦ هـ ، وخلفه ابنه عماد الدين شاهنشاه (أبو الفداء ج ٣ : ١٢٢ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ) .

للاستنفار والاستنصار . وبث الكتب وكتب بالث ، وحث الرسل وراسل<sup>(١)</sup> بالحث ، وبعث المرعين لاستبطاء البعث . وأنهض بالتبليغ كل بليغ ، وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ . وشرح ( عفنان ) التجاب إلى سيف الاسلام<sup>(٢)</sup> باليمن : وشرح في الكتاب إليه ما جرى من حوادث الزمن . ووصفت له جليلة الحال . وما نحن عليه من دوام القتال ، وطلبت منه الإعانة بالمال . واستعين واستجد . واستأين واسترفد . وحض على حفظه من إنجاد الاسلام ، وأن يكشف بسنى طلوعه ماغشيه من الاظلام . وأرشد إلى نهج السماح ، وتسير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح . وتجريد الجرد العناق ، وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله يد الاتفاق . وكوتب ( قزل أرسلان ) بهمنان ، بما دفا منه عزمه ودان ، وحكم على كل ملك بحجة الإيمان ، وهلى إلى محبة الاحسان .

---

(١) في ب أرسل والتصحيح من ل .

(٢) يقصد سيف الإسلام طنتكين أخى السلطان صلاح الدين وقد سبقت ترجمته .

## ذكر وصول رسول سلطان العجم

ركن الدنيا والدين طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه (١)  
بالالتجاء إلى ظل السلطان . وارجاء ماله من فضل الاحسان

ورد من عند طغرل سلطان العجم أمير من خواصه — هو (أبلدُكر) أمير العلم . فضرب له من الخيم الخاصة سراق ، ووفرت في الضيافة له المنافع والمرافق . ومضمون رسالته : أنه خاتمه من أمراءه ومماليكه العامة والخاصة ، وخصته في سفراته ونكباته الخصاص . وأن عمه — أخا أبيه من أمه — قد استولي على مماليكه ، وضيق عليه سعة مسالكة . وألجأه إلى هذا الالتجاء ، وهو بقوته من هذا الجانب قوى الرجاء . وقد وصل إلى حد مملكك بقرب اربل ، وأراد الوصول إلى الموصل . لكنه نزل في بيوت (عز الدين حسن بن يعقوب بن قفجاق) . ينتظر منكم الاصراخ والاشفاق . وعز الدين حسن من خدم دولتكم ، والمستسكين بعصمتكم ، والمستوثقين بدمتكم . وأنا عنده مقيم ، وعلى سنن الأمل مستقيم . فان استقدمتني إليك قدمت ، وإن أمرت أمراء أطراف ولايتك بمشايعتي وجدت من النصر ما عدت . وأنا الآن هزيل عامك ، ونزيل انعامك ووصل معه كتاب بخطه ، قد بث حزنه فيه بشرحه وبسطه . وأبدى الاستكانة ، واستدعى الاعانة ، وأردف رسولا برسول ، وكرر سوألا فيما التمسه من سول .

فاعتذر السلطان بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل ، وأنه لامطمع مادام العدو ملازما لنا في مفارقة الساحل . فكتب إلى زين الدين يوسف (٢) .

---

(١) طغرل بن أرسلان : هو طغرل بك شاه السلجوقي ، قتل في المصاف علاء الدين غوارزمشاه تكش بالرى سنة ٥٩٠ هـ ، وبقتله انقضت الدولة السلجوقية (أبو الفداء ج ٣ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ) والنجوم الزاهرة ج ٦ . ١٣٦ ط . دار الكتب .

(٢) زين الدين يوسف : هو ابن علي بن يكتكين ، كان أميراً كبيراً ، شجاعاً مقداماً مدبراً ، قدم نجدة إلى صلاح الدين ففرس ومات سنة ٥٨٦ هـ ، خلفه أخوه مظفر الدين علي اربل من قبل صلاح الدين (النجوم الزاهرة ج ٦ . ١١١ - ١١٢ ط . دار الكتب) .

صاحب اربل وإلى ( حسن بن قضياق ) وإلى نائبه بشهر زور بالتوفر على خدمته ، والارتياح لمصلحته ، واشاعة معونته .

ثم ندب كبيراً للسفارة بينهم وبين مظفر الدين قزل أرسلان وهو (جمال الدين أبو الفتح اسماعيل بن محمد بن عبد كويه نسبي ) ، ليكون التقيام بهذا الأمر من نصيبه . وسعى في المصلحة والمصالحة ، والمصافاة على صفقة المودة والمصافحة ، وحفظ حرمة تضرعه وتذره . وسيأتي ذكر ما آل إليه الأمر في موضعه .

وتوفى الفقيه ( ضياء الدين عيسى الهكاري ) بمنزل الحروبه سُحُرة يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسائة . ولقد كان من الأعيان ، ومن مقربي السلطان ، ومن أهل الجدل في نصره الإيمان ، فنقله الله إلى الجنان . وحمل من يومه إلى القدس فدفن به .

وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير ( شرف الدين أبي سعد عبد الله ابن محمد بن أبي عصرون <sup>(١)</sup> ) بدمشق ، يوم الثلاثاء حادي عشر شهر رمضان . وهو شيخ المذهب الذي لم يخلفه مثله ، ودفن معه فضله . وكان مولده في أوائل سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

وكانت وفاة الأمير ( عز الدين مُوسك بن جكو ) <sup>(٢)</sup> بكرة يوم

---

(١) الفقيه شرف الدين بن أبي عصرون : هو عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهر ابن علي بن أبي السري بن أبي عصرون ، أبو علي ، التميمي ، الموصل ، ولي قضاء سنجار ونصيبين وحران ، جاء إلى حلب سنة ٨٤٥ هـ ودخل دمشق مع نور الدين عند فتحها سنة ٨٥٩ هـ ، تولى مناصب عدة في دمشق وخارجها وكان قاضي قضاء دمشق سنة ٨٧٣ هـ ، كف بصره قبل موته بمئتين ( التجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٠ ط . دار الكتب ) والروضتين لأبي شامة ج ٢ : ٥٧٣ تحقيق د . محمد حملي ) .

(٢) عز الدين موسك بن جكو : هو ابن خال السلطان صلاح الدين الأيوبي كان حافطاً للقرآن ، ساعداً للحديث ، محسناً إلى الناس ملازماً للسلطان في غزواته ، ديناً صالحاً جواداً ، مرضى بمرج عكا فأمره السلطان أن يتوجه إلى دمشق ليطلب بها ، مات بها سنة ٨٨٥ هـ ( وهو الذي باسمه يسمى حي الموسكى الآن بالقاهرة نسبة إلى القنطرة التي كانت على الخليج باسمه في هذا الموضع . المحقق ) ( ارجع إلى التجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٠ ط . دار الكتب ) .

الجمعة النصف من شعبان منها ، وكان من الأبرار الأخيار ، والعظماء الكبار .

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروية . وكل من الملك العادل والملك الأفضل والملك المظفر في خيمته المضروبة . وعكاه محصورة ، وجموع الفرنج إلى حصارها محشورة ، وعلى تعذرها عليهم محسورة .

وخرجت هذه السنة والحصار مستمر ، والسلطان في ملازمة القتال مستمر ، وحيا النصر في الأحيان مستلر . وقد تسنت للإسلام مباحج ، ووضعت للسعادة مناهج ، وبانت للقتال مداخل وغنارج ، وانقطعت بين الوشيح وأرحام الأرواح وشائج ، واشتدت لتباريح الأشواق إلى لقاء الأعداء لواعج ، وتألفت في الاقدام مقلدمات ونتائج ، ولمناجح المني منا في مدى الرجاء مدارج ، ولخطباء الظبا في منابر الطلل معارج . وللجهاد جهات ، وللعزمات أزومات ، واتفقت حسنات ، وحسنت اتفاقات . وكانت لنا مسرات هي لأعدائنا مسمات .

ووقعت عجائب ، وأعجبت وقائع ، وأبدعت غرائب ، وأغربت بدائع . واجتمعت كئائب ، ونابت نوائب ، وصفت تارة وكثرت مشارب . وساعدت الأقدار ، وتباعدت الأكدار . وهلك من الفرنج المحاصرين في الوقائع عدد لا يقع عليه الحصر ، ولكم أسفر صبح أصحبه فيه جماح الفطر وسفر النصر .

وسيرد حديث كل حادث بمفرده ، ويحدد ذكر كل متجدد بمجرده

## ذكر وقعة الرمل

كان السلطان يركب أحيانا للصيد ، بعد أن يحلر على ما يظهر لعلو من الكيد . وهو لا يبعد من الخيم ، ولا يقرب من مسائل الديم .

وركب يوما في صفر على عادته فتصيد ، وطاب له قرب القنص فأبعد . واليزكية على الرمل وساحل البحر من الميسرة ، على الحالة المحاطة المستظهرة . فخرج القرنج وقت العصر ، في عدد لا يدخل في الحصر . وتسامع أصحابنا بهم فزحفوا إليهم ، وحملوا عليهم ، وطردوهم إلى خيامهم ، وأخلوا عليهم من خلفهم وأمامهم . وما زالت بينهم حملة وحملة ، وشلة وشلة ، وسلة وسلة ، وركضة وركضة ، ونفضة ونفضة ، ومشقة ومشقة ، ورشقة ورشقة ، وجذبة وجذبة ، وضربة وضربة ، وشلة وشلة ، وردة وردة ، وضمة وضمة ، ولة ولة .

وأصحابنا ظاهرون ، وبالمراد ظافرون . ولهم في كل دفعة من العدو قلاع ، وللقرنج في كل كرة على الرمل مصارع . حتى فنى الشباب وبقي الانتشاب ، وشاع نداء الأصحاب باستدعاء الشباب . والقرنج لا يعجزهم إلا الرماة ، ولا يبتكهم إلا الاصماء . ولا ينفرهم إلا رنة الأوتار ، ولا ينلهم إلا أنة القسي بالدمار والبوار .

فأما أنسوا بخلو الجحاب ، تجاسروا على الدنو من تلك الشباب . وحملوا حملة واحدة ردوا بها أصحابنا إلى النهر ، وكادت تعبت بهم يد القهر . فثبت من العادية في وجوه القوم صف مرصوص البنيان ، وأشرعوا إلى نخور تلك اللغاب ثعالب الخرصان .

واستشهد جماعة من الشجعان ، استحلوا طعام الطمان ، وشاقهم جنى الجنان . وذلك أنهم لما ردوا القرنج قلعا فرسانا ، وصرعوا أفرانا . فنزلوا بعد فرسهم ، لسلب لبسهم . فمرت بهم الحملة في الأوبة ، وأعجلتهم عن الركبة والوثبة . وأظلم الليل فافترق من معاركها الجمعان ، واجتمع في

مراكزها الفريقان . وكثر الأسف على من فقد ، وكان الحاجب ( أَيْدُ غُمُش  
المجلدى ) ممن استشهد . وزاد التلهف على قوات الفرصة ، وكيف أغفل  
ذلك القنص عن تلك القنصة ، فان العدو صار عرضة للصرة في تلك الفرصة .  
ومن نواذر هذه الواقعة ؛ وطرائف هذه الدفعة ؛ أن مملوكا للسلطان يقال  
له ( سر اسنقر ) ؛ وهو يتطاول في كل معترك ولا يقصر ؛ عن به جواده ،  
وثبت على الجراحة فواده ، ورجله عثاره ، وأسلمه أنصاره . فقبض من  
أسره شعره ليحذ به ، وصل آخر سيفه ليضربه ، فضرب يد قابض شعره  
فسيبه . واشتد سر اسنقر يعدو ناجيا ، وللخلاص راجيا . وهم يعدون وراءه  
ليمسكوه ويهلكوه ، وفاتهم يعون الله فلم يدركوه . وهذا قدفته المنون من  
لهاثها بعد ازدراده ، وانتصاه (١) الحمام لمضاء غراوه بعد اغماده .



## ذكر فتح شقيف أرنون

وفي يوم الأحد خامس عشر ربيع الأول تسلم بالأمان شقيف أرنون ، واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيُون . وصاحبه أرناط - صاحب صيداء - في دمشق لأجله معتقل ، وباب خلاصه دون فتح ( شقيفه ) مقفل . وذلك أن الشقي في الشقيف فني زاده ، وعز اجتهاده ، ومرد عليه في الحفظ مراده ، وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياذه ، ونخب من الرعب فؤاده ، وأصلد باليأس زناده (١) ، وامتنع عليه اصداره وإيراده . فسلمه على أن يسلم صاحبه ، وتخلص في النجاة مذاهبه ، وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه ، وتركه للاملام بما يحويه ، وأفرج عن صاحب صيداء وصار إلى صور ، ولبس من التشريف والتسريح حير الجبور .

---

(١) أصله : صوت ولم يور ، والترناد : جمع زئذ وهو الصوت الأعلى الذي يقتضيه به أناده

ذكر حال عكاء ودخول العوامين إليها ووصول الكتب

على أجنحة الطير منها

كان السلطان اغتم هيجان البحر ، وحضور مراكب الأسطول من مصر . فما زال يقوى عكاء بتسيير الغلات والأقوات والقوات إليها في المراكب ، وقد ملأها بالذخائر والأسلحة والكمأة المساعير والحماة المحارب . فلما سكن البحر ، وأمن غائلته الكفر ، عادت مراكب الفرنج إلى مراسيها ، ودبت عقاربها وأفاعيها ، وشئت مراكبنا في موانئها . وانقطع عنا خبر البلد ، وامتنع عليه دخول المدد والعدد . فانتدب العوام للسياحة ، وحملتهم السباحة لهم بالرهايب على وضع المهيج في ميزان السباحة .

وعلموا أنهم إذا سبحوا ربجوا ، وإذا سلموا فراحوا فرحوا . حتى صاروا يحملون نفقات الأجناد على أوساطهم ، ويخاطرون بأنفسهم مع احتياطهم . ويحملون كتباً وطيورا ويعودون بكتب وطيور ، ونكتب إليهم ويكتبون إلينا على أجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها سر الأمور ، ويودع المكتوب والمكتوم ما نطلعهم عليه من الحق المستور .

وكان في العسكر من اتخذ حماما تطوف على خيمته وتنزل في منزلته . وعمل لها برجاً من خشب ، وهرادی (١) من قصب . ويلتجئها على الطيران من البعد ، ويوردها لشبعها وزيتها أحب الحب وأعذب الورد . وكنا نقول : ما هذا الولع بما لا ينفع ، والوله بما لا ينجع . حتى جاءت نوبة عكاء فقمت ، وشفت الغلل ونقعت . وأنت بالكتب شارحة سارحة ، ووفت بمفاتح الغيب بالبشرى مفتح .

فصرنا نحبو صاحب الطيور بالاطراء ، ونخصه بالمدح والثناء . ونأمره بالاستكثار ، ونطلبها منه مع الليل والنهار . حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال ، وكنا نعرف بها جليلة الأحوال . ونعلم أن الله علمه ذلك البر ،

(١) هراى : مرد التى : مزه وقلمه .

وألمه ذلك السر . فانه اطلع على ما يدفع إليه أهل الاسلام ، فحمى حمى  
هداهم بهداية الحمام . فلما أمانة على الأسرار ، ضمنية بالأخبار ، ضمنية  
بالأسفار . قمينية بكرامة الأحرار ، مصونة من بين الأطياف ، جريئة على  
الأخطار ، بريئة من الأعذار ، معدودة من الأذخار، مودودة مع الأخيار .  
وحمام البلد إلينا مع العوام محمولة ، وعقود الأكياس عليهم محمولة .  
فلا ينكر على المحتاج ان عام بالانعام . ومعه التحرز من الضلال ، والتخفى  
بستر الظلام . والضرورة تحمل على تحمل الضرر ، والغرارة تبعث على  
الانبعاث إلى الفرر ، والفقر يدعو إلى ركوب الخطر . وفيهم من سلم مرارا  
من القوم ، فاجترأت نفسه وأنس بالعموم . ولقد عطب عوامون ، بالأمانة  
قوامون ، فما ارتدع الباقون ، وما قالوا إنهم لما لقي رفاقهم لاقون .

ذكر ما دبره السلطان عند انحسار الشتاء

وانكسار البرد في الانتهاء

ولما انحسر الشتاء وانكسر ، وانتشى الربيع وانتشر ، أمر السلطان  
عساكره بالعود ، فتوافت أمداد أجوادهم توافي أمداد الجود .

فكان أول من وصل الملك المجاهد ( أسد الدين شيركوه بن محمد  
ابن شيركوه (١) ) - صاحب حمص (٢) والرحبة (٣) وهو بأكل العدة ،  
وأحسن الأهبة . وسابق الدين عثمان (٤) ( صاحب شيزر (٥) ) وهو الذي  
ببسالته يقسر الليث القصور ، و ( عز الدين ابراهيم بن المقدم ) المقدام ،  
والهمام ابن الهمام ، والكريم ابن الكرام ، والأسد الضرغام ، والسيد القمقام (٦)  
ووفد معهم جموع من الأجناد والأعيان ، وحشود من العرب والتركمان .

ففاض بهم الفضا ، واكتسى برياشهم العراء . وكثرت الجنود ، وانتشرت  
البند . وحلقت عقبان الألوية ، وتلاحقت ذؤبان الأودية . ولمعت بوارق  
اليارق ، وارتفعت عوائق البوائق . وحملت بواسق السوابق ، وثبتت

---

( ١ ) أسد الدين شيركوه بن محمد : أصطاه صلاح الدين حمص بعد وفاة أبيه محمد بن شيركوه  
سنة ٥٨١ هـ فأقام بها وحفظ المسلمين من الفرنج وغوطة العرب ، ومات بها سنة ٦٣٧ هـ (النجوم  
الزاهرة ج ٦ : ٣١٦ ط . دار الكتب ) .

( ٢ ) حمص : مدينة كبيرة بين دمشق وحلب ( ياقوت : ج ٧ : ٣٠٢ - ٣٠٣ ط . ب ) .  
( ٣ ) الرحبة : كانت إحدى قرى دمشق ، وكانت تبعد عنها بمقدار ميل وقد خربت  
ولمسي رحبة دمشق . وهناك رحبة أخرى وهي ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القري  
( ياقوت ج ٤ ) .

( ٤ ) سابق الدين عثمان : هو الأمير عثمان بن الداية ، صاحب شيزر وقلمة جعير وتل باشر  
( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٤ ط . دار الكتب ) .

( ٥ ) شيزر : كورة وقلمة قرب الحمة ، يبتدرتها نهر الأردن ( ياقوت ج ٥ : ٣٢٤  
ط . ب ) .

( ٦ ) القمقام : الكثير البطاء

وثائق العلاتق ، ونبتت شقائق العقاتق ، ونظرت أحداق الحداقتق ، وتبست  
طرائق الطوارق .

وأعجبت أزهار الرايات ، وانتهت غايات الغيايات (١) ، ونزلت  
بحسن الصنيع نصوص النصول ، ودارت بيد الربيع فصوص القصول . وعلت  
الأعلام . وحلت الأحلام . وومضت المواضي ومضت ، واقتضت القواضب  
القواضي وقضت .

وعريت البيض من الحلى ، وغريت السمر بالكلى ، واشتاقت لدات (٢)  
اللدان إلى العناق ، وتاقت شفاء الشفار إلى ثم الأعناق ، وتحدث الأحداث  
في المجارة باجراء العناق . وطالت رقاب الرقاق إلى غلاظ الرقاب ، وأعجم  
عن جمجمة الجحاجم اعراب العراب . وحى عزم البطل ، وعى رمم  
الملل . وعاد الجلد إلى جلده ، والحد إلى حدته ، وخرج البرد من عدته ،  
وفاز النصر بعدته ، وجلبت بنت الغمد في زى الهند ورى القرد ، وقطف  
ورد الورْد للشد إلى الورْد .

وقال الناس : « إلام نتظر ، وعلام نصبر ، ولم لا نشغل ، وكيف  
لا نشغل ، وحتم القعود ، وممّ الركود ؟ ولماذا الرقود ، وقد نظرت  
السعود ، ونضر العود ، وصدقت من أصحابنا الوعود ؟ » .

فرحل السلطان وتقدم ، وعزم على طلب العدو وصمم ، ونزل على  
تل كيسان يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول ، في الفصل الأعدل ، والفصل  
الأكمل . وتدانى العسكران ، وتعالى العثيران ، وتقارب القرنان ، وتحارب  
الحزبان .

وترتب العسكر الاسلامي في نزوله ميمنة وميسرة وقلبا ، وفي ركوبه  
على ترتيب منازلهم طلّبا طلبا . فكان الملك المظفر تقي الدين في آخر الميمنة  
الميمونة ، والملك العادل في آخر الميسرة المنصورة المصونة ، والملك الأفضل

---

(١) في ب الغايات والمصحح من ل .

(٢) لدات : جمع لدة ، وهو القرب الذي ولد مملك أوترقي مملك .

في أول ميمنة القلب ، وأخوه الملك الظاهر<sup>(١)</sup> في أول ميسرته على الجنب .  
والكاتب مكتبة ، والمقانب مقنبة ، والسماء بالنقع الثائر منقبة ،  
والأرض بوقع الحافر منقبة . والعساكر مترادفة مترافدة ، متوافرة متوافدة ،  
متتابعة متواردة . متسابقة متلاحقة ، متناسبة متناسقة ، متوالية متوافية ،  
متجارية متبارية . منقضة كالبراة ، منقضة إلى العداة . داعية إلى الانتصار ،  
عادية على الكفار .

---

(١) الملك الظاهر : هو خضر بن صلاح الدين الأيوبي ، لقب بمنظف الدين ، وكفى  
بأبي النوام ، وأبي العباس . قيل له «المشمر» وهو لقب غلب عليه منذ أن قسم والده البلاد بين  
أولاده الكبار فقال «وأنا مشمر» . وهو شقيق الملك الأفضل ، ولد بالقاهرة ٥٦٨ هـ توفي بمران  
سنة ٦٢٧ هـ عند ابن عمه الملك الأشرف موسى ، ولم يكن وقتذاك ملكها إنما كان مجتازاً لها  
عند دخوله بلاد الروم ( وفيات الأعيان ج ٦ : ٢٠٤ - ٢٠٦ ) و( مفرج الكروب ج ٢ .  
تحقيق د . الشعال )

## ذكر وصول رسول دار الخلافة

مع ضياء الدين الشهرزورى فى جواب رسالته

ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الأول رسول دار الخلافة ،  
بالنجدة والعارقة والرحمة والرأفة ؛ - وهو ( الشريف فخرالدين ) نقيب  
مشهد باب التين بمدينة السلام (١) ، فتلقاه السلطان بالاحترام والاكرام .  
واحتفل لوصوله ، واستقبله لقبوله . وتلقاه الأمراء على الترتيب ، فمنهم  
من تقدم نحوه إلى البعيد ؛ ومنهم من وقف له بالقرب . ثم اخوة السلطان  
وأولاده واحدا بعد واحد ، وماجدا بعد ماجد ، وبادئا بعد عائد .

ثم ركب السلطان إليه عند القرب من سرادقه ، وأدناه إليه بتعاقبه .  
ثم سار معه قليلا ، وأصحابه من خواصه وأمرائه قليلا . حتى نزلوا به في  
باركاه (٢) له مضروب ، وخصه بصنوف من الألفاظ وضروب . ووصل  
معه حملان من النبط الطيار ، وحملان من القنا الخطى الخطار ، وتوقيع  
بعشرين ألف دينار تقرض على الديوان العزيز من التجار ، وخمسة من  
الزرايين النفاطين المتضيقين صناعة الاحراق بالنار .

فاعتد السلطان بكل ما أحضره ، وأخلص الدعاء للديوان العزيز وشكره ،  
غير أنه أبدى رد التوقيع مع ود الصنيع ، وقال : « كل ما معى من نعمة  
أمير المؤمنين وعارفته ، ولقد نعتنى ما شملنى من عاطفته . ولعل الله يوفقنى  
للقيام بالقرض ، ويغنىنى عن الالتزام بالقرض » .

وأركب الرسول مرارا معه وأراه مبارك النزال ، ومعارك القتال ،  
ومصارع الرجال ، وجماع الأبطال ، ومطالع اللقاء . ومواضع الهيجاء .  
ومصالت الإقدام ، ومنابت الأقدام . ومواقف الصقوف ، ومصاف

---

( ١ ) لى بغداد .

( ٢ ) باركاه : مأخوذة من اللفظة الفارسية ( بارجاه ) ويقصد بها بلاط الملك ، والمضرب  
السلطاني ومحلة الرجال ( المضرب من الكلام الأجنبي على حروف المعجم للجوالق : ٧٥ ط .  
دار الكتب ) .

الوقوف . وأماكن البعوث ، ومكانن اللبث . وتل الفضول ، وبقية  
التلول . حتى يشهد بما يشاهد ، ويبين له المجتهد والمجاهد ، وأراه  
ما لم يره ليأثر أثره ، ويخبر بجملة خبره .

وأقام الرسول طويلا ، وأقام له السلطان من طوله دليلا ، ووفر له  
عطاء جزيلا ، وعرفا جميلا . حتى استأذن في العود فعاد ، واستصحب  
الشكر والإحماذ .



## ذكر مقاتلة الفرنج عكاء بالأبراج والاعجاز بها والازعاج

وكان الفرنج منذ نزولوا للحصار ، شرعوا في عمل الأبراج الكبار .  
وركبوها من الأخشاب الطوال ، والعمد الثقال . وبنوها وقدموها ،  
ونصبوها وأحكموها . وسقفوها طباقا ، وسمروها بالحديد وجعلوا لها منه  
أطواقا ، ووثقوها شدا وشدها وثاقا . ولبسوها بالسلوخ ، وملأوها بالجزوخ .  
وزحفوا بها إلى السور ، وكشفوا بالرمل منها بعض سفوف الدور . وتساعدوا  
على طم الخنادق ، وتفتيح الطرائق .

ووصل من المدينة عوام ، يخبر بأن التلف بها حوام . وأن البلد قد  
أشرف ، والخطر قد أسرف ، والأبراج علت ، والأسوار خلت ، والبلاء  
قد عم ، والخنق قد طم . وأنتم إن تم هذا عراكم العار ، وأظلم على  
الدنيا والدين بليله النهار .

فاحتفى السلطان واحتد ، وشد واشتد . وكرّب وركب ، وكان يحسب  
هذا فجاء كما حسب . وزحف إلى الفرنج ليشغلهم عن الزحف ، ويصرفهم  
عن الفتح بالحتف . وذلك في العشرين من ربيع الأول يوم الجمعة ، بالحقافل  
المجتمعة ، والغماغم المرتفعة ، والصوارم الملتمة ، والصلادم الممتعة ،  
والأسنة المشرعة ، والأعنة المسرعة . والحوائم المتجمعة من النجيع ، واليارق  
المختففة كأزهار الربيع .

وافتح في هذا اليوم وصول عماد الدين — صاحب دارا (١) — محمود  
ابن بهرام الأرتقي ، بالجمع الوافر الوفي ، والعسكر النخي النقي . وسار  
إلى القتال على حاله ، بخيله ورجاله . وضايقهم السلطان مضايقة عظيمة ،  
ولم تزل جادة الجدى في مقاومتهم مستقيمة ، حتى دخل الليل ، ولغبت الخيل .  
فقوى تلك الليلة اليك ، وألزمهم في الحفظ والدرك . ورجع إلى مخيمه  
ساعدا ساهرا ، مجاهدا بالبكور نحوهم مجاهرا .

(١) دارا : بلد في لوف جبل بين ماردين ونصيبين ( ياقوت ج ٨ : ٤١٨ ط.ب. ) .

فلما أصبح يوم السبت صبحهم بالحرب ، وصبهم على بحر الكر والكر . ورجل الرجال إليهم ، وأنزل النوازل عليهم . وامتزج بياض النهار بسواد النقع ، واتسع خرق الواقعة على الرقع . وانقضى اليوم وقد انقرض القوم . وتفرق الجمعان وقت العشاء ، عن قتيل غريق في الدماء ، أوجريح على بقية الذماء . وبات الناس في السلاح (١) شاكين ، وبنار المناكي ذاكين ، ولما تم منهم وعليهم حاكين .

ورجع السلطان إلى خيمة ضربت له على تل العياضية ، وقد ألزمته البسالة الطبيعية ، بالرتوع في رياض الأخلاق الرياضية . وأصبح يوم الأحد راجعا إلى قتال أهل الأحد ، واستن من الجدد على أنهب الجدد ، وأمر بانتقال السوق إلى قريه ليقرب من العسكر ، وأيده الله بالنصر الأظهر والظهور الأنصر . وأقام كذلك وهو في كل يوم يقدو وينازل ، ويعلو ويقاقل .

ثم نقل يوم الأربعاء الخامس والعشرين الانتقال إلى المخيم لثلاثين يغيث حاضر ، ولا يصاب عن الورد صادر . وليكون غلمان العسكر للحرب مباشرين ، ولعشر الكفر بادارة كوؤس الردى عليهم معاشرين . فانتلب منهم إلى الحرب كل مجزىء للوقائع مجترح ، وكل محترق على نار الهيجاء للهياج مقترح . وكل وقاح (٢) بالحراب وقاع ، وكل ضرار بارداء الكفرة نفاع . وكل غلام له من هيجان الحمية لغام (٣) ، وكل أسد غدا إلى الشد له في حومة المأزق زئير وبغام (٤) . وكل متلاف للغيرة متلاف ، وكل جاف عن سوى السوء متجاف . وأخلوا من بيت السلاح السيوف والتراس ، وطلبوا بقصد العدو والاقتناص والاقتراس . وأبلوا بلاء حسنا ، وأوضحوا بالنكاية في العدو سنا .

ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين ؛ عوام من البلد

---

(١) في ب الصلاح والصحيح من ل .

(٢) وقاح : صبور على الركوب .

(٣) لغام : زيد .

(٤) بغام : صوت التظية .

يخبر بقوة المشركين المحاصرين . وأن البلد قد ضيق ، وأن العدو المخلول  
يحقق به كيدته إن حوق . فقدم السلطان ليشغل العدو عن قتال البلد بقتاله ،  
ويكفه بنزله عن نزاله . وجدد الكتب إلى الأخصار ، بالاستنفار والاستنصار .  
فأول من وصل ؛ ولده الملك الظاهر صاحب حلب ، وقد جمع  
وجلب . وتقدم عسكره يوم الجمعة وانفرد بوصوله ، وحظي من نظر  
والده بسوله . وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين . ثم عاد إلى معسكره ،  
وجاء يوم السبت في حسن منظره ، وإحسان أثره . في منظر فاضر ،  
ورونق حاضر ، وجمع كثيف ، وحشد لقيف . وبهجة رائعة ، وروعة مبهجة  
وهيئة معجزة ، وهيبة للعدو مزعجة . وصوله دائلة (١) ، ودولة صائلة ،  
وميامن رائقة ، ومحاسن شائقة . وبحرمن الحديد مائج ، وبحرمن الحديد هائج .  
ورفاق وذوابل ، وعتاف وصواهل ، وعوايسر وعواسل ، وشعوب وقبائل .  
وقدم في هذا اليوم ( مظفر الدين بن علي كوجك ) - وهو صاحب  
حران (٢) جريدة . وقد استأنف للجهاد عزيمة جديدة . ثم عاد إلى عسكره  
ليقدم به ، ويحضر بحنده وتم كانه وعربه .

---

(١) دالة : ظاهرة طليم .

(٢) حران : مدينة قديمة كانت من أعمال حلب ، وهي على طريق الموصل والشام  
وآسيا الصغرى ( ياقوت ج ٦ : ٢٣٥ - ٢٣٦ ط.ب ) .

## ذكر وقوع النار في أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها

وتلف كل ما كان ومن كان في طباقها

ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم ، وهو السبت الثامن والعشرون ،  
تتابعت بظهور دلائل النصر ، وتناصر أسباب الظهور المبشرون . فنظرنا  
والنار من أحد الأبراج في السماء بشعلها متسامية ، وفي الجوبشراها ممرامية .  
وما يدرى ما سبب هذا الحريق ، وكيف تيسر هذا التوفيق .

وأحدثت النار بالبرج فإذا هو كشجرة من نار ، وقلوب المشركين  
لاستعارها في استعار ، ووجوه المؤمنين لأنوارها في استبشار . ثم رأينا  
البرج الثاني وهو يحترق ، والنار في أثنائه تحترق . ثم نظرنا إلى البرج الثالث  
فإذا هو يشتعل ، وبالسنة النيران يبتهل . فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها .  
وبلغت إلينا من صدماتها وحلماتها استغاثتها .

وركب السلطان ونحن معه ونزلنا نكتب بشائر النار ، ونسير بطاقتها على  
أجنحة الأطيوار . والعجب أن الأبراج كانت متباعدة غيز متدانية ، وقد  
أبعدنا الفرنج لمسافات متتالية . فكل واحد منها على جانب من البلد قد  
كشفه ، وخسف أسواره وكسفه . فاحترقت على تباينها في وقت واحد وقلد  
من الله وارد . فلم يكن ذلك إلا سرًّا إلينا ، ولطفًا ربانيا . وفرجا بعد الشدة ،  
وثلجا لصلور المؤمنين بتلك الوقدة .

وكان سبب حريقها أن رجلا يعرف بعلى<sup>(١)</sup> ابن عريف<sup>(١)</sup> النحاسين  
بدمشق — كان استأذن السلطان في دخول عكاء للجهاد ، وأقام فيها باذلا  
للاجتهاد . وغرى بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره ، وتعين كل نوع  
وتعير مقاديره ، وتقدير معايره . والناس يضحكون منه ، ويفضون عنه .  
ويقولون : « هذا يضيع ماله فيما لا يعنيه ، وما هذا الهوس الذي وقع  
فيه » . وهو يعد لذلك العمل الآلات ، ويمجد في تلك الأدوات ، ويكثر  
القلود ، ويرتب الأمور .

(١) عريف : هو القتيب وهو دون الرئيس .

فلما قدمت إلى البلد تلك الأبراج ، وحصل من الامتراج الامتراج (١) ،  
قوتلت بكل فن ، وأدنى إليها من الضغط كل قلدودن . ورميت بكل قارورة  
محرقه ، وكل نفاطة مرهقة . وبالغ في صنعه الزراق ، فلم يَم في شيء منها  
احتراق . ووقع الياس ، واستسلم الناس . فمضى ابن العريف ، بل ابن  
العريف ، إلى بهاء الدين قراقوش - الأمير . وقال : « قد رأينا ما اعترض  
من التدبير ، وما عرض من التقدير . فأفصح لي في رمي هذه القلود ، فقل  
الله يأتي منها بشفاء الصلور » . فأذن له على كره . وقال : « ما أرى لاحراق  
هذه البروج على يده من وجه ، فان الصنائع قد أبلسوا (٢) ، والزرايين  
العارفين بالصناعة يشوا » .

فلما وجد الاذن ، وزن القلود وغيرها ، ورمى بواحدة منها إلى  
أحد الأبراج في المنجنيق وغيرها واعتبرها . ثم لما استوت رمايته ، وصحت  
في الاصابة درايته . رمى بقلود فقط لا نار فيها ، وهو يصبها على أعلى  
البرج ويسقيها . والفرنجة يعجبون من الليل ، ولا يدرون بما وراءه من الشعل .  
ثم قلف بقلود نارية ، متشعبة بكل بلية ، فوقعت في الطبقة الوسطى ، ورمى  
أخرى فوقت في السفلى ، فاشتعل البرج من طرفيه الأدنى والأعلى .  
وتعذر على من فيه من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين ، فاحترقوا أجمعين .  
ودخل إليه أيضاً جماعة لاستغاذا ما فيه فاحترقوا بدروعهم وسيوفهم ،  
وتقلبت الجحيم عليهم غيظاً لاستبطاء حتوفهم .

وتحول ابن العريف إلى مقابلة البرج الثاني ، ولم يلحقه في إحراقه  
التواني . وانتقل إلى الثالث فأحرقه ، وما كان ذلك بصنعة منه بل لأن الله وقفه ،  
وما زالت تحترق الثلاثة وتتقد انقادا ، حتى عاد جبرها رمادا ، وبياض  
فارها واحمرارها في السماء على الأرض سوادا . واحترقت المجانيق والستائر  
التي كانت بقربها .

( فُهِتَ الذي كفر (٣) ) وأسف على نصبه في نصبها . وخمد الكفار

( ١ ) الاضطراب والقلق .

( ٢ ) في ب أبلسوا وتصحيح من ل وأما في أ ( ٢٢١ ي ) أبلسوا .

( ٣ ) وهت خطأ وتصحيح الآية ( فُهِتَ الذي كفر ) وهي الآية ٢٥٨ من سورة البقرة .

بذلك الضرام ، وسلوا عما كانوا فيه من غرام العُرام . وحبطت أعمالهم ،  
ونُخِبت آمالهم . وركدوا بعد جريهم ، وركنوا إلى خزيهم . وضلوا في  
سعيهم ، وتورطوا في بغيهم ، وسقط في أيديهم بسقوط أيديهم ، وحيق  
مكرهم بهم ، وكيّلوا بكيدهم .

وخرج رجالنا من البلد فنظفوا الخندق وسلوا الثغر ، وأظهروا بظهور  
القدر القدر . وجاعوا إلى مواضع الأبراج وأماكنها ، واستخرجوا الحديد  
من مكانها . ونبشوا الرماد عن الزرديات التي انسبكت ، وكشفوا عن  
السنائر التي تهكت .

فأخلوا ما وجئوا ، وحصلوا على ما نشلوا . وأترب من ترب من  
تراث ذلك التراب ، وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب . وبردت من  
حر تلك النار ، وشفى أوامها بذلك الأوار .

والحمد لله الذي جعل تلك النار لأوليائه بالبرد والسلام إبراهيمية ،  
وعلى أعدائه بالحر والضرام جميعية .

## ذكر فصول أنشأتها من كتب البشائر بالنار

صدرت ميثرة بما أجده الله من الجدد ، وأنجزه من الوعد ، وأجزله من الرشد ، وأعذبه حال الظمأ البرح من الورد . وذلك ما ظهر يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الأول من الاتفاق الحسن ، والنصر اللئى يقصر عن وصفه ذوو اللسن .

وهو أن أصحابنا بعكاء رموا بقلود النقط عدد العدو الممحور ، وأحرقوا جميع ما لهم من المنخور . واحترقت ثلاثة أبراج كانوا قلموها ، ودبابات قربوها ، ومنجنقات نصبوها . ولهم منذ تسعة أشهر يجمعون هذه الآلات ، ويستسهلون عليها الغرامات . حتى أقاموا أبراجا أعلى من أبراج السور بضعف سمكها ، وقربوها ناكية في الثغر المحروس بفتكها . وشحنوا بالرجال المقاتلة طباقها ، وأطالوا على مناكب البلد أعناقها . فأشفق الاسلام من نكباتها ، وأظلمت الآفاق من غياياتها .

وكشفت من البلد جانباً ، وجبت من سورة غاربا (١) . فأقدر الله على إحراق ما عمل في تلك المدة المديدة في ساعة ، وأمسى العدو بقلوب وأفئدة مرتابة مرتاعة . وما أفصح السن النيران على تلك الأعداء خاطبة ، وما أبسط أيديها على من كان فيها من الرجال للارواح ناهية سابعة .

---

(١) غاربه : أعلاه .

## فصل

هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذى ورت زناذه ، والنصر الذى قرب  
ميعاده . وذلك ان أصحابنا بشتر عكاء استظهروا وظهروا ، وصبروا  
فانتصروا . ورموا من البلد أبراج القرنج المنصوبة عليه بقلور النفط ،  
وأنزلوها من سماء الرقعة إلى أرض الحط . وأطالوا بها أنسن النار المضربة ،  
ودبت من الأبراج المقربة إلى الدبابات المقلمة . وعلم العدو أن كرتة خاسرة ،  
وأن يدم عن نيل المني قاصرة .



## فصل

هذه مبشرة بالظفر المني ، والتنجح (١) السني . والنور اللامع من النار ، والنصر الواري الزناد الطائر الشرار . وهو ظهور أصحابنا بمكاء يوم السبت ثامن عشر ربيع الأول ، وقد خصهم الله بالتنجح الأفضل الأكمل . وقد كان العدو قدم أبراجه ، وسلك في المضايقة منهاجه ، ولزم في الزحف الدائم لحاجه . فاستظهر الأصحاب عليهم وقت الظهر ، ورموهم بقنود النفط المحرقة من الثغر . فطالت ألسنة النيران تدعو على أهلها بالبوار ، وتبدي في تضرمها تضرعها إلينا للاعتذار . وشاهد أهل النار ما أعد لهم في سقر ، وتلونا قول الله سبحانه فيهم ( كذلك نجزي من كفر ) (٢) .

---

(١) في ب التنجح والتصحيح من ل ومن أ (٢٢٣ ي) .

(٢) هذه ليست بآية قرآنية ويبدو أن المؤلف رحمه الله قد اخطأ عليه الأمر إذ أن هناك

آية في سورة القمر وهي قوله تعالى ( كذلك نجزي من شكر ) .

## فصل إلى الديوان العزيز

ولما كان يوم السبت ظهر أهل الجمعة على أهل الأحد، ورمى الأصحاب (١) المحصورون - المنصورون عدد العدو وأبراجه بقذور النفط من البلد ، فخطبت السنة النيران على تلك الأعواد ، بل على تلك الأطواد ، وألحقتها رداء الردى وألحقتها بالوهاد ، وفرشت رمادها لما تم أولئك المراد .

فكانت تلك النار على الكفر ضراما ، وعلى الاسلام بردا وسلاما . واحترقت الأبراج الثلاثة على معتدى التثليث ، ودبت النار إلى الدبابات بصلمة التأثير وحكمة التأثير . وما أطول ألسن النار وأفصحها بالدعاء على أهلها بالتبار ، وقد أبدت إلى الاسلام بتضرعها وتضرعها وجه الاستبشار . وما أحسنها وهي ( ترمى بشرر كالقصر (٢) ) . ويكسو سنى لها وجوه المؤمنين يبشر النصر .

وما أقطعها لدابر المشركين وقد خصت باحراق تلك الآلات عن البلد أجنحة الحصر ، ويسم بعد عبوس البوس باسم الله تعالى . وقد بقت هذه الفجيعة فجأة من حوته تلك البروج ، ودخل إلى طيقاتها قوم لاطفاء النار فتعلم عليهم الخروج . وهلك فيها أكثر من ثلاثمائة دارع ، وخرج من أهل البلد لما حشى القرج كل مسابقي إلى الغنيمة مسارع . وكسبوا من الدروع والمناصل والسيوف ، كل ما وجلوه نخل رماد تلك الختوف .

وكان القوم قد اعتصموا بالأبراج وثوقاً بوثاقها ، واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها ، ووصلوا بها أجنحتهم ، وذخروا فيها أسلحتهم . فأخفقت ظنونهم ، وسخت عيونهم ( وخسر هنالك المبطلون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ) (٣) .

( ١ ) في ب أصحاب والتصحيح من أ ( ٢٢٣ ) .

( ٢ ) قال الله تعالى في الآية ٣٢ من سورة المراتل « أنها ترمي بشرر كالقصر » .

( ٣ ) الآية ٧٨ سورة غافر .

## فصل من كتاب إلى اليمن في وصف الأبراج

### ولإحراقها

استنفذ الفرنج أموالهم في عدد أعدوها ، وآلات أجدها . وأحكموا أبراجاً شامخات ، ومجانيق شادخات ، وزاد غرامهم بالغرامات ، واستقلوا على عمل الأبراج كثرة الخسارات . ومكثوا مدة على إلحاجهم ، يطرقون بين يدي أبراجهم ، ويمهلون الأرض لتسوية منهاجهم .

فلما قلموها بعد لأى ، وأحكموا باحكامها كل تدبير ورأى ، وأشرفوا منها على سور البلد بأسوار ذات أسواء ؛ وجاموا بالآلات عِلَات وإداوات أدواء (١) وأشفى البلد من بلائها وأشفق ؛ ووجل كل قلب وفرق ، واحتجنا لمزاولة هذا الخطب الجليل ، وملاواة الأمر العليل إلى أن نشغلهم بمحصرنا إياهم عن التفرغ للحصر ؛ وتضرعنا إلى الله في إزال ملائكة النصر ؛ فكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب ، وأتى الله المجرمين بالعذاب . وألم أصحابنا ما داووا به المرض ، وأدركوا به الغرض . وأظهرهم (٢) ظهر يوم السبت الذى خصهم فيه بالظهور ، وأقلدهم على رمى تلك الأبراج بالنفط فى القلور وظهر من سر صنع الله ما كان فى المقلور .

فتسلعت النار على عمل أهل النار ، وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار . ولع نور النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى ( يُرسل عليكم شواظ من نارٍ ونحاس فلا تنتصرون ) (٣) .

وعادت تلك الأكوم وهادا ، وذلك الجمر رماداً . وتحلحلت تلك الجبال . وتحال تركيبها ، ولصق بالتراب ترتيبها ، وتنكس منها صليها . وكانت ثلاثة أبراج شاهقة ، فلعبت فى ملاعبها النيران فإذا هى زاهقة ، وتنقلت .

---

(١) أى تسبب فى المرض .

(٢) فى ب أظهرهم والصحيح من ل ومن أ ( ٢٢٤ ش ) .

(٣) الآية ٣٥ سورة الرجن .

نجوم الشمل في تلك البروج ، وعجز شياطينها برجمات جمرات  
شهبها عن الخروج . وتسلب الخفيض على يقاعها ، وباد الدارعون فيها  
بأدراعها . وأضحك الله ثغر الثغر بما أطابه من أرج الفرج ، وأحمد باشتعال  
ذلك الوهج ما أكرب قلوب المؤمنين من الوهج ، وصان مهج أهل التوحيد  
بما أرداه لأهل التلث من المهج .

## فصل

تقدم المشركون بالأبراج إلى البلد فقبروا الأسوار من أسواره :  
وألصقوا منها جدراناً يعللده ، وأشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره .  
فأظهر الله ما كان خفياً من سر أقداره ، وأحرق عمل أهل النار بناره .

وكان أصحابنا لما عاينوا مآدهمهم وهمهم ، وخصهم من الخطب  
وعمهم ، نصبوا مجانيق بازاء الأبراج ، وصدعوها بها صدع الزجاج .  
ورموها منها بقلود النفط فاشتعلت رعوسها وشابت وشبت ، ومشت النار  
في أطرافها وأعطافها ودبت ، وأرسل الله في تلك الساعة بعذابها ريحاً بها  
هبت ، فأمست أجنحتها قد حُصت ، وأسئمتها قد جُبت ، وسقط في  
أيديها ووجبت جنوبها (١) ، وكبت على وجوهها في النار ومُكبت ، فما  
أفصح السنة النيران وقد نادى بنصرنا ولبت ، وألفت منها قلوبنا بما ألفت  
من نفع غليلها وأحبت ، والحمد لله على ألطافه التي ما غابت ولا أغبت .  
وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الأحوال التي جرت بحققها وحقيقتها ،  
وحليتها وجليلتها . فإنه يشتمل كل فصل على تمام ما أغفل في غيره ، ومقصودنا  
استيعاب كل حادث بذكره .

---

(١) وجبت جنوبها : أي صارت كالإبل إذا سقطت على الأرض بعد نحره ( غريب  
القرآن لابن الخطيب ط. المطبعة المصرية ) .

## ذكر تاريخ وصول الأكابر في هذه السنة

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر ، قدم ( عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي ) بمن استنفضه من العساكر . وكان أول من استقبله حين ظهرت ربابته من العسكر كتابه وقضاته . ثم لقيه ( الملك المظفر تقي الدين ) بتل كيسان ؛ ولقيه بعده ( الملك الظافر خضر ) و ( المعز إسماعيل ) (١) ولدا السلطان . فنزل لهما ونزلا له ، وتعمدا إعظامه وإجلاله . ثم تلقاه الملك الأفضل أدنى من ذلك فتعانقا على فرسيهما ، إعفاء له من النزول ، وتلاقيا بالإقبال والقبول .

ثم وصل إليه السلطان بالوجه الضاحك ، والالطف المتدارك . واعتنقا على ظهر ، واتفقا على بشر ونشر . وكان ( الملك العادل ) تأخر فلحق وأظهر من أرج سجاياه ما ينشره عقب ، وبجبه علق ، وسار مع السلطان بأطلابه وأبطاله ؛ وحاماته ورجاله ؛ حتى وقف قبالة العدو بصفوفه ، ووقف عليهم طول الرعب بطول وقوفه .

ثم رده السلطان إلى خيمته على رسم الضيافة ، وترفرت أطلافه عليه بالإطافة . ووقف ساعة مع الملك العادل حتى دخل السلطان مرادقه وجلس ، وحضر الملك العادل بعماد الدين وبسط لفرشه ثوبا أطلس . وأكرمه السلطان بإجلالته إلى جنبه على الطراحة (٢) . وآتاه ببشر السمحة والسجاجة . ووقف الأمراء والخواص والأولياء صفين . وأنشد الشعراء من المدح والنسيب (٣) صفين .

ثم أحضرت المائدة فماد نحوها الحضور ، وعقد الحبا لهم الجبور .

---

(١) المعز إسماعيل : هو فتح الدين ، إسماعيل بن صلاح الدين الأيوبي ، ولد سنة ٥٧٠هـ .  
(النجوم الزاهرة ج ٦ : ٦٢ ط . دار الكتب ) .

(٢) الطراحة : مرتبة تفرش للسلطان إذا أراد الجلوس ( الروضتين ج ٢ : ٥٣٩ تحقيق د . محمد حلمي أحمد و )

(٣) النسيب : رقيق الشعر في النساء .

ثم رفع الخوان وارتفع الإخوان ، وحسن الخير والعيان ، وخلا المكان وحلا الإمكان . فأمر السلطان له باحضار عشرة من العتاق العراب ؛ وخمسة عشرة رزمة من كرائم الثياب . ثم نهض وهو بماء الشك ناهض ، ولوجه العنبر عارض . ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلة ، وملأ تلك المروج بعساكره المليّة .

ثم وصل من بعده ابن أخيه ( معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود<sup>(٢)</sup> ) صاحب الجزيرة ؛ بعساكره الكثيفة الكثيرة ؛ وذلك يوم الأربعاء سابع جمادى الأولى ، بالأيد الأطول واليد الطولى . فالتقاء السلطان وأخوه وأولاده على قاعدة عمه ، وأجراه في الضيافة والكرامة والزول بالخيمة السلطانية على حكمه ، لكنه يقصر في القاعدة عن رسمه . ونزل بخيمته في فناء السرايق العمادى ، وقد استكثر من العسكر الجهادى . فكان ذلك المرج بجر أمواجه الخيم والمضارب ، أوسماء كواكبها ما أشرعته من صعباها الكتاب . أوغيل آساده في آجام القنا الفوارس ، أوغدير من السوابغ حبابه التراثك والقوانس . أوسحاب بروقه الصوارم الرقاق ، أووهاد اكامها الصواهل العتاق .

ثم وصل ( الملك السعيد علاء الدين خرم شاه<sup>(٢)</sup> ) ابن صاحب الموصل ( عز الدين مسعود بن مودود<sup>(٣)</sup> ) وهو كوالده مسعود مودود ، وفي شهامته وصرامته مشكور محمود . وذلك تاسع جمادى الأولى يوم الجمعة ؛ بالمحاسن المتنوعة ، والمفاخر الأصلية المتفرعة ، والصنائع المبدعة ، والبلدائع المصنعة

( ١ ) معز الدين سنجر شاه : هو ابن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي بن آقشقر ، صاحب جزيرة ابن صر ، قولى الملك سنة ٥٧٦ هـ ، كان ظالمًا قبيح البصرة ، لا يمنع عن قبيح يفعل ، من قتل وقطع للألسنة والأنوف والآذان وحلق الحى ، وتملى ظله إلى أولاده وسرمه ، قتل ابنه غازي سنة ٦٠٥ هـ إلا أن غازي قتل وخلفه أخوه معز الدين محمود ( أبو القداءج ٣ : ١١١ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) .

( ٢ ) علاء الدين خرم شاه : حبيه أخوه أرسلان شاه المتوفى ٦٠٧ هـ ، حتى مات في حبه ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٠٠ ط . دار الكتب ) .

( ٣ ) عز الدين مسعود : هو السلطان مسعود بن مودود بن زنكي بن آقشقر بن أخى نور الدين محمود ، توفى سنة ٥٨٩ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٣٣ دار الكتب ) .

وجيشه للقوة ضابط ، وجأشه على الحمية رابط ، وبأسه ليد الأيد باسط ،  
وجنانه على الكفر ساخط .

وهو شاب أول ما بقل خطه ، واجتهج بكماله رهطه . وكان أبوه قد  
عزم على الوصول بنفسه ، واذهاب وحشة الخطب الملم بأنسه . ثم رأى المصلحة  
في الإقامة وتقديم ولده المشكور المشهور الشهامة ، فأنهض العسكر المجر معه ،  
ثم أتبعه بمن حشده وجمعه . فورد ورود السحاب الكنهـور<sup>(١)</sup> ، ونور  
المطالع بسنى السـور<sup>(٢)</sup> ، وأطلع بطلوعه على معنى البأس المصور .

واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه ، وحافظ من الكرامة على  
توفير سهمه . وأنزله في مرادقه وأضافه . وأهدى له خيله وأطافه . وأمر  
بإنزاله في الميمنة بين ولديه الملكين الأفضل والظاهر ، وضاق ذلك البر  
الواسع ببحر العساكر .

ولم يبق في أهل السلطان إلا من اقتدى به في الاحتفال بقدوم هؤلاء ،  
واعتماد ما قام به البرهان على المخالصة في الولاء . والمسارة إلى الضيافة  
والإهداء ، والإعادة إلى المكارمة بعد الإبداء .

---

( ١ ) الكنهـور : من السحاب ، قطع كالجبال .

( ٢ ) السور : جملة السلاح ، لبوس من قد كاللدع ، كل سلاح من حديد .



## فصل من كتاب إلى صاحب الموصل في شكره على

### تسيير ولده

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله ، وعجل بانصاره جمع شمله ،  
ووفق أسد عرين الملك أن يحمي حوزة الإسلام بشبله . والمجلس  
في طوله اليد الطولى ، والمئة الثانية التي أريت على الأولى . حيث حث همته  
العلية ، وحض لحظ دينه عزمته الماضية المضية ، وشرف بولده علاء الدين من  
تقلد بوروده أوفى مئة ، وتعجل من وفوده أقوى مئة (١) وأوقى جنة . فلقد  
ورد إلى الساحل بحراً ، وطلع في ليل القساطر بديراً ، وأسفر لمرتبقي صباح  
النصر فجرأ ، وجلا وجوه المؤمنين ببشراه بشراً ، وملاً صدر الإسلام أمناً  
وقلب الكفر ذعراً .

ثم وصل ( زين الدين يوسف بن زين الدين على كوجك ) صاحب  
أريل ، يوم الأربعاء في العشر الآخر من جمادى الأول ، ذو السماح المؤمل  
والمجد المؤمل ، بجيش كالسحاب المسبل . فلدت أخلاف (٢) النصر بحقول  
ذلك الجحفل (٣) . وورد بكل ورد هنى ، وجد سنى . وقدم بكل مقدم ،  
وزأرخيس (٤) الجيش بكل ضرغام ، وزأر بكل همام بالنون همام .  
ووصل بكل واصل لسبب النصر ، قاطع دابر الكفر . ووقد بكل وافد  
باليمن الوافى ، والتجع الكافى ، والعزم الصافى ، والعزم الشافى . وطلع  
بكل طالع بالسنى ، جامع للمنى ، فارغ بالغنى ، فارك للخنى ، سافك دم  
الشرك بالظبا والقتنا . وكان هذا أول يوم لقائه للسلطان ، وأحسن إليه  
بالإكرام وزاد في الإحسان . وكان يجمع بين الحماسة والسماحة ، والبشاشة

---

(١) قوة .

(٢) أخلاف : جمع خلف ، وهو حلة ضرع الناقة والمقصود ، نتائج الخير التي أتاحتها  
النصر .

(٣) في ب الجحفل والتصحيح من ل ومن أ ( ٢٢٨ ى ) .

(٤) غيس : غابة الأسد .

والرجاحة (١) . والتودد إلى الناس ، والتشدد بالباس . والتواضع مع الكرم ،  
ودنو الود مع علو المم . ماله مذل ، ونواله مأمول ، وسيفه على الكفر مسلول  
وأمره بالطاعة في رعيته ومن في جملته مقبول . وهو مرجو مخشى ، وكريم  
مغشى . ومهيب مرجو ، ومحسن بسنى الحمد مجلو . وكان معه خلق كثير ،  
في سلك الاتساق ومسلك الاتساع نظم نثر . وأنزل بقرب أخيه مظفر الدين  
في الميسرة ، وتمكن الرعب بما تم من الجمع في قلوب الكفرة .

## ذكر وصول الأسطول من مصر

كان السلطان قد امر بتعمير أسطول آخر من مصر فصل فيه الذخيرة والميرة ، والعدد الكبيرة . فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ، ظهر الأسطول ، وتم بظهوره النصر المأمول . فركب السلطان في جحافله ، وسدد سهام الردى إلى العدو ومقاتله . وأحلق به حول خنادقه ، ليوسع عليه الهلاك في مضايقه . وانشغل الفرنج عن قتال الأسطول ، ويسهل عليه بتشاكلهم طريق الوصول . فعمر الفرنج أسطولا ، وصف شوانيه على البحر عرضاً وطولاً . وقدر أنه يلاقى الأسطول المنصور ، ويحظر (١) بسد الطرق عليه وصددها العبور . فجاءت مراكبنا ونطحت مراكبهم وطحتهم ، وأوهت متهم (٢) وأوهتهم . وأخذنا لهم مركباً ، وأخلوا لنا مركباً ، وكان تقصير الرؤساء في حفظه لأخذه سبياً . واتصل الحرب في البر إلى حين غروب الشمس ، وعاد المسلمون ببحور القلب وسرور النفس . وقتل من الفرنج عدة وافية ، وكلاءة الله لنا ولأصحابنا واقية .

---

(١) في ب ينظر والتصحيح من ل ومن أ (٢٢٩ى).

(٢) في ب وأ (٢٢٩ى) والذي يتفق مع السياق والمعنى التصحيح المذكور من ل .

## ووصفت هذه الحالة في مكتبة كتبها لتعرف منها الصورة وتكشف القضية المستورة وهي

هذه المكتبة ميشرة بما سناه الله من النصر الهني ، وهناه من النجع  
السني ، وأجنى المسلمين من ثمر الظفر الجني .

وذلك بوصول الأسطول الثاني المصري المنصور ، ظهر يوم الخميس  
متظاهراً بإمداد الظهور ، متوافراً يوفود الوفور ، ودخوله سالماً غانماً إلى  
ثغر عكا المحروس المصور ، فأثرى (١) البلد بعد إنفاضه ، واجتمع إليه مدد  
القوة بعد انقضاؤه . واستجد جلة وافية ، وعصمة واقية ، وذخيرة كافية .

وكان الفرنج عند وصول أسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها ، وأبرزت  
مناكبها ، وحثت بالرجال والمدد جوانبها ، وسمنت غواربها ، ورفعت  
هضابها وهواضبها ، وسحبت على ثبج البحر سحائبها ، وأدبت إلى عقبان  
أساطيلنا المحلقة ببقايا ثعابينها وعقاربها ، وظنت أنها تستطيل على رواسي  
أساطيلنا بسواربها ، وأنها تواجه عرائسها المجلوة ببحر جواربها . فلما جاء  
الحق زهق الباطل ، وصال الواصل ، وحاص العدو من الحاصل . وانحل  
تركيب تلك المراكب ، وحطت تلك المناكب بما أحاط بها من النواكب .

وخرج الأسطول الأول من الثغر مستبشراً بدخول الثاني ، واجتمع شمل  
الشواني بالشواني . وتفرقت سفن العدو شذر منذر ، وعثر حين ذعر فحلر .  
وكسبت شوانينا ست بطس لهم فكسرتها ، ووجدت فيها عدة من الرجال  
المقدمين والنساء فأسرتهن ، وكانت الفرنج حملت فيها تجائر وذخائر تطاب  
ربحها ففخسرتها .

---

(١) في ب فائر والصحيح من ل ومن أ (٢٢٩ ي).

## فصل آخر

وصل الأسطول ظهر يوم الخميس ظاهراً خميسه ، نائراً بالأسد عريسه .  
في شوان للعدو شواتن ، وشلنديات (١) لشله وفله ضوامن . وحراريق  
لأهل النار بنارها محرقة ، وعقبان مراكب في مطار العقاب على المجرمين  
محلقة . وصواري هواضب كرواسي هضاب ، وسحاب بواق كبورق  
سحاب .

من كل مركب للنصر مركب ، ومفرد من الشدة والبأس مركب .  
وقطعة لنياط قلب العدو قاطعه ، وقلمة لأساس أهل الكفر قالعة . وتلعة  
في ذروة العزة تليعة ، وذروة في مرق المدي راقية منيعة . وجاءت في البحر  
أمواجاً في الأمواج ، ودخلت إلى الثغر أفواجا بعد الأفواج .

وكان العدو قد أبرز أباطيله ، وجهاز أساطيله . وشب عواديه ودواعيه ،  
وأدب عقاربه وأفاحيه . وأسمى مناكب مراكبه ، وجد في إمهاء غروبه  
وتسليم غواربه .

ولما وصل الأسطول طال وصال ، ولاح للعدو صده بحيلة من حال  
فحال ، وامتنع مراده واستحال . وأخذ الأسطول من مراكبه الكبار ست قطع  
قطعت أسبابها ، وقصمت من عبدة الصليب أصلا بها ، وخيت حسابها .

---

(١) شلنديات : يفهم من السياق أنها نوع من السفن الكبيرة .

## فصل

وصل الأسطول إلى البلد، مستطيلاً بالجلاد والجلد . وأثرى به الثغر بعد الانقراض ، واجتمع به شمل الرجاء بعد الانقراض . ودخل إليه ما خرج عن حد الحصر، من ذخيرة وميرة توجب كثرتها قلة المبالاة بالحصر . فان الرايات المنصورة علت فجلت في الآفاق رياضاً، والمراكب الإسلامية انقضت فقضت للمسلمين أغراضاً . ووافت ووفت فاعادت جواهرها مراكب العدو أغراضاً .

وجاءت سواريتها كالرواسي ، وجواريتها محكمة المراسي . ومن شأن شوانيتها شن الغارات على الشناة ، ومن عادة شلندياتها شل أندية العداة . ومن شيمة حراريقها (١) شم بوارق البوائق لإحراق أهل النار في الماء ، ومن عمل مراكبها الخفاف مناكب الكفار رداء الإرداء . من كل جبل يمر من السحاب ، وضامر يشد شد العراب ، وعقاب علق على الشراك في مطار العقاب ، وغراب ناعب في أعداء الله يبين الاحباب ، وهضبة موفية على المضباب ، وقطعة وافية من الكافرين بقطع الرقاب .

وما أحسنها . وقد زفت عرائس ، وجليت أوانس ، وطلعت بأهل الإيمان بواشر ، وعلى أهل الكفر عوايس ، وعادت بها رسوم مراكب الفرنج دوارس . وخللا وجه البحر من سفن الضلال ، وتخلص ما لها من الظلال . ولما شوهد الأسطول ساطياً ؛ وجيد النصر منه عاطياً ؛ وأخذ البحر من الأعداء بحقه ؛ وأشرق منى النجى في أفقه ؛ ركب العسكر المنصور للقتال وأخذ أهبة التزال ، وزحف الرجال إلى الرجال ، والتقى الأبطال بالأبطال ، وشفيت بدم الكفر غلة المناصل والنصال . واحمرت البيض الظامثات ورويت من نجى الزرق ، وبشرت جياح العواسل من اليراع العاسل يعاجل الرزق . وظل أهل الضلال وقد كفهم الكفاح ، وفكهم القتل والجراح . وأقوى الأقوى من الثبات ، ويطل بطلهم بما أمخه من الجراحات ، ويات المسلمون واثقين من الله بأن جمع الكفر قريب الشتات ، وأدرك المشركين ما فاتهم من الآفات .

(١) حراريق : السفن الكبيرة فيها مراسي ليران لرمى العدو .

## ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله

صح الخبر ان ملك الألمان عبر من قسطنطينية الخليج . وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريع (١) وأنه وصل يجمعه إلى مضائق صعب عليه منها العبور ، وعمهم في نهضاتهم العثور . قليل لهم أقاموا في قفار ومواضع شهراً ، عدموا فيها الطعام ولم يحلوا بها إلا ضراً . وكان التركمان الأوجية (٢) على طريقهم يمنعون بغريهم من تشريقهم . فاضطروا إلى المقام بغير زاد ، وهم في جهد وضرواجتهاد . فصاروا يذبجون خيلهم ويأكلونها ، ويكسرون قنطارياتهم لفقدان الحطب ويشعلونها .

فترجلت منهم ألوف ، ورغمت أنوف . وكان ذلك في البرد الشديد ، وزمان الثلج والجليد . فجمدوا وخمدوا ، وتجلدوا وتبلدوا . وعلموا دواب لحمل الأثقال ، وقتل عدد الرجال . فلفنوا وأحرقوا منها ، وتركوها وسلوا عنها ، وكان ذلك من الله لطفاً ، وأمست قوتهم ضعفاً .

وكانوا في خلق لا يعد ، وجمع لا يحسد . فما أثر فيهم ذلك النصب ، ولا صدهم عن مقصدهم ذلك التعب . وما زالوا يسرون والأوجية تبدى إليهم اللوبال في أوجها أوجها ، والافرنجية لا تنتهي حتى تبلغ إلى مالها من متهى . حتى بلغوا إلى بلاد (قليج أرسلان بن مسعود) ومسلكتها دونهم غير مصلود ولا مسلود . وقليج أرسلان محكوم عليه من ولده (قطب الدين ملكشاه) (٣)

---

(١) اللتيس : المختلط .

(٢) تركان الأوجية : أو الأوج : صنف من الأتراك الخزلية فيما وراء سيحون ، يسكنون قرية صغيرة ( ياقوت ج ٣ : ٧٦ ط. ب ) .

(٣) قطب الدين ملكشاه ؛ هو ابن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلش السلجوقي ، كان مقوماً بسواس ، وحينما أصيب أبوه بالفالج تقدم إلى قونية ، وأخرج له أبوه عسكره فكسره ويدد شملهم ثم قتل أباه مكرهاً إلى قيسارية ، ووقع له معه أمور أخرى ، وقد عهد أبوه إلى أخيه غياث الدين بالملك دونه ( لنجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٨ ط . دار الكتب ) .

وهو يدبر أمره ويتولاه ، ويسومه الإكراه . فعارضهم لما قربوا وتعرض لقتالهم ، وطاردهم ليضيق عليهم معة مجاهم . ثم اندفع من بين أيديهم . وتعدى عن جانب تعدبهم .

ودخلوا قونية (١) دار ملك السعودية . واعتصم قليج أرسلان بقلعتها المحمية ، وتراسل هو وملك الألمان واتفقا في الباطن على ما كان بينهما من المواثيق والأيمان . وحمل ملك الألمان له وفرأ وفرأ ، وأشبهه المسلم بالكف عن الكافر كافراً .

وواقفه على العبور إلى الأقاليم الشامية ، والبلاد الإسلامية . وعلى أنه يسير في بلده إلى بلد ابن لاون (٢) ، وأعطاه عشرين مقدماً من أكابر أمرائه ليكونوا معه حتى يصل إلى المأمن رهائن . وأمر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه ، وأن يعاوضوهم من الخيل والعدة بما يرومونه . وأقام لهم الأسواق ، وعرض عليهم الأمتعة والأعلاق . فساروا في رفه ورقى ، وتقوبلاتوق .

فلما وصل الملعون إلى بلاد الأرمن غدر بالرهائن ، وساقهم محمولين مع الطعام . وتناول عليهم بأن التركان سرقوا منهم في طريقه ، ونكث جميع موثيقه . ووصل (ليفون بن اسطفانة بن لاون) مقدم الأرمن إلى خلعتة ، ودخل في طاعته ، وكان بمفرده خالياً من عسكره بمجرده . وذلك في طرسوس (٣) فتمكثوا بها ليربحوا بها النفوس .

وقيل عن " لكلب الألمان أن يسبح في النهر ، ويميط عنه ما عراه من الوضر والضر . وكان شيخاً مسناً قد عاد لكبر سنه شناً (٤) . وحسب أنه إذا

---

(١) قونية : مدينة كانت من أعظم مدن الإسلام (بآسيا الصغرى) (ياقوت ج ١٦ : ٤١٥ ط . ب) .

(٢) ابن لاون : هو ليون الثالث صاحب أرمينية (مفرج الكروبي ج ٢ : ١٠٠ تحقيق د . الشيال) .

(٣) طرسوس : إحدى مدن آسيا الصغرى وكانت ثغراً على ساحل البحر الأبيض المتوسط (ياقوت ج ١٣ : ٢٨ - ٢٩ ط . ب) .

(٤) شناً : قديماً . يقال شنت القرية أى خلقت وييس .



سبح سحب ذيل الاستراحة ، فكان موته في تلك الراحة وهلكه في تلك السباحة . فإنه عام في الماء البارد ، وتورط منه في أصعب الموارد (١) . وخرج وبقي مريضاً إلى أن خرج من ثوب البقاء ، ونحول إلى فناء الفناء . وتلقاه مالك بالزبانية ، وحملوه إلى نار الله الحامية . وسمعت نصرانياً يقول في معناه : « كنت معه لما سلك فهلك ، وأعجله مالك النار عما ملك . وذلك أن النهر ما كان فيه إلا عبر واحد ، والعسكر فيه مزاحم متوارد . فقال ملك الألمان : هل تم فون موضعاً يمكن فيه العبور ، ويؤمن فيه العبور . فقال له واحد : ههنا مخاضة ضيقة من احترز فيها عن التيامن والتياسر عبر ، ولا يعبر فيها إلا واحد بعد واحد إذا تثبت واستظهر » . فبدر إلى تلك المخاضة ، ذات البحرية الفياضة . ودخل الماء فطنى على ذلك التارى الطاغى ، وأعجل ذلك الباغي عن المباغى . ورماه في جريانه إلى شجرة شجت جبينه وجنت جاشه ، وعثرته بحيث لم يؤمل انتعاشه . فتبعوا في إخراجة ، وأيسوا من علاجه . ومات علو الله شر ميتة ، وبلى شمله بتشتيته ، وحبله بتبتيته .

وخطفه ولده على خلف من أصحابه وأجناده (٢) ، لكان الولد الذى خطفه في بلاده . وقيل إنهم سلقوا ذلك المالك في قدر حتى تخلص عظمه ، ونهرى لحمه . ثم جمعوا في كيس عظامه ، وراموا بذلك إكرامه وإعظامه . ليحملوه إلى كنيستهم بالقدس قمامة ، ويدفنوه على ما كان أوصى به ورامه . ولما عرف ابن لاون بهلاكه ، وسكون حراكه ، وما جرى من الإختلال والاختلاف بموته ، وأنه لا تلافى لما فرط من تلفه وفوته ؛ فارقهم إلى بعض قلاعه ، واتصل الضر بهم لانتقطاعه .

ووصل كتاب من الكاياغيكوس صاحب قلعة الروم يرغب ويرهب ويرق ويرعد ، ويقول ويعدد ، ويدهده ويهدد . ويرى أنه ناصح ، وللقصة شارح ، وأن الأمر واضح ، وأن الخطب فظيع فاضح . وأن هذا

(١) في ب الموارخ والتصحيح من ل ومن ا (٢٢٢ ي) .

(٢) في ب أحاده والتصحيح من ل .

الملعون أول ما خرج من بلده ؛ أوصى فيه إلى ولده . ثم جاء إلى بلد المنكر (١) فدخله غضباً ، وأوسعه نهياً . حتى أذعن له وانقاد ، وباغ بطاعته المراد وأنه أخذ من ماله ورجاله ما اختار ، وتزود من عنده وامتنار .

ثم وطىء أرض ملك الروم وداسها ، وتوسط ديارها وجاسها ، وفتح بلادها ، وملك قيادها . وأحوج ملك الروم إلى طاعته ، وألزمه بما دخل في استطاعته . وأخذ منه من الذهب خمسين قنطاراً ومن الفضة خمسين ، ومن الثياب الطلس المعدنية ما باغ الألوف وتجاوز عن المثين . وأخذ على سبيل الرهائن أربعين من خطصائه ، ومعروفى كبرائه . وأخذ كل سفينة غصبا ، وسحب على ذلك البحر في التعدية من مراكبه سحبا . وأنه لما عبر وفرغ من الخروج ، تلقاه بالخييل والدواب والأبقار والأغنام (تركان الأوج) . ثم وقع بين التركان وبينهم ، وجالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يوما يرومون جبنهم . وهم في طريقهم سائرون ، وعلى مقاتلتهم صابرون . حتى قربوا من (قونية) فاعترضه قطب الدين ولد قليج أرسلان ، والتقى الأقران بالأقران ، وهزمه ملك الألمان .

ولما أشرف على قونية خرج إليه جموعها ، وطالت إليه بالحرب بوعها (٢) ، ثم اندفعت حيث ضم على الروح روعها ، وأنه هجم على قونية عنوة ، ونال منها حظوة . وأقام خمسة أيام حتى استقرت بينه وبين قليج أرسلان قاعدة أكيدة ، وحصلت لكل منهما فائدة مهيبة . وأخذ منه رهائن عشرين ، من أكابر دولته المميزين .

وقدّم كتابه إلى ابن لاون بالجواز في بلاده ، فتلقيه بما أعده لإرفاقه . ونزل حين وصوله إلى طرسوس على بعض الأنهار . ونام ساعة بعد تناول الطعام ، ثم انتبه وتشوق إلى الاستحمام . فحرك عليه الماء البارد مرضاً ، وتشكى أياماً قلائل مضضاً ، ثم قضى وانقرض أربه وانقضى . وخلفه ولده بعلمه واستمال جنته . وكان ابن لاون قد سار قاصداً للقاء أبيه ،

---

(١) بلاد المنكر : يقصد بلاد هنتاريا أو المجر الحالية (مفرج الكروب ج ٢ : ٣٢٠ تحقيق

الشيال) .

(٢) البوع : الباع والمقصود بأنه طالت إليه بالحرب أيادها .

قلما عرف موته وجلوس ولده ، اضرب عن تلقية . وعرض عسكره في اثنين وأربعين ألف مجحف (١) ، من كل سرخان أهرت (٢) وذنب أغضف (٣) . وأما الرجال فلكثرهم تعذر العرض ، وغص بهم طول الأرض والعرض . وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس ، وهجروا الثياب ، ولزموا المصاب ، وداوموا الاكتئاب . وهم صابرون على الشقاء والتعب ، لأمل الظفر بالطلب .

ولما بلغت هذه الأخبار ، اضطربت الديار ، وارتفعت الأنجاد والأغوار . وقالوا : وهذا جانب لا يطاق ، وأي جانب قصده عنه لا يعاق . ولا شك أنه يتوسط بلاد الشام ، ويثلم ثغور الإسلام ، ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام .

وعزم السلطان على استقبالهم بالردى والرد ، وصدهم عن القصد . ثم ثبت على رأى الثبات ، وتنتظر الأوقات بما يتجدد من الحادثات . وتقلقت عزائم الذين بلادهم على طريق القادم ، وأنه يعود كل منهم إلى مكانه أخلاً بحكم الحازم .

فأول من سار ( ناصر الدين محمد ) (٤) - ولد الملك المظفر صاحب

(١) مجحف: أى لايس التجفاف وهو آلة حربية يتقى بها كالدروع ، وتستعمل للإنسان والحيوان .

(٢) السرخان : الأسد . أهرت : واسع الشقين .

(٣) أغضف : مسترخى الأذن .

(٤) ناصر الدين محمد : هو الملك المنصور ، ابن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب ، كان شجاعاً علماً يحب السلام ، وكان في خدمته منهم قرابة ٢٠٠ عالم ، ولهم صناعات مثل : المضارقي التاريخ ، وحلقات للشراء ، وكان معنياً بممارسة بلده والنظر في مصالحه ، وكان له من البلاد حماة والمرعة وسلمية ومنبج وقلمة نجم كما فتح بارين ، توفي بقلمة حماة سنة ٦١٧ هـ - وخلفه ابنه الملك الناصر صلاح الدين قليج أرسلان ، (جاء في التنجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٥٠ ، أن وفاته كانت سنة ٦١٨ هـ) . ( أبو القدام ج ٣ : ١٢٦ ط . المطبعة الحسينية ١٢٢٥ هـ ) .

منيج (١) ، ليجمع على طريق العلو ويرجع (٢). ثم ( عز الدين بن المقدم ) الباسل المعلم . ثم ( مجمل الدين بهرامشاه ) (٣) صاحب بعلبك ، ليجمع ويأخذ على العلو الملك . ثم ( سابق الدين عثمان ) - صاحب شيزر ، الليث الممام القصور . ثم ( الباروقية ) أسد الهياج ، ونجوم ليل العجاج . ثم رحل ( الملك الأفضل ) وقد عرض له ألم ، ثم ( بلر الدين ) والى دمشق وقد ألم به سقم ، ثم سار ( الملك الظاهر صاحب حلب ) - لاضطرابها بغيبته وبهذا الخبر ، ونحوف الناس فيه أنهم على الخطر . حتى غلت الأسعار واستعرت الغلة ، وخلت الأماكن وتمكنت الخلة .

ثم رحل ( الملك المظفر تقي الدين ) لحفظ ثغر اللاذقية وجبله ، ويثبت بقدمه عليها الرعية الخائفة المجفلة ، وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى الآخرة .

ورتب السلطان منازل العساكر الحاضرة . وخفت الميمنة برحيل معظم من كان فيها مقيما ، ولحفظ الثوب في اليك مستديما . فانتقل الملك العادل إليها ، وجاء إلى منزلة الملك المظفر ونزل عليها . واستقام الترتيب وترتب المقام ، واعتز الصادقون وصدق الاعتزام . ثم مرض أكثر العسكر وخام للوخم ، وألم بالبعد للألم . وكان بحمد الله المرض سليم العاقبة قريب العافية ، مستعقباً لألطف الله الواقعة الوافية . ووقع المرض في القرنج وكان المييد (٤) المير ، والمندى لأصحاب السعير . السعير . وعم فيهم الموت والوبا ، وكثر عن نبواتهم النبا . وتقدم السلطان بهدم سور طبرية وهدم پاغا وأرسوف وقيسارية وهدم سور صيداء وجبل وتقل أهلها إلى بيروت .

( ١ ) منيج : بلد قديم بين القرات وحلب كان حاضرة السواصم أيام الرشيد ( ياقوت ج ٨ : ١٦٩ - ١٧١ ط.ب ) .

( ٢ ) يرجع : يجمع بعضهم على بعض .

( ٣ ) مجد الدين بهرامشاه : هو ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، كان صلاح الدين أطاعه بعلبك عند وفاة أبيه سنة ٥٧٨ هـ فأقام فيها ٥٠ سنة حتى حصره الملك الأشرف موسى بن العادل . أبو بكر بن أيوب وأخرجها منها ، وساعده عليه ابن عمه أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فانتقل إلى الشام وسكنها حتى قتل بعض مالهيك غيلة ، كان فاضلاً شاعراً فصيحاً كاتباً ، وله ديوان شمر كبير ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٧٦ ط . دار الكتب ) .

( ٤ ) في ب المييد والتصحيح من ل ومن أ ( ٢٣٥ ي ) .

## عاد حديث ملك الألمان

وأما ولد ملك الألمان فانتحس ، ومريض أياما في بلد الأرمن واحتبس .  
وهلك أصحابه جوعاً ، ومنهم من عزم رجوعاً . ووقع الموت في خيلهم ،  
فأذن لهم بقلوص ذيلهم . وقدم الملك لمرضه ، والتياث جوهره بعرضه ،  
جموعه قدامه ، وساروا أمامه . وخرجوا لكثرتهم في ثلاث نوب ، في  
بيض وُسمر وبيض ولب . ومعظم رجالهم حملة عصا وركاب حمير ،  
غير عارفين بطريق ولا متحفظين في مسير . والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم ،  
ويتألفون عن مسالكهم ويتلفونهم .

ووصلوا إلى أنطاكية ووصل إليها الملك ، بعد أن ضاق به ويجمعه إليها  
المسلك . وضاق به الأبرئس صاحب أنطاكية خروا ، ولم يجد لهم عنده  
مطعماً ولا مرعى . وطلب منه القلعة فأخلها له ونقل إليها ماله وأثقاله .  
وسأله أن يجعل طيقه على حلب فخاف ، وأبدى له الخلاف . وقبل وصوله  
إلى أنطاكية فلت جموعه وجنوده ، وبلت بحشد الزركان حشوده .

واجتازت الفرقة الأولى منهم تحت قلعة بغرامس ، فلقبت البوس والباس .  
وخرج رجالها عليهم (١) على قتلها ، وصدمتهم ببساتنها . وأسرت منهم  
زائداً على مائتين ، وطمعت فيما وراءهم من الفتيين . وقيل : لأنهم حسبوا  
أن بغرامس باقية بحالها مع الداوية ، فجاءوا إليها سحراً بأحمالهم وأموالهم  
السنية . ( فلم يشعروا إلا بالبغال على الباب واقفة ) (٢) ، والجنى دان  
يرقب أن يكون له أيد قاطفة . فخرج إليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب ،  
ونحلى عنها أصحابها لما عرفوا الحال . ولم يرجوا على حرب . فاستغنى  
الوالى من ذلك اليوم ، من مال القوم . ثم أنكر حتى لا يطالب بشيء منه ،  
وغفلت الأيام عنه .

---

(١) في أ (٢٣٦ ش) لهم والمذكور في ب ول .

(٢) في أ (٢٣٦ ش) فلم يشعروا إلا بالبغال عليها واقفة . وما ذكر في ب ول .

وذكر ( الأمير علم الدين سليمان بن جندر ) في كتابه ؛ أنه أنهض جماعة من أصحاب أمراء حلب وأصحابه ؛ ليقتفوا آثارهم ، ويكشفوا أخبارهم . فوقعوا على خلق عظيم منهم ، فعالطوهم ولم يرجعوا عنهم . وانقضوا عليهم انقضا (١) البزاة على الحجل (٢) ، وزأروا فيهم زئير الأسد في النقاد (٣) وزاروهم بالأجل . وأسر كل واحد من أصحابنا ثلاثة وأربعة ، وتركوهم متمزقة متمزعة . وعادوا بالأسارى إلى حلب وباعوهم في الأسواق ، وامتلاّت بالأسلاب منهم والأعلاق . فطابت قلوب الرعايا ، وأنت من الله بما ظهر من أطفافه الخفايا . وطمع فيهم أهل القرى ، والتقطوهم من الوهاد واللدرا . وما صدقوا بالسلامة حتى آواهم الأبرنس إلى أنطاكية ، وأراح من آلامها الألمانية . وذابوا في هذه الطرقات ذوباً ، وصب عليهم العذاب صباً إذا أخلوا صوباً . وهلك بأنطاكية الكند الكبي مقدم العسكر ، وتبعه إلى سقر كبير من ذلك المعشر . وحصل الأبرنس بتلك الأموال المجتمععة ؛ واللخائر المودعة ؛ حتى قيل إنه إنما غرب في الوصول إلى بلده ؛ ليحصل على سبده (٤) ولبده . فأخلى له قلعته ، لينقل إليها خزائنه . ففعل وما رجع إليها ، واحتوت يد الأبرنس عليها .

ثم ساروا على طريق الساحل ، بالفارس والراجل . وخرجت عليهم خيل جبلة واللاذقية ، وسقتهم كتوس المنية ، وألقتهم على البوس والبلية . فأغذوا في السير حتى وصلوا إلى طرابلس وقد نقص نصفهم ، وتم بعواصف البلاء نصفهم ، وبلغ أمدهم وانتهى مددهم . وجبن الملك عن المسير على الطريق ، لما لقيت جموعه في طرقاتها من التفريق . فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على ألف ، برّعب قلب وقصور يد ورغم أنف . واختلط مع الفرنج على عكاء فسقط اسمه ، وسخط حكمه . وهلك بعد قليل ، ولم يحظ بنقع غليل .

وسألم بذكر حالته في مواضعها ، وذكر مصارف جماعته ومصارعها .

(١) في ب الانقضاوس والتصحيح من ل ومن أ (٢٣٦ ش) .

(٢) الحجل : طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين وهو يعيش في الصرود العالية ويستطاب لحمه .

(٣) النقاد : جمع نقده ، وهو جنس من الفم صغير الأرجل .

(٤) السبد والبذ : الشر والصوف والمباركة كناية عن الحصول على كل شيء فيه .

## وكتب إلى الديوان العزيز فصلا بخبير ملك الألمان عند ارجاب الارجاف به

قد وصل الخبر بالداهية الدهياء ، والفحة الغماء ، والنكبة النكباء ،  
والشدة الدهماء ، واليلة اليلاء . وهي أن ملك الألمان ومعه ملوك الافرنجية  
وحشودها ، وقوامصها وكنودها ، وأحزاب الشياطين وجنودها ، وألوية  
اللاواء وبنودها . وصل جاراً على السماء ذيول قتامة ، مجرياً في الأرض  
سيول لاهمة . ثائراً بأطلابه لطلاب ثاره ، سائراً بخيله ورجله كالسيل إلى  
قراره .

وأنه في عصائب صلبان في عصبيتها متصلة ، وأتباع شياطين لإرضائها  
متغضبة (١) ، وأسراب سراحين على سرح الإسلام متوثبة . وأنه في مئين  
من الآلاف الألاف قمنون ، وأقطاب الإعطاب الدائرة للوائرسوئها رحي  
الحرب الزبون (٢) . وقد أوقلوا للشر شرارا ، وأضرّموا للشرك الداعي  
إلى النار تارا . فان حسرتهم على ( قُمامتهم ) دائمة ، وقيامتهم قائمة .  
والموت يدعوهم إلى المقبرة التي يدعونها . والآجال تلييهم لمناياهم التي  
يدعونها .

وكان خبر وصوله متداولاً على السنة الأراجيف ، وتشيعه أعداء الله  
من قبل للترهيب والتخويف . واستعدت العساكر الإسلامية للتوجه إلى  
بلاد الروم في الربيع ، ليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع  
باتفاق الجميع . وانتظر ورود خبر صحيح، ويقين نبأ بأمر صريح . حتى  
إذا صح الخبر ، سار العسكر . ثم انقطعت الأخبار ، وتمادى الانتظار ،  
ومضت شهور الربيع آذار (٣) . ونيسان (٤) وأيار (٥) .

(١) في ب متغضه وفي أ (٢٣٨) متغضبة ، والمذكور وهو أنسب للسياق من ل .

(٢) القزوين : الشديدة التي يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .

(٣) يقابل شهر مارس .

(٤) يقابل شهر أبريل .

(٥) يقابل شهر مايو .

وكانت كتب سلطان الروم قليج أرسلان وأولاده - وورسلهم متواصلة بما ينبغي عن التعاضد ، وبينى أمر الوفاء والوفاء منه على التعاون والتعاقد . وهم بإنهاء ما يصح عندهم واعدون ، ويزعمون أنهم في رد الواردين ولردائهم مساعدون . فأخلف ذلك الوعد ، وضع ذلك العهد . ووصلت كتبهم بثقة في هذا الأوان ، بما تأخر به الخبر عن العيان .

وقالوا : انهم قد توسطوا بلاد الإسلام ، وإنهم على قصد الشام . ثم ورد الخبر بأنهم صالحوهم وصانعوهم ، وأخلوا لهم الطريق ووادعوهم . ووسعوا لهم في المضائق ، وسعوا في أمن طرقهم من الطوارق . وهذا حادث كارث ، وباعث فاجيء فاجع لأهل الحمية في الدين باعث . وناكب لعقود العقول في تعاضم ضرره ، وتفاقم خطره ناكث .

وقد تعين الجهاد على كل مسلم ، وما في الوجود مؤمن يكون له هذا الملم غير مؤلم . والاهتمام بلغه من أفرض المهام وأهم الفروض ، والخدام منفرد في حمل عبء هذا القادح الباهظ بالنهوض . وهو واثق بأن بركات الدار العزيزة تدركه ولا تتركه ، وأن الذي يستبعد من النصر القريب يتسقى ويتسع به سلكه ومسلكه - إن شاء الله .



### فصل فيه في جواب أمير

عرفنا خير العدو المشنوم ، الواصل من جانب الروم . وهذه هدية  
أهداها الله إلينا ، وفضيلة خصنا الله بها . حيث أقامنا في مقابلة أعدى أعدائه ،  
وأقلدنا على مقاتلة من نازعه في كبريائه . وقد ساقهم الموت إلى المقبرة التي  
يدعوها ، ولبتهم المنايا التي يدعونها ولا يدعونها . ومعاقلنا بحمد الله  
قوية ، وصوارمنا من دماء أعداء الله روية . فيجب أن يكون في جميع  
أموره محتاطا ، ويظهر بما يغنمه الله من أسلابهم وأسلانهم اغتباطا .

## فصل من كتاب الاستنفار

قد عرف أن العدو الألماني المخلول قد وصل فما لقوده عن هذا المقام معنى ، وما لمن تأخر عن نصرته الإسلام من ثمر السعادة مجنى . وهذا وقت نهوضه بجميع أهل بلاده ، وأوان بذل وسعه وجهه واجتهاده . فإنه محضر لا يغيب عنه إلا من ليس له عند الله خلاق ، وموقف يقى بعهد الله فيه من سبق له معه في السعادة ميثاق . وإنها لنعمة أوفدها الله علينا ، وهدية أهداها الله إيانا ، وفضيلة خصمنا الله بها ، وأسعدنا بسببها . بل هي بلية جلا وجه النعمة فيها ، بل قضية وفى الله في النجاح بموعود توافيها . بل ملمة اختارنا الله لدفعها ، وطاغية استدعى أوليائه لقمعها ، ونائرة كلفنا الله بإطفاء جمرها وإرداء جمعها .

فلينفض نهوض الكريم إلى مساعدة الكرام ، وليخطب اهتمام العظيم بملازمة المحبوب العظيم ، وليشب وثوب الأسد على الفريسة ، وليتخ للإسلام انتحاء ذوى الأنفس الأبية والمهم العلية النفيسة .

وليكن أول سابق في مضمار الجدد ، وأسعد طالع في أفق الجدد . فإن الإسلام في انتظاره ، والمطالع مستشرقة إلى إشراق أنواره . لا زالت الأقدار جارية في إسعاد الدين والدولة بإقذاره .

## فصل من كتاب

قد أحاط العلم بما عرا من الملم ، وعرض من الخطب المنهم . ووصل من العدو الثائر (١) ، ونزل من النازلة التي هي أمّ التوازل ، والدائرة التي هي أمّ اللوثر . وقد آن للإسلام أن يُسلم ، وللإيمان أن يُعتم ، وللتلثيث أن يُعلن ، وللتوحيد أن يُكتم ، وللکفر أن يقدم ، وللهدى أن يحجم .

فقد قلف البحر من الفرنج يزبله ، واليد أتى أيّ من كل بلد للکفر يسبده ولبلده ، ووصل الألمانى - المختول - بعلده وعُده . وهذا خطب قد دهم ، وعلو قد هجم ، وشر قد نجم . وجرم ذاهية قد وقد ، وجمع طاغية قد وفد . فى جيوش جائشة ، وجموع طائشة . وجنود محشورة ، وبندود منشورة ، وخيول مُجفّفة ، وسيول مُجفّفة .

وهذا أوان تحرك ذوى الحمية ، ونهوض أهل الممم الآية العلية . فإن القوم فى كُرة ، ولا يقاتلون إلا بالكُرة . وهم مغزون بطوهم ، معزون بعنوم . مستنون فى طريق العُرة . والليل إذا وصل إلى الجبل الراسى وقف ، والليل إذا بلغ إلى الصبح المسفر لنكشف : والمجلس أوّل من تولى تفريغ هذه الغمة ، وكشف هذه الملمة . حتى تُخلف أمانى الألمانى ، وتُبطش أيمان الایمانى ، وتُخلل أنصار النصرانى ، ونجنى وتبرز رؤوس الجنوى (٢) والبيزانى (٣) .

فأين المؤدون فرض الجهاد المتعين ، وأين المهتلون فى نهج الرشاد المتبين ، وأين المسلمون ؟ - وحاشا أن يكونوا للإسلام مُسلمين ! وأين القُلمون فى الدين ؟ - ومعاذ الله أن لا يكونوا فى نصرته على الموت مقدمين ! ولولا التقيّد بهذا العدو الرابض ، لأطلقت أعتة النهضة إلى العدو الناهض . ولا بد من لقائه قبل تلتقى الجُحُمين ، وإراءة الملاعين وجوه حنوفهم ملء العين .

(١) فى ب السائر والصحيح من له .

(٢) الجنوى : أى من أهل جنوا بإيطاليا .

(٣) البيزانى : أى من أهل ييزا بإيطاليا .

## فصل فيه

قد سد طريق القلق فيلقه الطارق ، وزحف إلى الحق الثابت باطله الزاقي . وجال بالوجل وجاء بالوجب (١) ، وثار لثار الصليب السليب . وقد وقد جمر جمعه ، ورتق فتق الصبح رقع نقيه . وما فض الفضاء ختام قتامة ، حتى ختم على ضوء نهار الملقى ليل الضلال بظلامه ، والرجاء محقق أن الأملاني محقق يلزمه ، والإسلام مشفق من إسلامه ، والدين موفق بنصرة إمامه ، وعصمة الله الراقية الوافية من ورائه وأملمه ، والله الكافل بإعلاء أعلامه ، وإحكام أحكامه .

---

(١) الوجيب : الذي يتفق القلب ويحمله يشترط .

## ذكر الوقعة العادلية

كان القرنج لما صحّ عندهم وصول ملك الألمان إلى البلاد ، وأنه ملاءُ  
أحشاء الربا والوهاد بالأحشاد ، قالوا إنه إذا جاء لا يبق لنا حكما ،  
والصواب أن نشيع لنا قبل شيوع اسمه اسما ، لا سيما وقد خفت عساكر  
الإسلام ، وقفل أكثرها إلى الشام . فنحن ننتهز الفرصة ، ونحرز الحصّة ،  
ونهبّل الغرة ، ونهجم عليهم هذه الكرة ، ونذيقهم المرة المُرّة . ونفرغ  
من شغلهم قبل مجيء القادم ، ونغت بجز العزائم ، ونقل حنودهم بحلود  
الصوارم .

فخرجوا ظهر يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة ، في حشر  
يذكر بحشر الساهرة (١) ، واسود يياض النهار من سوادهم ، وتراءت  
الآجام لنا متوافية بأسادهم . وامتدوا إلى الخيم العادلية، واشتلتوا بما استصحبوه  
من البلية . في كل ذنب أمعط (٢) ، وسيد قد تورط . وسرحان سرح ،  
وافصوان كلعج . وجهنمى نجهم فهجم ، وجحيمى أقدم وما أحجم . وسعيرى  
نارى استعار حكمة (٣) النار . وسقوى قسورى عاد بعادة الاقتسار (٤) ،  
وباروفى طالب للبور ، واستبارى راغب فى التّبار (٥) . ودأوى معضل  
الداء ، وتركبولى غير تارك للبلاء . وسرجندى (٦) كرار ، وفريرى غير فرار ،  
وفارس يفرس الرجال ، وراجل يرجل (٧) الفرسان الأبطال . وأزرق

(١) الساهرة : يعنى الأرض التى يبلها الله سبحانه وتعالى يوم القيامة .

(٢) سقط شعره .

(٣) شدة اتقادها .

(٤) القهر

(٥) التبار : الاحراك .

(٦) سرجندى : يفهم من السياق أن المؤلف استعمل الكلمة الفرنسية *sargent*

كدلالة حل معنى جاويش ويقابلها فى اللغة الإنجليزية *sergeant*

(٧) فى ب و واجزيرجىز ، وماذكر من ل ومن أ (٢٤١ ش) .

ورقة الموت الأحمر ، وأنمشى<sup>(١)</sup> يمشى واليوم أغبر . وأشقر وهو أشقى ، وأبقع إذا غوى في الوغى ما ترك ولا أبقى .

ودخلوا الحيم العادلة وتجاوزوها ، وقد كانت أخليت قبل أن يجتازوها . ووقف الملك العادل بطلبه ، وعن يمينه ويساره أمراء الميمنة الذين بقربه ؛ مثل : صارم الدين قايماز النجمي وعز الدين جرديك النوري وجماعة من المعروفين بالشهامة ، الموصوفين بالصرامة .

ولبت الملك العادل لبث المخادع المخاتل ، حتى يطلع من العدو على القتال . فقادتهم الأطماع إلى الانتشار ، وأفضى بهم الاعتزاز إلى الاغترار . فحيث بدأ بالحملة ولده الأكبر — شمس الدين مودود ، وهو في كل وقعة يحضرها جاد مجلود ، فعضده والده ، وولده مساعده وساعده . وحمل معه العسكر الحاضر ، قبل أن يتصل به العساكر . فكسر الفرنج كسرة فرشتهم على الأرض ، وذكّرت الواقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم العرض .

وكانوا قد بدعوا أكثر من فرسخ ، وأجفلوا ولم يلفت أخ إلى أخ . وركبت العادلة أكتافهم ، وقلّوا فيهم أسيافهم . وعقروهم وعرقوهم<sup>(٢)</sup> ، وبيجّوهم<sup>(٣)</sup> وبيجّوهم . وحكموا في الرقاب الغلاظ منهم الرقاق ، وضربوا بمن أعقوا إليهم الأعناق . وأشبعوا التتوت من لحوم الليوث ، وبثوا بعوث المنية في تلك البعوث ، حتى رتمت في كلاً الكلى صوار الصوارم ، وأرعد وأبرق بصواعق بواقفهم غمام الغماغم . وتعلقت بلبوائبهم ذوائب الذوائب ، ووصلت بهم إلى النجاح متى المتاصل .

فلم تترك الهاذم لما فضاء ، وغادرها شلتها بالعراء أشلاء . ورأيناها كأنها أعجاز نخل خاوية ، وما أحسن أجسام أهل الهاوية وهي هاوية . فكم جنة بلا راس ، وبنية بلا أساس . ونحمر قد نحمر ، ودم قد أنهر . ويد قد

---

(١) أنمشى : ذو النش وهو نقط يبيض وسود أوبقع في الجلد تخالف لونه .

(٢) عرقوهم : أي أزالوا لحومهم عن عظامهم والمضى آت من عرق الظم : أكل ما عليه من لحم ، أخذه كله .

(٣) بيجوهم : طعنهم وشقوهم .

بقتت ، وكبد قد قُتت . وعق قد قطع ، وأنف قد جدد . وودج (١) وجد  
مفرياً ، وظهر قد ظهر مبرياً . وحلقوم قد حلق ، وغُلصوم (٢) قد فرق .  
وداوى قد دوى ، وبالدلم روى . وصليحي كسر صلبه وقُليب على صدره  
قلبه ، وحرى أناه الحرب ، وغرب في نبع عينه التبع والغرب .

وكان السلطان قد ركب ، وخشى أن جانب الميمنة نكب ، وسير جماعة  
من كماء الممالك والأمراء على مقلعته ، وانتظر الميسرة لتنهض في خلعتة .  
فوصل إلى الوقعة سنقر الحلبي في العصابة العززية ، وفاز من الغزوة بالحظوة  
السنية . وجاء علاء الدين ابن صاحب الموصل في أثناء المعركة فعرف بركة  
سرعة تلك الحركة ، لأنه أخذ حظاً وافراً ، ولقي من النصرة وجهاً سافراً .  
وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة أحد ، ولم تمتد منها إلى  
إلى قتال الكفرة يد .

ووصل السلطان وشاهد من مساة الفرنج ماسره ، وعرف لطف الله وبه  
ونصره . وعان هنالك مصارع الأعداء ، ومشارع البلاء . وكانوا مفروشين  
في مدى فرسخ على الأرض ، وهم في تسعة صفوف من تلال الرمل إلى  
البحر بالعرض . وكل صف يزيد على ألف قتيل ، وشاع القتل من الفرنج  
في كل قبيل .

ولما وصل السلطان رأى عماد الدين وابن زين الدين وأمراء الميسرة قد  
عزموا على الدخول إليهم والمجوم عليهم . فلنهم ندعوا على ترك الإسراع ،  
فراموا اتباعهم ليأخذوا بنصيب الفتك بهم والايقاع . فصددهم السلطان  
وردهم ، وشكر عزمهم وقصددهم . وأشفق من مضرة تشوب ، ومرة  
تنوب . فإن الدائرة كانت على العدو ، وقد فاز بالنصر الحلو والصفو  
المرجو .

وكانت النوبة بلا نائية ، والغزوة بلا شائبة . وقتل منهم زهاء عشرة  
آلاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة ، فاغتنمها تجارة رابحة

---

(١) ووج : مرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى منه حياة .

(٢) الغلصوم : هو اللحم بين الرأس والفتق .

وغنيمة ميسرة . ولما عرفت بالواقعة ، والنصرة الجامعة ، صدرت  
ثلاثين أربعين كتابا بالبشارات ، بأبلغ المعاني وأبرع العبارات . وقلت  
« إذا نزل السلطان وجد الكتب حاضرة ، ولأرى البشائر شائرة . »

وركبت أنا والقاضي بهاء الدين بن شداد ، لمشاهدة ما هناك من أشلاء  
صرعى واجساد . فما أعجل ما سلبوا وعروا ، وفروا وفُروا . وقد  
بقرت بطونهم ، وفقت عيونهم . ورأينا امرأة مقتولة لكونها مقاتلة ،  
وسمعتها وهي خاملة بالعبرة قائلة . ومازلنا نطوف عليهم ونعبر ،  
ونفكر فيهم ونعتبر ؛ حتى ارتدى العشاء بالظلام ، فعدنا إلى الخيام . وأخذت  
الكتب التي تمقتها ، بالبشائر التي حققتها . وجئت وإذا السلطان قد استبطاني ،  
وعلم إجابتي لما دعاني . فما صبر ولا انتظر ، ولا تقي أن أحضر . ولا أمهل  
أن أعطي البشارة حقها ، وأجلو بأنوار المعاني أقفاها ، وأبلغ بالبلغة مداها ،  
وأسبغ بتقليص الضلالة ثوب هداها . وأصف بحدود الأنعام ما صنعتته حدود  
السيوف ، وأروج تقودي عند السلطان واغنيه عن الزيوف . فأبصرت  
عنده مشرفي المطابع والآليات ، وملوئي الجرائد بالإثبات . وقد كتبوا  
تلك البشارة الثقيلة الجليبة في رقاع خفيفة ، بعبارات سخيفة . وقد عطلت  
الحسنة من حليتها ، وعروها من بزتها ، وشوهوا جمالها ، وأحالوا  
حالمها .

فذهب بها المبشرون ، وسار القاصدون . فما كان لتلك الوقعة عند من  
وقف عليها وقع ، ولا تم لتغليل من رام الاطلاع على حقيقتها تقع . وأرادوا  
بدمشق قراءتها على المنبر فما استحسوها ، ولو وردتهم بزيئة عبارتي  
وبراعتي زينوها . وفي تلك الحالة التفت السلطان إلى وقال : « اكتب بهذه  
البشارة إلى بغداد ، وعجل بها الانفاذ » . فقلت على سبيل العتب : « أنتم  
ما تريدون ما أكتبه ، ولا ترغبون فيما أرتبه وأهله » . فقال : « كأنك  
كبت البشائر فهاها ، حتى تهدي إلى طرقاتها » . فقلت : « ما فات فات ،  
وهيهات هيهات » وأخرجت له ما بقي من بشارات البلاد التي أنشأتها ،  
بالألفاظ والمعاني التي ابتدعتها وابتدأتها .



فسارت فسرت البعيد والقريب ، وخصت من جدها بالخشب الجليل .  
وصلحت بأسجاعها المتابر وصحت سماعها المفاخر . وظهرت بعباراتها  
العبر ، وبهرت بزبرها الزبر . وعمرت بمعانيها المغاني ، وعمت مباهجها  
مناهج الأفاصي والأداني .

فما أصحها كسرة ، وما أصحها نصرة ، وما أئينها شجة ، وما أثبتها  
حجة ، وما أفرنجها مسرة ، وما أصرها فرجة ، وما أيرجها بالكفر صرعة ،  
وما أوضحها للإسلام شرعة .

## فصل في ذكر حاتم

لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الأكابر ؛ ومقارفة عدة كثيرة من  
العساكر ؛ خرجوا متجاسرين وامتدوا متقاطرين ، وانتشروا متغاورين ،  
وأغاروا للواء اللأواء ناشرين . ووصلوا في الميمنة إلى الخيم العادلية فأخليت  
حتى دخلوها ، وتفرقوا فيها بجمعهم وتخلوها . فركبنا إليهم ، وحملنا  
عليهم . وتركناهم صرعى بالعراء ، فوضى بالفضله ، فما بكت عليهم  
الأرض ولا السماء .

ورويت السيوف من دمائهم ، قبل أن تشيع الوحوش من أشلائهم ،  
وظهرت لنا نعمة الله في بلائهم ، وجي الإسلام بهلاكهم ، وضمنتهم أشراك  
الردى برداء إشرائهم .

وانجلت المعركة عن أكثر من عشرة آلاف قتيل كافر ، وثبت حكم  
إدالة الإسلام وظهوره بأوضح دليل ظاهر . ولوافق خروجهم من مراكزهم  
بأسرهم ، لكننا فرغنا من شغلهم وأخطينا بالنأ بتأييد الله من أمرهم . والآن  
قمع انطفاء جمرتهم ؛ وصحة أمزجة العزائم بكسرتهم ؛ وتطرق القلة إلى  
كثرتهم ؛ نرجو من الله أن يسهل أمرهم المسير ، ويهون خطبهم الخطير .  
وأن ظهورنا عليهم قطع ظهورهم ، وعثور هذه الوقعة بهم حقق عثورهم ،  
والله تعالى يحقق تبارهم ودحورهم .

## فصل فيه

وصلوا إلى الخيم العادلة في الميمنة الميمونة ، واشتغلوا باستباحة أحوالها  
المصونة . فأطلقنا عليهم الأعنة ، وشرعنا إلى نخورهم الأسنة . وبعنا  
النفوس لتسلم ثمنها الجنة . وفرشناهم على الأرض ، وأدينا بإردائهم بعض  
القرض . وانجلى المعركة عن عشرة آلاف قتيل مشرك ، وشملتهم المنون  
فكأنهم جاءوا على موعد مهلك . وأروينا من دماهم ظمأ السيوف ، وجعلنا  
أشلاءهم قرى الوحوش لا الضيوف . وأمن الإسلام بحمد الله من المخوف .  
وأدرك الله بأخذ أرواحهم رمق الدين الملهوف . وهذا دليل ظاهر على ركود  
ريحهم ، ونمود مصاييحهم .

## فصل

حملت عساكرنا عليهم ، وأحاطت بهم من حوالهم . ورضتهم  
بالدبابيس والتوت (١) ، وتركهم صرعى بلك المروت (٢) . وساحت بلك  
الساحة دأماء اللماء ، واكتسبى عى العراء بلك الأشلاء ، وأفضى بذلك  
الفضاء جمرهم إلى الانطفاء ، وأمرهم إلى الانقضاء . ورتعت ثعالب الرماح  
من كلاً كلاًهم فى المرمى .

وانجلت المعركة عن مهلكة عشرة آلاف ( فترى القوم فيها صرعى (٣) ) .  
وطابت من نّن جيفهم (٤) ربيع النصر ، وحسنت (٥) من سماجة مرآهم  
وجوه الدهر . والآن الآن الله شدة شكّتهم ، وقطّ شوك شوكتهم ، وهبت  
نكباء نكبتهم .

ونرجو أن يسهل من أمرهم ما تصعب ، ويؤلف بصدعهم من  
الإسلام ما تشعب .

---

(١) التوت : جمع لت ، وهى كلمة فارسية الأصل ، وهى القودم أو الفأس الكبيرة  
(القاموس المحيط) .

(٢) المروت : أراض لانيات فيها .

(٣) الآية ٧ سورة الحاقة .

(٤) فى ب جيونهم والتصحيح من ل ومن أ (٢٤٥ ش) .

(٥) فى ب حنت والتصحيح من ل .

## فصل

وصلوا إلى الخيم العادلية فدخلوها ، وتفرقوا فيها بجمعهم وتخللوا . وكان ذلك قبل تكامل ركوب الساکر ، وتموج بحارها الزواجر . فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه من الأمراء والممالیک ؛ كولدنا الحسام ابن لاجين وصارم الدين قايماز النجمي وبشارة وجرديك . وعطفوا عليهم عطفة صلتهم عن الانعطاف ، وصرفتهم عن الانصراف . وثارت آثارهم بواتر البواتر ، واحتوت عليهم الضوامر احتواء الضمائر على الأسرار بالخوافر الحوافر . وفشتهم بالقضاء ، وعزتهم من كسوة الحياة بالعراء . وتمت نعمة الاسلام يلائهم ، وشنى الدين بدائهم ، وكان بقاؤه في فنائهم ، ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم ، وأنى القتل على أولهم وآخرهم .

ونجحت المعركة من الكفار عن عشرة آلاف قتيل ، ملأت كل واد وسدت كل سبيل . وقد ذلت عزتهم ، وضعفت قوتهم ، وعجزت قدرتهم ولما انقضت هذه الواقعة ؛ وتمّ للناهضين إلينا الرجعة ؛ رأيت أحد مماليكى ونصته قد خضب ، وعزمه قد رضى بعد ما غضب . فسألته كم قتل ؛ ولأى أين وصل ؛ فقال : « أما أنا فما أبقيت ، وخضت البحر وما توقيت . وهذا غلامى قتل تسعة ، وشام من عارض نجيمهم نجمة » . وكان الذين حملوا ، وهزموا وقتلوا أقل من ألف . فقتلوا أضعافا مضاعفة ، وعلموا بمن وراءهم مساعدة ومساعدة .

وحكى من نوادر هذه الواقعة أن فرنجيا عقر فجئا للصرعة ، فعثر به راكب برذون<sup>(١)</sup> بغير رفيق ولا عون . فعرقب الفرنجى فسه بسيف في يده ، فنزل يجده مستنا في جلده . وقتل ذلك الفرنجى وروى من دمه الهندى ، وحل من وسطه ثمانين دينارا . فانقلب ربحا ماعده خسارا . وامتلات الأيلى بالأسلاب والأكساب ، وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب . ويبتع الزرديات — ذوات الأثمان — بالرجص ، وزادت أرباح أهل السوق بذلك النقص .

---

(١) برذون : التركى من الخيل ، لوداية الحمل الثقيلة .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من جمادى الآخرة ؛ ورد فى عصره نجات من حاب بعد خمسة أيام ، بكتاب يتضمن نجيح كل مرام . ويخبر بأن عسكرا مجرا من الكفار ؛ خرج للغارة على الأطراف والأقطار فخرج إليه العسكر وأخذ عليه الطريق ، وطلب ذلك الجمع فى المزيمة المضيق . فلم يصح لهم رشد فى منهاج ، ولم ينج منهم ناج . فعضد ذلك الخبر هذا العيان ، وقاموا بهوان الكفرة البرهان . وسرّ الخواص والعوام وخص وعم السرور ، وأنارت المطالع وطلع النور .

وشرع الفرنج فى الخداع ؛ والمراسلة فى أمر للجنايين<sup>(١)</sup> عام الانتضاع . وسألوا فى الصلح ، والخروج من ليل الحرب فى السلم إلى الصبح . وأذن لهم السلطان فى الخروج ، للنظر إلى أولئك الصرعى بتلك المروج . وهى قد تورمت وأنتنت وجافت ، وحميت للشمس على جيقها وحافت ، وضافتها القشاعم والخوامع<sup>(٢)</sup> وعليها أطافت . فساءهم ما سرنا ، ونفّرهم ما أقرّنا .

---

(١) فى ب الجنايين والتصحيح من ل .

(٢) الضباع .

ذكر ما تجدد للفرنج من الانتعاش بوصول الكندهرى (١)

بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط

اشفاقا من التضييق والإفراط

وما زال الله نج في وهن وضعف ؛ وتوزع بينهم وخلف ، حتى وصل في البحر كند يقال له هرى ، وهو عندهم عظيم القدر . فكمل بمن وصل معه نقصهم ، وأحيا بعد موت نفوسهم حرصهم . وأفاض عليهم الأموال ، وحلّى منهم بعد عطائها الأحوال . ورصع بالرجال مراكز من صرع ، وقرع السن ندامة على من قلع وقُرع ، وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع . فقد كان العزم بل الحزم أن نادرهم على ضعفهم ، قبل أن يمدهم البحر بضعفهم . فكان من تقدير الله تأخير ما وجب تقديمه ، والتواني فيما تعين تنميته .

ولما وصل هذا الكند وتمكن ، وقوى أهل الكفر بكل ما أمكن ، أظهر أنه يكبس عسكرنا ليلا على غرة ، وبدت منه أمارات كل شره وشره . وشاع هذا الخبر على ألسنة الجواسيس والمستأمنين ، فأحضر السلطان أمراءه وخواصه المؤمنين الميامين . واستشارهم فيما يقدمه من الصواب ، ويفتحه في المصالح الراجحة من الأبواب . فأشاروا بإسراع الخطة ، وإدارتها كالمنطقة . والتفتيس عن العدو بالتأخر عن قربه ، حتى يأنس (٢) إلى الخروج لحربه ، فوافقهم السلطان على هذا الرأي وحسن في قلبه ، فرحل يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة إلى منزله الأول بالخروبة ، واشتغل بالتدبير في القوز بالنصرة المطلوبة . ونزل العسكر على تلك المضاب وحوالى سفوحها . واحتوت كل جثة خيمة بمن حل فيها على روحها . ورتب اليزك في المنزلة الأولى كل ألف فارس بالنوبة في يومين ، وضويق بأهل الصديق منهم أهل المين (٣) .

(١) هو الكند هرى Hinricus .

(٢) في ب يؤنس والصحيح من ل .

(٣) المين : الكذب .

وتدبر الترتيب وترتب التدبير ، وعرف في اليك أوقات نوبته وأوبته الصغير والكبير . وأما عكاء فالكتب مترددة إليها ومنها مع السَّبَّاح ، والحمام إليها ومنها تحمل البطاقات على الجناح . والمراكب تلخل إليها وتخرج ، وإليها وعنها تعوج وتعرج . وأخبار ملك الألمان متواصلة ؛ بأن أنصاره له خاذلة ؛ وأنه ضعف ووهى . وأنه إلى أنطاكية انتهى . وأنه تعوق هناك ، وتوقع من مرامه الإدراك . وتوقف عن المسير ، واعتاض التعبير من التفسير . ووقع الفناء في جمعه ، وتعجل قمعه قبل أن يصل إلى محل قمعه . وأنه قد اشتغل بالإتفاق في رجال الامتجناد والاستجداد ، والاحتشاء والاحتشاد . وأن أصحابنا يأسرونهم ويتلفونهم ، ويتلفطونهم من الطرقات ويتخطفونهم . ووصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا ، ويجمع قطافا ونطافا وألطافا . ويذكر تمكينه من إقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة ، وأنه مستمر على المودة راغب في المحبة . ويعتذر عن عبور الألمانى ، وأنه قد فجع في طريقه بالأمانى . وأنه لاقى من الشدة ، ونقص العلة ؛ ووصل المشقة ؛ وقطع الشقة ؛ ما أضغفه وأوهاه ، وألمبه وألماه . وأنه لا يصل إلى بلادكم فينتفع بنفسه أو ينفع ، ويكون مصرعه هناك ولا يرجع . ويمت بما به كاده ، وأنه بلغ في أذاه اجتهداه . ويطلب رسولا ، يدرك به من السلطان سولا . فأجيب في ذلك إلى مراده ، ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده .



## ذكر حريق المنجنقات

وفي رجب من السنة أُنْفِقَ الكندهرى بعد وصوله ؛ ما وصل معه من المال فى الرجال ، فأعطى عشرة آلاف راجل فى يوم واحد ليجدوا معه فى القتال . وضايق مدينة عكاء أشد مضايقة ، وأخذ القومص والكنود بذلك موافقة . ونصب عليها كل منجنق ، من الرمى غير مقيق . رجومه للشهب بالشياطين ، ونجوم الحجارة تنقض من أرض الكفر إلى سماء الدين . فهى مجانيق مجانين ، وميادين ثعابين ، ومسارح سراحين . فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها ، واحتد على صُقعهم صقعها . وقالوا : « كيف نجد من مناصبها المناص ، وهل نلقى من شوم خصائلها الخلاص ؟ » .

فاجمعوا على الإقدام وأقدموا على الاجتماع ، وأخلوا بالارتياء فى ترك الارتياح . وخرجوا بالفارس والراجل ، وأموا بالحق أمة الباطل . وجاوزوا تلك المجانيق المنصوبة والستائر المضروبة إلى خيامهم ، وخلفوها من وراءهم واللقاء من قدامهم . فلما خلت المنجنقات ممن يحميها ، خرج الزراقون من البلد ورموا النار فيها ، فاحترق جميعها ، وغرق فى بحر النار صريعها .

وقتل فى ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا فى اللقاء ، وقطع الواصلون إليهم عليهم طريق البقاء . وأسر منهم خلق كثير ، من جملتهم أربعة من من المعروفين ، فبهم فارس كبير . فما أمهلوه حين أخذوه ، حتى قتلوه ونبلوه . فطلبه منهم الفرنج بالأموال ، ولم يعرفوا بالحال . فأخرجوه إليهم فتبلا ، فأكثر الفرنج عليه بعد التعويل عويلا . فباتوا يتدبونه نوحا ، ويذيعون سر تقدمه فيهم بوحا . فحملوا بعد ذلك الضرام ، ركلوا بعد هبوب ربيع المرام .

وضربت عليهم الذلة ، وشجتهم عقودهم المنحلة ، وعقولهم المعتلة . وطمع فيهم الناس ، وعرا طمعهم اليأس . وصارت الخنادق تهجم ؛ والستائر

تهتك وتضرم ؛ والخلود بالمصال تثلّم ؛ والخلود بالنصال تثلّم ؛ إلى  
ليلة شعبان من السنة ، فأبّت بالحالة الحسنة . فإن أصحابنا خرجوا على غرة ،  
ومضوا إلى القوم بإنكاء مضرة . وأحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبوا بعد كل  
استظهار ، وافق على أحدهما كندهرى ألفا وخمسمائة دينار . وكانت  
الليلة الأولى من شعبان مباركة ، ونعم الله لنا ونقم الله على العدو فيها متداركه .

## ذكر وصول بطسة بيروت في العشر الآخر من رجب

قد تواردت الشكوى من البلد أن الذخيرة قد فثت ، وأن الأفكار باستدعائها غثت ، وأن الأجسام لفقدان قوتها ضئبت . وأبطأ على السلطان وصول البطس المستدعاة من مصر بالغلات ، فرأى أن ذلك من تقصير الولاة . وأفكر فيما يجعل به قوة وقوتا ، ويجعل له أجلا موقوتا .

فكتب إلى والى بيروت - عز الدين أسامة - أن يهجر في كل ما به عز الدين السامة . ويعطى ويتزكى ، ويحتال في إنقاذ ميرة إلى عكا . فعمر بطسه كبيرة وأعددها ، وأجد من عزيمته الماضية فيها جدها . وتولاها بخلق سمح ، وملاها بأربعمائة غرارة قمح . ونقل إليها أنواع الطعام ، وأصناف الإدام ، وقطيعا من الأغنام .

وهذه بطسة من الفرنج مأخوذة ، وهى بساحل بيروت منبوذة . فأمر السلطان بترميمها وتتميمها ، وإخفاء البغية منها وتكثيرها . وأزيحت منها العلة ، ونقلت إليها الغلة . وملئت بالشحوم واللحم ، وبكل ما تدعو إليه الحاجة من المشروب والمطعم . وحمل فيها من أحمال النشاب والنفط ما جمع به فيها بين القوة والقوت ، ورتبت فيها رجال مسلمون ونصارى من أهل بيروت .

وأرادوا أن تشبهه ببطس العدو في البحر ، وألا ينكشف للفرنج ما لها من السر ، فتصوروا رهبانا ، وصوروا صلبانا . ومسحوا لحاهم ، ومسحوا حلاهم . وتملطوا (١) وتكوفوا (٢) ، وتشبهوا بهم في كل إزة لثلا يتخوفوا . وشدوا زنانير (٣) ، واستصحبوا خنازير . وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختطفين ، وإلى محادثهم ومجادبتهم منبسطين . والقوم لجهلهم ، لا يشكون أنهم من أهلهم : ونسوا الحادث وأنسوا بالحديث ، وتصور الطيب بصورة الخبيث .

(١) تملطوا : تملسوا أى أزالوا ما فهم من شر ذن .

(٢) تكوفوا : أى تجسروا واستداروا .

(٣) زنانير : جميع زناير وهو ما يشد على الوسط .

فلما حاذوا بها عكاء صوبوها نحوها ، والريح تسوقها . والفرنج تدعوهم  
من مراقبها وتقول ماهذه طريقها ، وهي كالسهم النافذ قد سدّد فوقها ، وقد  
عقت رفقته ؛ وهي تكاد تعوقها . فلنخلت الثغر ، وأدخلت إليه كل خير ،  
وعجب الناس منها ومما تم لها من حيلة في سير . واجتزأ البلد بها شهرا ،  
ووجد منها لكل كسر جبرا . فيألها من لطيفة قضينا منها الأرب ، ولم نقض  
منها العجب .

ذكر وصول بطس الغلة من مصر إلى عكاء

ظهر يوم الإثنين رابع عشر شعبان

كان السلطان قد كتب إلى النواب بالاسكندرية على وجه الاستظهار ، بأن يشرعوا في تجهيز البطس الكبار . ويملأوها بالغلات وأصناف الأقوات ، ويعمرها بالكماة الحماة الرماة . ويرسلوها عند موافقة الريح إلى الثغر ، فإن خلصت إليه ولو واحدة منها أغتته بعد الفقر . وتمادت الأيام على هذا الأمر ، واستبعد وصولها مع امتلاء البحر بمراكب الكفر . وكاد اليأس يغلب ، والرجاء يضطرب .

ووردت كتب أصحابنا بمكاء أنه لا يبقى لنا ليلة نصف شعبان قوت ، ولا شك أن كتاب أجلتنا إلى هذا الأمد . وقوت . فأشفقت النفوس ، واستشعر البوس . وألّت القلوب ، وألمّت الكروب . ولجأنا إلى الله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ولا ينحيب من رجاء ، ولا يضيع من استرعاه .

فلما كان ظهر يوم الاثنين رابع عشر شعبان ، ظهرت من أقصى اللجة ثلاث بطس كأنهن الأعلام ، واستبشر بظهورها الإسلام ، وقد زفت عرائس جواربها الحسان ، وخفت روائس سواربها الثقال ، وذكرت بقوله تعالى ( وهى تجرى بهم<sup>١</sup> في موج كالجبال (١) ) . والريح تطردها طرد النعام ، والماء يرسلها على رغم أهل النار الذين هم أقبل من الأنعام .

فما تراءت حتى استقبلتها مراكب القرنج وشوانبها ، وأحاطت بها مقاتلها من أقاصيها وأدانيها . وهى تشقّ عليها وتشقّها ، وتعوقها عنها وتعقّها ، حتى برّت منها لبرّ الإيمان الأيمان . وهزأت بتلك الأكمات

---

(١) الآية ٤٢ سورة هود .

المطيفة بها جبالها الرعان . (١) . وعبرت والكفر خزيان ينظر ، ونهضت  
بالعز والعدو في ذيل اللذ يعثر .

ووصلت الثلاث وهي سالمة ، والمثلثة راغمة ، والموحدة غائمة . وقد  
فرج الله بها غمة الثغر ، ودفع ما ألم به من الضر . وحمدنا الله على الموهبة  
التي أدركت الأرماق ، وأدرت الأرزاق . وتلافت الأرواح من التلف ،  
وحملت على النفوس المشفية مشاق الكلف .

---

(١) الرعان : جمع ومن وهو أنف الجبل أو الجبل الطويل .

## فصل من كتاب إلى سيف الإسلام في هذا المعنى

كان كتب إلينا أصحابنا بمكاء أننا حسبنا ؛ وإلى ليلة نصف شعبان لا يبقى لنا شيء نقتاته ؛ ويقاؤنا ببقاء القوت وفواتنا فواته . فيينا نحن في هذا المهمل مفكرون ؛ ومن هذا الملم (١) متنكرون ، إذ ظهرت للعيون بالقرّة ، وللقلوب بالقرار والمسرّة ، ثلاث بطس على ثيغ البحر مستقرة . يعيها لطف الله بعثا ، وتحشها الريح القوية حثا . كأنها جبال بإقبالها تروع ، وتسور أجنتها القلوع .

وشعر الفرنج بها فضاقت مذاهبها ، وبرزت مراكبها ، ودبت عقاربها . وقربت من البطس شوانبها ، وقويت في البطش أمانبها . وحشى ما فيها من فيها من الرجال ، ( وهى تجرى بهم في موج كالجبال ) . وكأن جواربها عرائس ؛ ففن بما لمن من الجهاز ، وكأن البحر المتموج ثوب بتلك الأعلام . المنشئات معلّم الطراز ، بل كأنها تجار (٢) تحمل الصلقات إلى ذوى الإعواز . فجاءت فجأة متسقة موسقة ، وأتى الآتى بها موافقة موفقة . فام يقدر على مقاربتها ومقارنتها شبنى شانىء ، وكانت كلامة الله وعصمته لما خيرا من كل كالىء .

وجازت والكفر خزيان ينظر ، وفازت بالعز والعلو بذيل الذل يمشر . وكان وصولها أوان انقضاخ الأزواد وانقادها ، فملأت المدينة بغلاتها وأزوادها ، وعصمت أرقامها ، ودعّمت (٣) أرقامها ، وقسمت أرزاقها ، وأشيعت جرعها ، وشعبت صلوعها ، وأنالت آرابها ، وأزالت إجلدائها ، وخصمتها بخصبها ، وصحت لها بسحبها .

---

(١) في ب لم والتصحيح من ل ومن أ (٢٥٨هـ) .

(٢) تجار : جمع تاجر .

(٣) في ب ديمث والتصحيح من ل ومن أ (٢٥٢هـ) .

فأفاقت من القاعة وأفرقت من الفرق (١) ، وسكنت بعد القلق ، وعاد  
إليها بعد الخسوف إسفار القلق .

والحمد لله المغيى بعد الإعدام ، الملقى السنى بعد الإطلام ، الملقى  
بأوليائه أعداء السلام .



## ذكر عيسى العوام

وما تم عليه في العشر الآخر من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام ، قد تردد بالكتب والنقبات ، إلى عكاء ومنها في ذلك العام . وكان ناصحا أمينا ، يحفظ الأسرار ضمينا ، يسبح ليلا في البحر ، ويعبر على مراكب أهل الكفر ، ويصل بما معه إلى الثغر . ولكم خاطر بنفسه فسلم ، واعتورته أسباب المتالف والآلام فما ألم . واتفق أنه عام ذات ليلة غير مكرث بما في طريقه من أخطار ، وعلى وسطه ثلاثة أكياس فيها ألفا دينار . ومعه من نفقات الأجناد ودائع ، ومحقرات بضائع . فعلم ولم يتسمع له خبر ، ولم يظهر له أثر . فظنت به الظنون ، وما تيقنت المنون .

وكانت له ولا شك عند الله منزلة ، فلم يرد أن تبقى حاله وهي بمجملته خاملة . فوجد في مينا عكاء ميتا قد رماه البحر إلى ساحلها ، وأذهب حق اليقين من الظنون بباطلها . وبرأه الله مما قالوا ، وأحال الذي عليه أحوالوا . فقد وجدت على وسطه تلك الأكياس ، وتعجب من حاله الناس . فلم يذهب بلذابه الذهب الذي صبحه ، وطهره الله من الرجس وعنه أذهب .

ذكر وصول ولد ملك الألمان الذى قام مقام أبيه إلى الفرنج بعكاء

ذكرنا حديث الألمانى وملم حادثه ، وما أداه إليه من دواعى كفه  
وبواعثه ، وكان مسيره من انطاكية يوم الأربعاء خامس عشرى رجب ،  
ولتى فى طريقه على اللاذقية الشجى (١) والشجن (٢) والشجب (٣). وأذن  
ضعف خيلهم ، بضعف ويلهم . ووجدت لهم ما بين اللاذقية وجبله ستون  
سبعون فرسا قد عطيت ، وعلى أعواد عظامها سود الغرايب خطبت .

وقد استقبله المركيس ، وقصده التأنيس . وأن يهديه بضلاله إلى الطريق  
الذى تؤمن طوارقها ، ويتسع عليه فيها مجال الأمن وإن سلكت مضايقتها .  
فوصل به إلى طرابلس فى العشر الأول من شعبان ، ووصل خبر وصولهم فى  
سادسه إلى السلطان . وحزروهم من شاهدهم فى الطريق بخمسة عشر ألفاً ،  
وسمعنا فى حزرهم بالقليل والكثير خلوفاً .

ثم انتقل فى البحر ، إلى عكاء فى موضع الحصر . ووصل آخر النهار  
سادس شهر رمضان ، بعد أن عاين فى البحر من اختلاف الهواء الهوان . فلم  
يبق له وقع ، ولم يحصل لخرق القوم به رقع . وأقام بين جنودهم ، كأحد  
كنودهم . وقال الفرنج : « لئنه لم يصل إلينا ، ولم يقدم علينا . فإنه لو أقام  
فى موضعه ، وأمدنا بقيضه من منبهه ، لهيبت عظمته ، وعظمت هيئته . وأرعب  
روعه ، وراع رعبه ، ورجى منا وخشى من المسلمين قربه . وقد قطع  
بنا منذ وصل ، وحصن لنا جناح نحاح حصب » .

ووصل فى البحر وحده ، ولم يستصحب جنده . ثم وصل إليه الأصحاب ،  
( وتقطعت بهم الأسباب (٤) ) . ثم رام أن يظهر لمجيئه وقعا ، ويبدى له  
تقعا ، ويشير لنقع غلة ناره تقعا . فقال : « لإلام القعود عن القوم ، وما بقى

(١) الشجى : ألم والحزن .

(٢) الشجن : ألم والحزن .

(٣) الشجب : الفت يصيب الإنسان من مرض أو قتال .

(٤) الآية ١٦٦ سورة البقرة .

إلا النهوض إليهم من اليوم ، ولابد من ضرب المصاف معهم ، وإلى على الخروج إليهم لأدفعهم . فقالوا له : « أنت ما أرثت و هيج قتالهم ، ولا أثرت نهج نصالهم ، ولا حرثت بحرهم ، ولا كربت بكرهم ، ولو حرثت بحرهم ، لأصحب جماحك بلحاح صحبهم . فأبى ونبا ، وشب الشبا .

فلما عرفوا جهله ، وأن صعب الأمر عنده ساوى سهله ، قالوا له : « نبتدىء بالخروج إلى اليزك ، فلعلنا نوقمهم عند الإحاطة بهم في الشرك . فذهبوا في راجل كرجل الدبى (١) ، ونخيل أغصت الوهاد والبا . ومرجوا في المرج ، وطووا تلك المندارج طى الدرج ، وأشعلوا الخرصان في ليل النقع عوض السرج . وقربوا من قل العياضية ، وعليه خم اليزكية ، والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصرية ، والعصبة الموصلية . فلما بصرت بهم ثارت إليهم ، ودارت عليهم . وأنهضت بنات الحنايا من خلودهم إلى الخلدور ، وأوردت ظماء الظبي منهم ماء التامور (٢) .

وأنبعت بالنبع من عيونهم العيون . واستخرجت بالضرب من أعناقهم الديون . وطيرت بإطارة السهام إلى الإحداق بهم الأحداق ، وخاطت الآماق وما أخطأت الأرقام . وصار كل سهم سهم شهم ، وخطر في عمل خاطر أسرع من وهم .

وركب السلطان من خيمته وتقدم إلى تل كيسان ، ووقف ينهض بعد الفرسان الفرسان ، فلم تزل وجوه البيض تحمر ، وثنايا السم تفر ، وذبول النقع تنجر ، وصفحات الجو تغبر ، وأرجاء رجاء النصر تخضر ، إلى أن جن الظلام ، وكف الكفر وسلم الإسلام .

وكانت الدائرة على الكفرة ، فأعرضت بالوجوه المتكفرة ، وأبنا بالأنوار المسفرة . ومروا الألمانى متألماً ، ومن ظلمة حاله متظلماً ، وبكلوم قلبه متقلباً

(١) الدبى : أسير الجراد أو النمل .

(٢) التامور : النقص وحيتها .

منكلما . وقد عاين ما عاناه من العناء ، وشق عليه ماشق مرائره من الشقاء ،  
وبلى مما بلى به من البلاء . وعلم ما جهله ، واستصعب ما استسهله (١) وذاق  
ما ضاق به ذرعه ، وكاد يتم في القتل رصعه لو تم صرعه ، لكنه تجرع من  
الفصص ما سهل عليه الموت جرعه . وتاب وما تاب ، وأبى الرجوع إلى  
اللقاء لما آب . وحيثذ جلوا في قتال البلد وحصاره ، واتباع ليل الجدد فيه  
بنهاره .

---

( ١ ) في ب استله والصحيح من ل ومن أ ( ٢٥٥ ى ) .

## ذكر برج الذبان

وعند ميناء عكاه في البحر برج يعرف ببرج الذُّبَّان ، وهو في حراسة المينا عظيم الشأن . وهو منفرد عن البلد ، محمي بالرجال والعدد . وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان ، في الثاني والعشرين من شعبان . يبطلس كبار جهازها ، ومراكب عظام وآلات أبرزوها . ومكر مكروه ، ودبر دبروه . وبغى غى بلغوا غاياته ، وريب رأى رفعوا راياته . وشرك ألهبوا شراره ، وأيد كيد أرهفوا غراره . وعنان عناد أطلقوه ، ولسان ضرام أذلقوه . ويد بطش بسطوها ، وعقلة معالقة أنشطوها .

وأحد تلك المراكب قد ركب برج على رأس صاريه ، لا يطاوله طود ولا يباريه . وقد حشى حشاه بالنفط والحطب ، وضيق عطنه لسعة العطب . حتى إذا قرب من برج الذبان والتصق بشرافاته ، أعدى إليه بأفاته . ورميت فيه النار فاحترق ، واحترق من السائر والأخشاب ما به التصق . واستولت (١) النار على مواقف المقاتلة فتباعدوا عنها ، ولم يقربوا منها . فسهل عليهم فيه التسلق ، ولم يصعب به التعلق .

وملأوا بطسة أخرى بأحطاب ، يسرى فيها النفط ويسرع بإلتهاب . حتى يوقدوها ، وعلى السفن التي لنا بالمينا يوردوها . فيعدى علوانها ، وتندى فيها نيرانها . وهم في مراكب من ورأها للحرب مستعملون ، وللشر مستملون . حتى إذا تم برجائهم في البرج والمينا مناهم ، نالوا من الاستيلاء والاستعلاء غناهم .

فلما قلدوا البطسة ذات البرج المعمور ، وصار الصاري ملاصق السور ، جاء الأمر بعكس ما قلدروه ، وأخفق ظنهم للادبار فيما دبروه . فإن الهواء كان شرقيا ، فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيا . بل اشتعل برج

---

(١) في ب تستولى وهذا تحريف لا يتفق والسياق .

الصبارى وتراجعت ناره إلى أهلها ، وعاملت ذوى الجهل يجهلها ، وأوقدت  
بطسة الخطب من ورائها ، وتطايبت إليها شعل إذكائها . وعادت على الفرنج  
فالتهبوا ، وحمل عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا . فانتقلت بهم السفينة  
فاحترقوا وغرقوا ، والتاجون منهم فارقوا وفرقوا (١) ولم يفرقوا .  
واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها عليه ذباب ، ولم يفتح للعلو  
فى الكيد له باب .

---

(١) فرقوا : قزعوا .

## فصل مشيع في المعنى من حصار برج الذبان مرة بعد أخرى من كتاب إلى سيف الإسلام باليمن

وأفكر الافرنج في أمرهم ، وأجالوا قذاح الرأى في مكر مكرهم ،  
« هذا البرج المعروف ببرج الذبان ، منفرد عن البلد بوسط البحر منقطع المكان ،  
فإذا أخذناه تسلطنا على مراكبهم التي في المينا ، وإذا لم نؤثر بمجيتنا تأثيرا  
فلائى سبب جينا » ومن حديث هذا البرج أنه يحيط بالبحر من جوانبه ،  
وهو قفل مينا الثغر على مراكبه . وقد رفعناه وأعليناه ، وبالعدد والرجال  
قويناه . وبالخرجة والرماة والزراقين والمنجنقية ملأناه ، وبكلاءة الله  
وعصمته إياه عصمناه وكلائاه . وقد حاموا حوله حولا ، فلم يجلوا على  
ذيل غرض منه قدرة ولا حولا .

فعملوا إلى أكبر بطسة وانخلوا فيها مصقلا - كأنه سلم ، وهو في  
مقدمها مركب مقدم . وقد جعلوها بحيث إذا قربت إلى البرج ركب رأس  
السلم على شراريقه ، فصعد الرجال إليه في تجاويقه : وتعبوا في ذلك أياما ،  
وأشبعوه توثيقا وإحكاما . وهو يرمى من الأصحاب ينظرونه  
وينتظرونه ويصرونه ، ويستنجلون الله عليه ويستنصرونه . والقوم  
قد أصبحوا بتلك البطسة زاحفين ، وعلى ذلك السلم بعددهم واقفين . حتى  
إذا التصق بالبرج التصقت به قوارير النفط ، وتوالت أمطار البلايا من  
البحر والخراب والحجارات والمنجنقيات على أولئك الرهط .

ووجدت النار بسطة في البطسة ولم يسلم السلم ، وناب القوم من فجيعتهم  
بها المصاب الذي ألم بهم وآلم . وقتل منهم من باشر القتال ، ونزل العذاب  
يمن حاول النزال . والحمد لله الذي آيات ظهور دينه متناصرة ، ودلائل  
نصر أوليائه متظاهرة .

ثم عمل الفرنج برجا عاليا في أكبر مركب ، وحشوه بالخطب .  
وعملوا على رأس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق ، ويتأتى له فيه الاحراق .

وقلّموه إلى برج الذبان ، وسلطوا على جوانبه جوانى النيران . وقصدهم بذلك  
إحراق ستائر البرج المنصور ، ورأوا أن فى ذلك هدم بنيانه المعمور . وحسبو  
أن الستائر إذا وقعت فيها النار ، تعلز على رجاله القرار ، وتعجل منهم  
للحدار القرار .

وكادت الستائر تشتعل ، والخواطر تشتغل . والحال تضطرب ، والبال  
يلتهب . والقلوب تضطرم والكروب تختلم . فأهب الله من مهب لطفه  
نكباء نكبت النار عن البرج المحروس ، وأكبت القرنج على الوجوه  
والرءوس . وتمس جدهم وتعكس قصدهم . وانقلبت الريح التى لهم  
عليهم ، وصويت مرامى العذاب إليهم .



## فصل فى المعنى

ولما وقم الله القوم ، قالوا لاطاقة لنا اليوم . وعادوا وقد غرموا ورغموا ، وأخلف ما عزموا وزعموا . واشتغلوا بملء بطس لهم شحوما وأخطايا ، وأدهانا وأخشابا . وأشعلوا فيها النار وألبوها ، وأرسلوها إلى مراكبتنا فى يوم ريح عاصف وصوبوها ، وأدنوها منها وقربوها . وكادت سفننا تحترق ، ومراكبتنا تفرق .

فأنزل الله الفرج وقت الشدة ، وآمن من المخافة المحتلثة المحتلثة . واتقلبت الريح عليهم وعادت مخالفة لهم بعد أن كانت موافقة ، وحالة تلك الحالة للعادة خارقة . فاحترقوا بنارهم ، وشرقوا (١) بعارهم . وجذبت بطس أولئك الكلاب بالكلاليب ، وتوالت ألطاف الله فى تلك النوب المتناسقة مطردة الأنابيب ، مستهلة الشآبيب .

---

(١) شرعوا : شرق الموضع بأمله ، امتلأ فضاء والمقصود أنهم ضاعوا نفساً بعارهم .

## ذكر الكبش وحرقه

بعد تعب العدو في احكامه وتسوية طريقه

واستأنف الفرنج عمل دبابه هائلة ، وآلة للغوائل غائلة . في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش ، وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين ؛ أقفال الأسوار المعلقة بها تفش . فكم سور إذا نطحته طحنته ، وكم معقل حصنه الدهر حصته وصحته .

وهذه الدبابة في هيئة الحربشت الكبير . وقد سقوها مع كبشها بأعمدة الحديد ، وكملوا لها أسباب الاحكام الشديد . ولبسوا رأسى الكبش بعد الحديد بالنحاس ، وكسوها حلرا عليها من النار سائر لباس الباس . فلم يبق للنار إليها سبيل ، ولا للعطب عليها دليل .

وشحنوها بكماة المصاع (١) ، وحماة القراع . ورماة الحلق ، وكساء الحلق . وغداة الحتف ، وجفاة الزحف ومجتأى الزحف (٢) ، ومُجْتَبِي السف . من كل سرحان لا ينظر إلا من جلد أرقم ، وكل شيطان لا يقتحم من الحرب إلا جهنم . وكل شجاع لا يعتقل إلا شجاعا ، ولا يرى لغير النجيع القاتى اقتناء ولا انتجاعا .

فلما استندفت (٣) لهم هذه الدبابة ، وماجت بالحديد بلحتها العبابة ، وأطافت بذلك الكبش تلك الثيوس النبابة (٤) وأمنوا عليها الحريق ، وأموا بها الطريق ، سوا بين يديها الأرض ، ومهلوا الطول منها والعرض . وصحبوها حتى سحبوها ، وقروا بها أعينا بل أنفسا وقربوها . فجاءت

---

(١) كاة المصاع : الشجمان للمقاتلون الصاريون بالسيف .

(٢) الزحف : الدروع الواسعة الطويلة .

(٣) استندت : الطائر قرب من الأرض . الأمر : استقام . تبها وأمكن وهذا هو المعنى

المقصود هنا .

(٤) النبابة : التى تصيح عند هياجها .

صورة يزجج مرآها ، وروضة يعجز مرعاها ، وآلة تروق هيبتها ، وعدة تروع هيبتها . وبلى البلد من دنوها بالبلاء الداني ، وتغاشت وتعاشت دونها نفس الرامي وعين الرائي .

وقال أصحابنا : و هذه ما في دفع خطرها حيلة ، ولا لبارق الظفر بها غيلة . فكيف العمل ، وفيم الأمل ؟ ومن للكيش العظيم وقطع رأسه ؟ ومن لبناء الحديد ونقض أسامه ؟ فإن كانت هذه الدبابة دابة الأرض فما هذا أوانها ، وما حان زمانها . ولقد قامت بها قيامة الحشر فقام برهانها . ونصبوا على صوبها مجانيق ، ورموا بالحجارات الثقيلة ذلك النيق . فأبعدت رجالها من حوالها ، وطردت المطرقين بين يديها . ثم رموها للحزم بحزم الحطب حتى طموا ما بين القرنين بجرزه<sup>(١)</sup> ، وقذفوها بالنار فترنم في أثنائها عجاج الذهب برجزه . ودخلت من باب الدبابة فاشتعلت نار ضلوعها وشرع من فيها في الخروج بعد دخولها وشروعها .

وجاء القرنج تلك الليلة فباتوا بالبتيات<sup>(٢)</sup> ، يطفئون بالخل والخمر تلك الشعل المستويات . فأطفأوا نار الظاهر ولم يعلموا ير الباطن ، ولم يحسوا بما تمكن من أضلاعها من الحرق الكوامن . وحين أحملدوا الجمر ، أحملدوا الأمر . ورجعوا ولم يزل الذهب يأكل مقوفها ، حتى ترك على ما غطى الخشب من الحديد وقوفها . وحيث خسفها المنجنيق ، فأنهد ذلك النيق ، وصوت<sup>(٣)</sup> ذلك الروض الأنيق ، ووهن ذلك التركيب الوثيق . ونفقت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابة ، وخرج من بالثر المحروس ، باشرى الوجوه طيبي النفوس . وقطعوا رأس الكيش ، واستخرجوا ما تحت الرماد من العدد بالنيش . وحمل كل من الحديد ما أطاق حمله ، واستطاب لثلج صدره وبرد يقينه حره واستخف ثقله .

وقلدر ما نهب من الحديد بمائة قنطار ، قفل في آلة لبست بهذا المقدار

---

(١) جرمة .

(٢) البتيات : جمع بتيه وهي البرميل الصغير .

(٣) صوت : جفف أيس .

وهو أعظم مقدار . وعاد أصحابنا على عدوهم ظاهرين ، ولحزب الكفر قاهرين . وكلهم ينشد وهو ينشئ وينشد جدًا وجدًا .

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكيش بدا

وقنط الكافر وكفر القانط ، وسخط الشيطان واستشاط الساخط . وعلم الفرنج حين جبطت أعمالهم ؛ وهبطت آمالهم ؛ أن الشقاء أدركهم ؛ والشقاق أهلكهم . وأن مدبرهم مدبر ، وأن ترتيبهم مدمر . وأن آلاهم غير نافعة ، وأن نهلاتهم غير نافعة .

والحمد لله ذى الطول العميم ، والفضل الجسيم . الذى نعيش عثار الثغر بعد أن تل للجبين قتلونا (١) قوله تعالى : ( وفديناه بذبح عظيم (٢) ) . وكان ذلك فى يوم الاثنين الثالث عشر رمضان واحترقت البطسة يوم الأربعاء خامس عشر .

وفى هذا اليوم وهو يوم الاثنين قلمت عساكر الشمال ، يقلمهم ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب ، وقد استصحب معه الأجناد وجلب . فجاء عشية وجدد بقاء والده عهده ، ثم عاد وعاد بكرة الثلاثاء يقلم جنده . ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر ، وقد استكثر معه واستظهر ، وعز الدين بن المقدم ذو القدر الأفخم ، والنجر (٣) الأكرم . وحسام الدين حسين باريك ، وجماعة من الأمراء من ذوى المكانة والبسالة والغناء . وقدم الملك الأمجد مجد الدين بهرا مشاهير فرخشاه بن شاهنشاه ابن أبوب صاحب بعلبك ، وقد استصحب غلمان الأكاديش وماليكه الترك .

وكان لذلك اليوم رونق ، وصفاء لم يشبه رونق (٤) . واتفق فى يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد ، فى الخلق العظيم ، جيحيين

( ١ ) فى ب فطينا وهذا خطأ لنرى إذ أن الفعل تلا يطلو .

( ٢ ) الآية ١٠٧ سورة الصافات .

( ٣ ) النجر : هنا بمعنى القصد .

( ٤ ) الرنق : الكدر .

يلتهبون بنار الجحيم . وتركهم أصحابنا حتى قربوا من السور ، وأقدم  
العدو لإقدام المشهور الجسور . فلما ازدحموا وكثروا ؛ واضطرموا واستعروا ؛  
غنت لهم الأوتار برنين القسي فطاشت لها السهام ، ودعت إليهم الأقدار  
بحنين الحنايا قلباها في لباتهم الحمام . وزارتهم من الزيارات الجروح ،  
وأخلت فيرائهم تبوخ (١) . ورضتهم المجانيق بالأحجار ، وأذنت عيون  
نجيمهم بالاتصجار . وخرج أصحابنا عليهم فشلوهم إلى الخيام ، وفلوهم  
بحد الإقدام . وأفضى الخرق بالعدو إلى الخرق ، وأخلقت بمحنة جدنا جدة  
أولئك الخلق .

---

(١) تبوخ : تسكن وتقتل وتعبد .

## ذكر حوادث تجلّدت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب أن صاحب أنطاكية أغار على غرة بشره وبشرته ، ووصل الجاسوس بخبره ، وبما البلاد مشرفة عليه من خطره . فرتب أصحابنا له كينا ، ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا . فقتلوا أكثر رجاله ، وأفلت وباله في وباله . وانتهاض من تلك النهضة ، وضعف من تلك العضة . وفي هذا التاريخ ألفت الريح إلى ساحل الزيب بطستين خرجتا من عكاء بجماعة من الرجال والصبيان والنساء للتغريب . وفيها امرأة محتشمة ، غنية محترمة . فأخذتا وأخذوا وأخذت ، وجد الفرنج في استنقاذها فما استقلت . وصرنا ما ساء العدو ، وآتانا الله من إحسانه المرجو .

وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحلنا إلى منزل يعرف بشفرعم ، وخص بهذا الرحيل النفع وعم . وكان سبب ذلك أنه كثر المستأمنون إلينا من الفرنج ، وأنجبوا أنهم في عزم الخروج إلى المجر . هائجين للثار ثائرين إلى الهيجاء ، مائجين في دأماء اللماء لحب اللقاء . وصح هذا الخبر وصدق ، ووضح الحق وتحقق . فأحضر السلطان الأمراء الأكرام ، ورجال الحقائق الضراغم ، الذين هم له أعوان صديق لساعات أيامه ، وذخائر نصر عند اعتزاهم . فاستشارهم واستشار كوامن سرائرهم ، واستنبط دفائن ضمايرهم . واستكشف منهم الصواب ، وتعرف من جانبهم الجواب .

فقالوا : الصواب أن يفسح لهم عن هذه المروج ، حتى يكون دخولهم إليها يوم الخروج . فنصيحهم في اليوم الآخر ، ولا يتعلم بهم إحداق العساكر . وإنما لا يقدرون على القصد دفعة واحدة ؛ إلا إذا كانت أيديهم متساعلة ، وآراؤهم متعاقلة . فإن انفردوا عن الرجل وساقوا ؛ كسرناهم وأسراهم . وإن توقفوا للرجل ، قصلناهم حيث نزلوا ولقيناهم وصددناهم .

وأجمعتا على أن نرحل إلى شفرعم ونحيم على هضابه ، ونبطل على العدو ما كان من الليات في حسابه . فخيّمنا هناك على أحسن تعبئة ، وسنينا أسباب اللقاء أتم تسنية . ورحبت المنازل ، وعذبت المناهل ، وعادت

معالم تلك المجهل . وحللتنا التلاع والآكام ، وركزنا بظلك الأعلام الأعلام .  
ونزلنا لمقام الشتاء مستعدين ، ولأسباب التوق من الأمطار مستجلدين .  
وأضحيتنا على تلك الأطواد موطنين ، وعند تلك الأوتاد موتدين .  
وتسمنت تلك الفروع وفرعت تلك الأسنمة ، وتمكنت تلك البنى وبنيت  
تلك الأمكنة . وتحركت تلك الجبال بسكانها ، وأحبت الرجال التوطن بها  
وسلت عن أوطانها . ودارت الأسواق ، ودرت الأرزاق ، وأنارت الآفاق .  
وصهلت الصلادم على معالفها ، وصقلت اللهازم لمراعفها . ونوب اليذك  
بحالها تلور وتروود ، وتعيد رسم الحفظ والحماية وتعود . والحرب تتناوب ،  
والزحف يتعاقب . والأقران تتواقع والوقائع تتقارن ، والأعوان تتعاضد  
والأعضاء تتعاون . والعناق بصهيلها لحب الطراد تمحجم ، والرفاق  
بصليلها لشوق الجماحم تجمجم .

والمقربات للإجراء صوافن ، والضوامر للشد ضوامن . ومنى المناصل  
صلة القطع ، ورجاء الرجال نبع النصر في قرع النبع بالنبع . والتوحيد  
للتثليث منازل ، والايمان للكفر مقاتل . ولا كلام إلا للكلام ، ولا سلام  
إلا بالسلام . فلا يسمع إلا : « أسرج وألجم ، وتقدم وأقدم ، وأضم  
وصتم ، وأضر وأضرم . ولاتله حتى تلهب ، ولا نعب حتى تعب .  
واقطع وصل ، واكل بصاع المصاع وكل ، ولا تعلق والقي وقلقل » .  
ولكل داع إجابة ، ولكل ساع إصابة . ولكل سهم في المرمى فوق ، ولكل  
شهم في المرام سوق . ولكل صعدة في الطعان صدعة ، ولكل قعدة للرماة  
قعدة (١) .

ولكل عقدة بالضرب حل ، ولكل علة في الحرب فل . ولكل غضب (٢)  
غض ، ولكل ذى حظ حض . ومن له نصيب في الشجاعة نصب في  
التشجيع ، ومن له جرأة الميجاء حاج إلى الصرينخ ببلحسد السريع . والايام  
منا على هذه الحالة مندرجة ، ومياه الحديد بامواه الوريد ممترجة ، والفرج  
منتظر والنواظر متفرجة ، وتباشير صباح الصفايح في دياجير القتام متبلجة .  
ولله نعمة في كل بلية ، وصر في كل قضية .

---

(١) قعدة : اتماه ، قمع الأمر أمشاء .

(٢) سيف قاطع .

## ذكر وفاة زين الدين صاحب اربل

في ليلة الثلاثاء ثامن عشرى شهر رمضان وماجرى بعده من الحال

قد جرى ذكر هذا الأمير ، وما يتحلى به من الكرم والخير . وهو (يوسف نياتكين بن علي كوجك) . ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم لإلأدرك . وما كان أسره يوم الحضور ، وأحضره يوم وفاته بالسرور . فلقد كان جاراً للكتائب ، باراً بالأبعد والأقارب . ساراً بإسداء المواهب ، داراً بأخلاف الرغائب ، ماراً في سبل المناقب ، قاراً على قلق النوايب .

وكان في ريعانه الرائع ، وشعاعه الشائع . وشبابه الطرى طيرير الشبا ، وحبه لعقد السؤدد معقود الحبا . فمرضت الأيام بمرضه أياما ، وتلهبت القلوب منا للتلهف عليه وقد أمست امراضاً (١) ضراراً . وعُدته بطبيب السلطان فلم يأنس به ، ولم يسكن إلى طبه . لما كان يعلم من منافسة أخيه مظفر الدين في موضعه ، وأنه يتعش بمصرعه . فاكفى بصاحب له يطبه ، يوافقه على ما يحبه . وهو جاهل بمزاجه ، ذاهل عن علاجه . فشب الحمام في حمى شبابه ناره ، وأدوى غصنه غداة قلنا ما أزهى أزهاره ، وما أنضر نضاره !

ونقله الله من جناب الحياة إلى حياة الجنان ، وعجل به ليجازيه لإحسانه بالإحسان . وحوله من بين الأتراب إلى التراب ، ومن دار الاغترار والاعتراب إلى موطن الثواء (٢) بالثواب ، وأذن الزمان بعد الإجداء بالإجذاب . ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه ، وما ظهر عليه الغم حتى قيل إنه سره موته ووافقه .

وقصدناه معزين على ظن أنه جلس للزماء ، فإذا هو في مثل يوم المناء . وهو في خيمة ضربه في غيم أخيه ، واحتاط على جميع ما يحويه . ووكل بالأمراء أصحاب القلاع ليسلموها ، وخشى أن يعصوا فيها إذا رجعوا إليها

(١) المراض : مكان سلب في أسفل الوادي ، يسلك الماء .

(٢) الثواء : الإقامة .



ويحموها . وخدم بخمسين ألف دينار حتى أخذ لإربل وبلادها ، ونزل عن حران والرها وسميساط والبلاد التي معه وأعادها . وزاده السلطان شهرزور وأحكم بمسيره الأسباب والأموار . فاستمهل إلى حين وصول الملك المظفر تقي الدين لينزل في منزلته بمجده وصحبه الميامين . فوصل يوم الأحد ثالث شوال ، فحلى بعد العطل الأحوال .

وكان قد انفصل صاحب الجزيرة - معز الدين سنجر شاه - وذهب مغاضباً وكان السلطان له في الانفصال عاتباً . فأعاده تقي الدين من الطريق ، وقبح له ما استحسنه في ترك الموافقة من علم التوفيق . وكان هذا سنجر شاه يدخل يوم العيد بكرة للهناء ، فاستأذنه في الإنكفاء . فخرج على حالته وسار وتبعه أصحابه ، ولج جماعه وتعذر لإصحابه . فلما اجتمع به تقي الدين رده ، وبذل في صيانة منزلته عند السلطان جهده . وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام . وجد في الاستئذان في الرحيل منه الاهتمام ، وصدق الاعتزام . وتقرر ملاله ، وتكرر سؤاله . فكتب إليه السلطان .

من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفاد

فلما قرأ هذا البيت ما راوح في الخطاب ولا غادى .

وغلّت الأسعار عند الفرنج واستعرت الغلل ، وأعلمهم ما عراهم وعزهم العلل . وباعوا بالبواب ، وبلوا من البلاء ، وغلوا من الغلاء ، وتصوروا من الضراء ، وشق مرائرهم استمرار الشقاء . وعمت المجاعة الجماعة ، وعلموا الطاعة والاستطاعة . وزاد جوعهم ، وزال هجوعهم ، وقصرت عن القرار بوعهم ، وأعلنت ربوعهم ، واستحال رتوعهم . وبشتم الرهب على الحرب ، والتمحط على الشحط (١) . لكنهم أقاموا على الموت ، واستناموا إلى الفتوت . وبلوا بأمور صعبة ، وهرب إلينا منهم عصابة بعد عصابة . وقد بادوا من الضعف البادى ، وأعداهم الضر العادى . فمن سألتاه عن مقتضى قراره ، ومقتضى قراره ، يخبر أنه طواه الطوى ، فتوى النوى حين التوى ،

(١) الاضطراب ، وشط للكان : بعد .

من حنر التوى (١) . وقد أنساه المحل النحل (٢) ، وأبغض إليه حب السلامة الولد والأهل .

وكانت الفرارة من الغلة قد بلغت أكثر من مائة دينار ، والسعر من الزيادة لديهم في استعار . فما جاء إلا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال ، ولامسكة لاعتلاق رمة من الاعتلال . فقبلناهم وأنفقنا فيهم ، وألقناهم بما يكف ضررهم ويكفيهم . فتقوتوا وتقووا ، وأثروا بعد ما أفقوا . فمنهم من أسلم وخلع ، ومنهم من ند وتندم . ومنهم من غدا بجزيرة وعاد ، ومنهم من ناصح فاستاد .

---

(١) التوى : الضياع والهلاك .

(٢) المحل : الموضع الشديد والجلب . والنحل : التلألؤ والداوة والحقد .

## ذكر نوبة رأس الماء وخروجهم بعزم اللقاء

ولما ضاق بالقوم ذرعهم ؛ وأشرقهم جرعهم (١) ؛ وعرقهم قرعهم ؛ وأخلفهم خلف عيشهم ، وضرهم ضرعهم ؛ وعيل صبرهم ، وعال ضرهم قالوا : « نخرج ونبلى ، ونصل ونصل . وتقصد ونصلق ؛ ونلقى ونلقى ؛ ونفل ونلقى . ونعز ونعزم ، ونهز ونهزم . ونجری ونجتری ، ونبری ونبتری ونزحف ونحفز ، ونزعج ونعجز . ونجهد ونجهل ، ونحى ونحمل ، ونقطع ونوصل . ونثور ونثير ، ونلور ونلير . وننصف وننصف ، ونعفر ونعرف (٢) . ونقرع ونحرق ، ونعقر ونعرق . ونخرج ونحرج ، ونلج ونلجج . ونضرى ونضرب ، ونغلى ونغلب . ونجن ونجنى ، ونثيف ونثفى . ونرد ونردى ، ونجد ونجدى . ونقد ونقدم ، ونعلو ونعدم . ونصد ونصدع ، ونقد ونقدع (٣) ، ونجد ونجدع ، ونصر ونصرع ونسل ونسلب ، وذوع ونرعب . ونبلو ونبيد . ونصدى ونصيد . ونظهر ونظفر ، ونرقق ونقهر ، ونقسو ونقسر ، ونسكر ونكسر .

فخرجوا في عدد خارج عن العد ؛ واستقاموا مع الاعوجاج على جلد البلد ؛ وذلك يوم الاثنين حادى عشر شوال ، بعد أن رتبوا على البلد من لازم القتال . وأخلوا معهم عقيق أربعة أيام وزادها ، واستصبحوا أنجاب الكربة وأنجادها . وكان البرك على تل المياضة فركبوا ، وأشعلوا القوم بنيران النصال وألهبوا . فنزل العدو تلك الليلة على آبار كنا حفرناها عند نزولنا هناك ، والحمية الحامية المنبثة على تلك البعوث ما تركت الأتراك . فباتوا حول القوم يرمون ويلمون ، ويشوون ويصمون .

(١) جرة : شربة ، والمقصود ما تجرعوه من نكال وشدائد حرب.

(٢) أرصف : أعجل ، والرصف سرعة الطعن والمقصود أنهم يجعلون ويمرعون في الطعن وإسالة السماء .

(٣) قذع : قذع الفضل ، أى ضرب أفقه بالرسح والمقصود أننا نشق بسيوفنا ونظمن يرماحتنا .

ولما اتصل خبرهم بالسلطان رحل الثقل إلى ناحية القيمون ، وثبت الله القلوب على الأمن والسكون . وبقي الناس على خيلهم جرائد ، وقد استعذبوا من مر الكريهة الموارد . وركب العدو يوم الثلاثاء سائراً ، وقد عب عبابه زائراً ، وهب غابه زائراً . وطما بحره مأتماً ، وسما جمره مارجاً .

وعساكرنا في أحسن تعية ، ولدعاء القراع في أوحى تلية . وقد امتزجت زجرات الجاوش ! بنعرات الجيوش . والميمنة إلى الجبل ممتدة ، والميسرة إلى النهر بقرب البحر وصفوفها مشتدة مستدة . والسلطان في القلب كالقمر في الهالة ، عليه إكليل من أنوار الجلالة .

فسارحتي وقف على تل عند الخروبة ، على المهابة الحالية والحالة المحبوبة . ومقدمو ميمنة عظماء دولته ، صاحب دمشق ولده المبجل الملك الأفضل وصاحب حلب الملك الظاهر ، وصاحب بصرى ولده الملك الظاهر ، وأخوه الملك العادل في آخرها ، والأمراء بعساكرها . يلي حسام الدين بن لاجين ، قايمآز التجمي صارم الدين ، والآخر بشارة صاحب بانياس ، وهو الذي لا يرجو منازلته إلا من فيه بان الياس . ثم بدر الدين دلدوم الياروق صاحب تل باشر ، وقد طالما بشر الإسلام بما باشر . وعدة كثيرة من الأمراء بطول ذكرها ، على أنه يطيب نشرها .

وعظماء الميسرة ومقدموها ، وأمراؤها ومقدموها ، والملك عماد الدين صاحب سنجار — وهو العادل للإسلام وعلى الكفر جار . وابن أخيه معز الدين سنجرشاه صاحب الجزيرة ، والملك المظفر تقي الدين ذو السطوة المييدة الميرة . وسيف الدين على المشطوب — الذي تشب بناره الحروب ، وتصب على العدا منه الكروب . والمكارية ، والمهرانية ، والحميدية ، والزرزارية . وأمراء القبائل من الأكراد ؛ أقتال (!) القتال وأجادل (٢) الجلالاد .

---

(١) أقتال : جمع قتل بكسر القاف ، شجاع مقاتل ، قرن ، نظر .

(٢) أجادل : جمع أجدل وهو الصقر .

ورجال الحلقة المنصورة (١) واقفون في القلب لابسى الخلق السرد (٢) خائضى بحر الحرب . من كل فارس فراس ، وهرماس رماس (٣) . وضيقم ضاغم ، وضرغام غارم . وليث قضقاض (٤) ، ملوث بفضفاض (٥) وقسور قاسر ، وهزبر زابر (٦) . وأسد فى غاب الأسل ، وقارع فى القراع باب الأجل . وقارثعالب الخرصان ، وذباب الظبا من دم الأقران ، وقار على الثبات على قلق ثبات الشجعان . وقارى ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ) (٧) ثقة بوعد القرآن ، وقارن حج النجج بعمرة عمره وبذله فى الجهاد ، للتمتع بعمر الجنان . وسابق إلى حلبة الشهادة ، وسامق على ذروة السعادة . وملابس للروع مباسل ، وعاسل كالذئب إلى ذب العدا عن الهدى بعاسل .

وسار الفرنج شرق النهر لنا مواجهين ، وللكرية غير كارهين . حتى وصلوا إلى رأس النهر ، وأشفقوا من باس القهر ، فانقلبوا إلى غريبه ونزلوا على التل بينه وبين البحر . والخالشية الرماة منا حولهم جائلة ، وعيون أعيانهم على نصالنا سائلة . وجرح فى ذلك اليوم وهو الثلاثاء خلق من أهل التثليث ، وما بنا عن كثير منهم ناب النائب الكريث . والسلطان فى خيمة لطيفة بحيث يشاهد ، والله منه الجاهد المجاهد .

وأصبح الفرنج يوم الأربعاء راكبين ، وعن سبيل اللقاء ناكبين . ووقفوا على صهوات الخيل إلى ضحوة النهار ، والراجل مطيف محلق بهم كالأسوار . وأصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخاطبونهم ، وأرادوا

(١) أمراء الحلقة المنصورة : لى أمراء السلطان وغواصه .

(٢) السرد : نسيج الدرع ، الدرع والخلق . ويقال نجوم سرد أى متتابعة بانتظام .

(٣) هرماس : هرمس وجهه : عيس . رماس : الرمس : القبر . دفن ، ورمسه بالحجر :

رماء به .

(٤) الققضاض : الأسد وقض الوقت : قله .

(٥) فضفاض : واسع .

(٦) الهزبر : الأسد . زابر : رام بالحجارة .

(٧) الآية ١١١ سورة التوبة .

ببساطونهم . والسلاطون بمد الرماة بالرماة ، والكماة بالكماة . وهم ثابتون ثابتون ، ساكنون ساكنون . ونحن نقول « لعلهم يحملون ، ويفضبون فيجهلون ، فتمكن من تفصيل جملتهم بجملتهم ، وتفرق جماعتهم ، وتفرج الغمة بنزع جمتهم (١) » .

وأحسن العدو بالضعف ، وأنه متورط في الختف . فسار مولياً ، ولعذره لذعره مبلياً . ومضى على مضض ، ومر بأشد مرض . والنهر عن يمينه والبحر عن يساره ، وقد أيقن إن صبح منه الثبات بانكساره . وعسكرنا يصافحهم بالصفاح ، ويكفهم بالكفاح . ويشعلهم بحمرات السهام ، ويلهبهم بجملات الضرام . ويحرقهم ويشويهم ، ويصميمهم ويشويهم . ويفيض على غدران السوابغ منهم جداول القواضب ، ويخيض في دأماء الدماء منهم سوابغ السلاهب . ويفيض في ماء الوريد منهم ماء القرنند ، ويفيض بنى الكفر في الجمع بين الأختين عليهم ابنتى الغملوا الزند .

وأدبروا مولين ، وأرخصوا من مهجهم ما كانوا له مغلين . وعسكرنا يتبعهم ، ويلحق بهم ويقلمهم . وهم يجتمعون في مسيرهم ، محتمون في تقديمهم وتأخيرهم . يتحركون في سكون ، ويتظاهرون في كمن ، ويتطلعون في غروب (٢) ويتفللون بغروب (٣) . ويتلبون في جمود ، ويتلهبون في خمود . وكلما صرع منهم قتيل حملوه وسروه ، وطموا مدفنه وطمروه . حتى يمتحن أمرهم ، ولا يصح لدينا كسرهم .

ونزلوا ليلة الخميس على جسر دعوق ، وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا إليهم ويعوق . وأبلى المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسناً . وأتوا كل ما كان فيه مستطاعاً ممكنأ . وقام ( إناز الطويل ) في ذلك اليوم مقاماً أقعد فيه من الكفرة كل قائم ، وأنبه به من العزائم كل نائم . وكان مقداما هماماً ، وأسدأ ضرغاماً . يطير وحله إلى الروح إذا أبدى له ناجذيه ، ويحيب المستصرخ ولا يسأله عما يدعوه إليه . وهو في كل يوم يصبح في

(١) الجملة : معظم الشيء والكثير منه ، مجتمع شر الرأس .

(٢ و ٣) الأول بمعنى أقول واختفاء والثانية بمعنى ابتعاد .

سلاحه شاكياً ، وبنار عزمه ذاكياً ، ويقف بين الصفين ، ويدعو إلى المبارزة والحين . فما يبرز إليه إلا من يصرع ، ولا يصل إليه إلا من يقطع .  
فعرفه الفرنج ونحاموه ، فما راموه بعد ذلك ولا راموه . وبذل هذا اليوم جهده ، وقل في قل حدهم حله . وأصابته جراحات ، وأصابتهم اجترحات .

وكذلك سيف الدين يازكوج (١) أبلى في الجهاد ذلك اليوم ، ووقم بنصاله ونضاله القوم . وخرج وبه جرح ، وفي قلب العدو وعينه من مهابة انتقامه وإصابة سهامه قح . وأصبحوا بكرة الخميس ، وقد بكر الخميس ، وحمل الوطيس ، وسار في أسدله اليس . فأشرفنا عليهم وإذا هم داخلون إلى مخيمهم ، سائرون إلى مخيمهم . فعاد السلطان إلى سرادقه ، حامداً خلائق خلائقه ، مسفراً في ليل العجاج فلق فيالقه . واستعاد الأتقال إلى معسكره ، واستزاد من الله له الإقبال في مورده ومصلره . وفخر بتفرده عن ملوك الأرض بعبود ملائكة السماء وتفرده بمفخرة . وكان مع الفرنج الخارجين المراكيس والكندهرى ، وأقام ملك الألمان على عكاه يبرى ويفرى.

---

(١) سيف الدين يازكوج : أو يازكج الأسدى ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين ، ولده أمر قلعة حلب سنة ٥٧٩ هـ وتدير أمر ولده الظاهر بها (التجوم الزاهرة ج ٦ : ٣) .

## فصل من كتاب في المعنى

خرج الفرنج يوم الاثنين حادى عشر الشهر ؛ واقفين من ملوكهم  
الحاضرين بالظهور وقوة الظهر . وفى مرج عكاه ؛ عين غزيرة الماء .  
يجرى منها نهر كبير إلى البحر ، فخرجوا إلى شرق النهر . وياتوا بالقرب  
من مخيمهم على البلد ، وقد تخلف لحفظ حصره ألوف من أهل الجلد .

ثم أصبحوا يوم الثلاثاء والنهر عن يمينهم ، والأسد سائرة بالأسل في  
عرينهم ، والحمية مشتتة في عيونهم وعرائينهم . ونزلوا رأس العين (١) ،  
وتطرق بها إليهم من عساكرنا المنصورة طارق الحين . ولما أصبحوا وجئوها  
بهم بحدة ، وبيران النصال والمناصل لهم محرفة . وكنا نقول إنهم يتحركون  
للمصاف والأمر بالخلاف ، وإنهم لسهام المنون من الأهداف ، وما دلفت  
بهم إلا الجالشية تجول وتصول ، وتصيب وتصوب ، وتطيل وتطول :  
وكانت الأطلاب واقفة تنتظر حملاتها ، وتستعد لوثباتها وثباتها .  
فلما أبصر الفرنج ما حل بهم من العذاب ؛ عدوا الغنمية في الإياب ،  
وشروا في طريق الذهاب . فعادوا من غربى النهر راجعين ، وساروا صوب  
خيامهم مسارعين . وأصحابنا وراءهم يرمونهم ، ويشوونهم ويصمونهم .  
وقتل منهم خلق ، وسرى في حجب حياتهم خرق . ونزلوا تلك الليلة على  
الجسر وقطعوه ، وياتوا خائفين هائين ، ورحلوا سحراً خاستين خائين .  
وخيلهم الناجية مجرحة ، وقلوبهم الراجفة مقرحة ، وأشلائهم من كسوة  
الحياة عارية وبالعراء مطرحة . وعرفوا أن حركتهم للهلكة ، وإن هلكتهم  
في الحركة . وأقاموا على الضر والزاد معلوم ، والبلاء لكل منهم منفرد  
وعليهم مقسوم . ولا طعم لهم إلا من لحوم الخيل ، وهم يدعون بالثيود

---

(١) رأس العين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران وتصيبين وديس  
تبعد عن نصيبين ١٥ فرساً وعن حران نحو ذلك وعن ديس عشرة فراسخ ( ياقوت ج ٩ : ١٣٠  
ط . ب ) .



والويل . ومع كثرتهم قتلوا عناءاً ، وضلوا رجاءً ، وذلوا بلاءً ، واعتلوا  
جذباً وغلماً .

ولما عاد الفرنج إلى خيامهم ؛ لحافقين من مراميههم ؛ مخفقين من مرامهم ،  
وأبصر المقيمون بها أصحابنا وراعمهم ؛ يطلبون لإرداءهم ؛ متعطشين إلى  
دمائهم ، يرومون لإرواءهم ؛ وثبوا على جيادهم ، وثاروا لمراد مرادهم ،  
ولاقوا أجمعنا بأجمعهم ، وفاضوا لفيضنا من منبعهم .

فلندفع الأصحاب حتى تبرزوا ، ثم ردّوا عليهم الكرة فأنحنوا  
وأجهزوا . وقتل في تلك المعركة كند كبير ، وشيطان لنار شره من سعيه  
مستعير . وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته فأعطوها ، والتمسوا هامته فلم  
يجدوها . وكان رجلاً يعد برجال ، وسلبه قوم بأموال . ولولا ما اتفق من  
التيات مزاج السلطان ، ما سلم من سلم حزب الشيطان . ولله في كل قضية سر ،  
وفي كل بلية بر .

## ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقاً في آرائه ، مشرقاً بالألاء والآله ، ومن آرائه الراجحة ، ومسامحه الناجحة ، ومتاجره الراجحة ؛ أنه رأى أن يرتب على العدو كميناً ، وعلم أن الله يكون ينحجه ضمينا . فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال متخفي رجاله ، ومتخفي أبطاله ، وخواص أترাকে ، وعوام فتاكه . فانتخب منهم كل من عرفت سابقته ، وسبقت معرفته ، وأحدثت في الجلاد جلادته ، وفي لقاء العدا عادته ، وعلمت في الفتك جهالته .

وأمرهم بأن يكمنوا على ساحل البحر بقرب المنزل العادلية القديمة ، فمضوا وكنوا ليلة السبت متنبهي الهمة متيقظي العزيمة . وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح ، منادية بحى على الفلاح .

ودنوا من خنق القوم ، ونادوا لاقعود بعد اليوم . ومطروهم سهاما ، وأسعروهم (١) ضراما . فطمع الفرنج فيهم ، وظنت أنها تلاقهم . وخالنهم صيدا قد سنح (٢) ، وسرباً قد مرح . فقطعت خنادقها ، وبنت علائقها ، وحثت سوابقها . وأخاضت بحر الحرب سوابجها ، وقد أفاضت سوابقها ، وشامت (٣) صفائحها . وتجردت عن رجالتها ، وتفردت بضلاتها ، وحملت بجهاالتها ، وأقبلت يادلالها لا بدلالتها .

وتطارد أصحابنا أمامها ، وانهزموا قدامها . حتى وقفوها على الكمين ، وأوقعوها في الملك المين . فخرج الكمين عليها ، وتبادر إليها . فلم يستطع فارس منها فراراً ، ولم يطق من غرته أن يمضى غراراً . وكانت في مائتي قنطاري ، من كل مقدم باروني وبطل داوى واسبتارى . فقتل معظمهم ،

---

(١) في ب أسعروهم ، والتصحيح من ل .

(٢) في ب سح والتصحيح من ل ومن أ (٢٧٠ى) .

(٣) شامت صفائحها : أى استلت سيوفها .

ووقع في الأمر خازن الملك ، وعدة من الإفرنسية ومقدمهم . وملكوها  
وسلبوا . وملك سلبهم ، وتقطع بهم سبيهم ، وما وصلهم أربهم .

وجاء الخبر إلينا ، فركب السلطان وركبنا . وسار ووقف على تل  
كيسان ، فشهد من الله هناك الإحسان . وجاءه مماليكه يقودون أولئك  
الأعزة بنزائم الذل ، ويمجدون بما استخلصوه من ذلك القل . ويقدمون المقدمين  
من سراة الأسارى ، وتلونا لما شاهدناهم ، ( وترى الناس سكارى وما هم  
بسكارى ) (١) فقد رضتهم اللثوث ، وقضضتهم الليوث ، وبعثتهم إلى  
مصارعهم الظاهرة من مكان الآجال البعوث .

وترك السلطان الأسلاب والخيول لآخليا . وكانت بأموال عظيمة ،  
فما أعارها نظرة ولا تردد أمره فيها . وفيها حصن كأنها حصون ، وزرد  
موضون (٢) ، وخوذ منها ملهه ومدهون ، وسيوف ذكور تتولد منها  
المنون . وملابس رائقات تحار فيها العيون .

وأبنا بالملوك مصفدينا ، وحمدنا الله الذى يرشاده هدينا . وجلس  
السلطان في خيمته على حمت ملكه ، وقد انتظم له عقد النصر في ملكه . فمن  
كان عنده أسيراً أحضره ، فأنعم عليه وشكره .

وكننت عند السلطان جالسا ، ولخير الخبور لابساً ؛ وقد جمع عنده (٣)  
أولئك الأسراء ، وما أسعد الله إلا في تلك الساعة أولئك الأشقياء . ( ودامت  
محاورته (٤) لهم مشافهة ) (٥) ، وأطعمهم بعد ما أنسهم (٦) فأكهة .  
ثم بسطهم ببسط الخوان وأشبعهم وأرواهم ، ثم أحضر لهم كسوة وكساهم .

---

( ١ ) الآية ٢ سورة الحج .

( ٢ ) موضون : متقارب التسيج ، منسوج بمحمر .

( ٣ ) ساقطة في ب مثبتة في ل وفي أ ( ٢٧١ ى ) .

( ٤ ) ساقطة في أ ( ٢٧١ ى ) .

( ٥ ) العبارة في أ ( ٢٧١ ى ) دانت لهم مشافهة .

( ٦ ) في ب آنسوا والصحيح من ل ومن أ ( ٢٧١ ى ) .

وألبس المقدم (١) الكبير فروته الخاصة ؛ فقد كان الزمان قد برد ، وفصل الشتاء قد ورد . وأذن لهم في أن يسيروا غلمانهم لإحضار ما يريدون إحضاره وإعلام من يوثرون (٢) أن تعرف معارفه أخباره . ثم نقلهم إلى دمشق للاعتقال ، وحفظهم بالقيود الثقالة .

---

( ١ ) المذكور في ب ول . وفي أ ( ٢٧١ ي ) مقدمهم .

( ٢ ) في أ ( ٢٧١ ن ) يوثرون .

## فصل من كتاب بشرح الحال ووصف المقام مع الاعتلال

ولما كانت ليلة السبت ثالث عشرى شوال ؛ كانت نوبة اليزك لأخيئنا الملك العادل ؛ فأشار بانفاذ عدة إليه تكون فى الكمين ، وتقيم فى الكمين إقامة خادرات الأسود فى العرين . فأقذفنا إليه من ممالئنا سرية سرية سرت سرا واستسرت وسرت ، وقرت فى مكمنها إلى أن طابت الأنفس بصنعها وقرت .

ولما أصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة عادين ، والمنايا إلى ناديبهم منادين . فاستطرد من حضر من العرب واليزكة قدامهم ، وأظهروا أنهم قد ظهروا عليهم وهربوا ورهبوا إقلامهم .

وما زالوا ينهزمون وهم وراءهم ، يقوون فيهم رجاءهم ، حتى أبعدوهم عن المأمن ، وعبروا بهم عن المكن . فخرج عليهم الكمين من خلفهم ، وفتح عليهم أبواب حقتهم ، وأروهم وجوه المنايا فى مرايا غرر الجياد ، ونزعوا عنهم لباس الجلد لباس الجلال . فلقوا البيض بالبيض ، وفلمحوا (١) الحديد بالحديد ، وأشعلوا نار الظبا فى ماء الوريد . وفضوهم بالقضاء ، وعروهم بالعراء ، ولتوهم باللثوث ، وبتوا أعناقهم من حبل الوتين المبتوت . فلم ينج منهم ناج ، ولم يبق منهم للبقاء راج .

وأسرت عدة من مقلبيهم ، ومعروفهم ومحتشميهم . وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوة ، وكرة بغير كبة ، وغزوة آذنت بأوفر حظوة ، ووقعة آذنت بل أجنت كل نصرة نصرة عذبة حلوة . والحمد لله الذى تركو أنعمه بسقيا الحمد ، وتوضح عوارفه لشاكرها جلد الجلد .

ولولا مرضنا فى النوبة الأولى التى خرجوا فيها بأجمعهم ؛ لما نجوا بمشاشاتهم بل تعجل مصيرهم إلى مصرعهم . لكننا ما قدرنا فى ذلك اليوم على الركوب ، وجلسنا على تلعة قرية من المعركة ننظر ما يكون من العسكر

---

(١) فلمحوا : شقوا .

المنتوب . والآن بحمد الله قد توفرت حصة الصحة ، ولزمت مئة المنحة .  
وكنلك مرضنا عام أول شهرين ، والحمد لله على المهلة في الستين . فأقمنا  
مع السقام ، وسقمنا في المقام . وصبرنا وصابرنا ، وجاهدنا وجاهرنا .  
ومقمانا في هذه المدة المديدة في بلد النور (١) ، والوخم فيه يقضى على  
ماء الصحة بالنور . وما منا إلا من التأث ، فأعانه الله بغيث فضله المديمة  
ديمته الإلثا (٢) ، والحمد لله الذي أعان وأعاث .

---

(١) النور : هو غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق ( ياقوت ج ١٤ :

٢١٦ - ٢١٨ ط.ب ) .

(٢) الإلثا : النوام ، لت الطر ، دام أياما .

ذكر هجوم الشتاء ومقام السلطان على الجهاد

وعود من سار من العساكر إلى البلاد

على رسم الاستراحة والاستعداد

ولما تشتت شمل الصيف الرقيق ؛ بشمول الشتاء العنيف ؛ وانحرف  
حريف الخريف ؛ كانحراف مضيف المضيف ؛ واشتعلت رؤوس الجبال  
شيئاً للثلج ؛ وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج ، والتمحفت كل هضبة  
يبرد البرد ؛ واكتست الغدران من الجليد بالزرد السرد ؛ وليست سود  
النرا بيض الفرا ؛ وجر السيل الذيل وجرى ؛ وطمر المطر هودى الوهاد ؛  
وقبض أنامل الأنام عن البسط للجهاد ، وجمد الخمر ؛ وخمد البحر ؛  
وارتعدت الفرائص ، وارتدعت الأخامص ، وقرست الأبدى ، وأمسى  
الجو بالجوى المسىء يعدو ويعدى ؛ وحل الهواء بالوهاد عقود  
القوى ؛ وعقد المترفون على حب الاصطلاء الحبا ؛ واشتغل الملوك  
بملازمة المشاق ؛ ومتادمة المواقى ، ومتاقلة المناقل ، ومعالجة (١) العقائل  
ومعاقرة العقار (٢) ؛ ومسامرة السمار ؛ ومدانة الذنان ؛ واجتناء الجنان ؛  
ومناغاة الغواني ؛ ومناجاة المثالث والمثانى ؛ وملابسة السوالف (٣) والسلاف  
وملاسة اللطائف واللطاف : فلت نار عزم السلطان حد الشتاء العاتى ؛  
ووقف مع عزائمه الماضية وهجر من مشى إلى المشاق . وماصده البرد عن  
مقصده ، ولارده عن مورده . ولم يحتفل باحتفاله ، ولم يبال بباله . ولم  
يكثر بكارثته ، ولم يحدث أمراً لحادثه . فاعتاض الاصطلاء بحر الحرب  
عن الاصطلاء بناره ، وجرى على عادته فى مصابرة الأعداء والبحرى لها فى

---

(١) المعالجة : الاتصال بهم .

(٢) العقار : الخمر .

(٣) السوالف : جمع سالفه وهى صفحة المتق عند مقدم القترط ، وسالفه الفرس .

ما تقدم من عتقه .

مضماره . وما لما عن الله ولا رفض فرضه ، وسما إلى سماء الآلاء وأرضاه  
لما طهر بدم أنجاس أعدائه أرضه .

وامتصر على بذل جهده في الجهاد ، ووفى بعهده ولم يشته جفاء العهاد .  
وقال : « إنما أربأ بهنا الأرب ، وأرى راحتي في هذا التعب . ويبقى يقينى  
في ثلج صدرى بلطف الله عنف الثلج ، وما يبزد قلبي مع تقلب الحر  
والبرد إلا برد النصر والفلج . لكنه رأى أن مقام العساكر يجمعها وصرفها  
عن العود إلى البلاد ومنعها ، يؤذن بملامها ، واختلال أمورها وانحلالها .  
والفرنج قد أمنت غائلتها ، وتكنى في مداومة قتالها في نوبها مقاتلتها .

فأذن للجماعة في الانصراف على المواعدة في المعاودة في الربيع ،  
والرجوع إلى مراد الروح المريع . وليأخذوا أسباب الاستعداد لأوقات  
الاستدعاء ، وليستكثروا من الرجال المحققين في نصرة الحق للرجاء ، من  
أهل الفنى والغناء ، والمضارب والمضاء .

فسار صاحب سنجار — عماد الدين زنكى — خامس عشرى شوال  
يوم الاثنين ، وتلاه صاحب الجزيرة — ابن أخيه سنجر شاه — ليكونا  
مصطحبين . وسار بعدهما — ابن صاحب الموصل — علاء الدين غرة  
ذى القعدة وما انصرفوا إلا بالتشريف والخلع المعدة . وشيعهم السلطان بكل  
مكرمة شائعة شائعة ، وخلعة رائقة رائقة . ومستعملات مصر ، ومصوغات.  
قبر . وخيل عتاق ، وخير وإطلاق .



فصل من كتاب إلى صاحب الموصل عند عود ولده إليه

وينعت بالملك السعيد علاء الدين

ما كان أسعدنا بقرب الملك السعيد ؛ وما أجد جلتا بإنارة نوره ، وأوفر  
حبورنا بحضوره ، وأصلق شهود صلق ولائه بحكم شهوده ! وما أبهج  
الإسلام بنصرة ناصره ؛ ونجدة وليّه وودوده ! ولقد تمت بأيامن أيامه  
وبركات مقامه في العلو نكابات ، وظهرت لأوليائه الله من اللطاف كفاياته  
آيات ، ووقعت بالمشركين روعات ، وراعت وقعات .

وقد أردنا أن نستظهر بمراقفته ، ونبنى الأمور على موافقته . فما أيمن  
سعد ، وما أسعد يمنه ! وما أوفر وزنه ، وأغزر مزنه ! لكننا عرفنا شوق  
المجلس إلى اجتلاء سناه ، بمقتضى آدابه التي استكمل بها أدوات الارتقاء  
في مطالع علاء . فقد فاق بسداد رأيه الكهول ، وما أزكى القروع الطيبة  
إذا أشبهت الأصول . وما أسعد الملك بالملك السعيد علاء الدين ، أدام الله  
علاءه ، وسر بفضائله أوليائه .

وقد توجه والقلوب معه متوجهة ، والنفوس لغيته متكرهة ، والعيون  
لترقب ورود البشائر عنه متنبهة ، والأيام لظلمة الاستيحاش باليالي متشبهة ،  
والموارد إلى أن يمن الله بعود الأتس بعودته متسنة ، والألسن بذكر أخلافه  
الطاهرة والإفاضة في شكر محاسنه الزاهرة متفوهة . والحواطر فيما تمثلته  
أيام الاستعداد به من مبهجات آلائه متزهة .

ولاشك أنه يصف بلهجته الفصيحة ، ما اقتناه من المتاجر الربيعة ،  
وقدمه من المساعي النجيحة ، واستنجد به في الفزاة من مغازبه الصحيحة ، وأبداه  
في البأس من بسالته الشيحة . وأطلعه في ليل العجاج من صبيحة (١) بهجته  
الصبيحة . وله في كل نصرة وهبها الله للإسلام أوفى نصيب ، فقد أصمى  
مقتل الكفر بكل سهم مصيب ، وهو مستصرخ الملى أسبق ملب وأسرع  
مجيئ ، وأن الله له بسفور صبح سعادته ووفور نجيح إرادته أفضل مثيب .

(١) في ب صبيحة وفي أ (٢٧٤هـ) صبح .

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

لما هاج البحر وماج ؛ وأظهر الارتجاج والانهراج ، نقل الفرنج  
سفنهم خوفاً عليها إلى صور فريطوها بها، وأخلوا ساحل عكا من إرعاها  
وارهاها . وخلا لنا وجه البحر ، وغابت عن الساحل مراكب الكفر .  
فاشتغل السلطان بانفاذ البدل إلى البلد ، من الثابتين في الجلال على الجلد .  
فانتقل الملك العادل بمخيمه إلى جانب الرمل ، ونزل قاطع نهر حيفا  
في سفح الجبل ، لتسهيل طريق من يسيره إلى البلد من البدل . فإن المقيمين  
في عكا شكوا أمراضاً معترضة ، وأعراضاً ممرضة . وكثرة السواد ، مع قلة  
النفقة والزاد .

وكان في البلد زهاء عشرين ألف رجل من أمير ومقدم وجندي ،  
وأسطول وبحرى . ومتعيش وتاجر وبطل ، وغللمان ونواب وعمال .  
وقد تضرع عليهم الخروج فسكنوا ، وإذا عاينوا خوفاً على الموضع موته  
عاونوا وما وهنوا . فرأى السلطان أن يفسح لهم في الخروج رفقاً بهم ورأفة .  
وما أفكر أن في ذلك مخافة وآفة .

فقد كان فيه أمراء أمروا الأمر ، وألقوا الصبر ، وما نموا الحصر ،  
واجترأوا وتجاسروا ، وصبروا وصابروا ، وحاربوا وحربوا ، وجاروا  
وجربوا ، وزاولوا وأزالوا ، وحاولوا وأحالوا ، وعرفوا مكامن المكائد ،  
وكشفوا كوامن المقاصد . وأخذ كل موضعه في الحرص على الحراسة ،  
وشاعوا بالسماحة والحماسة .

وكان فيهم من يطعم ويتفق ، ويجمع الرجال وقلوبهم بما عليهم يفرق ،  
مثل حسام الدين أبى الهيجاء السمين (١) ، فإنه أنفق ما ادخره من الألوف

---

(١) حسام الدين أبى الهيجاء السمين : كان مقدم الأكراد الأسدية ، شجاعاً مقداماً ،  
حارفاً متجسلاً ، سيوساً ، ولّى نيابة القدس فترة ثم عزله العزيز عثمان بن صلاح الدين ، سار  
إلى بغداد وأصبح من جملة أمراء الخليفة فسيده إلى همدان فلم يَم له أمر واختطف أصحابه عليه  
فاستحموا أن يعود إلى بغداد فسار إلى الشام ومضى بها ومات سنة ٥٩٤ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ :  
١٤٥ ط. دار الكتب) .

والثين . مستمراً على إنفاق ، لا تحتربه فيه خشية إملاق . وهناك ستون أميراً ومقلماً ، وكلهم يرى المغرم في سبيل الله مغنماً . وكانوا يتفقون بالعوام وكثرة الناس في جلب المجانيق ، والإعانة على ما يتفق في الحصر من التضييق .

فلما خرج الخواص خرج معهم العوام ، وتبدد بتبدد نظمهم النظام . وألزم السلطان جماعة من الأمراء بالدخول ، فدخلوا على أن يعفيهم بالبنول . فلم يقبل منهم بذلك ، وألزم بنقل الأزواد لبعض ستمهم كلا . فلم يدخلوا إلا بعد لاي ، وقد بلغوا في غي الرأي إلى أقصى غاي . وأكثرهم صرف رجاله المعروفين المستخلصين ، واقتنع بمن استجد استخدامه من المسترخسين . وأذهبوا الأيام بالمداغة ، وأبطأوا عن فرض المسارعة .

والملك العادل هناك يحشهم ويحضرهم ويحرضهم ، ويعينهم على تحصيل المراكب لهم وينهضهم . حتى لم يبلغ من دخل عشرين أميراً مقلهم الأحمـد— سيف الدين المشطوب على بن أحمد . وأمر السلطان بالمتادة في الأبطال الباطلين<sup>(١)</sup>، ليحضروا لقبض النفقات؛ وكان يحضر الجاوش في كل يوم مثنى ، ويصبح نواب الديوان في أمرهم مرتين . لحرصهم على توفير الدرهم ، ويخلصهم بالنفقة ويعلمونها من المغرم . ومعظمهم من نصارى مصر ، ومن هو مصر في نصرة النصارى ، وفي تعسير ما يجب تسهيله ؛ وتعقيد ما يجب تحليله ؛ لا يجارى ولا يبارى . وكل واحد منهم للقيط قطب ، وفي الخطب خطب . وللشر شرك ، وفي الحس حسك<sup>(٢)</sup> . وللمشرك مشارك ، وللدين تارك فارك .

ولهم أخلاق أخلاق ، وطباع بالطبع أغلاق . تأوى للبخل والتبخل إلى التأويل ، وتغلى لتكثير السوء في الخير سوى التقليل ، وهم جالبون للغي ، طالبون

---

(١) البطالون من الأجناد والأمراء . هم الماطلون من انطاعات الدولة ووظائفها لكبر السن أو لنصب السلطان أولئك (السلوك ج ١ : ٧٣ تحقيق د . زيادة) و (الروعيين ج ٢ : ٥٣٢ تحقيق د . محمد حلمي أحمد) .

(٢) غضب .

للبحى ، كاسيون للذم ، مناسيون للضم . والمسلم فيهم متولى الخزانة ، يرى الشخ بما يجود به السلطان من الأمانة . وأصنعهم فى الكفاية عندهم أمتهم للإطلاق ، وأعذقهم (١) بالخلق أقذعهم ، وأعقدهم للحق أقذعهم (٢) . وأجودهم أرداهم ، وأضلهم أهداهم . وهم متفقون فيما بينهم على الحياة ، مختلفون فى الظاهر لإبداء الصيانة .

وكان يحضر هؤلاء لعرض البطالين واستخدامهم ، ويوحشونهم بخطابهم ويفرونهم بكلامهم . ويقابلونهم بالجنة ، ويعاملونهم بالنجاة (٣) . ويواجهونهم بالسوء ويسوعونهم فى الوجه . ويشتطون فى طلب الضمان ، ويشترطون ما ليس فى الإمكان ويطردونهم بقبيح الزجرة ، ويكسرونهم فى صحيح الأجرة .

والسلطان يجود جود السحاب ، ويأمر بالعطاء الحساب . ويجدد حث الثواب ، ويجدد فى بيعت الأصحاب ، ويقول : «أنفقوا ولا تحشوا اقلاقا ، وأنهبوا الرجال خفافا وثقالا ، ولا تؤخروا شغل اليوم إلى غد إهمالا أو إهمالا . ولا تقسموا على هذا الفرض فرضاً ولا تفلا ، ولا تعتقدوا أن لنا أهم من هذا الشغل شغلا » . ونواب الديوان على عادة جهالتهم ، وعادية ضلالتهم . فما قبل العطاء غير مضطر فقير ، وما دخل الثغر إلا قليل من كثير . وما صبح من البدل إلا لابعضه ، وما قضى حق الواجب المتعين فرضه . وكان هذا من أقوى أسباب الضعف ، وأوفق دلائل الخلف .

وسياتى ذكر ذلك فى موضعه فى سنة سبع ، فإنه عاد كل ما دبر بضرر على الثغر لا ينفع .

وأقام الملك العادل على البحر لازاحة علل الداخلين ، وإراحة قلوب الواصلين . حتى عاد القرنج بمراكبهم ، واقطع بوصولهم الطريق من جانبهم . واقتنع البلد بمن إليه تحول ، وعلى حفظه من الله بعصمته عول . وبتاريخ يوم الاثنين ثانى ذى الحجة « وصلت من مصر بالغة بطس

(١) أعلمهم : من اخضع منهم .

(٢) أعلمهم : أذلهم وأضعفهم .

(٣) نتج : الرد يأتج الرد والاستقبال بما يكره .

سبع . وكان لها الحاجة إليها وقع ، وقيل قد تم بها للجائعين سبع . واقلب أهل البلد إلى البحر لمشاهدتها ، ومعاونة جماعتها ومساعدتها . ونقل ما فيها من بضائع وحوائج ، وسلع روائج . ومأكول ومطعم ، ومشروب ومشوم . فقد طال بذلك كله عهدهم ، وانتهى إلى الغاية جهدهم .

فلما تسامعوا بالبطس ؛ تسارعوا إلى الملتمس . فعلم الفرنج بانقلاب أهل الثغر إلى جانب البحر فزحفوا زحفاً شديداً ، وحملوا جندلاً وحديداً . وأتوا بسلاط لينصبوها على الأسوار ، وصارت عكاه وهم حولها كالمصم في السوار . وترقوا في سلم واحد متزاحمين ، وللضيق متصادمين . فاندق بهم السلم المنصب . وسطا بعصابتهم المعصوب بها النصب سوط العذاب المصبوب .

وتدارك الناس ، وتلافوا وتلاقوا ، وتعاطوا كوؤوس المنايا وتساقوا . ورأوا غمرات الموت فزاروها ، وداروا حول رحى الحرب وأداروها . واستحلوا شهد الشهادة فشاروه ، وألقوا الأجل كامناً فأثاروه . وتواثبوا عليهم ثواب السباع على الضبايع ، ورفعوا لقرئ العواسل الجلياع نار القراع ، وأطالوا بشبا العوالى للعوافى باع الإشياع . وأنبعوا عيون النجيع من عيون الجميع على جداول البيض ، وأفاضوا فيروض الدم القاني بالصارم المقيض . وقتلوا وسفكوا ، وقتكوا وهتكوا . وردوهم على أعقابهم ناكصين ؛ ومن حسابه ناقصين . ولاشتغال الناس بكشف ما عرا من الغمة ؛ وأظل من الظلمة ؛ والتهائم بقتل الثلثة ؛ عن نقل الثلثة ؛ وتركوا البطس يحالها ، مملوءة بغلاما ، حتى هاج البحر فضرب بها الحشف ، وأذهب بكسرها كل ما فيها وأتلف . وغرق من كان فيها ، وأقى الفرق على الأمتعة التي تحويها . حتى قيل هلك بها زهاء ستين نفساً ، علموا ولم نجد لهم حساً . ناموا والقلر متبه ، وذهلوا وحكم القضاء إليهم متوجه .

وفي ليلة السبت سابع ذى الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكاه على فصليها فهدمته ؛ وثغرت الثغر وثلثته . فبان منها الضوء لأهل الظلمة ، فتبادروا إليها طمعا في هجم الثلثة . فجاء أهل البلد وسلوهم بصلورهم ،

وصلوا عنها بنحورهم . وبنوها بأبنائهم إلى أن بنوا ذلك البلد ، وعمروا ما خرب وقوا ما وهن . وقتلوا وجرحوا من العدو خلقاً ، وأوسعوا بالمضايقة في كل ذى خرق خرقاً ، فانجلت الحرب عن طريق سريع ، وجريح إلى المزيمة سريع ، وطلح العقيم قريع .

وعاد الثغر أقوى مما كان وأحكم ، وكل ذلك يجد بهاء الدين قراقوش حيث كان المقدم المقدم . وهذا الأمير قراقوش لما ضجر الأمراء وضجوا ؛ وطلبوا الخروج ولجوا ؛ أقام ولم يرم ، ولم ينحل عقد ثباته ولم ينخرم .

وفي ثاني عشر ذى الحجة هلك ابن ملك الألمان بمرض الجوف ، ولعله من عرض الخوف ، وأدرك أباه في الدرك الأسفل من النار ، وأبصر في جهنم مصاير أمثاله من الكفار . وزاد بهلاكه ألم الألمانية ، وانسدت بموته فرج الفرنجية . وتبعه في السفر إلى سقر ؛ كند كبير يقال له - كند تيباط ، دافع القدر فما قدر . وهلك منهم بالأمراض المختلفة العدد الكثير ، واشتغلت بهم الحجيم واشتعلت عليهم السعير .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر ذى الحجة عاد المستأمنون من الفرنج الذين أنهضهم السلطان في براكيس (١) ، ليغزوا في البحر ويكونوا أيضاً لنا جواميس . فرجعوا وقد غنموا وغلبوا ، وكسروا وكسبوا ، وسروا وأسروا ، وقسروا فظفروا . وذكروا أنهم وقعوا بحراسة كبيرة ومعها براكيس ، وفيها تجار فرنج ومعهم من المال الجليل النفيس . وأمر التجار وأخذ المال وحيزت تلك المراكب وجذبت إلى الساحل ، فإذا هي مشحونة بالكراثم الجللاثل . من كل آنية مطبوعة ذهبية ، وحلية مصوغة فضارية ، وآلة فضية ، وأباريق وأكواب وأقداح ، وأطباق وموائد وسباتك وصفاج ، وكاسات وطاسات ، ومرافع وشربات . فوفر السلطان

---

(١) البراكيس : جمع يركوس ، ذكر الدكتور الشيال في مفرج الكرب ج ٢ :

٣٣٨ - بتحقيقه عن محيط المحيط أن البركوس أو الباركوس غرب من السفن بين البريق ،

والفرقاه وعن p.5 kindermann op. cet. أنها مأخوذة من الكلمة الإيطالية Barcoso

ويقالها بالفرنسية Barque وبالإنجليزية Bark .

عليهم هذه الأكساب ، ولم يحرمهم حيث حرموا لكفرهم الثواب وأظهروا لهذه النهضة أنهم مناصحون ، وليمين الإيمان مصافحون .

فلما أكرموا بتلك المكرمة ؛ أثنوا على اليد المنعمة . وأسلم منهم شظروهم ، وحسن بيننا ذكرهم . ووبركات الكرم السلطاني كرموا ، وأنسوا وأسلموا . وكانوا قد أحضروا برسم الهدية مائدة فضة عظيمة وعليها مكبة عالية ، ولها قيمة غالية . ومعها طبق يماثلها في الوزن ، ويتملئ وجود ذلك للملوك في الخزن . ولو وزنت تلك القضييات قاربت قنطاراً ، فما أعارها السلطان طرفه احتقاراً . وقال لهم : « خنوها فأنتم بها أولى » . وكان أول من أسدى هذا المعروف وأولى .

وكنت عنده جالساً ، وبلفظه مستأنساً ، فقلت له : « ما أظن في الوجود ملكاً يسمح بمثل هذا المال ، خصوصاً وقد أغنمه الله من الحلال » . فتبسم لقولي غيظ معجب به ، وما قضيت العجب مما قضاه كرمه من أربه .

وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الفرنج بركوسان فيهما نيف وخمسون نفراً ، فجلنا لنا نصراً ، وعلا نجاحاً وحلا ظفراً .

وفي الخامس والعشرين منه أخذ أيضاً بركوس ، فيه من الفرنج مقدمون ورموس . وهم نيف وعشرون ؛ منهم أربعة خيالة ، ضمتهم من الأسر حباله (١) . ومعهم ملوطة (٢) ؛ مكلفة بالزئبق منوطة ، وبأزرار الجوهر مربوطة . قيل إنها كانت من ثياب ملك الألمان ؛ وأسر فيه رجل كبير قيل إنه ابن أخته ؛ وهو كبير الشأن .

وفي هذا الشهر كان قدوم القاضي الأجل الفاضل (٣) ، رب الفضائل والفواضل من مصر ؛ فأشرقت المطالع ، وأشرقت الصنائع . وبشرت المطالب بنجاحه ، ، وغزرت المواهب بسماحه . وغابت بحضور

---

(١) حباله : مصيدة .

(٢) ملوطة : جبة من الحرير

(٣) القاضي الفاضل : يقصد القاضي عبد الرحيم اليماني الكاتب المعروف وثقة صلاح الدين

ووزيره الأول وقد سبق التعريف به .

مكارمه المكاره ، ونزع بلبسة أفضاله لباس الحمول ذوى الفضل النابه ،  
وأعاد روح السلطان بإعادة الروح إلى سلطانه ، وسر بمكانه ، واقرن  
إحسانه بإحسانه . وظهرت في وجهه به الطلاقة ، وفي قلبه العلاقة ، وروى  
رأيه برى رايه ، وتلقن آيات النصر من نص آيه .

وانتفش عنارى بمقلمه ، وانتفش خط فخارى بكرمه . وحلى عطلى ،  
وحيا أملى ، وقوى عملى . ووضح منهاج مناهى ، وضح مزاج غناى .  
ونبه قدرى ، ونوه بذكرى . وسعى في رفع رتبى وزيادة راتبى ، وسن  
غربى (١) ، وأسنى غاربى (٢) . وأقرنى وقربى ، واستكتب الخطوط  
بالخطوط كما كان استكتبى . فحشت ونعشت ، وفرشت بساط الغنى فرشت .  
ولولا أننى قويت به لأقويت ؛ ولولا أنه أولانى عارقه لما عرفت ولا توليت ،  
فأنا شاكر نعمه عمرى ، وعامر كرمه بشكرى .

---

(١) سن غربى : ملح وأطرى نشاطى .

(٢) أسنى غاربى : أمل قدى .



### ذكر جماعة من المستهدين في هذه السنة

استشهد في عكاء سبعة من الأمراء كل منهم سبع : ما في لقائه للقرن طمع . ومن جملتهم (سوار) من الممالك الخواص ، ومن ذوى الاستخلاص وكان هذا (سوار) في كل حرب مساورا . ولكل هول مباشرة ، وبكل بوس عبوس باشرا . فجاءه سهم عائر ، فلذا هو إلى الجنة سائر . وكذلك عدة من أمراء الأكراد ، كانوا من الآساد ، فجازوا بحظ الاستهاد .

وخرج أسطولنا في هذه السنة ، بشواني المعجبة المحسنة . ليكيس شواني الفرنج في مواضع الربط ، وإحراقها بقوارير النفط . فخرجوا إلى شوانينا بشوانيههم ، ولقوا عواديا بعواديههم . وظفرت أساطيلنا وطالت ، ووصلت إليها وصالت ، ونالت من الظفر ما نالت . وأحرقت للكفر شواني برجالها ، وغرقتها بأبطالها .

وكان عند العود تأخر لنا شينى مقلمه أمير مبارز ، كالأسد الخادر (١) . لا يصحر إلا للفريسة ولا يبرز . وهو يعرف يجمال الدين محمد بن أرككز . فشين الشينى وشانه ، وما أعانته أعوانه ، وامتألت بالأعطاب أعطانه ، واضطربت للانكار أركانه ، واضطربت بأهل النار نيرانه . فتواقع من فيه إلى الماء ، واحتزوا من البلاء بالبلاء .

ووقف الأمير على قدم جلده يحالد ، ويحجد ويجاهد ، وقد أثقله بليس البسالة الحديد ، وخف به الغزم الشديد السديد ، وقد دعاه إلى أمنية المنية الذكر الحميد ، والأجر العتيد . فما ارتاع للروع ولا استطاع الانقياد بالطوع . ولا مكن العدو من مكانه ، وأخذ مع الشانء بشانء .

ولولا أن ملاحيه جينوا وفروا ، ومتاصحيه خذلوا وما قروا ، لخنى بسيفه ثمر النجاة ، لكن الأجل قطع عليه طريق الحياة ، فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع ، وسدوا عليه سبل البصر والسمع . وقالوا : « خذ

---

(١) الخادر : القاتل الكسلان ، أو الذى لزم عدوه وعمره .

منا الأمان واستأسر ، وهون الأمر عليك ولا تعسر ويسر . فالعاقل يختار  
البقاء على الفناء والوجود على العدم ، وأنت في عين الهلاك إن لم تحطنا اليد  
وثبت على هذه القدم . فقال : « ما أضع يدي إلا في يد مقلّمكم  
الكبير ، ولا يخاطر الخطير إلا مع الخطير » . فسموا له كنداً أرضاه ، وأراد  
أن يشرّكه فيما الله قضاء .

فلما دنا ليأخذ يده لزمه وعانقه ، وقوى عليه وما فارقه . ووقع إلى  
البحر وغرقا ، وترافقا في الحمام واتقفا ، وعلى طريق الجنة والنار افترقا .  
فارتوى الشهيد السعيد بماء النعيم ، وصلى الكند الكند بنار الجحيم .

واستشهد أيضاً في ذلك اليوم الأمير نصير الحميدى ، جرح فمضى  
حميداً ، وشهد مقامه في الجنة شهيداً ، وسعى دهره حتى قضى سعيداً .  
ولم تخل وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من أمراء العسكر ، وسعداء  
المعشر ، وكرماء المحشر ، ونلماء الكوثر ، وحلفاء المقهر .

واستشهد يوم تاسع جمادى الأولى ( القاضي المرتضى ابن قرش  
الكاتب ) . وكان صلداً تتجمل به المراتب . وجرياً جارى القلم ، بليغاً  
بالغ الحكم . مهيباً يخشى ، مرهوباً لا يقش . وهو في أهبة من المهابة ،  
وكثيبة من الكتابة . صوبه في الصواب منتج ( ١ ) ، وخطابه في الخطب  
مستمع . ولرايه رى ورى ، وتدييره للأمور بتنفيذ الأوامر السلطانية دينا  
ودنيا . ولم يكن له في الكفاية كفاء ، ولم يزل لخروق الخطوب بقلمه رفاء .

وكان رجل دمشق بنابلس له ميلك بدمشق قد تركه ، ورغب في  
إتباعه ( القاضي المرتضى ) ليملكه ، فتقاضى قاضى نابلس مراراً بإحضاره ،  
فلما حضر رغبه في البيع على إثاره ، بأضعاف الثمن ونقد ديناره . فأنفصلا  
على التراضى ، ونجح سعى القاضى للقاضى . وبكر البائع إلى سلام المشتري ،  
ووثب ووثب المجترى . وطمته بملديه ، وهو آمن في خيمته . وفلك به

---

( ١ ) المنتج : الموضع يقصده الناس طلباً للكلأ .

فتك اللعين — أبى لؤلؤة<sup>(١)</sup> بالفاروق<sup>(٢)</sup>، وخرج من الخيمة كالسهم في المروق . فلقى قاضى نابلس قتيله ، ومضى يسلك سبله . فأدركه الناس وقتلوه ، وكاد يفلت لو لم يعاجلوه ، ففجع المنصب بمصابه ، وناب عنه أخوه مع نوابه .

ودخلت سنة سبع وثمانين ، والشتاء لم يشمل شتات شمله ، وعقد البرد لم يقرب محل حله . وللغيث عيث ، ولزور الربيع ريث<sup>(٣)</sup> . وللسحب سح ، وللضخ<sup>(٤)</sup> شخ . ولعين الشمس غص ، ولوجه القيم ومض ، ولأيدي العارض بسط وقبض ، ولنواظر البرق تنبه وغمض ، ولنواجز البرد كشر وعض ، ولقص الفصل ختم وقص . وكل صباد في بحر كانون<sup>(٥)</sup> كنون ، وكل ماء بالجليد كأنه زرد مسنون . وللأحوال أحوال ، وللأهواء أهوال . وللشمال شمول ، وما للقبول قبول . وللجنوب ذنوب ، وللنبور<sup>(٦)</sup> في إدبارها وإقبالها هبوب . وللصبا صبايات وصبايات ، وللندى الندى جنات وسرايات ، وللجو الجوى آيات ونكايات . وللغمام غمام ، ولحام الربا من هامى الرباب<sup>(٧)</sup> عمائم . وللكياء نكيات ، ولشبا شباط<sup>(٨)</sup> شبآت . والرواعد رواعف ، والمواتن هواتف . وللأرواح رواح وغدو ، وحركة وهلو . ومجبة وسلو ، ونزول وعلو ، ونصفه وعتو . ولراعايا الرايا من الرياح الحيارى رذايا أذايا ، وخبايا المروج النابتة في زوايا التاوؤج النازلة

(١) أبى لؤلؤة : هو فيروز عبد المنيرة بن سورة ، ملن عمر رضى الله عنه بنحمر في خاصرته في ذى الحجة سنة ٢٣ هـ ( أبى القدامج ٣ : ١٦٤ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) .

(٢) الفاروق : هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد أطلق عليه هذا القلق لأنه استطاع أن يفرق بين الأمور .

(٣) الريث : مقدار المهلة من الزمن .

(٤) الضخ : الشمس ، أو ضوءها أو ما أصابته الشمس .

(٥) هو مقابل شهر ديسمبر وأما ما يقابل يناير فهو كانون ثاني .

(٦) النبور : الريح الغربية .

(٧) الرباب : السحاب الأبيض وواحدته ربابه .

(٨) شباط : ما يقابل شهر فبراير .

خفايا . والعواصف القواصف عواصف غير قواصف ، والعاراض عاراض للعب  
في العراصف عراصف (١) ، والقوارص قوارص ، والحوالس (٢) خوالص . والبحر  
في هيجانه ، والغيم في هطلانه .

والسلطان مقيم بمخيمه على شفرعم ، ولطف الله به قد خص وعم .  
والملك العادل سيف الدين نازل على الساحل عند نهر حيفا ، لتجهيز البدل  
في المراكب إلى عكا . والسفن تدخل إليها بالأزواد ، وتعود وترجع إليها  
بالأجناد . ويحرص ويحرص ، ويرسل إلى السلطان ويستنهض ، والسلطان  
يقاوض التواب في ذلك وإليهم يقوض . وفي كل يوم يعرض الرجال ،  
ويتفق فيهم الأموال .

والأمر مستمر ، والقرار مستقر . واليزكية زكية ، ومستهم في المناوبة  
سنية ، ولوافح عزماهم ذاكية ؛ ونوافح مكرماهم ذكية . والممالك الخواص ،  
ومن خصمهم وعمهم الاستخلاص ؛ يغادون القتال ويراحونه ، ويكافئون  
العلو ويكافحونه ، ويمارونه ويمارحونه ، ويرحون به ولا ييارحونه .

والعلو على عكاء حاشد ، ولضالة ضلاله ناشد . يحتمون ويحمون ،  
ويرامون ويرمون ، ويلبسون ويشبون ، ويحبون إلى الكفرة بسوط العذاب  
ويصبون . وقد قسموا الأسوار على الأجناد والأبراج على الأمراء ، واستقبلوا  
النعمة في البلاء ، والسعادة في المشقة التي تعدلها الأشقياء من الشقاء ، إن وجدوا  
غرة اهتبلوها ، أو استوعروا كرة استسهلوها ، أو صادفوا مامة صدفوها ،  
أو لقوا غمة كشفوها ، أو صرفوا أوجههم إلى نائبة صرفوها .

---

(١) عراصف : جمع عرصه وهي كل بقعة واسعة بين القور ليس فيها بناء - والعراصف  
بتشديد الراء هو السحاب ذو الرعد والبرق .

(٢) الحوالس : الخلس هو الكلال اليابس ثبت في أصله الرطب فاعطط .

ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواحي

في يوم الأربعاء تاسع المحرم ؛ سار الملك الظاهر لقصد بلد صافيتا ،  
بالعزم المصمم ، والرأى المحكم . وفي ثالث صفر ؛ عزم من بقي من أصحاب  
الأطراف السفر . فإن السلطان رخص لهم في ذلك ، فانتهجوا في عودهم  
إلى بلادهم المسالك .

وأقام السلطان في أصحابه ، وخواصه وملازمي بابه ، وملابسي جنابه ،  
ورجال رجائه ، وخلص أوليائه ، ومقرني أمرائه . وفي هذا اليوم رحل الملك  
المظفر تقي الدين ليتسلم ما في شرق القرات من البلاد التي كانت مع مظفر  
الدين ، مضافة إلى ميا فارقين . فصارت معه جيلة واللاذقية والحمة (١)  
وحماة (٢) وسلمية (٣) والرها (٤) وحران وسميساط (٥) والموزر (٦)

---

(١) الحمة : اسم لموضعين بالشام أحدهما حمرة مصرين وهي بلدة وكورة بنواحي  
حلب . وحمرة النعمان ، وتلقب إلى النعمان بن بشير الصنهاجي وهي مدينة كبيرة بن حلب وحمه  
(مراسد الاطلاع تحقيق عل البجاري) .

(٢) حماة : إحدى المدن الكبرى بسوريا على نهر العاصي وتشتهر بنواحيها (ياقوت  
ج ٧ : ٣٥٠ ط.ب) .

(٣) سلمية : من أعمال حمص ثارة ، وتارة من أعمال حماة سماها أهل الشام سلمية (بكر  
الميم وتشديد الياء) وهي مقر بني العباس قبيل يده دعوتهم للسرية وفي أثنائها (ياقوت ج ١٠ و ١١ :  
٢٤١ - ٢٤٢ ط.ب) .

(٤) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ (ياقوت ج ٩ :  
١٠٦ ط.ب)

(٥) سميساط : غربي ، نهر القرات على شاطئه من طرف بلاد الروم (آسيا الصغرى)  
وطا قلعة في شرق منها يسكنها الأرمن (ياقوت ج ١١ : ٢٥٨ ط.ب) .

(٦) الموزر : كورة بالجزيرة منها نصيبين الروم (ياقوت ج ١٨ : ٢٢١) .

وميافارقين (١) . وشرط معه أن يحافظ على عهد صاحبي\* آمد (٢) وماردين (٣) .

والبلاد المظفرية كانت قد بقيت إلى هذه الغاية ، مع كثرة الطالبين لتلك الولاية . مضمونا بها على الخطاب ، غير مسموح بشيء منها للطلاب . فإنه ما رامها من الملوك ، أخى السلطان وأولاده ؛ إلا من يشرط الفسحة له في استضافة ديار بكر إلى بلاده . ويقال له : « لا سبيل إلى قصد أحد ، ولا انزعاج بلد ، ولا إزالة يد . فإن أرباب البلاد أكثرهم لنا معاهد ، وعلى ودنا معاهد ، وفي شغلنا مساعد . فأما من هو عنا متقاعد ؛ ومنا متقاعد ؛ فما هذا أوان مكافأته ، ولا زمان كف آفاته ، وهو منا في حصر مخافاته . وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق ، وعزما في قمعه متحقق . فلا نثير علينا من المسلم الكاشح ؛ والحاسد الخاشد ؛ من يشغلنا عن هذا المهم لفرض ، والرأى الراشد » .

فقال تقي الدين : « أنا لي في ذلك الجانب ميافارقين ، فإذا أخذت حران ومسيماط والرها ؛ أدركت من تكتيز العساكر وتقويتها المشتى ، وبلغت المتهى . وأنا أدخل على الشرط وعنه لا أخرج ، وأجمع العساكر وإلى نصركم أخرج . وآتيكم بعد أشهر بأوفى عسكر ، وأكرم معشر ، من لابسى سنور (٤) ، وملابسى مورد في الروع ومصلر » .

وما زال يستعفف السلطان عنه ؛ ويسترهف في تخصيصه بتلك الولاية عزمه ؛ ويسأل ويتوصل ؛ ويرسل ويتوصل ؛ حتى أخذ دستوره ، واستكتب مشوره . وصار على أنه يسرع إيابه ، ويحكم في العود أسبابه . وإنما يلبث

---

(١) ميافارقين : مدينة بديار بكر قرب آمد وهي أقوى تحصيناتها (ياقوت ١٨ ٢٣٥) .

(٢) آمد : أعظم مدن ديار بكر وهو بلد قديم حصين ركنين بين الحجازرة السود (ياقوت

ج ١ : ٥٦) .

(٣) ماردين : قلعة على قمة جبل الجزيرة ، تطل على دارا أودنيسر ونصيبين (ياقوت

ج ١٧ : ٣٩) .

(٤) سنور : لبوس من قماش الكلدع .

ريشما يقسم تلك البلاد على مقاطعها ، ويرسم ترتيب نوابه فيها . ثم يطلع علينا طلوع السحاب ، هوياتي بالآتي العباب ، ويعرض عساكر لا تدخل في الحساب . وسارح إلى الرحيل وسار ، بعدما استشار ، ولله استخار .

وفي يوم السبت رابع صفر ؛ وصل كتاب الملك المجاهد : الجواد المجد ؛ أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ؛ وهو الجري الذي إذا جرى أضرابه من الملوك في حلبة المجد لم يتركوه ، ولم يتركوه .

ومضمون الكتاب : أنه خرج في آخر محرم ، على جيش (١) العدو بطرابلس واستاقه ، ولم يطق الكفار لحاقه . واقتطع لخاصه منه أربعمائة رأس ، تلف منها في الطريق أربعون ، غير ما كان أصحابه منها يقتطعون . وأنه غم أيضاً أبقارا وآب قاراً ، وسار بالغنمة سارا . وأهدى لي من ذلك بقة سرجية ، عالية فارحة فرنجية . وقال رسوله : ولما أبصرها واستحسنها ، قال : تصلح للعماد . فإنه إذا ركبها زينها .

وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت ، كتبت الريح سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكبت ، وكان فيها من الفرنج خلق ، ففرق في بحر الأسر ؛ من لم يسر إليه في البحر غرق . وفيهم امرأتان سييتا ، وما هديتا بل أهديتا . وشاهدت الأسارى قدأم السلطان وقد أحضروا ، فردهم على الذين أسروا .

وفي أول ليلة من شهر ربيع الأول ، خرج أصحابنا من البلد على العدو بالنائب الأعضل (٢) ، والنائب الأعضل . (٣) وكبسوه في خيمه ، وخيموا عليه في مجتمه . فما انتبهوا لهم حتى أسروا من الفرنج وقتلوا جمعا ، وأوسعهم إلى أن ضيقوا قمعا . وعادوا سالفين غانمين ، كاسرين كاسيين . ومعهم اثنتا عشرة امرأة في السبي ، وعرف الله لهم حق ذلك السبي .

(١) الجيش : جاء في القاموس المحيط أنه الجواثق الكبير أو الوضة وهو وعاء كالجبة من الجلد أسفلها مستو أو المربعة يحمل فيها قرامى زاده وأداته ، غير أنه يفهم من السياق أن المؤلف قصد الجثاء وهي المافية ترمى في مكنتها ولا ترجع إلى أصحابها عند المساء .

(٢) الأعضل : الشديد ، المشل .

(٣) الأعضل : للعوج في صلابه .

وفي الأحد ثالث هذا الشهر ، شهر سلاح الحرب أهل الكفر . وخرجوا على اليزك ، وكانت التوبة للحقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك . وعظمت الوقعة ، وفخمت الروعة ، وصدمت الصدعة ، واحتلمت على الفرنج بتارها الصرعة . وهلك منهم علم كثير ، وقتل منهم مقدم معروف كبير ، ولم يفقد منا إلا خادم رومي صغير . عثر به في الحملة فرسه فلم يتعش ، واستشهد ليعيش في الآخرة مع من في الدنيا مات في سبيل الله ولم يعيش . وهذا الخصى كان فحلا من الفحول ، ناهضا على الكفر للإسلام بحمل الذحول (١) .

وانتهى إلينا أن الفرنج على عزم الخروج ليحتشوا ويخطبوا مما حولهم من المروج . . فلا مرعى لنوابهم ولا علف ، وإن لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلف . فأمر السلطان أخاه الملك العادل أن يذهب ويقصد الساحل . ويكمن بعسكره وراء التل الذي كانت فيه قديما منزله ، وهناك نصرت وقعتته ووقعت نصرتة .

ومضى السلطان بنفسه في خواصه وأجناده ، وأقاربه وأولاده ، فكمن وراء تل العياضية ، في العصية المنصورة الناصرية . وذلك يوم السبت تاسع شهر ربيع الأول ، مستظفرا بصحبة ولده الملك الأفضل . ومعه أيضاً أولاده الصغار ؛ ليستأنسوا بالحرب ، ويدمنوا على مباشرة الطعن والضرب . فحرف العدو الخبر ، فما أقدم على الخروج ولا جسر . ففصرت للسلطان على التل خيمة حمراء ، فبات فيها وحوله الملوك والأمراء .

ووصل إليه من بيروت خمسة وأربعون أسيرا من الفرنج ، أخذوا بالمرآكب في البحر من اللج . وفيهم شيخ هم (٢) هرم ، عمره في الكفر منصرم . قد طعن في السن ، ووهن كالشئ (٣) . وانحى كالحنية ، وما أمن من المنية . وتحاماه الحمام ، وعامت في بحر لياليه وأيامه الأعوام . وهو ممسوخ الحلية ، ممسوح اللحية . قد بلى مما بلى ، وقلى من طول ما لقى . وسم

(١) ذحول : جمع ذحل : التار ، الدابة ، الحقة .

(٢) الهرم : الرقيق الضعيف .

(٣) الشئ : القرية الخلقفة الصغيرة .



حياته ومسم ، وعلم لداته (١) ولذآته وما علم . وكم جاوز قرنا وعبره إلى قرن ، وبارز قرنا وتازله بعد قرن . حتى لم يبق منه إلا إهابه ، ولم يرقب منه إلا ذهابه .

فتعجب السلطان من مجيئه من البلاد الشاسعة ، واختياره الضيق على الأرجاء الواسعة . فسأله كم بينه وبين وطنه ، ولأى سبب حركته من سكنه ! فقال : « أما بلدى فعلى مسافة شهور ، وإنما خرجت بقصد كنيسة القيامة لأظفر بالحليج المبرور » . فرق له ومن عليه بالاطلاق ، وأخرجه من ذل الرق إلى عز العتاق . وردّه إلى الفرنج راكبا على فرس ، ولم يرقطه ولا أسره ، حيث رأى نفسا مرتنه بنفس . وسأله خدام أولاده الصغار ؛ أن يأذن لهم فى تجريب سيوفهم بجرح الأسارى الكفار . فلم يأذن لهم فى ذلك وأباه ؛ فأرضى كل منهم — بامثال الأمر — أباه . فقيل له : « لأى سبب منعهم من ثواب الجهاد المغنم ؟ » فقال : « لئلا يثرتوا من الصغر على سفك الدم » . فانظر ما تحت هذا القول من الرأفة والكرم .

---

(١) لداته : جميع لذة وهو الترب الذى نشأ وترى منك .

## ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام

أول من قدم من العسكر الإسلامية علم الدين سليمان بن جنتر ، وكان يجلب المقدم المؤمر ، وهو شيخ له رأى وتجربة ، ومنزلة كريمة ومرتبة ، ومعه حصنا عزّاز وبغراس (١) . وللسلطان بقربه ومجاورته الاستئناس . فقدم في شهر ربيع الأول في عسكره ، وأبيضه وأسمره ، ويبيضه ومغفره ، وجنى جنته وسنى سنوره . وجلبه ولجبه ، وزمره وعصبه ، ويبارقه ويلبه ، ويوارقه وسبحه .

وقدم في ذلك التاريخ بقدمه الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه - صاحب بعلبك ، وقد استصحب معه مماليكه الترك ، وقد نوى بالمشرّكين الفتك ، ولسترهم الفتك ، وللمائهم السفك . فوصل بقواطعه وقواضيه ، وصوافته وسلاحيه ، وطلائمه ومقانيه ، وحضر من المحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه . وقد زين ليل القساطل من أسنة العوامل بكواكبه ، وأظلم جواده ليرد به حماء أهل الكفر ، فإنه يمدّها من مشاربه ، فمن ذلك اليوم من القادمين والمستقبلين (٢) بذلك القضاء ، جيش زرت الربا عليه جيوبها وغطته من العجاج بالرداء ، وجرى ذلك الوادى من (٣) الأجناد والأمراء بسيل خيل ترد دائماً الدماء . وخرق ذلك الخرق أرعن في حاقاته الخرق ، ومن عاداته بعلاته الخرق ، ومن آفاته عند موافاته من فرق الكفر الفرق ، ومن علاقته عند الظماء أن لا يرويه إلا الملق ، ومن صباهته بالسيز إلى عناق الأعداء بسواعد سيوفه الخيب (٤) والعنق (٥) . ومن شيمته عوض التغلف

---

(١) بغراس : مدينة في لخم جبل الكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في المنطقة المظلة على نواحي طرسوس ( ياقوت ج ٤ : ٤٦٧ ط.ب ) .

(٢) في أ ( ٢٨٧ ش ) المستقبلين .

(٣) في ب مع والتصحيح من ل ومن أ ( ٢٨٧ ش ) .

(٤) الخيب : ضرب من الجرى .

(٥) العنق : السير السريع .

بالعير التضمخ (١) بالنجيج ، ومن ديمته وبل التبل من الأحلاق والنواظر  
في نواضر حقائق الربيع . ومن صنعته إسماء حنين الحنية بسهمه ، وإسماع  
أنين المنية لخصمه . وجلونا في ذلك اليوم فوارس لا عرائس ، وقوانس  
لا عوانس .

وقدم بلر الدين مودود والى دمشق بعد ذلك في سابع عشر شهر ربيع  
الآخر ، وبشر بورود العساكر ، ووصول الجمع الوافر .

---

(١) التضمخ : تقيح بالليب : تطفح به .

ذكر وصول ملك افرنسيس لنجدة الفرنج على عكاه واسمه فليب(١)

وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل ملك افرنسيس إلى القوم وصان حبلهم وشملهم من البت(٢) والشت(٣) ، وكان وصوله في بطس ست ، حملت من الفرنج كل ذى شوْم ومقت . وقد كانوا يهدون بوصوله وصوله ويقولون لنا من تهديده ووعيده ما يجرى على قوله . وأنه إذا جاء ؛ حكم وأحكم ، وتقض وأبرم ، وقدم ما قدّم به من المال وأقدم . ونحن منه على مواعدة ، فهو يأتينا بكل نجدة مساعدة ، وجدة عن الفقر مبادلة . فقلنا لهم : « ربّ صلف تحت راعلة ، وما هذه الأراجيف منكم بواحدة » . فلما وصل في العدد القليل ، والنظر الكليل ، أصبغت قلته ، وتشابهت عندنا عزته وذلته . وقلنا : « ما يكاد تصل صولته ، أو تلوم دولته » .

---

(١) هو فليب أغسطس ملك فرنسا وأحد الزعماء الذين ساروا بدم مزيمة حلين سنة ١١٨٩م في الحرب الصليبية الثالثة (مذكرات تاريخ الصور الوسطى في أوروبا والشرق لحمد رفعت) .

(٢) البت : القطع .

(٣) الشت : التفرق .

## ناحية

وكان مع هذا الملك باز أشهب ، كأنه عند إرماله نار تلهب . ففارقته  
يوم وصوله ، بحيث عجز عن حصوله . وأقلت من يده وطار ، وحشا  
حشاه الباز الذى نار النار . ووقع على سور عكا ، وحزن الملك يوم سروره  
بفراقه وأبكى . واستجابه فما استجاب ، وأبى وما أبى ، وثبت وما ثاب .  
فبصر به أصحابنا فأخفوه ، وإلى السلطان أنقلوه . فأبى للسرور به  
الامتزاز وجمل بتشريفه بزة من بز الباز ، وأظهر به احتفالا ، وعلمه  
للفقر والمنحة فالأ . وبلل فيه الملك ألف دينار فما أجيب ، ولأزهب له  
ولا هيب ، وما بيع ولا عيب ٥

### خبر نادرة في غنيمة وافرة

كان المستأمنون من الفرنج إلينا ، تسلموا براكيس يغزون فيها ويمجرون بحواربها ، وينهضون بسواربها ورواسيها ، وينهشون بعقاربها وأفاعيها . ووصلوا إلى ناحية من جزيرة قبرص يوم عيدهم ، وقد جمع القس في كنيسة لأهلها شمل قريتهم وبعيدهم . فصلوا معهم فيها صلاتهم ، ثم أغلقوا أبواب الكنيسة عليهم ليأمنوا إفلاتهم . وأسروهم بأسرهم وسبوهم ، ويقتوهم من البلاء بما أتوهم به ويلوهم . وكنسوا كل ما كان في الكنيسة ، من الأعلاق النفيسة . وقسوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم إلى براكيسهم .

ولاذوا باللاذقية وباعوا بها كل ما أدخلوه من البيعة . ومن الحملة سبع وعشرون نسوة سبايا ، وصبيان وصبايا . فباعوها رخصا ، واقتسموها خرصا (١) ، وزادوا بما نالوه حرصا . واستغنوا بما استغنموه . وأثروا بما أثاروه وأثروه . وفرحوا بما راحوا به من مغنم ، وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم أربعمئة درهم .

وفي سادس عشر شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية السرية فانقطعوا قطيعا من غنم الفرنج غنيمة ، وخالطوهم في خيامهم وأمطروهم من وبل النيل ديمة . وركبوا بأسرهم ، بنخلهم ورجلهم في لأثرهم ، فلم يظفروا بطائل ، ولم يرجعوا بحاصل .

---

(١) خرصا : كلبا .

خير وصول ملك الانكثير (١) واسمه ليجرت (٢)

إلى قبرس (٣) واستيلائه عليها

وصل الخبر أن ملك الانكثير وصل إلى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر في الجمع الوافر ، حاملا جموعا كالسيل الجارف في البحر الزاخر . وتقدمته إلى الجزيرة ، مراكب وشواني على قعد الجريرة . فخرج صاحب قبرس إليها ، واستولى عليها ، وغنم أموالها ، وصدم رجالها . فلما وصل أرهف حد عزمه ، وأقصى فيض غيظه إلى غيض حلمه ، وهو مغضب غير مغض ، مريض من ألم الحقد ماله سوى التشفي شاف مريض : فلبث مفكرا ، ومكث متحيرا . وتروى متخيرا فرأى أن قبرس في يده ، فاستن من جلده في جده . وناشب القتال ، وواظب الزال ، وقارع بالنصال النصال . وحلت المناياحباها لاحتواء البيض بالاعتناق ، واعتناق الغلاظ مع الرقاق .

ونفذ يطلب من الفرنج على عكاه نجدة ، ليجد بشلة ويوجد شلة . ففعلوا له جفري أخوا الملك العتيق (٤) ، في جموع مترافقة الرقيق . وامتدت الحروب ، واشتدت الكروب . ورأى أن فريضة تعول ، وأن حالته تحول ، وأن شغله يطول . واتفق أيضا أنه كان رام الروم من الفرنج الفرج ، وخطب كل واحد من ضيق الخطب المخرج . فتراسلوا في الصلح ، وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنى السلام إلى أسفار الصبح .

واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكثير ، وإقفا بما تم من التقرب

---

(٢٠١) ملك الانكثير ليجرت : هو Richard قلب الإسم ملك انكلترا ابن هنري

الثامن وقد تم الصلح بينه وبين صلاح الدين سنة ١١٨٩ م بعد مراسلات عدة .

(٣) قبرس : هي جزيرة قبرص الموجودة في شرق البحر الأبيض المتوسط وقد حصلت على استقلالها منذ قليل .

(٤) الملك العتيق : هو كمي كما جاء في كتب المؤرخين العرب وهو Guy of Lusignan

king of Jerusalem وقد أسره صلاح الدين يوم حطين وقتل أسره بعد أن أقسم أن لا يباريه .

والتقريب . وحمل له هدايا ، ونحفا سنايا . ووسع له الأزواد ، وبذل له  
الأمداد . فأخله في مأمته ، وأبرز له مكره من مكمنه ، وغثه ثم غلّه  
وشده وما حله ، وجازاه لما أعزه بأنّ أذله ، وغادره بغلره في القد  
والقيّد ، وما بطشت يد عادمة إلا يد كيّد الكيّد .

واستولى بالاستيلاء عليه . على تلك الجزيرة ، وغرق في جمات أمواله  
الغزيرة . وسيأتى ذكر وروده وما تم به لأحزاب الشيطان وجنوده .

وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الأحد ، وصلت من ثغر بيروت  
كتب مبشرة بالنجح المتجدد ، وهو أن أصحابنا أخلوا عند الثغر بمراكبهم  
للغازية في البحر من مراكب الانكبيز خمسة وطراة ، ولم تكن لولا إباء  
رجالها للضم معتادة ، وبغزام القهر مقتادة . وكان فيها خلق كثير من نساء  
ورجال ، وذخائر أخاير من عدة ومال ، وأثقال وأثقال ، وأخشاب وآلات  
وأحمال وأحوال . وفي الطراة أربعون رأساً من الخيل الجياد ، قد جلبوا  
البلاء بجلبها من البلاد . فحيزت وحيزوا وأجيزت إلى بيروت وأجيزوا ،  
فأما السبايا فقد أخرجن على البيع بالثمود والنساي (١) ، وأما الأسراء فقد  
عمتنا بخصوص ضرائهم السراء .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى زحف العدو إلى البلد ، بالحد  
والجلد ، والعدو والعدو ، والمدى والمدد ، والجمع المحتشد ، والجمر المتقدم .  
والبيض واليب ، والبيض والقضب ، والسمر السلب ، واللجب والجلب .  
والصباخ والضجيج ، والعجاج والعجيج ، والوشيج بالوشيج ، والأمر  
المريج . والقصد بالقصد (٢) ، والزغف والزرد . والحديد والعديد ،  
والقريب والبعيد ، والاتباع والعيّد . والأوباش والأوشاب ، والكلاب  
والذئاب ، والسباع والضباع ، والضواري الجياع . والأسود والأسود ، والزرقي  
والحمر والسود . ودبوا وذبوا ، وشبوا وسبوا ، وصابوا وصبوا ، ونابوا  
ونبوا ، وعبروا وعبروا ، وجابرو وجبوا ، وزحموا ورجموا ، وأقلموا وتقدموا .

---

(١) النساي : البيع بالأجل وأناً في البيع ، باه وآخر له دفع الثمن .

(٢) القصد : جمع قصد وهو القطة ما يكرر .



وقلموا سبعة مجانيق وقربوها ، ونصبوا فيها ونصبوها : فعلت كأنها قلاع ، وارتفعت على التلاع كأنها تلاع . وهي في الجو مترامية ، وبالجو رامية ، وفي السماء سامية ، ولأهل النار الحامية حامية . مرتفعة على مرافعها ، متقلعة بمقالعها . متفضة أحجارها لانفضاض الجدار ، متفضة أسوارها لانفضاض الأسوار . حاصرة حاصبة « عاملة ناصبة . قائمة قاعدة ، بارقة راعدة . صادة صادعة ، صارمة صارعة . حبالى من الجبال أجتتها ، وحنايا للحنين على سهامها من الحجارة رنتها . ومواضع في حجورها الأحجار ، ومرايع تنهد بدوائرها الربوع والديار . حوامل على الطلق ، صواطل بالفلق على الخلق . مطايا للمنايا ، روايا لخباياها البلايا .

في كفاتها آفاتها . وفي حركاتها إدراكاتها ، وللتعليب علباتها ، وللترهيب جذباتها ، وما أعظم جنابات جنادها ، وأظلم غوايات غوائلها . وهي الروائم الروامي ، والحوائم الحوامي . والموادم بالموادى ، والصوامد بالصوادى ، ودواعى العوادى ، ونواعى النوادى . والنواعب بالنوى ، والجواوب بالجوى . والصواوب بالمصائب ، والنواوب بالشواوب . إذا جلبت جلبت ، وإذا قلقت أقلت ، وإذا طوحت طوحت ، وإذا حطقت حطقت . وإذا أطارت أبارت ، وإذا ألقت ألقت .

فشق على أصحابنا بالبلد شقاقها ، وكادت تفتح إليه الطرق طوارقها وطراقها . فاستصرخوا بنا واستنهضوا ، وحضوا على حفظنا وحظهم وحرصوا ، واستنفروا واستنصروا . واستعدوا واستعدوا . فأصبح السلطان راكبا في العساكر ، طالبا شغل العدو الكافر ، الحاضر الحاصر . وسير من كشف هل للعدو كين ، أو كيد دفين . ثم وقفت للعساكر عنه ومر إلى تل الفضول بالقرب ، وشاهد المجانيق وكيفية رفعها والنصب ، ونكايتها في الضر والنزب . وعرف أماكن القتال ، ومكان الرجال ، وكلما شاهد الفرنج عسكرنا قد أطل وأظل ، ذل جمعهم وكل ، وترك الزحف وانقل . وإذا عاد عادوا وعدوا ، وأناروا في الحرب وأسروا .

## قصة الرضيع

كان لصوصنا في الليل استلبوا طفلا من يد أمه ، وفطموه رضيعا له ثلاثة أشهر في غير أوان فطمه ، واستحلوا بحكم الجهاد في جنح الظلام جناح ظلمه . وفجعوها بواحدنا وساعدها ، وكلدوا صفو مواردنا . وقطعوا عنها فلذة كبدها ، وأسعروا عليها جلوة كمدتها ، وحرموه درّ لبنها فلدرّ دمها . وأبعده عن مناغاتها ومناجاتها ، فوقر عن كل حديث سمعها .

فخرجت والمه ، وللحياة كارهة ، وللخذ خادشة ، وللوجه خامشة . معولة مولولة ، مذهلة مشتتة : قد شُدت (١) ودهشت ، وتاهت واستوحشت . قد سلب عقلها ، مذ سلب طفلها . وغاب ذهنها ، مذ غاب ابنها . وتكرر بالحنين والأثين ترجيعها ، وتردد للقلوب مما فجأها ، وفجعها من الكروب تفجيعها . وهي نائمة في كل ناحية ، نادية في كل ناد ، نادية لكل فؤاد ، عادية في كل واد .

فلم يشعر السلطان إلا بامرأة بالباب واقفة ، وبالنحيب هائفة . وللدموع حادرة بتصاعد أنفاسها ، ومن الخلق مستوحشة للهاب استئناسها . قارضة صلرها بتطيعها ، ضارعة لفقد رضيعها ، معولة على الطفل معولة على اللطف ، متكررة من التكر متعرفة إلى العرف .

فأحضرها السلطان وهي ياكية ، ونارا كئيبها ذاكية . تتحدر عبراتها ، وتتصعد زفراتها ، وتلهب حسراتها . تيكى ييكائها ، وتشتكى من دائها ، وتشد ضالتها ، وتطلب مهجتها ، وتسأل عن حشاشتها ، وتشتعل نار قلبها على فراشتها .

فلما شاهدها السلطان حربية حزينة ، مسكينة مستكينة ، متعجئة متعجئة مولعة مولعة ، موجة متوهمه . سمع شكواها وفهمها ، ورثى لبلواها ورحمها

---

(١) شئت : دهشت .

ورق بلطفه للطفل الرقيق ، وسلك بفضله طريق التوفيق . وطلب الرضيع ،  
ف قيل له إنه يبيع وأضيع . فإن آخذه باعوه بثمان نخس ، ولم يعرضوه في سوق  
يز ، ولا سوق نخس . فما زال يبعث ويبحث عنه ؛ ويلوم باذله كيف لم  
يصنه ؛ حتى جىء به في قماطه ، وقد كاد يلف في عباءة اعتباطه .

فلما أبصرت واحدتها ؛ ضمت عليه ساعدها . ودعت وعدت ،  
وشدت يدها به وشدت . فأعادها وبنوالة أفادها ، وبرد حرها برد روحها ،  
(وأما ما أساء (١) الأمي (٢) من جروحها وقروحها ، وروحها بروحها ، وفرع  
حوجها ، وأغناها بغنائها ، للشكر عن نوحها . وظهر سر سرورها عليها  
يروحها ، وشيع معها من أوصلها إلى موضعها ، وقد اجتمع شمل المرضعة  
يمرضعها . وما رد الطفل إلا بعد ما اشتراه من مشتره بثمان يرضيه ، (وهذه  
خادرة (٣) من جملة أبياديه .

---

(١) في أ (٢٩٣ ش) أساءه .

(٢) في أ (٢٩٣ ش) « وأسى ما أساءه الأمي » أما في ب ول « وأسا ما أساء الأمي » .

(٣) ما بين المقوسين ساقط في أ (٢٩٣ ش) .

## ذكر انتقال السلطان إلى تل العياضية

لما أصر الفرنج على مضايقة عكاه في كل يوم ؛ وخطبوا متاع متابعهم في ابتياعها بكل سوّم ؛ وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل خوض وعوم ؛ وداروا حول حمى دارها بكل حوم ، ولم يكن بد من ركوب السلطان بالعاكر إليهم في كل بكرة وعشى ؛ ولذعاب القوم بكل حد مرهوب وجد غشى ؛ وكانت المسافة نائية ؛ والآفة دانية ؛ انتقل السلطان إلى تل العياضية ، بعساكره وأنقاله بالكلية ، بالعزائم والصرائم للماضية المضية ، الراضية المرضية .

ولم يكن انتقاله دفعة واحدة ، بل مهد له قاعلة . فإن يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى بلغه أن القوم قد عاودوا العوادي ، ورفعوا من ضلالتهم الموادي . وضابقوا البلد أشد مضايقة ، وعالقوه أجد معاقلة . فأمر بالخواوش حتى نادى ، وباكر العدو بالعاكر وغادى . ووصل بالفارس والراجل إلى الخروبة وقوى اليزك ، وألزم المقتمين والأمراء بحفظ نوبهم الترك . وقدم جماعة من الخيل لعل العدو إذا عاين قتلها خرج بالكثرة ، وتورط في العثرة . فلم يشغل بها بالا ، ولم يلتفت إليها جنانا ، بل تصرف على عناده ، ولم يصرف نحوها عنانا .

واشتد على البلد زحفه ، وامتد عسفه . فساق السلطان بالعاكر وهجم ، فترك (١) العدو الحصار وأحجم . فلما جاء الظهر رجع العدو إلى مجثمه ، والسلطان على قصد العود (٢) إلى خيمته . ولما وصل إلى تل الخروبة ؛ ونزل في خيمة لطيفة لأجله (٣) مضروبة ، وصل من اليزك من أخبره أن العدو لما علم أنه قد انصرف ، عاد إلى أشد ما كان فيه وزحف ، وأنه قد أربع

(١) في ب و (وترك) وللمذكور من أ (٢٩٤ ي) .

(٢) في ب و العدو والتصحيح المذكور من أ (٢٩٤ ي) .

(٣) في أ (٢٩٤ ي) له .

وأرغف ، وأرهق وأرهف ، وألمى وألب (١) وألف . وأرهب وأرهج ، وأعجز وأزعج . وثار وأثار ، وألحم الملحمة بثاره وأثار .

فبعث السلطان هنا الخبر على أن بعث إلى العساكر بالمخيّم فأعادها ، واستنهض إلى القريسة أسادها ، وأجرى في حلبة الحمية جياها . ودعاها إلى طعن يبرح بالنوابل ، وضرب يرنح أعطاف المناصل ، وأمرها من الحرب بأمرها ، وأدارها من مرى أخلاف الدم بأدرها .

ثم سار آخر ليلة الأربعاء عاشر جمادى الأولى إلى تل العياضية قبالة العلو ، وضرب خيمته بأعلاه ظاهر العلو . والعلو بالحضر والزحف مصر مضر ، وعلى عنائه وعناده مستمر . والسلطان في كل يوم يصايح القوم بالقتال ويماسيهم ، ويرأوهم ويغاديهم ، ويفاتحهم ويأديهم . بضرب كما اشترطته حدود القلبا ، وطعن كما اقترحته كعوب القنا . وقتك كما تمتت المنية ، ورمى كما حنت إليه الحنية . هنا ومجانيق الكفر على النى مقيمة ، وللرمى مديمة . وبالأحجار متقاطرة ، وعلى الأقطار حاجرة . وللجلايد بالجلايد قارعة ، وللصخور بالصخور قالعة .

وتمكن الفرنج بها من الخنلق ، فدنوا منه دنوا المحتق . وشرعوا في هجمه ، وأسرعوا إلى طمته . وداموا يرمون فيه جثث الأموات ، وجيف الخنازير والدواب النافقات . حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم ، ويحملون إليه موتاهم . وأصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد اقتسموا فريقين ، واقتروا قسمين . فريق يلقى من الخنلق ما ألقى فيه ، وفريق يقارع العلو ويلاقيه .

---

(١) ساقطة في ب شيتة في كل من ل وا (٢٩٤ هـ) .

## ذكر وصول ملك الانكثير

وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور ، أشاع أشياع الكفر سر السرور ، وعقدوا حبا الحبور . ووصل ملك الانكثير ، وأظهروا أنه في الجمع الكثير ، والجم الغفير . وكانت معه من الشواني خمس وعشرون قطعة ، كل واحدة منها تضاهي تلة ، وتوازي قلعة ، وأحدث في القلوب روعة ، وأرث في النفوس لوعة .

ولمت لنا من خيامهم تلك الليلة نيران زائفة ، وأنفاس للشرار متصاعدة : وألسنة للشعل فضاضة (١) ، وأشعة على الجو مفاضة . فكأنما أوردت الجحيم لقدم وارد نارا ناراها ، وأوصلت لوصول أولئك الشرار شرارها ، وأورث (٢) لهم أوارها . وشاهدنا تلك البسيطة قد بسطت على أهل الدياجير (٣) الأضواء ، وهتكت عنها هتك سر الظلام ضلالهم الظلماء .

فعرفنا كثرتهم بكثرة نيرانهم ، ولما كانوا من أهل النار ( قامت النار (٤) ) بيرهانهم ، وأتهمم باتيانهم ، وأضافهم في مكانهم ، وملك الملك بأمره أمرهم ، وأرأهم أن ييده نفعهم وضرهم . وملأ عين الملاعين ، وأطال لظاولهم أشطان (٥) الشياطين . وحفر للمكايد آبارا ، وأثر في المكر آثارا ، وأرث للشر نارا ، وأثار لنصرة النصرانية ثارا .

وتحدث الناس بمحدثه وحديثه ، وبما تأثرت القلوب به من تأثيره وتأثيره ، وارتابوا وارتاعوا ، والتاحوا (٦) والتاعوا . وغدت الألسنة ترجف

---

(١) نضاضة : النضاضة من الحيات التي أخرجت لسانها تحركة ، والتي لا تستقر في مكان أو التي نهشت فقتلت من صاحبها ، والمقصود متحركة قاتلة .

(٢) في أ (٢٩٥ ش) وود .

(٣) في أ (٢٩٥ ش) للدياجر .

(٤) سابقة في ب مبيته في ل وأ (٢٩٥ ش) .

(٥) أشطان : جمع شطن وهو الحبل .

(٦) التاحوا : عطشوا . التاعوا : احتلقت قلوبهم من ألم ، وكانت بها لومة .

والقلوب نجف . وكاد الباسل يحين ، والباطل ينحش : والحق يلين ، والدين يلين .

والسلطان قوى الجنان ، روى الإيمان . صاف يقينه ، واف دينه . شاف نصحه ، كاف نجحه ، مسفر لعين الاسلام صبحه ، مسرف في قلب الكفر جرحه . ماض حزمه ، قاض حكمه ، مثبت جيشه بثبات جاشه ، عامل لمعاده ، ونصر الحق في معاشه . متأن في تفكره ، متأت في تدبره . متوكل على ربه في نصرة دينه ، متوسل إليه في تأييده وتمكينه . لا تروعه المخافات ، ولا تخيفه الرائعات . ولا تززع الخطوب طود وقاره ، ولا تقض التوائب خنم ذماره . ولا يلين للشدائد ، ولا يستكين للروائح الرواعد . وكم سكن الإسلام بحركاته ، وأخصبت الأيام ببركاته ، ونام الأنام ليقظاته ، وأمنت مصر والشام بنهضاته .

فما راعه ما عرا ، وما درأ حزمه لما درى . ولارد وجهه عما قصد ، ولا صدف رأيه عما عليه اعتمد ، بل ازداد قوة بصيرة ، وازدان بصريرة لكشف أسرار الغيب مستتيرة ، وعمد إلى السماء فاستعار من أنجمها أسنة الذبل (١) ودلف في الأرض فوهب قريبا للقسطل . وأعلم ملك الانكثير أن جمع كفره للتبشير ، وأن نشاط سره للتفتير ، وأن أسنة أهل التوحيد ، ولعة من ثبور أهل الاشرارك بهتك الستير .

وركب في مراكب حلت المنايا الحبا في كتابها ، لتحجب أعناق العدا وطلاها وتصل بقواطعها وقواضبها ، بخيل تأبى الضيم مثل إنياته ، وفخر منار النقع ينوب عن لوائه ، ووجه كالمع البرق في ضيائه ، وقاب كصدر الضرب في مضائه .

وأقام السلطان على هذه الحالة ، ساميا في مطالع الجلالة ، لم ينقض سلاحه ، ولم يخفض جناحه ، ولم يركز رماحه ، ولم يردع للروع مراحه .

---

(١) اللبل : جمع ذابل : الطويل ويقال في لاسق بالبط ذابل أي وسع دقيق .

## ذكر غرق البطسة

كان السلطان قد عمر في بيروت بطسة ، وزادها من العدد والآلات  
يسطة . وأودعها من كل نوع ميرة ، وملأها غلة وذخيرة . وأركب فيها  
زهاء سبعمائة رجل مقاتلة لعا ، من كل من طهر وتزكى ، وشكره  
الإسلام إذ الكفر منه تشكى . فلما توسطت ثبج اللجة ؛ وتورطت على نهج  
المحجة ؛ صادفها ملك الانكثير بحكم قضاء الله والتقدير . وأخذت بها  
شوانيه ، وعدتها عواديه . وقاتلتها نصف نهار ، وهى لاتدعن لاقتسار .  
فأكبت من العدو مراكب ، وجبت لها غزارب . وأخرقت وأغرقت ،  
وهتكت وخرقت ، وفرت وما فرقت . وقتل من الفرنج خلق عليها ،  
وما امتدت يد علوانهم إليها .

فلما يشت من سلامتها ، وزلت عن اسقامتها ؛ وانحلت عرا وثاقها ؛  
وانحطت ذرا اعتلائها واعتلاقيها ؛ ومالت إلى الاستسلام ، وجالت على  
الاصطلام ، قال مقلعها : « علام نسلمها والموت بالعر خير لنا من الحياة  
بالذل ، والشح بالدين أحب إلينا من البذل » ، فنزل إلى البطسة فخرقها ،  
ومانع عنها حتى أغرقها . وسعد أهلها ، وافترقت وسيجتمع في دار النعم  
شملا .

ووصل إلينا خبرها اليوم السادس عشر من جمادى الأولى فقلنا :  
« الدهر يومان نعمى ويومئى ، وما يزالان على ذلك حتى يزولا » وكانت هذه  
الوقعة أولى حادثة للوهن محدثة ، وللهم مورثة ، ولنار الأسمى مورثة .



## ذكر حريق الدبابة

وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هائلة ، قد أظهرت لها في الشر غائلة . ولما أربع طباق ، شدها على الارتباط باق . ولما من الإحكام باس ولباس ، وهى خشب ورصاص وحديد ونحاس . وة بوها إلى أن بقيت بينها وبين البلد أذرع خمس ، وفي طباقها سباع ضوار وذئاب طلّس<sup>(١)</sup> . وبلى البلد منها بكل بلية ، ورزى بكل رزية . وكانت هذه الدبابة على العجل ، ليقربوا بتقريبها أسباب الأجل ، فباتت القلوب منها على الوجمل .

وكاد أصحابنا يطلبون الأمان ، وخضع كل أبى واستكان ، فقارعوا عندها أشد قراع « وماصموا<sup>(٢)</sup> أجد مصاع .. وتوالت عليها من مساعير الرهط ؛ قوارير النفط . وهى تضرب فى حديد بارد ، وتضرب عن كل شيطان مارد . وتنبو عن الإحراق ، وتُسبى عن الإخفاق . حتى بمرت قارورة انقضت على شيطانها كالشهاب ، فأخلت الدبابة وقلوبهم قبل جسمهم فى الالتها . فعوذناها بسورة (والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى<sup>(٣)</sup>) فجاء من انقلاب القارورة قرار القلوب ، ومن حرّ أنفاسها برد النفوس ، وكشف شعاعها ظلم الكروب ، ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبؤس البؤس . وأنارت نارها لنا بكل نور ، ولهم بيوار قوم يور .

ودبت شعلها فى أضلاع الدبابة وجنوبها ، فأحرقها الله لإحراق أهلها بدنوبها ، وكما أضاعت الآفاق بنيرانها ، أظلمت بلدانها . فجأت لنا بياض النصر فى السواد ، فكأنه سواد الناظر أو سويداء القوّد ، بل سواد المداد يأتى من أنواره بالإمداد . فجلا حريق هذه الدبابة جدأ قلوبنا المغتمة بالبطسة الغريقة ، وأحمت نارها فى حماية الحق حماية الحقيقة . فقامت أحترقت الدبابة يوم وصول خير غرق البطسة ، فكان تسميتاً لتلك العطسة .

(١) طلّس: لونها تغير إلى سواد .

(٢) ماصموا: قاتلوا وجالدوا .

(٣) الآيةان ١ و٢ سورة النجم .

## ذكر وقعتات في هذا الشهر

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكاء عند زحف العدو دق الكوس حتى إذا سمعناه جلدنا في الزحف إلى العدو بالنفائس والنفوس . ولما أصبحنا يوم السبت التاسع عشر من الشهر سمعنا من كوس البلد نعراته ، ونظرنا من جانب العدو مثارغبهاته . فعلمنا بزحفه ، وعلمنا في حظه ، وضرب الكوس السلطاني لإصراناً لصراخ ذلك الكوس ، فتمايلت أعطاف ذوى الحمية من حيا العزائم لامن حيا الكؤوس .

وركب السلطان في كل مشمر للبرد (١) مضمر للجرد ، ففضاض السرد (٢) ، قضقاض كالأسد الورد ، مشتاق إلى الطرد ، ملتاح من ماء الوريد إلى الورد ، من الترك والأكاديش والعرب والكرد . يهوى إلى الأقران هوى المصلتات إلى الرقاب ، ويظلم إلى إرواء الأسل الظماء فيطيل صدى الخيل العرب . وكل ثمل كأنه تزييف الحميا ، يعيد السماء من الأرض بركضه شاحبة الحميا . وكل ضرب تكاد تفيض مضارب نصله من خفة الطرب لولا وقاره ، وكل طلاع مع النوب لاينام ثاره ، ولايثبت في الجفن بغراره . وكل منصلت (٣) ينير في ظلام العجاج بنجوم الأسمه ، وكل مطرد يعيم السوابج السوابق في بحور الأعنة ، وكل رام فروج المأزق حتى تفرى بأيدي المناكى ، وكل شاك في السلاح مشكور في إشكاء الحق الشاكى . وكل مصمم مصم دعه غير محقة (٤) ، وسهامه غير محجة . وسيوفه غير مقروبة ،

---

(١) مشمر للبرد ، المشمر : الماضي في الأمور المهرب ، المجد أو الرافع لحيوه . والبرد : ثوب مخطط ، كساء من الصوف الأسود يلتحف به ، والعباءة كناية عن المشمر عن ساعد المجد في الحرب .

(٢) السرد : اسم لكل دوح وحلق .

(٣) المنصلت : من الرجال : الشجاع الماضي في الحوادث . ومن السيوف ، الصقيل الماضي

(٤) محقه : حقب المطراحيس ، استحقب الشيء : ادخره . الحقب : الحزام الذى

يلحق بالبر ، والمقصود أن دعه غير محبوسة بل عاملة مستخدمة .

وقبابة لمدامدة اجراء قبه (١) غير مضروبة .

وسار السلطان وقد اسودت لوقع السنايك جوانب جحفله ، وايضت  
بلمع الترائك مذهب قسطله ، واشتبهت في النقع ألوان خيله ، وامنت إلى  
قرار اللقاء أعناق سيله . فكأنما غارت الشمس من شמוש شمسه ، فتواتر  
بالحجاب ، وعد النقع في ويل النيل من حساب السحاب .

وولحت العساكر عليهم في خيامهم ، وحملت ليالي القنات إلى أيامهم ؛  
وغلت الصلور بما فيها ، حتى وصلوا إلى القلور على أنافها (٢) . وهتكوا  
وفتكوا ، وأدركوا وسفكوا . فراجع الفرنج ، واصطفوا على خنادقهم ،  
ووقفوا بقتارياتهم وطوارقهم . واجتمع عسكرينا لعلهم يحتمون ويمحاون  
ويعلتون من دماهم وينهلون . ودخل الظهر ، وحمل الحر ، فافترق الفريقان ،  
وتراجع إلى خيامهم الجمعان .

---

(١) القلب : يقصد بها هنا جمع أطرافه من قب الشيء : جميع أطرافه ، أو قب القوم :  
رفضوا أصواتهم في الخصومة .

(٢) جمع أنفة وهي الحجر يوضع عنقها القدر .

## وقعة أخرى

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر ، ضايق أهل الكفر البلد على الحصر . وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهة ، وكانت من أشدها وأجدها كراهية . غير أنه في هذه النوبة عذبت نوبة ، وكادت تتم كبوة : فلما تفرج لما تراجعوا عن البلد وجلوا فنة من عساكرنا (١) داخل مخادقهم ، فحملوا عليها بسباق رجلهم وراكبي سوابقهم . فانتشب الحرب ، واشتجر الطعن والضرب . وكثرت الجراحات ، وكثرت الاجترحات . واستشهد ممن عرف من المسلمين اثنان ، تسلمهما رضوان (٢) إلى الجنان ، وقتل من المشركين جماعة أسرع بهم مالك (٣) إلى النيران . ومن عجائب هذه الوقعة ، أن رجلا من مازندران (٤) من أهل الرفعة ، واصل في تلك الساعة وافدا ، واستأذن وقت السلام على السلطان أن يقدم مجاهدا . فحين شهد الوقعة استشهد ، فلقى الله بمعهده كما عهد .

---

(١) في ب عسكرا والصحيح المذكور من ل ومن أ (٢٩٥ ش) .

(٢) رضوان : أي خازن الجنة .

(٣) أي خازن النار .

(٤) مازندران : اسم آذربايجان ( ياقوت ج ١٧ : ٤١ ط . ب ) .

## وقعة أخرى

وفي يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارساً وراجلاً ، وراعماً ونابلاً . وامتدوا من جانب البحر أطالبا ، وتحزبوا في ذلك الفضاء أحزاباً . وركب السلطان من مجالس عادته ، إلى مجال سعادته ، موقناً أن أداء عبادته ، في إزارة العدو وإيادته . وتقلعت المقلعة وأقلعت ، وجحمت (١) نار إقدامها وما أحجمت . وما زالت نجوم النصول تنقض ، وتخوم النحر تنفض ، وعيون الميون ترفض ، ودبون النحول وحقوق الحقود تقتضى ، وأبكار الدروع بجلود الذكور تقتضى .

في شعواء حضرها التباب (٢) الغائب ، وكباء لما من اللوابل ذواب . وبجر تسبح فيه السوابح ، وشرب بكاس المنية منها المهبج غوابق (٣) صوابح . وغبراء أسود نبأها تتوائب عن عقارب القسي ، وثعالب لمازم صعادها تتلاعب في أرقام السمهرى . وذباب ظباها تطن في مسامع الذئاب ، وعقبان راياتها تحلق إلى مطالع السحاب . وغدران سوابغها تنفيض عليها جداول القواضب ، وغران (٤) سوابغها تنفيض في غطامط الغياهب . وأرواح أحمادها البارية عن الأجسام برية ، وقلوب آسادهما الضارية على الردى جرية .

حتى دخل على ليل النقع الليل ، وجرى من ديمة الدم السيل ، والتفت لما انضت بالخليل الخليل ، وأفرج المأزق عن قتلى جر (٥) عليها من السوافي الذليل . واستشهد من المسلمين بلوى وكردى ، (واكم وقع من المشركين

(١) جحمت : اضطربت .

(٢) التباب : نقص والحسرة والملاذ .

(٣) الغوابق : جمع غبوق وهو ما يشرب في الشئ بخلاف الصبوح .

(٤) غران : جمع الأغر ؛ من الخيل ما كان له غرة .

(٥) غطامط : عظم الموج . والسوابق ؛ الخيل التي تكون في المقدمة .

(٦) في ب جرى والتصحيح من ل .

ورد رديّ (١) ، له في المأوية هوى ، وعليه (٢) من زفير جهنم هوى .  
 وأسّر من العلو فارس بفرسه ، ولأتمته وقونسه (٣) . وتفرق الفريقان عن  
 المعترك عند معتكر اللجى ، وقد عم من الشجب ماشجا .

---

(١) ف أ (٣٠٠ ش) ولكم من المشركين رديّ .

(٢) ف ب عليها والتصيح من له ومن أ (٣٠٠ ش) .

(٣) قونسه : القونس أو القنس بكون النون : أمل الرأس ، والقونس والقونوس

- بكون القوار - أمل يضة الحديد ، وعظم ناقة بين أذن الفرس .

## وقعة أخرى

وأصبح العلو يوم الأحد التاسع والعشرين ، وقد أخرج من جانب  
النهر راجلا في عدد رمل ييرين (١) بقواطع ييرين . وقواضب يفرين ،  
وطوالع غروب في الطلي يفرين ؛ وبالردي يفرين ، وانتشروا عمتلين وامتلاوا  
متشرين . فلقبيهم اليزك بكل من يزكيه عند شهوده مضاء كالقضاء ، ويوافقه  
القضاء في المضاء . وكل معتقل للرديني أنحف إلى الوضي من سنانة ، وكل مشتمل  
للمشرفي خضيب الغرا ريانة ، وكل ملتئم بعثرحصانه ، معتق لعطف مرآنة .  
وكل صبح كالصباح نضارة وجهه في شحوبه مدفونة ، وكل قارج على  
قارج شرارة عزمه في مكنونه مكنونة .

وامتد راجلنا أمامهم ، وأثبتوا قدامهم أقدامهم . وطلال القتال ، وطار  
النبال . وحاضت الذكور ، وفاض التامور . وأعمى العثير وعم العثور ،  
وأمرنا منا واحداً فأحرقوه فصحب نوره بين يديه إلى دار القرار ، وأسرنا  
منهم واحداً فأحرقناه فشبث به تلك النار إلى النار . وشاهدنا النارين في حالة  
واحدة تشتعلان ، والصفان واقفان يقتتلان .

وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرا أنهما لأخت ملك الانكبير  
وأنهما كانا يكتمان إيمانها في سر الضمير . وأخبرا أنها زوجة صاحب صقلية  
فلما ملك صادقت في الاجتياز بها أنحأها هذا الملك . فألزمها بأن تتبعه  
واستصحبها معه . وقلدا ما النجاة من تلك الفاجرة لنجاة الآخرة . فأكرم  
السلطان وفادتهما ، وأجزل بالإحسان إفادتهما .

---

(١) ييرين : قرية قرب حلب (القاموس المحيط باب الراء فصل الياء) .

ذكر المركيس ومفارقة القوم ووصف السبب في ذلك

وفي الاثنين انسلاخ الشهر ، ذكر عن المركيس (١) أنه هرب إلى صور ، وأنه كشف للجماعة المستور . ونقلوا وراءه قسوساً ، وألقوا عليه من الضلالة في الاستمالة دروساً . فبنا قبوله ، وانقطع وصوله .

وكان سبب نفاذه ، وموجب استشهاده ؛ أن (هنرى) كانت زوجته ابنة الملك الذى هلك والقدس في يده ، وعادتهم أنه إذا مات ملك ينتقل ملكه إلى ولده . وصواء في هذا الميراث ، بين الذكور والإناث . فيكون الملك بعد الابن إذا لم يخلف ابناً للكبرى ، فإذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى . وكان الملك العتيق (كى) أخذ الملك بسبب زوجته الملكة ، فعزلوه عن الملك لما احتوت عليه يد الملكة . وبقيت هذه زوجة هنرى ، فأصبح المركيس عليه يجرى ، ويقول : « لست من أهل الملك لتكون الملكة لك زوجة ، ولا بد لي من تقويم هذا الأمر حتى لا أبقي فيه عوجة » . وغصبها منه ، وصرفها عنه . واتخذها له عروساً ، وأحضر لنكاحها قسوساً .

وقيل لأنها كانت حبلى ولم تخرج من حباله الحبل ، فما شغلهم حرمة الرحم المشتغل . وادعى المركيس أن الملك انتقل بها إليه ، وأن أمر القرنج بشرعهم في يديه . فلما جاء ملك الانكثير تظلم إليه هنرى والملك العتيق ، فافتتح بذلك له إلى مؤاخلة المركيس الطريق . فاستشعر المركيس منه وماقر ، وأخذ معه الملكة وفر .

---

(١) في ب المركيس . والصحيح من ل .



## ذكر من وصل في هذا التاريخ من العساكر الإسلامية

وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الأولى قدم عسكر سنجار ، وقد صد بسواد عديده النهار ، وأفاض بياض حديد الأتوار ، ومقدمه مجاهد الدين يرفقش - الشهم الشديد ، والسهم الشديد . والألمى اللوذعى ، والكيمش الكمى ، والنقاب النقى ، والعف التقى . وهو ذو همة في الغزو عالية ، وعزمة بالمضاء المضىء حالية ، وقيمة في سوم السلطان لقربه غالية ، وسريرة خالصة صافية من الكلر خالية .

وأكرمهم السلطان في استقباله بنفسه ، وإقباله عليه بأنسه . وسار بعسكره إلى أن وقف تجاه العدو من جانب البحر مما يلي الزيب (١) ، وقد أحسن في عرضه التدبير والترتيب . ثم عاد في خلعة السلطان مكرماً إلى جنبه ، مقدماً على صحبه . فأنزله في خيمته وخصه بمواكلته . وتقدم إليه بالنزول في ميسرته .

وفي يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة ، وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة ، بالعدة الوافرة والقوة الظاهرة . مثل : علم الدين كرجى - الذى يسرع إلى لقاء أقرانه ولا يرجى ، وكسيف الدين سقرالدوى ، ذى الزند الورى ، والسيف الروى ، وأمثالهما من الممالك الناصرية ، والمساير الأسدية . أسد العرين ، الشم العرائن ، الفر الميامين .

وفي عصر هذا اليوم ، وصل علاء الدين ابن صاحب الموصل إلى الخروبة ونزل بها ، ليصل بكرة إلى المعسكر بالعساكر في أحسن أهبها . فركب السلطان إليه ولقيه وعاد : وكل لكرامته وضيافته الاستعداد . وأصبح يوم الخميس في خميسه ، سائراً بأساده في عريسه ، مقبلاً بكل فارس من جيشه فارس من خمسه . في غلب (٢) كأنهم أجادل والجياذ مراقبها ، وخيل

---

(١) في ب التيب والتصحیح من ل .

(٢) غلب : اعداد كثيفة ، والأجادل : جمع أجل وهو المقر ، أو الدرع المحكمة .

كانها اظلماء والتراثك كواكبها . ونقع (١) كأنه الأني (٢) والمقربات (٣)  
قواربه ، ومجر تصادم مناكب الآكام مناكبه ، ونملاً الوهاد طواله  
وغواربه . عاريات غروبه ، عاليات غواربه . يقال مذاكيه بأعباء عواليه ،  
كأنما نهضت لإذكاء نار الهياج حواطبه . وعبرت علينا كتابه ، وأعربت  
عن مناقبه مقابنه .

وتلقاه من أولاد السلطان الملك المعز فتح الدين إسحاق — وهو من  
جملتهم البحر بل الغيداق (٤). والملك المؤيد نجم الدين مسعود (٥) — وهما  
كاسمه مسعود مجلود . وتلقاه الأمراء والعظماء ، والخواص والأولياء .  
وساق على تعييته ، واجابته دعوة الإسلام وتلييته ، إلى جانب البحر ، ليرعب  
أهل الكفر . وعرض وتعرض ، وعلم العدو بأنه إليه نهض واستنهض .  
ولما انفصل السلطان أخذه معه إلى خيمته ؛ وأحضر له أسباب تكريمته .  
وأنسه بانبساطه ؛ ونظمه مع أصحابه في سمط سباطه . وأجلسه إلى جنبه ،  
وعقد له حبا حبه . وخصه بخلع وثياب ، وحصن عراب ، وما يليق به من  
كل باب . وانصرف عنه ونزل على ميمته ، نزوله عام أول في منزلته .

وفي يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة وردت من مصر كتبية ثانية ،  
صارفة أعنة خيلها إلى الجهاد ثانية ، ساطية على الكفر ببأسها جانية ، وقد  
علمت الوقائع أنها ثمراتها البانة من ورق الحديد الأخضر جانية . فما نزلت  
حتى عرضت على العدو مقابنها ، وأبرزت لعينه قناها وقواضبها . وأرنت  
برسل المنية إليه قسيها ، ثم جاءت وألقت بمضاربها عصيها . وكانت  
العساكر تتوارد ، والجمعوع تتواقد .

(١) تقع : الماء المستقع ، الثبار . والمضى الأول أنسب للسياق .

(٢) الأني : الذي أتى من حيث لا يهتدك .

(٣) المقربات : من الخيل التي يقرب معلقة ومربطة لكرامته .

(٤) الغيداق : الكريم .

(٥) الملك المؤيد نجم الدين مسعود : هو ابن صلاح الدين الأيوبي ولد بدمشق سنة ٥٧٢ هـ .

وتوفي سنة ٦٠٦ هـ (النجوم الزاهرة ٦ : ٢٦٢) و(تاريخ أبو الفداء ج ٣ : ١١٢) .

### ذكر ضعف البلد

والفرنج قد ضايقوا البلد مضايقة آيسنت نمته ، وأسلت القلوب عنه .  
والمجانيق قد رمت شرافاته ، وسمت إليها بأفاته ، وأعادت جوانبه  
مهلومة ، ونواجزه مهتومة . وانحطت عنه بمقدار إقامة ، فلم يتمكن أحد  
عليه من إقامة .

وضعف البلد والخلد ، وخلا بالهم عليه الخلد . وقد حفظ القوم من  
جانبتنا خنادقهم ، ووكلوا بها فياقتهم . ونحن لآلأوا في الجهاد جهداً ولاترك  
جداً ، ولا نجد من مضايقتهم بكل نوع بلداً .

وجاء الخبر أن ملك الانكثير قد أشقى من المرض ، وأشرف من  
المضض ، حتى حلق رأسه حلق لحيته ، واستلقى لانتظار منيته . فتبسط  
الله نوح وتثبتوا ، وسكنوا وسكنوا . إلى أن يركب فيركبوا ، ويثب فيثبوا .  
وكان في هذه الفترة للبلد بقاء رمت ، وزوال فرق . وانتعاش عثرة ، وانجبار  
كسرة ، وانطفاء جمرة ، وانسداد ثغرة .

## فصل من كتاب إلى صاحب الموصل

في شكر وصول ولده ووصف الحال في ضعف البلد

قدم علاء الدين - دام علاؤه - في مقلى الجنود الأنجاد ، ووقف  
اجتهاده على موقف الجهاد . وما أكرمه قائماً في المقام الكريم ، وعظيماً  
خاطباً دفاع الخطب العظيم . ووصل فوصل جناح النجاح ، وأنشر الصدور  
بما صدر به لهم من نشر الانسراح ، وجاء والكربة ذاهبة بالأرواح ،  
والحرب ساقية طلاء الطلى في صحاف الصفاح ، وقد برزت بنات الأعماد الذكور  
على أكف أكفاء الكفاح ، لتكاح الهام بالسفاح . وشارك في الجهاد وشد  
الأزر ، وسدد الأمر . وآزر وعضد ، وظاهر وأسعد . ولا خفاء عن العلم  
بحال الفرنج في هذه السنة ؛ واجتماع ملوكهم وكنودهم ، وتوافد أمداد  
حشودهم ، وقد استشرى شرهم ، واستصرى ضرهم ، وأعضل  
خطبهم ، واستفحل أمرهم . واشتغلوا منذ وصلوا بنصب منجنيقات ،  
وتركيب آلات ودبابات . وزحفوا إلى بلد عكاه يجمعهم ، ووقدوا بجمهرهم .  
وأخلوا فيه نقوبا ، وحكموا في الأسوار من الأسواء بضرب المجانيق  
ضروباً . والثغر الآن قد أشرف ، والعدو قد أسرف . وكلما زحف إلى  
الثغر زحفت العساكر الإسلامية إليه ، وهجمت عليه . والعدو بخندقه  
محتجز ، وفرصة الغفلة عنه متتهز ، ومن جثوم الموت عليه في مجشمه محتز .  
ولم يبق إلا أن تتلارك الله الثغر بلطفه ، ويحرره على المعروف من عادة نصره  
وعرفه .

والمجاهدون فيه قد هانت عليهم المهج ، ووضع لهم في ثبات جناتهم  
المنهج . وفي كل يوم يسون بأشلاء الهاجمين عليهم التلم ، ويجلون عنهم  
بما يشبونه من تيران الظبا الظلم .

والعدو قد لج ، والحديد من قرع الحديد قد ضج . والبلد مشف ،  
وبلاء عليه موف . ولأأمول من الله أن يأتي من نصره بما ليس في الحساب ،  
وأن يعيد ما جمع من أمر الأصحاب إلى الإصحاب ، ويكنى هذه النوبة  
الصعبة ، فهو كافي التوب الصعاب .

## فصل في وصف عسكر عماد الدين

وصلت العساكر التي وفت بعثتها المناجلة ، ووافت بعثتها التي جده (١) . وأقبلت لإقبال الآساد في عرين الوشيح ، وماجت موج البحار في غدير الزغف النسيج . واستهلت استهلال الرواعد البوارق ، وألّت بالعدا المام العوادي الطوارق .

ولقد جاءت في وقتها منجدة من جلة . موجلة للانتقام من الكفر بكل موجلة . واستظهر الإسلام بظهورها ، وسفرت وجوه النصر بسفورها ، فأحجم الكفر بإقدامها ، وانتظمت أحداق المشركين في عقود سهامها ، وخيمت مضارب المضاء بمضارب خيامها ، وقض بالقضاء ختام قتالها . وما أشكر الدين والإسلام لعزائم عماده وغيائه، وأبعث امداد الظفر لاهتراز نصل نصره وانبعائه .

## فصل فى الاستفار

قد عرف أن العدو قد احتشد بجميع ملوكه ، وغصت مسالكه وطرقه بطوارق سلوكه . وهو جديد الشوكة ، شديد الشكة . قد ليج فى حصر الثغر ونصب آلاته ، وركب عليه منجنيقاته . ووالى الضروب من الضرب ، وأخذ منه مواضع فى الثقب . وقد أشنى على خطر عظيم ، وخطب جسيم . وإذا لم يصل فى هذا الوقت فمى ، ومن أتى فى غير الوقت المحتاج إليه فما أتى . وهذا أوان رفض التوائى ، ونهوض المسلمين من الأقاليم والأداني . والوصول بكل ما يقتل عليه من السكر ، والظهور لمظاهرة المسلمين بالعزم الأظهر والجد الأوفر . وهذا يوم الحاجة وأوان الضرورة ، والنهوض بعسكره إلى قصرة عساكرنا المنصورة . فلا ينجح إلى عنر فللأعداء أوقات ، ولا يلتفت إلى غير هذا المهم الذى ليس للمسلمين إلى سواه التفات . وكيف يتأخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم ، ويتقاعد عن هذا المقام العظيم وهو عظيم .

## ذكر خروج رسل الإفرنج

كان قد خرج مذ أيام رسول ، وسأل أن يكون له إلى السلطان وصول . فاجتمع به الملكان العادل والأفضل ، وقالوا له : « لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل . وما كل مقصود عليه يعرض ، ليعلم في الأول هل هو مما يقبل أو عنه يعرض » . فأعلمهما الحال ، وعرفهما ماسبب الإرسال . فأحضراه بالنادى السلطاني فمثل بين يديه ، وأوصل تحية ملك الانكثير إليه . وقال : « هو يؤثر بك الاجتماع ، ولخطابك الاستماع . فإن أعطيت أمانا خرج إليك ، وأورد مقصوده عليك . أو شئت كان الاجتماع به في المرج ، خالين من مقتضيات المرج (١) . وكلاكما عن عسكره منفرد ، ولحدِيث في الخلوة مورد » فأجابهُ السلطان وقال : « إذا (٢) اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني وأنا لا أفهم بلسانه ، ونحيل بالبيان على ترجما وترجمانه . فيكون ذلك الترجمان رسولا ، فلعله يرد بسول ويصلر سولا » .

فلما لج في الطلب ، وألح في الأرب ، استقر أن يكون الحديث مع الملك العادل . وأن تنجح من عنده وسائل الرسائل . ودخل وقد أخذ أمانا ، وانقطع بعد ذلك زمانا . فشاع عندنا أن ملوكهم منعه ، ومن ركوب الخطر فزعوه . فأنفذ ملك الانكثير رسوله بعد أيام ، ينكر ما شاع من تأمر للفرنج عليه وأحكام . وقال : « الأمور مفوضة إلى » وأنا أحكم ولا يحكم على . ولما تأخرت بسبب مرض عرض ، فافاتني الغرض » .

ثم قال الرسول : « من عادات الملوك المهاداة ، وإن دامت بينهم الحرب والمعاداة . وعند الملك ما يصلح للسلطان فهل تأذنون في حمله موقبولة ، وأخذه من يد رسوله ؟ » فقال الملك العادل : « نقبل الهدية بشرط المجازاة ، واستدامة المكافأة للموازاة » . فقال : « عندنا بزة وجوارح ، قد لقيتها في سفر البحر جوائح ، وقد ضعفت فهي طلائع رواج ، وتريد طيرا

---

(١) المرج : الاضطراب والالتباس والفساد في الأمر .

(٢) في م ل و والصحيح من ل .

ودجاجاً تصلح لطعمها ، فإذا استوت حملناها للهدية على رسمها » ، فقال  
العادل : « لاشك أن الملك مريض وقد احتاج إلى دجاج وفراريج ، ونحن  
نحمل له منها كل ما إليه احتيج ، فلانجعل حاجة طعم البزاة في طلبها حجة  
واسلك غير هذه المحجة محجة » .

وانفصل حديث الرسالة على قول الرسول : « هل لكم حديث ؟ » فقلنا :  
« أنتم طلبتمونا لانحن طلبناكم ، وما لنا معكم حديث قديم ولا حديث » .  
ثم انقطع حديث الرسالة إلى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة . فخرج  
من عند الملك في الرسالة مقدم ، ومعه أسير مغربي مسلم . وأحضره إلى  
سبيل الهدية ، وأوصل إلى السلطان ما حمل من التحية . فشرفه بجماعته ،  
واعتدله بهديته .

ثم خرج يوم الخميس تاسع الشهر رسل ثلاثة ، وما كانت رسالتهم  
تسفر عن مقصود بل فيها رثاثة وغبثاثة . وهؤلاء طلبوا للملك فاكهة وثاجاً ،  
ولم يسلكوا في غير هذه الحاجة نهجاً . فأكرمهم الساطان بما سألوا ، ووفر  
لهم منه فحملوا . وسألوا أن يتفرجوا في الأسواق ، ففسح لهم فيه على  
الإطلاق .



## ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر

وكان غرض الفرنج من تكرير الرسائل ؛ تغيير العزمات ، وهم مشغولون بمؤالاة الرمي بالمنجنيقات ، وتسوية المنصبوات ، وتبينة الآلات وتعديل العرادات (١) ، وتثقيل الحجارات . حتى 'تحلحل السور وحان انهدامه ، وتخلخل وبان انثلامه . وترعزعت أركانه ، وتضعضعت أبدانه . وكاد يهوى ليهوى ، ولا يلقى ولا يقوى كى يثوى (٢) . وأهل المدينة قد كثر تعبهم ؛ لكثرة النوب ولقلة العدد . والحجر هاتك ، والسهر ناهك ؛ والعمل دائم ؛ والتحليل لازم . والقلوب قلقة ، والظنون مخففة ؛ والمتاعب شاقة ، والمشاق متعبة ، والأحوال متعبة ، والأحوال مرهبة .

وكانت في البلد منجنيقات تُنصب ، وتفيض بها قوى الرجال وتُنصب . فلما اشتد الزحف ، وزاد الضعف ؛ احتاجوا إلى رجال المتجنق للمقاتلة ، والتناوب على المنازلة . وهناك ظهر أن العدد لا يلقى ولا يلقى ، وأن القليل لا يكف ولا يكتفى . وأن خروج من كان في البلد لأجل دخول البلد لم يكن صواباً ، وأن تقصير النواب ابتداء في الإعطاء جلب في الانتهاء إعطاباً .

ولما علم السلطان سابع جمادى الآخرة يوم الثلاثاء ؛ بما عليه البلد من غلبة البلاء ؛ زحف بمسكروه ولجّ حتى ولجّ خنادقهم ، وطرق إليهم برأقهم . ونهب من خيامهم ما تطرف ، وأسرف في إرهابهم بما أشرف . وحمل الملك العادل بنفسه مزاراً ، وأجرى من الدم أنهاراً ، وأراهم بالفتح النهار ليلاً وبالبيض الليل نهاراً . وأمسى السلطان تلك الليلة ساهداً لم يذق طعاماً ولم يستطع مناما . ثم أمر بندق الكوس سحراً حتى عادت المساكير إلى الزكوب ، والقساوير إلى الوثوب . والقوارس إلى القرمس ، والأكتداب إلى الندوب ، وأعدت إلى الطلوع غروبها بعد الغروب . بكل من يلقى الجيوش على الجيوش ، ويرمى الوحوش على الوحوش . ويرعف الصلور بصلور

(١) العرادات جمع مرادة وهي آلة حربية كانت تستعمل لرمي الحجارة .

(٢) يثوى : يقيم بالمكان .

الروائع ، ويشير بالأمن عن مواقف المخاوف . وكل من للضرب في  
جنيته شامة ، ولطعن في جنبيه (١) علامة . على خيل كأمثال القنا تحمل  
القنا ، وضمر كالحنايا تهوى هوى السهام إلى الوغى .

في غداة صباحها في حداد نسجتها أليدى المطهمة القُبْ (٢)  
وظلام يحلوه يريق اليمانية القطب . فجرى ذلك اليوم من القتال أشد  
مما كان أمس ، واتصل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

وفي هذا اليوم وصلت من البلد مطالعة مضمونها : « أن العجز بلغ  
بهم إلى غايته ، وانتهى الضعف بهم إلى نهايته ، ولم يبق إلا تسليم البلد إن لم  
تعملوا شيئاً ، ولم تنجحوا في الذب عنه سعياً » فضقتنا بهذا الكتاب ذرعاً ،  
وقلنا : « لاحول ولا قوة إلا بالله ، لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً » والساطان  
من هنا في أمر عظيم ، وهم مقعد مقيم . وهو مجتهد في بذل وسعه ، سائل  
من الله لطف صنته . معاود إلى الحرب في كل صباح ، طائر إلى اللقاء  
يجتاح كل نجاح .

وفي هذا يوم الأربعاء بعث العساكر على اللقاء . ودخل راجلنا إلى  
خنادقهم وخالطوهم ، وتقايبضوا على بسيطة واحدة وباسطوهم . وذكر أنه  
وقف في ثغرة من تلك الثغرات لفرنجي ، كأنه جنى مستشيط لاشيطان نجى .  
وهو يدافع ويمنع ، ويكافح على تلك الثغرة ويقارع . قد اتخذ طارقته  
بلحسه صدفاً ، وصار لسهام المنية هدفاً . وهو كأنه بما نشب فيه من النشاب  
القنفذ ، وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ .

قلم يزل واقفاً إلى أن أحرقه بقارورة النفط زراق ، فأمدى وهو حراق .  
ووقفت أيضاً امرأة بقوس من الخشب ترمى ، وتديم اصماعها وتدمى .  
قلم تزل تقاتل حتى قتلت ، وإلى مقر انتقلت .

---

(١) في ب جنيته والتصحيح من ل .

(٢) المطهمة القُب : أي الخيل الضامرة البطون الضامرة الخواصر الجميلة .

## ذكر خروج سيف الدين على المشطوب إلى ملك الافرنسيس

ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكاه من جانب ؛ وعروه بكل نائب ؛  
ومل أصحابنا فيها لكثرة من استشهد وجرح ؛ وقلة البلد الذى كان قد اقترح ؛  
ونقب العدو الباشورة حتى وقعت منها بلفة (١) ؛ وزادت المخافة فلم يبق  
معها أمنة ، خرج المشطوب إلى ملك الإفة نسيس بأمان ، وحضر عنده  
بترجمان . وقال له : « قد علمتم ما عاملناكم به عند أخذ بلادكم ، من  
النزول عند طلب أهلها الأمان على مرادكم . وأنا كنّا نؤمنهم ، ومن السير  
إلى مأمّنهم نمكنهم . ونحن نسلم إليك البلد على أن تعطينا الأمان ونسلم ،  
وإذا فعلت هذا فقد حزت المغنم » ، فقال : « إن أولئك الملوك كانوا عبيدى ،  
وأنتم اليوم بماليكى وعبيدى ، فأرى فيكم رأبى من وعدى ووعدى » .  
فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث لحظة ، وأغلظ له فى القول  
عملا بقول الله تعالى : ( وليجدوا فيكم غلظة ) (٢) . وقال : « نحن لانسلم  
البلد حتى نقتل بأجمعنا ، فيكون مصرعكم قبل مصرعنا . ولا يقتل منا واحد  
حتى يقتل خمسين ، ومتى عرف أن الأسد يسلم العرين ! » .

---

( ١ ) بلفه : اصطلاح معارى وهو وما يجر منه بكشف البناء .

( ٢ ) الآية ١٢٣ سورة التوبة .

## ذكر هرب جماعة من الأمراء والأجناد من البلد

ولما عرف رجوع المشطوب ، ولم يظفر بالفرض المطلوب ، قال جماعة من الأمراء قد تضجروا بما هم فيه من التعب والعناء : « هذا الأمير الكبير ، والمستشار والمشير قد اشتغل باله ، فسواه ما باله » . وعمرؤا بركوساً ورأوا في هربهم رأياً منكوساً ، ورعياً في دار البقاء مبخوساً . وذلك ليلة الخميس التاسع ، وقربوا عليهم الأمر الشاسع .

وجاموا إلى العسكر مخضين ، ومن رفقاءهم في نسب الوفاء والوفاق مستفين . فمضى إلى السلطان الخبير بهرب الجماعة ، وأنهم خرجوا لله وله عن الطاعة ، وأنهم جبنوا عن بذل الاستطاعة ، وخفضوا عنهم صيت الشجاعة ، وأبدلوا الإضاعة بالظلمة والحفظ بالإضاعة ، وكان فيهم من الأمراء المعروفين وذوى الشهامة الموصوفين ، عز الدين أرسل ، وهو الذى كان المثل بشهامته يرسل . وحسام الدين سمرقاش بن جاولى - وهو شاب أول ما توفى والده وجاولى . وسنقر الوشاقى من الأسدية الأكابر ، ومقدمى العساكر . وكل منهم مخطوط بالإقطاع الوافر . فقطع السلطان إقطاعاتهم وأقطعها ، وجبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهه ومنعها .

واستعاذ ( أرسل ) بالأسدية ثم بالملك الأفضل ، المفضل الموثل . وتوسل ابن جاولى بالملك العادل ، وكلهم توسل بفضل الأجل الفاضل . فلم تعد معيشتهم ، ولم تعذب عيشتهم . وعادوا بمقوتين . وبحدود ألسن النزم منحوتين ، وبضعف القلب وقوة الخور منعوتين .

وكان من جملة الهاربين عبد القاهر الحاي قبيب الجاندارية الناصرية ومقدمها ، فشفع فيه على أنه يضمن على نفسه العودة ويلتزمها . فعاد في ليلته ، وأسقط عنه الملامة بأوجه . ووقع بعد ذلك في الإسار ، واستفكه السلطان بعد سنة بشمانمة دسار .

فصل من كتاب إلى مظفر الدين صاحب إربل في المعنى ووصف الحال

قد سبقت مكاتبتنا إليه بشرح الأحوال ، وما نحن عليه من رجاء النصر  
الذى هو متعلق الآمال . وأن ملوك الفرنج وجموعهم قد وصلوا ، ونازلوا  
الثغر واحتفلوا . والآن فإن منجنيقاتهم هدته بكثرة الضرب ، وكثرت  
تلم السور في مواضع الثقب ، وعظم الخطب ، واشتدت الحرب . واشتق  
البلد وأشرف ، واشتق العدو بما فيه أسرف .

ولما لج العدو في الزحف ، واستسهل في التطرق إلى البلد طريق الخطف ،  
ديكنا في عسكرنا إليه ، وهجمنا عليه . لكنه بسوره وختلقه حتم . وإلى  
مطمحه البعيد من أمره مرم . ولما عاين أصحابنا بالبلد ما عليه من الخطر ،  
وأثمهم قد أشفوا على الفرر ، فر من جماعة الأمراء من قل بالله وكوفه ،  
وأعمى قلبه فجوره وفسوقه . ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم ، وباعوا  
يوبال خدرهم ، وما قوى طمع العدو في البلد لإلأمر بهم ، وما أربى قلوب  
الباقيين من مقاتلته إلا رهبهم . والمقيمون من أصحابنا الكرام ، قد استحسروا  
مر الحمام ، وأجمعوا أنهم لا يسلمون حتى يقتلوا من الأعداء أضعاف  
أعدادهم . وأنهم يبللون في صون ثغرهم غاية اجتهدهم . وكانوا قد تحدوا  
مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشتطوا ، فصبروا بعد ذلك وصابروا  
وملوا أيديهم في القوم ويسطوا . فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من  
الثقوب ، والله تعالى يسهل تنفيس ما هم فيه من الكروب .

ونحن وإن كنا للقوم مضايقين ؛ وبهم محذقين وعلى جموعهم من الجواب  
مترفين ، فإنهم يقاتلوننا من وراء جدار ، ويعلمون أنهم إن خرجوا إلينا  
في تبار . والمجوم على جمعهم مستصعب ممتنع ، والعسكر على مركزهم  
متألف مجتمع . والله قدر لا يرد ، وقضاء لا يصد . وسر لا يشارك في علمه ،  
وأمر لا يغالب في حكمه . وعلى الله قصد السبيل ، ونجح التأمل ، وتلقيق  
الطافه في دفع الخطب الجليل ، وما توفيقنا إلا بالله وعليه توكلنا وهو نعم  
الوكيل .

## ذكر ماجرى من الحال

وفى ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس ، وحى الوطيس ،  
وتحرك بالضراغم الخميس . واسود الجو ، وانسد الضوء . وانقضت القضب  
انقضاؤا الشهب ، واشتبهت الدهم والكمت بالشقر والشهب . واختضبت  
اليقظ ، وتأتق من بوارقها الوميض . ورقصت قنود السمير على غناء  
الصواهل ، وحركت رياح السوابق زواجب اللواهل .

فللدروع من الضرب قعاقع ، ولعواصف الألوية زعازع . ولغربان  
الرياح نيب ، ولغربان المقربات لتقريب النصر البعيد تقريب . ولحريق  
الظلمة معمة ، ولرحى الحرب الزبون (١) جمجمة .

واللاحقيات (٢) سابقة ولاحقة ، والسريجمات (٣) راعدة وبارقة ،  
وشموس الترائك على بلور الأتراك شارقة ، ونبال النيل من عيون أعيان  
الكفر مارقة ، (وأبدي الأسته هاتكة ، لحرز النحور سارقة) (٤) . وتعالب  
الأسل فى لبم الأسد صابغة ، ونشأوى اللدان من نجيع الأقران غابغة صابغة .  
فى رايات يحاذبها ذراع الفلك فتقود عقبانها العقبان ، وصفاح يصافحها  
شعاع الشمس (٥) فيكسولجيتها العقبان (٦) .

وتقدم السلطان إلى الأمراء فترجلوا ، وتازلوا حين نزلوا . وهجموا على  
الضراغم فى آجامها ، وأحوجوها بحد الإقدام إلى إحجامها . ونصب  
صارم الدين قايماز النجمى علمه على سور الفرنج بيده ، ووقف عنده

---

(١) حرب زيون : شديدة يافع بعضها يضا من الكثرة .

(٢) اللاحقيات : جميع لحاق وهو غلاف القوس .

(٣) السريجمات : السيوف التى تنسب إلى سريج وهوقين .

(٤) فى أ (٣١١ ش) وأبدي الأسته هاتكة وبحور النحور شارقة ، وهذا يخالف لما

فى ب ول .

(٥) فى ب الشع والصحيح من ل ومن أ (٣١٢ ي) .

(٦) العقبان : الذهب الخالص .

يجلاده وجلده . ووصل في ذلك اليوم عز الدين جورديك ، ومعه من النورية الماليك . فرجل وقاتل وأبلى ، وأضرم نار الوغى وأصلى ، ومات ك من ججهه شيئاً ولاخل .

وبات العسكر تلك الليلة على الخيل تحت الحديد ، منتظاً لنجاح الأمل البعيد . فقد كنا تواعلنا مع أهل البلد أنهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ، ويسرون بأجمعهم على جانب البحر مرى السيل . ويدبون عن أنفسهم بسيوفهم ، وينجون بأنفهم وعز أنوفهم . ولو صح هذا الموعد ، لنجح المقصد . لكن القرنج اطلعوا على السر ، فاضطلموا بالسر . وحرسوا الجوانب والأبواب ، وارتابوا بما أرباب . وكان سبب علمهم اثنان من غلمان الهارين ، خرجا إلى الملاعين . وأخبراهم بحيلة الحال ، وعزيمة الرجال .

وأصبح العسكر يوم الجمعة العاشر ، وقد جمع من الخيل والرجل المعاشر ، واقفة على ترتيبه صفوفه ، مرهفة على علوه أسته وسيوفه ، ودام ذلك اليوم على التعمية وقوفه . ولم يتحرك من القوم ساكن ، ولم يظهر من العدو كامن . بل خرج ثلاثة من الرسل واجتمعوا بالملك العادل فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا قسماً من أقسام الرسائل ، وانقضى النهار والعسكر بالعدو المحيط بالبلد محيط ، ولأذى مقامه بمقامه ميط . وبنتا على تلك الحالة ، وأهل الهدى مراصلون لأهل الضلالة .

وأصبحنا يوم السبت وقد ركبت الإفرنجية وتلدرت ، ونحزبت وتجمعت . حتى ظننا أنهم على عزم اللقاء ، فهاجت الزائم منا إلى الهيجاء . وخرج من بابهم أربعون فارساً ووقفوا واستوقفوا ، واستدعوا بعض الماليك الناصرية ، فلما عطف إليهم عطفوا إليه ، وأخبروه أن الخارج صاحب صيداء في أصحابه ، وهو يستدعى نجيب الدين أبا محمد العدل (١) لخطابه . وهذا العدل من أمتاء السلطان ، وقد أنس القرنج به لردده في الرسائل

---

(١) العدل : اصطلاح يلقب به من يتق به القاضى ويطلب إلى شهادته في أماله ومنها تسجيل الأحكام ( الروضتين لأبي شامه ج ٢ : ٥٨٦ تحقيق د. محمد حلى أحمد من صبح الأعمى ) .

نحوهم في سالف الأزمان . فلما حضر أرسله إلى السلطان ، ليتحدث في خروج من بمكء بأنفسهم بحكم الأمان ، وطلبوا في مقابلة ذلك ما لا يدخل تحت الإمكان . وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط . فأنفنا السلطان الملكين العادل والأفضل ، ليفصلا الجمل ، ويجملا إذا حزا الفصل . فتردد العدل مزاراً ، ووجلمنهم على الإضرار إصراراً . ولم تتحرر قاعدة ، ولم تظهر فائدة . وانفصلوا على غير قرار ، وعادوا والأمر بغير إمرار .



## ذكر جماعة من العسكرية وصلوا

في يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين - صاحب شيزر .  
وفي يوم الأربعاء بدر الدين أيوب بن كتان ، وقد حشد وحشر . وفي يوم  
الخميس أسد الدين شيركوه ، وقد أبهج بقدومه العسكر . وفي هذا التاريخ  
ضعف البلد وعجز من فيه ، ضعفاً لا يمكن تلافيه . ووقف كرام أصحابنا  
وسلوا الثغر بصلورهم ، وياشروا الأسنة للمشرعة إليهم بنحورهم . وشرعوا  
في بناء سور يقطع جانباً ، حتى يتنقلوا إليه إذا شاهدوا العدو غالباً .

ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة على البلد

وكانوا اشترطوا إعادة جميع البلاد ، وإطلاق أسراهم من الأقياد .  
فبذل لهم تسليم عكاء بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا ، وبذل لهم في مقابلة  
كل شخص أسير فلم يقبلوا ، وسمح لهم برد صليب الصليوت إليهم  
فاتفصلوا عن الأمر ولم يفصلوا .

## ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها

وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة ، ماجت الفرنج  
بيحور جموعها الزاخرة ، وسالت إلى ثغر البلد ميل الأتى إلى القرار ،  
وطلعت في السور المعلوم طلوع الأوعال في فرج الأوعار . وانحدر عليهم  
أصحابنا انحدر الصخور المدهدة (١) ، وفرسوم فرس الآساد المحرجة  
المكرهة . وردوهم أقبح رد ، وصلوهم أفضح صد . وما زالت الكرات  
تتناوب ، والحملات تتعاقب ، حتى كلت الرجال ، وفلت النصال . وعرفوا  
أن الفرنج يستولون ، وعلى أحد منهم لايقون ولايخلون .

فخرج سيف الدين على بن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين  
ابن باريك ، وأخلوا أمان الفرنج على أن يخرجوا بأموالهم وأنفسهم على  
تسليم البلد ، وماتى ألف دينار ، وألف وخمسمائة أسير من المجهولين  
ومائة أسير من المعروفين ، وصليب الصليوت ، وعشرة آلاف دينار  
للمركيس ، وأربعة آلاف دينار لحجابه .

فلم نشعر إلا بالرايات الفرنجية على عكا مركوزة ، وأعطاف أعلامها  
مهزوزة . وما عندنا علم بما جرت عليه الحال ، وماأحد منا إلاوالبال منه  
قد عراه الويال . وعم البلاء ، وتم القضاء . وعز الغزاء ، وقنط الرجاء ،  
ولوت أعناق المسار اللأواء .

ونسب السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره إلى تقي الدين وما عن له في  
سفره ، فإنه مضى على أن يعود بأضعاف عسكره . فاشتغل بقصد خلاط  
وأثار في ديار بكر الاختطاب ، والاختلال والاختلاط . وتأخرت عساكرها  
عن القلوم ، فتتج تأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم . وكذلك  
لم يكن في البلد عدد يني بصونه ، وما كان يضبطه السلطان إلى هذه الغاية  
لو لم يكن الله في عونته .

---

(١) دعه الحجر : دحرجه .

ونقل الثقل تلك الليلة إلى منزله الأول بشفرعم ، وأقام بخيمة لطيفة متلفهاً متلفاً على ماتم ، ثم انتقل سحرة ليلة الأحد تاسع عشر الشهر إلى المخيم ، صابراً على حكم القضاء المبرم ، وحضرنا عنده وهو مقتم ، وبالتدبير للمستقبل مهم . فزيناه وسليناه . وقلنا : « هذه بلدة مما فتحه الله وقد استعادها عداه » . وقلت له : « إن ذهبت مدينة فما ذهب الدين ، ولا ضعف في نصر الله اليقين . وما وعكت بكاء القلوب إلا ولكربها يوم النصر على الأعداء تنفيس ، ولوحشتها بعد هذه الحادثة الموحشة تأنيس ، ولهذا الدين وإن تداعت قواعد بقعة من بقاعه بالعز ليفاعه تأسيس » .

وخرج في هذا اليوم ( أقوش ) - رسولاً نذبه بهاء الدين قراقوش . يخبر ما قرروه من القطيعة ، ويصف كيفية الملة القظيمة . وقال : « أدركونا بنصف المال ، وجميع الأسارى ، و صليب الصلبوت قبل خروج الشهر ، وإن تأخر شيء من ذلك بقينا تحت الأسر ، ونصف المال يصبرون به إلى شهر آخر » .

فأحضر السلطان الأكابر ، وفاوضهم في ذلك وشاور . فقالوا : « إخواننا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون ، وهل لنا عذر ونحن لهم مسلمون » . فتقبل السلطان بتحصيله ، وتعجيله بحملته وتفصيله .



وأنشأت في استيلاء الفرنج على عكاء هذه الرسالة وسيرت بها كتباً قد عرف أمر عكاء وأن العدو قصدها ورصدها ؛ ونزلها ونازلها ؛ وقليلها وقاتلها . وبرك عليها بكل كلة ، وحفل عندها بمحفله . وتواصلت إليها جموعه أفواجا ، وجلب البحر نحوها على أثباجه أمثال أمواجه أمواج . وجاءت رابضة أمامها ، ضاربة خيامها ، ملهية بها غرامها ، ملهية فيها ضرامها . وانتهت المدة إلى عامين (١) ، كل عام تحمل ملود البحر من أمدادها بحاراً ويرد الماء بأهل النار مستصحيين من ماء الحديد الجامد ناراً . وتصل مراكبهم كأنها الأعلام السود والأمواج ناشرة يفيض أعلامها ، مائة جيلها بأكامها ،

---

(١) في ب علمين والصحيح من له ومن أ (٣١٥هـ) .

مازجة لإصباحها بإظلامها . وتنافس ملوكهم الباغية ، وطواغيهم الطاغية ، في الورد بنفوسها وفنائها ، والوصول بما نفقت فيه كئائن كنائسها ، مستخرجة ضمائر خزائنها ، مستغرقة ذخائر مكانها ، موضعة طعائن ضفائنها . مستبضعة متاع متاعها ، مسرعة إلى معادن معاطبها . وترد بقناطير أموالها ، وجماهير رجالها ، ومساعيز مصالها ، ومشاهير أبطالها . ويخلقون بها من برها وبحرها ، ويختمون بين سحرها ونحرها .

ومازالوا يقاتلون أبراجها بالأبراج ، ويسومون جلسها بالإلهاج ، ويرومون علاج كرامها بمراماة الأعلاج . ويقارعونها ليلاً ونهاراً ، ويلقمون (١) أفواه خنادقها أحجاراً ، ويناجونها بألسنة المجانين الطوال ، ويطيرون إليها على حمام الحمام كتب الآجال . ويكافحونها قراعاً ، ويدبون إليها للمضايقة خطا وساعاً . ويناطحونها بالكباش ، ويعاقرونها من حرابتهم وحراهم بكلاب المراض (٢) ، وحيات النهاش . ويرامونها بكل منجنيق عظيم الخلق ، كأنه حامل على الطلق . لاتلد إلا أمات اللوامي ، ولاتلد الراسخ الراسي إذا قابلته غير الواهن الواهي .

ويقتل الله منهم العدد الدم (٣) ، والجمع الجح . ويهلك ألوفاً ، حتى يعود نافرهم للمنون ألوفاً . وقد تجاوزت عدة القتلى منهم في هذه المدة ، سوى من هلك بالضائقة والشدة ، خمسين ألفاً قولاً لا يتسمع فيه المعبر بالبيان ، يل يتصفحه المحرر بالميان . إلى هذه السنة والحالة في تحقيق قممهم وتفریق جمعهم جارية على الوثيرة الحسنة . واشتعلت في قلوب أهل النار نار البواعث ، وتحدثوا في الحادث . وثاروا للنار ، وزاروا بالزار .

وانبرى ملكاً إفرنيسس وإنكلتير ، وملوك آخرون دبوا أحكامهم وأحكموا التدبير . وجاعوا في أراكب بحرية حرية ، ويطس حمالة فونجة ، وأجروا في البحر منها السيول ، وجروا من ذوات الشراع عليها اللبول ،

(١) في ب يلقمون والصحيح من ل .

(٢) المراض : الحصام والقتال .

(٣) الدم : الكثير العدد .

وحملوا فيها الحياة والحيول . ووصلت كل قطعة كأنها قلعة ، وكل بطسة كأنها قلعة . وكل سفينة فيها مدينة ، وكل بحيرة على سماء البحر بنجوم الرجوم مزينة . فأحدثت بالثغر من البر والبحر ، وأحاطت بمركز الإسلام دائرة الكفر . وأطافت منها الأسوار بالأسوار ، والظلماء بالأنوار . ومنعت الداخل والخارج ، وسدت على ناقل الميرة وحامل السلاح . الموالج والمناهج .

وزاحفوه بكل منجنيق كتيق<sup>(١)</sup> ، وكل برج وثيق ، وكل دبابة كأنها دابة الأرض التي تقوم عندها القيامة ، وكل سلم لا ترجى معه السلامة . وكل آلة آلت أن الفتح منها بالحطف ، وأقسمت أنها تقسم سهام سهامها للنوى الحفر بالزحف . هذا والعلو قد حفر من جانبنا وعمق ، وسور وخنق . وتدرع بأسواره وخنقه ، وتسهر عن طوارق البلاء بستانه وطوارقه . فلا يخرج منه إلى معاركه ، ولا يدخل إليه لضيق مسالكه . وهو متحر متحرس ، متسمر مترس . عاص على المعجم ، عاس<sup>(٢)</sup> على المعجم . لا يقتحم سده ، ولا يتسلم حله .

ولم تزل الحالة تتمادى ، والواقعة وليدها لا ينادى ، والمدى يتطاول ، والمدد يتواصل . والقضية ترامي ، والرمية تتقاضى ، ومقاتلة الثغر صابرون مصابرون ، مكابرون مضابرون<sup>(٣)</sup> . فمن مستشهد عدله بالجرح ، ومن مستجد عطله القرع ، ومن دام بالجرح رام عنه ، ومن نازع في القوس نازع منه ، ومن معرض للموت خوف عار عارض . ومن ناه عن السلم أمر بالحرب ناهض ، ومن ندب فيه نلوب ، ومن ضرب فيه من أثر الضرب ضروب ، حتى ضج الحديد من قرع الحديد ، ومجت الشفار الظامئة ورد الوريد .

هذا وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص ، وظل المصاربة يقلص . والعدم يتمكن من الوجود ، والقيام للائتمان في زى القعود . وكاد البقاء يودع الباين

(١) التيق : أرفع موضع في الجبل .

(٢) عاس : يطوف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الرؤية ومنه العسس .

(٣) مضابرون : محتمون القزو .

والمنون تلاقى الملاقين . فلم يشعروا إلا وبعض المتقدمين المشهورين قد تأخر  
وتستر ، واستشعر الذعر ؛ فتعلز وتخلو : واستبدل الجبن من الشجاعة ، واستمل  
العجز من الاستطاعة ، وقدم العصيان على الطاعة . وظن أنه لا نجاح له في  
المزيمة ، ولا نجاة له إلا في المزيمة . وجنب أمثاله من الجبناء ؛ وجمع إلى  
أمره جماعة من الأمراء . فخرج بهم من الثغر فارا ، وذهب على وجهه  
معهم مارا . ورهب فهرب ، وحسب فتسحب . فأضعف قلوب البقية  
استشعارا ، وأعلمهم عدم قراره قرارا . لكنهم تابوا إلى صبرهم ، وثبتوا  
على أمرهم ، ودفعوا مكر العدو بمكرهم .

وما برحوا على مصابرة ومكابرة ، ومقارعة ومعاقرة ، ومكافحة  
وملافة ، ومواقعة ومواقعة ، ومطاحنة ومناطحة ، وجلد على الخنادق التي  
طمت ، ورمي في خروقه التراب ورمت . وطرقها العدو بالسوء إلى  
السور ، وطرق الظلمة إلى النور ، وهجم على السنى بالديجور . وكشف  
نقاب عروس البلد بالنقب ، وأسعر بمساعيره حر الحرب . حتى ثلم حمى  
الثغر وكلم حاميته ، وأشرفت مراحيه . وكثرت ندوب نقويه ، وكثرت  
خطاب خطويه .

ودخل العدو في الثقب فلم يجد لكونه مجدلا أو مجردا مخرجا ، وتوغل  
في الباب فوجد باب الخلاص المرتجى مرتجا . وكل من أصحابنا قد سد الثغرة  
بنفسه ، ولقى الوحشة بأنسه . وفارق لوصال أهل الجنة أهله ، وأثبت في  
مستقع الموت رجله .

ولم يزل الثقاويون يوسعون ويمشون ؛ ويعلقون ويمشون ؛ ويمرقون  
ويمرقون ؛ ويمجمعون ويفرقون ؛ حتى تساقطت الأبدان فاضدت تلولا ،  
وتعانقت الأسياف فزادت قلولا (١) . وتكشفت الوجوه لقبيل الطعان ،  
وبردت بجمرة الدم قوائم اليمانية في الايمان ، وبردت بمجالدة أجداد  
الشرك ايمان أنجاد الإيما .

وأصحابنا لا يهولهم المائل ، ولا يميلهم إلى الحذر الجداو المائل ،

---

(١) القول : الارتفاع .

ولا يزعهم الخطب الوازع ، ولا يردعهم الرعب الرادع . يواصلون بالقواطع ، ويتواقعون على الوقائع ، ويردون بفريهم الطالع ، ويقلون بمحدهم الدارع . إذا انتظموا مع العدو نثروه ، وإذا نهضوا له أقعدوه وعثروه ، وإذا صدح إليهم حذرّوه ، وإذا بادر إليهم يدروه ونلّروه . حتى أقاموا منه عوض أبدان السور أبدانا ، وكم تركوا على تلك المصارع من جاثمها جثانا .

وما زالوا يقتلون ويقتلون ، وينهلون من ورد النجيع وينهلون ، ويصلون ويقطعون ، ويشعبون (١) ويصدعون ، ويكيلون بصاع المصاع ، ويحييون للعمر الراجل داعي الوداع ، ويتناجون بالأسنة المناصل ، ويتقابلون بوجوه الصواقل ، ويشاكون بكلام الكلام ، ويتلاقون بسلام السلام ، ويشاقون بصحاف الصفاح ، ويتماشون بمراح الرماح ، ويستحلون ضرب الضراب ، ويستجلون صفحات الصفائح من قراب الرقاب ، إلى أن انتقل القتال من السور إلى الدور ، ومن السائر إلى الستور ، ومن الطوارق إلى الطرق والسطوح ، ومن المضايق إلى الفساح ، ومن المراقب إلى السفوح .

حتى لم يبق من المهاجرين إلا سباتك زحوف ، وترائك حتوف . ويقايا طرائح ، ورذايا (٢) طلائع ، ومسوقو جرائح ، ومشوقو ضرائح . قد فصلتهم المشرفيات ، وخاطتهم الخطيات (٣) . ورشقتهم القسي القاسية ورشفتهم الظبا الظامية . لا ينهض قوهم من الكلول ، ولا يفري فريهم من القلول . وقد شغلوا بسد تلك المضايق ، ورد أولئك الخلائق .

فما شعروا إلا وقد دخلت من أقطارها ، وتوغلت من أسوارها . وازدحم العدو في مشارعها وسبلها ، ( ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها (٤) ) .

ولما عرف العدو الداخل ، والعداى الواغل ؛ أن القوم مستقثلون ؛

( ١ ) يشعبون ويصدعون : أى يجمعون ويفرقون .

( ٢ ) رذايا : جمع رذيه وهو الخزير الضعيف . وطلائع : جمع طلع وهو الخزير النصب .

( ٣ ) الخطايا جمع غطية .

( ٤ ) الآية ١٥ سورة القصص .



وللموت مستقبلون ؛ وأنه لا طاقة له بمقاومتهم ؛ ولا قوام له بطاقتهم ؛  
وأنهم لا يسلمون وهم يسلمون ؛ ولا يبقون وهم يبقون ؛ أعطاهم أمانا  
أخطر من المخافة ، ودخل على الإغارة باسم الضيافة .

وعز أصحابنا بما بذلوه من الوسع وما هانوا ، وما وهنوا لما أصابهم في  
سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . ولا مرد لما فيه لله من المراد ، ولا مدفع  
لحكمه في البلاد والعباد . وإن ذهب مدينة فلم يذهب الدين ، وإن غاض  
معين فما غاب المعين ، وإن ارتاب المبتلون فما فارق الحق اليقين . وإن  
فتح المرتج فما فات المرتجي . وإن أدلهم الديمور فلا بد أن يسفر عن الصبح  
الدمجى . ولا يشمت علو الاسلام (١) بما جرى ، فعند الصباح يحمد القوم  
المسرى .

---

(١) ساقطة في ب نتيجة و ل .

## فصل من كتاب

إلى قطب الدين بن نور الدين بن قرا أرسلان (١)

قد أحاط علم المجلس بما حشده الكفر في هذه السنة من مدد ملوكه  
وكثر على نهار الإسلام بإغلام ليل الكفر وحلوكه . فالإسلام ينشد ظهوره .  
وبطلب الدين لكشف غمته من ( ابن نوره ) نوره .

وهذه عكاء التي كنا عنها نلذع ؛ وعن ثغرها نمانع ؛ ونجري دماء  
الواردين في البحر لقصدها في بحرهما ؛ ونرك للرد عنها مكابدة العدة في  
نحرها ؛ قد تمكن منها الكفر على كره من الإسلام ، واحتاج من أبي إسلامها  
بعد أن صابر وصبر إلى الإسلام :

وكانت مودودة فعاتت مؤودة . وصارت مغصوبة بعد أن كانت عارية  
من الكفر مردودة . وإذا أفكر من خلطها ؛ وما أخذ لها ؛ وغاب عنها  
وما حضرها ؛ علم أنها أسيرة إهماله ، وأخيلة إغفاله . وحاشي أن يكون  
المجلس بالفتية عناراضيا ، وعن النجدة عند تحقق الحاجة إليها متغاضيا .

وما بئى للفرنج مع استيلائها على الموضع ، إلا زائد قوة في المطمع  
والمطمع . وقد عزمنا على المصاف ، وصدد صدمة الكافر بالجد الكافي  
الكاف ، والله كافل دينه بالنصر ، والمردى بمكره أهل المكر . وما هذا  
أوان الوفي ، بل هو زمان استنتاج المني . فإن العلوانخادر قد آن أوان  
أن يصحر ، وليل الهدى قد قرب أن يسفر .

---

( ١ ) قطب الدين ابن نور الدين ابن قرا أرسلان : هو محمود بن محمد بن قرا أرسلان

ابن أرتق ، الملك الصالح ، ناصر الدين صاحب آمد ، كان شجاعا عاقلا جوادا ، محبا للعلماء ،  
وكان الأشرف يحبه ويخضعه غير مرة ، توفي سنة ٥٩٤ هـ ( النجوم الزاهرة ج ٦ : ٢٥٠ :  
ط . دار الكتب ) .

ومن رسالة أخرى في استدعاء مظفر الدين من أربيل

تتضمن على حادثة عكاه ووصف الحال الجارية فيها

قد علم ما دهم المسلمون من العدو الكافر ؛ والطاغية الحاشد الحاشر ،  
وأنه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر ؛ وما قصده إلا بيضة  
الإسلام وحوزته ، وأن الله تعالى هو الذى تكفل بذلة أعدائه عزته . ولاشك  
أنه عرف ما تم منه على عكاه بعد ذبنا عنها في هاتين السنين ، والمضايقة  
للقرنج من عكاه ومنا بين الحصارين . وأنهم كلما دبروا أمرا دمرناه ، وكلما  
حققوا كيدا أبطلناه ، وكلما قدموا منجنيقا أخرناه وعطلناه ، وكلما ركبوا  
برجا أحرقناه ، وكلما كثفوا حجابا خرقناه ، و ( كلما أوقدوا نارا للحرب  
أطفأها الله (١) ) . حتى لم يبق لمكرهم مكر ، ولا لكيدهم مجال ، ولم يتسقى  
في هذه المدة لهم حال .

وقتل منهم في عدة دفعات زهاء خمسين ألف مقاتل ، من فارس وراجل  
ولم نشك في استيعابهم بالردى ، وأن حزب الضلال قد أقناه حزب الهدى  
وحسبنا أنهم بائون ، فإذا هم زائلون . وظلنا أنهم هالكون ، فإذا هم في  
نهج القتال سالكون . وهم حطب نار الحرب ، وطعم الطعن والضرب :  
وكم بذلوا أرواحهم على حب ( المقبرة ) ، وحصلوا تحت العجز لزعمهم  
أنهم يأتون بما فوق المقبرة :

ولما دخلت هذه السنة أشفقنا على من في عكاه من الأصحاب والأجناد  
وقلنا : « هؤلاء قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم من الاجتهاد :  
ورأينا أن نجد للبلد البذل ، وأن نسلو ونسدد بما نستأقّه الخلة والحلل . » وكان  
فيه أكثر من عشرة آلاف رجل ، من كل قعر مشيخ وكى بطل . فخرج  
هؤلاء ولم يدخل إليهم مثل تلك العلة ، ولم يكن أيضاً من دخل بذلك  
البلد وجنك الشدة . فإن البحر قبل استكمالها منع راكبه ، وحمى جانيه

(١) الآية ٦٤ سورة المائدة .

ووصل العدو وعجل مراكبه . فاحتفى البلد بمن فيه وما فيه كفاية ، وانكل على الله الذى عصمته من كل واقعة وقاية . وجاءت ملوك الفرنج خلاف كل عام ، فى جد واعتزام ، وحد واهتمام ، وجمع لمام ، ونار تعجلها العدو من جهنمه وضرام ، وغرام بالواقعة . وعرام ، واحتداد للحادثة واحتدام ، وباس وإقدام ، وناس وأتوام . وحشد ملأت به سفنها ، وأخلت منه مدنها .

ووصل ملكا إفرنسيس وانكثير ، وقد أحكما التدبير ، وأجلبا بجيئلهما ورجلهم ، وأناربا بكلكل كلهم ، وبركا بثقلهم ، وزحفا بجيئدهما وجهلهم . ووافوا بكل برج وثيق ، وكل منجنيق كتيق . وكل آلة هائلة ، ودبابة للبلايا حاملة . ونصبوا ثلاثة عشر منجنيقا على موضع واحد ، وأهبطوا حجارات السور بكل حجر صاعد . وباشروا الباشورة بالدم ، والخنق بالطم ، والسور بالتقب والثلثم . وخروج من نقابى البلد من ارتد عن الدين ، وأعان نقابى الملاعين . حتى وقعت أبدان السور وأبراجه . وتبادر إلى التلم أعلام الكفر وأعلامه (١) .

وأصحابنا مع ذلك ثابتون ، ناكبون كابتون . قد سلوا تلك الثغر بنفوسهم ، وجعلوا حجارات الفرنج وجراحاتها مغافر رؤوسهم . وكشفوا وجوههم لقبل السهام ، وتلقفوا من وقع ييضها بحجر التمام . ترشف شفاه الشفار دماءهم ، وتشكر ملائكة السماء سماحهم بالمهج وسخاءهم . كلما انتظموا مع العدو انتثر ، وكلما نهضوا لتلقيه عثر . وكلما طلع إليهم ردوه بغريمهم ، وكلما اجتمعوا به فرقوه بطعنهم وضربهم . وهم يواقعون ويواقعون ، ويكافحون ويلافحون . وكل قد وقف فى موقف الكرام وسل نصله ، وأثبت فى مستقع الموت رجله ، وودع للجنة فى لقاء أهل النار أهله .

فخانهم بعض الأمراء الجبناء ، وأخذ للحياة بترك الحياء ، وفر من البلاء إلى البلاء ، وحسب النجاة فى النجاء . وهرب فى بركوس قد أعد له لذلك اليوم ، وأثر على جراح السيف جراح السب واللوم . واستصحب أمثاله

---

(١) أعلاجه : جمع العالج وهو الرجل الذى يعلى من الكفار والسيئ .

واستبج ، وأبعد في فراره وأبدع . وأضعف بضعف قلبه قلوب الباقيين ، وأطمع أفاعى الكفر في نهش الراقيين .

على أن الأصحاب ما آذنوا بالإصحاب ، ولم يقابلوا الضراب بالإضراب ؛ وما زالوا يواصلون بالقواطع ، ولا يرتاعون للروائع ، ولا يرمون مقام المقام ، ويطالبون من الأرواح بالودائع . حتى انتقل القتال من الدور إلى الدور ، ومن القوارع إلى الشوارع . ودخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبيهة ، وأمن أخوف وأخطر من كربة ، وقطعة فظيمة ، كل مئة لها غير مستطيلة .

ولولا ما اتفق بعد قضاء الله من الأسباب الموهنة ، لم تكن عكاه بالممكنة للعدو ولا الملدنة . وإن ذهبت الملية فالدين لم يذهب ، وإن عطبت فالإسلام لم يعطب . وإن ملكت واحتلت فما اختل الملك ، وإن سلكت ووهت فما وهى السلك . وإنما نبه الله بها العزائم الراقدة ، وأجرى مياه الهمم الراكدة . وبعث الحميات الناعسة ، وحرك التخوات المتنافسة . وكما أظهر عجزنا عن قدرته وقدره ، سيظهر عجزنا بنصرته وظفروه .

ونحن إلى الآن كما كنا ؛ محلقون بخنادقهم ، آخضون بمخافتهم ، نوسعهم الردى في مضايقتهم ، ونجذبهم في كل يوم إلى مصارعهم ، ونكسر بعلق نجيعهم صفو مشاربهم ومشارعهم . فما خرج منهم من دخل ، وما انقطع إلا من وصل . وما أصغر إلا من ندبه عريسه وعرسه ، وما برز إلا من واره من بطون الخوامع (١) رمسه . فهم مقيمون لا يرمون نجيمهم ، ولا يرومون أن يهجرُوا عجمهم . وما أنسوا بمراض المضارب ، إلا لنفرتهم من مضارب القواضب . وهم مع ذلك يرجفون تارة بالخروج إلى المصاف ، وآوثة بالنهوض إلى بعض الأطراف . وفي كلا التصديقين إن شاء الله دمارهم المجل ، ووبارهم المؤمل . فلإنا نعرضهم أين واجهوا . ونواجههم أين اعترضوا ، ونشترهم أين نهضوا ، ونثيرهم للموت أين ربضوا . وربما غرثهم عكاه فطمحوا وطمعوا . واتفقوا على المصاف واجتمعوا . ووقعوا

---

(١) الخوامع : الضياع .

على نار الحرب وقوع الفراش ، وتعوضوا مصارع أمثالهم والثرى لهم  
وثير الفراش .

فإن برز العدو فالمنون له بارزة ، والعزائم له مناجزة ، والساكر  
الإسلامية إليه وعليه زاحفة حافزة . والمجلس أولى من يتخى ويحتسى ،  
والى هذا المرام من قهر الكفر يرتضى ويتسمى : ويصل يجمعه اللهام الملتهم ،  
ويحمره الملتهم المضطرم ، وبمجره المحدث المحتدم ، وبفيلقه الفائق ترائك  
العنا ، السافك السابك فى نار الوغى سبائك الظبا . الحاص الحاصد بمحدود  
الشفار سنابل الطلى . وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراءه ، ويستدعى  
من إذا ناداه أجايبه وجاءه .

## ذكر لطف من الله في حق نبي

كان السلطان قبل استيلاء الفرنج على عكا سنة ٤٠٠٠ قد عمل ترجمة تفرد بها القاضي ابن قريش لمكاتبة الأصحاب ، ليكتب بها إليهم ويعود بها الجواب . فلم يبق المكاتبة لئلاء وجوابا بخطي ، وخرج حكم عكا في الكتابة عن شرطى . قلت لأصحابي : « ما صرف الله قلمي عن عكا إلا وفي علمه أن الكفر إليها يعود ، وأن النحوس تحلها وترجل عنها السعود » .

واستعاذني الله من استعاذتها ، وردّها إلى شقاوتها بعد سعادتها . ولقد عصم الله قلمي وكلمي ، وعرف شيم غايل أطفانه من شيمي . وهذا قلم جمعت به أشنات العلوم مدة عمرى ، وما أجراه الله إلا بأجرى . فالحمد لله الذى صانه ، وعظم شأنه ، وما ضيع إحسانه . وهو للفقّه والفتيا ، ومصالح الدين في الدنيا . وما عرف إلا بعرف ، فما صرف إلا عن صرف .

وما سفارته إلا في نجح ، وما إسفاره إلا عن صبح ، وما تجارته إلا لربح . فهو يمين الدولة وأمينها ، ومعين الملة بل مسينها . بملاذه يستمد إمدادها ، وبسلاذه للثغور سنادها . ودوائه دواء المعضلات ، ويعقده حل المشكلات . وبخطه خط عوادي الخطوب ، ويقطه قط هوادي القطوب . ويريه برء الأمراض ، ويلدّه در الأعراض .

ويلدّه انتظام عقود العقول ، ويلدّريه ابتسام الإقبال والقبول . ويجريه لحياد للجهاد ، ويسميه سعى الأجداد للإنجاد ، ويمرّكه سكون الدهماء ، ويركه ركون الرجاء .

فما كان الله ليضيمه في صون ما لا يصرّونه ، وعون من لا يعينه . فحفت على عكا من وتوف قلمي عنها ، وكان قد ألمنى الله فإنه صانه ولم يصنها . وشكرت الله على هذه اللطيفة ، والعارفة الطريفة .

ذكر ما جرت عليه الحال بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع

وفي يوم الخميس انسلخ جمادى الآخرة ، خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوفرة . وانتشروا بالمرج (١) إلى الآبار التي كان حفرها العسكر ، ففرب الكوس (٢) السلطان ، فثار المعشر ، وقام المحشر . وأنهض السلطان إلى اليزك من قواه ، وأتبعه بمدد تلاه . وقد طار غراب الغبار ، وتبرقت بالتراب عراب المضمار ، وشبت الوعى بكل شبوب تمنع سوى فارسها ركابها ، وتغير الشمس من نسج حافرها نقابها . في غلب كالقواضب يروون القواضب ، وطوال من الغروب يعدن في النواوب غوارب .

وحمل على أبطال الباطل حماة الحق ، فردوا الكفر بذلك الخرق المتسع منزع الخرق . وانهمز الفرنج فجالت العرب دونهم ، وحالت بينهم وبين أسوارهم ، وأحالت عليهم منونهم . وصرعوا زهاء خمسين رجلا ، كروا عليهم بكاسات المتون نهلا وعلا . وردوهم إلى مراكرهم ، ولم يبن لقادرهم فضل على عاجزهم .

ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمة ، كادت تحدث هزيمة . فوقف أصحابنا وثبتوا ثم وثبوا ، وأسعروا نار الحديد وألهبوا . ونظموهم بالقنا ونثروهم بالفلما ، وفرشوا منهم قتل على الربا . واحتبت سيوفهم بالأعناق والطلل ، وحلت من حياة العدا الحيا . ودخل القوم إلى خنادقهم ووقفوا وراء أسوارهم بإثارة عثيرهم وأثار عثارهم . وانتصف الإسلام من الكفر في ذلك اليوم بعض الانتصاف ، وأخذ يد النصر على المصافاة بمصافحة المصاف . وفي يوم الجمعة ثامن رجب جاءت الرسل في تقرير القطيعة الملة رة ، لخلاص الجماعة المستأمرة . وأخبروا أن ملك إفرنسيس صار إلى صور . ورتب الدوك (٣) نائبه وولاه الأمور . وأنه قد عزم على العود إلى بلاده

(١) في أ (٣٢٤) في المرج .

(٢) ذب القوس والتصحيح من ل ومن أ (٣٢٤) .

(٣) يقصد الدوق Duke بالإنجليزية . وهو لقب بمعنى الأمير .



بعد ما جرى الأمر بعكاء على مراده . وأنه وكل المركيس في قبض نصيبه ، ورضى بتدبيره وترتيبه . فأنهض إليه السلطان وراه رسولا بتحفة تليق به ، يستخرج ضمائرهما فيما هو من أربه ، وتقل خيمته يوم السبت العاشر إلى تل يلزاء شفرعم وراء التل الذي كان عليه نازلا ، وحلّى الموضع الذي حلّه ونخلّى الذي أخلاه عاطلا .

وما زالت الرسل تردد ، والرسالات تتجدد ، والآراء والآراب تجتمع وتبتد ، حتى أحضر مائة ألف دينار والأسارى المظلومين وصليب الصليوت ، ليوصل ذلك كله إلى الفرنج في الأجل المضروب والوقت الموقوت .

ووقع الخلف في كيفية التسليم والتسلم ، وكيف يحصل الوثوق بالكفار مع تحمل هذا المغم . فقال السلطان : « أسلمه إليكم على أن تطلقوا أصحابنا أجمعين ، وتأخذوا بياق المال على سبيل الرهن قوما معينين » ، فأبوا إلا أخذ الجميع ، في الزمان السريع . والوثوق بأمانهم وأمانتهم ، والتفويض في أصحابنا إلى خيرتهم . فقلنا لهم : « يضمنكم الداوية » . فما دخلوا في الضمان ، وساء فيهم ظن السلطان . وقال : « إذا سلم إليهم من غير شرط الاحتياط عليهم ، كان فيه على الإسلام غبن عظيم ، وعار إلى الأبد مقيم . فلو أبقينا خلاص أصحابنا ، وعرفنا بنجاتهم انتظام أسبابنا ، سمحنا لهم في الحال ، بصليب الصليوت والأسارى والمال » .

وبقى الأمر واقفا إلى أن انقضى الأجل ، وانتهى الترم (١) الأول . وجاء الرسل وأبصروا الأسارى حضورا ، والمال موزونا موفورا . وظنوا أن صليب الصليوت قد أرسل إلى دار الخلافة فليس له وجود ، فسألوا إحضاره وهم شهود . فلما أحضر ، خروا له ساجدين ، وأقروا به شاهدين . وعرفوا أن الشرط بالوفاء مقرون ، وأن الأداء بخلص أساراتنا مرهون . وظهرت علامات مكرهم ، ولاحت أمارات غدرهم .

وفي يوم الأربعاء العشرين من رجب أخرج الفرنج إلى ظاهر المرج خياما ضربوها ، وقبابا نصبوها . وخرج ملك الانكثير إلى خيمته ، ومعه خلق من خياله ورجاله .

---

(١) الترم : يفهم من السياق أنه المدة ، الأجل . ويبدو أنه كلمة Term الإنجليزية .

## ذكر غدر ملك الانكبي وقتل المسلمين المأخوذين بعكا

وفي عصر يوم الثلاثاء سادس عشر رجب ركب الفرنجية بأسرها ، وخرجت من مستقرها ، وسارت بجيها ورجلها ، وجعلها وحفلها . وجاءت إلى المرج الذي بين تل العياضية وتل كيسان ، ونفذ اليك وأخير السلطان ، وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقة ، وشامت صوارم صادقة ، وعزائم صادقة . وكان الملاعين قد أحضروا أسارى المسلمين في الحبال واقفين . وحملوا عليهم وقتلهم بأجمعهم ، وألقوهم على مصرعهم . فحمل عليهم العسكر وهاجمهم ، وضرب بأمواجه أمواجهم . وقتل منهم خلقا ، وأوسع فيهم خرقا . واستشهد منا كردى حميدى وبلوى ، وكلاهما من الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر روى .

فلما انصرف العدو إلى خيامه ، وركد الروح بمثار قتامة ، شوهد المستشهدون بالعراء عريا ، وإنما عروا ليكتسوا من حل الجنان التي أكرمهم الله بها وشيا . ومضى الناس إليهم فعرفوا معارفهم ، ووصفوا في سبيل الله موافقهم . وما أكرمهم رجالا ، وأحسنهم في الشهادة والسعادة حالا .

ولما غدر الفرنج بسفك الدماء ، وهتك ستر الوفاء ، تصرف السلطان في ذلك المال ، ويسط فيه يد النوال . وأعاد أسارى الفرنج إلى دمشق لتعاد إلى أربابها ، وترجع إلى أبلدى أصحابها ، فلأنهم كانوا جمعوا من أهل البلد للحاجة إليهم ، فلما استغنى عنهم ردوا عليهم . وأعيد صليب الصليبيات إلى الخزائن ، لا للإعزاز ، بل للإهانة . فإن غيظ الكفار بحفظنا للصليب شديد ، والمصائب به عندهم على مر الجديدين جديد . وقد بذل فيه الروم ثم الكرج بذولا ، وأنقلوا بعد رسول رسولا ، فما وجلوا قبولا ، ولا صادفوا سولا .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر ، وقاربت البحر . وضربت بينهم الخيام ، وأبنت من الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الآجام . فقبل للسلطان ما حركة القوم إلا لقصد عسقلان . فجاشت همومه ، وعب عيابه ، واجتمع بتأديه لإجالة قدام

الرأى أصحابه ، وصح صحابه ، وصح حسابيه . وحكم فأحكم ، وبرى فأبرم . واستشار وأشار ، واستلوا وأثار ، واستورى زناد الآراء ، وامترى مراد الأمراء . وقال : « هذا العدو طغى واستكبر ، وأصحى له الأفق وأفاق وأصحر . وقد تحرك بعد سكونه ، وظهر بعد كموئه ، وغرته عكاه فطمع في عسقلان ، واسترق جانبنا الخشن الشديد عليه واستلان . وهذه جموعه بارزة ، وكعوبه راكزة . وعوراته بادية ، وثوراته عادية . ونكراته معروفة ، وغدراته موصوفة .

وكنا نقول إذا برز نبارزه ، وإذا خرج نناجزه . وإذا فارق مكانه نتمكن من تفرقه ، وإذا ركب الطريق نركب إلى طريقه . وإذا توجه إلى موضع أوضعنا إلى مواجهته ، وأغرنا ألسنة الأسنة بمشافتهه وسافهته . والآن الآن الله لنا الشديد ، وأدنى علينا البعيد ، وأخرج العدو من الضيق إلى السعة ، وأبرزه من وراء الأسوار والخنادق المحتنعة ، وإن لم نلقه في طريق مسيره ، ونجد في التدبير لتدميرهِ ، وصل إلى عسقلان فصار لنا منها شغل عكاه وأصعب ، وحيث نعب ، وصدعنا بها لا يشعب .

فقالوا : « هو يسير بالبحر عثميا ، وعن النهج متشيا ، ويقصد الساحل الساحل ، ويقصر المراحل . والذي يلي الساحل في الطرق إما آجام وغياض خلقة متأشبة (١) ، وإما رمال وتلال ضيقة متكثبة . وهناك مواضع يمكن فيها مضايقته على المضايق ، ومواقعه بالعوائق .

فتقدم السلطان إلى علم الدين سليمان بن جندو ، وأمير من أهل الخبرة آخر بالمسير إلى تلك المناهج ، ومشاهدة ما لها من المخارج والمواج . وكشف المواضع التي يلقى فيها العدو ، ويؤمل بمقاتلته فيها من الله النصر المرجو . فسارا يتفضان تلك المسالك ، ويكشفان الأماكن التي تكون معارك ، وتختلها لمبار المرام مبارك ، والمدار المراد مدارك .

(١) متأشبة : أشب الشجر ، الصف واشتبك والمعنى المقصود هنا أنها متشابكة الأشجار .

وعادا وقد ظفرا بقاع وبقاع<sup>١</sup>. وعيتنا على أماكن ومكانن ، ومواطن  
ومواطن . ووقع الإجماع على الاجتماع ، على اللقاء والفرار . في مذاهب  
تعينت ، ومسارب تبينت . وسهول عرفت ، ومروت (١) وصفت . وصمم  
العزم على أن الفرنج إذا ساروا سرنا على عراضهم ، واستقمنا على جلد  
الجد في اعتراضهم واعتراضهم .

---

(١) مروت : جمع مروت وهي المفازة لا نبات فيها .

## ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورجيلنا للقاهم

وفي صحرة الأحد غرة شعبان ، أضرم الفرنج في منازلهم النيران .  
وأصبحوا على الرحيل والأصوات مختلطة بالصهيل . والأرض مضطربة ،  
والسماء محتجة . والقباب تقوض ، والعياب<sup>(١)</sup> تنفض . والجباب تنثل ،  
والهضاب تنقل ، والذئاب تعسل . والزغف يفاض ، والحتف يخاض .  
والخيل تسرج ، والسيل يمرج . وذوائب النوايل تنشر ، وأنياب النوايل  
تكشر . ولواء اللأواء يعقد ، وضرام الضراء يوقد . والبيارق تخنق ،  
والبوراق تألق . واللوتو ، والجوتو . وللعديد تبوج<sup>(٢)</sup> ، وللعديد تموج .  
وقد ثارت الجواء<sup>(٣)</sup> ، وفارت الجأواء<sup>(٤)</sup> ، ودجت الأضواء ، ورجت  
للضوضاء . وسال الوادي ، وعدت العوادي ، وسار الأعادي .

وعلم السلطان تدبيرهم ، وعرف مسيرهم ، فرعدت كوساته ،  
وغردت بوقاته . وصاحت طبوله ، وساحت سيوله ، وانسجبت ذيوله ،  
واصطلخت خيوله . وبرقت لوازمه . وأشرقت طوائمه . ومضت عزائمه ،  
وومضت صوارمه . وحلقت العقبان إلى مطار مطارده ، وتألفت الخريصان  
في معاقل معاقده . وسار وأرضه جرد الضوامر ، وسماؤه نسج الخوافر .  
في بحار سوايح يموج على شكائهما<sup>(٥)</sup> اللعاب ، وغلران سوايح كالزلال  
لمه الحباب . ومجر ملتهب الجوانب ، مشتل القواضب ، وقبب مقودة  
السائب<sup>(٦)</sup> ، مقودة الجنائب ، معصوية الهوادي هادية المصائب . وعرب  
ملوية العمائم بالشهب ، ملوثة البرود بالقضب .

(١) العياب : جمع عيب وهو الزنيل من آدم ، وما تجمل فيه العياب كالصنوق .

(٢) تبوج : لمعان وتكشف .

(٣) الجواء : الواوي الواسع ، اليلين من الأرض .

(٤) الجأواء : أرض غليظة في سواد .

(٥) شكائم : جمع شكمة وهي من الهجام الحديدة المعترسة في فم الفرس .

(٦) السائب : جمع سيب ، وهي من الفرس شعر اللتب . والقب : الفاسر من الخيل .

وترك كالأقمار في حالات التروك ، وممالك في حالات الملوك . وعناق  
الوجوه على الوجيهمات العناق ، قد خلقوا للثبات مع قلق الأخلاق . وأعاجم  
على العراب ، هضاب على هضاب . وكرد بحصون الدروع محتمين ،  
وقباب اليلب مستعصمين . في مسرودة الخلق ، مسدودة الخلق . تفهقر  
عنها الهازم ، وتفقهه إذا فلت بها الصوارم . وجيش يصيب العدو  
ولا يصاب ، ويميب الأقران ولا يعاب .

من كل ناصر الحق ، على ضامر للسبق ، خارق للنقع راقع للخرق ،  
فاتق للرتق ، راتق للفتق . معتق إلى الضرب ضارب للعق . وفلق همه فلق  
الهام ، وجحف ملتهم للجحف الهام . يحوى كل أغلب عبل (١) الدراع ،  
وأشم رجب الباع . خواض الكتاب ، فياض القواضب . رواض الرعان ،  
فضناض السنان ، موارد العنان ، قوار الجنان . قائد الخيل ، زائد السيل ، رائد  
الليل . وهاجت العساكر ، وماجت الزواجر ، فزأت القساوير وأزهرت  
الزواهر . وتناوحت جلبات الحديد وعلبات الحرير ، واشتبه سهك  
المأذى (٢) بعيق العير .

وكانت نوبة اليزك في ذلك اليوم للملك الأفضل (٣) ، وهو في نخبة  
الجحف بلور ليل (٤) القسطل ، وشموس يوم المحفل . فوقف لهم وقفاً  
أثرهم ، وألبهم بنيران النصال وأسهرهم . وقطع طريقهم ، وقصد تفريقهم  
وسطا على أوساطهم (ونادى بإبراء زناد إيراطهم (٥) ) . فانقطعت أواخرهم  
عن أوائلهم ، وسدد سهام المنون إلى مقاتلهم . وأرهم إليهم الأجل ، وأحرق  
عليهم العجل ، وطرق نحوهم الوجل ، وانهمز من تقدم ولحق الأول ،  
وتعكس من تأخر وانخلل وانخل (٦) .

---

(١) أغلب عبل الدراع : أسد غليظ الدراع .

(٢) المأذى : كل سلاح من حديد .

(٣) في ب الملك الأفضل والتصحيح من ل ومن أ (٣٢٩ ي) .

(٤) سابقة في أ (٣٢٩ ي) .

(٥) في أ (٣٢٩ ي) . نادى بإبراء زناد أنباطهم .

(٦) انخل : مشى في قتال .

وأوقد ناراً على أهلها مشعلة ، وترك تلك الوقعة للمجاهدين الحاضرين مشغلة . ونفذ إلى والده يستجده ، حتى يسرع إليه مدده . ويقول : « إن أمددتُ بألف ما أبقيت من هؤلاء واحداً ، ومتى يتفق مثل هذه القرصة لو أرى لي مساعداً » . وتردّدت إلى السلطان رسل استنجاده واستمداده ، وهو متحقق أنه لو ساعده القدر بالقدر لمرى در النصر على مراده ، فسار من كان حاضراً من العسكر على عزم إنجاده وإسعاده . ثم قيل للسلطان « ما كنا ركبنا بنية المصاف في هذه المرحلة ، والناس قد سبقوا إلى المنزلة . وهناك عند قياسارية الحرب أمكن ، والقلب إلى انهزام القرصة أسكن » : وأبطأوا عن الإصرار ، فأذن روع الفرنج بالإفراخ .

وعرف ملك الانكسر بما تم على ساقته ، وأن الذي وراءه في عاقته . فصرف عنانه وصرف عناده وعاد عادياً بمحامته ، فحمى بمدده أمداده . والملك الأفضل قد بلك وسعه ، وأوضح في الجند شرعه . وقتل من وصلت إليه يده ، ولقد كان يضعف عدد الأعداء لو تضاعف عدده . وبقي يتلهف على ما فاتته من القرصة ، وأعوزه من حصنة تلك الحصنة . فقد انهاض بانهاضه جناح الكفر ، وكاد يفتح لارتيجائه رتاج النجاح في النصر .

ومن جملة من كان مع الملك الأفضل من خواص الأمراء والممالك ؛ سيف الدين يازكوج وعز الدين جورديك . واتفق قولهم على أن العدو كان قد انكسر ، وتبدد نظمه وتبتر . وأنه لو اتصل بهم مدد لم يبق من الأعداء أحد . ونزلنا تلك الليلة بالقيمون في الوقت الميّمون . وعلى الساقة المنصورة لحفظ الأتقال لتؤمن على ما تخلف فيها من العدو الفارة ؛ علم الدين سليمان وحسام الدين بشارة .

ورحلنا يوم الاثنين ثاني شعبان ونزلنا بقرية يقال لها الصباغين ، وبتنا بمنزلة يقال لها عيون الأسود . وأمر السلطان للمشورة بحضور أوليائه وأمرائه الأماجد الأجواد . والفرنج لما وصلوا إلى حيفا وقد وصل إليهم الحيف ، وساق ساقتهم السيف ؛ وخلصوا من نواجد النصال ؛ وأنياب النبال ؛ أقاموا بها حتى ينمل جرحهم ؛ ويستريح طليحهم ، وتهب بعد الركود ريحهم .

وركب السلطان إلى الملاحة وهي بعد حيفا منزلة القوم ، وكشف ما حولها بالحووم . وعرف هل عليهم منها ملخل ، وهل يصاب منهم فيها مقتل . ثم عاد إلى منزله وأقام بها يوم الثلاثاء وسير الانتقال إلى مجدل يابا ليلة الأربعاء . وأصبح راحلا ، فما حل حياه بأرض إلا أحيا ماحلا . ونزل على النهر الذي يجري إلى قيسارية ، وعسكره قد طبق تلك البرية . وكان العدو قد تحول إلى الملاحة ، ومكث بها للاستراحة .

وأقام السلطان بذلك الناحية ، يتحول من رابية إلى رابية ، ويرهدف اللقاء القرنج بحضه وحته كل حزيمة نائية . وأتى مرارا بأسارى خطفوا من مواقفهم ، وقطفوا من مناقبهم ، وطرق الإنكدار إلى ثواقب ثوابتهم . فأمر بإرافة دمهم ، وإطاحة رممهم . وأخبره بعض الأسارى أنهم يوم رحلوا وصلوا إلى حيفا حيارى . وطرح منهم وجرح كثير ، سوى من أخذ فهو الآن أسير . وهلكت بين عكاه وحيفا أربعمائة فرس ، ونجوا منكم بأنفسهم على آخر نفس . ولو أنكم كبستم كبستم ، وأعزتموهم من الحياة لو أنكم بهم التبتتم .



## فصل من كتاب إلى مظفر الدين

بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكاء إلى هذه الغاية لاستدعائه

ولما فرغ العدو من شغل عكاء حسب أن ( كل يضاء شحمة (١) ) ،  
وأن ( كل سوداء فحمة (٢) ) . فرحل على صوب حيفا واقعا في حيفه ، باحثا  
عن حثفه بظلفه . زاعما أنه على قصد عسقلان — غنله الله ونحيه — في  
قصدته وزعمه ، وهو حاصل منا على صده ورغمه .

وكان رحيلهم مستهل شعبان وملك انكثير قائدهم إلى البوار ، ووافد  
أهل النار إلى النار ، ولقيناهم من بواترنا بواتر التبار . وقد رحلنا في عراضهم  
لاعتراضهم ، وتشيرهم في طريق انتهاضهم . ولقوا يوم رحيلهم من  
اليزكية الزكية كل نكاية فيهم شديدة ، وكل روعة لهم مييدة . فلنهم قطعوا  
ساقة العدو عن اللحاق بمقلته ، وفلوا عن الحلة في الحركة حد عزمته .  
وقتلوا خيلا ونخيلة ، وفوارس ورجالة . وقلدروا وتمكنوا ، وجرحوا  
فأثخنوا . ونهبوا وسلبوا وأخلوا رموسا قطعوها ، ووقلوا نفوسا قلعوها .  
وغنموا أقمشة وأسلحة ، وحصوا من اللاحقين بهم قوادم وأجنحة .

ونزلوا على نهر حيفا وقد تم عليهم الحيف ، وتحكم في فلهم السيف .  
فأقاموا إلى هذه الغاية لمداواة جريحهم ، ومواراة طريحهم ، وإراحة طليحهم  
ولإثارة ما ركذ من ريحهم ، وقد رحلنا وسبقناهم إلى طريقهم ، عازمين  
على تبديدهم وتفريقهم ، وتشيتهم أيلدى سباً وتمزيقهم . فقد تمكنت بتأييد  
الله أيلدى الأيد من سبيهم وقتلهم ، والله يجمع شملنا لتفريق شملهم .

وما يجدده الله لنا بعد هذا اليوم من غبطة ؛ ولأعدائنا من عبطة ، إلا  
ونبادر بيشراء إلى المجلس لتقوى في نصرتنا عزيزته ، وتشيم بارق التوفيق  
في مواقفنا شيمته ، وتروض مواحل الآمال مع أوان الديمة الربيعة ديمته ،

---

( ١ و ٢ ) ماكل سوداء حمرة أوقعه ، وماكل يضاء شحمة : مثلاً يضربان وموضع التهمة .

ويخلو في سوق رواجه من الدين ماظن أنه رخصت قيمته . وكيف لا يأخذ  
ذلك الكريم بثار الإسلام وقد سببت من عكاه كريمته . وإذا تأمل عرف  
أن الخطب عظيم ، وما لدفعه إلا العظيم ، والهم مقيم ، وما لرفعه إلا بأسه  
المقعد المقيم ، وميقنضى دين هذا الدين الغريم الزعيم .

## وقعة قيسارية

وفى غداة الإثنين تاسع شعبان ، جاء من أنخبز برزجيل الفرنج السلطان .  
وأهم سائرون ثائرون ، وعلى أجنحة الجرد طائرون ، وحول رجالتهم  
بجيلهم دائرون . وهم فى جمع هام ، وقد انقسموا ثلاثة أقسام . كل قسم  
واجله بجيله محفوظ ، وبأعين القسمين الآخرين من خلفه وقدامه ملحوظ .

وكان السلطان تقدم من الليل ، بركوب الخيل . فركب فى كل خواض  
للغمرات ، فياض بالزيمات ، رواض الجامحات ، نهاض بالجانحات . ملتئم  
مع اللثم بالنقع والدجى ، ملتحف لولا الروح - بالحلم والحجا . مفتتح  
فى حومة الوغى ، مضطرم بجمرة الظبا . على نرائع (١) ينقلن الردى على  
صهواتها ، وصواهل يقلغن الحمام من لهواتها ، ويكشف الظلام بيجباتها ،  
ويبارين الصفاح بصفحاتها ، وتعاصل الراح بأعناقها وطلاتها .

وفيهم من رجال الحلقة المنصورة كل سابق إلى المنون على سابق ، وكل  
ناثق إلى المازق مازق . وكل طائر فى الغبار على سابح ، وكل غابق بالنجع  
صايح . فى عراب متمطية بالعراب ، ورقاق متخطفة إلى الرقاب . وسار  
العدو وسرنا نبريه ونباريه ، ونجترى عليه ونجاره . والجاليشية ترمى وتلمى ،  
وتصمم وتصى . وطيور السهام تقصد من الأحداق أوكارها ، والأوتار  
تنشد بالإرنان أوتارها . وهم فى لباس حديد سد على السهام المنافذ ،  
واشتك الشباب فيهم فأشبهوا قنافل .

وكانت هناك بركة كبيرة ، ومياها غزيرة . وهم على عزم ورودها ،  
والإحاطة بمحودها . فحللأنهم عنها ، وأبعدناهم منها . وكان الحزم تركهم  
حتى يخرجوا إلى القضاء ، فيدخلوا من تمكنتا منهم تحت حكم القضاء .  
لكنهم ارتابوا وارتاعوا ، وطلبوا النزول بها فما استطاعوا . فاحرقوا إلى

---

(١) نرائع : جمع تريمة ، وهى من التجائب : التى تهلب إلى غير بلادها ، أو من الإبل  
والخيل التى انتزعت من أيدي الترياء .

الساحل ، وانصرفوا بالفارس والراجل . واجتمعوا سائرين ، وساروا مجتمعين .  
ومازلنا نلزمهم (١) ونهزمهم ، ونحفزهم ونحزهم ، حتى تمت مرحلتهم ،  
وعمت مقتلتهم . وتثلثت الصفاح ، وتخطمت الرماح ، وأجرت الأنهار  
الجراح ، وجرى بالأرواح نالسماح .

وحضر السلطان مع الجاليشية ، ناجح الإرادة نافذة المشية ، ونزلوا على  
نهر يقال له : نهر القصب (٢) . وقد انصبوا إلى النصب . وما كانوا  
يرجون ، وما كادوا ينجون . ولما نزلت بهم في مسيرهم التوازل نزلوا ،  
وحين وليتهم نصالنا ومناصلنا انزلوا .

---

(١) نر : شه وأصق . والنر هو الطين وهو المقصود هنا ، وكذلك نر بمعنى الزام الشيء  
بالشيء .

(٢) نهر القصب : بين القصير وأرسوف ( النهرس الجغرافي للوادى السلطانية رقم ٢٠٠  
ط . ليدن )

## مقتل إياز الطويل

واستشهد في ذلك اليوم ؛ الحمام المقدام ، الأسد الضرعغام ، الطاعن الضارب ، الباسل السالب . الغضنفر الميرماس ، القارس القراس ، أياز الطويل . وطالما عرض نفسه في سوق الشهادة ، وأقدم لإقدام الساعى إلى السعادة . وكان إلى الصريخ أسمع منتصت ، ولعطاس النقع أسرع مشمت ، وإلى ضيف الحمام أسبق متلفت ، ولسيف الإقدام أرشق مضطبط . لا يروعه الروح إذا حفزته عزيمته ، ولا يهوله الهول إذا همت به همته .

وهو أول من يركب وآخر من ينزل ، ويدبر سواه وهو يقبل ، ويسابق إلى المضار ولا يجهل . وهو أبداً يدعو إلى المبارزة ، ويدعو على المناجزة . ويقف بين الصفين على صافته ؛ ويرحل على مطايا الحنايا من بنات كئنته ؛ إلى مقاتل المقاتلين طعائن غائته . فما برز إليه إلا من برزت إليه متونه ، وفاضت بالدم من عيونه عيونه . فكم كف للكفر كفها ، وبكبر للنصر زفها . وأنف للشرك جده ، وذى أنف للفتك صرعه . ولبة للغضنفر ضبحت لثعالب رماحه ، وطولية (١) للمتشم (٢) طنت فيها أذبة صفاحه . وأجفان للأقران نبت فيها أهذاب سهامه ، ووجوه للشجعان تفصلت في حساب حسامه .

فلما جاءه الأجل ما أجل ، ولكن إلى الجنة به عجل . فإن حصانه خانه وما صانه . فعر به في حالة الإقدام ، وجلا قمرة في هالة الحمام ، ولم يخف لثقل الحديد للقيام . وطعن وضرب ، وأتاه من الكوثر سلسيله فشرب . ولما أدركه الأصحاب ألفوه وقد فات ، ورافق في عليين الأحياء في سبيل الله لا الأموات .

ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة ، شديدى الشوكة ، حديدى

---

(١) الطلية : المتق .

(٢) المتشمر : فشر الرجل : ركب رأسه في الحق أو الباطن فلا يبال بما صنع ، تشمر

الجيش أو السيل : أتيل .

الشكة . ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في أوله ، وهو الذى نزل العلو  
في أسفله . وتقاربت ما بيننا تلك الليلة المظلمة ، وعندنا الأمن وعند العلو  
المخافة .

ولما أصبح السلطان يوم الثلاثاء مكث على الثبات والهدوء ، ينتظر  
ما يكون من خبر العلو . وأقام الفرنج على حالهم ، لتعبهم وكلالهم ، ولأسباب  
منها جراحاتهم ، علموا منها منهاج راحاتهم . وكذلك ما ملكهم من رعب  
الملاك ، والابتراك في الارتباك .

## وقعة لعز الدين بن المقدم

وكان عز الدين بن المقدم في ساقية اليرك ، مستيقظاً للحفظ والدرك . فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين ، ركبوا بغير عدة مسترسلين ، ولأخبار عسكرينا مستشرفين ، وهم مما تم عليهم غير متخوفين . فعبر إليهم النهر من ورائهم ، واستظهر عليهم في لقائهم . فقتل منهم عدة ، ولقوا منهم شدة وأسر ثلاثة قبل أن ينالوا إغاثة . ثم ركب الفرنج إليه ، وحملوا عليه . وكانت وقعة عظيمة ، جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة .

وأحضر الأسارى عند السلطان ، بجزام الذل والموان . فأخبروا أنه جرح بالأمس منهم ألف ، وسرى فيهم وهن وضعف . وقد جرى عليهم أمر عظيم ، وبلاء مقعد مقيم . ورحلنا وقت الظهر ، وعبرنا شعراء أرسوف في الطريق الوعر . ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج من تلك المذاهب ، على قرية يقال لها دير الراهب (١) .

ومضى السلطان جريئة ، إلى قرب أرسوف ، وأطال هناك الوقوف . حتى رأى أرضاً في طريق العدو تصلح لقاته ، والإحداق به من أمامه وورائه . وأقام يوم الأربعاء في ذلك المنزل ، والعدو في منزله الأول .

---

(١) دير الراهب : بفلسطين قرب أرسوف ( القهرس الجغرافي للتوادر السلطانية رقم : D

ط . ليند ) .

## ذكر اجتماع الملك العادل وملك الانكثير

كان في اليك علم الدين سليمان بن جندر ، قد ظهر فيه واستظهر ،  
في اسله العلوي على أن يتحدث مع الملك العادل ويجمع به ، وينزل على أربه  
وعرب عن مطلبه . فاجتمعا يوم الخميس على التأسيس . ثم تحدثا في الحوادث  
وهوادي الحروب العوائث (١) . وأن السلم متبينة ، والسلام فيها متبينة .  
والمصالحة مصلحة ، والمائلة مترجمة (٢) . قال : « وما جئنا إلا لإصراخ  
أهل الساحل ، فوقعنا في الشغل الشاغل . فإن أصلحتهم وأصلحتهم استرحنا  
واسترحم » . فقال له الملك العادل : « ما الذي فيه تحاور وله تحاول » . فقال :  
« رد البلاء برد البلاد ، وسلوك مسلك الإسعاف والإسعاف » . فقال العادل :  
« هذا لا مطلق فيه ، وهذا رسم باطل حقنا معفيه . ودون حدود البلاد حدود  
الحداد ، وخطط القتام وخرط القتاد ، وصرف عنان صرف العناء إلى  
التصرفين بالعناد » .

وأدركه حكم الحمية والحفيظة ، وعلى مرجل غيرته في الكلمات الكالمات  
الغليظة . وكان الترجمان بينهما هنفري بن هنفري ، فلما سمع ملك الانكثير  
ماراعه ، ما استطاع سماعه . وثار ثورة المحقق المحرق ، وآل اجتماعهما  
إلى التفرق .

---

(١) العوائث : جميع صيوت وميات وهو الانكثير للفساد .

(٢) في ب مترجمة والتصحيح من ل .



## وقعة أرسوف

لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الطاغية ، وأنه مصر على تلك المباحى الباغية ، جمع يوم الجمعة وقت الإصباح الأصحاب واستحضر من أسد غابه من غاب . وأمر برحيل الأتقال ، وأقام في رعيال الرجال . وركب في عجم أنجاب ، وعرب على عرب ، وكرد على جرد ، وكل سابق ورد على سابق ورد . على خيل من سماتها آثار الطعن ، وعلى جبهاتها أنوار اليمن . بأكباد غلاظ على العدا ، ورقاق حداد على الطل . ونيال مصمية لبان المصمم ، ورماح لئدن لئدنها ضغم الضيغم المعلم . فأقام العدو بسواد قومه يياض يومه ، وبات وقد فارق جفنيه غرار نصله ونومه .

فلما أسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ، ركب العدو على صوب أرسوف ؛ وقد ضم الرجال والفرسان . وهوسائر في ليل حالك ، وسيل سالك ، وخيل حالك . وحزب الشيطان ، وحرب الإيمان ، وأصحاب الحميم ، وأقطاب الضلال بهم . وخطاب الخطوب ، وانداب التلويح . وكفأة الكفاح ، وصفاة الصفاح . وأجناس الكفار ، وأنجاس النلوية وأرجاس الاستنار . وكل غيران غير وان وأفوان معتقل أفوان ، وكل أرقم في جلد أرقم ، وكل أزرق أشقر على أديم .

فأحدثت به أحلاف عساكرنا إحداق النار بالحلفاء ، ونقلت بنسور ضوامرها الأرض إلى السماء . وخاضت الغمرات ، وأفاضت البحمرات ، وأفاظت (١) للمهجات . وشبت نيران المتنديات ، وأهبت رياح العرييات . وألمبت شعل اليمانية ، وألمت بها مقل القرنيية . وجال عليهم في الجاليش ، الترك على الأكاديش . وأحدثت سهامها كالأهداب بالأحداق ، وبرزت بيضها لمعاقة الأعناق .

ولمع شرار النصال في دخان العجاج ، وخرقت بنات الحنايا الخرق

---

(١) أفاظت : ألمات .

حجاب الحجاج ، وأفضى فيض بنابيع النبع إلى إعجال الأعلاج . فإن  
الفرنج أغلوا في سيرهم وجلوا ، واحتلموا واحتلوا وامتلوا . وقربت  
منهم الأطلاب ، واختلط بهم الأصحاب ، وتماقت الرقاق والرقاب ،  
وأخرج القوم وتقطعت بهم الأسباب . وقربوا من أرسوف وقد لاقوا منا  
الخنوف والخسوف . وضاق خناقهم ، وحق بهم إرهابهم . ونشبت  
بالخيشية فيهم بالنشاب ، وشبت نيران المرفقة في أولئك الأوشاب .

فاحتلموا في جلودهم الجرح ، ومن أجلادهم الطرح . ووجلوا  
الموت الغالى مسترخصاً ، وأيقنوا بالدمار ولم يحلوا غلصاً . وعرفوا أن البلياء  
عليهم متصلة غير منفصلة ، وأن قواهم لما فوق مالفوه من النكاية غير  
محتملة . فحملوا على الأطلاب المنصورة حملة واحدة زحزحتها عن مواضعها  
وكادت تحلثها شوارع القنطاريات عن مشارعها . لكنها تحيزت إلى القلب  
المنصور ، وفازت من وجوه النصر بالسفور .

واستشهد في تلك الفورة الثائرة ، والثورة الفائرة ، سعداء استقبلوا  
بالأسنة الأسنة ، وأجابوا دعوة الله بأن لهم الجنة . فما صرعوا حتى صرعوا ،  
ولما أشرعت إليهم الرماح أشرعوا . ثم كرت عليهم نخب الرجال كرة  
أردتهم وردتهم ، وصدفتهم عن الاستئان في جدد تلك الحملة وصدتهم :  
وفرست منهم فوارس ، واتعست معاطس . وفرشت بالعراء لهم أشلاء ،  
وأنخنوهم طعاناً ورماء . فزلوا في أرسوف وقد كسروا وخسروا ، وقتل  
قوم منهم وأسروا .

وفي ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم الملك العادل - سيف الدين ،  
وحمل في أصحابه أسد العرين . وسدد إلى غورهم الشوارع ، وقلع منهم  
قلائع . وثبت عسكر الموصل ، وكذلك قايماز النجفي في موضعه الأول .  
وكانت العساكر في شعراء أشية(١) ، وشجراء متشبة .

فلما رأى العدو اندفاع المسلمين قدامهم ، لم يأمن رجعتهم وإقدامهم .

---

(١) أشية : ملغمة متشابكة .

فعاد وعبر أرسوف ونزل قريبا من الماء . ويات السلطان تلك الليلة على نهر  
العوجاء (١) ، وأقام العدو يوم الأحد في موضعه ، منكوبا بتعب تبعه .  
ثم رحل يوم الإثنين سائراً إلى يافا ، ليستدرك بها فارطه ويتلاقى . ونازلتهم  
العساكر بالنوازل إلى أن نزلوا ، وقطعوا طرقاتهم حتى وصلوا .

---

(١) نهر العوجاء : نهر صغير بفلسطين يصب في ( البحر الأبيض المتوسط ) بين يافا وأرسوف .

## فصل من كتاب السلطان إلى الديوان العزيز

يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد الرحيل من عكاه

ساروا في مواضع ما لليزك عليهم فيها سبيل ، ولا لقداح القراع في مجالها مجيل : وعساكرنا تضايقهم في كل مضيق ، وتطرقهم بالبلاء بل المنايا في كل طريق . وهم على البحر لا يفارقونه ومن المورد إلى المورد في كل مرحلة لا يتجاوزونه . فلإن المياه قريب بعضها من بعض ومسيرهم بمقدار مسافة ما بين المنهلين ، وإذا لزوا لم يعملوا بين المنزلتين . وكانت لنا إلى هذه الغاية معهم في كل بقعة وقعة ، وفي كل مرحلة مقتلة ، وفي كل منزلة منزلة . وأوردناهم الردى في كل مورد ، وقصدناهم بالشلائد في كل مقصد . وسبّلنا حماهم للحمام في كل سبيل ، وساء صباحهم منا في كل مغلى ومقيل . وطريقهم على البحر كلها مضايق وأجم ورمال ، ومواضع لا يتسع فيها مجال ولا يتهاى قتال .

وكلما وجدنا فسحة ضايقناهم ، وأرهنّا حلود الغزائم والصوارم وأرهنّاهم . وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر فيها يبور ، ودائرة السوء على أهله بناتلدور ، وماء أهل النار بفيض بأسنا عليهم يغور . ولولا أن الله تعالى قد أخذ مواعده في نصر أوليائه ، وقهر أعدائه ، لوقع الفرار من شغلهم ، وشملت نعمته لنا بتبديد شملهم .

فمنها : يوم رحيلهم عن عكاه أرهنّاهم اليكزية الزكية ، ونكأت فيها منهم الرمية بل المنية . وكان الولد الأفضل يومئذ متولى اليكز ، فتولى إسعار لب المعرك . ووقف لهم في المضيق على الطيق ، وباشر جمعهم بالتفريق . وقطع آخرهم عن أولهم ، وعاق الساقة عن الوصول إلى منزلهم . وبترويتك ، وقتك وهتك ، وقتك وسفك ، وطلب وأدرك .

وعبر الله نجر حيفا لما دهمهم من الأمر ، واحتموا بالمنزل الوعر : ووصل عساكرنا وقد تمنعوا بالنزول ، وتجمعوا في الوعر عن السهول ،

ولم يبق إليهم نهج للوصول . وأقام الفرنج في تلك المذلة أياما ، وقد نالت  
معاطسهم إرغاما . حتى استجلوا عدداً ، واستجلوا مدداً ، واستجلوا  
من وراءهم عدداً . وأحكموا التدبير ، واستأنفوا المسير .

ومنها يوم انفصالهم عن قيسارية ، بارتهم الرماة ، وبرتهم بالمبرية ،  
وأنفذت إليهم رسل النية . وقتلت منهم مقتلة جيدة ، ولم تزل السهام إلى  
مقاتلهم مصوبة مسلدة ، إلى أن احتسوا بالنزول ، وحلوا عقد تلك البلية  
عنهم بالحلول . وقد قتلت من خيلهم عدة ألف رأس ، لم يفصل راكبها  
إلا وهو من ثوب النجيع كاس . ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة المناهل ،  
والمسافات غير متباعدة المنازل . فإذا لزوا بالمنازلة ، ارتزوا (١) إلى المذلة .  
ولاذوا وهم أهل النار بالماء ، وقادهم العجز عن الاحتمال إلى الاحتماء .  
ثم استقلوا منتصف شعبان سائرين على البحر يعادتهم وعاديتهم (٢) ،  
شاكين في منعهم ، ممتنعين يشوكتهم وشكينهم . والخيول تجري بهم جريان  
السيول ، والراجل يلتف عليهم في مثل سواد الليل . العساكر الإسلامية  
جاثلة في عراضهم ، ماثلة إلى اعتراضهم . موقفة في مرامها ، مفوقة  
لسهامها ، محرقة أهل الجحيم بضرامها .

ولما نشب فيهم الشباب وأعجزهم ، وأزصجهم وأحرجهم بكثرة  
النكاية فيهم وأرهبهم ، كابروا وصابروا إلى أن وصلوا أرسوف ، وقد  
شارفوا الخسوف ، وقاربوا الخوف . فحملوا بيملتهم حملة واحدة ،  
وجاءوا كالسحاب بارقة وراعدة .

واندفعت الأطلاب الإسلامية أمامها . ولم تثبت قدامها . حتى أبعدوا  
بيملتهم في حملتهم ، وتفردوا بحركتهم في معركتهم . وظننا السلطان هزيمة ،  
وبانت بالعاقبة أنها كانت عزيمة . فإن القلب المنصور ثبت فته للمتحيز ، وموثلا  
للمتفرز المتحرز . ووقف الأخ العادل ثابتاً قلبه ، نابئاً طلبه . وكر عليهم  
في حربه ذوى الحمية ، والأنف والآية ، والمهم العلية ، كرة ردتهم وأردتهم ،

(١) ارتزوا : ارتز البخيل عند المسئلة : ثبت ويين . والسهم في الحائط : ثبت .

(٢) في ب عاديتهم والصحيح من ل .

وصدقتهم عن بلوغ الغاية وصلتهم . فاستلركت مافرط في الزوبة من النبوة  
واستمسكت بما استأنفته في العزمة من القوة . وقتلت منهم كندا كبيراً ،  
وعداً كثيراً ، وعاد نظم هامهم بالمرء ثيراً . ونزلوا بأرسوف ، راغى  
الأثوف . قد قل جندهم ، وقتل كنلهم .

وهذا طاغوتهم المالك بسيف سيف الدين ، كان مطاع أولئك الملاحين ،  
وإيليس تلك الشياطين – والمعروف بسير جاك ، واستمر حكمه ، قبل  
وصول ملوك الإشرارك . وتحت حكمه عدة كثيرة من القوامص والبارونية .  
ونفذ أمره على الدلاوية والاستبارية . وكان من عظم شأنه ، وفخامة مكانه ؛  
أنه يوم صرع قاتل دونه جماعة من المقلمين المحتشمين ، فما قتل حتى  
قتلوا ، ولا بلبل روجه حتى بلبلوا . وجزع ملك الانكتير لمصرعه ، وفرع  
من ورود مشرعه .

ونزلت العساكر الإسلامية على الماء وهو بعيد من غيم الكفار ، ونجيت  
عليه بحكم الاضطرار . ثم رحلوا وقصدهم العسكر فصادفهم بقرب يافا ،  
وكل منهم استلرك بقصده إياها تلفه وتلافى . فجال دونهم لقدح منونهم  
مجيلا ، ومن جمعهم بقمعهم مديلا ، وعلى قومهم بوقمهم مجيلا . حتى  
باسطهم في ميادينها ، وخالطهم في بساتينها ، ورابطهم بالأسود في عرينها  
وأسرى الحين إلى سراجينها .

فما وصلوا المدينة إلا وقد تحفظوا من حولها ، واستولى الرعب على  
قلوبهم من بأس الحرب وهولها ، وخافوا من فريضة مسألة النكاية وعوؤها ،  
وما صدقوا كيف نجوا وأفلتوا ، وسكنوا فيها بنية الاستيطان وثبتوا .  
وعلموا أنهم إن خرجوا أخرجوا ، وإن سلكوا هلكوا ، وزعموا أنهم إذا  
صبروا ملكوا .

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج إلى يافا

ورحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرملة ، واجتمعت  
الأتقال كلها به في تلك الرحلة . ورحل ليلا وأصبح على (يُبيّتي) ، وجاوزها  
إلى نهرأمر أن الخيام به تبني . وزرنا يُبيّتي قبر أبي هريرة (١) رضوان الله  
عليه ، وتبادر الناس للتمين به إليه . ورحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر ،  
وشرع فيما عزم عليه من الأمر .

---

(١) أبو هريرة : هو الصحابي الجليل ، المحدث المعروف وصاحب رسول الله صلى الله

عليه وسلم .

## ذكر خراب عسقلان

لما نزل بالرملة أحضر عنده أخاه العادل وأكابر الأمراء ، وشاور  
نحو أمر عسقلان ذوى الآراء . فأشار علم الدين سليمان بن جنتر بخرابها  
المعجز عن حفظها على ما بها . ووافق الجماعة ، وقالوا : « قد ضاقت  
عن صونها الاستطاعة . فإن هذه يافا وقد نزلوا بها وسكنوا فيها ، مدينة  
بين القدس وعسقلان متوسطة ، ولاسيبيل إلى حفظ المدينتين ، ولاتنى الحال  
بحماية البلدين . فإن كل واحد منهما يحتاج في حفظه إلى عشرين ألف مقاتل ،  
وإلى الاستكثار لأجل ذخائره من كل حاصل . فانظر إلى أصوب الرأيين  
فقلعه ، وأبصر أخطر الداءين فاحسمه ، واعمد إلى أشرف الموضعين  
فحصنه وأحكمه ، وتيقن أن عسقلان إذا وصلوا إليها وهى سالمة تسلموها ،  
واستظفروا بها وأحكموها . وتقووا بها على سواها ، وبلغوا من بغيتهم  
وبغيتهم إلى متهاها » .

واقضت الآراء ، إقامة الملك العادل بقرب يافا مع عشرة من الأمراء .  
حتى إذا تحرك العدو كانوا منه على علم ، ومن قصده على عزم .

ووصل السلطان إلى عسقلان ، وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس  
تاسع عشر شعبان . ولو حفظت لكان حفظها متيقنا ، وصونها ممكنا ، لكن  
وجد كل له متجنباً متجنباً . وقد راعتهم نوبة عكاء وحفظها ثلاث سنين .  
وعادت بعد ذلك بمضرة المسلمين . وقال من تعلل واعتذر عن دخولها ،  
وحل عقد عزمه عن حلولاها : « تلخطها أنت أو أحد أولادك ؛ فنلخطها  
اتباعاً لمرادك » .

فحيث لم يجد بدا من نقض أسوارها ، وغضب أنوارها ، وفض سوارها ،  
وتغص آثارها ، وتطفية نارها . ولو كان وقع الاعتناء بابتنائها ؛ مذ يوم  
فتحها واقتنائها ؛ لما تطرق إلى أيدها خلل ، ولا إلى يدها شلل ، ولا إلى حدها  
فلال ، ولا إلى ودها ملل .



وقد كنتُ ركبتي إليها وطفقتها ، واستحسنتها واستلطفتها . ورأيت  
سورها قبل فصح سواره ، ونورها قبل ذبول نواره . فما رأيت أحسن منها  
ولا أحسن ، ولا أحكم من مكانها ولا أمكن .

وسكانها كانوا في رفاية ، فانتقلوا منها على كراهية . وباعوا أنقص  
الأعلاق بأخس الأثمان ، وفجعوا بالأوطار والأوطان . وساعت أسواؤها ،  
ونأت أنواؤها ، وأناحت لأواؤها ، وبانت أضواؤها . وسمع غناء  
المعاول في مغانيها المعولة ، ورثت دائرة الزلزال في دورها المتزلزة .  
وناحت تلك النواحي ، ومسحتها المساحي . وجرفت المجارف ، وأخافتها  
المخاوف ، ونكرتها العارف ، وبهرجها الصياف ، ونعتها النواعب ، ونابتها  
النواب ، ونزلتها النوازل ، وغاليتها الغوائل . وسفقتها السواق (١) ،  
وعفقتها العوافي .

وخلت مدارس آياتها من التلاوة ، وتخلت مجالس مكرماتها عن التلاوة .  
وصوحت (٢) مجاني مبانيها، وطوحت معاني مغانيها ، ودجت مجالي معاليها،  
وعادت مقاوي مقارها . ووقفت على طاولها واستوقفت ، وأسيت عليها  
وأست ، وتلهبت وتلهفت ، وشاهلتها وقد حسرت وخفيت ، وعي  
سني محاسنها وخفيت . وبكيت تلك الربوع ، وأهديت لسقايها الدموع .  
فلقد أصيب الإسلام بعروسها ، وعبت الوجوه لعبوسها، حين ثار نفع بوسها .

فلما خلعت مساكنها من سكانها ، وتخلت بالبيوت رماد نيرانها ، وحل  
السلطان يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على يبي ، بعد أن ترك سور  
عسقلان وقد تعذر أن يبي . ونزل يوم الأربعاء ثالث الشهر بالرملة ،  
وتفضيل جميله باد على التخصيل والجملة . وأمر بتخريب حصنها وتخريب  
(لُدّ) ، وبذل كل في ذلك الجهد . وركب جريدة إلى البيت المقدس ،  
وأناه يوم الخميس، وأعاد إليه رمم التأسيس . وخرج منه يوم الإثنين ثامن

---

(١) السواق : هي الرياح التي تسمى القراب وتنفذ .

(٢) صوحت : شقت .

شهر رمضان بعد الظهر ، ويات في بيت نوبة (١) ، وقد نال بما رتبته من مصالح القدس المثوية .

وعاد إلى المخيم يوم الثلاثاء ضحوة ، وقد أكل من كل مارامه حظوة . وفي يوم الإثنين ثامن شهر رمضان ، وصل صاحب ملطية (٢) معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان ، ملتجئاً من أخيه وأبيه إلى السلطان . فتلقاه الملك العادل ، وجاعته منه الفواضل . وأقام في الخدمة السلطانية مدة ، واستجد بها جلة ، وقوة وشدة . واستظهر بالمصاهرة ، وقوى منها بالمضافرة . فإنه تزوج بابنة العادل ، وعاد بتاريخ مستهل ذى القعدة ناجح الوسائل .

وفي هذا التاريخ وهو الإثنين خرج ملك الانكثير في خياله متكرراً ، ليكون لحشاشة لهم وحطابة مخفراً . فخرج عليه الكمين ، ونشب به اللعين . وجرى قتال عظيم ، وكان لأصحابنا موقف كريم . وكاد الملك يؤخذ ويوقد والظعن في لفته ينفذ . ففداه فارس من أصحابه بنفسه ، وشغل طاعته بما عليه من حسن لبسه . فاشتغل به وأمره ، وأفلت اللعين وأخفى أثره . وقتل وأسر من خياله جماعة ، وانهمزوا من أمر تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعة .

وجرت أيضاً يوم الجمعة ثاني عشر الشهر ، حرب بين الزكية وبين أهل الكفر ، سفرت لنا بها وجوه النصر . وقتل مقدم لهم معروف ، بالشجاعة موصوف . ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشرة ، ونزل على تل عال عند النظرون ، وهي قلعة منيعة معجبة للظنون والعيون . فأمر يهدا وهدمها ، وفل غربها وثلمها . وأشاع بها الإقامة ، وأفاض فيها على العسكر الكرم والكرامة . وتمكن الناس هناك من الاحتياط على الأتقال ، وإنفاذ الجمال لنقل الأزواد والغلال .

---

(١) بيت نوبة : أو نوبا ، بليدة من لواحي فلسطين ( ياقوت ج ٤ : ٢٥٣ ط . ب ) .

(٢) ملطية : إحدى مدن أرمينية ( ياقوت ج ١٨ : ١٩٢ )

فصل من كتاب إلى الديوان العزيز في وصف مطاولة

الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح

قد نهك المسكر طول البيكار (١) ، وأنضاه قتال الكفار بالليل والنهار .  
لاسيما في هذه السنين الأربع ، فإنه لم يعرج فيها عن مباشرة الحروب ومغامرة  
الكروب على مصيف ولامربع . ولاشتا ولاصاف ، إلا حيث صف العدو  
وصاف . وقد تكررت عليه الزحوف ، وتعثرت به الختوف ، وتغللت  
منه السيوف ، وتحلحلت به الصفوف ، وتمخضت بأحاده الألوف ، وتمخضت  
بلحى بيضه وسمره من ورق الحديد الأخضر القطوف . حتى سُم ومل ،  
وضجر وكل ، وكم عقد عزمه وحل ، وأنهل نضله من دم الكفار وعل ،  
وأمل النصر فقال عسى ولعل .

وأما خيوله فقد أجهدها بالجهاد ، وأنضأها الطراد ، وفري جلودها  
الجلاد ، وعزت منها لكثرة الجراح الجياد ، وأعادت شهبها كمتا حدود  
البيض الحداد . وحيث داخلها الرعب من خروج الجروخ للجروح ، وفريق  
السهم منها بين الجسم والروح ، صارت تنفر من رنة الحنية ، وأنة المبرية .  
كانّ عندها للأوتار أوتاراً ، ولطائرات النصال في لبائها أوكاراً . أوكأنها  
لما رأت أنها تباريها في المطار ، وتجاريها في المضمار ، ثارت لإدراك الفار ،  
وهذا سبب ما حدث من الفار ، وما عادت الآن تدخل على راجل الكفار .  
وأما العدد فقد فقدت بالكلية وعلمت ، وتكسرت وتحطمت ،  
وتقصفت وتقصبت وتقصمت ، وقتلت قبل المقاتل بها وفي يد من استشهد  
استشهدت .

وأما الشباب فإنه قد فني ، بعد أن اتخذ من أخشابه جميع ما وجد واقتنى .  
وقد علمت أشجاره في منابتها ، وأعوزت أخشابه من مناحتها . ونفضت  
الكثائن ، وأنفضت منه ومن كل ما يذخر الخزائن . وما تبرح الصناعات في

---

(١) البيكار : كلمة فارسية معناها الحرب ( Dozy. Supp. Dict. Arabo ) .

الممالك بمصر والشام ؛ وما يجرى معها من بلاد الإسلام ، يبرون ويبرشون ،  
وينصلون ويعملون ، ويكلمون ويحملون .

واحتيج في هذه السنين التي استمر فيها القتال ، إلى أحمال كثيرة لا ينفى  
بها الصناع ولا يرفعها العمال . وحسبها أن نصولها أعلمت من حديدتها المعادن ،  
ونظت من ذخائرها الأماكن . هذا والخادم قائم بأداء هذا القرض وحده ،  
مستهدف في قطع دابر المشركين غرب عزمه وحده . وما استمر على  
مساعدته ، وموازرته ومعاقلته ، إلا صاحباً الموصل ومنجراً ، وكلاهما عن  
سنتين الإسعاف والإسعاف ما جار . فهو يحضر تارة بنفسه وآونة بولده ،  
ويستمر من جد الموازرة على جده ، ويواظب بعنده وعنده ، ومدده  
في مطاولة مدده .

ذكر ما تجدد للملك الانكثير من المراسلة والرغبة في المواصله

وصلت رسل ملك الإنكثير إلى العادل بالمصافحه (١) على المصافاة ،  
والمواتاة في الموافاة ، وموالاته الاستمرار على الموالاته ، والأخذ بالمهاداة ،  
والترك للمعاداة . والمظاهرة بالمصاهرة . وترددت الرسل أياما ، وقصدت (٢)  
الثاما ، وكادت تحدث انتظاما . واستقر تزوج الملك العادل — بأخت ملك  
الانكثير ، وأن يحول عليهما (٣) من الجانيين في التدبير . على أن يحكم  
العادل في البلاد ، ويجرى فيها الأمر على السداد . وتكون الامراة في القدس  
مقيمة مع زوجها ، وشمسها من قبوله في أوجها . ويرضى العادل مقلدى  
الفرنج والدواية والاستبار ببعض القرى ، ولا يمكنهم من الحصون التي  
في اللرا . ولا يقيم معها في القدس إلا قسيسون ورهبان ، ولهم منا أمان  
وإحسان .

واستدعاني العادل والقاضي بهاء الدين بن شداد ؛ وجماعة من الأمراء  
من أهل الرأي والسداد ؛ وهم : علم الدين سليمان بن جنتر وسابق الدين  
عثمان وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة ، وقال لنا : « تمضون  
إلى السلطان ، وتخبرونه عن هذا الشأن . وتسألونه أن يحكمي في هذه البلاد ،  
وأنا أبلل فيها ما في وسع الاجتهاد » .

فلما جئنا إلى السلطان عرف الصواب ، وما أخرج الجواب ؛ وشهدنا  
عليه بالرضى ، وحسبنا أنه كل الغرض واقضى . وذلك في يوم الاثنين  
تاسع عشر رمضان .

وعاد الرسول إلى ملك الانكثير لفصل أمر الوصلة ، ولإراحة الجملة  
ولإزاحة العلة : واعتقدنا أن هذا أمر قد تم ، ونشر انضم ، وصلاح عم ،  
وصلاح أدم ؛ وحكم مضى ، واستحكم به الرضى . وإن الأثني تميل إلى

(١) في (٣٤٤) بالصافاة .

(٢) في ب قصد والتصحيح من ل ومن أ (٣٤٤) .

(٣) في أ (٣٤٤) عليها .

الذكر ، وتزيل وساوس الفكر . وان يركوب الفحل ، النزول على الدّاحل (١)  
وان الشكر (٢) يجلب الشكر ، ويبدل بالعرف النكر . وان الوقاع يؤمن  
من الوقائع . وان (٣) القراع ينقضى بانقضاء القارح القارع . وان  
الحرب بكسر الحاء وحذف الباء سلم . وان غرم العرم في العسر يسر  
وغم . وان هذا الأخ لتلك الأخت كفو . وان هذا العقد للمخرق المتشع  
رفو ، وان الكثر يعقبه صفو . وان التزويج ترويح ، وتقويم لما فيه  
تعويج .

وشاخ الذكر ، وضاع النثر ، وذاع السر . وبلغ الخبر إلى مقلمهم  
ورعوسهم ، فقصوه على قسوسهم ؛ وعسروا على عروسهم . فجهوها (٤)  
بالعدل واللدع ، ( وأنجهوها (٥) بالقدح (٦) والقلدح (٧) . وقالوا لها : كيف  
تفجئتنا (٨) بأفجع ملم موكم ، وتسلمين بضحك لباضعة مسلم . فإن تنصر  
تبصر ، وإن تسرع فما تعسر . وإن أبي أئيناه ، وإن أتى أئيناه ، وإن خالف  
خالفتاه ، وإن خالف خالفتاه . وأى وجه ههنا للائلاف ، ونحن لاختلاف  
الدين ندين بالخلاف .

فرهبت بعد ما رغبت ، وبطلت بعد ما طلبت ، وسلت بعد ما سألت ،  
ونزت بعدما نزلت ، وكرهت وكانت شرهت ، وكانت اكتحلّت فودت  
أنها مرهت (٩) . فأرسلت إلى الرسول ، وأقبلت عليه بالقبول . ثم تصلبت  
في القسم وأقسمت بالعصيب ، أنها بحية إلى التقرير والتقريب . وأنها مسارعة

(١) الفحل : الثأر .

(٢) الشكر : التكاح .

(٣) في أ ( ٢٤٤ ش ) فان أنجهوها .

(٤) جهوها : فاجأوها ، ردوها عن حاجتها .

(٥) أنجهوها : ردوها أقيح رد ، استقبلوها بما تكره .

(٦) القدح : الجبن والانكسار . والقلدح : القدر ، الخفاء ، التمش .

(٧) ما بين القوسين في أ . ( ٢٤٥ ش ) وجهوها بالقدح .

(٨) في ب تفجئتنا والتصحیح من ل ومن أ ( ٢٤٥ ش ) .

(٩) مرهت العين : فسدت وابتضت بواطن أجفائها .

إلى التمكن ، لكن بشرط الموافقة في الدين . فانف العادل وعدد عن  
استئناف الحديث ، وأبى الله أن يجمع بين الطيب والخبيث .  
اعتذر الملك بامتناع أخته ، وأنه في معالجتها وتعرف رضاها في وقته .  
وكان قد استقر مع تمام العهد ، وانتظام العقد ، مفاداة كل أسير بأسير ،  
كبير بكبير ، وصغير بصغير . وبشرأولياء الطاغوت ، بصليب الصليبوت .  
فبطل التدبير ، وعطل التدبير ، وذلك ثلثي يوم العيد .  
وفي يوم العيد وهو الثلاثاء ؛ أعد السلطان من الليل خلع الأكابر حتى  
سارت إليهم بكرة ، وأحدث بحسن احتيائه لكل عين وقلب قرة ومسرة .  
ثم استدعاهم إلى سباطه ، ونشر لهم بساط نشاطه . وجلس الملك معز الدين  
قيصر شاه بن قليج أرسلان عن يمينه ، وأعزه بتقريبه وتمكيته . ويليّه حسام الدين  
خضر — أخو صاحب الموصل ، ولسمو منزلته دنو المنزل . وعلاء الدين —  
ابن أتابك الموصل — عن يساره ، وهو يوثره باختصاصه ويخصه بإيثاره .  
ومجاهد الدين يَرْتَقِشْ مقدم عسكر سنجار جالس ، والأكابر كلهم هناك  
في منزلته متافس . ثم تفرق الناس بأنس جامع ، وعُرف شائع ، وعُرف  
ضائع .

ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو ومواقفته له في كل يوم

تواتر الخبر بأن الفرنج على عزم الخروج ، وأنهم على الاجتماع في تلك المروج . فسار يوم الاثنين سابع شوال ، وقد أركب العسكر للقتال . فلما بلغ قبلى كنيسة الرملة ، جميل الحال ، حالى الجملة ؛ خيم وبات ، ونوى البيات والثبات . وجاء الخبر في غد ؛ بأنه خرج العدو إلى يازور<sup>(١)</sup> في أوفر مدد . وتسارع العسكر إليهم ، وتكاثروا عليهم ، وقربوا من خيامهم ، وأخلوا عليهم من ورائهم وأمامهم . وناشبوهم بالنشاب ، وكاثروهم بالأوباش والأوشاب .

فركب الفرنج إليهم ركبة ، أوجبت رهبة . وحملوا على الناس حملة واحدة ، وحلت عجاجة عليهم عاقدة . فاندفعوا بين أيديهم ، فأدركوا ضعافاً طمعوا فيهم . وقعد من المسلمين ثلاثة بالشهادة ، وكانت مساعدتهم إلى السعادة . وكذلك في كل يوم يركب السلطان ما يغلو من وقعة ، ولا بد للكفار فيها من صرعة .

---

(١) يازور : أو يازور ، بلدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام ( ياقوت ج ٢٠ :



## ذكر وقعة الكمين

وفي ليلة الأربعاء سادس عشر شوال أمر السلطان رجال الحلقة المنصورة بأن يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة . فكمنوا وأمنوا ، وصبروا وانتظروا . وخرجت الفرنج للاحتشاش ، وباشروا عثار انحصارهم في الاصحار بالانتعاش . ولقيتهم أعراب على عراب ، بصوارم في أيمنهم كأنها بروق في سحب . فركبت إليها من الخيام ، ورجبت في ترحيب صلورها بصلور الخمام ، فاندفعت العرب أمامها ، وحقت انضمامها . وما قدرت على قصد موضع الكمين ، لانسداد الطريق : بالأساد الشم العرائن دون العرين . فمرت العرب في جانب ، والكمين في جانب . والخيل تركض بسالب من سالب ، وناهب من ناهب .

ونجا العرب ، وفاتهم الطلب . وحضروا بأسارى ونهاب ، وأفراس وأسلاب . فأما أصحابنا في الكمين ؛ فلنهم أبصروا الفرنج ناهضين ، وفي المعرك راكضين ، فخرجوا على ظن أنهم على قصدهم ، فلما بصروا بهم نشبوا بردهم عن وردهم . وركضوا إليهم على بعد ، فأتبعوا الخيل بما جلدوا فيه من إحضار وشد .

ووصلوا إلى الفرنج والحياد قد رزحت ، والقوى قد نزحت . فاضطروا إلى القتال وقاتلوا على الاضطرار ، وقتلوا جماعة من كثافة الكفار ، واستشهد ثلاثة من الممالك الخواص الكبار ، وهم : ( أبلز المهراني ) ، و ( جاولي الفيلدي ) ، و ( صارو ) ، وسرّوا في جنات النعيم بما إليه صاروا . وأسر من الفرنج فارمان معروفان ، وأحضرا عند السلطان .

وانفصلت الحرب وقت الظهر ، وعاد حزب الإسلام عن حزب الكفر . وجلس السلطان والقلائع تعرض عليه ، والخيل تقاد إليه ، والأسارى يحضرون بين يديه . وأخوه العادل عنده جالس ، وكلاهما لأخيه مؤانس .

## ذكر اجتماع العادل بملك الانكثير

وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال ، ضرب الملك العادل بقرب اليزك لأجل ملك الانكثير ثلاث خيام . وأعد فيها كل ما يراد من فاكهة وحلاوة وطعام . وحضر ملك الانكثير وطالت بينهما المحادثة ، ودامت المناقشة (١) والمناقشة (٢) . ثم افترقا عن موافقة أظهرهما ، ومصادقة قرراها . ومضى الملك واستصحب معه الكاتب العادل المعروف بالصنيعة ، ليتفقد الأسارى الذين بيافا ، ويتدارك أمرهم ويتلافى . وكان قد وصل صاحب صيداء من صور برسالة المركيس ، وأنه يرغب في سلوك نهج التأنيس . وأن يكون للسلطان مصالماً ، وله على الطاعة مصافحاً . حتى يقوى يده على ملك الانكثير ، ويتزدد هو بالملك والتدبير . وعرف ملك الانكثير بالحال ، فوصل رسوله أيضاً بالإحفاء بالسؤال . ومضى العدل مع صاحب صيداء إلى المركيس على شرائط قررت ، ونسخ أيمان حررت .

وأما مراسلة الملك فلم تسفر عن المقصود ، ولم يمر من تلونه إلا على المعهود . وكلما أبرم عهداً نقضه ونكته ، وكلما قوم أمراً عكسه وعلته (٣) وكلما قال قولاً رجع عنه ، وكلما استودع سرّاً لم يصنه . وكلما قلنا نفي ؛ خان ، وإذا خلنا أنه يزين ، شان ، وعن كل خزي أبان .

وفي يوم الأحد سابع عشر شوال عاد السلطان إلى المخيم بالنظرون ، وأقام على الثبات والسكون . وفي يوم الخميس مستهل ذى القعدة سار ابن قليج أرسلان صاحب ملطية مودعاً ، وركب السلطان وسار معه مشيعاً . وعقد له على ابنة الملك العادل بصداق مائة ألف دينار ، ومضى وقد حصل على ذخائر من استبشار وافتخار ، واستبصار واستنصار ، ويسر ويسار .

---

(١) المناقشة : ثاقته ، جالسه أو لزمه حتى يعرف دخليه .

(٢) المناقشة : ناقته ، خاطبه وساره .

(٣) عك : خلطه .

ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذى القعدة وتقدموا إلى الرملة ونزلوا بها ، وخيموا في أقطارها وسهوها . ولم نشك في أنهم على قصد القدس بأهل الرجز والرجس .

وأقام السلطان في كل يوم له سرايا ، للكفر منها رزايا . ولنا في كل يوم وقعة شديدة ، وفتكة بالكفر مييدة . وما يخلو يوم من أسرى نقاد ، وغنائم تستفاد . ثم توالى الأمطار ، وتوعرت السهول وتوحلت الأوعار . فعزم على الرحيل ، وأمر بالتحويل .

## ذكر الرحيل إلى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين ذي القعدة

وركب السلطان يوم الجمعة والقيث نزل ، والنصر شامل ، وقضيل الله متواصل . ونحن معه ساقون ، ومن يركة الجهاد إلى يركة القدس صائرون . والقاضي بهاء الدين بن شداد يسابق في مسألة من الملايف ياحفي ويتناظرني ؛ حتى وصلنا إلى القدس قبل العصر . وقد نشر السلطان لواء النصر . ونزل بطر الأسماء المجلورة لكعبة قلعة ، ونوى بها الإقطة . وشرع في تحصين اللبنة ، لتحصيل السكية . وصلى يوم الجمعة مسهل ذي الحجة في قبة الصخرة . وضجت الألسنة في الدعاء له بالصرة .

وفي يوم الأحد ثالث ذي الحجة ، وصل حاكم الدين أبو الميلاء من مصر ، بسكر بحر . وتبعه بعد ذلك العساكر المصرية . ووصل الخبر بزول الفرنج بالطرون ، وأذن ذلك بزاحم الأفكار ؛ وتراجع الظنون ؛ وترايل السكون . وجرت يوم الخميس سابع الشهر وقعة ، تم على العدو بها صرعة . فإن السلطان قد تلك القلة إلى الفرك قريب بيت نوبة ؛ عنة من الفرنان عردة<sup>(١)</sup> ليستصحبوا لإحصانهم للجنوة . فوقوا على سرية الفرنج قتلأصلوها ، وأسروها وقتلوا . ووصلوا يزهاه خمسين أسيرا إلى القدس ، وعاد ذلك ما يرد القلب وطيب النفس . وكانت بشرى عظيمة ، ونعمى<sup>(٢)</sup> كريمة ، وحسن عيمة . وكذلك سابق الدين صاحب شيزر ، ومن معه من السكر . واتهم يوم العيد قتل من قتلهم ستة وأسر أربعة ، وترك بالركة منهم صرعة . وكسب منهم خيلا ، وكسبهم ولا .

(١) في نسخة والصحيح من له ومن أ (٢٤٨ ش) .

(٢) في ب ل و والصحيح من له ومن أ (٢٤٨ ش) .

## يوم عيد الأنصحي بالقلم

كانت الرقعة بمكة يوم الحصة في هذه السنة ، وتضافت للحجيج الحصة على الحصة . غير أن العيد بالقلم كان يوم الأحد ، فلم ير ليلة الخميس للملأل أحد . ونصب السلطان خراج قبة الصخرة المبركة (١) الخاص ، وصلى الناس في القبة العيد وملأوا حوالها المرائض. ثم انصرف السلطان وقد بر عمله ، ودر أمه ، ووفر أجره ، وأسر فجره .

---

(١) المبركة : فقط طريق الأصل ، يقال على نوع من الأيام تكون الواحدة منها من قطع من الكتب تكون على شكل قبة صخرة يتلخ من اليد ( Day-Supp. Dict. Arabs. )

## وقعة

في يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة ؛ أغار على طريق الفرنج بالرملة سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر ، وكلاهما يمد في الجهاد ولا يقصر . وأنحنا غنائم وأموالا ، وساقا خيلا وبغالاً ، وكسبا أحمالاً وأنقالاً . وأسرا ممن كان مع القافلة ثلاثين ، ووقفوا بين يدي السلطان على ركب اللد جاثين ؛ وتوالى على الفرنج النهوض والنهوب ، وكثرت منهم الكسوب ، واستعرت فيهم الحروب ، وزادت الكروب . وضافت عليهم الأرض ، واستولى على عقود عزائمهم التقص . ورأوا أنهم قهروا فقهرروا ، وأحاط بهم البلاء من الجوانب فما صبروا .

ورحلوا إلى الرملة عائلتين ، وبالسهول من الحزون عائلتين . فإن الثلوج دامت على أولئك العلوج ، وصلتهم عن الدخول والخروج . ونزلت بهم النوازل في تلك المنازل ، فنفروا راحلين إلى السواحل . وذلك في يوم الخميس الثامن والعشرين من ذى الحجة ؛ فطابت قلوبنا بما وضع في النصر من المحجة ، وثبت للحق على الباطل من الحجة .

ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القلنس وحفر خندقه

وتجديد سورہ وإعادة روثقه

وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة من الحجارين ، وعدتهم خمسون رجلا ، إذا اجتمعوا قطعوا جبلا . وقد سيرهم صاحب الموصل إلى القلنس ، للعمل في الخندق وتعميق الحفر ، والقطع في الصخر . وقد سفرهم بتفقة ، وجعلهم من الإحسان على ثقة . وأصبحهم بعض حجابہ ، ونداهم بئدي سحابہ . وسير مع المثلوب مالا يفرقه عليهم في رأس كل شهر ، ويتعاهدہم في كل يوم بتفقد ير . فأقاموا نصف سنة ، وأتوا في صنعتهم بكل حسنة .

وصمم السلطان على حفر خندق جديد عميق ، وإنشاء سور وثير . وأحضر من أسارى الفرنج قريب ألفين ، ورتبهم في العمارتين . وجدد أبراجا حربية من باب العمود إلى باب المحراب ، وأنفق عليها من المال ما خرج عن الحساب . وبنها بالأحجار الكبار الثقال ، فجاءت أرمسى وأرسخ من الجبال . وكان الحجر الذي يقطع من الخندق يستعمل في بناء السور ، وإذا تكملت العمارة على ما رتبہ للقلنس من المعمور ؛ كان آمنا من قصد العدو الملحور ، وفي عصمة الله من المخوف الحذور .

وقسم بناء السور في مواضعه على أولاده ؛ وأخيه الملك العادل وأمراه وصار يركب كل يوم ويحضر على بنائه . ويخرج الناس لموافقته على حمل الحجر إلى مواضع البناء ، ويتولى ذلك بنفسه ويجماعة خواصه والأمراء . ويجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية ، وحواشي العسكر والأتباع والرعية والسوقية . وكنت أركب في غلماي وأتباعي ، وأحفظ قلب السلطان في نقل الحجر وأراعي . فبني في أقرب مدة ما تعذر بناؤه في سنين ، وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين .

ذكر من توفي من الأكابر والعرفين في هذه السنة

وقت في عين

توفى لذلك المقتدر في القرنين عمر بن شاهنشاه بن أيوب - ابن أخي السلطان ، يوم الجمعة طلوع عشر شهر رمضان . وهو على حصار ميلاد كرد (١) - من عمل أرمينية ؛ وقد سبق ذكر سيره إلى بلاد الجزيرة ، لاستعداد الأملاك الكثيرة . واستعداد الأجناد ، والاستعداد بالأجناد ، والجمع من جميع الجهات للجهاد . والودود سرى بالجنود المسلمة والجمع للقتال ، والجيش المقاتلة للرافقة ، والجنود للرافقة للرافقة . والقواضب القاصلة (٢) ، والمواظب الماطلة . وللمصافين بالمصاح ، والمخالفين في أصناف الرياح بأطراف الرماح ، والمخالفين الجبال على الرياح ، والمطشيين إلى اجتماع النجج لإرواء الأرواح . ومكث السلطان على اقتضائه ، متوجسا لأخطاره . مستوحشا من إبطائه ، مصطفا إلى أنبيائه ، مستترا لوقت . فلما أخذ القرنج عكاه نسب ذلك إليه ، واحسب الله عليه .

فما تقي الذين قتله عن له أن يحضى إلى مياقطين ؛ واستصحب  
إليها عسكر ملودين . وقد إلى السويلاء (٧) وانزعها من أبيلى  
أصطيا ، واستحوذ على جميع ما بها . وحاصر مدينة حتى (٨) قتلها ،  
وكانت له مقاصد في ديار بكر فأدركها . واتطع بلانا من ولاية ابن قرا  
أرسلان وأصلها ، ولرب القلوب بما اجتأ به واجده وروعها . وتأخذ  
عنا بسبب ذلك عما ك ديار بكر ، وحصلت منه على غزو وذر . وراعت

(۱) قوا (۲۰۰ ش) مقرر کرد.

**பயிற்சி : பகுதி (ர)**

(٢) الوحدة : قرية محرونة من نواحي دمشق ، (عاصمة جبل الدروز الآن في سوريا) ،

(یقرت ۱۱ : ۲۸۶)۔

(٤) حلق : عتبة سروة بغير بكرها سنن الحليد ( ياقوت ج ٦ : ٢٠٨ ط.ب )



حيه ، وهبت روحه . ودبت إلى اللؤلؤ عتقة أعطره ، وثبت في  
القلوب لوائح ناره . ولوتجت تلك الأجسام من زلوه ، ولزورت من  
مزله . ولبت تلك البلاد يلاه ، وهابت الأعلاء مبة أعلاه . وزلت  
الأفام لإعلاه ، وانقضت الأعلام لإعلاء أعلاه .

ونفى عنه من جيلجور (١) جيلة الجور ، وأتعب يلعليه إليها  
فوران الفتة على القور . ودخل قلب قلب ، وحكم في علها القتب  
القضب . وقصد عسكره عسكر بكتمر فكمره ، ثم سرح بالإحسان  
وأطلق من أسره ، فطر بكتمر واشتل بثر الأثف لثمه ، وأعطى بأذن  
الشف (٢) شفه ، واتخت حيه ، وحيت نخوه ، وغيره غيره ،  
وعيره رعيه ، ولودته للم هته ، وحركه عزته فاجتمعت جماته  
ولمت لمت . وما لرجا له نجح رجلاه رجلاه ، وما لبالا له عن إعلاه لبالاه .  
وأجته ثمر الطاعة أجناده ، وأتجاه يجهد الاستعانة إيجاده . وجر عسكرا  
جرا ، وساق إلى الحرب بجرا ، ولوقد يبلطح جبرا ، وجلب يغما  
وسرا ، ودعما وشقرا ، وصولم ببرا ، وصولم ضمرا .

وأهض كته وكته ، وحشد رعيه ورعته ، وفوى حيه وحياه ،  
وساكني ولايه وولاه ، ونسوره وملكه ، وسلكه وغلكه ، وملكه ورملكه ،  
وشباهه وغراه . وجاء في سواد أسودته الجور ، واقصد بظلامه القور ،  
ونخل بنجومه ليل العجاج ، ونخل بنفوره صبح اللجاج . وأبرق ولرعد ،  
ونحدر ونصعد . وسار بين الآكام بالآكام ، وضاعى الأعلام بالأعلام  
ولذكي ملاكيه الجياد ، وأجرى ضولمه وهولاه قد ملأت القواد ،  
ولأقنى إلى الآساد الآساد . وأغرى بالجلاد الأجلاد .

وجنب الجناح عراه ، وجلب الكفاح رعاه . وأشرع للراح رماحه ،

(١) جيلجور : اسم لكورة كبيرة صلة ببيتر يكر من نواحي أربنية (سليم البقاع  
يقوت ط . الكفحي) و (فتوح القرامطة ج ٦ : ١٥٠ ط . طر الكتب) .

(٢) الشف : الغرض ، والشف بكوة التود ما يطلق في أمثل لو أميل الإثمن من ط .

وأطلع في سنى الصباح صفاحه. وماجت غدران دروعه ، وهاجت غران(١) جموعه . ومالت المران ، وجالت الأقران . وسال المرت (٢) ومرت السيول ، وتسهلت الوعور وتوعرت السهول . وانقض القضاء ، وانقض القضاء . واشتكت الأرض من الخوافر الخوافر وقعا ، فأنارت لفرط تألمها على شرط تظلمها إلى السماء تقعا . وحثت في وجه الفلك ترابا ، وحثت لأتراب الأتراب طعانا وضربا .

وخاف على خلاط واختلط من المخافة ، فقصر إلى الملك المظفر طول المسافة . فلما عرف إصحار خادره ؛ وانتشار بوادره ؛ وانتهاض قوادمه ؛ وارتنكاض صلابته ؛ وانقضاض شهب قواضيه ، وانقضاض دهم سلاحيه ؛ اصطف له بمن اصطفاه من الأنجاد الأنجباب ، وقض على القضاء سحابه الصحاب . وبسط على البسيطة رداء الردى ، وأعدى بعلمه على العدا . وركب في كل ضرب يعد الضرب ضربا من الضرب ، وكل بطل لمحق المبطل محق الطلب ، وكل باسل سالب من كباش الأقران القرون ، وكل عسل بعامل يمين بالمنى ويعون المنون . وكل شجاع أشاجعه (٣) وصائل القواطع ، وكل مقدم قوادمه عوائق الوقائع . وكل طائر بأجنحة السوابق ، زائر بأسلحة البوائق ، محلق بخواف الخوائق ، مطرق لطوارىء الطوارق . وكل ذمر مشيع ، باللمارشيع ، وكل قاس قوسه عاطف ، وكل راع نصله راعف . وكل صاد عزمه صادق ، وكل رام لحظ سهمه إلى المقاتل رامق .

وأيد رجاء الرجال بأياديه ، وقوى عزائم أولائه لإضعاف أعاديته ، ورغب بالرجائب وأمل ضيوف الآمال ، بفيوض أمواه المواهب . ونحى المستخين ، وانتخب المستخين . وأقدم في كل مقدم مقدام ، وضيغم

---

(١) غران : جمع أغرو هو الحسن من كل شيء، ومن الخيل ما فيه غره، ومن الناس السيد الكريم الأفعال .

(٢) المرت : المفارقة بلا نبات أو الأرض لا يحث ثراها .

(٣) الأشاجع : الأسابع التي تتصل ببعضها ظاهر الكف .

ضرغام ، وهمام همام . ومعتقل أسير يرشف ظلم القلوب ، ومشتعل أبيض يكشف ظلم<sup>(١)</sup> الحروب . وكل من يخال الطعن ضرب القلح والضرب يجد السوام<sup>(٢)</sup> ، وكل من ينال اعتزاز الجذ يجد الاعتزام . وكل من يعيد ألقى البيض شقائق ، ويصل بها إذا فارقت أغمارها المرافق . وكل من عنانه في عین الجماع ، وسنانه مرود عيون الجراح .

وكل من ذبال سمهريه يلتهب ، وذباب مشرفيه يضطرب . ووجوه صوارمه تبكي وتضحك ، وعيون لماذمه تفتك وتبتك . ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه ترمي ، وسواعد سيوفه من أيدى الأيد تمد وتلنى . وكل أشعت الهامة ذى همة ، تشعب صدع كل ملمة . وكل شهيم شيطمي ، أباء حمى . مجرب محرب ، مقرب على مقرب ، مطهر على مطهر ، جار بمرجم ، بار بمخلم ، ضار بأرقم . جواد حليم ، نحمد في الوغى جهلته على جواد كريم تدعو إلى الردى صهلاته . وكل بحرمستلم بغدير ، وكل من عنده إذا لبس الحديد أنه لا لبس حرير .

فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط ، وود لو استترك الغلط . وجاش وطاش ، ورام من عثرته الانتعاش . وولى هزما ، ولوى هشما . وأغمم العسكر التقوى سلاحه وخيله ، وجر على تراب الذلة ذيله . وظفر الملك المظفر بالملك ، وأسلم العدا إلى الملك . وقيد إليه أمراء أسروا ، وأصبحاء كسروا ، فأطلق سراحهم ، وأنقض بتشريقاته جناحهم . ثم حل من صحراء موش ، وساق إلى خلاط الجيوش . ثم بدا له من حصارها فأقرها بسلب قرارها . وعرج على قلعة شميران<sup>(٣)</sup> فتشهر لها ، وفتح مقفلها ، وكان مجد الدين بن الموفق — وزير خلاط بها محبوبا ، ومن حياته يؤوسا . فخلصه واستخلصه ، وكسر حتى طار منه قصصه ، وأنه لمن أعجب القصص لو شرحت قصصه .

(١) ظلم : الظلم : التلج .

(٢) السوام : أى الذى تم .

(٣) شميران : بلدة بأرمينية وقرية بمر و الشاهمان (تاريخ ١٢ : ٢٦٥) .

ثم راح إلى ملاز كرد ونازما بالتضييق ، وقاتلها بالمنجنيق . وحشد إليها الأمداد ، وأورى فيها من عزائمه الزناد . وجاءته عساكر ( أرز الروم ) منجدة من جلة ، موجدة لما لها من موجدة . تقدمها الملكة ماما خاتون بنت سلق كاتها في الأبهة والأبهة من ملوك سلجق . ووفد إلى تقي الدين الجنود ، وواقفته السعود ، وخافته في غاباتها الأسره ، وغربت به العقول وعلقت به العقود ، وتوطدت له البلاد وتوطأت ، وتهدت وتهدت . واستندته الممالك القاصية ، وأطاعته المقاصد العاصية . وتشفت له مسامع الأقطار بأقراط السمع والطاعة ، وعم الإحمال تلك المحال ، ففض بما أفاضه من فاضله جماعة الجماعة . ورجى وخشى ، واعتنى وغشى . وامتلات الطرق بالوفود والجنود ، وتوالت إليه أمداد البأس والجود .

فينا هو في غفلة من القدر ، وغفوة من الكلر ، وغرة من الغير ، وقد أماء حديث الدنيا عن الحادث الداني ، وجنى الحياة عن الموت الجاني ، وزيادة الأمل عن زيارة الأجل ، ونزل إلى عن نوازل المنون ، وسكن الأتراب عن التراب المسكون ، ظهر له سر الغيب المكتوم ، وأدركه القضاء المحتوم . ومرض أياماً ثم قضى ، وانقرض عهده وانقضى .

وكم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد وفاته ، إلى أن خرج من ذلك الإقليم وجاوزه وفاته . وفتحت ملاز كرد بابها ، وسلم الرب أربابها وخرج ولد تقي الدين يعيكه وماله سالماً ، وجد في مقام والده بإظهار شعاره قائماً . وجاءت رسله إلى السلطان تسأله ، في إبقاء بلاد أبيه بيده حتى يبقى مستمرا على جده . وطالب من السلطان ، الميثاق له بأغلظ الأيمان . فلم يقبل الشرط ، واشتط فشط ، وجلب له الشطط السخط ، وأقام على التبعاد ولم يتدارك بالوصول مامنه فرط ، ونسبوه في استيحاشه إلى العصيان ، وسعوا له في أسباب الحرمان . حتى انتخى له الملك العادل قمض لإحضاره ، وجرى الأمر على إثارة .

وسبأى ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان .

وتوفى في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين .

### ابن أخت السلطان

توفى بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فأصيب السلطان بابن أخيه وأخته في يوم واحد . وكلاهما له أقوى ساعد ، وأوفى مساعد ، فياقته من حسام أعمد ، وهمام ألد . وركن وهن ، وكنز دفن . وبجز غاض ، ورزء هاض (١) . وصبح كسف ، وبلر خسف . لقد غامت الأيام لغمه ، وثكلته الدولة ثكل أمه . فإنه كان واحدها وعضدها ومعاضدها . وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه ، وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه ، وقد سبق في الكرماء ذكره . وذكر في المكارم سبقه ، وقرظ خلقه . ووصفت مقاماته ، وقمت بصفاته . فإن له مواقف في الجهاد مشكورة ، ومقاطف بلخي النصر مشهورة . فقطع الأجل عليه طريق الأمل ، وأعاد حلية الزمان به إلى العطل . وأوهن عقد شبابه الطرى وحله ، وثلم حد شباه الطير وفله ، وما زال في غزواته مثيرا للترب إلى أن سكن عليه التراب وسكنه ، وطالبه الثرى بحق خلقه معه فاسترهنه ! وغارت عليه الأرض بانطلاق سموه إلى السماء فاعتقلته ، ووجلت في أوج القلك في التيرات فقتلته .

وما كان أذكاه وأزكاه ، وأصحه وأصحاه ، وأبهجه وأباه ، وأضوعه وأضواه ، وأوعاه للفضائل وأحواه . ولقد فجعت به صديقا صلوفا ، وشقيقا شقيقا ، ورفيقا رفيقا . فلحق عليه من شهيم توطن التراب ، وسهم أصيب بعد ما أصاب ، وجواد بلا حساب ، لم يخطر بالبال من رزئه حساب ، ( لكل أجل كتاب (٢) ) .

وتوفى في هذه السنة علم الدين سليمان بن جنتر ؛ وقد سبق ذكره

(١) هاض : يصيب مرة بعد أخرى .

(٢) الآية : ٣٨ سورة الرعد .

في غزواته ، ومواقفه ومقاماته . وكان في الخلمة مقبلا ، والسلطان إلى  
الأنس به مستنميا . فعرض له مرض استأذن لأجله في العود إلى وطنه  
بجلب ، وسمح له السلطان بجميع ما طلب . وتوجه من القدس سادس  
عشر ذى الحجة ، واستقام على المحجة . وقضى نجه عند قربه من دمشق  
في قرية غباغب ، وسر التراب منه المناقب . ووصل الخبر بوفاته إلينا  
يوم الخميس ثامن عشرى الشهر .

وفي هذه السنة فلك بآتابك (١) مظفر الدين قزل أرسلان بن أيلدكز  
في همدان ؛ ليلة الأحد مستهل شعبان . كان تولى الملك بعد وفاة أخيه  
المعروف بيهلوان في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت إرادته ،  
ورجحت سعادته ، وصلحت عاداته . وكان السلطان السلاجقى طغرل  
ابن أرسلان (٢) تحت حكمه ، وهو ابن أخيه لأمه . وله اسم السلطنة  
ولقزل حكمها ، وله سموها ووسمها . فأنف السلطان من كونه تحت  
حجره ، ويحكم نبيه وأمره ، فإنه لم يكن له صاحب ولا غلام إلا من عنده ،  
ولم ينفرد منذ تولى بحله وعقله . فهرب وحده تحت الليل ، واتصل به  
بعد ذلك من انضم إليه من الخيل . ودام غائبا في نواحي دامغان (٣) مدة ،  
واشتد مصابه وأصاب شدة . فاتصل به عدة من ممالك بهلوان الخواص  
وسلكوا معه نهج الإخلاص .. وأعادوه إلى سرير ملكه ، وانتسق (٤) أمره  
في سلكه . وقويت يده ، وتأيدت قوته ، واجتمعت كلمته ، وتكلمت  
في الأمر والنهى جماعته . ورهبه قزل أرسلان ولازم ذعره ، وأخذ منه  
حليته .

(١) في أ (٢٥٥ ش) قتل .

(٢) طغرل : هو طغرل بك بن أرسلان شاه بن طغرل شاه بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان  
السلاجقى ، توفى سنة ٥٩٠ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٣٥ ط هار الكتب)

(٣) دامغان : بلد كبير بين الرى ونيسابور وهو قبة قوس ، كثيرة الفاكهة (ياقوت  
ج ٣ ط . الخاني ) .

(٤) انتسق : انتظم .

وتنافس الآراء وممالك يهلوان الذين تبعوه ، وأعلوا شأنه ورفعوه . وسعى بعضهم ببعض ، وقابلوا كل لإرام من مكرهم بنقض . وقالوا له : هؤلاء البهلوانية يغتالونك ، وبالسوء يتالونك . فابطش بهم قبل أن يبطشوا وعثرهم قبل أن يتعثروا ، فسمع مقالهم ، وتبع محالهم . وقتلهم بحضرتة وهم غارون ، وساءهم باغتيالهم وهم بالمغالة فيه سارون . فنفر منه كل آنس ، وحفظ نفسه كل مناس ، وزال بشره وبقي بوجه عابس . وفارقه بنو البهلوان بجنائته على ممالك أبيهم ، ولقوه بتأييهم (١) . وقصده قزل أرسلان فأزعجه ، وأخرجه من دار ملكه وأخرجه . وأجلس سلطانا آخر موضعه ، وكدر (٢) عليه بالشوائب والنوائب مشرعه ، وخطب لمز الدين سنجر بن سليمان شاه وأطعمه وأطعمه . وأرضاه بالاسم ، وأجراه على الرسم . وكاتب سلطانا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد : وانتظمت بينهما أسباب الاتحاد .

وكان السلطان طغرل إذا خات همدان من قزل أرسلان يعود إليها ، ويستولى عليها . ثم إذا عرف قربه بعد ، وإذا علم بعده قعد . وشرع يقتل أصحابه بالتهم ، ويشد في النهب لثلة النهم . فقتل فخر الدين (٣) رئيس همدان . وبث العدوان . وقتل وزيره العزيز ابن رضى الدين المستوفى لأمر توهمه ، ولخاطر لم يكشف مبهمة . فألبأ الزمان إلى الوصول إلى الأمير حسن بن قفجاق ، وشكى إليه من أهله وأصحابه الشقاق . فخرج معه وآزره وضافره ، وظاهره بعد أن صاهره . وزوج أخته منه ، وحوى جانبيه وذبح عته .

وراسل سلطانا قزل أرسلان حتى يصلحه ، ويصافحه على الوفاء ويسامحه وكاد أن يتم الصلح ، وسفر بعد ليل الفتنة الصبح . فلما تقاربا للمصالحة تحاربا ، وأتهم كل واحد منهما الآخر فتواثبا . وأوقع قزل أرسلان به

(١) في ب تأيهم والتصحيح من ل ومن أ (٣٥٦ى) .

(٢) في أ (٣٥٦ى) فكدر .

(٣) هو فخر الدين العلوى وزير طغرل شاه (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١٣٥) .

وبالتركان ، وعادت الفتن ملتية النيران . وساق السلطان طغول إلى همدان ، فمضى وراءه قزل أرسلان ، فخرج إليه ثقة بما سبق من الإيمان . فصرف عنانه وقبضه ، وأعرض عنه واعترضه . وجسه في بعض القلاع وأبعد عينه وأثره عن الأبصار والأسماع .

فانسقت له المملكة ، واستقر منه السكون والحركة . وكانت أصفهان منذ توفي البهلوان ؛ قد اضطربت واحتربت ، واقتربت الساعة بها وخربت . وقتل في ثلاث أربع سنين منها في محاربة العوام ألوف ، وتوالت بها حتوف وزحوف .

وكانت الشحن<sup>(١)</sup> من جانب قزل على الشافعية ، وقوا أيدى الترابية في تخريب المدرسة النظامية<sup>(٢)</sup> . فألحجت الضرورة إلى أن أصحابنا دعوا بشعار السلطان ، ووجدوا القوة به أمام قوته والإمكان . فلما اعتقل طغول ، واستمر أمر قزل ، مضى إلى أصفهان ؛ فأخذ رؤساء الأصحاب في المحال ، وأجرى عليهم حكم<sup>(٣)</sup> القتل والاعتقال ثم عاد إلى همدان وقد قوى وروى ، وقال ماهوى ، ونشر من أمره ما كان طوى ، وجلس على سرير الملك وضرب النوب الخمس ، ووجد بعدم من يوحشه الأئس ، ولها ولعب ، وشرب وطرب .

وغفل عن القضاء المشتبه ، ونام عن القدر المتبته ، واغتر بالعيش الرفه ، وحلم عن الخطب السفه . وبات في قصره ، وقد غاب في سكره ، وهو بين خدمه وحشمه ، وعسسه وحرسه ، وعتقائه وأرقائه ، ومستخصيه ومستخلصيه ، فوجد على فاشه وهو قتل ، ولم يدر<sup>(٤)</sup> كيف قتل ولم يكن

---

(١) الشحن : جمع شحنة وهي العداوة .

(٢) المدرسة النظامية : ببغداد ، كانت أكاديمية علمية وجامعة إسلامية للدراسات العليا ، أنشأها نظام الملك ، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق المتوفى ٤٨٥ هـ في عهد الخليفة المقتدى بأمر الله الباسي .

(٣) ساقطة في ب منته في ل .

(٤) في ب لم يذكر والتصحيح من ل ومن أ (٣٥٧ ش) .



عليه سبيل . فنسب قتله إلى الإسماعيلية (١) تارة وإلى الخاتون (٢) الأيتانية أخرى ، والله أعلم بما به حكمه أجرى .

ولما أصبحوا قتلوا صاحب بابه ، وحل العقاب به دون أربابه ، وجلس قتلغ آيتانج بن بهلوان موضعه ، وجمع له ملكه ومنعه ، ومضى آخره نصره الدين أبو بكر إلى أذربيجان وأرانية (٣) سائقا إليها واستولى عليها .

وأما السلطان فإنه أيس منه ، وسلا من كان يواليه عنه . فتمصبت له امرأة متولى القلعة ودبرت في خلاصه ، وهونت على زوجها أمر استصعابه واعتياصه ، واستعانت بمن أعانها ، وأعلت بإعلاء شأنه شأنها .

ولما برز دخل مدينة تبريز (٤) وكأنا الكبير أخرج الإبريز . ثم جمع ومضى على سمت همدان . فلقى قتلغ آيتانج وعسكره بين أوه (٥) وزنجان (٦) فكسره وهزمه ، وفل حله وثلمه . ومضى إلى همدان

---

(١) الإسماعيلية : أو السبعة ، طائفة من الشيعة ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق صاحب الأئمة ، وهي التي اتبعت طريقة الدعوة السياسية الدينية المنظمة تنظيمًا سريًا بحيث ينتشر الدعاة المقيمة الباطنية في جميع العالم الإسلامي ، والباطنية تعني أن القرآن الكريم معني معنى ظاهر ومعنى باطن ، وهم يقولون بوجود النفس والعقل الكلبيين في امامهم المقيم في الهند والملقب بأفغان ( المنجد ) و ( تاريخ الأمة العربية لكردي علي وآخرين ) .

(٢) الخاتون : كلمة فارسية معناها المرأة صاحبة الكلام في البيت والمتصرف فيه ، وقد استعملت الكلمة في اللغة التركية وكذلك الكردية بهذا المعنى ( الألفاظ الفارسية المعربة لدى شير ط . ب ١٩٠٨ ) . وذكر د . محمد موسى هنتولي في كتابه معجم الألفاظ الفارسية أنها بمعنى المرأة العظيمة .

(٣) أرانيه : ذكر في حاشية نسخة ل ٣١٠ أنها اسم لبلد وذكر ياقوت صاحب معجم البلدان أنها أران وقد سبق التصريف بها .

(٤) تبريز : أو توديز وهي أشهر بلدة بأذربيجان ، وتوديز تسمية العامة لها ( ياقوت ج ٥ : ١٣ ط . ب ) .

(٥) أوه : قرية بين زنجان وهمدان ( ياقوت ج ٣ : ٢٨٣ ط . ب ) .

(٦) زنجان : بلد كبير مشهور من نواحي الخيال بين أذربيجان وهرمز قرية من أهر ويطلق عليها زنگان أيضاً ( ياقوت ج ١٠ : ١٥٢ ط . ب ) .

وجلس على سرير ملكه وذلك في سنة ثمان . وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله .

وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من أصحاب السلطان  
صفي الدين أبو الفتح بن القابض ، وكانت وفاته في الثالث والعشرين من  
رجب . ولقد كان سوريا ، والحمد لسوريا ، وفي حلبة المكارم جريا ،  
ومن الأمانة في ولايته برية ، ومن المارعرية ، ولم يزل زند مضائه وريا .  
وكانت له سياسة ورياسة ، ونفس ونفاسة ، ورأي وفراصة ، وفطنة  
وكياسة . ومروية وقوة ، وثبات جنان وقوة . وكان قد خدم السلطان  
أيام علمه ، ور في كفالة أبيه وعمه . فلما ملك مصر أمرجه في أموالها ،  
وحكمه في أعمالها . حتى نال المني ، ووجد الغنى . فقال له : « قد  
اكتفيت واستغنت ، وإن صرفت الآن ما باليت ، فاصرفني عن العمل .  
فقد نلت غاية الأمل » ، فعاش غنيا ، ومات جشريا (١) . وورث السلطان  
بعض ماله ، وذلك ما فضل عن أفضاله ، فإنه فرق على ممالكه أملاكه  
وماله . وأخفى بعد وفاته بما بذله حاله .

وفي هذه السنة في شهر ربيع الأول توفي الحكيم الموفق ابن مطران (٢) ،  
وكان بارعا ظريفا ، نظيفا عفيفا . وفقه الله في بدايته لهداية الإسلام ،  
ونال أسباب الاحترام . وتقدم عند السلطان ، وما شأنه كبير وهو كبير  
الشان . وكانت له حراية ودراسة ، وذكاء وفراصة .

ولم يزل مطلقا في طبه ، متعطفا بحبه . متحيبا إلى القلوب ، متقلبا من  
قبوله في المحبوب . صبيح البهجة ، فصيح اللهجة ، صحيح الحجة  
بوضوح المحجة . ولم يزل له عند السلطان وذوى الجاه جاه ، ولجده  
انتباه ، ولداواته بالشفاء شفاء . حتى حان أجله ، وخان أمله ، وبان عنه  
حلي حاله ، وبان عطله .

---

(١) أي مالك بخشار - وهي الإبل تترك ترعى ولا ترجع لأصحابها في المساء .

(٢) الموفق ابن مطران : هو أسعد بن إلياس بن جرجس بن مطران الطيب ، كان نصرانيا  
فأسلم على يد صلاح الدين ، وكان وزير المروعة ، حسن الأخلاق ، كريم المشرة ، يحب أهل البيت  
التبوي الكريم ، مات سنة ٥٨٧ هـ (النجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٣ ط . دار الكتب) .

وكانت له عندي يد أذكرها وأشكرها ، وعارفة أعرفها ولا أنكرها .  
 وذلك أني في ذى القعدة سنة ثمانين كنت متوجها في خدمة السلطان ،  
 وفي صحبته ، متوليا للإنشاء منفردا بمرتبته . فلما وصلنا إلى بعلبك انقطعت  
 عنه بها لمرض عرض ، وشكا جوهرى العرض . وانتهى إليه بدمشق ما أُلِمَ  
 بي من الألم ، فتعقم فكره . من خبر السقم . وركب ووصل في يومه حتى  
 أدركني ، ومرضني وما تركني . وداواني حتى أبلت ، وأزال الله انحراف  
 مزاجي بطبته فاعتدلت . وصحني إلى دمشق وسبق إلى أوليائي بالبشرى ،  
 وشكرت الله على النعمي . وكذلك كان يطلب مرضاتي ، في جميع مرضاتي .  
 فلما مرض الطبيب لم ينتج في مرضه الطب ، وتوفاه الرب .

وفي آخر هذه السنة ؛ توفي الفقيه العالم الزاهد نجم الدين الخبوشاني  
 بمصر (١) وهو الذي بنى المدرسة عند ضريح الإمام الشافعي — رضوان الله  
 عليه ، وأحيا شعار التوحيد ، وبني أمره على التشديد والتسديد ، وحفظ  
 شمل الشافعية من التبديد . وكان السلطان مجيبا له إلى كل ما يستدعيه ، ويقضي  
 له من الحاجات ما يقتضيه . ووقف على المنزلة التي بناها ووقفا ، وأعطاه  
 في بنائها ألوفا . فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء ، فلقوا بالإبقاء .  
 ثم شفع الملك العادل في صدر الدين علي بن حمويه (٢) — وهو شيخ  
 الشيوخ ، ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ . فكتب بها له ، ورتب بوقفها  
 وتدريسها استقلاله ، وذلك في أواخر سنة ثمان وثمانين . ثم صرف بعد السلطان  
 عن المدرسة ، وبدلت الوحشة من الأنسة .

---

(١) نجم الدين الخبوشاني : هو أبو البركات ، محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن  
 ابن عبد الله ، الفقيه ، الشافعي ، قدم إلى الديار المصرية وتردد ، أعطاه صلاح الدين مالا فبنى به  
 المدرسة التي يجوار الشافعي ، كان كثير الفتن منذ دخل مصر إلى أن مات ، طائشا متهورا ، وكان  
 يصوم ويفطر على غبض الفقير ، ولما مات وجد له ألوف الدراثير ( التنجيم الزاهرة ج ٦ : ١١٥ ط . دار الكتب ) .

(٢) صدر الدين بن حمويه : هو محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه ، شيخ الشيوخ ،  
 تولى تدريس مدرسة الشافعي بمصر سنة ٥٨٧ هـ بعد موت نجم الدين الخبوشاني ، مات سنة ٦١٧ هـ  
 في عهد الملك الكامل الأيوبي ( التنجيم الزاهرة ج ٦ : ٢٢٢ و ٢٥١ ) و ( أبو الفداء ج ٣ :  
 ١٢٧ ط . المطبعة الحسينية ١٢٢٥ هـ ) .

## لصل كتب إلى بعض الأكابر في الدخول إلى القدس

اتفق دخول الشتاء ، وتواتر الأنداء ، وتوافر الأنواء ، وشح الأرض وسح السماء . واقطاع الجلب واتصال الغلاء ، وبعد الراحة لقرب الأعداء ، وملل العساكر للوأم المبيجاء ، والمقارعة واللقاء . وكانت مدينة القدس محتاجة إلى توفر المم على شحها بالرجال ، والميرة والقوة ، والعدة والذخيرة . ورأيناها من أحسن المدن وأحصنها وأحكمها ، وأوجدنا بها جدتها بعد علمها . ورتبنا بناء سورها على جوانب أودية وسفوح ، متى تم لم يبق فيها لطمع من طموح . وهذا أمر الله وفي طاعته ، ولحفظ بيته ولنصرة دينه وإعلاء كلمته ، ولحماية أمته . وما لنا فيه إلا السمسرة ، ومارجاؤنا إلا الأجر والمغفرة . ومانصبب الاتصيب واحدن المسلمين المجدين ، والمؤمنين المعدن للدين . فما أسعد من ساعد فيه ، ووفى بإسعاف عافيه .

هذا والكفر قد أناخ بكلكله ، وحفل يحفظه . وبرز إلى الإسلام بكلية ، وعراه بيليته ، وقامت قيامته لقيامته ، وثار لثار قمامته . ورمى مهجته على الموت لقبرته ، والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه وعصمه كما عصم وحرم حرمة - مقام الأنبياء المرسلين ، ومقر الأولياء والصديقين ، وموضع معراج سيد المرسلين ، ورسول رب العالمين . وفيه نزل جبريل بالبراق وصعد المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى السبع الطباق ، وأهدى الله ليلة الإسراء بحلول السراج المنير فيه الإشراف إلى الآفاق .

وهؤلاء الملاعين قد أغنوا لقصده ، وأعلوا لورود ورده . وقد فرض في هذا الأوان رفض التواني ، واستدعاء ذوى الحمية من الأقاصى والأداني . وإن لم يتساعلوا في الربيع القابل ، على إنهاض الجحافل ؛ صعب الأمر واشتد ، واحتدم الخطب واحتد .

## فصل في شكر صاحب الموصل على إنقاذ الجصاصين لحفر الخندق

قد أصبح البيت المقدس يقدس ويسبح ، ويعرب (١) عن فضيلة منجلده ويفصح . فقد وصل الرجال الواصلون بالنجح رجاءه ، الحامون بحفر خنقله (٢) أرجاءه . وما فيهم إلا من أبان عن جلده ، وأبان (٣) بحده ، وآلان الشديد بشده ، وثلم الحديد بثلم الصخر وهذه . وهذه لاشك مقدمة لما وراءها من نتائج النجيدات ، وجلوى سابقة للواحق في مناهج الجددات ، وعارفة معرفة في قمع العداة بإجراء العادات في إنجاز العادات . ولعلوا انتظار لنجيدات بحرية وارتياب ، ومضات جمر تحت رماد كيده يوشك أن يكون لما التهاب . والهمة السامية لا تفتقر في هذا الباعث إلى باعث ، وعنه عزائم حديث كل حادث .

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة ؛ كتبت منشور حسام الدين سياروخ النجى بولاية القدس .

وكانت ولاية القدس مد يسر الله فتحه ؛ وحقق للأمل فيه نجاحه ؛ وأطلع ليل النصر صبحه ؛ إلى الفقيه ضياء الدين عيسى مفوضة ، وصحاب أعماله وشعب أحواله بنصرة آرائه ونصرة آلائه مروضة . وقد استتاب فيه أخاه (الظهير) ظهيرا ، ولم يزل رواؤه وبهاؤه به شهيا شهيرا ؛ إلى أن استشهد في شعبان سنة خمس وثمانين ، وتوفى الفقيه عيسى في ذى القعدة منها وانتقل إلى عليين . فأبقى السلطان نوابه من بعده ، محافظة على عهده .

وكان الأمير سياروخ بالقدس مقيما ، وللتنظر في مصالحه مستديما . ويضم من أمره ما يراه منشورا ، وكتبت له في التاريخ المذكور باستقلاله منشورا .

(١) في أ (٣٦٠ ش) يعرب بينا في ب ول يعرف . وما ذكر أنب السياق .

(٢) في أ (٣٦٠ ش) خنقله .

(٣) في أ (٣٦٠ ش) آلان .

« الحمد لله الذى أقضى من المسجد الأقصى من دأانه من الكفر ودنسه ،  
 ونزه البيت المقدس من رجس أعدائه المشركين بأيدى أوليائه الموحدين  
 وطرهه وقلمه ، وأنطق محابه ومنبره بتلاوة الذكر المين وأسكت الناقوس  
 وأخرسه ، نحمده على ما عصمه من الخوزة وحرسه ، وفرجه من الشدة  
 ونفسه . ونسأله أن يصلى على نبيه محمد المصطفى الذى شرع الدين وشرحه ؛  
 ومهد الشرع وأسسه ، وبطل الكفر وعطله ؛ وأرغم الشرك وأتعبه ،  
 وعلى آله وأصحابه الذين أعلى الله بهم منار الحق وأضفى ملبسه ، وأصفى  
 مورده ؛ وأزكى مغرسه . وبعد :

فإننا منذ فتح الله لنا بيته المقدس ، وخفض بإعلاء أعلامنا راية الكفر  
 ونكس ؛ وكسا بأيامن أيامننا وجه الدين البشر من بعد ما كان تعبس ؛  
 وخصنا بفضيلة فتحه ؛ وجعل لنا به الحظ الأجل ؛ الأفضل الأكرم  
 الأنفس ؛ ما نزال نطلب وليا لله يكون له واليا ، ويعود عاطله بتأثير إحسانه  
 وحسن آثاره وإلثاره حاليا ، ويرجع بنتلره الشافى وتديده الكافى ما المنخفض  
 من منار الهدى عاليا . ولا يزال على بال منا أن نحى به من رسوم الإيمان ،  
 ونجدد من معالنه ما ظل بمقام أهل الضلال فيه دارسا باليا .

وقد اخترنا الأمير حسام الدين فألفيناه لأهلية هذه الولاية جامعا ؛  
 وإلى مضممار السبق فى هذه المكرمة مسارعا . ووجدناه بأعباء الأمانة ناهضا ،  
 ولزبد المناصحة والصحة فيه ماخضا ماحضا . فاستخرنا الله تعالى وعولنا  
 عليه فى ولاية مدينة القدس وأعمالها ، وعلقنا (١) برأيه الراجح وسعيه  
 الناجح مهام أشغالها ، وحكمناه فى تحصيل مصالحها ، وتسهيل مناجحها ،  
 وسداد ثغرها ، وسداد أمرها ، ورعاية أمورها ، وعمارة حريمها وسورها .  
 وتطويل باع ساكنها ، وتأهيل رباغ أماكنها ، وإسكان مواطنها ،  
 وتوطين مساكنها ، وتطهيرها من أدناس أدنى الناس ، وتعميرها بالعدة والعدة  
 والشدة والقوة والبأس .

فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قوية ، وروية مبصرة وبصيرة روية .

(١) علقنا : قلنا . علق به الأمور : اخصه بها .

وليستشعر تقوى الله الى تقوى بها العزائم ، وتتوفر منها المحامد وتكمل  
المكارم . جاريا على مقتضى الشرع في كل ما يحل ويحرم ، ويقلده ويمجده ،  
ويصلده ويورده ، والله عز وجل يوفقه ويسعده ويعضده .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في دار  
الأقساء جوار (قمامة) ، وأظهر بها لتقوية البلد الإقامة . وقد قسم سور  
البلد على أولاده ، وأخيه وأجناده . فشرعوا في إنشاء سور جديد ،  
عندق به مديد . وكان يركب كل يوم مصبح ، مشمس مضح ، فينقل  
الصخر على قريوس (١) سرجه ، فيستن الأكابر والأمراء في نقل الحجارات  
بنهجه ، فلو رأيت وهو يحمل حجرا في حجره ؛ لعرفت أن له قلبا كم  
حمل جبلا في فكره . ولقد جد في حماية الصخرة المقدسة حتى حمل لها  
الصخور ، وانشرح صدره لانضمامها إلى صدره ، حتى باشر صلور  
بملكه بها الصلور . وما تغلو دار ينيها في الجنة بنقل حجارتها ، ليكون  
ملكا في دارها وقمرا في دارتها .

وكل بناء قلت حجارته ؛ ووقفت عمارته ؛ ركب وبكر إليه ،  
وجمع الحجر بنفسه وأجناده عليه . فإذا اكتفى انتقل إلى موضع آخر ونقل  
إليه الحجر ، ولقد بنى به في غرفات الجئات الحجر ، وأثر رواة سيرته  
الحسنة منه الأثر ، وما أعمر إحسانه وأحسن ما عمه ! ودوام البكور  
بالركوب ، وعرض وجهه الكريم للشحوب ، والزم الأمر التزم  
الوجوب . ولأن له الصخر لين الحديد للداود ، وجد في فض جلته وأفاض  
الجود .

وكان حجر الخندق صلدا لا يتأني قطعه ، ولا يتهاى بكل آلة صدعه .  
فأخذ من القولاذ قطاعات واخترع على الحدادين آلات . فأمكن الصلد ،  
ووهن الجلد . وتيسر الصعب ، ولأن الصلب . وصرخ الصخر ، لما حاف  
الحفر . وضح الحديد لجلد الجلود ، وصفا قلب الصفا لإصاخة الصيخود (٢)

(١) قريوس السرج : حنو السرج .

(٢) الصيخود : الشديد .

وأعولت الماعول ، وجلدت الجنادل . وسمعت الصماء صوث السطو ،  
وخرج جرح الإساءة إليها عن الأسو . وفلقت القلع وقطعت الفلق ،  
واتسع الضيق وتعمق الخندق .

وطاب العمل ، وطال الأمل . وحز الحزم وحزن الحزن ، وركنت  
القوة وقوى الركن . فلا ترى إلا سورا يعلو وخندقا يسفل ، وبناء يسمو  
وحضرا ينزل . وبرجا يسقف ، ويدنا يشرف . وحجارة تبنى ، وعمارة  
تبنى . وكلسا يحرق ، وأساساً<sup>(١)</sup> يوثق . وطاqa يعقد ، ورواقا يهدد . وطلاقات  
تطلق ، ومرامى تخرق . وستائر تحجر ، وحفائر تقعر . ومصاعد تهتدس  
وقواعد تؤسس . ومعارج تسفع ، ومخارج تفسح . وموالج تمرب<sup>(٢)</sup> ،  
وملارج ترقب<sup>(٣)</sup> . حتى أحكم المكان بكل ما فى الإمكان ، واتصلت  
الأبراج بالأبدان ، مشيدة الأركان .

والسلطان يشرف فى كل يوم على عمل قوم . فيمدحهم بإحسانهم ،  
ويجازيهم بإحسانه ، ويعبر جنان المتولى من قوة جنانه . ويدركه بما يستأنفه  
من عمله ، ويحلى بالفضل ما يبدو له من عطله . وكان ذلك دأبه مدة إقامته ،  
وقد جد غرامه بغرامته . بل يرى أن كل مال ينفقه ذخى باقى ، وأنه  
إن فاق كريم فيلقاق ، وما عنده خشية إملاق ، بل يده جارية بإطلاق جوائز  
وأرزاق ، وأنه تتجلى له أعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق . وإن وفق  
الله واستمر ما دبره فى حفر الخندق وبناء السور ، بقى بيت الله المقدس مع  
الاسلام على عمر الدهور . ولا يبقى عليه لمسلم فزع ، ولا فيه لكافر طمع . ولوعاش  
( بخت نصر ) لعرف عجزه ، وسلب عز الإسلام عزه . ورأى من المعجزات  
ما حيره : وقهقر عن البأس الذى إن ثبت له قهره .

فسبحان الذى أقدر السلطان على ما أعجز عنه الملوك ، وهناه من الفضل  
إلى نهج ضلوا فيه السلوك .

---

(١) الأس : أمل البناء ، الأساس .

(٢) موالج : جمع موالج وهو المدخل . تمرب : تفرز أى عمل المدخل بيقية مثلا .

(٣) ترقب : تطل .



## ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة

رحل الفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة إلى عسقلان ، ونزلوا يوم الأربعاء بظاهرها ، وتشاوروا في إعادة عمائرها ، وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والأسدية نازلين في بعض أعمالها ، مجدين في نقل غلالها . وركب ملك الانكثير عصر يوم الخميس ، ومعه حزبه من جند إيليس . فشاهد دخانا على البعد ، وما عرف ما عنده من العسكر المعد فساق متوجها إلى تلك الجهة وجد ، وتبعه عسكره وامتد . فما شعر أصحابنا إلا بالكسبة وقد بقت ، فما ارتاعت قلوبهم بل ثبتت . وذلك وقت المغرب وهم مجتمعون على الإفطار ، فارغة الأفكار من شغل الكفار .

وكانوا نازلين في موضعين ، مقيمين في منزلين ، فلم ير العدو إلا أحد القسمين . فقصده بحزبه ، واطلق عنانه لحربه . فعرف القسم الآخر هجوم العدو ، فهجروا مهاد العدو ، وركبوا إلى العدو . فدفعوه حتى ركب رفقاؤهم المقصودين ، واجتمعوا وهم المسعودون . وردوا العدو شوطاً ، وصبوا عليه من حذاب القراع سوطاً . ثم تكاثر الفرنج عليهم وتواصلوا وسبقوا إليهم ، فاندفعوا من بين أيديهم ، والفرنج تبارهم . وساقوا أقدامهم قدامهم ، وقد ثبت حفظها على الإقدام أقدامهم . وما فقد من أصحابنا ممن عرف إلا أربعة ، ونجا الباقون وخواطهم لأجل أولئك متوزعة ، وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرهما ، وهون ضررها .

وبتاريخ الثلاثاء عاشر المحرم ، ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة والحد في العمارة . ومعه الملوك أولاده والأمراء ، والقضاة والعلماء ، والصوفية والزهاد والأولياء . وخرج كل من بالبلد ، وجاء المدد بعد المدد . وهو قد حمل على سرجه ، واستوى في نهجه . والناس يتلون معه على خيولهم في قفافهم وذيولهم .

ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها ولده الملك الظاهر بالصحة ،

وأحضر فيها السماط ابن يدعوه من الأمراء . فحضر على ذلك السماط ، وأحضر  
طعام مطابخه ويسطه على ذلك البساط . وكنت قد مضيت فردني ، وبتة يه  
أمدني . فلما فرغ وفرغنا ، وبلغ مراده وبلغنا ، صلى هناك الظهر وركب  
عائداً إلى داره ، آتيا بإثاره وحسن آثاره ، فائزاً بسرور أسرارته وخير  
اختياره .

### ذكر ثلاث سرايا مرت وبرت وبرت

كان عز الدين جرديك تجرد في سرية سرية ، بارية رقاب ذوى الغلول  
من الغل برية . فأغارت يوم الأربعاء الحادى عشر من المحرم على ينى ،  
وفيهما الفرنج بنية السكى . فغنمت اثنى عشر أسيراً ، وخجلاً ودواب وأثاثاً  
كثيراً .

وفى يوم الثلاثاء ثانى صفر ، أغارت السرية وفيها جرديك ، وعسكر  
القدس وجماعة من الممالك ، على ظاهر عسقلان ، وأوقدت بتناصرها  
على الكفر الخذلان . وغنمت ثلاثين أسيراً قيدت فى الأغلال ، سوى ما كسبه  
من الخيل والبغال .

### سرية فارس الدين ميمون القصري (١)

باتت ليلة الأحد رابع عشر صفر بتل الجزر ، وسرت حتى أصبحت على بينى وكمُنْتُ ، وصبرت إلى أن استرسلت الفرنج إلى الطريق وأمنت ، ثم ظهرت على قافلة للفرنج عبرت . فكبست وكسبت ، وكسرت وأسرت . وأخذتها بأسرها مع رجالها ، وبغالها وأحمالها وأثقالها .

ثم أغارت على يافا فقتلت وقتكت ، وسفكت دماء وهتكت . وعادت بالغنيمة والسبايا ، واستغنت بنقودها عن النسايا . وعجز جماعة من الأسارى عن المشى فضربت أعناقهم ، وأوجب ذلك للباقيين فى المسير إعناقهم (٢) وعادت سالمة سالبة ، غائمة غالبة .

---

(١) فارس الدين ميمون القصري : أحد الأمراء بدولة الظاهر غازى بن صلاح الدين كما كان أميراً من أمراء العزيز عثمان بن صلاح الدين ، أقطعه العزيز عثمان نابلس بعد مقاتلة الفرنج سنة ٥٩١ هـ ، وينسب أصلاً إلى قصور الخلفاء - القاطمين ، وهو آخر أمراء صلاح الدين ، توفى بحلب سنة ٦١٠ هـ ( التجوم الزاهرة ج ٦ : ١١٨ و ١٣٧ ) و ( أبو القداء ج ٣ : ١١٥ ط المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ ) .

(٢) الإعتاق : العادة ، السير السريع .

ذكر خروج سيف الدين على بن أحمد المعروف بالمشطوب من الأسر

قرر على نفسه قطعة خمسين ألف دينار فأدى منها ثلاثين ، ه أعطى  
رهائن على عشرين . ووصل إلى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس  
مستهل شهر ربيع الآخر ، فقام إليه واعتقه وتلقاه بالوجه الباهر . وأقطعه  
نابلس وأعمالها ، وحلّى بإيالاته لها أحوالها . وعاش إلى آخر شوال من هذه  
السنة ، وتوفى إلى رحمة الله بأعماله الحسنة . فعين السلطان ثلث نابلس وأعمالها  
لمصالح البيت المقدس ، وتشيد ركن سووه المومس . وأبقى باقيها على ولده  
وتركه في تصرفه ويده .

## نكتة

لما خرج المشطوب من الأسر ؛ تلقاه ولده روى السرى قوى الأزر .  
فوجده على زى أولاد الأتراك مضفور الشعر . فبدا منه الإنكار والإكبار ،  
وقال : « ما للأكراد فى شعورهم هذا الشعار » . فقطع صغيرته ، وقصر  
وفرته . فتطير الناس من قطع شعره على أيه . وقالوا : « هذا دليل مصابه  
الذى يأتيه »

## هلاك المركيس بصور

أضافه الأسقف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فاستوفى رزقه لموافاة أجله ، ووصل إلى الباب قاطع أمله . وقد دعى إلى جهنمه ، ومالك على انتظار مقدمه ، والحجيم في ترقبه ، واللوك الأسفل من النار في تلهبه ، والسعير في تسعره ، ولظي في تلظيها لتنتظره . وقد قرب أن تكون الهاوية له حاوية ، والحامية عليه حامية ، والزبانية في إيقاع العذاب به لمنزل الرجز بانية . وقد فتحت النار له أبوابها السبعة ، وهى جاثمة إلى التهامه وهو ملته بالأكل يستوفى الشبعة .

فأكل وتغذى ، ومادرى أنه يردى . وأكل وشرب ، وشيع وطرب ، وخرج وركب . فوثب عليه رجلا ن بل ذئبان أميطان . وسكتا حركته بالسكاكين ، ودكاه عند تلك الدكاكين . وهرب أحدهما ودخل الكنيسة ، وقد أخرج النفس الخسيسة . وقال المركيس وهو مجروح ، وفيه بقية روح : « احمولنى إلى الكنيسة » فحملوه ، وظنوا أنهم حاطوه لما قتلوه . فلما أبصره أحد الجارحين ، وثب إليه للحين . وزاده جرحا على جرح ، وقرحا على قرح .

فأخذ الفرنج الرقيقين ، فأنفوهما من الفلدائية الإسماعيلية مرتدين . فسألوهما : « من وضعكما على تدبير هذا التلميز ، فقالا : ملك الانكتير وذكر عنهما أنهما تنصرا منذ ستة أشهر ، ودخلا في تهرب وتظهر . ولزما البيع ، والتزما الورع . وخدم أحدهما ابن بارزان ، والآخر صاحب صيداء لقربهما من المركيس . واستحكما بملازمتها أسباب التأنيس . ثم علقا بركابه ، وفتكا به . قتيلا شر قتلة ، وجهل عليهما أشد جهلة .

فيا لله من كافرين سفكا دم كافر ، وفاجرين فتكا بفاجر . فلما ظل المركيس مركسا (١) ، وفي جهنم منكبا منكسا ، تحكم ملك الانكتير في

---

(١) مركسا : الركن ، رد الشيء مقلوبا وقلب لوله على آخره .

صور ، وولاهما الكند هرى وعلق (١) به الأمور . ودخل بالملكة زوجة  
المركيس في ليلته ، وادعى أنه أحق بزوجه . وكانت حاملا فما منع الحمل  
من نكاحها ، وذلك أقطع من سفاحها . قفلت لبعض رسلهم : « إلى من  
ينسب الولد ؟ » فقال : « يكون ولد الملكة » ، فانظر إلى استباحة هذه  
الطائفة المشتركة .

ولم يعجبنا قتل المركيس في هذه الحالة ، وإن كان من طواغيت الضلالة .  
لأنه كان عدو ملك الانكبير ، ومنازعه على الملك والسري ، ومنافسه في  
القليل والكثير . وهو يرسلنا حتى نساعدنه عليه ، وتنزع ما أخذه من يديه .  
وكلما سمع ملك الانكبير أن رسول المركيس عند السلطان ، مال إلى المراسلة  
بالاستكانة والإذعان . وأعاد الحديث في قرار الصلح ، وطمع في ليل ضلاله  
بإسفار الصبح . فلما قتل المركيس سكن رُوعه ورُوعه . وذهب ضوره  
وضوعه (٢) ، وطاب قلبه ، وآب ليه . واستوى أمره ، واستشوى شره .

وكان قد تعصب لمضادة المركيس الملك العتيق ، فأظهر له ود الشفيق  
الشقيق . وولاه جزيرة قبرس وأعمالها ، وسدد بسداده اختلالها . فلما هلك  
المركيس عرف أنه قد أخطأ في تقويته ، وخشى أنه لا يسلم من عاديته ، ولا يأمن  
من خائفته . فلما علم عدوه ، وجد هלוه . وآب سكونه ، وثاب جنونه .  
وغاض غيظه ، وحضه حظه ، وفاض من منبع الشرك فظه .

مع هذا لم يقطع محادثته ، ولم يحدث مقاطعته ، ومرى رسل مراسلته ،  
ورمى سهم محادثته وخائفته . ولم ينزل عن ادعاء صداقة الملك العادل ،  
وتصديق دعوته ، وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فإنه  
يبقى (٣) لنا بمدينته وقلعته . سوى كنيستهم المعروفة بقمامة فإنهم يعتقدونها  
للمتهم (٤) الدعامة . فأبى السلطان أن يقبل هذا القرار ، وأبدى لهم الإنكار .  
وسامهم أن ينزلوا عن يافا وعسقلان ، ويأخذوا على ما يبقى في أيديهم الأمان .

(٢) علق به الأمور : اغصص .

(٣) صورة : الصور : الجوع الشديد . الفروع : التلق والفزع .

(٤) في ب و ل يبق وهذا خطأ والتصحيح من أ (٣٦٦ ي) .

(٥) في ب مهمم والتصحيح من ل ومن أ (٣٦٦ ي) .



## ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر ، وكانت منها مضرة كبيرة لما كانت مع الكفر . فلما فتحت حفظت ، وتركت وأقيمت ، وبالميرة والناختر والرجال مليت . وخربت عسقلان وغزة دونها ، وتسلمها علم الدين قيصر على أن يصونها .

فلما شرع الفرنج في إعادة عمارة عسقلان ترددوا مراراً إليها ، وداروا حولها وأشرفوا عليها . وأتفق السلطان في جماعة وقواها بها ، وشد بالنجدة قلوب أربابها . ثم نزل الفرنج عليها بقضهم وقضيضهم ، وسمروهم ويضهم . وفارسهم وراجلهم ، وصارمهم وذابلهم ، وراجمهم ونابلهم . واشتد زحفهم عليها ، ونهوضهم إليها ؛ عشية السبت تاسع جمادى الأولى بعد أن أخلوا فيها نقباً وخرقوه ، وحشوه وأحرقوه . وطلب أهلها الأمان فلم يجلوا ، وطلبوا من قيصر وجماعته النجدة فلم ينجلوا .

ولما عرف الوالى أنهم مأخوذون ، وأنهم موقوفون موقوفون ، عمد إلى الخيل والجمال والدواب فحرقها ، وإلى اللخائر فأضرمها وأهلها . وفتحوها بالسيف ، وعرضوا أهلها على الحيف . وأمسروا منهم عدة يسيرة ، وكانت هذه النوبة على الإسلام كبيرة . ثم لم يلبثوا بها ولم يفرّبوا فيها ، ورحلوا عنها وتتحوا عن نواحيها . ونزلوا على ماء يقال له : الحسى<sup>(١)</sup> ، وقد طاش بهم الغى والبغى . وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر ، وقد أنسوا بما ظنوه من أسباب الغلبة والقهر .

ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها : مجدل الحباب ، فخرجت عليهم أسد اليزكيه المكنمة من الغاب . فقاتلتهم قتالا شديداً وتركتهم بجذ الحليدي بديداً ، وغادرت جبل قصدهم الجليدي جديداً ، وكرت عليهم

---

(١) الحسى : لا يوجد معجم البلدان لياقوت هذا الاسم وأن ما ورد « حسى » بكر الماء وسكون الميم ، أرض بيادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان ( ياقوت ج ٧ : ٢٥٨ -

وكرّرت عليهم فكررت في ردهم عن جهنهم ترديداً . وقتل منهم في جملة من قتل كند كبير . وأتاهم من مبارها لم مبر . وعادوا مفلولين مثلومين ، مفلولين مهزومين ، مثلولين مهضومين .

ثم رحل الفرنج من الحسى يوم الأحد صابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين ، وبعضهم عاد إلى عسقلان ، وبعضهم جاء إلى بيت جبرين ، فتقدم السلطان إلى العساكر والأمراء بأن يكونوا لهم مبارين .

وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا بتل الصافية (٢) ، بجموعهم الوافرة الوافية . ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنطرون ، فأرجفت الألسنة بأنهم على قصد القدس على حسب تراجم الظنون . ثم ضربوا خيامهم يوم الأربعاء على بيت نوبة ، واجتلبنا نيرانهم المشبوبة .

وسرت منا إليهم السرايا ، وتوالت عليهم البلايا . وأظهر السلطان مقامه بالقدس ، لتبعد وحشة المقيم فيه من قربه بالأكس . وفرق الأبراج والأبدان على الأمراء والأجناد ، وخوى القوة والاستعداد ، وأمرهم بنقل الأزواد . ثم زالم الرعب وطاب القلب . وخرج الناس إلى خيامهم يتخطفونهم ، ويعسفونهم ويتحيفونهم . وجرت وقعة بعد وقعة ، وكبستاهم دفعة بعد دفعة .

ومن ذلك أن بدر الدين دُكرم كان في اليذك ليلة الجمعة التاسع والعشرين فبعث من أصحابه والعسكر إلى طريقهم من يافا من لزم الكمين . فجازت بهم فرسان من الفرنج ، مستقيمون على النهج . فخرجوا عاجهم وقتلوا وأسروا وفازوا ونصروا .

وفي يوم السبت نزل الناس إليهم ، وقتلواهم في خيامهم ، وأهلبوهم بضرامهم . وركب العدو وساق إلى قلونية وهي ضيعة من القدس على فرسخين ثم عاد بآلده الشآن بآدى الشين . وعساكرنا قد ركبت أكتافه ، وهي تقطع أطرافه ، وتز أعطاف البيض لشحر أعطافه . وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة ، خرج كينته في طريق يافا على السابلة العابرة . فظفروا وفازوا ، وحووا وحازوا ، وكسروا وأسروا . .

---

(١) تل الصافية : حسن من أمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة ( ياقوت ج ٥ : ١٢ ط ١ ب ) .

## ذكر كبسة القرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ، ويدعوه نجدة لأهل القدس على الكفر وأهله . فضرب العسكر خيامه على بليس (١) مدة حتى اجتمع الرفاق ، وتهايا لمن تأخر عن السابق اللحاق . وانضم إليهم التجار ، وحصل لهم بكثرتهم الاغترار ، وللعنو لقلومهم الانتظار ، وعنده يجواسيسه الأخبار . فجاء الخبر من اليزكية إلى السلطان ، ليلة الاثنين التاسع من جمادى الآخرة ؛ أن العدو — ملك الانكثير — ركب في سبعمائة فارس وألف تركبوتى ومعه ألف راجل ، وسار عصر يوم الأحد سير غخادع غخاتل . ولا يدرى أى جانب قصد ، ولأى نائب رصد . فجرد السلطان أمير (آخر أسلم) ، خوفاً على الواصل ليسلم . ونلب معه الطنبية وعدة من العادلية ، وأمرهم بأن يأخذوا بالناس في طريق البرية . فعبروا على ماء الحسى ، قبل وصول العدو إليه ، واتصلوا بالقوم وأنجزوهم بأنهم كشفوا الماء وليس أحد عليه .

وكان مقدم العسكر المصرى فلك الدين — أخو العادل ، ولم يسأل عن المراحل والمنازل . وقصد أقرب الطرق (٢) ، وغفل عما يعرف من الفرق (٣) والفرق (٤) . وترك الأحمال على طرق (٥) أخرى سائرة ، ورأى الأمانة ظاهرة ، وأوجه السلامة سافرة : وجاء ونزل على ماء به ف بانخويلفة (٦) ، والأمانى تنزه بالمواعيد المخلفة . ونادى تلك الليلة : وإنا

(١) بليس : مدينة بمصرية الشرقية بمصر ، كانت على طريق الشام ( ياقوت ٤ : ٤٦٩ ط . ب . ) .

(٢) في ب الترك والصحيح من ل .

(٣) الفرق : جمع فرقة .

(٤) الفرق يفتح الراء والفاء : الفزع .

(٥) في ب ترك وفى ل طرق وفى أ ( ٣٦٨ ش ) طريق .

(٦) الخويلفة : موضع بنواحي فلسطين ( ياقوت ج ٨ : ٤٠٨ ط . ب . ) .

جزنا مظان المخافة ، وفزنا بالسلامة من الآفة ، فلا رحيل إلى الصباح .  
فاغتر الناس بالنداء الصراح . وناموا مسترسلين ، وباتوا متغفلين . فصباحهم  
العدو عند انشقاق الصبح بالصلمة الشاقة ، والخلمة الحاقة . وعاق ابن  
ذكاء يذكاء بنت الداهية العاقة . فجاءهم فجأة ، والصبح لم يبد إضاءة .  
والخيط الأبيض من الخيط الأسود لم يتبين ، وهبوب الأعين من هبوة  
الغفوة لم يتعين . وكل غرار في جفنه قار ، وكل قلب بأمنه سار . وكل  
جنب على فراش ، وكل عاش له العاس غاش .

فلما بنتوا بهتوا ، وطلبوا أن يفلتوا فما التفتوا . وركب كل منهم على  
وجهه ، وربما كثر بكرهه . وفيهم من ركب بغير علة حصانه ، وأسلم  
إخوانه وغلمانه . وانهمزوا نحو الأتقال ، فأوقعوا العدو وهو وراءهم على  
الجمال والأحمال . فوقع العدو في سوابقها ، واشتغل بها عن لواحقها .  
ففترقت في البرية . وعاد معظمها إلى الديار المصرية ، ومنهم من عاج إلى  
طريق الكرك ، فلم يقع في الشرك ، ولم يحصل في الدرك . فأخذ الكفار جمالا  
لا تمد ، وأحمالا لا تمد . وكانت هذه نكبة عظيمة ، ونائبة عيمة . ونوبة  
ذات نبوة ، وكبة ذات كبوة . ووقعة ذات روعة ، وحولة ذات (١) لوعة .  
فظنت الظنون ، وأرجف المرجفون . وقالوا : « قد حصل للفرنج من الظهر  
ما يحملهم وينهضهم ، ومن المال ما يطرهم ويحرضهم . ومن الآن يقابلهم  
وبأى عسكر وعلة تقاتلهم ! » .

ووصل الجند مسلوين ، منكوبين منهوين . فسلاهم السلطان عن  
أموالهم ، بما قوى من آمالهم . وحضهم على الحظ من الأخذ بئأرهم ، والجد  
في دمار القوم وبقوارهم . ولهى الملاعين بما ملأ العين من المال ، عن القيل  
والقال ، والقتل والقتال : وحلأهم ما حاولوه من الحال . وجرى هذا كله  
والملك الأفضل والملك العادل غائبان ، وعساكر الموصل وسنجار وديار بكر  
متباطئة في الإتيان :

---

(١) حولة : وقع الصوت بالكاء والصياح .

## ذكر سبب غيبة العادل والأفضل وما جرى لهما من الأول

كان الملك الأفضل طلب من والده البلاد قاطع القرات ، ونزل عن جميع ماله من الولايات . وأنه إذا عبر إلى الرها وحران ملك تلك البلدان ، وعنا له من بها من ملوك الأطراف ودان . ورحل من القدس في ثالث صفر وقتل أزمع السفر ، ووجه عزمه الماضي المضى قد سفر . وأقام في دمشق حتى استعد ، واستجدى من أبيه ما كمل به الخزانة واستجد . وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار ، سوى ما أصبح بهرم الخلع والتشريفات ؛ من مستعمالات ثياب ومصوغات نضار . ثم سار في شجر شجر سيل خيله جار ذيل نغمة على المجرة ، شاغل بالسير والسرى أمرار ذوى الأسرة . بادية على صفحات صفاحه نضرة النصرة . ووصل إلى حلب ، وقد مرى أفريق التوفيق وحلب . واحتفل أخوه الملك الظاهر لقدمه ، وقام له بسن الكرم ورسومه . ورحب للزحبيب به صلوه وجنايه ، وسحب على روضه صحابه ، وأصبح فيض فضله صحابه . ووقف خلعتهم مائلا ، وهز عطف الابتهاج إليه مائلا . وأحضر له مفاتيح بلده ، وقدم له كل ما في يده . ولم يبق من الجميل شيئا إلا عمله ، ولأنواعه من القضيلة إلا كمله .

وعرض عليه الحصن العراب ، والتحف والثياب . وخلع على خواص أصحابه وعوام أجناده ، وخصهم وعمهم من الجود بإمداده . وعول أن يسير معه إلى الجهة التي يقصدها ، ويساعده على الضلالة التي ينشدها . وسمع ناصر الدين بن تقي الدين بما ألقه ، ودفع منه إلى ما أرهجه وأرهقه . ووصل رسوله إلى الملك العادل وهو بالقدس لاجئا إلى ظله ، راجيا لفضله . لا ئذا يجنايه ، عائداً ببابه ، مستجيراً بإرعائه (١) ، مستجيباً لدعائه . مقوضاً ما حل به (٢) إلى أنوار آرائه ، مروضاً ما حل أمره (٣) بأنواء آلائه . فاحتسب له واحتمله ، وقوى على تقويته أمله .

(١) ارعاه : فله أرحى ، ولحق المفصود هنا مترحماً إياه طالباً رعايته .

(٢) في (٣٦٠ ش) من

(٣) زيادة من ل ومن أ (٣٧٠ ش) ساقطة في ب .

وخطب السلطان في حقه واستعطفه ، وشفع في أمره واستشفعه . وقال :  
« أنا أمضى إليه وأستحضره ، وأؤتمنه مما يحلوه ، وتبقى هذه السنة عليه حران  
والرها ، وتشد من رجائه بذلك ماوى . وتعطيه في السنة الأخرى حماة  
والمرة ، وتكفي المضرة والمرة » . ثم قرر السلطان مع أخيه العادل أن يأخذ  
تلك البلاد ويحويها ، ويملك حوزتها ويحميها ، ويكف عنها ويكفيها .

واستقر أن ينزل عن إقطاعاته بمصر ونصف خاصه ، وإذا أخذ تلك  
البلاد — فما يحاوره — يجتهد في استخلاصه . فأبدى على الرضى بذلك وجه  
كراهيته واعتياصه ، واستزاد قلعة جبر (١) فتمنع الملك الظاهر من تسليمها  
حتى استظهر من أبيه بأضعافها واستظهر .

وتقرر مسير الملك العادل في العشر الأول من جمادى الأولى ، وكتب  
السلطان بعود الملك الأفضل — فجاء هنا راجعاً ، وذهب ذاك مسارعاً .  
ووصل إلى حران والرها ، ففاز من تدبيره بالنجح المشتوى ، وبلغ من مراده .  
إلى أمد الأمل المنتهى . وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن  
تقي الدين ، ووصل في هذا الشهر إلى دمشق ابن صاحب الموصل علاء الدين .  
وصاحب آمد — ابن قرا أرسلان قطب الدين ، وعسكر صاحب سنجار  
ومقدمه — مجاهد الدين يرتقش . واجتمعت بدمشق في هذا الشهر عساكر  
بها الإسلام يأنس ، والكفر يستوحش . وأقامت تنظر مسير الملك العادل  
لتسير في خدمته ، وتحتل راياتها في مطالع رايته .

---

(١) قلعة جبر : على الفرات بين بالس والركة قرب صفيين ( ياقوت ج ٥ : ١٤١ و ١٤٢ )

ذكر رحيل ملك الاتكثير صوب عكاه مظهراً أنه على قصد ثغر بيروت

لما تعذر على الفرنج قصد القدس ، وعرفوا أن مرضهم به في التكرس .  
ورأوا أن ثغر بيروت قد يراهم ؛ وعراهم من القوة ما منه عراهم . وأنه  
قد قطع عليهم طريق البحر بمراكبه ؛ وقد فجعوا بمصائبه ونوائبه ؛  
فقالوا : و أخذ هذا البلد هين ، وقصده متعين ، وإذا حاصرناه جلبنا السلطان  
وعساكره إلى جانبه ، وخلا القدس من جملة كتابه ، وجمرة مضاربه ،  
فتبادر إليه من يافا وعسقلان من يجد في تملكه الإمكان ، فلما عرف السلطان  
ما عزموا عليه من القصد ، ودبروه من الكيد ؛ أمر الملك الأفضل بمباراة  
القوم في الرحيل ، وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبيل . ومبهم إلى مرج  
عيون ، حتى إذا يقن من قصدهم المظنون ، سبقت العساكر إلى بيروت  
ودخلتها ، ونكت الفرنج ونكبتها وحوالتها . وكتب السلطان إلى العساكر  
الواصلة إلى دمشق أن يكونوا مع ولده ، وأن يضموا أمدادهم إلى مدده  
ونزل بمرج عيون والفرنج بمكاه بعد ، تجاوز ولم تعد .

## ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها

ولما رحل ملك الانكبر وسار ؛ وخطى وراءه الديار ، ترك في مدينتي يافا وعسقلان ، جمعا من متخذي الرجال والفرسان ، ووصاهم بالجلد ؛ في حماية البلد ؛ فانتهاز السلطان فرصة الغيبة ؛ وأوفد إلى مساعرجائهم غصبة الخلية . ونهض بعسكره الحاضر ، ولم يتمهل لانتظار الحساكر . وزوافي يافا ووفاهما بكيل المنجنيق أحجاراً ، وأراق دماء وساق دماراً .

وزحف الناس وحفر الباس . وفرغت (١) المدينة ، ورفعت منها السكينة . وقتل من بها ومسح ، وأخذ ما بها وكسح . ووجدت الأحمال المأخوذة من قافلة مصر فأخذت وحملت ، وعلت الأيدي والسيوف من الدماء والأموال ونهلت . ونقضت كنان ، ونظفت خزائن ، واستخرجت دفائن ، وولحت مكان . وحصل استمتاعنا بأمعة ، وانتفاعنا بكل منفعة . وامتألاً البلد الكافر بالمسلمين ، وبقيت القلعة وطلب حمايتها الأمان ليكونوا لها مسلمين ، وكان الناس قد سبقوا إليها ، وقرب أن يستولوا عليها ، وذلك (٢) يوم الجمعة العشرين من رجب ، وقد شارف من فيها الشجب ، فلما طلبوا (٣) الأمان رد الناس وكفوا ، فظن أن الغنيمة تصفو . فإنه خرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين الأكابر ، على أن يدخلوا تحت حكم الإيسار ؛ ويسلموا جميع المال والعلة والنخائر . على أن يطلق كل واحد منهم بأسير ، ويفدى صغير بصغير ، وكبير بكبير .

وشرعوا في الخروج آحاداً وعشرات ، وعصباً متفرقات في ساعات حتى دخل الليل فاستمهلوا إلى الصباح ، وطلبوا واقترحوا من يقف لحفظهم ؛ فبذلنا لهم ما عينوه من الاقتراح ، وما زال يخرج منهم من يستدعي زيادة التوثقة : وتنفيس خناقهم بالمضايقات المرهقة ، حتى وصل ملك الانكبر

(١) فرغت للمدينة : قتل بها وتجول فيها .

(٢) قى (٣٦٢ هـ) وكان .

(٣) قى ب طلب والصحيح من ل ومن أ (٢٧٢ هـ) .



في البحر ، في مراكب في سواد الليل بل ظلمة الكفر ، ودخل هو القلعة من الجانب البحري ونادوا بشعائر الغدر ، فاكفينا منهم بمن حصل في الأسر . ولنمنا كيف خرجت القلعة من القم ، ولانفع بعد فوات الفرصة للندم

ولو أن السلطان توقف في تأمينهم ، واستمر على توهينهم . لقلعت . أساس تلك القلعة . ونقضت رقة تلك البقعة . ولقد كان ذلك فتحاً عظيماً ، وفضلاً من الله عيماً . فقد امتلأت الأيلى بفنائم المدينة ، ووهت أسباب قواهم المتينة . واستعيد ما نهبوه من الكيسة المصرية ، وفزنا بالغنائم السنية . وقتل من أقام بالبلد وأسر ، وكشط جلد تلك المدرة وبشر . وحصل في اليد من مقدمي القلعة نيف وسبعون ، وتركوا وهم بالثبور يدعون . وكان القصد في الأول رجوعهم عن قصد بيروت ، وخشى على فرصة حفظها أن تفوت ، فمن الله تعالى بحصول المقصود ، وفزنا بجنى الجهاد بغير بذل المجهود ، وجري الأمر على الوجه الم محمود .

ولمّا وقع التندم ، كيف لم يقع في أخذ القلعة التسرع والتقدم . فتعاضت بعد الإذعان ، وتعذرت بعد الإمكان ، وجمحت بعد الإصحاب ، وجنحت بعد الإكثاب (١) . وأفلتت وقد وقعت في الحيلة ، واستقلت بعد العثرة والاستقالة . وضعف الفرنج من تلك الكرة ، وآذن نشاطهم بالفترة وما انتعشوا ولا انجبروا من تلك العثرة والكسرة .

وعاد السلطان وخيم على التطرون ، والعسكر قار القلوب قرير العيون وجاء إليه الملك الأفضل ولده ، والملك العادل أخوه ، وأسفرت بالمسار الوجوه ، وكان ولده الملك الظاهر أيضاً قد وصل ، وفي هذه الغزاة حضر ويمنها حصل . وكذلك كان قطب الدين سكرمان بن محمد بن قرا أرسلان حاضراً ، وأخذ من السعادة حظاً وافراً ، وحصل بيده جرح يش أن يومى ، وظن تلك النعمة بومى . ثم انلمل جرحه ، وفازت قلدحه وحاز السنى قلدحه .

---

(١) الاكثاب : قله أكثب : الرجل واليه ومثوله : دلتله .

وأقام السلطان حتى اجتمعت العساكر ، ولحقت أوائلها الأواخر .  
ووصل الملك المنصور — ناصر الدين ابن تقيه (١) في بيضه وسمره ومشرفيه  
وسمهره : هنا والملك العادل متأخر في المخيم . بسبب عارض السقم ،  
وملم الألم . ورحل السلطان ونزل بالرملة والعساكر في عدد الرمل ، والإسلام  
قرير العين من أهله يجمع الشمل ، والقضاء قد امتلأ ، والقضاء قد اجترأ ،  
والقدر قد أسعد والسعيد قد قدر ، والنصر قد أبدى الصفو وأذهب الكلر .  
وتلك البرية قد حوت البرية ، وجمعت العسكرية ، والكمت الجارية والكماة  
الجرية : والأعراب والعراة ، والمحارب والحراة ، والأجاود والجياد ،  
والأساود والآساد . والبياض والسواد ، والعدد والأعداد .

---

(١) يقصد باین تقيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخى صلاح الدين الأيوبي .

## فصل فى وصف الحال من كتاب إلى الديوان العزيز

الخدام حاله على ما أنهاه غير مرة فى مرابطاً أهل الكفر مستنرة ،  
وأفاديق النصر على حضولها تارة وبكتها أخرى مستنرة . والحرب سجال ،  
والإسلام فى مضمار الظفر سجال . وقد تجاوزت القصة عن حد الإنهاء ،  
وكلما شارفت القضية الانتهاء ، عادت إلى الابتداء . والحادثة متصلة والواقعة  
مستقبلية ، والنعمة من الله فى إجراء أولياته على أجمل عاداته بإيجاز عاداته  
فى قمع عاداته مؤتملة .

وما ينقضى يوم إلا عن نصرة تتجدد ، ونعمة تتمهد ، وجمع للعدو  
يتبدد ، وجمر لنكاية فيه يتوقد ، وخد للسيف من حله بدم الشرك يتورد .  
وفتح بكر من الحرب العوان بلفاح البيض الذكور يتولد .

وآخر ماتم فى هذه الأيام من مرهجات الكفر ومبهجات الإسلام ،  
حظوة حلوة ، ونوبة مالها نوبة . وهى أن الفرنج لما أعجزهم قصد البيت  
المقدس ، ولم يستقم لهم ماسولوه فى الأنفس ، عكسوا زعمهم ، ونكسو  
عزمهم . وعادوا خائنين ، ونكصوا هائنين . واستأنفوا مكيدة أخرى  
وشرعوا فى شرّ خلف الشوك به عبرى . وأجمعوا على قصد مدينة بيروت ،  
وتأمر على الاتجاه نحوها - أعداء الله أولياء الطاغوت .

فسارت العساكر الإسلامية على مباراتهم ، لمضايقتهم فى مضايق ذرقاتهم  
وتجرد الخدام فى خواصه ووافى يافا ، موقنا من الله تعالى أن مدد نصره  
إليه يتوافى . وحمل إليها من معتقلى ثبات الأمل ومشتعل بنات الخلال الأمل  
والعرين . فإذا نزل بساحتهم ، فساء صباح المنذرين . فأخذها بالسيف عنوة  
وأعاد ضرام النيران بها جنح القيل ضحوة ، وآتى القتل والنهب على من  
وجد فيها من الكفار ، واستخرج ما بها من الأموال والعدد والاذخار .  
فخلص من المسلمين من كان بها فى الإسار ، وأضحى الفرنج فيها تبارى  
بالتبار .

وطلب من بالقلعة الأمان على أن يسلموا من القتل ويستسلموا للأمر . ونزل البطرق (١) والقسطلان (٢) والمرشان (٣) وجماعة من المتقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر . فبيناهم مشغولون بالنزول ، ومنقطعون إلى الوصول ، جاءهم الغوث في البحر ، وظهرت منهم أمارة الغدر . ورجع العدو عن مقصده وردده الله وخذله ، ونصر الإسلام وأخذ له ، وسره بما يسره له وأجذله ، ونال سيف الدمار من سيب دماهم عله ونهله .

وكان المقصود ردهم عن موردهم ، وصددهم عن مقصدهم . فأربنى ما قبضه الله من فتح الهدى وحلف العدا على الأرب . واهتزت أعطاف البيض والسمر المنتشية من كأس نجيحها للغرب . والقوم الآن قد اشتغلوا بمصائبهم ، واجتمعوا لضم ما انتشر من أسبابهم . وراسلوا في الصلح على أن نخلي لهم عسقلان فما أجيبوا ، وعلموا بجهلهم أنهم ما أصابوا فيما دبروه لإدبارهم فأصيبوا . والساكر الإسلامية اليوم عليهم مجتمعة ، ومسالك المهالك لضائقهم ومضايقتهم متسعة ، وقد آن أن نحل معاهد معاقلم التي هي ممتعة .

وكل ما يجده الله من علو يظهر ، وعلو يقهر ، ونصر يزهر ، ونصل بالظفر يشهر ، فهو بيزكات الاستمساك بطاعة المواقف الشريفة الإمامية الناصرية ، وبحمد الله وبمن أيامها وفضل إنعامها دلائل النصر ظاهرة ، وأسباب الظهور متناصرة ، ووجوه الآمال بنشر نجاحها ويسر ما في أقراحها سافرة .

---

(١) البطريق : مررب اللفظ الرومي بمعنى الثالث patricius (الألفاظ الفارسية المعربة لادى شير ط بيروت ١٩٢٥ م).

(٢) القسطلان : مررب اللفظ اللاتيني castellanus ومناه مستحفظ القلعة ويقابله في الفرنسية chateau (مفرج الكروب ج ٢ : ٧٦ تحقيق د . الشيال ) عن (السلوك للمقرئى تحقيق د . زياده ج ١ : ٥٢٤)

(٣) المرشان : يقصد المؤلف كما يفهم من السياق maréchal أى قائد الجيش وهي كلمة فرنسية .

## ذكر الهدنة العامة

لما عرف ملك الانكثير أن العساكر قد اجتمع ، والحرق عليه قد اتسع ؛  
وأن القدس قد امتنع ، وأن العذاب به وقع ، خضع وخشع ، وقصر الطمع .  
علم أنه لا قبل له بمن أقبل ، ولا ثبات مع الجحفل وقد حفل ، فأظهر أنه  
إن لم يهادن أقام واستقتل ، ولشعر استقبل . وأنه عازم على العودة إلى بلاده ،  
لأموار مردها يعود إلى مراده . والبحر قد آن أن يمتنع راكبه ، ويسم بالأمواج  
غواربه . « فلان هادنم وطاوعتم تبعت هواي ، وإن حاربتم وعصيتهم  
ألقيت ههنا عصاي ، واستقرت نواي . وقد كل القرى كان ، ومل الرفيقان .  
وقد نزلت عن القدس وأنزل عن عسقلان . ولا تغرؤوا بهله العساكر  
المجتمعة من الجبهات ، فإن جمعها في الشتاء إلى الشتاء ، ونحن إذا أقمتنا  
على الشقاق والشقاء ؛ رمينا أنفسنا على البلاء . فأجيبوا رغبتي ، وأصيبيوا  
محبتي . وأودعوني العهد ودعوني ، ووادعوني وودعوني » .

فأحضر السلطان أمراءه المشاورين وشاورهم في الأمر وأظهرهم على  
المر . واستطلع ما عتدهم من الرأي ، وسرد لهم الحديث من المبادئ إلى  
الغاي ، وقال لهم : « نحن بحمد الله في قوة ، وفي ترقب نصره مرجوة ،  
فأنصارنا المهاجرون إلينا ذوو دين وكرم ومودة . وقد ألفنا الجهاد ، وألفينا  
به المراد . والفطام عن المألوف صعب ، وما تصدع إلى اليوم بتأييد الله لنا  
شعب . وما لنا شغل ولا مغزى إلا الغزو . وما نحن ممن يشوقه اللعب ويسوقه  
التهو . وإذا تركنا هنا العمل فما العمل ؟ وإذا صرفنا عنهم الأمل فقيم  
الأمل ، وأخشي أن يأتي - في حالة بطلاني - الأجل ، ومن ألف الخلية  
كيف يألوه العطل ، رأي أن أخلف رأي الهدنة ورأي ، وأقدم بتقديم  
الجهاد اعتزازي وإليه اعتزائي . وما أنا بطالب البطالة ، فأرغب عن  
استحالة هذه الحالة . وقد رزقت من هذا الشيء فأنا أكرمه ، ولي بتأييد الله  
من الأمر أجزمه وأحزمه » .

فقالوا له : « الأمر على ما تذكره ، والتدبير ما تراه والرأى ما تدبره ، ولا يستمر إلا ما تهر من الأمر ، ولا يستقر إلا ما تقرره ، وإن التوفيق معك في كل ما تعقده وتحله وتورده وتصلره . غير أنك نظرت في حق نفسك من عادة السعادة ، ولإرادة العبادة . واقتناء الفضيلة الزاجحة ، والاعتناء بالوسيلة الناجحة . والأنف من العطلة ، والغزوف للعزلة . وإنك تجد من نفسك القوة والاستمساك ، ويقينك يعرفك بالأمان والإدراك . فانظر إلى أحوال البلاد فلما خربت وتشتت . والرعايا فلما تمكست وتمكست . والأجناد فلما نصبت ووصبت ، والجياذ فلما عطلت وعطبت ، وقد أعوزت العلوفات ، وعزت الأقوات ، وبعثت عنا العنارات ، وغلت الغلات . ولا جلب إلا من الديار المصرية ، مع ركوب الأخطار المهلكة في البرية . وهذا الاجتماع مظنة التفريق ، ولإدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق . فإن المواد منقطعة ، والحوادث ممتعة . والمترب قد ترب ، والمعلم قد عطب . والتين أعز من التبر ، والشعير ليه وجد وإن كان غالى السعر .

وهؤلاء الفرنج إذا يشوا من الهدنة : يذلوا وسعهم في استغراق المكنة واستنفاد المنة . وصبروا على المنة في طريق الأمانة ، وأبوا في الإقبال على دينهم قبول الدنية . والصواب أن تقبل من الله الآية التي أنزلها وهي قوله ( وإن جنحوا للسلم فاجنح لها (١) ) ، وحيثن تعود إلى البلاد سكانها وعمارها ، وتكثر في مدة الهدنة غلاتها وأثمارها . وتستجد الأجناد عدتها ، وتسريح زمان السلم وملتها . فإذا عادت أيام الحرب عدنا ، وقد استظهرنا وزدنا . ووجدنا القوت والعلف ، وعلمنا المشاق والكلف . ففي أيام السلم نستعد للحرب ، ونستجد أدوات الطعن والضرب ، وليس ذلك تركا للعبادة ، وإنما هو للاستجداء والاستجداد والاستجادة .

على أن الفرنج لا يفون ، وعلى عهدهم لا يقفون . فاعقد الهدنة لجماعتهم لينحلوا وينفروا ، وقد شقوا بما لقوا . وما يقيم لهم بالساحل من يقرر على المقاومة ، ويستقل باللازمة .

(١) الآية ١ سورة الأنفال .

وما زال الجماعة بالسلطان حتى رضى ، وأجاب إلى ما اقتضى . وكانت قد بقيت بين العسكرين منزلة واحدة ، والعجاجات (١) على الطلائع متعاقدة . قالو رحلنا رحلتهم ، وعلى الملك أخطاهم ، لكن مراد الله غلب ، وأجيب ملك الانكبير من الصالح إلى ما طلب .

فحضرت لإنشاء عقد الهدنة وكنت نسختها ، وعينت مدتها وبنيت قضيتها وذلك في يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لأول أيلول لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر . وحسبوا أن وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر ، وتتصل أمداهم على الحشد والحشر ، وعقدت هدنة عامة في البر والبحر ، والسهل والوعر ، والبلد والحضر . وجعل لهم من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور ، وأبلوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور . وأدخلوا في الصلح طرابلس وأنطاكية ، والأعمال الدانية والثانية .

---

(١) العجاجات : جمع العجاجة ويقصد بها الاشارة ، ( لف عجاجته عليهم ) أى أغار

فصل من كتاب إلى الديوان العزيز في شرح نوبة يافا .  
ثم إفضاء الأمر إلى عقد الهدنة

قد سبقت مطالعة الخادم بإنهاء حاله ، وما هو لا يزال مستمراً عليه من  
جهاد العدو وقتاله . وما كان عليه الكفر من الجمع المتنهم والجمر المتنهب  
والحشر والحشد المضطرب المضطرب . وأنهم قد اجتمعوا على قصد ألبيت  
المقدس ، وعزموا على بلك المصونين من النفائس والأنفس . وسلكوا  
في القصد كل طريق ، وتوافوا وتوافدوا من كل فج عميق . ودنوا على ظن  
أن جنى الفتح لهم دان ، وأن شبا الحنف عنهم وان . ولما قربوا عرفوا أن  
الرمي بعيد المرام ، وأنهم لا يستطيعون مقاومة عسكر الإسلام . فنكصوا على  
أعقابهم ، ونكسوا ما ضربوه من آرائهم وآرائهم . وعلموا عقبى ما جهلوه  
وقطعوا من أسباب العزم ما وصلوه . ونكثوا من عقد القصد لما أبرموه ،  
وشرعوا في أمر آخر توهموه .

ومضوا واستأنفوا الاستعداد ، واستنهضوا الأمداد . وحصنوا بلادهم  
وجمعوا فيها طرائفهم وتلادهم . وشحنوا عسقلان ويافا بالقوة الجامعة ،  
والعدة النافعة ، والشوكة الرادعة ، والشكة القاطعة . واستظهروا فيهما  
بكل ما قدروا عليه من المتعة الحامية ، ورجال الصبر على النار الحامية .  
ثم ساروا بمحشودهم المجموعة وجموعهم المحشودة ، وظلال الضلال  
المملودة ، وصالال الصلادم المقودة . مستطرى شأبيب الأنابيب ، مستفري  
سراجين السراجيب . وتوجهوا على سمت ثغر بيروت بنية الحصر وغفلوا  
عما أجراه الله لأولياته على أعدائه من عوائد النصر

ولما نعى خبرهم ، وطار شررهم ، وخيف ضررهم ، أنهض الخادم  
العساكر المنصورة إلى مقابلتهم ، ومباراتهم ومقاتلتهم . ونزل في ممالكه  
وخواصه ، ورجال الإقدام ذوى استخلاصه ، على مدينة يافا فأخلعها  
بالسيف عنوة ، وجب بها من سنام الكفر ذروة ، وحل منه بغزوته إليها  
عروة ، واستكمل للإسلام بتملكها حظوة . وقتل كل من حوته وسبي ،



وناب المشركين بما نبى مجده ومضى حله فيه وما لبأ . وغنم من أموالها المسلمون ما خف وقتل ، وأسر من وجد فيها وقتل . ونهب من آلات الحصر ماخرج عن الحصر ، وابتذل كل ما صين من الغلال والعدد والمال الدثر للدُّخْر .

وطلب أهل القلعة الأمان من القتل خاصة دون الأسر ، وشرطوا أنهم لا يمكنون من الدخول إليهم من جاءهم للنجدة من البحر . وأخرجوا على سبيل الرهينة مائة رجل من محتشميهم ، وكنودهم ومقلمهم . مثل البطرك الكبير والقسطلان والمرشان ؛ ومن يجري مجراهم من الفرسان . فلما أصبحوا جاءهم ملكهم في البحر فلدروا ، وامتنعوا بعد انقيادهم للعجز حين قدروا . وخيم العلو هناك في جموعه ، وندب إلى عسكره من يأمره برجوعه . ووافت في البرجحافله حافلة ، وتواردت في الإسراع إلى الصريح ظِلْمَانَا جافلة .

فأجرى الخادم على الرهائن حكم الاسترقاق ، وسيرهم إلى دمشق في أنياد الوثاق ، ورجع إلى القوم فهزمهم وردهم إلى عكا ، بعد ما نكى فيهم وأضحك من دماهم البيض وأبكى . وعاد إلى العلو ونزل عليه ، وكدر المورد لديه حين زحف إليه . واجتمعت من أهل الإسلام المساك . واتسعت على المشركين في المضايقة اللوثر . ورجا المؤمن وخاب الكافر ، وجالت بأوجالها الضمائر لما جالت عليهم الضوامر . وعابنوا العذاب الواقع ، وعلموا الدافع ، وشاهدوا المصارع . فما زالت رسلهم تردد بالضراعة ؛ وبذل الطاعة ؛ والنزول عن الاشتطاط ، والدخول تحت الاشتراط ؛ والغبطة بما هزله الإسلام عطف الاغبط ؛ واحتوى عليه بيد الاحتياط .

وكانوا لا يجابون إلا بالإباء ، ولا تلقى رسلهم إلا بتصميم عزم اللقاء . حتى حضر أكابر الدولة وأمرأؤها ، وأولياء الطاعة وأبأوها . وأشاروا بعقد الهدنة ، والانتهاز فيها لفرصة المكنة . واستمّت المهادنة على ما أعز للإسلام الأنوف وأذل من الكفر الرقاب ، ورجح وأنجح من أهل الإيمان الآراء والآراب . بعد أن نزلوا عن البلاد والمعازل التي تملكوها ، وبعثوا

الطرق التي سلكوها ، وسألوا الأمان على الأمان التي استدركوها وما أدركوها ،  
وسلدوا عسقلان وغزة والداروم ويبتى ولُدّ وتل الصافية ، وغير ذلك من  
الأعمال والأماكن الوافرة الوافية .

واقنعوا بيافا وعكاه وصور ، واستبدلوا من تطاولهم وقدرتهم العجز  
واقصور . ورأوا عزهم في ذلهم ، وصونهم في بلهم ، وسلامتهم في  
سلمهم ، وغناهم في علمهم ، ولانوا بعد الاشتداد . ودانوا للانقياد .  
وهانوا بعد الاعتزاز ، وهابوا بعد الاغترار ، وأقروا بعد الإنكار لتعود  
جفونهم إلى القرار ، وأمورهم إلى القرار . وخلوا ديارهم وأخلوها ،  
وما سألوا عن حب الأوطان والأوطار وسلوها . ومدة الهدنة التي أخذوا بها  
اليد وأعطاها اليمين ؛ ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها أول أيلول يوم الثلاثاء  
الحادى والعشرين ، من شعبان سنة ثمان وثمانين . ووضعت الحرب أوزارها  
ورحضت (١) بقاء السلم أوضاعها (٢) ، وأخذت من أهل النار ثارها ،  
وقصبت الفرنج من وراء البحر ديارها . ولاشك أنهم يستعدون في هذه  
المدة ، ويستمدون ما يستطيعونه من القوة والعدة ، ويستجدون عزمة العودة .

وقد شرع الخادم في تحصين الثغور ، وإمرار الآور . وإبرام معاهد  
المعاقل ، وإحكام قواعد الحق بتعفية آثار الباطل . وإتمام أسوار القدس وخنادقه  
حتى يبقى على الدهر آمناً من طروق العدو وطوارقه . وإعادة الأعمال  
والأحوال إلى عادة عمارتها ، وحلية نضارتها ، وإجهاام العساكر وإزاحتها ،  
ليوم تعبها الذي هو عين راحتها .

ولقد كان الخادم للسلم متكرها ، ولا يرى أن يكون كشيمة ماوك  
العصر عن الغزو مترفها . لكنه أجمع من عنده من الأمراء وذوى الآراء على  
أن المصلحة في المصالحة راجحة ، وأن صفقة الكفر فيها خاسرة وصفقة  
الإسلام راجحة .

وإن في إطفاء هذه الجمرة وقد وقدت سكونا عاما ، وأمنا تاما ،

---

(١) رحضت : غشيت .

(٢) أوضاعها : جمع وضر : وهو وسخ اللبس ، غسالة القصة ونحوها ، وأثر النظام  
في القصة ، والمقصود هنا كل متعلقات وآثار ضاربة .

وتفريقاً لجمع الكفار لشمّل النصر عليهم ضاماً . فهى سلم أنكى من الحرب  
فيهم ، وأنها تقصيههم من هذه الديار بل تنفيهم ، وإلى متى تجتمع هذه الأعداد  
الهائلة لحولاء الأعداء ، وتتفق هذه الأمداد المتواصلة من أهل النار في الماء .  
وما صح لهم هذا الجمع على التكسير إلا في خمس سنين ، وما واثى إليهم  
مددهم من ألفه سوى مئين . وكل ما كان لهم من أواليم في بلادهم نقاوه  
وأنفقوه ، وأيقنوا أن مرامهم صعب وتحققوه . فمضى أنفقوا أنفقوا ،  
وقد آن أن يرفضوا ويرفضوا ، وإلى أن يتفق مثل هذه الجموع ، ويعزم  
ذاهبهم على الرجوع ؛ يكون الإسلام قد استظهر بقوته ، واستكثر من  
نجدته ومن جدته . فرأى موافقة الإجماع : وقبل مناصحة الأشياع .  
وتفرق جمع الكفر وباخ جمره ، وأمن نكره ومكره ، والشرح صلب  
الإسلام ونضوع نشره ، وتوضح بسنى النصر فجره .

## ذكر ماجرى بعد الصلح

عاد السلطان إلى القلنس وعادت عادة مسعاده ، واشتغل بإتمام السور والحدائق وتكميل عمارته ، وفسح للفرنج كافة في زيارة قمامة . فجاءوا ووجدوا الأمن والسلامة . وزاروا ورازوا ، ولما عجزوا أن يحتازوا سألوا أن يحتازوا . ففسح لفرنج من بعد فريق ، وتوافوا في طريق وراء طريق ، وقالوا : « إنما كنا نقاتل على هذا الذى وجدناه مع الصلح ، وما زلنا سائرين في ليل القصد حتى وصلنا إلى الصبح . »

وكان ملك الانكثير راسل السلطان وسأل منع الفرنج من الزيارة إلا لمن وصل معه كتابه أو رسوله ، ورغب في أن يحجب سؤاله في ذلك ويصاب سوله . فقبل : مقصوده أنهم يرجعون إلى بلادهم على حسرة الزيارة ، فييقون على الاستنفار والاستثارة . ومن زار برد قلبه ، وتنفس كربته ، ولم يبق له في مشقة العود أرب ، ولم يتصل له بهذه الديار سبب ، فكان الأمر كما حسب ، فاعتذر إليه في الجواب الذى كتب . وقيل له : « أنت أولى بمنعهم ، وردهم بردعهم . فإنهم يصلون إلينا وافدين ، ولزيارة الكنيسة قاصدين . وما يقتضى كرمنا أن نرد الوفود ، ولا نبليخ من يقصدنا المقصود . »

ومرض ملك الانكثير مرضاً ألهاه عما اشتهاه ، ولم يبلغ في هذا الغرض إلى متناه . وركب البحر وأقلع ، وعجل في مفارقتة وأسرع . وسلم الأمر إلى من يليه ، وهو الكند هرى — ابن أخيه من أمه ، وهو ابن أخت ملك لفرنسيس من أبيه . وتبعه فرنج الجزائر ، ولم يقف الأول منهم على الآخر .

## ذكر ما عزم عليه السلطان

عزم على الحج وصمم ، وكتب إلى مصر واليمن بما عليه عزم . وأمر بأن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج إليه من الأزواد والنققات ، والثياب والكسوات . فقيل له : لو كتبت إلى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعرفته بنهجك . حتى لا يظن بك أم أنت منه برىء ، ويعلم أن قصدك في المضي مضى . والوقت قد ضاق ، ويبلغ الخبر الآفاق . ثم هذه البلاد إذا تركتها على ما بها من الشعث ، لم تبرم مرور (١) حبلها المتكث . وهذه المعازل التي في الثغور ، حفظها من أهم الأمور . ولا يغتر بعقد الهدنة ، فإن القوم على ترقب المكنة . والغدر دأبهم ، وملء البغي لها بهم .

فما زال الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم ما عقده ، وأطفأوا من نار جده فيه ما أوقده ، فشرح في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارته ، وتهديب عمله ومعاملته .

وكان الوالي بالقدس حسام الدين سياروخ ، وهو تركي يقتدى به في زهادته وحسن سيرته الشيوخ . وكان فيه دين ولين ، وحبه في الخير متين . ولم يزل مستوفيا لحق الأمانة ، مستغنيا من الولاية لطلب الصيانة . فانصرف حميدا أثره ، كريما مورده ومصلره .

وفوض السلطان ولاية القدس إلى عز الدين جرديك ، وقال : « نهديك في الأمور يغنيك عن أن نهديك . وإنما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال الكفاية والشهامة والديانة فيك . فتول آخذنا بالحزم في تثبيتك وتأمينك ، وترويك وتأمينك » .

وولى علم الدين قيصر أعمال الحليل وعسقلان وغزة والداروم وما والاها ، فخرج إليها وتولاها . وأمر بنقل الغلات من البلقاء (٢) لتقوية الفلاحين ،

(١) مرور : ملاقات المجال .

(٢) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام وواحد القرى قصبها عمان ، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة (ياقوت ج ٤ : ٨٩ ط . ب) .

وإعانة المقطعين . وكذلك أمر بنقل الغلات من مصر إلى أعمال عسقلان ،  
ليعيد إليها الزراعة والعمران . وسأل الصوفية عن أحوالهم ، وأذن سؤاله  
عنها بإجابة سؤلهم وسؤلهم . فإنه كان وقف دار البطرك — مجاورة قمامة —  
لهم رباطا ، وجعل لهم كل يوم فيه سمطا . وزاد في الوقوف ، وحكمهم  
في الإتفاق بالمعروف .

وكان قد جعل كنيسة صئحنا — عند باب الأسباط — للفقهاء الشافعية  
مدرسة ، وردھا بنية على التقوى مؤسسة . وزاد في أوقافها ، ووفر مواد  
تلادھا وطرافھا . وأمر بأن تجعل الكنيسة — المجاورة لدار الاستبار بقرب  
قمامة يمارستانا للمرضى . واتخذ فيها بيوتا فيها حاجات أصحاب الأمراض  
على اختلافھا تقضى . ووقف مواضع عليها ، وسير أدوية وعقاقير عزيزة  
الوجود إليها . وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف إلى القاضى بهاء الدين  
يوسف بن رافع بن تميم (١) . وعول منه على أمين كريم .

---

(١) يقصد القاضى بهاء الدين بن شداد صاحب كتاب الإرادر السلطانية والمخامن اليوسفية .

## ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال ، وقد دبر الأحوال ، وأقام بعدله الاعتدال ، وأفاض الفضل والإنصال . وجاوز ناحية البيرة<sup>(١)</sup> ، وقد جلا جلاله سنى راياته المثيرة . وبات على بركة للداوية ، بالهمة الروية والعزمة القوية . ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة ، وجمع شتات مصالحها المتوزعة . وكثرت الاستغاثات على سيف الدين على المشطوب صاحبها ، وأنه قد طرق الرنق<sup>(٢)</sup> إلى مشاربها ، وزاد في رسومها ونوائبها . فأقام بها إلى ظهر يوم السبت حتى كشف مظالمها ، وأضحك بالعدل والإحسان مباسمها . وأسقط رسومها الجاثرة ، وأमत سنتها الضائرة ، وأصنى بها شرعة الشريعة ، وأصنى ظلال العاية للرعية في مراعيها المريعة .

ورحلنا بعد الظهر ، وبتنا ليلة الأحد عند عقبة ظهر حمار بموضع معرف بالفرنديسة ، ورتعنا في مروجها الأنيسة . وأصبحنا راحطين ، ونزلنا ضحوة على جبين . وهناك ودعنا المشطوب وداع الأبد ، فأنه انتقل بعد أيام إلى رحمة الواحد الصمد . وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال .

ورحلنا يوم الاثنين وجتنا ضحوة إلى ييسان ، وأزال حول السلطان عنها البؤس وأشاع الإحسان . وصعد إلى قلعتها المهجورة الخالية . فأبصر قلعتها العالية ، وقال : « هذه إذا عمرت دامت في حضانة الحصانة ، وكان جبلها لو ثوقه مستودع الأمانة ، والصواب بناء هذه وتخريب قلعة كوكب » . ولم يزل حتى بين كيفية بنائها ورتب . ووعد بإحكامها ، وإعلاء أعلامها . ثم ظهر ظهراً وبات على قلعة كوكب ، وشاهدها وصعد نظر رأيه فيها

(١) البيرة : بلدة بين القدس ونابلس ( ياقوت ج ٢ ط . الثاني ) .

(٢) الرنق : هنا معنى تراب في الماء من القلى وغيره .

وصوب . ورحل عنها ضحوة الثلاثاء ، ونزل بظاهر طبرية وقت العشاء :  
وهناك لقينا بهاء الدين قراقوش وقد خرج من الأسر ، وتلقيناه بالبشر  
والبر . وأقمنا بها يوم الأربعاء لتوافر الأنداء ، وتواتر الأنواء .

ورحلتنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب قلعة صفد تحت الجبل ، وصعد  
السلطان إليها وأمر بتسديد ما فيها من الخلل . ثم سار يوم الجمعة على طريق  
جبل عاملة ونزل ضحوة بضبعة يقال لها : الجش<sup>(١)</sup> ، وهي عامرة محتوية  
على سكانها كأنها العش . وسمنا منها وخيمنا على مرج تبين ، وبتنا بأحوال  
قلعتها معتنين . وأصبح السلطان حوالى حيطانها بأحوالها محيطا ، ممتطيا قرا  
قلعتها ولأسباب اختلالها محيطا . ووصى الوالى بعمارتها وجعل مصالحها  
بكتايتة منوطة ، وسدادها بسداده منوطا .

ثم رحلتنا بكرة السبت وجزنا على قلعة هونين ، ونزلنا من الجبل ، وبتنا  
على عين الذهب ، واجتمعنا بالثقل . ورحلتنا يوم الأحد وخيمنا بمرج  
عيون ، وجلس السلطان على عادته معنا فى تدبير الممالك تلك الليلة وسهرت  
الليون .

ورحلتنا عصر يوم الاثنين ووصلنا السير بالسرى ، وقطعنا فى الطريق  
الوعر الوهاد والنرا ، وعبرنا بين عمل صيلاء يسرة وعمل وادى التيم<sup>(٢)</sup>  
يمنة على الضياع والقرى . وعرونا على مرج تلقيا<sup>(٣)</sup> مقابل مرج القنعة ،  
ودفعنا إلى سلوك<sup>(٤)</sup> المسالك الصعبة .

ثم أصبحنا يوم الثلاثاء على الرحيل إلى البقاع من تلقيا<sup>(٣)</sup> فخيمنا على  
جسر كامد ، والسلطان مشغول فى طريقه من تقرير العمارات وتحرير سنن  
الحسنات باقتناء المحامد . ثم غلونا يوم الأربعاء وخيمنا بناحية قب إلياس ،  
وقد أصبحونا إلى القضاء . وأقمنا ذلك النهار راتعين من القواضل السلطانية

(١) جش : بلد بين صور وطبرية على سمت البحر ( ياقوت ج ٢ : ١٠٧ ط . الخانيجى ) .

(٢) وادى التيم بلتان ، وهو المنطقة التى ينتهى إليها جبل الشيخ متحدرا إليها انحدارا لطيفا .

(المشيد باب الاعلام والبلدان ) .

(٣) تلقيا : من قرى غولة دمشق ( ياقوت ج : ٥ : ٤٢ ط . ب . ) .

(٤) قى ب تبوك والتصحيح من ل .



في النعماء . ولما جن الليل جمعنا بالحضرة السلطانية الأنوار ، ومرت أسماء  
منه أسماء رجال الفضل والكرم وستهم لا الأسماء :  
ودخل السلطان يوم الخميس إلى بيروت ، وأنجز بالوصول إليها وعده  
الموقوف . ونزلت الأتقال على مرج قلميطية بالبقاع ، وأقامت خمسة أيام  
على الاستراحة والإيداع .

## ذكر وصول السلطان إلى بيروت ودخول يميند الابرنس صاحب أنطاكية عليه والاستجارة به وذكر أسامة

ولما وصل السلطان إلى بيروت تلقاه واليها عز الدين أسامة ، بكل ماتوفرت  
به الكرامة ، واستقبل الأصحاب بصدر رحيب ، وظل خصيب ، وسماحة  
أريب ، وسجاجة (١) لبيب . وفتحت الأهراء - على غلاء الغلات بالثغر -  
ورفع أغلاقها ، وسبلكها وما قيد إطلاقها . وقرى وأضاف ، وأذن القطاف ،  
وأصنى النطاف (٢) وتلطف في الهدايا وأهدى الألفاف . وفرق على الصغير  
والكبير التحف ، وأحضر للسلطان ولكل من معه الطرف . وأغنى وأقى ،  
وأعلم في الجود الموجود وأقى . وأعطى الخيل والماليك والجواري والملابس ،  
وبذل النفائس ، وزف على أكفأ المحامد من ابتكار المناقب العرائس .

وأظهر في مكان الشدة الرخاء ، وفي مظنة الضيق السخاء ، وأهب في  
أعصار الإحسان لرجال الرجاء من سماء السماح الرخاء . وأحضر كل ما عنده  
مما كسبه في النعمة ، جريا على كرم الشيمة ، من الجوخ الإنجنية ، والثياب  
البندقية ، والمنابات (٣) الفضية ، والأكواب الجينية . والسروج واللجم ،  
والأكسية والخزّم . والمهاميز (٤) والملايط (٥) والنفابير (٦) ، والروض

(١) سجاجة : سجع خلفه ، سهل يقال : في عقله رجاجة وفي خلقه سجاجة .

(٢) في ب اللطاف والتصحیح من ل ومن أ ( ٣٨٥ ى ) .

(٣) المنابات : جمع منابت وهي وعاء يقدم فيه الشراب

(٤) المهاميز : جمع مہمز أو مهماز ، وهو ما يهتز به . أو هو حليقة في مؤخر خلف

لرائس . Dozy-Supp-Dict-Arabe. p. 765

(٥) الملايط : جمع ملوطة ، وهي الجبة من الحرير ( Dozy-Supp-Dict-Arabe.

Vetements p 412

وهناك كلمة مليط إذا قيل سهم مليط أى لا ريش له ، وملايط صيغة منتهى الجموع للكلمة

(٦) النفابير : جمع غفارة وهي زرد من الدرع يفسج على قدر الرأس ، يلبس تحت

القلنسوة (التجوز الزاهرة ج ٦ : ٢٦٨ ط . دار الكتب عن شرح القاموس) .

والدراهم والدينانير . ففرق من ذلك ما جمعه ، ورفع إلى كل منهم ما أسى  
قلره ورفع ، وما انفصل عنه إلا كل مواصل بشكره ، مساجل أمثاله بذكره ،  
مضوع كل ناد للكرام ينشره . وقام بالسلطان وبكل من صحبه مدة مقامه ،  
وأعجب وأعجز ما صلق من اهتمامه .

### ذكر وصول الإبرنس يميند ودخوله على السلطان

ولما أراد السلطان عن بيروت الانفصال ، وذلك في يوم السبت الحادى والعشرين من شوال ، قيل له : إن الإبرنس الأنطاكى قد وصل إلى الخدمة ، مستمسكا بحبل العصمة ، داخلا حكم النمة . فثنى عنانه ونزل ، وأقام وما ارتحل ، وأذن للإبرنس فى اللخول ، وشرفة فى حضرته بالمتول . وقربه وأنسه ، ورفع مجلسه . وأظهر له البشاشة والمحاشاة ، وسكن من روع روعه المحشاة ٥

وكان معه من مقدمى فرسانه أربعة عشر بارونيا ، ووهب كلا منهم تشريفا سريا . وأجزل له ولهم العطاء ، وأبدى بهم الاعتناء . وكتب له من مناصفات أنطاكية معيشة بمبلغ عشرين ألف دينار ، وخص أصحابه بمباراة وأعجبه استرساله إليه ودخوله عليه بغير أمان ، فلا جرم تلقاه بكل إحسان ٥ وودعه يوم الأحد وفارقه ، ووافق مراد السلطان أنه بمراة واقفه . وانصرف المذكور مسرورا ، بين أسرته المذكورا ، محبوا بالمنح والمئن محبورا .

## ذكر وصول السلطان إلى دمشق

لما خرج السلطان من بيروت يوم الأحد بات بالمخيم على البقاع ، وأحضرنا تلك الليلة في نادى فضله للمؤانسة والامتناع . وتجاوزنا أطراف الآراء ، وهزنا منه أعطاف الآلاء . واستدنينا قطاف النعماء . وقد قرب الدخول إلى البلد ، والوصول إلى الأهل والولد . وكل يقترح مقصودا ويقصد اقتراحا ، ويظهر إلى سكنه ومسكنه ارتياحا والتمناحا . فرحلنا يوم الاثنين وعبرنا عين البحر (١) وبتنا على مرج ييوس (٢) ، وقد شرح الله الصدر وأطاب النفوس . ووصل إلينا من أعيان دمشق من سبق للتقى والاستقبال . وأظهروا بقدمونا أسباب الاحتفاء والاحترام . وجاءتنا فواكه دمشق وأطايها ، واغتصت بالواصلين إلينا مسالكها ومناهبها . ورحلنا يوم الثلاثاء وبتنا بالمرآة ، وجرى المتلقون في التحنى بالتحف على العادة . وأصبحنا يوم الأربعاء ودخلنا إلى دمشق وقد أخرجت أئمتنا ، وأبرزت نسائها ورجلها . وكان يوم الزينة ، وخرج كل من بالمدينة . وحشر الناس ضحى ، وأشاعوا استبشارا وفرحا .

وكانت غيبة السلطان عن دمشق أربع سنين في الجهاد طالت ، فاهتزت بقلومه واختالت . وقرت بفضائله الأعين ، وأقرت بفواضله الألسن ، وذاعت أسرار السرور ، وراقت حبرات الحبور . وطابت الأنفس ، وغابت الأبؤس . وانجلت المكاره ، وتجلت المكارم ، وافرت المباسم ، وهنت بموسمه المواسم . وتهوديت التهاني ، وهديت الأمانى ، وغنت المغاني ، ولنت المجاني ، وسفرت المجالي ، وظفرت المعالي . وتجلت الأحوال ، وتملت الآمال . وراج الرجاء ، وأرجت الأرجاء . وفاض الجود ، واستفاضت السعود . وعم العدل ، وتم الفضل . وأشرقت الآفاق ، وأفاق الإشراق . وكرم الفضلاء ، وفضل الكرماء .

(١) عين البحر : موضع معروف بالبقاع بين يعلبك ودمشق ( ياقوت ج ١٤ : ١٧٧ ط . ب )

(٢) ييوس : اسم جبل بالشام يواصى النيم من دمشق ( ياقوت ج ٢٠ : ٤٢٨ ط . ب )

وحل في القلعة حلول الشمس في برجها ، وقد جلّت أوجه السعود بأوجها ، وأخذت بحار سماحه في موجها ، وسلكت المناجح في نهجها ، وجاءت المنائح في فجها بفوجها . وصفت شرعة الشرع لواردها ، وضفت حلة الكرامة على وافدها . وفتحت مرتجات أبواب الآلاء لمرتبجها ، واستجلدت عادات إنجاز عدات الجوائز لمستجلبها . ويسر اليسار لإسعاف العاني ، ونمت على ألسن الأتنام أوصاف الصافي . وجلس السلطان في دار العدل فأعدى المستعدى ، ولبي المستدعى . وأجاب وأجار ، وأنال وأنار . وجاد وأجاد . وبدأ وأعاد .

وفي هذا الشهر خلص بهاء الدين قراقوش من الأسر ، واجتمع بنا يوم وصلنا إلى طبرية ، ولقي من السلطان الألفاظ الخفية . ووصل معه إلى دمشق وأقام إلى أن خلص أصحابه من الأسر ، وتوجه إلى مصر . وقد صان نفسه بئذ ماله ، وأخرج ثروته ودخل في إقلاله . وخرجت السنة والسلطان في أسنى سنائه ، وأبجى جلاله وأجل بهائه ، والناس راتعون في رياض نعمائه . ورسل الممالك الغربية والشرقية عنده يخطبونه ويطلبونه ، ويتنظرون عزمه ويرقبونه . وهو يعدهم بانحسار الشتاء وانكساره ، وابتسام فخر الربيع وافراره ، والتهاب زهر أزهاره ، وانتهاج سرح أسحاره ، وانتباه عيون بهاره ، واندلاق غرار عراره ، واثلاق أنواء نواره ، وانطباق نواظر ثماره ، واصطفاق<sup>(١)</sup> أوراق أشجاره ، وانفتاح كمامه ، واتساق نظامه . وانتثار منظومه ، وانتظام مثوره ، وانفجار صبح أسفاره . وانفراج وجه سفوره ، واجتماع لقيف أعشابه ، واستماع خفيف أقصابه ، والتماع بريق سحابه ، واتساع طريق صحابه . وانشاق شقائقه ، وانعناق عقائقه . واشتغال شمائله ، واقتبال قبائله . وتأرج صبا صباحه ، وتبلج صبا صباحه . وتورد وجنات جناته ، وتوقد جمرات ثمراته ، ولتبسم ثغور أفتحوانه ، وتنسم ضمير ضميرانه<sup>(٢)</sup> وتصور خلود تفاحه ، وتلدور نهود رمانه . وانضمار آس عذاره ، واحمرار خد جلتاره .

(١) الاصطفاق : الامتزاج بالريح .

(٢) الضميران : ضرب من الريحان .

وتشف أقطار النادى بأقراط قطار الندى ، وتنفوف (١) حافات  
الوادى بالوشى الوشىع من حوك (٢) الرباب (٣) حول الربا . فلإذا طاب  
النسيم ونسم الطيب ؛ ودعا البلبل ولبى العنديل ؛ وتطر غير الريح ،  
وتصور الشقيق كأنه تخمر من عجين النجيع ؛ ووافق مراد المرعى من المراد  
المرعى ؛ وحلا الجنى اللجنى ؛ وحلى النضير النضارى ؛ وبقل العذار  
البفسجى ؛ واشتعل الخلد الجلتارى النارى ؛ ونجم فى الروض النجم  
السماى المائى ؛ وابتم الثغر الأفاهى ، وتنسم الضوع الصباحى . وتحرك  
العرف السحرى الشجرى ، وتأرج النشر الروضى ؛ وتبلغ البشر الوضى ؛  
وانتشى النشأ (٤) السماى الشموى ؛ وانتعثت عاثرات أعشاب الشعاب ؛  
وقابلت القبول خطبة الفضل بفصل الخطاب ؛ وصبت العبا فى محل خطبة  
المحل بصوب الصواب ؛ فحيتئذ آل جماع الأصحاب إلى الإصحاب ،  
وصرقت أشاجع الشجعان ؛ وأيمان أهل الإيمان ؛ كل موج العنان ؛  
رواج السنان . ونزعت الزائع إلى الحلاب ، ورشفت القواطع بشفاة الشفار .  
ضرب الضراب . واجتمعت المساكر وعسكرت الجموع ، وسرت الطلائع  
وسر الطلوع . ونهض أهل الجدد وجد النهوض ، وفاضت المنابع ونبت القيوض  
وضرب السراق السلاطانى حيث النصر ينزل ، والسعد يقبل ، واليمن يشمل  
والنجم يسهل ، والظفر يمثل ، والأمر يمثل . والجدد يسمن والمزل يهزل ،  
والعزم يولى والونى يعزل . ويعم العدل مع اعتدال الزمان كل مكان ،  
ولا يتنفس إلا بحديث الصاعة من يحدث نفسه بعصيان .

وأقمنا على هذا العزم إلى آخر السنة ، والأجفان مغضوذة على طيب  
السنة . وظلّ البرد الشديد مديد ، والجلد واه والهواء جليده . وحدث الشتاء  
فى التشيت حديد ، والجبال قد اشتعلت رؤوسها شيا ، والثلوج قد زرت

(١) تنفوف : يقال ثوب مغوف : أى رقيق أو غلط بخطوط يفيض على الطول .

(٢) حوك : نسج .

(٣) الرباب : السحاب الأبيض

(٤) النشأ : نسيم الريح الطيبة .

على أعناق أطوادها جيا . والجو في نظم ونثر ، والثرى من الثرات مُثر :  
 والهُتُون ناكب ناكث ، والهُتُوف ساكن ساكت . والثرن مزين ، والحزن (١)  
 حزين . وللسماء سماء ، وللنشاط (٢) نشاط . وللسحاب حساب ،  
 وللبرق والرعد انتحاء وانتحاب . وللبرد من ثلجه بُرد ، وللمطر في نهجه  
 طرد . وللغيث حيث ، وللوحل ريث .

وكانون قد أكنّ الربا ، وشباط قد شب الشبا . والنار محبوبة مشبوبة ،  
 وحدود النكَب ملروبة ، وخلود التُّرب مضروبة . والسلطان مشغول  
 بالصبيد والقنص ، متمتع في العمر للفرص . مبرز بالزاة والصقور ، حشاشات  
 الوحوش والطيور . بكل جار جارح ، وطائر طارح . يذل أجل الخجل  
 وحمام الحمام ، كأنه غريم لها لاهى الغرام . وكل شهم ينقض انقضاض  
 السهم ، ويبط بطن البط بالخزم .

وأكثر الجلوس بدمشق في دار العدل ، وأغزر لمتجعيه در الفضل .  
 وحكم وقضى ، وأسخط بالحق وأرضى ، ووقف وأمضى . وما منع بل  
 أعطى ، وأصاب وما أخطأ . وجاد وأجاد ، وأبدى وأعاد ، وأوفد وأفاد ،  
 وأحسن وزاد . وأغنى وأفنى ، وأجلى وأسلى ، وأولى وولى . وأجار  
 وأجاز ، وحاز وناز . وقرب العلماء ، وأكرم الفضلاء ، وفضل الكرماء .  
 وتكلموا عنده في المسائل الشرعية ، وظفروا من جوده بالوسائل المرحية .  
 وما كان أحسن إلى الحق إصغاه ، وأسرع للباطل إلفاه . ولكل ذى فضل  
 منه حظ ، ولكل ذى حفظ منه حفظ . ولكل محروم منه رزق ، ولكل  
 مرزوق إلى حمده سبق . ولكل فهم عنده سوق ، ولكل سهم عنده فوق .  
 ولكل أدب لديه داب ، ولكل عاتب عُدْم من جوده إعتاب ، ولكل  
 مكرمة عنده باب ، ولكل دعوة صاف من إسعافه جواب :

ولكل مستجد إجداء ، ولكل مستهد إهداء . ولكل سائل نائل ، ولكل  
 ماحل وابل . ولكل ظام رى ، ولكل حائم ورد هنى . فما أسح مزنه ،

(١) الحزن : ما غلظ من الأرض ولعلما يكون إلا مرتقما .

(٢) النشاط : السحاب المرتفع بمقه فوق بعض .



وما أصبح وزنه ؛ وما أسمع يده ؛ وما أوضح جده ؛ وما أعل جده ! .  
وما أجد علاه . وما أجدى كفه ؛ وما أكنى جداه . ؛ وما أكثر حياه ؛  
وأغزر حياه ؛ وأرج رياه ؛ وأبلج عياه ! .

وعمن توفي في هذه السنة من الملوك ؛ سلطان الروم قليج أرسلان بن مسعود  
ابن قليج أرسلان ؛ وكانت وفاته يوم الخميس متصفاً شيبان .

وكان له عشرة من البنين ؛ فولى كلا منهم إقليما ، وقصد به لمتاد  
أمر ذلك الجانب تقويماً . فقوى كل منهم في ثغره ، واستقل بأمره . ودب  
في طبعه حب الاستيلاء والاستبداد ، ومد عينه إلى ما في يد صاحبه من  
البلاد . وكان أكبر بنيه — قطب الدين ملكشاه ؛ قد استحكمت قواه ؛  
واستطال هواه ؛ وهو حيثنذ متولى سيواس (١) ؛ فأطاع في التملك على  
أبيه ملكه الوسواس . وسعى إلى أن أبعد من عند والده اختيار الدين حسن بن  
غفراس . وصور له أنه يريد أن يستولى على الملك ، وينفرد بانتهاج المسلك  
وانتظام السلك .

وساعده صاحب أرزنكان (٢) وأمن اختيار الدين إلى المكرر واختاره ،  
واستأذن السلطان أن يقصد دياره ، ويقم عنده إلى أن يصلح أمره مع أولاده .  
ويأذن له في العود إلى بلاده : فاستصحبه صاحب أرزنكان ؛ وأوقع عليه  
في الطريق التركان . فقتلوه شر قتلة ، ومثلوا به وبولده أقيح مثله .

فلما عرف ملكشاه أن وجه والده خلا ؛ وأنه عن حسن بن غفراس  
سلا ؛ ساق إليه ، وأخفى عليه . ودخل قونية دار مملكته ، واستبد بحوز  
حوزته ، وقوى بعزته ، وعز بقوته . وقال لوالده : « أنا بين يديك ،  
أشفق عليك . وأنفذ أوامرك ، وأوفر ما ترك . » وقتل أمراء كانوا لأبيه ،  
وألزم خدمته من لا يشتهي . فبقى معه كالمعتقل ، يظن حالاً وهو العطل ؛

---

(١) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة بينها وبين قيسارية سبعون ميلاً ( التجوم  
الزاهرة ٦ : ١١٨ ط . دار الكتب ) عن تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل .

(٢) أرزنكان : أو أرزنجان ، بلدة كثيرة الخيرات من بلاد أرمينية بين بلاد الروم  
وغلاط قرية من أرزن الروم وأكثر أهلها أرمن ( ياقوت ج ٢ : ١٥٠ ط . بيروت ) .

واستكتبه أنه ولي عهده ، والقائم بالسلطنة معه ومن بعده . وتصرف في خزائنه وملك أفسرا (١) ، وفرع وفري ، وقرع وقرا ، وقطع وبرى .

وقد مضى حديث ملك الألمان ؛ في ذلك الأوان . وكيف وصل وعبر إلى الشام ، وكيف قوى بهم في زمن الإسلام . واستصحب معه والده إلى قيسارية ؛ لفسر أخيه نور الدين سلطان شاه وحصره ، وأظهر أنه بأمر والده وأنه شاد ظهره . وخرج عسكر البلد وصف ، ووقف وكف .

ورأى قليج أرسلان أن ولده عنه مشغول ؛ وأن عقد حراسته له محلول . فخرج من الصف مفارقاً لوالده ، وساق ودخل إلى البلاد . فأضاهه الولد الآخر وأكرمه ، وبره واحترمه . وانفصل ملكشاه إلى قونية وملك تلك الأمكنة ، وقد استبد بالسلطنة . وبقي قليج أرسلان يتردد في بلاده ، وفي ضيافة أولاده . يتقل من بلد إلى بلد ، ومن ولد إلى ولد . وكلهم يضجر منه ، ويعرض عنه . حتى حصل عتا ولده غياث الدين كينخسرو (٢) — صاحب برغلُو — فقواه وآزره ، وضافرموظاهره . وجمع وحشد له ، وأخذله وما خذله . وجاء به إلى قونية فدخلها . وحل به عطلها .

وخرج ليأخذ أفسرا فتعلرت ، وتمنعت عليه وتعسرت . واسترغب الأوجية (٣) ، وجمع العسكرية . فمرض فجاء به ، وقد توفي ، إلى قونية في حفة ، ونزل يمشي قدامها ويظهر أنه من المرض الثقيل في حفة . حتى دخل المدينة وقلمتها ، واجتازها واحتاز مملكتها . واستدعى الأعيان فاستحلفهم ، وامتالمهم

---

(١) أفسرا : أو أفسرا ، إحدى مدن بلاد الروم (آسيا الصغرى) .

(٢) غياث الدين كينخسرو : ابن عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان ابن قتلش بن أرسلان السلجوق ، قوى أباه على أخيه ملكشاه وحشد له وملك قونيه ، ثم سار إلى أفسرا ، وملك بعد موت ملكشاه ، ثم قوى عليه أخوه ركن الدين سليمان حتى مات سنة ٦٠٠ هـ ، وملك بعده ولده قليج ، فسار إليه كينخسرو ودخل قونية سنة ٦٠٠ هـ وظل صاحب الكلمة حتى قتل سنة ٦٠٧ هـ وخلفه ابنه كيكائوس ( تاريخ أبو الفداء ج ٣ : ١١٣ ط . المطبعة الحسينية ١٣٢٥ . )

(٣) يقصد تركان الأوج وقد سبق التصريف .

وتألفهم . ثم أظهر لهم وفاة أبيه ، وأنه وارث ملكه ومتوليّه ، وقوى على قطب الدين ملكشاه أخيه .

وتوفى في هذه السنة القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن القراش . كان من أهل الفضل ، والرياسة والنبل . وهو قاضي . العسكري الحاكم المحكم ، والكريم المكرم . والسلطان يعول عليه في المهام ، وفي الأمور العظام . ويؤمله للرسائل وأخذ الموائيق والعهود ، وتولى الولايات والعقود . ولما أخذ شهرزُور سلمها إليه ، وعول فيها عليه . وما برح بها حتى أنعم بها على صاحب إردل — مظفر الدين ، فعاد القاضي شمس الدين . فأرسله السلطان إلى قليج أرسلان وأولاده ، ليصلح بينهم ويعيد أمرهم إلى سداده . فتردد بينهم سنة ، ولم تزل مساعيه مستنجة مستحسنة . وعاد ووصل إلى ملطية ، وقد استكمل من عمره لله العظيمة . وتوفى بها في شهر ربيع الآخر من السنة ، وانتقل إلى الله بأعماله الحسنة .

ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة . والسلطان مقم بدمشق في داره ، وممالك الآفاق في انتظاره ، والأيام مشرقة بمطالع أنواره ، والليالي مرقبة صباحها لإسفاره . ورسل الأمصار مجتمعون على بابه ، منتظرون لجوابه ، والوافدون قاطفون جني جنابه . والضيوف في فيوض إنعامه عائمون ، وبفروض حقوقه قائمون . والفقراء في رياض صدقاته راتعون ، وفي كلاً كلامته راعون وادعون . ودار العدل بالفضل دارة ، وأسرار المني بالمنتاح سارة .

والسلطان يجلس في كل يوم وليلة لإسداء الجود ، وإبداء السعود . وبحث المكارم ، وكشف المظالم ، وتنفيذ المرامم ، وإمضاء الزامات ، وتشديد الدعائم ، وتقدير العظام . والاهتمام بمصالح الإسلام ، ومناجحة الأنام . والاعتماد للمسلمين بما يتم في بلادهم من الخطوب ، ويمن من الكروب .

ولمجالسة العلماء ، ومساجلة الفضلاء ، وموالة الأولياء ، ومصافاة الأصفياء . وإعلاء (١) الملهوف ، وإسداء المعروف . ومل ملازمة البلد ،

---

(١) أعداء : فله أعلى ، وأعلى فلانا على فلان ، نصره وأمانته وقراءه والمنى هنا بمعنى

إحسانة ونصرة وتقوية الملهوف .

وخرج عن حكم الجلد . وبرز إلى الصيد شرق دمشق بزاد خمسة عشر يوما ، وأوسع من لم يوافقه على الخروج لوما . واستصحب معه أخاه العادل وأبعدوا في البرية ، وظهروا عن ضمير ( ضُمير ) إلى الجهة الشرقية . وطابت له القرص ، ووافق مراده القنص .

ثم عاد يوم الإثنين حادى عشر صفر ، ووجه بشره قد سفر ، ووافق ذلك عود الحاج الشامى فخرج للتلقى ، وسعاداته في الترقى ولما لقي الحاج استعبرت عيناه ، كيف فاته من الحج ما تمناه . وسألهم عن أحوال مكة وأميرها وأهلها ، وخصبها ومحلها ، وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها ، وعن المجاورين والفقراء ورواتبها وإداراتها ، وسر سلامة الحاج ، ووضوح ذلك المنهاج . ووصل من اليمن ولد أخيه سيف الإسلام ، فتلقاه بالإكرام ، وأنزله في كنف الاهتمام .

## ذكر وفاة السلطان رحمه الله بدمشق

جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلس عادته ، وبجلى سعادته . ونحن عنده في أتم اغتباط ، وأتم نشاط . حتى مضى من الليل ثلثه ، وهو يحادثنا ونحن نخدشه . ثم صلى به وبنا إمامه ، وحان قيامه . وانفصلنا بإحسانه مغتبطين ، وبامتنانه مرتبطين . وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في الإيوان ، ننتظر خروجه لوضع الخوان . فخرج بعض الخدام ، وأمر الملك الأفضل أن يجلس موضعه على الطعام . فجاء وتصدر وترجع في دسسته ، وجلس بسميته وسمته . وتطيرنا من تلك الحال ، وتقللنا بحمد ذلك القال .

ودخلنا إليه ليلة الأحد للعيادة ، ومرضه في الزيادة . وتوفى بكرة الأربعاء السابع والعشرين ؛ ونقله الله في دسسته العالى إلى أعلى عليين . ومات بموته رجاء الرجال ، وأظلم بغروب شمس فضاء الأفضال . وغاضت الأيادي ، وقاضت الأعادي . وانقطعت الأرزاق ، وادهمت الآفاق . وخاب الراجون ، وغاب اللاجون . وخاف الآمن ، وخاب الآمل ، وقنط السائل ، وشحط النائل . وطردت الضيوف ، ونكر المعروف .

ودفن بالقلعة في داره ، وفجع الزمان بأنواره . وعلمت الأيام صباحها مال نجاحها ، ودفن معه الكرم ، وغلب بعد وجوده وجوده العدم والعدم .

وبقيت تلك الأيام لا أفرق بين اللجى والضجى ، ولا أجد قلبى من سقم الهم وسكره صبح ولا صبحا . وحالت حالى ، وزال إدلالى وزاد بلبلى . وبطل حتى ، واتسع خرقى . وتنازل جاهى ، وتنازق أشباهى ، وأعضلت أدواء اللواهى . وبقيت المعارف متكررة ، والمطالع مكفهرة . والعيون شاخصة ، والغللال قاصمة ، والأيدى يابسة ، والوجوه عابسة ، وعادت أبكار خواطرى عانسة ، ونجوم قرائحى وشواردها الآنسة خانسة كائسة .

وبقى باب كل مرئى مرئجا ، ومنهج كل معروف منهجا . وظنّ الفنى

عنّى ، وأخلف فى ضمنّ الأخلاف بى ظنى . حتى تولى الملك الأفضل  
بدمشق مقام أبيه ، وقام بالأمر بعزم تأنيه ، وحزم تأنيه ، وعز تأنيه .  
فعرف افتقاره إلى معرفتى وفقرى ، وإلى عطل الملك ومخله من غزارة حلب .  
درى ، ونضارة حلى درى . فكبت له ، وحليت من الملك عطله . ووشيت  
الكب ووشعتها ، وجليت الرتب ووسعتها . وهززت البراعة ، وأغزرت  
البراعة وهجرت الجماعة ، ولزمت القناعة .

## ذكر الملوك من أولاد السلطان وخويه بعده

خلف السلطان صلاح الدين - رحمه الله - سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة ، وأبني له مآثر أثرية ، ومحاسن كثيرة ، . ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما ، فإنه كان يلخراج ما يدخل من الأموال في المكرمات والفرامات مخرما . وكان يجود بالمال قبل الحصول ، ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الرصول : فإذا عرف بوصول حمل وقع عليه بأضعافه ، وخمس الآح من ذوى الغناء في الجهاد بالآله . ولا يجتبه أحدا بالرد إذا سأله ، بل يلطف له كأنه استمهله . فإنه يقول : « ما عندنا شيء الساعة » - ومفهومه : أنه يعطى وإن كان يبطل ، وأنه يصيبه بالنوال ولا يخطئ .

وكان ولي عهده بالشم - الملك الأفضل نور الدين على ، وأنه كاسمه سام على ، ونور فضلا كسمته جلي ، وهو الذى حضر وفاته ، وفاز بملكه فما يقال حضر وفاته . وقام بسنة الغزاء، وفرض الاقتداء بأبيه في إيلاء لآلاء ، وإدناء الأوامر . وخلع على الأماثل والأمراء ، والأفاضل والعلماء . وكان لباب رسل ووفود وملوك ، ورجال لهم في مسالك الرجاء سلوك . فخابوا رغابوا ، وذهبوا وبنا آبوا .

## ذكر من تولى ممالكه بعده من أهله

تولى ولده العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان مصر وجميع أعمالها وأبقاها على اعتدالها ، ونقاها من شوائب اختلالها واعتلالها . وأحيا سنن الجود والبأس ، وثبت القواعد من حسن السياسة على الأساس . وأطلق كل ما كان يؤخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاة ، وضاعف ما كان يطلق برسم العفاة . وجاد وأجاد ، وأبلى الكرم وأعاد . وبسط وقبض ، وأبرم ونقض . وحل وعقد ، وبر وافقد . ووضع ورفع ، ومنع ومنع ، وأبصر وسمع ، وضر ونفع ، وقطع وأقطع ، وأصل وفرع . ووعد وأنجز ، وأوعز وبغى من أعوز ، وبرز وأبرز ، وجاهد وجهاز . وعرض الكتاب ، وفرض المواهب .

وأجرى الصلقات ، وتصدق بالخرابات . وأدر وأدار ، وأجاز وأجار . وأغنى وأسعد ، وأدنى وأبعد . وقدم أمر بيت الله المقدس ، واعتمد في اعتماد الأشوس (١) الأسوس . وعجل له بعشرة آلاف دينار مصرية ، لتصرف في وجوه ضرورية . ثم أمده بالحمى ، وأفاض عليه من الفضل . وقرر واليه عز الدين جرديك على ولايته ، وقوى يده برعايته . ووالى حمل الغلات من مصر إلى القدس ، وأبدل وحشته بوقاة السلطان من وفاته بالأنس . وجلس في دار العدل ففصل ووصل ، وأحسن وعدل . وقضى وحكم ، وأمضى وأحكم .

واحضر نواب ديوانه في إيوانه ، واستعرض منهم قوانين سلطانه . واستقرى الضياع والإقطاع ، وعمم الاصطفاء والاصطناع . وحل إقطاع من أقام بالشام ، وألزم جند مصر بالخلمة والمقام . وما أبقى إلا ما في يدي من الضياع ، وصان حقوق من الضياع . وأمر بتخليده ، وأجد جدي بتجديده . فجاءني كتابه الكريم بكل كرم مكتوب ، ومحبوب به من الرغد محبوب .

---

(١) الأشوس : من كان شديد الجريئة في القتال .



ورعى في عهد الوالد ، وأضاف الطارف عندي من العرف إلى الثالث .  
هذا وأنا غائب ، وبرأى رائب ، ولسواه كاتب ونايب . وما أحوجني في  
النوال إلى السؤال ، وأغنائى استرساله في إغنائى عن الارسال . ولم تقتصر  
مقاصدى ووسائلى إلى تسيير القصائد والرسائل ، وما أغرب بذكر فواضله  
للحلول بدار الأفاضل .

ثم أشفق من غدر الفرنج في فسخ الهدنة ، فأتى من تجهيز العساكر إلى  
تلييت المقدس بكل ما في المكتنة . ثم سمع بحركة المواصلة ومن يابعمهم ، وتابعهم  
وشايهم . قد خرجوا في أيمنهم حائنين ولحقه أيمنهم فاكين . فخيم ببركة  
الجب (١) ، واستشار أمراءه — أهل الرأى واللب . وجهاز جيشا جائشا ،  
وبعثا لئثار الدولة ناعشا ؛ في كل مقدم مقدم ، وهمام همام ، وضيقهم  
ضرغام ، وقرم قمقام . فوصلوا إلى دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم  
وسلمهم ، وهز منهم أعطاف الاستكانة له بعد هزمهم . فرأى أن الحمد  
أعود ، والعود أحمد .

وسأق ذكر ذلك في مكانه ، عند ذكر الملك العادل ومارفع الله من شأنه .

---

(١) بركة الجب : ماء في ديار بني جب ، وهي من قرى حلب (أياقوت ج ٥ : ١٠٠ -

١٠١ ط . ب) .

## ذكر دمشق وما يحرى معها ومن تولاهما

وتولى الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن على - ولد السلطان - دمشق والساحل وما يحرى مع ذلك من البلاد . ونفذت في البلاد أوامره ، ونفذت في الرجال ذخائره . ورتب الأمور أجمل ترتيب ، وهذب الشئون أكل تهذيب . وجلا السرير السلطاني بنوره ، وأسفر صباح الإقبال بإقبال سفوره . وهدى وهداً ، وملأ بالبشر المتبلج والنشر المتأرجح الملاء . وهذب وأذهب ، ورغب وأرغب . ورتب وربت ، وأصلى وأصلت . وأثر وأرث ، ولمّ الثمت . وأبهى وأبهج ، وأجد المنهج المشهج ، ورجح ونجح ، ومنّ ومنح . وأرسي وأرسخ ، وبذّ وبذخ . وزوعد وأوعد ، وجدد الجدد . وأذاع بحميته سر حمايته وأعاذ ، ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ . وأمر وأمرّ ، ونضر ونظر ، وعز وأعز ، وحاز وحز . وساس وراس ، وملك لباس والناس . وأشاع البر وأعاش ، وأشجع الخياص وروى العطاش . واستخلص ذوى الاختصاص ، واختص أهل الإخلاص ، ونهض واستنهض وعرض واستعرض . وربط عزمه الرباط ، وأحاط علمه وحاط . وحفظ أولى الحفاظ ، ولاحظ العرف وعرف أنه لاحظ لغيره اللاحظ . وصنع واصطنع ، وأبدى وأبدع . ومد الظل وأسبغ ، وسوى الفضل وسوغ . وأهمى العوارف ، وأهمى الرواعف . وحقق الحقوق ، ورتق الفتوق . وضم الملك ، ونظم السلك .

وجلس في دار العدل ، وأتى بالحكم الفصل . وحزم وجزم ، وعزم والترم . وزاد وزان ، وأغاث وأعان . وأبر أبواب الهوى ، وأمر من أرباب التقوى القوى . وحسى التابه ، ومحا المكاره . وفاض بغزارة العطايا ، واستفاض بطهارة السجايا . وآوى إليه إخوته ، وضم جماعته . وجهز أخاه الملك الظاهر مظفر الدين خضرا ، وأصبحه عسكرياً مجراً . وأنهضه لإنجاد عمه الملك العادل ، فأثار في فضاء الفضائل ، وسار يحضله إلى

المحففل الحافل . فالترم الشروع ، وهزم الجموع . وقارع القروم ،  
وكان المازم والمدو المهزوم .

وكانت حمص والمناظر<sup>(١)</sup> والرحبة وبعلبك وما يجرى معها في  
المملكة الأفضلية داخلة ، وأمداد طاعات الولاة والأولياء بها متواصلة .  
وصاحب حمص والرحبة - الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد ابن  
شيركوه ابن ابن عم السلطان ، وهو أثير الشأن ، أثيل المكان . فوصل إلى  
دمشق مطيما ، ولسر صدقه ونشر صداقته مديعا مشيعا ، فأحلى له الملك  
الأفضل جنى شهيا ، وأحله جنابا وسيعا . وعقد له حبا الحب ، وحياه  
بكل ما سفر عن سفور مودة القلب ، ووفور مواد القرب .

وكذلك وصل صاحب بعلبك الملك الأبعد مجد الدين بهرامشاه ابن  
فرغشاه بن شاهنشاه بن أيوب طائما ، وللأمر الأفضلي تابعا . فأدناه وأجناه ،  
وأحبه وحياه ، وأسناه وأسماه ، وآواه وآساه . فتأكلت بينهم القرابة  
المتشعبة ، وتشبكت اللحمة المتشعبة ، وتمهدت الأصرة المترجة ، وفتحت  
أبواب الألفة المرتجة . وتوافوا على التوافق ، وتصادقوا على التصادق .  
وتعاضدوا على الأخذ بالتساعد ، وتعاضدوا على ترك التعاعد .

---

(١) للمناظر : موضع في البرية الشامية قرب عرض وقرب هيت ( يقوت ج ١٨ : ٢٠٢ ) .

## ذكر حلب وما يجري معها

وتولى حلب وأعمالها، وحصونها ومعقلها ؛ وكراثم البلاد وعقائلها ؛  
الملك الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي . وهو برجachte وسماحته للطود  
والجود الموازن الموازي . وتلك مملكة أقطارها واسعة ، وأنصارها شاسعة .  
فحواها وحماها ، وبماء العدل رواها وقواها ، وأعز رجال الرجاء ،  
وهز أعطاف العطاء . ورحب لورآده ورواده رحابه ، وسحب بحيا الأحياء  
سحابه . وأبرت مبراته ، وأثرت مآثراته ، وسبح وصبح غيثه وغياثه ،  
ورعى رعيته فشبت ورويت ظماؤه وغرائه (١) . وزخرت أمواجه ،  
وزهرت بثواقب المناقب أبراجه . وصابت سماء سماحه ، وطابت  
صبا صباحه ؛

وعزت بسيرته كتب التواريخ ، وعزى قلمه وسيفه إلى عطار د والمرىخ .  
وسعدت وفوده ، ووفدت سعوده . وأثر من أمره النفاذ ، وكثر بظله  
اللياذ . وأدى الأبرار ، وأقصى الأشرار . وخص الأعرزة الخواص بالإعزاز  
وأوعز بما يعود به إلى نصارة النفي العمود الذي ذوى لذوى الإعواز .  
وتهدد لسلطانه الأساس ، واطرد لإحسانه القياس . ووجد من عثر من  
أبد يده الانتعاش ، وعشا إلى جلواه المجتدى وعاش . وفرض القرص ،  
ورفض الرخص . وأدى الفروض ، وقضى التروض . واستدنى من  
المتاجح شاحطها (٢) ، واستلرك من المصالح فارطها . وملاك خلق النحفظ ،  
وسلك طرق التيقظ .

وفرق وجمع ، وخرق ورقع . وغلب وبلغ ، ودمر أهل الكفر  
والنفاق ودمغ . وشنى واشتنى ، وكفى واكتفى ، وراع وراق ، وفات  
وفاق . وطلب وأدرك ، وأخذ وترك . وفاض بالفضل ، وراض بالعدل .

(١) غرائه : جوده .

(٢) شاحطها : يميها .

وقدم الخزم ، وصمم الخزم . وأحيا السنن ، وأولى المنن . ولها بالجد عن  
اللهو ، وانتهى بالعدو إلى اليأس المر ؛ وبأولى إلى النائل الخلو . وأمر  
ونهى ، وأوهم معاهد ذوى المكابد وأوهم . ووفى للوفى ، وصفا للصقى .  
وأقر البيرة وأعمالها ، وما يجرى معها على أئنيه الملك الزاهر بجير الدين  
داود ، ولم يزل مقبولا أمره غير مردود . ودخل فى أمره صاحب حماه ،  
وأعزه وحماه – وهو ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين . واتسع  
الملك ، واتسق السلك . وكاتب الجوانب وراسل ، وفارق من رأى وواصل ،  
وطال باعه ، وأطاع أشياعه . وهمت همته بالزيادة ، وسمت لسمت  
السيادة .

## ذكر الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب أخى السلطان وما جرى له بعد وفاة أخيه

كان الملك العادل مع السلطان فى الصيد قبل وفاته ، وكان موافقه ومرافقه فى مقتنصاته . فلما عاد السلطان إلى دمشق ودعه ومضى إلى حصنه بالكرك للاستراحة ، غير مطلع على سر الغيب فى الأقضية المتاحة . فتنبه النائب ، ولم يحضر وقت احتضاره الأخ الغائب . فلما عرف وصل إلى دمشق بعد أيام ، ولم يقم لتنفيذ كرب الحادث ولم يحدث نفسه بمقام ، ولم يَرم ثلاثا ، ولم يَرم لبائا . ورحل طالبا لبلاده بالجزيرة ، حلوا عليها من أهل الجزيرة .

وكان السلطان جعل له كل ما فى شرق الفرات من البلاد والولايات . ومضى كما ومضى بارق ، وتخوف أن يطرق بلده طارق . فلما وصل إلى الفرات ، وجد مما خافه دلائل الفرات . فأقام بقلعة جعبر ، ولم يحشد ولم يستحضر العسكر ؛ رغبة فى السلم والسلامة ، وعجبة للدعة المستدامة . وسير إلى الولايات الولاة ، ووصى برعاياه الرعاة .

واستتاب فى ميفارقين وحائى وسميساط وحران والرها ، وشحنها بالشحن واستقام أمرها . وحسب أن الأعداء إذا سمعوا بسمعه ، جمعوا لجمعه ، وتلافعوا لدفعه . وسكن وسكت ، وتبين وتثبت . وعلم العدا أنه فى خيف فحفوا ، وعرضوا وصفوا . وما كفاهم ما هم فيه فهموا وما كفوا . وسافوا تراب الطمع وأسقوا ، فجرت حركتهم هلكتهم ، وأذهب الله عند عجبتهم بركتهم .

## ذكر أهل الشمامة وما قدر الله لجمعهم من الشمامة

كان الأمير بكتمر صاحب خلطاء ، قد هجر الاحتياط ، ووصل النشاط . وضرب البشائر لرزء صلاح الدين ، وظهر في النوب الخمس بشعار السلاطين . وتلقب بالملك الناصر ، وحدث أمه بجر العساكر . وراسل صاحب الموصل ومنجار ، وطير إليهم كتب الاستنفار . وضم إليه من ماردین ماردین . وطار وطاش ، وارتاش وانتاش . وخطط من خلطاء الأوشاب والأوباش .

فينا هو في أتم غرور ، وأنم سرور ، وأحب حبور ، وأشب صفور ، وأرقد عين ، وأركد عين ، وأغفل قلب ، وأذهل لب ، وأطول أمل في أقصر أمد ، وأكثر مدد في أقل مدد ، وقد خرج من الحمام ، ولم يدرك أنه داخل إلى مغتسل الحمام ، استشهد على أيدي الإسماعيلية . ولعل الله غفرله ونقله بشهادته إلى جنته العلية . وذلك بخلائط يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وكان أيامه كانت أحلاما رثيت في السنة .

وأول بادىء بالخروج متولى ماردین — فإنه مرد ، وحشد المدد ، ونزل على حصن الموزر بالعزم المزور والجد المزور . وهذا الحصن كان السلطان اقتطعه عن أعمال ماردین حين كان أهله عليه ماردین . فلما صالحهم استبقاه واستنائه ، وأضافه إلى نائبه بالرها وأعطاه . ثم تحرك عز الدين أتاك مسعود بن مودود بن زنكى — صاحب الموصل ، وخرج في الجحفل الخليل وأضافه أخوه عماد الدين زنكى بنصبيين ، وخرجوا لنداء اللقاء مجييين .

وقدموا الرسل إلى الملك العادل سيف الدين ، وقالوا : « نخرج من بلادنا ، وتدخل في مرادنا » فكتب إلى بنى أخيه يستنجدهم ويستنصرهم ، ويستنصرهم ويستنصرهم . فأجلبوه بالأمداد ، وأملوه بالأيجاد . فجاءه من

كل فج ووافوه فوجا بعد فوج . وكان إيجاد حلب أقرب ، وللدّر  
الإسعاف أحلب .

ولما عرف الملك الأفضل اغتم واهتم ، وجمع عسكره وضم ، ونخص  
وعم . وكتب إلى صاحبي حمص وبلبك ، واستدعى عسكرهما الترك .  
فسار أخوه الملك الظاهر مظفر الدين خضر ، وروض عسكره بورق الحديد  
الأخضر تضرير ، والملك العادل لقلومه منتظر . وأما المواصله فإنهم ما أمرعوا  
بل أبطأوا ، وما أصابوا بل أخطأوا . وسمعوا أن الأمداد العادلية الوافية  
متوافية ، وأن فتته كافة مكافية . فتجنّبوا وتجنّبوا ، وكانوا قد وصلوا  
إلى رأس عين فأقاموا وسكنوا .

والملك العادل غم بظاهر حران في جموعه وجنوده ، وأعلامه وبنوده ،  
ومساعديه وسعوده . وعزمه على الانتقام مصمم ، وقلبه بحب الظفر متم .  
وجده غالب ، وحده سالب ، وجده لظياء النصر حالب ، ولطيب الذكر  
جالب . وسيف سيف الدين باتر واتر ، ولحظ الشمس من غبار خيله  
الساتر فاتر .

وتقارب العسكران حتى أن الطلائع تتواجه وتتجاهه ، ورجال اليزك  
تتناجى وتتناجه . وكان من قضاء الله المحتوم ؛ وسر نذره المكتوم ؛  
تفليل غروب القوم وتقليلهم ، وحاتر تأملهم وخار تأمليلهم ، وجفل رأيلهم (١)  
ورتع رعييلهم . وذلك بما قدره الله من مرض أتابك صاحب الموصل ،  
ولم يطق الإقامة بالمنزل . وأشنى على الخطر ، وأشرف صفو حياته على  
الكدر . فعاد إلى الموصل في عفة ، ورجا أن يتبدل ما ألم به من ثقل ألم بحنه .

وقهر عماد الدين راجعا ، ولن وثق به من أشياعه فاجعا . وتضرع  
صاحب ماردين وتلزع ، وتشفع بالأمراء والأكابر وخضع . حتى وقع  
عنه الرضا ، وصفح له عما مضى . وأجرى على القاعدة السلطانية معه ،

---

(١) وألم : الرأل ، ولد التلم .



وكان قد ضاق به الفضاء الرحب لولا العفو عنه وما وسعه . ورأى عماد الدين أن القوم خانوا واستكانوا ، وما رعوا له العهد كما كانوا . فاضطر إلى الانكفاء ، وكف عن اللقاء ، فخلا الجوى ، وجلا الضوى ، وعلا النور .

وأقى الملك العادل الخبر بوصول ابن أخيه الملك الظافر إلى القرات ، في عسكر دمشق أهل الثبات . فكاتبه بمنازلة سروج (١) وهى من أعمال عماد الدين ، وأمدّه بابن تقي الدين ، وابن المقدم عز الدين — ليث العرين . فزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الأحد تاسعه ، واستولوا على البلد وأماكنه ومواضعه .

ورحل الملك العادل متصفا رجب إلى الرقة وتسلمها في العشرين منه ، وكانت اليد البيضاء فيها للملك الظافر على ما ذكر عنه . ثم رحل وتملك بلد الخابور (٢) جميعه ، وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه . وجاء إلى نصيبين ونزل بظاهرها ، وشرع في ضم ذخائرها . فجاءت الرسل العمادية في طلب الصلح ، وأسفر ليل الحرب بسنى السلم عن الصبح . ورحل ونزل (دارا) وكان صاحبه دار مع القوم وما دارى . فبُسط عنره ، وقبض ذعره ، وأتاه خبر وفاة صاحب الموصل وتسليم بلده من بعده ؛ إلى نور الدين أرسلان شاه ولده . وجرى بينه وبينهم صلح ، وكان له في كل سفرة تجارة وربح .

وكتب إلينا أن أهل خلاط كاتبوه ، وعلى تأخره عنهم عاتبوه . وأن كل صاحب حصن قد ضبط موضعه ، وانتظر مطلعه . فإنه تولاهم

---

(١) سروج : بلدة قرية من حران ، وهى من ديار مصر بشمال الجزيرة ( ياقوت ج ١٠ :

٢١٦-٢١٧ ط . ب . ) .

(٢) الخابور : ولاية واسعة وبلدان كثيرة ، غلب عليها اسم النهر الذى يمرى بها بين

وأس عين والقرات ( ياقوت ج ٧ : ٣٣٤-٣٣٥ ط . ب . ) .

بعد بكنمر المعروف بالهزار دينارى (١) . فلم يرضوا بإيأاته لخلاط ؛ ولم يروه كفوا لتلك الهدى . ثم أشرف العادل على خلاط ، فوجد أهلها قد كملوا الاحتياط . ورأى أن البرد يشتد ، وأمد الحصر يمتد . فعاد إلى حران والرها ، وأعرض عن مخالطة خلاط ؛ وتأخر إلى الربيع أمرها .

---

(١) الهزار دينارى : هو بدر الدين آقستغر ، أمه ملوك قد جليه تاجر أرمى فاشتراه . « شاعر من سكان بن ابراهيم » ذلك خلاط وجعله ساقه . ثم لما جاء سيف الدين بكنمر بن عيдах سلطانا على خلاط أبقاءه ، وجعله خشدائه ، وكان بكنمر قد زوجه ابنة فطمع فى الملك . ووضع على بكنمر من قله سنة ٥٨٩ هـ ، توفي سنة ٥٩٤ هـ (تأريخ أبو الفداء ج ٣ : ٨٨ و ٩٤ ط . المطبعة الحسينية ، ١٣٢ هـ) .

## فصل فى المعنى

أنشأته إلى الديوان العزيز فى آخر رجب عن الملك الأفضل

لا شك فى إحاطة العلم الأشرف بحال الدين حالوا عن الانصاف  
بالإنصاف ، ومردوا ومروا أخلاف الخلف ، وعادوا عن خلق التلافى  
إلى الإنلاف ، وبددوا بالانقظام فى سلك الغدر شمل الانتلاف . ونكثوا  
بعد إيمانهم ، حتى قيل كفروا بعد إيمانهم . وباموا فى بغيتهم بغيتهم ،  
وأبدوا قوتهم فى هيتهم . وزعموا أنهم إذا عزموا فالوا فرصة ، ووجلوا  
إذا جدوا فى العزيمة رخصة . وجاءوا إلى البلاد التى للخدم من إنعام أمير  
المؤمنين - صلوات الله عليه - ليتملكوها ، واستسهلوا سبل الضلالة بعد  
الهدى فسلكوها . واغترروا باعتزازهم واعتزوا باغترارهم ، وأصيبوا إذ  
لم يصيبوا ببصائرهم وأبصارهم ، ودخلوا فى دائرة السوء وخرجوا من  
ديارهم .

واجتمع صاحب الموصل وأخوه صاحب سنجار وصاحب ماردين  
وحسبوا وحشدوا ، وما الظن بشر الحاسدين الحاشدين ! ووعدهم  
الشيطان وأحزابه فصدقوا كذب الواعدين . وكان العم الملك العادل  
سيف الدين قد توجه إلى تلك البلاد ، لإبقاء أمورها على السداد ، وإثقا  
منهم بالمواثيق ، محتفلا بالوفاق الحافل الأفائق . وهو فى خواصه وذوى  
استخلاصه ، لم ينتظم عسكريه ، ولم ينضم إليه معشره ، ولم يصف للفع  
الشوائب وردع التوائب مورده ومصلده .

فلما عُرِف نكرهم ، وعلم فى مكرهم مكرهم ، توافت إليه الجموع ،  
وحنت على قلبه الضلوع ، وحنت إلى أصله القروع . وتوافد إليه بنو أخيه  
فى الجنود ، وتوافوا نجدة ساعدت بالسعود . وأمد الأخ الملك الظاهر من

حلب بالأمداد المتظاهرة ، والأنصار المتناصرة . وندب الخادم أخاه الظافر خضرا وأنهضه ، وسار معه عسكره الذى بلمشق عرضه .

وسمع الأخ الملك العزيز خبر القوم ؛ وأنهم من حول ورد الردى على الحوم ؛ فأخرج المضارب وأبرزها ، وأنفق فى العساكر وجهزها ، وذكر عدة النجدة قائمجزها ، واحتبل فرصة الفريضة وانتهزها ، وأقبل على ذخيرة الفضيلة فلهجزها . وتمحركت السواكن ، وثارت الكوامن . وهاجت الأقطار وماجت البحار ، وشابت الأكدار ، وأصابت الأقدار . وأظهر الله قبل الاجتماع معجز آياته فى أهل الشمامسة ، وخص جمعهم بالشتات ، وحبلهم بالبتات ، وحص من تلك الثبات أجنحة الثبات . وشغل كلا منهم بوباله وباله ، وحطه من يفاع اعتلاله إلى حضيض اعتلاله .

وأعادهم على أعقابهم ناكسين ، وبعقبهم ناكسين ، وفى آرائهم وآراهم ناقسين . وأظهر الله فى كل واحد من أعداد الأعداء آية للعادة خارقة ، وقدرة لإقدار الأولياء للسعادة خالقة . وقتلهم وما قاتلوا ، وقابلهم وما قابلوا . وغادر الغادرين عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتفكرين .

وعلم صاحب ماردین أنه أخطأ وما أصاب ، فأبان عن ندمه وأناب . وتعرض للعفو عنه وتضرع ، وتشفع بالأمراء فى أمره وتلزع . فأبدت له صفحة الصفح ، وعادت له بعد عادية الخسر عادة الربح ، وأجرى على القاعدة المستقرة له فى عهد الوالد رحمة الله عليه ، فرضوا بما فرضوه من الطاعة وثابوا إليه .

وكان الأخ الملك الظافر خضر قد وصل إلى القرات ، حين حكم الله لجموع أولئك بالشتات . فعبّر إلى سروج يوم السبت ثامن رجب ، وقلب العدو من الفتح الذى وجب وجب . وفتحها يوم الأحد ضحوة ، وجاءت هذه المنحة من الله حظوة . ورحل الملك العادل بالعساكر إلى الرقة ، لاسترجاع ودينتها المستحقة .

وهذه بركات استمرار العيد على طاعة المواقف المقدسة ، ويُسَمَّن  
الائتمار بأوامرها ، وسفور الوجوه لمواجهة سوافرها . وما السعادة إلا لمن  
شملته سعودها ، وما الجلد إلا لمن وصله جودها ، وما الكرامة إلا لمن  
كرمت عنده بالوفاء عهدوها ، وما العصمة إلا لمن لزمته في حمده النعماء  
عقودها .

## ذكر سيف الإسلام باليمن

واقليم اليمن مستقر للملك ظهر الدين سيف الإسلام طُغْتَكِين بن أيوب أخى السلطان . وهو هناك سلطان عظيم الشأن ، مستول على جميع البلدان ، مخصص في مكانه بالإمكان . وكان قد وصل ولده مع الحاج قبل وفاة السلطان بأيام ، فلم يظفر بمرام . ووصل كتابه إلى أخيه ، وهو غير عالم بتوفيه . فلما استقر الملك الأفضل على سرير أبيه كاتب عمه سيف الإسلام بغمه ، وهم في كتابه بما كتب الله من همه . والكتاب بانشأى عن الملك الأفضل يشتمل على شرح ما ألم ، وخص به الرزء وعم .

وهذا كتاب يشتمل على سيرته وكتبته جميعه وهو : « صدرت هذه المكتابة معربة عن النبأ العظيم ، والخطب الحسيم ، والرزء العميم ، والحادث الأليم ، والكارث المقعد المقيم . والنائب الباغت ، والمصائب الساحت (١) . والفجيعة الفاجية ، والنكبة الناكبة ، والطارقة الطارية ، والملمة المؤلة والبلية البارية . والواقعة الرائعة ، والصلبة الصاعدة ، والحلمة (٢) اللافحة ، والروعة الفادحة . والغمة الى غامت بها الأيام ، وغم لها الأنام ، واعتل منها الإسلام ، واختل النظام . فقد علمت المطالع ضياءها ، والشارع صفاءها ، والثغور سدادة ، والأمور سدادة ، والعيون قرنها والثغور قرارها ، والقلوب ثباتها ، والجفون غرارها ، والأيدى أيدها ، والوجوه سفورها ، والصلور انشراحها ، والأسرار سرورها .

فقد قتلت الدنيا بهجتها ، وضلت العلياء محجتها . واهتدى الضلال إلى الهدى ، وأقوى نادى الندى . وأقترت مغاى الغنى ، واكفهرت مجالى السنى ، وأمرت مجانى المنى . وخفيت مناهج المناجع ، وعظمت مناهل المائث . وعصيت مذاهب المواهب ، وأظلمت مطالع المطالب ، وارتجت أبواب الفتوح ، ودجت أضواء الوضوح . ودرست معلم المعالى ، وطلمست

(١) الساحت : فله سحت . فيقال سحت الشحم عن اللحم بمعنى قشر .

(٢) الحلمة : صوت التهاب النار .

زواهر الليالى . واضطربت الدهماء ، واضطربت الدهماء . وبطلت مواسم  
الحق ، وابهت مظالم الخلق . وانتطعت مسالك الجهاد ، وتفجعت بمالك  
البلاد . وأخلفت عدات الإعداء على الأعداء ، وانكسفت أنوار آمال الأولياء .

وذلك بما أجراه الله من قضائه المحتوم ، وأظهره من سر قدره المكنوم .  
بمصاب مولانا الملك الناصر - روح الله روحه ، وروض في جنان رضوانه  
وغرفات غفرانه ضريحه . فقد عظم الخطب وجل ، وحل عرا الجلد  
حين حل ، وثلم غرب الصبر وقل . وأجرى غرب الدروع ، وأزكى  
كرب الضلوع . ويت حبل اللاجين ، وشت شمل الراجين .

وأعلمنا أن الدنيا الدنية حبالها رثاث ، وحباؤها غثاث ، وعقودها  
أنكاث ، وسهولها أوعاث ، وقصورها أجداث ، وسرورها غرور  
ومواهبها أحداث . وسكونها قلق ، وأمنها فرق . وصحتها سقم ، وأملها  
آلم ، وغبظتها ندم ، ووجودها عدم . وبقاؤها فناء ، ونعيمها بلاء ، وراحتها  
عناء . ومُلْكُهَا هُلْكُ ، وسرورها هُتْكُ ، وأخذها ترك ، وسلمها حرب  
وصلحها فك . ووفاءها غدر ، ووفاقها مكر ، وعرفها نكر ، ووصلها  
هجر ، وخيرها شر ، ونفعها ضر ، وجبرها كسر . ومتاعها قليل ،  
وباعها في الطاول طويل ، وما لئثارها مقيم ، ولا في ظلها مقيل .  
ولا أرب فيها لأريب ، ولا إلباب فيها للييب .

فإن ظلها قالص ، وفضلها ناقص . وعمرها قصير ، وغنيها فقير .  
وربها جرع ، وزيا خدع . وحليها عطل ، وسعيها زلل . وإجداؤها  
إجذاب ، وإعطاؤها إعطاب . وإصباحها إظلام ، وإرغابها إرغام .  
وسماحتها بخل ، وسجاحتها ختل . وعقدتها مفسوخ ، وعهدتها منسوخ .  
وربها خسار ، وجرحها جبار ، ويسارها إفسار . وخصبها إعمال ،  
وجها عمال . وعمارتها شعث ، وشيمتها (١) عيث وعبث . وتراها تراث ،  
ولا لمسكنها أساس ولا لساكنها أثاث . ولأكيدها في كيدها يد ، ولا لمكرها  
في جد مكرها جدد .

---

(١) عيث : الساد .

والسعيد من استمد في معاشه للمعاد ، واستكثر مدة مقامه في الدنيا  
لسفر الآخرة من الأزواد . ومن نظر إليها بعين القلب ، وعرف أنها دار  
البلاء واليأس ، وتقوى فيها بالتقوى ، وجد في الإعراض عن جدواها  
لنفوذ يوم العرض بالجلوى .

ولقد كان السلطان السعيد - قدس الله روحه - بحقيقتها عارفاً، ولطريقتها  
عارفاً، ولزخرفها عاتفاً، ومن ملكها آتفاً، وعن مالها متعففاً . فاشتغل عن الدنيا  
بالدين، وخصه الله بتأييده في علم اليقين . واقتدى بسنة النبي - صلوات الله  
عليه - فما زاغ بصره وما طغى ، ( ونهَى النفسَ عن الهوى ، فإن الجنة هي  
المأوى (١) ) . ووقف بحياته على إحياء معالم الهدى ، والإعلان بشعار التقى .  
وإعلاء منار الجهاد ، وإشاعة سنن العدل والإحسان في البلاد والعباد .  
وإفاضة سجال الفضل والأفضال ، حتى كفل جوده بفيض الأرزاق ووفى  
بمنجج الآمال :

وأخلص لله عمله ، ولا ملك ملكاً ولا تمول مالا إلا في سبيل الله أنفقه  
وبذله . وكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( من كان لله كان الله  
له ) ، فلا جرم أذن الله له الملوك الأعزّة ، ووهب لأعطاف الدولة  
للتباهي بملكه المزية . وملكه الأقاليم والأمصار ، وأجرى بإقداره الأقدار ،  
فأزال عن مشاريع الشريعة الأكدار . وعطل البدعة بمصر واليمن والشام ،  
وقمع أعداء الإسلام .

ومد الله في عمره حتى بلغ المراد ، وفتح البلاد ، ووفى في حق  
الجهاد ، الجهد والاجتهاد . وقدر على ما أعجز عنه الملوك ، ونهج في نصرة  
الدين نهجاً أعوز من قبله فيه السلوك . وأخرج القرنج عن الساحل وأبادها ،  
وملك عليها ديارها وبلادها . وأوهى على الكفرة معاقدها ، وطال  
بحقه على باطلها .

وأقصى عن المسجد الأقصى مدنسيه ، وأزال عنه أيدي غاصبييه .  
وأصرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الأرجاس ، وأبعد عنها أجناس



الأنجاس . وقهر الكفر وخذله ، ونصر الإيمان وأخذ له ، وأحيا للكرم كل سنة حسنة ٥

واستمرت محاسن أيامه سنة بعد سنة . وتعذلت بعدله الجوانح ، وتذلت بياسه الجوامح . ودانت ودنت له الممالك القاصية ، وأذعنت إذ عنت لحكمه الأمانى العاصية . وملكت القلوب والقبول مهابته وعجته ، وعمت الخواص والعوام عارفته وعاطفته . ونفلت في الشرق والغرب مراسمه ، وقامت بالحمد والشكر مواسمه ، ووفت بأمل الداني والقاصي ، والطائع والعاصي مكارمه .

وأسعدته الله وأمهله ، حتى حقق في ذويه أمله ، وولى في كل إقليم من يعمل لله في العدل والإحسان عمله . ثم توفاه حميد الأثر ، كريم الورد والصدر ، ظافر الرجاء رائج الظفر . صالح العمل ، ناجح الأمل . طاهر الفطرة ، ظاهر النصرة . كاسيا من الفخار ، عاريا من العار . مرتديا بثوب الثواب ، مرتويا من صوب الصواب . مبتهجا بنصرة النعم ، متأرجا بعرف نسيم التسليم .

وما كان أبهج الأيام بأيامه ، والأعصار بمزايته ، والأمصار بمحامسته : والإسلام بسلطانه ، والآفاق بسنى إحسانه . وما كان أسعدنا بجلوده ، وأجندا بسعوده ، وأغنانا بعدله وجوده . فقد فقد الصباح فلا سنى ، ودفن السماح فلا جدى ولا جنى ، وغاض البحر فلا غنى . وهوى (١) الطود فلا ثبات ، وذوى الروض فلا نبات . وهوى الركن فلا سند ، وانتهى البُن فلا جدد . وغلب الكمد فلا جلد ، وعز الزاء فلا عزو ولا قوة ولا عضد .

( إِنَّا قَدِ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٢) ) ، ولأمره تابعون ، ولحكمه طائعون . لاراد لإرادته ، ولا صاد لمشيئته . ولا صادف لمصادف قضائه ، ولا صارف لصرف بلائه . ولقد كادت الأنوار تغرب ، والأنواء تعزب . والمنابع تغور ، والصنائع تبور . والأحوال تحول ، والأهوال تهول : وأضواء المعارف

(١) في ب هو والتصحيح من ل .

(٢) الآية ١٥٦ سورة البقرة .

لا تنفى ، وأفياء العواطف لا تنفى . وزهر السماء لا تشرق ، وأزهار  
الروض لا تتوق . ومعاهد الإسلام تبنى ، وميامن الأيام تنتهى . لولا أن الله  
تدرك الأرقام بألفاظه ، وتلافى الآمال بإسعافه ، وجلل وجه النعمى من  
خلال البوس ، وأهدى البشر بعد العبوس ، وأنزل السكينة عند الزلزال  
على النفوس .

وأجرى الدولة على أحسن العوائد ، وأرشد المقاصد ، وأثبت القواعد .  
من استمرارها على الائتنام ، واستقرارها فى النظام . واستمرارها بأفانيق  
الوفاق ، وإهلال بنورها غيب المحاق ، وطلوع شمسها من الآفاق .  
وارتفاع فروعها فى سماء السور ، وامتداد أصولها فى منابت النور ،  
وافتح أحداقها النواظر عن نور الأبصار ، وافتتاح حدائقها النواضر  
عن نوار الأزهار . حتى اجتمعت الكلمة المتفرقة واتحدت ، وانتظمت  
الألفة المتبددة وتأكدت ، وسكنت القلوب الراجعة وأنست ، وسكنت  
الأكنسة المرجفة وخرست . وأنارت الخواطر المظلمة ، وأفاق الظنون  
الراجعة والأفكار المتقسمة . وزاد الرونى ، وزال الرنى ، وانجلي النفس ،  
ونجلي القلب . واستقامت الأمور ، واستنامت إلى حفظها الثغور .

ووصلت الكعب العزيزية والظاهرية من مصر وحلب ، بكل ما أنجح  
الأرب ، ووصل السبب ، وموى در النصر وحلب . وبكل ما أظهر القوة .  
وقوى الظهر ، وشد الأزر ، وأمر الأمر ، وسر السر ، ونصر الحق وحقق  
النصر . من الموافقة والموافاة ، والموالة القاضية من الجدة المنجدة بالموالة .  
وللتابعة والمشاغبة فى كل أمر يرم ، وكل حكم يحكم ، وكل عزم فيه  
قع العنا يصمم ، وكل عقد فى نصر الهدى يلزم ويتم .

ووصل المولى الملك العادل فتولى أمر المملوك بكل ما وافق لإثارة ،  
وأشاع على عادة الوالد - رحمه الله تعالى - شعاره ، ورفع مناره ، وأخطى  
من كل شاغل باله ، وورث أسراره ، وأراح أفكاره . وما فى الجماعة إلا من  
خطب الجمعية وخطب فى الجمع ، وأعرض عن الهوى للحق التبع .

فالكلمة متحدة وإن كانت الأنفس متعددة ، وما أخلقت هذه الدولة

بل استمرت على تجدد الأيام متجلدة . وإنما أشفقت في حال الصدمة الأولى ، وبلد الرزية الطولى ؛ على بيت الله الملقس ، ومن غدر القرنج بقصدها ، فإن الغدر شيمة لهم في الأنفس . فوقى الله شرهم ، ودفع مكرهم ، وأوهى أمرهم . ولم يزل من قلوبهم الرعب ، ولم يوثروا على الصلح الحرب . بل طلبوا بقاء السلامة بإبقاء السلم ، وخطبوا لإجرامهم في الوفاء بعقد الهدنة على الرسم . وبركات نية المرحوم شملت ، ووصاياه تفلتت وكملت .

وتوجه الملك العادل إلى بلاده الجزرية شرق الفرات ، لإصلاح تلك الولايات ، وإحراس شقائق الماديين بالإرجاف من أهل الشمات ، ليؤذن بهيبة الأسد جمع النقاد بالشتات . وليعيد إلى الأتس شارذ الولى الراشد ، ويرد بالبأس مكاييد الحاسد الحاشد .

والحمد لله الذى أجد الأمن وقد عرت المخافة ، وأنزل الرأفة وقد فجأت الآفة . وأبقى الإسلام بعزه والكفر بذله ، وثبت قواعد الملك الناصرى بجمع شمل أهله ، وأحيا بهم سنى إحسانه وعدله ، وشيمتى أفضاله وفضله . وفى دوام إقبال المجلس السامى دوام إقبالهم ، ونظام أحوالهم ، وسبوغ ظلالهم ، ويلوغ آمالهم .

ذكر ما افترضه الملك الأفضل من خدمة دار الخلافة المعظمة

وانفاذ رسوله بعدة والده مع هدايا وتحف سنايا

لما استقر الملك الأفضل بدمشق في مقام والده ؛ وشفع طارف ملكه بتالده ؛ وأضاف موروث الفضل إلى مكتسبه ؛ وأكرم نفسه بكرم حسبه ؛ بدأ بالأهم الأفاضل ، والأثم الأخص . فقدم إلى الديوان العزيز النبوي نجابين بالكتب ، وأنهى الحال فيما ألم من الخطب . ثم ندب ضياء الدين القاسم بن الشهرزورى في الرسالة ، إلى منزل الرسالة وموقف الخلافة : وأصبحه عدة والده في الغزاة ، أو ان لقاء العداة ، وسيفه ودرعه وحصانه ، وأضاف إلى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العراب ؛ ما استفد وسعه وإمكانه .

فما تهيأ مسير الرسول إلا في أواخر جمادى الآخرة ، حتى حصل كل ما أراد من الهدايا الفاخرة . وحتى كاتب مصر وحلب وأعلم بمسير رسوله ، حتى لا يظن أنه انفرد بسوله . وقصد مداراة إخوته ، وفضل بفضل نخوته . وذلك بعد أن جدد نقش الدينار والدرهم بسمي أمير المؤمنين ، وولى العهد عدة الدين . وأمرني بإنشاء الكتب وتحريرها ، وتقريب المقاصد فيها وتقريرها .

## فصل من الكتاب إلى الديوان العزيز بعد ذكر الدعاء

أصدر العبد هذه الخطة وصلته مشروح بالولاء ، وقلبه معمور بالصفا ، ويده مرفوعة إلى السماء للابتهاال بالدعاء ، ولسانه ناطق بشكر النعماء ، وجنانه ثابت من المهابة والمحبة عن الخوف والرجاء ، وطرفه مغض من الحياء ، ووجهه مقبل نحو قبلة الاستجداء ، وهمته في العبودية فارعة ذروة العلاء . وهو للأرض مقبل ، وللقرض متقبل ، وبالطاعة مائل ، وللإستطاعة باذل .

وللجهد والإخلاص عارض ضارح ، وفجر فخره من الصحة والمناصحة صادق صادع . وهو يمتّ بما قدمه من الموات ، وأسلمه من الخلمات ، وذخره فخر الأوقات لهذه الأوقات ، واتخذ عصمة من الثوابات ، وعوذة من الطارقات ، وعدة عند الملهمات ، وعصمة لدى الخطوب الكارثيات ، ومصرفا لصروف الحادثات ، ومؤلّفا (١) للشمل عند شمول الشتات ، وعروة للإعتصام بها . في أزمن الأزمات ، وسلوة من الأسى وأسوأ بخرح المصيبات .

ولا خفاء بما أخافه ، وفاض له من بحر البرح وضافه ، وأغاض نطافه ، وعاق أوان رجاء جنى النجاح قطافه ، لولا أن الله تداركه بفضله وأولاه أطفاه . فإنه دهمه ما هدمه ، وفجأه ما فجعه ، ويغته من الرزء ما صد عنه العيش وصدعه . ونابه ما رابه ، وجرحه مصابه صابه . ووافاه من وفاة والده رحمه الله ما كدر صفو الحياة ، ومحا عن صفحة صبحه آية الإياه (٢) وأم بالأم الأمل ، وأحال الحللى إلى العطل ، وحلأ عن النهل والعلل . وأذهب بهجة الأيام ، وأشمت الكفر بالإسلام . وسر الشرك منه ماساء التوحيد ، وقرب من إشفاق القلوب وإشفاء الكروب البعيد ، وعطل الجهاد وأراح الحديد .

---

(١) قول مؤلفا والملاكور من ب وهو أنسب للسياق .

(٢) الاياه : الشمس نورها وحسبها .

وشب حقوق العدة على أنها ما شئت إلا لتخدم ، وشام (١) حدود العنة على أنها ما شئت إلا لتعبد . وهذا الحادث أرجف المرجفون بحديثه وأثاروا كومان النار ، وحركوا سواكن الأوتار بتأثيره وتأثيره . وأخرج أهل التفاف رعوسهم من كل نفق ، وعاد ثبات ثباتهم إلى تفاف وقاف . ومن كان مستمسكا من ولاء الدار العزيزة بالعروة الوثقى ، مستلثما من عدد أيامها ومدد إنعامها بالدرع الأقوى الأوفى ، فإنه لا يحتفل بمفول أخلاق أهل الخلاف ، ولا يتحطل طود حجاج الرامى وحصاه الراسخ لعواصف ذوى الإجحاف (٢) .

وقد أحاطت العلوم الشريفة - مجدها الله - بأن الوالد السعيد ، الشديد السنيذ ، المير للشرك المبيد ، لم يزل أيام حياته ، وإلى ساعة وفاته ، مستقيما على جلد الجلد ، مستنيما في صون فريضة الجهاد إلى بذل الجهد . مستنفدا في كل ما يجوز به المراضى الشريفة وسعه ، مستغرا طاقته في الشغل الدينى الذى يهلى بصره وسمعه . فكم قبض يدا بسطتها بالفتنه الفتنه العاديه . وكم فرض سنة أعلت سناها للمجتلين ، وأحلت جناها للمجتدين الدعوة الهادية .

ولكم أحرص دعاة الأدعياء ، وحرس ولايات الأولياء . وكانت بكتابه وكتبه ميوته وأقلامه للأقاليم أقاليد ، ولم تزل جنود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك بممالك الدار العزيزة وعبيد عباديد . وأما بلاد الكفر من دماء أهلها شآبيب ، وأقام بها منار الإسلام ومتابره لما أناب عن أعوادها أنابيب . وأسعرها من كداة الوغى وحداة الورى بمساعير ، وأنجدها بضوارة ضوارة الظفر بمضامير .

وهذه فتوحه تفوح بنشر النصر وتضوع ، وعقوده تروق في سلك الملك وتروع . ومصر بل الأمصار باجتهاده في الجهاد شامدة ، والأنجاد والأغوار في نظر عزمه واحدة . والبيت المقدس من فتوحاته ، والملك

(١) شام : تطلع بيمره .

(٢) في الإجحاف والتصحیح مزل .

العقيم من نتائج حزماته ، وتوفره على العبودية للمالك رقه سيدنا أمير المؤمنين أوفر حسناته ، وكل ذلك في طاعته ومناصحته وبركاته .

وما زال ظاهرا على العدا ، ناصرا للهلى ، معليا معلم العلى ، محيا مواسم التقى . مسنيا سنن الشرع وفروضه ، مديما بأعباء الطاعة بقدر الطاقة نهوضه . وهو الذى ملك ملوك الشرك وغل أعتاقها ، وأسر طواغيت الكفر وشد وثاقها . وقمع عبدة الصليبان وقصم أصلابها ، وجمع كلمة الإيمان وعصم جنبها ، ونظم أسباها . وسد الثغور ، وسدد الأمور . وأذل للدار العزيزة كل عدو ، وأخذ لها على يد كل ذى عتو ، واستمرت على الأيام مساهيه فى الخلمة ناجحة ، ومعانيه على موازين الموازين راجحة . وسيرته حسنة وحسناته سائرة ، ومحاسنه ظاهرة ، وسريته طاهرة .

وختم الله له بالسعادة ، وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعبادة ، وقضى وقد قضى من آرائه آرايه ، وقدم بين يديه أعماله الصالحة ووفاه حسابيه . وقبض وعدله مبسوط ، وأمره محوط ، ووزره محطوط ، وعمله بالصلاح منوط ، وأمله بالنجاح مشروط ، وملكه بحفظ الله وكلامته مضبوط . والمذاهب مهذبة ، والراتب مرتبة ، والأسباب محكمة والأحكام مسببة . والأحوال حالية ، والأعمال راضية . والمصالح مصونة ، والمناجع مضمونة . والرعية مرعية ، والموالد مرضية . والقواعد متائلة ، والمقاصد متحصلة . والثغور مسلوذة ، والمحطوب مصلوذة .

وأصول الدولة ثابتة ، وفروع الدولة ثابتة . وما ترك أمرا بعده غير مستقيم ، ولا نهجا غير قوم . ولا خلف لمن خلقه ما يحتاج إلى تقريره وتقريره ، ولا أبقى لمن بقى له ما يقتدر إلى تربيته وتدييره . وما خرج من الدنيا إلا وهو فى حكم الطاعة الإمامية داخل ، وبمتجرها الرابع إلى دار المقامة راحل

ولم تكن له وصية إلا بالاستمرار على جادتها ، والاستكثار من مادتها ، والاستعداد بسعادتها ، والاستعداد لعبادتها . والاستجارة بظلالها ، والاستئذنة بجلالها ، والاستعاذة بفضلها ، والاستزادة من أفضلالها . وما بنيت القواعد إلا على أساس وصاياها ، ولا أمضيت الموائد إلا على قياس سجاياها .

ولا أبرم إلا ما عقده ، ولا أحكم إلا ما أكده . واقضيت آثاره ، واجتليت أنواره ، واتبع إثاره ، وأثمرت في اثمار الأوامر الشريفة أوامره ، ومن كان في نصرة الدولة الإمامية الناصرية فإن الله ناصره .

وما يفتخر العبد إلا بما ورثه في ولائها من القهار ، وبعثه من آلائها الغزار ، ونعشه برفعه من العثار ، وعرفه بعرفه المبر الميار . ولا يتسم بالملك إلا من يتسامى بأنه لها مملوك ، ولا يوصل إلى السعادة الأبدية إلا مسلك إلى رضاها مسلك . ولئن مضى الوالد على طاعة إمامه ؛ فالممالك أولاده وأخوه في مقامه ، والأمر في كل مكان بالأمن والسكون جار على نظامه ، والكفر بمفلول الغرب ، مخلول الحزب ، مجبول على الرعب ، مفلول بقيد السلم عن الحرب ، فإن الله أجرى المشركين مع كثرتهم على حكم القلة ، وخصهم لإبقاء عزة الثغور الإسلامية بالدلة .

وقد استمرت الحال إلى الآن على الهدنة ، وهم لا يؤمنون إذا أحسوا بالمكنة . فإن الغدر في طباعهم مركز ، والسوء في غرائزهم مغروز . والعبد آخذ بالحزم ، عائد بتأييد الله في العزم . متيقظ لمخوف غدرهم ، متحفظ من مكر مكرهم . مستعد بكل إمكان ، مستجد كل ما يفتقر إليه من نجدة وقوة بكل مكان . مستظهر بما تأكد له من مظاهرة المواقف المقدسة في أموره ، مستبشر وجه وجاهته منها بسفوره . ظاهر بقوته من أيدها وأيادها قوى بظهوره . مدل بما له من الموات الأكيدة ، والسوابق الحميدة . والشوافع المقبولة ، والنرائع الموصولة . موقن أن الرعاية تدركه ، وأن العناية تملكه . وأن اختصاصه بفضيلة المائة القديمة يجد له فضل الاختصاص ، وأن فاتحة الحمد منه والإخلاص ، تفتح له باب الإحماذ والاستخلاص .

ولما قصر رجاءه على طوله بذلك الطول ؛ وأنه يزداد بما يزدان به من الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة والحول ؛ عول على القاضي ضياء الدين في المثول بالحلمة الشريفة وإنهاء حاله ، والانتهاه إلى مناجح آماله . والسفارة فيما يسفر عن صبح المرشد ، ونجح المقاصد ، ونصح



العقائد ، وشرح الأحوال في المصادر والموارد . وأن بلاغته وفية بالإبلاغ ،  
ملية بإشباع القول ؛ في اعتفاء الطول الملى بالاسباغ . وقد فاضه فيما  
فوضه إليه ، واعتمد في استنتاجه واستنتاجه عليه . لا زالت أيادي النار  
العزيزة دارة غزيرة ، مارة أولياعها ويحياء موات مواتها جديرة -  
لأن شاء الله تعالى .

## ذكر مناقب السلطان رحمه الله

كان مشغوا في سبيل الله بالإتفاق ، موقوفا عزمه في الأعداء بإدناء الآجال ، وفي الأولياء بإجراء الأرزاق . وما عقر في سبيل الله فرس أو جرح ؛ إلا وعوض ماله بكماله ، وزاده من فضله . وحسب ما وهبه من الخليل العراب والأكاديش الجياد للحاضرين (١) معه في صف الجهاد ؛ مدة ثلاث سنين ؛ مذ نزل الفرنج على عكاء في رجب سنة خمس وثمانين ، إلى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان سنة ثمان وثمانين ، فكان تقديره اثني عشر ألف رأس من حصان وحجر (٢) ، ولأكديش طمر (٣) . وذلك غير ما أطلقه من المال ، في أثمان الخليل المصابة في القتال .

ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم في طلبه ، وما حضر اللقاء إلا استعار فرسا فركبه وهجر جياده ، فإذا نزل جاء صاحبه فاستعاده . فكلهم يركب خيله ، ويطلب خيره . وهو يستعير جوادا ، ويستمر في الجهاد اجتهدا .

وكان لا يلبس إلا ما يجل لبسه ، وتطيب به نفسه ؛ كالكتان والقطن والصوف ، وكسوته يخرجها في إسداء المعروف .

وكانت محاضره مصونة من الحظر ، وخلواته مقدسة بالطهر . ومجالسه منزهة من المزء والحزل ، ومخافله حافلة آهلة بأهل الفضل . وما سمعت له قط كلمة تسقط ، ولا لفظة فظة تسخط .

يغلظ على الكافرين الفاجرين ، ويلين للمؤمنين المتقين . ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد ، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المقيد . وكان لمدائمة الكلام مع الفقهاء ؛ ومشاركة القضاة في القضاء ، أعلم منهم بالأحكام الشرعية ، والأسباب المرضية ، والأدلة المريعة .

---

(١) في ب الحضرين والتصحيح من له ومن (١٣ : ش) .

(٢) الحجر : الأثني من الخيل .

(٣) الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم الخفيف أو المستد العنق .

وكان من جالسه لا يعلم أنه جليس السلطان ، بل يعتقد أنه جليس أخ من الإخوان . وكان حليما مقيلا للعرثات ، متجاوزا عن المفوات ، تقيا تقيا ، وفيها صفيا . يغضى ولا يغضب ، ويبشر ولا يتقطب . ما رد سائلا ، ولا صد نائلا ، ولا أنجل قائلا ، ولا خيب آملا .

ومن جملة مناقبه ، أنه تأخر عنه في بعض سفراته الأمير أيوب بن كنان مشغلا بمهماتهِ ؛ فلما وصل سأله عن سبب تخلفه ، وما الذي وقفه عن موقفه . فذكر أن غرماءه لجؤا وألجؤا ، وضنوا بإطلاقه وشحوا . فأحضر (١) غرماءه وتقبل بالدين ، وتكفل بالعين . وأمرني (٢) بأن أحيلهم على مصر فحسبتها وهى اثنا عشر ألف دينار مصرية وكسر . فقدم نوابه وفاءها على الحمل ، لما عرفوا فيه من بغض صون المال وحب البذل للفضل .

ولما كنا بالقلمس في سنة ثمان وثمانين ، كتب إليه سيف الدولة ابن منقذ (٣) من مصر وهو بها نائبه ، وقد وضحت في الكفاية مذاهبه ؛ أن واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستنص منها ألفي دينار وتسحب ، وربما وصل إلى الباب وتحمل وتحمل ؛ وخيل وكذب ، فجاء إلى السلطان من أخبره أن الرجل على الباب وخال أنه إليه به تقرب . فقال : « قل له إن ابن منقذ يطلبك فاجتهد ألا تقع في عينه » ، فعجبنا من حلمه وكرمه ، بعد أن قلنا قدم الرجل بقدمه إلى عينه .

وبما أذكره له في أول سفرى معه إلى مصر سنة اثنين وسبعين ؛ ووردت بها من فضله العذب المعين ؛ أنه حوسب صاحب ديوانه عما تولاها في زمانه ؛ فكانت سياقة الحساب عليه سبعين ألف دينار باقية عليه .

(١) فب فأحضروا والصحيح من ل ومن أ ( ١١٤ ش ) .

(٢) فإ ( ١١٤ ش ) فأمرني .

(٣) سيف الدولة بن منقذ : هو أبو الميخون ، مبارك بن كامل بن منقذ ، مجد الدين ، ولد سنة ٥٢٦ هـ ، كان من أمراء صلاح الدين ، وقد حبسه سنة ٥٧٧ هـ اثر وشاية أقيمت إليه ، توفي سنة ٥٧٧ هـ ( أنظر الخريدة قسم شعراء الشام ج ١ : ٢٢٣ ( و ) لتجوم الزاهرة ٦ : ٦٩ ) و ( الأعلام للزركلي ج ٢ ) .

فما طلبها ولا ذكرها ، وأراه كأنه ما عرفها . على أن صاحب الديوان ما أنكرها .

وكان يرضى من الأعمال بما يحمل عفوا صفوا ، ويحصل عذبا حوا . وكله يخرج في الجود والجهاد ، ورعاية الوفاء والقصد . ثم لم يرض لصاحب ديوانه المذكور بالعطلة ؛ ولم ير انزواءه في بيت العزلة ؛ فوله ديوان جيشه ، وأوله ما دنت له به مجاني جاهه وعيشه .

ولما كنا بظاهر حران في سنة إحدى وثمانين ، عم بصدقاته الفقراء والمساكين ، وكتب إلى نوابه في الولايات ، بإخراج الصدقات وقال لي : « اكتب إلى الصني بدمشق أن يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية » . فقلت له : « الذهب الذي عنده مصرى » ، قال : « فيتصدق بخمسة آلاف مصرية » ، وأشفق من صرف المصرى بالصورى فيكون حراما ، ويرتكب في كسب الأجر آثاما . فسمع ومنع ، وتاجر (مع) الله وريح . وسمعت بعد ذلك الصني — وكان في الخير مجلى كل مضمار — يقول : « قد أحصيت فقهاء المدارس بدمشق — وكانوا مئتمنة — فأطلقت لهم مئتمنة دينار » . ولما عزم على الرحيل من حران ، أفاض بها الفضل وبث الإحسان .

وقال لي يوم الرحيل : « انظر كم بقى بالباب من الوافدين أبناء السبيل ، وهذه ثلاثمائة دينار أقسمها عليهم بالقلم ، وفضل على أقدارهم في القسم » ، وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشرة ، ولم نجد ميسرة ، فعينت لكل اسم قسما ، وعينت بهم خلقا منى ورما . فبلغ أربعمئة دينار . ثم وقفت أفكر وأردد النظر إليه وأكرره . فسألني : « ما الذى عملت ، وهل قسمت المبلغ وكنت » ، فقلت : « جرى قلمى بقسمة أربعمئة دينار » . فهل أنقص من كل اسم ربعا ؟ . فقال « أجر ما جرى به القلم ، وأحسن صنعا » . وكان رجاه (١) إذا أطلق لعارف عارفه . وقلت له : « هذه ما تكفيه ردها مضاعفة » ، وكان أصحاب المظالم ، وأرباب المطالب ، والراغبون (٢) في

(١) رجاه : الرضى ، الصدر والمقصود هنا إحسانه وكرمه .

(٢) سبق التعليق عليها .

الغائب ، والذاهبون في المذاهب ، يحضرون عندي ، ويعرفون في إنجاز أمرهم وإنجاح قصدهم بذل جهدي . فأكتب لهم توقعات بمتوقعاتهم ، وأنتهي في الإملاء بنهاية مأمولاتهم . فيجربها ويمضيها ، ويضع علاماته فيها ويرتضيها ، وإذا ألقى توقيعا بخطي علم فيه ، ولم يقف بشره على سر مطاويه . إلفا بما ألقه من صحتي ومناصحتي ، وكفاء للملمات وكفاية للمهمات بكفائتي .

وكان يأمرني بكتابة كتب الملوك وأصحاب الأطراف عن كتبهم في حالتهم وسلمهم وحرهم . وهي تشتمل على أسباب متنوعة ، وآراء متفرعة ، بحسب الحوادث المتجددة ، والبواعث المتمهدة . فإذا قلت له : « بماذا أكتب ، وما الذي أخطب ؟ فيقول : « أنت أعرف وبحسب ما تعلم من حالنا تتصرف » . فأكتب من عندي بالإجابة ، وتوافق منه الإجابة . فقد كنت مطلعا على سره ، مضطلعا بأمره . ما يخفى عني مراده ، وأنا متيقن لمن ولاؤه ووداده . فأتي بمداواة الأغراض ، ومداواة الأمراض ، وموازنة الجواهر والأعراض ، والتمييز بين أهل القبول وأهل الإعراض . فكم أصلح قلبي بينه وبين من عاداه ، وراض الجامح من سخطه وقاده إلى مدى رضاه .

وكان يغضب للكبائر ، ولا يغضى عن الصغائر . ويرشد إلى الهدى ويهدي إلى الرشاد ، ويسدد الأمر ويأمر بالسداد . فكان بماليكه وخواصه ، بل أمراؤه وأجناده أعف من الزهاد والعباد .

ورأى يوما لي دواة ؛ بالفضة محلاة ، فأنكر حل الحلية ، وادعى حظر القنية . فقلت على سبيل المدافعة ؛ وطريق المناظرة والممانعة ؛ أو ليس تحمل حلية السلاح ، واصطحابه في الكفاح فدواء دواتي أنجع ، ومدد مدادي أنفع ، ويراغ براعتي القصير أطول ، وسلاح قلبي أجذ وأحد وأفتك وأقتل ، وما اجتمعت هذه العساكر الإسلامية إلا بقلبي ، ولا تفرقت جموع الكفر إلا بكلمها من جوامع كلمي .

فقال : « ما هذا بدليل ، ولا يعيد تحريما إلى تحليل » . حتى قلت له :

« إن الشيخ أبا محمد - والد الإمام أبي المعالي - قد ذكر وجها في جوازه ونحن نتبعه ، فلا وجه مع هذا الوجه المحلل لمن يحظره ويمنعه » ، فلم أكتب بعدها عنده إلا من دواة الشبه ، وتجنبنا طرق الشبه . وتركت المحلاة - غلاة ، وعادت الشبهية (١) مجتناة .

وكان محافظا على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها ، مواظبا على أداء مفروضاتها ومسنوناتها ، فما رأيته صلى إلا في جماعة ، ولم يؤخر له صلاة من ساعة إلى ساعة . وكان له إمام راتب ، ملازم مواظب . فإن غاب يوما صلى به من حضره من أهل العلم ، إذا عرفه متقيا متجنبنا للإثم . وكنت لللازمي إياه بقدمني إماما في الصلوات ومستشارا في المشورات .

وكان يأخذ بالشرع ويعطى به ، وينفق من حل المال وطيبه . ويجود بالموجود ، وبالمعلوم في الحال رجاء الوجود ، فما تتجدد جدة إلا ويستوعبها لإنجاز الوجود .

ولم يكن إلى المتجم مصغيا ، ولم يزل لقوله ملغيا . فما عنده منجى من جاء بمين (٢) المنجمين ، ولا قبول لمنطق المنطقيين . فلا يفضل يوما على يوم ، ولا زمانا على زمان ، إلا بتفضيل الشرع واستقصاء الدين في كل قاص ودان . ولا يتعيف (٣) ولا يتطير ، ولا يعين وقتا ولا يتخير . بل إذا عزم توكل على الله ، وأقبل على محكم أمره وأعرض عن مظان الاشتباه . فكم قل سفه ذى الفلسفة ، ودل بمعرفه على المعرفة .

وما زال ناصرا للتوحيد ؛ قامعا جمع أهل البدع بالتبديد ؛ مستجليا سنى السنة ، مستحليا جنى الجنة . شافعي المذهب أصولا وفروعا ، معتقدا له محقولا ومسموعا . يلنى أهل التنزيل ، ويقصى أهل التشبيه ، ويديم استفادة فقه الفقيه ، واستزادته بنباهة النبيه ، ووجاهة الوحيه . فالعالون

---

(١) العبيية : التحامية . الشبه ، النحاس الأصفر .

(٢) المين : الكلب ، قله مان يمين .

(٣) يتعيف : يتكهن يزجر الطير فيتشام أو يتغافل .

في عدله ، والعالمون في فضله ، والبلاد في أمنه ، والعباد في منه ، والبرية  
في بر سعيه . والإسلام في حماية حميته ، والدين في إدالة دولته .

وشريعة الشريعة صافية بصفائه ، ومادة المودة له وافية بوفائه . وقامت  
بعده طريقة طرية ، من العارعية ، وبير البرية من الشائبات والشائنات برية ،  
وبالحرية حرية . وبسرور السرورية . فقد عزت وفضلت وظهرت بعزيزها ،  
وأفضلها وظاهرها ، وفخرت بمفاخرها ، ورويت بروائهم آثار مآثرها ،  
وتبلجت الآفاق وتأرجحت بحسن تباشيرها وطيب بشائرهما ، وبرزت  
الأرض في أزهارها والسماء في زواهرها .

والحمد لله مجرى الأقدار ، ومصطفى الأكدار ، ومدير الليل والنهار ،  
ومدير الإيراد والإصدار . وسلم تسليما كثيرا آمين .

المراجع التي اعتمدت عليها في التحقيق والشرح والتعليق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- ٣ - أوضح التفاسير لابن الخطيب ( ط . مصطفى محمد )  
الطبعة الخامسة .
- ٤ - غريب القرآن لابن الخطيب ( . المطبعة المصرية ١٩٦٢ م ) .
- ٥ - القاموس المحيط للفيروزابادي .
- ٦ - المنجد ( للأب لويس معلوف ) ، لسان العرب لابن منظور .
- ٧ - معجم البلدان لياقوت الحموي . ط بيروت .
- ٨ - معجم البلدان لياقوت الحموي ط . الخانجي .
- ٩ - معجم الأدباء لياقوت الروي ط دار المأمون . تحقيق  
د . فريد رفاعي .
- ١٠ - معجم الالفاظ الفارسية للدكتور محمد موسى دنداوي .
- ١١ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين  
الخفاجي .
- ١٢ - الجواليقي ( المغرب من الكلام الأعجمي تحقيق أحمد محمد  
شاكر ) ط . دار الكتب ١٣٦١ هـ
- ١٣ - الالفاظ الفارسية المعربة لادى شير ط . بيروت ١٩٠٨ م .
- ١٤ - صبح الأعشى للقلقشندي .
- ١٥ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .
- ١٦ - وفيات الأعيان لابن خلكان .
- ١٧ - الأعلام للزركلي .



- ١٨ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى . ج ٦ ط دار الكتب
- ١٩ - الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة قسم أول وثانى تحقيق د . محمد حلمى أحمد .
- ٢٠ - مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل تحقيق د . جمال الدين الشيال ١٩٢١ و ٣٠ .
- ٢١ - السلوك للمقرئى ج ١ تحقيق د . محمد مصطفى زيادة .
- ٢٢ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد تحقيق محمد محمود صبح . نشر الدار القومية ١٩٦٢ م .
- ٢٣ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ط . ليدن ١٧٣٢ م .
- ٢٤ - تاريخ الاسلام السياسى للدكتور حسن ابراهيم حسن .
- ٢٥ - تاريخ العرب العام لسديو . نشر النهضة المصرية .
- ٢٦ - فنون الاسلام للدكتور زكى محمد حسن .
- ٢٧ - تاريخ أبو القداء ط المطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ .
- ٢٨ - العرب قبل الاسلام لجورجى زيدان بتعليق الدكتور حسين مؤنس .
- ٢٩ - تاريخ التمدن الاسلامى لجورجى زيدان بتعليق الدكتور حسين مؤنس .
- ٣٠ - طبقات الشافعية للسبكى .
- ٣١ - الموسوعة التيمورية بقلم أحمد تيمور ط القاهرة ١٩٦١ م .
- ٣٢ - Lane poole, Saladin & The Fall OF Jerusalem , London
- ٣٣ - The Crusaders In The East
- ٣٤ - Dozy Supplements Dictionaire Arabe , V . II
- ٣٥ - Dozy Supplements Dictionaire Arabe. Vetements

- ٣٦ - الفتح القسّى فى الفتح القلمى للعماد الاصفهاني ط . ليدن  
١٨٨٨ م .
- ٣٧ - الفتح القسّى فى الفتح القلمى ط . مطبعة الموسوعات ١٣٢١ هـ .
- ٣٨ - الفتح القسّى فى الفتح القلمى نسخة مخطوطة بالملكية الأزهرية  
مؤرخة ١١٦٦ هـ .
- ٣٩ - النثر الفنى تطوره ومذاهبه ج ١ و ٢ للدكتور شوقي ضيف .
- ٤٠ - مذكرات فى تاريخ الشرق وأوروبا فى العصور الوسطى  
لمحمد رفعت .

## فهارس

شروح المصطلحات والكلمات الترفية ، والأعلام ، والبلدان

(١) شروح المصطلحات والكلمات الترفية

الكلمة	رقم صفحة الشرح	الكلمة	رقم صفحة الشرح	الكلمة	رقم صفحة الشرح
الأبدال	١٢٢	التركبول	٦٢	السران	١٤٤
الإداوة	٧٨	الجاليش	٧٠	الردنيات	٧٤
الأزياج	٤٥	الجانناوية	٧٦	الرفاق	١٥٦
لاستارى والاستارية	٦٢	الجاوشيه والجاوش	٦٠٤٢٣٥	الزجاج	٧٢٠٦٣
الأطلاب	٦٩	الجروخ	١٠٤	الزحف	١٦٤
آلة	١٥٨	الجلق	١٠٥	الزنيورات	١٦٣
لوبيية مشترك الأوج	٦٢٤	الحنايا	٧٠	الزيارات	١٤٤
باركاه	٣٦٥	الحالات	٢٢٣	السايريات	٦٥٠٦٢
الباشورة	١٠٦	الغلتسون	٥٧٥	الساير	١٥٨
البراكيس	٤٦٠	المرصان	٧٢	السحاب	٥٧
البطالين	٤٥٧	المركاه	٦٣	الشمس	١٠٩
البطرق = البطرك	٦٠٢٠٦٧	الموانسلار	٢٢٣	صليب الصليوت	٦٦
بطس	٣٤٠	الداوى والداوية	٦٢	الطرائد	٣٤٢
البيض	١٠٠	الديابة	١٠٥	الطوارق والطارقيات	١٤٤٠٦٥
البيض	١٠٠٠٧٨			التمل	٥٠٩
البيكار	٥٥٣٠١٩٩	المنثور	٢٧٥	المرادات	٥٠٣٠٣٤٥
الترائك	٩٩			النفائير	٦١٦
				الفرند	٧٩

الكلمة	رقم صفحة الشرح	الكلمة	رقم صفحة الشرح	الكلمة	رقم صفحة الشرح
التسلاان	٦٠٢	النوالات	٢٢٣		
التواصل	١١٢	النيازك	١٤٤		
الكرج	٥٢٨	النيزوز	١٩٩		
كنود جمع كتد	٨٠	اليزنيات	٧٣		
كوسات = كوس	٨٨	اليلب	١١٤		
القوت	٤١٠				
الهاذم	٦٣				
المران	٧٨				
المشرفيات	٧٣				
لنجنينق والمنجنينقات	٥٠				
المجائنق					
الملاطيط	٦١٦				
المهاميز	١١٦				
التلوكات والتلوك	١٦٣				
النشاب	٧٠				

## (٢) فهرس الأعلام

### (١)

- إبراهيم عليه السلام ، ص : ٩٨ ، ٩٦ .  
 إبراهيم بن الحسين المهراني ، ص : ١١٣ .  
 إبراهيم بن محمد بن عبد الملك بن المقدم = عز الدين بن المقدم ، ص : ٢٥٢ ، ٣٦٢ ، ٤٣٤ .  
 ٥٤١ ، ٥٥٥ ، ٦٣٩  
 ابن الخشاب ، ص : ١٧٢ .  
 ابن قريش الكاتب ، القاضي المرتضى ، ص : ٤٦٤ ، ٥٢٥ .  
 ابن أيوب = والده صلاح الدين الأيوبي ، ص : ٢٥ .  
 أبو بكر ، أحمد بن علي بن الأفتقر ، ص : ٢٣ .  
 أبو بكر ، أبو الشكر بن أيوب = الملك العادل ، سيف الدين ، ص : ٥٩ ، ٩٠ ، ١١٢ .  
 ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ .  
 ٣٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٤٠٤ ، ٤١١ ، ٤٤٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ .  
 ٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٨ .  
 ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٩٠ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ .  
 ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٢٦ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ .  
 ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٩  
 أبو بكر بن بعلوان محمد بن أيلدكتر = نصر الدين أبو بكر ، ص : ٥٧٥ .  
 أبو زكريا المغربي ، الفقيه ، ص : ٢٦٣  
 أبو الفتح بن القابض ، صفي الدين = الصوفي بن القابض ، ص : ١٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٥٠٩ .  
 ٥٧٦ ، ٦٥٨  
 أبو قلبيته القاسم بن المهدي الحسني ، عز الدين ، ص : ٨٩ ، ٢٦٣ .  
 أبو العليبي المنشي ، ص : ٣٢٣ .  
 أبو القاسم بن الحسين ، ص : ٢٣ .  
 أبو عبد الله الفراوي ، ص : ٢٣ .  
 أبو المال الوركاني ، ص : ٢٣

- أبو هريرة رضى الله عنه ، ص : ٥٤٩ .
- أبو الهيثم السمين = حمام الدين أبو الهيثم ص ٥٥٦ ، ٥٦٢ .
- أحمد بن المستنجد باقة العباس ، أبو العباس ، الخليفة للناصر لدين الله ، ص : ٥٦ ، ١٢٢ ، ٢٧٩ .
- آخر أسلم ، ص : ٩٣ .
- آدم عليه السلام ، ص : ٤٤ .
- أرسل ، عز الدين ، ص : ٥٠٦ .
- أرسلان شاه ، نور الدين بن عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى ، ص : ٦٣٩ .
- أرناط ، ص : ٥٩ ، ٨٠ ، ١١٥ ، ٣٥٩ .
- أرباط الحيش ، ص : ٤٦ .
- أسامة ، عز الدين ، ص : ٤١٧ ، ٦١٦ .
- أسامة بن مرشد بن حل بن منقذ = شمس الدولة بن منقذ ، ص : ٢٦١ .
- إسحاق بن صلاح الدين الأيوبي = الملك المنصور فتح الدين إسماعيل بن صلاح الدين إسماعيل بن صلاح الدين إسماعيل ، ص : ٤٩٦ .
- الاسكندر : ٤٥ .
- أسمد بن الياس بن جرجس ، الطبيب = الحكيم الموفق بن مطران ، ص : ٥٧٦ .
- أسمد بن يحيى بن موسى ، بهاء الدين ، الشاعر = ابن الحاتم السنجاري : ٢٢٠ .
- إسماعيل عليه السلام ، ص : ٤٦ .
- إسماعيل بن جعفر الصادق ، ص : ٥٧٥ .
- إسماعيل الصوفي الأرموي المكسي ، ص : ٣١٨ .
- إسماعيل بن سيف الإسلام طنتكين بن أيوب ، شمس الملوك ، ص : ١٩١ .
- إسماعيل بن محمد بن عبد كويه نسيمي = جمال الدين ، أبو الفتح ، ص : ٣٥٥ .
- إسماعيل بن محمود بن زنكى = الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود ، ص : ٢٦ .
- آقشتر ، بدر الدين = الهزاردستاني : ٦٤٠ .
- أفوش ، ص : ٥١٤ .
- أكثافوس ، ص : ٤٥ .
- أمارى = مري = أمورى ، الملك ، ص : ٦٧ ، ١٢٨ .
- اياز الطويل ص : ٤٤٤ ، ٥٣٩ .
- اياز المهراني ، ص : ٥٥٩ .
- إياس بن قبيصة ، ص : ٤٧ .
- أيبيك الأخرس ، ص : ٢٩٠ .
- أيبيك الساق ، ص : ٢٩٥ .

أيد فخر المجلد ، الحاجب ، ص : ٣٥٧ .  
 أيوب ، نجم الدين أبو الشكر = والد صلاح الدين الأيوبي ، ص : ٢٥  
 أيوب بن كنان ، بدر الدين ، ص : ٥١١ ، ٦٥٧  
 أوك صاحب جليل ، ص : ٨٠ ، ١٠٨ .

## (ب)

باليان بن بارزان = ابن بارزاف ، ص : ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٩٧  
 بختنصر = لبوغلة نصر ، ص : ٤٥ ، ٥٨٢ .  
 البسوس بنت منقذ التميمية ، ص : ٤٧  
 بشارة ، حسام الدين ، ص : ٢٧٦ ، ٤١١ ، ٤٤٢ ، ٥٣٣ ، ٥٥٥  
 بنفيس = أبو عيسى ذبيان ، ص : ٤٧  
 بكتمر = سيف الدين بكتمر بن عبد الله ، صاحب خلاط ، ص : ٣٣٤ ، ٥٦٧ ، ٦٣٧ ، ٦٤٠  
 بلنورين الثالث ، ص : ٦٧  
 بلنيس ، الحكيم ، ص : ٢٣١  
 بمرامشاه = الملك الأجد عبد الدين ، بن فرغشاه بن أيوب ، ص : ٤٣٤ ، ٤٧٢ ، ٦٢٣  
 البلوان محمد = بلوان محمد بن أيلدكتر ، ص : ١٨١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ .  
 بزم = أخو صاحب باناس ، ص : ١٧١  
 بيستد ، الأبرنس ، ص : ٦١٦ ، ٦١٨

## (ت)

تكتش ، علاه الدين خوارز مشاه ، ص : ٣٥٤  
 تمر تاش بن جاولي ، حسام الدين ، ص : ٥٠٦  
 تيباط ، الكند ، ص : ٤٦

## (ج)

جاءك ، سير ، ص : ٥٤٨  
 جاولي الندياق ، ص : ٥٥٩  
 جبريل عليه السلام ، ص : ١٢٣ ، ٥٧٨  
 جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، ص : ٤٧

جعفر الطيار = جعفر بن أبي طالب ، ص : ٣١٨

جفنة بن عمرو ، ص : ٤٦

جوردك = عز الدين جردك التوري ، ص : ٤٠٤ ، ٤١١ ، ٥٠٩ ، ٥٣٣ ، ٥٨٥ ،

٦١١ ، ٦٣٠

## (ح)

حامد ، تاج الدين أبو بكر ، ص : ١٨٣

حبي بن منصور بن ربيعة ، ص : ٢٩٤

حسن بن خفراس ، اختيار الدين ، ص : ٢١٢

حسن بن قفجاق ، عز الدين ، ص : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٥٧٣

حسين بن ياريك ، حسام الدين ، ص : ٥١٣

الحسن بن حل بن اسحاق ، أبو حل = نظام الملك ، ص : ٥٧٤

الحسين بن حيد الله بن روضة = أبو حل بن روضة ، ص : ٣١٨

حمل بن بدر ، ص : ٤٧

حنة = أم المراءم مريم عليها السلام ، ص : ١٤٥

## (خ)

الخاتون الايتانية ، ص : ٥٧٥

خالد بن الوليد ، ص : ٤٧ ، ٣١٨

خرمشاه بن محمود بن مودود بن زنكي = علاء الدين بن صاحب الموصل ، ص : ٤٠٥ ،

٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٥٩٦

خضر ، حسام الدين = أخو صاحب الموصل ، ص : ٥٥٧

خضر بن صلاح الدين الأيوبي ، الملك الظاهر ، مظفر الدين ، ص : ٣٦٤ ، ٤٤٢ ، ٦٣٢ ،

٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٢

خليل بن قلاوون ، الملك الأشرف ، ص : ٢٢

## (د)

داود عليه السلام ، ص : ١٢٢ ، ١٤٥

داود بن صلاح الدين الأيوبي ، الملك الزاهر ، مجير الدين ، ص : ٦٣٥

دلدرم الياروق ، بدر الدين = ابن ياروق ، ص : ٦٢ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ١٧٠ ، ٤٤٢ ، ٥٩٢ .



## (د)

رتشارد = ويكاردوس ، ص : ٣٣

رضوان ، ص : ٤٩٠

## (ز)

زامل بن تيل بن مر بن ربيعة ، ص : ٢٩٤

زكريا عليه السلام ، ص : ٩٥

زنكي بن مودود بن زنكي = صاد الدين زنكي صاحب سنجر ، ص : ٢١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢١٦ ،

٣٥٢ ، ٤٠٥ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩

زياد بن معاوية بن ضباب الديلمي = النابتة الديلمي ، ص : ٤٧

زيد بن حارثة ، الصحابي ، ص : ٣١٨

## (س)

ست الشام = أخت صلاح الدين الأيوبي ، ص : ٩٥

سرا ستقر ، ص : ٣٥٧

سميد بن علي بن أحمد ، أبو المال بن حليفة = الوزير ممر الدين بن حليفة ، ص : ٢٧٩

سميد بن محمد بن الوزان ، الشيخ أبو منصور ، ص : ٢٣

سكان بن محمد بن قرا أرسلان ، قطب الدين ، ص : ٢١٢

سلطان شاه بن قليج أرسلان بن مسعود ، نور الدين ، ص : ٦٢٤

سليمان بن جندر ، علم الدين ، ص : ٢٥٨ ، ٤٧٢ ، ٢٢٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٥٠ ، ٥٥٥ ،

٥٧١ .

سليمان بن داود ، ص : ٤٥ ، ١١٨ ، ١٢٢ .

سليمان بن عبد الملك ، ص : ٢٥٩ ، ٢٦٢

سنجر بن سليمان شاه ، ممر الدين ، ص : ٥٧٣

سنجر شاه = بن غازي بن مودود بن زنكي = ممر الدين سنجر شاه صاحب الجزيرة ، ص : ٤٣٩ ،

٤٤٢ ، ٤٥٤ .

ستقر الخلالطي ، حسام الدين ، ص : ٣٠٢ ، ٢٣٨ ، ٣٠٥

ستقر النوري ، سيف الدين ، ص : ١٠١ ، ٤٩٥ ، ٥٠٦

سوار ، ص : ٤٦٣ .

سياروخ النجسي ، حسام الدين ، ص : ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٦١١

سيف بن ذي يزن ، ص : ٤٦

### ( ش )

الشافعي ، الإمام ، ص : ٥٧٧

شاهر بن سنان بن إبراهيم ، ٦٤٠

شاهنشاه = عماد الدين شاهنشاه بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي ، ص : ٢٥٢

شاور ، ص : ٦٧ ، ١٧٢

شبيب عليه السلام ، ص : ١٩٦

شيركوه ، أسد الدين = آخر صلاح الدين ، ص : ٢٠ ، ٢٥ ، ٢٧

شيركوه ، أسد الدين ، بن محمد بن شيركوه ، الملك المجلد ، ص : ٢٠٩ ، ٣٦٢ ، ٤٦٩ ،

٥١١ ، ٦٣٣ .

### ( ص )

صارو ، ص : ٥٩٩

صافي ، ص : ٣١٠

### ( ض )

ضرغام ، ص : ٦٧

### ( ط )

طاشتكين = خير الدين بن محمد الله المقتضوي ، ص : ١٨٨ ، ١٨٩

الطالبي ، عز الدين ، ص : ١٨١ .

طنتكين = سيف الاسلام ، ظهير الدين طنتكين بن أيوب ، ص : ١٩٠ ، ٣٥٣ ، ٤٧١ ،

٤٢٩ ، ٦٢٦ ، ٦٤٤ .

طغرل ، بن أرسلان = ركن الدين ، طغرليك شاه السلجوقي ، ص : ٣٥٤ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،

٥٧٤ .

طغرلشاه = طغرل بن أرسلان ، ص : ٣٥٤ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

طغرل الجاندار ، شجاع الدين ، ص : ٢٠٤ ، ٢٤٣ .

طمان = حسام الدين طمان بن غازي ، ص : ١٧٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ .

عبادة بن الصامت ، ص : ٢٢٨

العباس بن عبد المطلب ، ص : ٢٤

عبد الرحيم بن علي بن محمد اليماني = القاضي القاضل ، ص : ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ،

٣٤ ، ٥٧ ، ٩٠ ، ٢١٧ ، ٢٧٥ ، ٤٦١ ، ٥٠٦

عبد القادر الحلبي ، ص : ٥٠٦

عبد العلي بن الشيخ أبي التيجيب السمرودي ، جمال الدين ، ص : ٩٠

عبد الله بن روضة الأنصاري ، ص : ٣١٨

عبد الله بن محمد بن أبي حصرون ، شرف الدين ، أبو سعد ، ص : ٣٥٥

عبد الملك بن مروان ، ص : ١٣٤

عبد مناف ، ص : ٤٨

عبد الوهاب بن علي بن سكتة ، ضياء الدين ، أبو محمد الصوفي ، ص : ٢٧٩

عبدان ، سابق الدين = عبدان بن الهادي ، ص : ٣٦٢ ، ٤٣٤ ، ٥١١ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢

عبدان بن عفان ، ص : ٤٥

عبدان بن صلاح الدين الأيوبي = الملك النزيه ، عماد الدين ، أبو الفتح ، ص : ٥٩ ، ١١٤ ،

١٤٤ ، ٤٥٦ ، ٦٣٠ ، ٦٤٢

النزيه بن رضى الدين ، ص : ٥٧٣

علي بن إبراهيم بن نجية ( ابن نجيا ) ، زين الدين أبو الحسن ، الفقيه ، ص : ١٤٠

علي بن أحمد المشطوب ، سيف الدين = المشطوب ، ص : ٥٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥٧ ، ٥٠٥ ،

٥١٣ ، ٥٨٨ ، ٦١٣

علي بن صلاح الدين الأيوبي = الملك الأفضل ، نور الدين ، أبو الحسن ، ص : ٥٩ ، ٦٠ ،

٦٣ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ،

٤٤٢

علي بن هبة الله بن عبد السلام ، أبو الحسن ، ص : ٧٣ .

عمر بن شاهنشاه بن أيوب = الملك المنصور تقي الدين ، ص : ٩٩ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،

٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٦٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ،

٥١٠ ، ٥١٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ،

٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ، ٦٤٤ ، ٦٥٠

عمر بن الخطاب = الفاروق ، ص : ٢٤ ، ١٢٣ ، ٤٦٥ .

عمر بن عبد العزيز ، ص : ٢٦٣

عيسى عليه السلام ، ص : ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ .

عيسى المروم ، ص : ٤٢٣ .

عيسى المحكاري ، الفقيه ضياء الدين أبو محمد عيسى بن محمد ، ص : ٩٠ ، ٣٥٥ ، ٥٧٩

## ( غ )

غازي بن سعد الدولة مسعود بن البصارو ، ص : ٢٩١ .

غازي بن صلاح الدين الأيوبي = الملك الناصر غياث الدين أبو منصور ، ص : ١٥٥ ، ١٦٧ ،

١٨٠ ، ٧٤٢ ، ٣٣٢ ، ٣٦٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٦٧ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨ ،

٦٤١ ، ٦٣٤

## ( ف )

فخر الدين المولى = الشريف فخر الدين ، ص : ٣٦٥ ، ٥٧٣

فردريك بيريوس ، ص : ٣٣٠

فلك الدين = آخر الملك العادل ، ص : ٥٩٣

فيليب أغسطس ، ص : ٣٣ ، ٤٧٤

فيلبس = أبو الاسكندر ، ص : ٤٥ ، ١٢٨

فيلب الثاني = فيلبس أبو الاسكندر

فيروز عبد الخديرة بن سورة = أبو لؤلؤة المحيرى ، ص : ٤٦٥

## ( ق )

قايماز التنجى ، صائم الدين ، ص : ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٨٥ ، ١٧٨ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ ،

٣١١ ، ٤٠٤ ، ٤١١ ، ٤٤٢ ، ٥٠٨ ، ٥٤٤ .

القاسم بن يحيى بن عبد الله = القاضي ضياء الدين الشهرزورى ، ص : ٢٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٨٠

٣٠٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٣٦٥ ، ٦٥٤

قتلغ آبه ، الصلاح ، ص : ٢١٢

قتلغ اينانج بن بهلوان ، ص : ١٨١ ، ٥٧٥ .

قراقرش = بهاء الدين قراقرش بن عبد الله الأسدي ، ص : ٢٠٩ ، ٢٧٦ ، ٣٧١ ، ٤٦٠ ،

٥١٤ ، ٦١٤ ، ٦٢٠

قرل أرسلان = مظفر الدين قرل أرسلان بن ايلدكتر ، ص : ١٨١ ، ٢٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ،

٥٦٨ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤

قس بن ساعدة بن عمرو الإيادي ، ص : ٣٩ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ١٣٥

قصي بن كلاب ، ص : ٤٨

قلبه بن عامر بن حديفة الأنصاري الصحابي ، ص : ٢٧٩

قليج أرسلان ، عز الدين = بن مسعود بن سليمان ، ص : ٢١١ ، ٥٦٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ،

٦٢٥ ، ٦٢٤

قليج الساسي = فرس الدين قليج ، ص : ٩٤ ، ٢٤٧

قلوطره = كليوباترا ، ص : ٤٥

القويمص = الكونت ريمون الثالث ، ص : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ١٠٩

قيس بن زهير ، ص : ٤٧ ، ١٣٢

قيصر ، علم الدين ، ص : ٥٦٤ ، ٥٨٣ ، ٥٩١ ، ٦١١

قيصر شاه بن قليج أرسلان ، ممز الدين قيصر شاه ، ص : ٥٥٢ ، ٥٥٧

## ( ك )

كرجي ، علم الدين ، ص : ٤٩٥

كمري ، ص : ٥٦

كليپ بن رييمة ، ص : ٤٧

كلشاه = آدم ، ص : ٤٤

كشبه الأسدي = سعد الدين كشبه ، ص : ٢٠٤ ، ٢٠٧

كوكبوردي بن عل بكشكين = مظفر الدين بن زين الدين عل كوجك صاحب اوبل ، ص : ٦١ ،

٦٣ ، ٩٣ ، ١٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٩٩ ، ٣٦٩ ، ٤٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٦٢٥

كي = الملك المتيق ، ص : ٨٠ ، ٢٩٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩٤

كيخسرو بن قليج أرسلان = غياث الدين كيخسرو ، ص : ٦٢٤

كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو ، ص : ٦٢٤

## ( ل )

لؤلؤ ، الحاجب = حسام الدين لؤلؤ الشيخ ، ص : ١١٥ ، ٢٤٠  
لوجرت = ريكاردوس = ملك الانكبير ، ص : ٤٧٧

## ( م )

مالك ، ص : ٩٠

ماما خاتون ، ص : ٥٧٠

المبارك بن علي الصمرقندي ، أبو المكارم ، ص : ٢٣

مبارك بن كامل بن منقذ = سيف الدولة بن منقذ ، ص : ٦٥٧

مجد الدين بن الموفق ، ص : ٥٦٩

مجل بن مروان ، ص : ٣٠٩

محمد بن أرككز ، جمال الدين ، ص : ٤٦٣

محمد بن صداد الدين زنكي = قطب الدين محمد ، ص : ٢١٧ ، ٣١٦ ، ٣٥٢

محمد بن عبد الطيف الخبثي ، ص : ٢٣

محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري ، كمال الدين أبو الفضل ، ص : ٢٥

محمد بن عبد الملك بن جبرون ، ص : ٢٣

محمد بن عبد الملك بن المقدم : شمس الدين بن المقدم ، ص : ١٨٨ ، ٢٥٢ ، ٥٧٠ ، ٥٧٧

محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب = ناصر الدين ، الملك المنصور ، ابن تقي الدين عمر ،

ص : ٥٩٥ ، ٦٠٠ ، ٦٣٥

محمد بن عمر بن لاجين = حسام الدين لاجين ، ص : ٩٥ ، ٣١١ ، ٤١١ ، ٤٤٢ ، ٥٧١

محمد بن قرا أرسلان = نور الدين بن قرا أرسلان ، ص : ٢١٣ ، ٥٦٦

محمد بن زكي الدين علي القرشي ، محيي الدين أبو المالح ، ص : ١٣٩

محمد بن صفى الدين أبي الفرج محمد = الباد الأصقحاني ، ص : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥

محمد بن محمد بن موسى = ألتافى شمس الدين المعروف بابن الفرائش ، ص : ٦٢٥

محمد بن الموفق بن سعيد ، أبو البركات = نعيم الدين الخيوثاني ، ص : ٥٧٧

محمد بن الناصر لدين الله = الخليفة الباسي أبو نصر محمد ، ص : ٢٧٨

محمود بن بهرام الأرتي ، حماد الدين ، ص : ٣٦٧

عمود بن زئكي = الملك العادل ، نور الدين ، ص : ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،

٢٦ ، ٢٢ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٧

عمود بن محمد بن قرا أرسلان = قطب الدين بن نور الدين بن قرا أرسلان ، ص : ٥٢٠ ، ٥٩٦

عروج ، ص : ١١٩

المستنجد بالله العباسي ، ص : ٢٤

مسعود الصلبي ، ص : ١٧٧

مسعود بن مودود بن زئكي = عز الدين مسعود ، ص : ٣٥٠ ، ٦٣٧

مسعود بن صلاح الدين الأيوبي ، الملك المؤيد نجم الدين ، ص : ٤٩٦

المسيح عليه السلام ، ص : ٩٣ ، ١١٨ ، ١٤١ ، ١٩١

سطرف بن رفيع بن ربيعة ، ص : ٢٩٤

سماوية ، ص : ٢٩

محمد بن عثمان ، ص : ٤٦

المقتضى بأمر الله العباسي ، الخليفة ، ص : ٥٧٤

المقتضى ، ص : ٢٤

ملكشاه بن قلیچ أرسلان = قطب الدين ملكشاه ، ص : ١٨ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤

المنظر بن ماء البهاء ، ص : ٤٧

منكورس بن خوار تكين ، ناصر الدين ، ص : ٢٤٣

مودود ، شمس الدين = ابن الملك العادل الأيوبي ، ص : ٤٠٤

مردود ، عز الدين = والي دمشق ، ص : ٤٧٣

موسك بن جكر ، عز الدين ، ص : ٣٥٥

موسى عليه السلام ، ص : ١١٨ ، ١٨٩ ،

موسى ، الملك الأشرف ، ص : ٣٦٤

مهيون القصري ، فارس الدين ، ص : ٥٨٦

## ( ن )

نصير الحفيد ، ص : ٤٦٤

النهان بن بشير الصحابي ، ص : ٢٦٣ ، ٤٦٧

النهان بن المنظر ، ص : ٤٧

## ( هـ )

هاجر ، ص : ٤٦

هرقل ، ص : ٣١٨

هنري الثامن ، ص : ٤٧٧

هرى ، الكتند ، ص : ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤٤٥

هنرى ، ص : ٨٠ ، ٨٧ ، ١٢٨ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٥ ، ٤٩٤ ، ٥٤٢ ، ٥٩٠

## ( و )

الوليد بن مبيد = البحري الشاعر ، ص : ٥٦

## ( ي )

يازكوج الأسدي ، سيف الدين يازكج ، ص : ٤٤٥ ، ٥٣٣ ، ٥٦٤ ، ٥٨٣

يحيى بن محمد بن هيرة ، صون الدين ابن هيرة ، ص : ٢٤ ، ٢٥

يرلقش ، عباد الدين = ابن طان بن غازي ، ص : ٣١٦ ، ٤٩٥ ، ٥٥٧ ، ٥٩٦

يزدجرد ، ص : ٤٥

يوسف بن أيوب ، أبو المظفر ، الملك الناصر ، صلاح الدنيا والدين ، ص : ١٧ ، ٢٠ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ،

٣٥ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٠ ،

٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٢ ،

١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ،

٢٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٤٤٥ ، ٤٦١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٦ ، ٦٠٠ ، ٦٢٩ ،

٦٣٧ ، ٦٤٥ ، ٦٥٧

يوسف بن رافع بن تميم = القاضي بهاء الدين شداد ، ص : ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،

٤٠٦ ، ٥٥٥ ، ٥٦٢ ، ٦١٢

يوسف ذنوناس = ذنوناس ، ص : ٤٦

يوسف ، زين الدين بن علي بن بككين ، ص : ٣٥٤ ، ٤٣٨

يونس عليه السلام ، ص : ٢٩٧



### (٣) فهرس البلدان والأمكنة

#### (١)

- أبهر ، ص : ١٧٥  
أبر الحسن ( قلعة أبر الحسن ) ، ص : ١٧١ ، ٢٠٠  
أبر قبيس ( قلعة أبر قبيس ) ، ص : ٢٤٢  
ألد بيجان ، ص : ١٨١ ، ٥٧٥  
أران = أرايه ، ص : ١٨١ ، ٥٧٥  
لدبل ، ص : ٦١ ، ١٩٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٤٣٨ ، ٤٢٩ ، ٥٠٧ ، ٥٢١ ، ٦٢٥  
أرتاح ، ص : ٢٦٢  
الأردن ، ص : ٦١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٤٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣١٠  
أرز الروم = أرزن الروم ، ص : ٥٧٠ ، ٦٢٣  
أرسوف ، ص : ٩٤ ، ١٩٩ ، ٥٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨  
أرميليه ، ص : ١٨١ ، ٣٢٤ ، ٥٥٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٦٢٣  
أرزنكان = أرزنجان ، ص : ٦٢٣  
اسكندرونة ، ص : ٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٩٦  
اسكندرية ، ص : ٢٢ ، ٤١٩  
آسيا الصغرى = بلاد الروم ، ص : ٤٥ ، ١٩٩ ، ٢١١ ، ٣٣٠ ، ٦٢٤  
أصبهان = أصفهان ، ص : ٢٣ ، ١٨١ ، ٥٧٤  
الأملرون ، ص : ٢٠٠  
أفامية = ثغر أفامية ، ص : ٢٥٢  
إفريقية ، ص : ٢٢

- الأحواشة ، ص : ١٩٤
- أقصر - أقصر ، ص : ٦٢٤
- أكتيوم ، ص : ٤٥
- البرء ، ص : ١٧٨ ، ١٩٩ ، ٢٣١ ، ٦١٣ ، ٦٢٥
- ألمانيا ، ص : ٢٥
- آمد ، ص : ٢١٢ ، ٣٠٩ ، ٤٦٤ ، ٥٢٠ ، ٥٩٦
- انجلترا - انكلترا ، ص : ٣٣ ، ٤٧٧
- انطاكية ، ص : ١٨ ، ٩٨ ، ٢١٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤
- ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٤١٤ ، ٤٣٦ ، ٤٧٢ ، ٦٠٥
- ٦١٦
- انطربوس ، ص : ٢٢٩ ، ٢٣٠
- الأهرام ، ص : ٢٠٩
- أوه ، ص : ٥٧٥
- إيران ، ص : ١٣١ ، ١٨١
- أيلة ، ص : ٥٩

## (ب)

- باب التين ، ص : ٣٦٥
- بابل ، ص : ٤٥
- بازور - يازور ، ص : ٥٥٨
- بالس ، ص : ٥٩٦
- بانياس ، ص : ٦٩ ، ١٠١ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٣٠ ، ٢٨٨ ، ٤٤٢
- البواء ، ص : ٤٥
- البحر الأبيض المتوسط - بحر الشام ، ص : ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢
- ١٤١ ، ١٩٧ ، ٥٤٥
- برزيه ، ص : ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٣
- بساريا ، ص : ٢٣٠
- البهة ، ص : ٩٨
- برج الدبان ، ص : ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠

جوزفول ، ص : ٦٢٤

البصرة ، ص : ٢٤ ، ٥٨

بصرى ، ص : ٩١ ، ٤٤٢

بعلبك ، ص : ٢١٨ ، ٢٦٤ ، ٤٣٤ ، ٥٧٦ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٣ ، ٦٢٨

بغداد = دار السلام ، ص : ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٢ ، ١٨٣ ، ٢٢٣ ،

٢٣٢ ، ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٤٥٦

بغراس ، ص : ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٤٧٢

البقاع ، ص : ٢١٨ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٩

بيكاس ، ص : ٢٤٥

بيكر ايل ، ص : ٢٣٣

بيلاطس ، ص : ٢٤٤

بيليس ، ص : ٥٩٣

بيلة ، ص : ٢٣٢

البلقاء ، ص : ٥٩ ، ٣١٨ ، ٦١١

البلقان ، ص : ٣٣٠

بلنياس ، ص : ٢٣١

بحين النهرين ، ص : ٣٠٩

بنى عامر = جبال بنى عامر ، ص : ٩٩

بجرا = جبل بجرا ، ص : ٢٢٨

بيت جبريل = بيت جبرين ، ص : ١١٤ ، ٢٠٠ ، ٥٩٢

البيت الحرام ، ص : ١٢٣

بيت لحم ، ص : ١١٤ ، ٢٠٠

بيت المقدس = القدس

بيليت نوبة أو نوبا ، ص : ٥٥٢ ، ٥٦٢ ، ٥٩٢

بيروت ، ص : ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٥٢ ، ١٦٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٤١٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧٧ ، ٤٨٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠١ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٨ ،

٦١٩

بيسان ، ص : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٧٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٥ ، ٦١٣

## (ت)

تبريز = توريز ، ص : ٥٧٥

تبئين = تبئينا ، ص : ٦٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٧٠ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ . ٢٩٣ ، ٦١٤

تل الأحمر ، ص : ٢٠٠

تل باشر ، ص : ٣٦٢ ، ٤٤٢

تل برسيب ، ص : ٢٠٠

تل الجزر ، ص : ٥٨٦

تل الصافية ، ص : ٢٠٠ ، ٥٩٢ ، ٦٠٨

تل المياضية ، ص : ١٧٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٦٨ ، ٤٤٥ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٥٢٨

تل الفضول ، ص : ٤٧٩

تل كيسان ، ص : ٢٩٨ ، ٤٢٥ ، ٤٤٩ ، ٥٢٨

تل المصلبة ، ص : ٢٩٨ ، ٣٠٥

تلفيئا = مرج تلفيئا ، ص : ٦١٤

تنيس ، ص : ٢٢٥

قولة ، ص : ٢٢٥

## (ث)

ثغر أفاعية = أفاعية

## (ج)

الجامع الأزهر ، ص : ٢٩

جبارة ، ص : ٧٩ ، ١٩٦

الجب = بركة الجب ، ص : ٦٣١

جب يوسف ، ص : ٢٩٧

جبل هرا = هرا

جبلجور = جبل جور ، ص : ٥٦٧

جبل نبوس ، ص ٢١٨

٦٨٢

جبلة ، ص : ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٤٧٤ ، ٤٦٧  
 جبيل ، ص : ٨٠ ، ٨٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ،  
 ٢٣٢ ، ٢٠١  
 الجزائر ، ص : ١١٠  
 الجزيرة - بلاد الجزيرة ، ص : ١٩ ، ٣٢ ، ٢١٩ ، ٣٠٩ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ،  
 ٤٥٤ ، ٥٣٩ ، ٥٦٦  
 الجزيرة العربية ، ص : ٤٦  
 جسر الحفيد ، ص : ٢٥٥  
 جسر دعوق ، ص : ٤٤٤  
 الجش ، ص : ٦١٤  
 الجليل ، ص : ٢٠٠ ، ٢٢٥  
 جينين ، ص : ٩٨ ، ١٩ ، ٦١٣

## (ح)

حارم ، ص : ٢٥٥  
 حائف ، ص : ٥٦٦ ، ٦٣٦  
 الحبيشة ، ص : ٤٦ ، ٣١٨  
 الحجاز ، ص : ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٣٤٠  
 حوران ، ص : ٦١ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٣٥٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٧ ، ٤٦٨ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ،  
 ٥٩٦ ، ٦٣٦ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٥٨  
 الحرم المكي ، ص : ٤٦ ، ١٢٣  
 الحسى ، ص : ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣  
 حصن الأكراد ، ص : ٢٢٥ ، ٢٢٧  
 حضر موت ، ص : ٤٦ ، ١٩٠  
 حطين ، ص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٩٦ ، ٢٣٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧  
 حلب - الشهباء ، ص : ١٩ ، ٢٦ ، ٦٢ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ،  
 ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٣٢ ، ٢٥٥ ،  
 ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٤١٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٢ ، ٤٩٣ ،  
 ٥٩٥ ، ٦٢٨ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠

الحلة ، ص : ١٨٩

حمام ، ص : ١٩ ، ٩٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣١٨ ، ٤٦٧ ، ٥٩٦ ، ٦٣٥

حمص ، ص : ١٩ ، ٢٦ ، ١٧١ ، ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٤ ، ٣٦٢ ، ٤٦٧ ، ٦٣٣ ، ٦٣٨

حوران ، ص : ٥٨ ، ٦٣ ، ١٩١ ، ٣١٠ ، ٥٦٦

الحولة = بحيرة الحولة ، ص : ٢٩٧

الحيرة ، ص : ٤٧

حيفا ، ص : ٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٤٦٦ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٤٦

## (خ)

الخابور ، ص : ٣١٦ ، ٦٣٩

خراسان ، ص : ٢٩ ، ١٨١

الخروبة = الخرنوبة ، ص : ٢٩٧ ، ٣٢٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٤٤٢ ، ٤٩٥

خلط = أخلط ، ص : ٩٩ ، ٣٣٤ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٦٢٣ ، ٦٣٧ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠

الخليل ، ص : ١١١ ، ١١٤ ، ٢٠٠ ، ٦١١

خوزستان ، ص : ١٨٩

الخويلقة ، ص : ٥٩٣

## (د)

دارا ، ص : ٣٦٧ ، ٤٦٨ ، ٦٣٩

الداروم = الدارون ، ص : ١١٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٥٩١ ، ٦٠٨ ، ٦١١

دامغان ، ص : ٥٧٢

ديورية ، ص : ٩٧ ، ١٩٩

ديق ، ص : ٢٢٥

دريساك ، ص : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨

درما ، ص : ١٩١

الذخمية ، ص : ٢١٨

دمشق ، ص : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٨٧ ، ٩٠ ،

٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٣٢ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،  
 ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢١٨ ،  
 ٢٣٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٤٤٢ ، ٤٥٢ ، ٤٩٦ ، ٥٢٨ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢ ،  
 ٥٧٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٦٠٧ ، ٦١٣ ، ٦١٩ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٨ ،  
 ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٢ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨

دمياط ، ص : ٢٢ ، ٢٢٥

دليس ، ص : ٤٤٦ ، ٤٦٨

الغناء ، ص : ٢٢٧

النور ، ص : ٢٤

ديار بكر ، ص : ٩٩ ، ١٧٤ ، ٢١٣ ، ٣٠٩ ، ٤٦٨ ، ٥٦٦

ديار بى جب ، ص : ٦٣١

ديار مصر ، ص : ٦٣٩

دير الراهب ، ص : ٥٤١

دير سمعان ، ص : ٢٦٣

### ( ٣ )

اللبان = برج اللبان ، ص : ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠

### ( ٤ )

واتزبون ، ص : ٣٣٠

رأس العين ، ص : ٤٤٦ ، ٦٣٩

رأس الماء ، ص : ٥٩ ، ٦٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٤٤١

الرباط ، ص : ١٤٥

الرحبة = رحبة دمشق ، ص : ٣٦٢ ، ٦٣٣

الرقّة ، ص : ١٧٢ ، ٣٠٥ ، ٣١٦ ، ٥٩٦ ، ٦٣٩ ، ٦٤٢

الرملة ، ص : ٣٣ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١١٤ ، ٢٠٠ ، ٥٤٩ ، ٥٥٨ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ،

٥٨٣ ، ٥٩٢ ، ٦٠٠

الرها ، ص : ١٨ ، ١٩ ، ٦١ ، ٤٣٩ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧

الري ، ص : ١٣١ ، ١٨١ ، ٣٥٤ ، ٥٧٢

ريحا = أريحا ، ص : ١٩٩

ريدان = ظفار ، ص : ٤٦

## (ز)

زبيد ، ص : ١٩٠

زرعين ، ص : ٩٧ ، ١٩٩

زنكان = زنجان ، ص : ٥٧٥

الزبيب ، ص : ٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٦٩ ، ٤٩٥

## (س)

سرمانيا = سرسبية ، ص : ٢٤٧

سروج ، ص : ١٩ ، ٦٣٩

السلع ، ص : ٢٠٠

سلمية ، ص : ٤٦٧

سمران ، ص : ١٣١

سمرقند ، ص : ١٣١

سمطية ، ص : ٩٥ ، ١٩٩

سميساط ، ص : ٥٩ ، ٣٣١ ، ٤٣٩ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٦٣٦

سنبجار ، ص : ١٧٤ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٩ ، ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

٤٤٢ ، ٤٥٤ ، ٤٩٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٧ ، ٥٩٦ ، ٦٣٧ ، ٦٤١

سنبجل = سنجبل ، ص : ١٩٩ ، ٢٩٧

سودان مصر ، ص : ٣٣٥

سوريا ، ص : ١٩ ، ٢٠٠ ، ٤٩٧ ، ٥٦٦

سوق حكاظ : ٢٩ ، ٤٧ ، ٥٨

السويداء ، ص : ٥٦٦

سيواس ، ص : ٦٢٣



## (ش)

الشام ، ص : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٩ ،  
 ٦٢ ، ٦٦ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١١٢ ، ١٧١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ،  
 ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ،  
 ٤٠٣ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٧ ، ٤٨٥ ، ٥٥٤ ، ٥٥٨ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٦٢٩ ،  
 ٦٤٦ ، ٦٣٠

الشرقية ، ص : ٥٩٣

الشعر ، ص : ٢٤٥

شفرعم ، ص : ٥٢٧

شقيف أرلون = الشقيف ، ص : ١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٥٩

شقيف دركوش ، ص : ٢٥٥

شيران ، ص : ٥٦٩

شهرزور ، ص : ٦١ ، ٣٢٤ ، ٣٣٥ ، ٤٣٩ ، ٦٢٥

الشويك ، ص : ٦٠ ، ١٩١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

شير ، ص : ٢٦١ ، ٣٦٢ ، ٤٣٤ ، ٥١١ ، ٥٦٢

## (ص)

صافيا ، ص : ٢٢٧ ، ٤٦٧

الصباغين ، ص : ٥٣٣

صرفت ، ص : ١٠٢ ، ١١٢ ، ٢٠٠

صفا ، ص : ١٠١ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ٢٠٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٢

صفورية ، ص : ٦٢ ، ٧٣ ، ٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٩٧

صفين ، ص : ٥٩٦

صفلية ، ص : ١٤٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩

الصنبرة ، ص : ٣٠٩

صنماء ، ص : ٤٨

صبيون ، ص : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥

صويا ، ص : ٢٠٠

صور ، ص : ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣

١٨٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢

٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٥٩ ، ٥٢٦ ، ٥٨٩ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨

صيناء ، ص : ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٥٢ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١

٢٠١ ، ٢٨٥ ، ٣٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٨٩ ، ٦١٤

### (فـ)

قصير ، ص : ٦٢٦

### (طـ)

طبرستان ، ص : ٤٩٠

طبرية ، ص : ٦١ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٧

٩٧ ، ٩٨ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٧٦ ، ٣٠٩ ، ٦١٤ ، ٦١٩ ، ٦٢٧

طرابلس ، ص : ١٨ ، ٣٦ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ١٠٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١

٢٣١ ، ٢٥٣ ، ٢٨٩ ، ٤٢٤ ، ٤٦٩ ، ٦٠٥

طرسوس ، ص : ٢٥٤ ، ٢٧٢

الطور ، ص : ٦١ ، ٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٩٦

طوروس = جبال طوروس ، ص : ٣٣٠

طوى = الوادي المقدس ، ص : ٤٢

### (عـ)

عالقين ، ص : ٩٠

عاملة = جبل عاملة ، ص : ١٠١ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٦١٤

المرأة ، ص : ٢١٨

العراق ، ص : ١٨ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ١٣٢ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٧٩

مرقة = عرفات ، ص : ١٨٨ ، ٥٨١

مرقا = عرق ، ص : ٢٢٥ ، ٢٢٧

العريش ، ص : ٢٠١

العريضة ، ص : ٢٢٧

مزاز = أمزاز ، ص : ٢٥٨ ، ٤٧٢

مستقلان ، ص : ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٥ ،

٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ،

٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٨ ، ٦١١ ، ٦١٢

مشرأ ، ص : ٧٣ ، ١٩٣

مفرا ، ص : ٢٠٠

مطربلا ، ص : ١٧٧ ، ١٩٩

للعقبة = خاليج ، ص : ٤٥

مقبة ظهر حمار ، ص : ٦١٣

مقبة فيق = أفيق ، ص : ٣٠٩ ، ٣١٠

مكاه ، ص : ٣٣ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ،

١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،

٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ،

٣٦٧ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ ،

٤٥٦ ، ٤٤٥ ، ٤٥٩ ، ٤٧٤ ، ٤٧٧ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥ ،

٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ،

٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٤٦ ، ٥٥٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٥ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٥٦

الميل ، الميلو ، الميلون ، ص : ٢٤٤

مين بصة ، ص : ٢٩٦

مين الجر ، ص : ٢١٨ ، ٦١٩

مين الذهب ، ص : : ٦١٤

مين سلوان ، ص : ١٢٢

ميون الأسود ، ص : ٥٣٣

## (ع)

قباغب ، ص : ٥٧٢

غزة ، ص : ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٠٠ ، ٥٩١ ، ٦٠٨ ، ٦١١

غسان ، ص ٤٦

النور ، ص : ١٧١ ، ١٧٧ ، ٢٧٥ ، ٣١٠ ، ٤٥٢

## (ف)

فارس ، ص : ٤٥

القرات ، ص : ٢٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣٣١ ، ٣٥٢ ، ٤٦٧ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٩ ،

٦٤٢ ، ٦٤٩ .

فرنسا ، ص : ٢٠ ، ٤٧٤

الفريديسه ، ص : ٦١٣

فلسطين ، ص : ٣٣ ، ٦٤ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٩٧ ،

٥٤١ ، ٥٤٥ ، ٥٥٢ ، ٥٥٨ ، ٥٩٢

الفولة ، ص : ٩٧ ، ١٩٩

## (ق)

القاهرة ، ص : ٣٦ ، ٣٩ ، ١١٤ ، ٢٠٩ ، ٣٦٤ ، ٤٩٥

قب إلباس ، ص : ٦١٤

قبة الصخرة ، ص : ١٤١

قبرس = جزيرة قبرص ، ص : ٦٦ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٩٠ .

قدس ، ص : ٢١٩

القدس = بيت المقدس ، ص : ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٩ ،

٦٢ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٢ ،

١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٤٥٢ ،

٤٥٧٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٢ ، ٥٦١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٢ ، ٥٥٠ ، ٤٩٤ ، ٤٥٦  
 ٤٥٦٧ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٢ ، ٥٩٠ ، ٥٨٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٧٩ ، ٥٧٨  
 ٦٤٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٠ ، ٦١٣ ، ٦١١ ، ٦٠٨ ، ٦٠٦ ، ٦٠٣

قرتيا ، ص : ٢٠٠

القرشية ، ص : ٢٤٥

قزوين ، ص : ١٨١

القسطاطلية ، ص : ٦٧ ، ١٤٢ ، ٣٣٠ ، ٤١٤

القصير ، ص : ٢٥٤

قلعة جدير ، ص : ٣٦٢ ، ٥٩٦ ، ٦٣٦

قلعة الجماهريين ، ص : ٢٤٤

قلعة الروم ، ص : ٤٥ ، ١٨١ ، ٣٣٠ ، ٣٣١

قلعة نجم ، ص : ٢٥٢

قلونية ، ص : ٥٩٢

قمامة ، كنيسة ، ص : ١١٨ ، ٥٦٢ ، ٥٨١ ، ٦٠٩ ، ٦١٢

قوس ، ص : ٥٧٢

قولة ، ص : ٦٢٤

قوسارية ، ص : ٩٤ ، ٢٠١ ، ٢١١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٦٠٥ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤

القيمون ، ص : ٩٨ ، ٢٠٨ ، ٥٣٣

## (ك)

كامة ، جسر كامة ، ص : ٦١٤

كخر سامرا ، ص : ٢٧٩

الكرك ، ص : ٥٩ ، ٨٠ ، ١١٥ ، ١٩١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩

كفر طائب ، ص : ٢٥٢

كفركنا ، ص : ٢٩٧

الكنبة ، ص : ٢٩ ، ٤٨ ، ١٢٢

كليكييا ، ص : ٢٣٠

كوكب ، ص : ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢١٣

كيفا = حسن كيفا ، ص : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٠٩

## (ل)

اللاذقية ، ص : ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٤٢٤ ، ٤٦٧

لبنان ، ص : ١٧١ ، ٢٢٥

الجبون ، ص : ٩٨ ، ١٩٩

لد ، ص : ٢٠٠ ، ٥٥١ ، ٦٠٨

الكام ، جبل ، ص : ٢٥٤ ، ٤٧٢

لوييه = لوييا ، ص : ٨٨

## (م)

ماردين ، ص : ٣٦٧ ، ٤٦٨ ، ٥٦٦ ، ٦٣٧ ، ٦٤١ ، ٦٤٢

مازندران ، ص : ٤٩٠

مجل حراب ، ص : ٢٠٠ ، ٥٩١

مجدليابه ، ص : ٩١ ، ٢٠٠ ، ٥٣٤

المجر ، ص : ٣٣٠

المدرسة النظامية ، ص : ٩٣ ، ٥٧٤

المدينة المنورة ، ص : ٨٩ ، ١١٥ ، ١٢٣ ، ٢٦٣

مرج برلوث ، ص : ٢٨٥

مرج عيون ، ص : ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٥٩ ، ٥٩٧ ، ٦١٤

مرج قلديطية ، ص : ٦١٥

مرج القنبة ، ص : ٦١٤

مرج يوس ، ص : ٦١٩

مرقب ، ص : ٢٣٠ ، ٢٣١

مرقية ، ص : ١٩٧

مرو الشاهان ، ص : ٥٦٩

المسجد الأقصى ، ص : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٨٢ ،

٥٨٠ ، ٦٤٦

المسجد الحرام ، ص : ١٣٤

٦٩٢



## (ن)

نابلس ، ص : ٩٥ ، ٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٩٧ ، ٥٨٦ ، ٦١٣

الناصرية ، ص : ٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠١

الناقلورة ، ص : ١٧٦

نصيبين ، ص : ٢١٨ ، ٢٠٩ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٤٤٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٦٣٧

الناطرون ، ص : ١١٤ ، ٥٥٢ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨

النقرة ، ص : ٢٩٤

نهر حيفا ، ص : ٥٤٦

نهر دجلة ، ص : ٣٠٩

نهر الرسن ، ص : ١٨١

نهر الزاب الأعلى والأسفل ، ص : ٣٣٤

نهر سالف ، ص : ٢٣٠

نهر العاصي ، ص : ٢١٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٤٦٧

نهر الموجاء ، ص : ٥٤٥

نهر القصيب ، ص : ٥٣٨ ، ٥٤٠

نهر اليرموك ، ص : ٢٨٥

النواقر ، ص : ٢٩٦

النوبة ، ص : ٢٢

نيسابور ، ص : ٥٧٢

## (هـ)

هرمض ، ص : ٢٤٠

هرمين ، ص : ٥٧٥

هيدان ، ص : ١٨١ ، ٣٣٤ ، ٣٥٢ ، ٤٤٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤

الهله ، ص : ١٢٠

هوليف ، ص : ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ، ٢٩٧ ، ٦١٤

هيت ، ص : ٦٣٣



## (و)

وادی التیم ، ص : ۲۱۸ ، ۶۱۴ ، ۶۱۹

وادی الریبة ، ص : ۴۵

وادی القرى ، ص : ۳۶۲ ، ۵۹۱

وادی موسی ، ص : ۲۰۰

واسط ، ص : ۷۴

## (ی)

یافا ، ص : ۶۲ ، ۹۱ ، ۹۴ ، ۱۹۹ ، ۲۰۱ ، ۵۴۵ ، ۵۴۸ ، ۵۴۹ ، ۵۵۰ ، ۵۹۲ ،

۵۹۷ ، ۵۹۸ ، ۶۰۱ ، ۶۰۶ ، ۶۰۸

یبرین ، ص : ۴۹۳

یبی = یبنا ، ص : ۱۱۴ ، ۵۴۹ ، ۵۵۱ ، ۵۸۵ ، ۶۰۸

یثرب = المدینة المنورة ، ص : ۸۹

یحمر = حصن یحمر ، ص : ۲۲۷

یجماعة ، ص : ۲۲۸

یمن ، ص : ۲۲ ، ۴۶ ، ۴۸ ، ۱۹۰ ، ۳۵۳ ، ۴۲۹ ، ۶۱۱ ، ۶۲۶ ، ۶۴۴ ، ۶۴۶

الیونان ، ص : ۴۵





# الذخائر

## سلسلة نصف شهرية



كتاب ( الفتح القسّى فى الفتح القدسى ) هو الكتاب الثانى الذى تصدره الذخائر فى تاريخ صلاح الدين الأيوبي ، وهو يجمع - بصورة ما - بين الأدب ممثلاً فى إنشاء العباد ورسائله وحكاياته ، والتاريخ ممثلاً فى تسجيل بطولة وفروسة صلاح الدين الذى لم يحارب من أجل الحرب وإنما حارب من أجل السلام .. السلام القائم على الحق والعدل .. ولذلك ظل دائماً - حتى خلال الحرب - رافعاً شعار الحوار والتفاهم ، لكن الغرب جاءه رافعاً لواء العداوة والتصادم عزيزى القارىء .. إلى أين سيتهى المطاف بالعالم .. إلى الحوار أم إلى الصدام ؟ لا أحد يعرف على وجه اليقين ، ولكن الذى أثبتته الأيام .. أنه حتى الحوار ، بلى وحتى الدعوة إلى السلام .. يحتاج كلاهما إلى قوة تحميه وتؤكدده ، بل وتفرضه ، شأنه فى ذلك تماماً شأن مسلك الصدام .

الكتاب القادم ديوان ابن سناء الملك

Bibliotheca Alexandrina



0587901

المكتبة الوطنية للطباعة

الثمان : ٧ جنيه